دار الكتب المصرية

كتاب

عيون الأخبار

تأليف

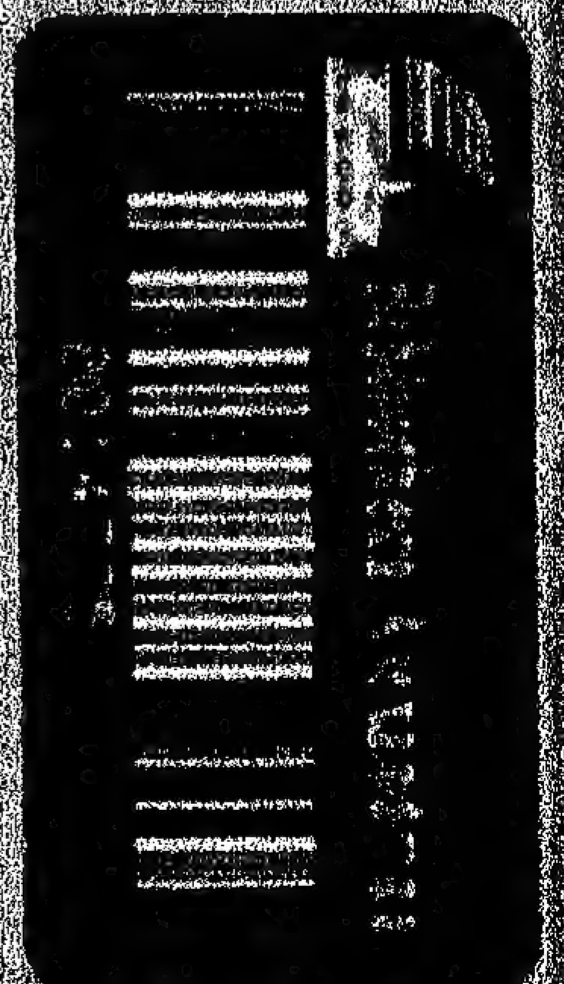
أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

الجزءان ، الأول والثاني

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٩٦



عيون الأخبار

دار الكتب المصرية

كتاب
عيون الأخبار

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَة الدِّيَنَوَرِيّ

المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الأول

كتاب السلطان — كتاب الحرب — كتاب السؤدد

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٩٦

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، ٢١٣ ـ ٢٧٦هـ/ ٨٢٨ ـ ٨٨٩.
كتاب عيون الأخبار/ تأليف أبى محمد عبدالله بن مسلم بـ قتيبة الدينورى . ـ ط ٢ . ـ القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية ١٩٩٦.
٤ مج ؛ ٢٧ سم.
يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية
المحتويات: جـ١. كتاب السلطان ـ كتاب الحرب ـ كتاب السؤدد. . جـ٢. كتاب الطبائع والأخلاق المذمومه ـ كتاب العلم والبيان ـ كتاب الزهد. ـ جـ ٣. كتاب الاخوان ـ كتاب الحوائج ـ كتاب الطعام . . جـ٤. كتاب النساء ـ الفهارس.
تدمك ٩ ـ ٣٢ ـ ٠٠ ـ ١٨ ـ ٩٧٧ (جـ١ ، ٢)
٠٠ ـ ٢٨ ـ ٠٠ ـ ١٨ ـ ٩٧٧ (جـ٣ ، ٤)

٨١٠,٨

فهرس

المجلد الأول من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

الجزء الثـاني ــ كتاب الحروب

الجزء الثـالث — كتاب السؤدُد

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الامام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينورى رضى الله عنه : الحمد لله الذى يُعجز بَلاؤُه صفة الواصفين وتفوت آلاؤُه عددَ العادّين وتسع رحمته ذنوب المسرفين ، والحمد لله الذى لا تُحجَب عنه دعوة ولا تخيب لديه طِلْبة ولا يضل عنده سعىٌ ، الذى رضى عن عظيم النعم بقليل الشكر وغفر بعَقْد الندم كبير الذنوب ومحا بتوبة الساعة خطايا السنين ، والحمد لله الذى ابتعث فينا البشير النذير السراج المنير هاديا الى رضاه وداعيا الى محابّه(1) ودالّا على سبيل جنته ففتح لنا باب رحمته وأغلق عنا باب سخطه . صلى الله وملائكتُه المقرّبون عليه وعلى آله وصحبه أبدا ما طَما بحر وذرّ شارق وعلى جميع النبيين والمرسلين .

أما بعد فان لله فى كل نعمة أنعم بها حقا وعلى كل بلاء أبلاه زكاة : فزكاة المال الصدقة ، وزكاة الشرف التواضع ، وزكاة الجاه بذله ، وزكاة العلم نشره ، وخير العلوم أنفعها ، وأنفعها أحمدها مَغَبّة ، وأحمدها مغبّة ما تُعلِّمَ وعُلِّمَ لله وأُريد به وجه الله تعالى .

ونحن نسأل الله تعالى جل وعلا أن يجعلنا بما علمنا عاملين وبأحسنه آخذين ولوجهه الكريم بما نستفيد ونُفيد مريدين ولحسن بلائه عندنا عارفين وبشكره آناء الليل والنهار هارفين إنه أقرب المدعوّين وأجود المسئولين .

وإنى كنت تكلفت لمُغْفِل التأدب من الكُتّاب كتابا فى المعرفة وفى تقويم اللسان واليد حين تبيّنتُ شُمول النقص ودروسَ العلم وشغلَ السلطان عن إقامة سُوق الأدب

---

(1) فى النسخة الفتوغرافية : «محابه» .

حتى عفا ودرَس، بلغتُ به فيه همّة النفس وثَلَج الفؤاد وقيّدتُ عليه به ما أطرفنى الاله[1] ليوم الإدالة، وشرطتُ عليه مع تعلّم ذلك تحفُّظ عيون الحديث ليدخلها فى تضاعيف سطوره[2] متمثلا إذا كاتب، ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن إذا حاور. ولما تقلدت له القيام ببعض آلته دعتنى الهمة الى كفايته وخشيت إن وَكَلتُه فيما بقى الى نفسه وعوّلتُ له على اختياره أن تستمرّ مَرِيرتُه على التهاون ويستوطئ مركبه من العجز فيضرب صفحا عن الآخر كما ضرب صفحا عن الأوّل، أو يزاول ذلك بضعف من النية وَكَلال من الحدّ فيلحقه خَوَر الطباع وسآمة الكلفة. فأكملت له ما ابتدأت وشيدت ما أسست وعملت له فى ذلك عمل مَنْ طَبَّ لمن حَبَّ بل عمل الوالد الشفيق للولد البرّ ورضيت منه بعاجل الشكر وعوّلت على الله فى الجزاء والأجر.

فان هذا الكتاب، وإن لم يكن فى القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام، دالّ على معالى الأمور مرشد لكريم الأخلاق زاجر عن الدناءة ناهٍ عن القبيح باعث على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعِمارة الأرض وليس الطريق الى الله واحدا ولا كل الخير مجتمعا فى تهجد الليل وسَرْد الصيام وعلم الحلال والحرام، بل الطرق اليه كثيرة وأبواب الخير واسعة وصلاح الدين بصلاح الزمان، وصلاح الزمان بصلاح السلطان، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير.

وهذه عيون الأخبار نظمتها لمغفِل التأدب تبصرة ولأهل العلم تذكرة ولسائس الناس ومَسُوسهم مؤدّبا وللملوك مستراحًا [من كدّ الجدّ والتعب][3] وصنفتها أبوابا وقرنت الباب بشكله والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها

(١) فى النسخة الألمانية : «ما أضل من الآلة ليوم الإدالة».

(٢) فى النسخة الفتوغرافية : «النظر». (٣) زيادة فى النسخة الالمانية.

وعلى الناشد طلبها، وهى لَقاح عقول العلماء ونَتاج(1) أفكار الحكماء وزبدة المَخْض وحِلْية الأدب وأثمار طول النظر والمتخيَّر من كلام البلغاء وفِطَن الشعراء وسِير الملوك وآثار السلف . جمعت لك منها ما جمعت فى هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها وتقوّمها بثقافها وتخلصها من مساوى الأخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خَبَثها، وتَرُوضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمة وأدب كريم وخلق عظيم، وتصل بها كلامك اذا حاورت وبلاغتك اذا كتبت ، وتستنجح بها حاجتك اذا سألت، وتتلطف فى القول إن شفعت، وتخرج من اللوم بأحسن العذر اذا اعتذرت، فان الكلام مصايد القلوب والسحر الحلال، وتستعمل آدابها فى صحبة سلطانك وتسديد ولايته ورفق سياسته وتدبير حروبه ، وتعمُر بها مجلسك إذا جدّدت وأ هزَلت وتوضح بأمثالها حججك وتُبِدُّ باعتبارها خصمك حتى يظهر الحق فى أحسن صورة وتبلغ الإرادة بأخف مَئُونة، وتستولى على الأمد وأنت وادع [وتلحق الطَّرِيدة(2) ثانيا من عِنَانك وتمشى رويدا وتكون أوّلا] هذا اذا كانت الغريزة مُوَاتيةً والطبيعة قابلة والحس منقادا ، فان لم يكن كذلك ففى هذا الكتاب، لمن أراه عقلُه نقص نفسه فأحسن سياستها وستر بالأناة والرويّة عيبها ووضع من دواء هذا الكتاب على داء غريزته وسقاها بمائه وقدح فيها بضيائه ، ما نعش منها العليل وشحذ الكليل وبعث الوَسْنان وأيقظ الهاجع حتى يُقَارب بعون الله رُتَبَ المطبوعين .

ولم أر صوابا أن يكون كتابى هذا وقفا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سُوقتهم . فوفّيت كل فريق منهم قِسْمه ووفّرت عليه سهمه وأودعته طُرَفا من محاسن كلام الزهاد فى الدنيا وذكر فجائعها والزوال والانتقال وما يتلاقون به اذا اجتمعوا ويتكاتبون به اذا افترقوا .

(1) فى النسخة الفتوغرافية : «ونتائج» . (2) زيادة فى النسخة الألمانية .

فى المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين وأشباه ذلك لعل الله يعطف به صادفا، ويأطِرُ على التوبة متجانفا، ويردع ظالما ويلين برقائقه قسوة القلوب . ولم أُخْلِه مع ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة مُعجِبة وأخرى مضحكة لئلا يخرج عن الكتاب مذهبٌ سلكه السالكون وعَرُوضٌ أخذ فيها القائلون ، ولأروّح بذلك عن القارئ من كَدّ الجِدّ(١) وإتعاب الحق فإنّ الأذن مجّاجة وللنفس حَمْضَةٌ ، والمزْح إذا كان حقا أو مقاربا ولأحايينه وأوقاته وأسبابٍ أوجبَتْه [مشاكلا](٢) ليس من القبيح ولا من المنكر ولا من الكبائر ولا من الصغائر إن شاء الله .

وسينتهى بك كتابنا هذا الى باب المزاح والفكاهة وما روى عن الأشراف والأئمة فيهما . فاذا مرّ بك أيها المتزَمّتُ حديث تستخفّه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له فاعرف المذهب فيه وما أردنا به .

واعلم أنك إن كنت مستغنيا عنه بتنسكك فان غيرك ممن يترخّص فيما تشدّدت فيه محتاج اليه ، وإن الكتاب لم يُعمل لك دون غيرك فيُهيَّأَ على ظاهر محبتك . ولو وقع فيه تَوَقّى المتزمّتين لذهب شطر بهائه وشطر مائه ولأعرض عنه من أحببنا أن يُجتبل اليه معك .

وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين ، وإذا مرّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة فلا يحملنك الخشوع أو التخاشع على أن تُصعّر خدّك وتُعرض بوجهك فان أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المأثم فى شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ تَعزَّى بعزاء الجاهلية

---

(١) فى نسخة الفتوغرافية «الجهد» . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

فأعِضُّوه بِهَنِ أبيه ولا تَكْنُوا". وقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه لبُدَيْل بن وَرْقاء، — حين قال للنبىّ صلى الله عليه وسلم: إنّ هؤلاء لو قد مَسَّهم حَزُّ السلاح لأسلموك —: «اعْضَضْ ببَظْر اللّات، أنحن نُسْلمه!». وقال علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه: «من يَطُلْ أَيْرُ أبيه[1] ينتطِقْ به». وقال الشاعر فى هذا المعنى بعينه

فلو شاء ربّى كان أيرُ أبيكم * طويلا كأير الحارث بن سَدُوس

قال الأصمعىّ: كان للحارث بن سدوس أحد وعشرون ذكرا، وقيل للشَّعْبىّ: إن هذا لا يجىء فى القياس، فقال: أيْرٌ فى القياس، الولد ذكرٌ. وليس هذا من شكل ما تراه فى شعر جرير والفرزدق لأنّ ذلك تعيير وَٱبْتِهَارٌ فى الأخوات والأمهات وقذفٌ للمحصنات الغافلات، فتفهَّم الأمرين وَٱفرُق بين الجنسين، ولم أترخّص لك فى إرسال اللسان بالرَّفَث على أن تجعله هِجِّيراك على كل حال ودَيْدَنك[2] فى كل مقال، بل الترخّص منّى فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها، تنقّصها الكناية ويذهب بحلاوتها التعريض، وأحببتُ أن تجرى فى القليل من هذا على عادة السلف الصالح فى إرسال النفس على السجيّة والرغبة بها عن لِبْسة الرياء والتصنع. ولا تستشعرْ أنّ القوم قارفوا وتنزّهتَ وثلَموا أديانَهم وتورّعتَ. وكذلك اللحْنُ إن مرّ بك فى حديث من النوادر فلا يذهبنّ عليك أنا تعمدناه وأردنا منك أن تتعمده لأنّ الإعراب ربما سلب بعض الحديث حُسْنه وشاطر النادرة حلاوتها، وسأمثل لك مثالا: قيل لمزيد[3] المدينى — وقد أكل طعاما كَظَّه —: قِىْ فقال: ما أقى، أقى نَقًّا ولحم جَدْى! مرتى طالق لو وجدت

(١) كذا بالأصل ولسان العرب معزوّا الى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه. وورد فى مجمع الأمثال للميدانى «مَنْ يَطُلْ هَنُ أبيه ينتطِقْ به». (٢) فى النسخة الألمانية «ودينك».

(٣) ورد فى النسخة المطبوعة بألمانيا هكذا (لمُزَيّد) وكذلك ورد فى الأغانى ج ١٣ ص ١١٧ من غير ضبط وورد فى كتاب البخلاء للجاحظ المطبوع بأوروبا ص ٩ هكذا (مُزِيد). وورد فى الأصل الفتوغرافى الذى بين أيدينا هكذا (لمزبّد). وفى تاج العروس فى مادة (زبد): ومزبد كمحدِّث اسم رجل صاحب النوادر وضبط كمعظَّم ووجد بخط الذهبىّ ساكن الزاى مكسور الموحدة.

هـذا قبًّا لأ كلتـه . ألا ترى أن هذه الألفاظ لو وفّيت بالإعراب والهمز حقوقَها لذهبت طُلاوتها ولاستبشعها سامعُها وكان أحسن أحوالها أن يكافئَ لطفُ معناها ثقَلَ ألفاظها فيكون مثل المخبَر عنها ما قال الأوّل

اضربْ نَدَى طلحةِ الخيراتِ إن نخروا * بيخـل أشعثَ واستثبِتْ وكن حكمًا
تخرجْ خُزاعةُ من لؤم ومن كرم * فلا تعـدّ لهـا لؤما ولا كرمًا

ولمثل هذا قال مالك بن أسماء فى جارية له

أمُغَطًّى منّى على بصرى للـ‍ـحبّ أم أنتِ أكمل الناس حسنا
وحـديثٍ ألَذُّه هـو ممّا * يشتهى الناعتون يوزَن وزنا
منطقٌ بارعٌ وتلحَن أحيا * نا وأحلى الحـديث ما كان لحنا[1]

وإن مرّ بك خبر أو شعر يتّضع عن قدر الكتّاب وما بُنى عليه فاعلم أن لذلك سببين : أحدهما قلة ما جاء فى ذلك المعنى مع الحاجة إليه ، والسبب الآخر أن الحسَن إذا وُصل بمثله نقص نُوراهما[2] ولم يتبيّن فاضل بمفضول . وإذا وُصل بما هو دونه أراك نقصانُ أحدهما من الآخر الرجحانَ ، ومدار الأمر وقِوَامُه على واحدةٍ تحتاج إلى أن تأخذ نفسك بها وهى أن تُحْضر الكلمة موضعَها وتصلها بسببها ولا ترى غبنًا أن يتكلم الناس وأنت ممسك ، فاذا رأيت حالا تُشاكل ماحضرك من القول أحضرته وفرصة تخاف فوتها انتهزتها ، وكان يقال : انتهزوا فرصَ القول فان للقول ساعات يضرّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب ، وقالوا : ربَّ كلمةٍ تقول : دعنى .

(١) قال أبو بكر بن دريد : يريد أنها تُعوص فى حديثها فتزيله عن جهته لئلا يفهمه الحاضرون ، ثم قال «وخير الحديث ما كان لحنا» أى خير الحديث ما فهمه صاحبك الذى تحب إفهامه وحده وخفى على غيره اه نقلا عن أمالى القالى . وقيل تلحن أحيانا أى تخطئ فى الإعراب ، وذلك أنه يستملح من الجوارى ذلك إذا كان خفيفا ويستثقل منهن لزوم حاقّ الإعراب ، وهذا المعنى الأخير أورده صاحب اللسان وسياق الكلام يأتلف معه . ولعله عنى باللحن فى المصراع الأوّل الخطأ فى الإعراب وباللحن فى المصراع الثانى المعنى الذى ذهب اليه ابن دريد أو اللحن بمعنى التوقيع . (٢) فى النسخة الفتوغرافية : «نوارهما» .

وإن وقفتَ على باب من أبواب هذا الكتاب لم تره مُشبَعا فلا تقض علينا بالإغفال حتى تتصفَّح الكتب كلها، فانه ربَّ معنى يكون له موضعان وثلاثة مواضع فنقسم ما جاء فيه على مواضعه، كالتلطف فى القول يقع فى كتاب السلطان ويقع فى كتاب الحوائج ويقع فى باب البيان، وكالاعتذار يقع فى كتاب السلطان وفى كتاب الاخوان، وكالبخل يقع فى كتاب الطبائع وفى كتاب الطعام، وكالكِبَر والمشيب يقع فى كتاب الزهد ويقع فى كتاب النساء .

واعلم أنّا لم نزل نتلقَّط هذه الأحاديث فى الحداثة والاكتهال عمن هو فوقنا فى السنّ والمعرفة وعن جلسائنا وإخواننا ومن كتب الأعاجم وسيرهم وبلاغات الكُتّاب فى فصول من كتبهم وعمّن هو دوننا غيرَ مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سنًّا لحداثته ولا عن الصغير قدرا لخساسته ولا عن الأمَة الوكْعاء لجهلها فضلًا عن غيرها ، فان العلم ضالّة المؤمن من حيث أخذه نفعه، ولن يُزْرِىَ بالحق أن تسمعه من المشركين ولا بالنصيحة أن تُستنبَط من الكاشحين، ولا تَضير الحسناءَ أطمارُها ولا بناتِ الأصداف أصدافُها ولا الذهبَ الإبريزَ مَخْرَجُه من كِبًا (*)، ومن ترك أخذَ الحسن من موضعه أضاع الفرصة، والفرص تمرّ مرّ السحاب .

حدثنى أبو الخطاب قال حدّثنا أبو داود عن سُليمان بن معاذ عن سِماك عن عِكْرِمة عن ابن عباس قال : « خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه، فانه قد يقول الحكمةَ غيرُ الحكيم وتكون الرميّةُ من غير الرامى » . وهذا يكون فى مثل كتابنا لأنه فى آداب ومحاسن أقوام ومقابح أقوام والحسن لا يلتبس بالقبيح ولا يخفى على من سمعه من حيث كان . فأما علم الدين والحلال والحرام فانما هو استعباد وتقليد ولا يجوز أن تأخذه

(*) فى النسخة الألمانية : "لموضعه"، وربما عينه السياق .

إلا عمّن تراه لك حجة ولا تقدح فى صدرك منه الشكوكُ، وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدَثين إذا كان متخيَّر اللفظ لطيف المعنى لم يُزْرِ به عندنا تأخر قائله كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدّمه فكل قديم حديث فى عصره وكل شرف فأوله خارجيّةٌ (*)، ومن شأن عوام الناس رفع المعدوم ووضع الموجود ورفض المبذول وحب الممنوع وتعظيم المتقدّم وغُفران زلته وبخس المتأخر والتجنّى عليه، والعاقل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم .

وإنى حين قسّمت هذه الأخبار والأشعار وصنفتها وجدتها على اختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع فى عشرة كتب بعد الذى رأيت إفراده عنها وهو أربعة كتب متميزة، كل كتاب منها مفرد على حدته، كتاب الشراب، وكتاب المعارف، وكتاب الشعر، وكتاب تأويل الرؤيا .

فالكتاب الأوّل من الكتب العشرة المجموعة "كتاب السلطان" وفيه الأخبار عن محل السلطان واختلاف أحواله وعن سيرته وعما يحتاج صاحبه الى استعماله من الآداب فى صحبته وفى مخاطبته ومعاملته ومشاورته له وما يجب على السلطان أن يأخذ به فى اختيار عُمّاله وقضاته وحُجّابه وكُتّابه وعلى الحكام أن يمتثلوه فى أحكامهم وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثانى "كتاب الحرب" وهذا الكتاب مشاكل لكتاب السلطان فضممته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن آداب الحرب ومكايدها ووصايا الجيوش

(*) فى اللسان «الخارجىّ الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم» .

وعن العُدد والسلاح والكُرَاع وما جاء فى السفر والمسير والطِّيَرة والفأل وما يؤمر به الغزاة والمسافرون ، وأخبار الجبناء والشجعاء وحِيَل الحرب وغيرها وشىء من أخبار الدولة والطالبيِّين وأخبار الأمصار وماجاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثالث "كتاب السُّؤدُد" وفيه الأخبار عن مَخَايل السؤدُد فى الحَدَث وأسبابه فى الكبير وعن الهمة السامية والخِطَار بالنفس لطلب المعالى واختلاف الإرادات والأمانى والتواضع والكبر والعجب والحياء والعقل والحلم والغضب والعز والهيبة والذل والمروءة واللباس والطيب والمجالسة والمحادثة والبناء والمُزَاح وترك التصنُّع والتوسط فى الأشياء وما يكره من الغلو والتقصير واليسار والفقر والتجارة والبيع والشراء والمُدَايَنة والشريف من أفعال الأشراف والسادة وماجاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الرابع "كتاب الطبائع والأخلاق" وهذا الكتاب مقارب لكتاب السؤدُدفضممته اليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن تشابه الناس فى الطبائع وذمِّهم وعن مساوى الأخلاق من الحسد والغيبة والسِّعاية والكذب والقحَة وسوء الخلق وسوء الجوار والسِّباب والبخل والحمق ونوادر الحَمْقَى وطبائع الحيوان من الناس والجن والأنعام والسباع والطير والحشرات وصغار الحيوان والنبات وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الخامس "كتاب العلم" وفيه الأخبار عن العلم والعلماء والمتعلمين وعن الكتب والحفظ والقرآن والأثر والكلام فى الدين ووصايا المؤدِّبين والبيان والبلاغة

والتلطف فى الجواب والكلام وحسن التعريض والخطب والمقامات[1] وماجاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب السادس "كتاب الزهد" وهذا الكتاب مقارب لكتاب العلم فضممته اليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن صفات الزهّاد وكلامهم فى الزهد والدعاء والبكاء والمناجاة وذكر الدنيا والتهجد والموت والكبَر والشيب والصبر واليقين والشكر والاجتهاد والقناعة والرضا ومقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك ومواعظهم وغير ذلك وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب السابع "كتاب الإخوان" وفيه الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم والأخبار عن المودّة والمحبة وما يجب للصديق على صديقه ومخالقة الناس وحسن محاورتهم والتلاقى والزيارة والمعانقة والوداع والتهادى والعيادة والتعازى والتهانى وذكر شرار الإخوان وذكر القرابات والولد والاعتذار وعتب[2] الاخوان وتعاديهم وتباغضهم وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثامن "كتاب الحوائج" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الاخوان فضممته اليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن استنجاح الحوائج بالكتمان والصبر والجدّ والهديّة والرشوة ولطيف الكلام ومن يعتمَد فى الحاجة ومن يُستسعَى لها والإجابة الى الحاجة والردّ عنها والمواعيد وتنجُّزها وأحوال المسئولين عند السؤال فى الطلاقة والعبوس والعادة من المعروف تُقطَع والشكر والثناء والتلطف فيهما والترغيب فى قضاء الحوائج واصطناع المعروف والحرص والإلحاح والقناعة والاستعفاف وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

(١) فى النسخة الفتوغرافية : «المقالات» .

(٢) فى الأصل الفتوغرافى «وعيب الإخوان ومعاديهم وتعاديهم ...» الخ .

والكتاب التاسع "كتاب الطعام"، وفيه الأخبار عن الأطعمة الطيبة والحَلْواء والسَّويق واللبن والتمر والخبائث منها التى يأكلها فقراء الأعراب؛ ونازلة الفقر وأدب الأكل وذكر الجوع والصوم وأخبار الأَكَلَة والمَنْهُومين والدعاء الى المآدب والضيافة وأخبار البخلاء بالطعام وسياسة الأبدان بما يصلحها من الغذاء والحِمْية وشرب الدواء ومضارّ الأطعمة ومنافعها ومصالحها ونُتَف من طِبِّ العرب والعجم وماجاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب العاشر "كتاب النساء" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الطعام، والعرب تدعو الأكل والنكاح الأطيبيْن فتقول: قد ذهب منه الأطيبان . تريدهما، فضممته اليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن اختلاف النساء فى أخلاقهنّ وخَلْقهنّ وما يُختار منهن للنكاح وما يُكره واختلاف الرجال فى ذلك والحسن والجمال والقبح والدَّمامة والسواد والعاهات والعجز والمشايخ والمُهُور وخِطَبِ النكاح ووصايا الأولياء عند الهِدَاء وسياسة النساء ومعاشرتهنّ والدخول بهنّ والجماع والولادات ومساويهن خلا أخبار عُشّاق العرب فانّى رأيت كتاب الشعراء أولى بها فلم أُودِع هذا الكتاب منها إلا شيئا يسيرا ، وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

فهذه أبواب الكتب جمعتها لك فى صدر أوّلها لأُعفيك من كَدّ الطلب وتعب التصفُّح وطول النظر عند حدوث الحاجة الى بعض ما أودعتُها ولِتَقْصِدَ فيما تريد حين تريد الى موضعه فتستخرجَه بعينه أو ما ينوب عنه و يكفيك منه ، فان هذه الأخبار والأشعار وإن كانت عيونا مختارة أكثرُ من أن يُحاط بها أو يُوقف من ورائها أو تنتهى حتى يُنْتَهى عنها .

وقد خفّفتُ وإن كنتُ أكثرت ، وٱختصرت وإن كنت أطلت ، وتوقّيتُ فى هذه النوادر والمضاحك ما يتوقّاه مَنْ رضى من الغنيمة فيها بالسلامة ومِنْ بُعد الشُّقة بالإياب ، ولم أجد بُدًّا من مقدار ما أودعتُه الكتابَ منها لتتمّ به الأبواب ، ونحن نسأل الله أن يمحو ببعضٍ بعضا ويغفر بخيرٍ شرًّا وبجدٍّ هزلا ثم يعود علينا بعد ذلك بفضله ويتغمدنا بعفوه ويعيذنا بعد طول الأمل فيه وحسن الظنّ به والرجاء له من الخيبة والحرمان .

كتاب السلطان

محل السلطان وسيرته وسياسته

حدّثنا محمد بن خالد بن خِداش قال : حدّثنا سَلْم بن قُتَيبة عن آبن أبي ذئب عن المَقْبُرِيّ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ستحرِصون على الإمارة ثم تكون حسرةً وندامة يوم القيامة فنعمتِ المُرضِعةُ وبئستِ الفاطمةُ" .

حدّثني محمد بن زِياد الزيادي قال حدّثنا عبد العزيز الدَّارَوَرْدِي قال حدّثنا شَريك عن عَطَاء بن يَسَار أن رجلا قال عند النبي صلى الله عليه وسلم : بئس الشيءُ الإمارةُ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقّها وحِلِّها" .

حدّثني زيد بن أَخْزَمَ الطائي قال حدّثنا آبن قُتَيبة(*) قال حدّثنا أبو المِنْهال عن عبد العزيز آبن أبي بكرة عن أبيه قال : لما مات كسرى قيل ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : «من استخلفوا؟» فقالوا : آبنته بُوران ، قال : "لن يفلح قوم أسندوا أمرَهم الى آمرأة" .

حدّثني زيد بن أخزم قال حدّثنا وهب بن جرير قال حدّثنا أبي قال سمعت أيُّوب يحدّث عن عِكْرِمة عن آبن عباس أنه قدم المدينة زمن الحَرّة فقال : من استعمل القومُ؟ قالوا : على قريش عبدالله بن مُطِيع ، وعلى الأنصار عبدالله بن حَنْظَلة بن الراهب فقال : أميران ! هلك والله القَوْم .

(*) كذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفتوغرافية : أبو قتيبة ، وليس عندنا ما يرجح أحدهما لوجودهما معا في كتب الأنساب .

حدّثنا محمد بن عُبيد قال حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحق عن هشـام ابن حسّان قال كان الحسن يقول : «أربعة من الاسـلام إلى السلطان الحُكْم والفيء والجمعة والجهاد» . وحدّثني محمد قال حدّثنا أبو سَلَمة عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قِلَابة قال قال كعب : «مَثَلُ الاسلامِ والسلطان والناسِ مَثَـلُ الفُسطاطِ والعمودِ والأطنابِ والأوتادِ ، فالفُسطاط الاسلام ، والعمود السلطان ، والأطناب والأوتاد الناس ، لا يصلُح بعضه إلا ببعض» .

حدّثني سهل بن محمد قال حدّثني الأصمعي قال : قال أبو حازم لسليمان بن عبد الملك : «السلطان سُوقٌ فما نَفَق عنده أُتِيَ به» . وقرأت في كتاب لابن المقفّع : «الناس على دين السلطان إلا القليلَ فليكنْ للبرّ والمروءة عنده نَفَاقٌ فسيكسُد[1] بذلك الفجورُ والدناءة في آفاق الأرض» . وقرأت فيه أيضا : «المُلْك[2] ثلاثة مُلْك دين ومُلْك حزم ومُلْك هوى ، فأما ملك الدين فانه إذا أقام لأهله دينهم فكان دينُهم هو الذي يعطيهم مالهم ويُلحق بهم ما عليهم ، أرضاهم ذلك وأنزل الساخطَ منهم منزلة الراضي في الإقرار والتسليم . وأما مُلْك الحزم فانه تقوم به الأمور ولا يسلم من الطعن والتسخُّطِ ولن يضرّه طعن الضعيف مع حزم القوي . وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودَمَار دهر» .

حدّثني يزيد بن عمرو عن عِصْمة بن صُقَير الباهليّ قال حدّثنا اسحق بن نُجَيح عن ثور بن يزيد عن خالد بن مَعْدان قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن لله حُرّاسا فحرّاسه في السماء الملائكة وحراسه في الأرض الذين يأخذون الدّيوان» .

---

(١) في الأدب الكبير : فيستكسد .

(٢) في الأصل الفتوغرافي : الملوك .

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنى سَعيد بن سَلْم الباهلى قال أخبرنى شُـعْبة عن شَرَقىّ عن عِكْرِمة فى قول الله عز وجل ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ قال : «الجَلاوِزَةُ يحفظون الأمراءَ » .

[وقال الشاعر(*)

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلةً * خليًّا من اسم الله والبركاتِ

يعنى باسم الله، وفيه قول الله ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ أى بأمر الله] .

وقرأت فى كتاب من كتب الهند : « شرُّ المال ما لا يُنْفق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البرىء وشر البلاد ما ليس فيه خِصْب ولا أمن» .

وقرأت فيه : «خير السلطان من أشبه النَّسر حوله الجِيَف لامن اشبه الجيفة حولها النسور» وهذا معنى لطيف وأشبه الأشياء به قول بعضهم : « سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها » .

حدّثنى شيخ لنا عن أبى الأَحْوص عن آبن عمّ لأبى وائل عن أبى وائل قال ، قال عبد الله آبن مسعود : « إذا كان الامام عادلا فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا كان جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر » .

وأخبرنى أيضا عن أبى قُدامة عن علىّ بن زيد قال ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ثلاثٌ من الفَوَاقر : جارُ مُقامةٍ إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة أذاعها ، وآمرأة إن دخلتَ عليها لسَنَتْكَ وإن غبتَ عنها لم تأمنها ، وسلطان إن أحسنت لم يحمدك وإن أسأت قتلك » .

وقرأت فى اليتيمة : «مَثَلُ قليل مضارّ السلطان فى جنب منافعه مثل الغيث الذى هو سُقْيا الله وبركات السماء وحياة الأرض ومن عليها ، وقد يتأذى به السَّفْر

(*) زيادة فى النسخة الفتوغرافية .

ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتدِرّ سيوله فيهلك الناس والدواب وتموج له البحار فتشتدّ البليّة منـه على أهله فلا يمنع النـاس، إذا نظروا إلى آثار رحمـة الله فى الأرض التى أحيا والنبـات الذى أخرج والرزق الذى بسط والرحمة التى نشر، أن يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويُلْغوا ذكر خواصّ البلايا التى دخلت على خواص الخلق. ومثل الرياح التى يرسلها الله نُشُرا بين يدى رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لَقَاحا للثمرات وأرواحا(*) للعباد يتنسّمون منها ويتقلبون فيها وتجرى بها مياههم وتَقِد بها نيرانهم وتسير بها أفلاكهم وقد تضرّ بكثير من النـاس فى برهم وبحرهم ويخلُص ذلك الى أنفسهم وأموالهم فيشكوها منهم الشاكون ويتأذى بها المتأذّون ولا يُزيلها ذلك عن منزلتها التى جعلها الله بها وأمرها الذى سخرها له من قوام عباده وتمام نعمته. ومثل الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحا للحَرْث والنسل ونَتاجا للحَبّ والثمر، يجمعها البرد باذن الله [ويحملها] ويخرجها الحرّ باذن الله ويُنْضجها مع سائر ما يعرف من منافعها وقد يكون الأذى والضرّ فى حرهما وبردهما وسمائمهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان إلا الى الخير والصلاح. ومن ذلك الليل الذى جعله الله سكنا ولباسا وقد يستوحش له أخو القفْر وينازع فيه ذو البليّة والرِّيبة وتعدو فيه السِّباع وتَنْسابُ فيه الهوامّ ويغتنمه أهل السَّرَق والسَّلّة ولا يُزرى صغير ضرره بكثير نفعه ولا يُلحِق به ذمّا ولا يضع عن الناس الحقّ فى الشكر لله على ما مَنّ به عليهم منه. ومَثَل النهار الذى جعله الله ضياء ونُشُورا وقد يكون على الناس أذى الحرّ فى قَيْظهم وتُصَبّحهم فيه الحروب والغارات ويكون فيه النَّصَب والشُّخُوص وكثير مما يشكوه الناس ويستريحون فيه الى الليل وسكونه. ولو أن الدنيا كان شيءٌ من سرّائها يعم عامة أهلها بغير ضرر على بعضهم وكانت نَعماؤها بغير كدر وميسورُها من

(*) فى النسخة الفتوغرافية : رواحا.

غير معسور كانت الدنيا إذًا هي الجنة التي لا يشوب مسرتها مكروه ولا فرحها ترحٌ والتي ليس فيها نصب ولا لُغُوب، فكل جسيم من أمر الدنيا يكون ضُرُّه خاصةً فهو نعمة عامة وكل شيء منه يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام » .

وكان يقال : « السلطان والدين أخوان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر » .

وقرأت في التاج لبعض الملوك : « هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وألباب الملوك مشغولة بكل شيء يجلّ وألباب السُّوَق مشغولة بأيسر الشيء ، فالجاهل منهم يعذر نفسه بدَعَة ماهو عليه من الرُّسْلة ولا يعذر سلطانه مع شدّة ماهو فيه من المئونة ، ومن هناك يعزّز الله سلطانه ويرشده وينصره » .

سمع زياد رجلا يسب الزمان فقال : « لو كان يدرى ما الزمان لعاقبته ، إنما الزمان هو السلطان » .

وكانت الحكماء تقول : « عدل السلطان أنفع للرعية من خِصْب الزمان » .

وروى الهيثم عن ابن عيّاش عن الشّعْبي قال : « أقبل معاوية ذات يوم على بني هاشم فقال : يا بني هاشم ، ألا تحدّثوني عن ادعائكم الخلافة دون قريش بم تكون لكم أبالرضا بكم أم بالاجتماع عليكم دون القرابة أم بالقرابة دون الجماعة أم بهما جميعا ؟ فان كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القرابة فلا أرى القرابة أثبتتْ حقا ولا أسّست ملكا ، وإن كان بالقرابة دون الجماعة والرضا فما منع العباس عمّ النبي صلى الله عليه وسلم ووارثه وساقىَ الحجيج وضامنَ الأيتام أن يطلبها وقد ضمن له أبو سفيان بني عبد مناف ، وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقرابة جميعا فان القرابة خَصْلة من خصال الامامة لا تكون الامامة بها وحدها وأنتم تدّعونها بها وحدها ، ولكنا نقول : أحق قريش بها من بسط الناسُ أيديهم إليه بالبَيْعة عليها ونقلوا أقدامهم إليه للرغبة وطارت اليه أهواؤُهم

للثقة وقاتل عنها (*) بحقها فأدركها من وجهها . إن أمركم لأمرٌ تضيق به الصدور، إذا سئلتم عمّن آجتُمع عليه من غيركم قاتم حقٌ . فان كانوا آجتمعوا على حق فقد أخرجكم الحقّ من دعواكم . انظروا : فان كان القوم أخذوا حقكم فاطلبوهم ، وإن كانوا أخذوا حقّهم فسلّموا إليهم فانه لا ينفعكم أن تروْا لأنفسكم ما لا يراه الناس لكم . فقال آبن عباس ندّعى هذا الأمر بحقّ من لولا حقُّه لم تقعد مقعدَك هذا ، وتقول كان تركُ الناس أن يَرضَوْا بنا ويجتمعوا علينا حقًّا ضَيَّعُوه وحظًّا حُرِمُوه ، وقد اجتمعوا على ذى فضل لم يخطئ الوِرْدَ والصَّدَرَ ، ولا ينقُص فضلَ ذى فضلٍ فضلُ غيره عليــه . قال الله عز وجل ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ فأما الذى منعَنا من طلب هذا الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم نعهُّدٌ منه إلينا قبِلْنا فيه قولَه ودِنّا بتأويله ولو أمَرَنا أن نأخذه على الوجه الذى نهانا عنه لأخذناه أو أعْذَرْنا فيــه ، ولا يعاب أحد على ترك حقه إنمـا المعيب من يطالب ما ليس له ، وكل صواب نافع وليس كل خطأ ضارًّا . انتهتِ القضيةُ إلى داود وسليمان فلم يُفَهَّمْها داودُ وفُهِّمها سليمان ولم يضرّ داودَ . فأما القرابة فقد نفعت المشرك وهى للؤمن أنفع ؛ قال رســول الله صلى الله عليــه وسلم « أنت عمّى وصِنْو أبى ومن أبغض العباس فقد أبغضنى وهجرتك آخر الهجرة كما أن نبوّتى آخر النبوّة » . وقال لأبى طالب عند موته : ياعم قل لا إله إلا آلله أشفعْ لك بها غدا وليس ذاك لأحد من الناس . قال الله تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْآنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

حدّثنا الرياشى عن أحمد بن سلّام مولى ذُفَيْف عن مولى يزيد بن حاتم عن شيخ له قال ، قال كسرى : « لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء : سلطان قاهر ، وقاض عادل ، وسوق قائمة ، وطبيب عالم ، ونهرٌ جارٍ » .

(*) فى الأصل الفتوغرافى : عليها .

وحدّثنا الرياشى قال حدّثنا مُسْلم بن إبراهيم قال حدّثنا القاسم بن الفضل قال حدّثنا ابن أخت العجاج عن العجاج قال : «قال لى أبو هريرة ممن أنت؟ قال قلت من أهل العراق . قال : يوشك أن يأتيك بُقْعانُ(١) الشام فيأخذوا صدقتك فاذا أتوك فتلقّهم بها فاذا دخلوها فكن فى أقاصيها وخلّ عنهم وعنها، وإياك وأن تسبّهم فانك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك وإن صبرت جاءتك فى ميزانك يوم القيامة » وفى رواية أخرى أنه قال : « إذا أتاك المصّدّق فقل : خذ الحق ودع الباطل، فان أبى فلا تمنعه إذا أقبل ولا تلعنه إذا أدبر فتكون عاصيا خُفِّفَ عن ظالم » .

وكان يقال : « طاعة السلطان على أربعة أوجه : على الرغبة، والرهبة، والمحبة، والديانة » .

وقرأت فى بعض كتب العجم كتابا لأَرْدَشِيرَ بن بَابَك إلى الرعية ، نسخته : «من أردشير المُوبَذ(٢) ذى البهاء ملك الملوك ووارث العظماء، إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين، والأساورة الذين هم حفظة البَيْضة، والكتّاب الذين هم زينة المملكة، وذوى الحرث الذين هم عَمَـرة(٣) البلاد . السلام عليكم، فانا بحمد الله صالحون وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا إتَاوَتَها الموظَّفة عليها . ونحن مع ذلك كاتبون اليكم بوصية : لا تستشعروا الحقد فَيَدْهَمَكم العدوّ، ولا تحتكروا فيشملكم القحط، وتزوّجوا فى القرابين فانه أمسّ للرحم وأثبتُ للنسب، ولا تعدّوا هذه الدنيا شيئا فانها لا تُبقى على أحد ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لا تنال إلا بها » .

(١) بقعان الشام خدمهم وعبيدهم . شبههم لبياضهم وسوادهم بالغراب الأبقع وهو ما خالط سواده بياض . يعنى بذلك الروم والسودان .

(٢) فى النسخة الألمانية : المؤيد، والموبذ كالمُوبَذان فقيه الفرس وحاكم المجوس .

(٣) فى النسخة الألمانية : عمود .

وقرأت كتابا من أرسطاطاليس إلى آلاسكندر وفيه : « املك الرعيـة بالإحسان اليها تظفرْ بالمحبة منها فان طلبك ذلك منهـا باحسانك هو أدومُ بقاءً منه باعتسافك، وٱعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطَّها الى القلوب بالمعروف، وٱعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول، قدرت على أن تفعل، فاْجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل » .

وقرأت فى كتاب الآيين(١) أن بعض ملوك العجم قال فى خطبة له : « إنى إنمـا أملك الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر » .

ونحوه قول العجم : « أَسْوس الملوك من قاد أبدان الرعية الى طاعته بقلوبها » .

وقالوا : « لا ينبغى للوالى أن يرغب فى الكرامة التى ينالهـا من العامة [كَرْهاً](٢) ولكن فى التى يستحقها بحسن الأثر وصواب الرأى والتدبير » .

حدّثنا الرياشى عن أحمد بن سلّام عن شيخ له قال : « كان أَنُو شَرْوَانُ إذا ولّى رجلا امر الكاتب أن يدع فى العهد موضع أربعـة أسطر ليوقّع فيه بخطه فاذا أُتى بالعهد وقّع فيه : سُسْ خيارَ الناس بالمحبـة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سَفلَةَ الناس بالإخافة » .

قال المدائنى : « قدم قادم على معاوية بن أبى سفيان فقال له معاوية : هل من مُغَرِّبة خبر؟ قال نعم، نزلت بماء من مياه الأعراب فبينا أنا عليه إذ أَوْرد أعرابى إبلَه فلما شربتْ ضرب على جُنوبها وقال عليكِ زيادًا، فقلت له : ما أردتَ بهذا؟ قال : هى سُدًى، ما قام لى بها راعٍ مذ ولىَ زياد، فسرَّ ذلك معاوية وكتب به الى زياد » .

(١) الآيين كلمة فارسية عربها العرب واستعملوها ومعناها القانون والعادة، ولابن المقفع تأليف بهذا الاسم ذكره صاحب الفهرست (ملخص مما كتبه حضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد زكى باشا عن هذه الكلمة فى كتاب التاج ص ١٩) ولعل الذى نقل عنه المؤلف هو آيين ابن المقفع .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الالمانية .

قال عبد الملك بن مروان : «أنصفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبى بكر وعمر! ولا تسيرون فينا ولا فى أنفسكم بسيرة رعية أبى بكر وعمر! نسأل الله أن يعين كلًّا على كل » .

قال عمر بن الخطاب : « إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللّين فى غير ضعف والقوىّ فى غير عنف » .

وقال عمر بن عبد العزيز: «إنى لأُجْمِع أن أُخرِج للمسلمين أمرا من العدل فأخاف أن لا تحتمله قلوبهم فأُخرج معه طمعا من طمع الدنيا، فان نفَرت القلوب من هذا سكنت الى هذا » .

قال معاوية : « لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى، ولو أن بينى وبين الناس شعرةً ما آنقطعتْ . قيل : وكيف ذاك؟ قال : كنت اذا مدّوها خلّيتها وإذا خلّوْها مددتها » .

ونحو هذا قول الشّعْبى فيه : « كان معاوية كالجمل الطَّبِّ، إذا سُكت عنه تقدّم وإذا رُدّ تأخر» . والجمل الطَّبُّ الحاذق بالمشى وهو الذى لا يضع يديه إلا حيث يبصر . وقول عمر فيه : « احذروا آدم قريش وابن كريمها ، من لا ينام إلا على الرضا ويضحك فى الغضب ويأخذ ما فوقه(*) من تحته » .

وأَغْلظ له رجل فحَلُمَ عنه فقيل له : أتحلُمُ عن هذا؟ فقال: «إنى لا أَحُول بين الناس وبين ألسنتهم مالم يحُولوا بيننا وبين سلطاننا» .

كان يقال: «لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة» .

(*) فى الأصل الفوتوغرافى : من .

قال زياد : «أحسنوا الى المزارعين فانكم لا تزالون سِمّانا ما سَمِنوا» .

وكتب الوليد الى الحجاج يأمره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه : «إنى أيقظت رأيى وأَنَمْتُ هواى ، فأدنيتُ السيد المطاع فى قومه ، ووليت الحربَ الحازمَ فى أمره ، وقلّدت الخراجَ الموفّر لأمانتـه ، وقسمت لكل خصم من نفسى قسما يعطيه حظًّا من نظرى ولطيف عنايتى ؛ وصرفت السيف الى النّطف المسيء ، والثوابَ الى المحسن البرىء فخاف المُرِيب صولةَ العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب» .

وكان يقول لأهل الشام : «[إنمـا][1] أنا لكم كالظّليم الرائح عن فراخه : ينفى عنها القَذَر ويباعد عنها الحجر ويكنّها من المطر ويحميها من الضّباب ويحرسها من الذئاب . يا أهل الشام أنتم الجُنّة والرداء وأنتم العُدّة والحِذاء» .

فخر سُلَيم مولى زياد بزياد عند معاوية فقال معاوية : «اسكت ما أدرك صاحبك شيئا قطّ بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلسانى» .

وقال الوليـد لعبد الملك : يا أبت ما السياسة ؟ قال : «هيبة الخاصّة مع صدق مودّتها واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصّنائع» .

وفى كتب العجم : «قلوب الرعية خزائن ملوكها فمـا أَوْدَعَتْها[2] من شيء فلتعلم أنه فيها» .

ووصف بعض الملوك سياسته فقـال : «لم أهزِل فى وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهى ولا عاقبت للغضب واستكفيت على الجزاء وأثبت على العنـاء لا للهوى ، وأودعت القلوب هيبة لم يشُبْها مقت وودّا لم تشُبْه[3] جرءة وعمّمت بالقوت ومنعت الفضول» .

(١) زيادة عن النسخة الألمـانية .
(٢) فى الأصل الفوتوغرافى : قلوب الرعية خزائن مكها فا أودعها من شىء فليعلم أنه فيها .
(٣) فى الأصل الفوتوغرافى : القلوب .

وقرأت فى كتاب التاج : قال أَبْرَوِيزُ لابنه شِيرَوَيْه وهو فى حبسه : « لا توسعنّ على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقنّ عليهم فيضجّوا منك ، أعطهم عطاء قَصْدًا وامنعهم منعا جميلا ووسّع عليهم فى الرجاء ولا توسّع عليهم فى العطاء» . ونحوه قول المنصور فى مجلسه لقوّاده : صدق الأعرابى حيث يقول : أَجِعْ كلبك يَتْبَعْك . فقام أبو العباس الطُّوسى فقال: يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوّح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك .

وكتب عمر الى أبى موسى الأشعرى : «أما بعد، فان للناس نَفْرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عمياءُ مجهولة وضغائن محمولة ، أقم الحدود ولو ساعة من نهار، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله، والآخر للدنيا فآثِرْ نصيبك من الله فان الدنيا تنفَد والآخرة تبقى، وأخيفوا الفسّاق واجعلوهم يدا يدا ورجلا رجلا، وعُدْ مرضَى(*) المسلمين واشهد جنائزهم وافتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك فانما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا، وقد بلغنى أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للسلمين مثلها، فإياك ياعبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرّت بوادٍ خصيب فلم يكن لها همٌّ إلا السِّمَن وإنما حتفها فى السمن، واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيّتُه، وأشقى الناس من شقى الناس به والسلام » .

هشام بن عُرْوة قال : « صلى يوما عبد الله بن الزبير فوجَم بعد الصلاة ساعة فقال الناس : لقد حدّث نفسه . ثم التفت الينا فقال: لا يَبْعَدَنّ ابن هند! إن كانت فيه لمخارج لانجدها فى أحد بعده أبدا، والله إن كنا لنُفَرِّقُه وما الليث الحَرِبُ على براثنه بأجرأ منه فيتَفَارَقُ لنا . وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلةٍ من أهل الأرض بأدهى منه

(*) ضبط فى الأصل الفتوغرافى هكذا (مُرَضَى) ويظهر أنه من عمل الناسخ، وفى الأصل الألمانى : مريض . والتصويب عن أشهر مشاهير الاسلام .

فيتخادعَ لنـا ، والله لوددت أنّا مُتّعنا به ما دام فى هـذا حجر (وأشار إلى أبى قبيس) لا يُتَخَوَّنُ له عقل ولا تَنْتقِص له قوّة ، قلنا : أَوْحَشَ والله الرجلُ . قال : وكان يَصِلُ بهذا الحديث : كان والله كما قال العُذْرى

رَكوبُ المنابر وثّابُها * مِعَنٌّ بخطبتـه مِجْهَـرُ
تُرِيعُ إليه هوادى الكلام * إذا خَطِل النـثر المُهْمِرُ(١)

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعى قال حدّثنا جد سُرانَ(٢) وسُرانُ عم الأصمعى قال : « كلّم الناس عبد الرحمن بن عوف أن يكلم عمر بن الخطاب فى أن يَلِينَ لهم فانه قد أخافهم حتى إنه قد أخاف الأبكار فى خدورهنّ . فقال عمر : إنى لا أجد لهم إلا ذلك ، إنهم لو يعلمون ما لهم عندى لأخذوا ثوبى عن عاتقى(٣) » .

قال وتقدمت إليه امرأة فقالت : « يا أبا عقْر(٤) حفص ، الله لك ، فقال : مالك أَعقِرْتِ ؟ أى دُهِشْت فقالت صلعتُ(٥) فرقتَك .

قال أَشْجَعُ السُّلَمِىُّ فى إبراهيم بن عثمان

لا يُصلح السلطانَ إلا شـدّةٌ * تَغْشَى البرىء بفضل ذنب المجرم
ومن الوُلاة مقحَّمٌ لا يُتَّـقَى * والسيف تقطُر شَفْرتاه من الدم
منعتْ مهابتُك النفوسَ حديثَها * بالأمر تكرهه وإن لم تعلم

(١) فى التاج مادّة هـ م ر: وخطيب مهمر : مُكثر . وأورد هذا البيت . وفى الأصل الفتوغرافى "مهر" ولم نجده فى القاموس ولا فى اللسان .

(٢) كذا بالأصل الفتوغرافى عاريا عن الضبط ، وضبط فى النسخة الألمانية بضم أوّله وقد بحثنا عنه فلم نهتد اليه .

(٣) فى الأصل الألمانى : مِنْ على .

(٤) كذا بالأصلين الفتوغرافى والألمانى ولعله محرّف عن "عمر" وكأنها أرادت أن تناديه بقولها يا أبا حفص عمر ، فقالت من دهشتها يا أبا عَمْر حُفَص كما قالت فى آخر الحكاية صلعت فرقتك وكأنها أرادت أن تقول فرقْتُ صلعتك .

(٥) فى الأصل الألمانى هلعت وهو تحريف .

كان يقال : « شر الأمراء أبعدهم من القرّاء وشر القرّاء أقربهم من الأمراء » .

كتب عامل لعمر بن عبد العزيز على حِمْص الى عمر : « إن مدينة حمص قد تهدّم حصنُها[(١)]، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى إصلاحه » فكتب اليه عمر « أمّا بعد، فحصنها بالعدل، والسلام » .

ذكر أعرابى أميرا فقال : « كان إذا ولىَ لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون على عيونه، فهو غائب عنهم شاهد معهم، فالمحسن راج والمسىء خائف » .

كان جعفر بن يحيى يقول : « الخراج عمود الملك وما استُغزِر بمثل العدل ولا استُنْزِر بمثل الظلم » .

وفى كتاب من كتب العجم أن أردشير قال لابنه : « يا بنى، إن الملك والدين أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر، فالدين أُسٌّ والملك حارس، وما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع . يا بنى، اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك لأهل الجهاد وبِشْرك لأهل الدين وسِرّك لمن عناه ما عناك من أرباب العقول » .

وكان يقال : « مهما كان فى الملِك فلا ينبغى أن تكون فيه خصال خمس : لا ينبغى أن يكون كذابا فانه إذا كان كذابا فوعد خيرا لم يُرْج أو أوعد بشر لم يُخَفْ، ولا ينبغى أن يكون بخيلا فانه إذا كان بخيلا لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا بالمناصحة [ولا[(٢)] ينبغى أن يكون حديدا فانه اذا كان حديدا مع القدرة هلكت الرعية] ولا ينبغى أن يكون حسودا فانه اذا كان حسودا لم يشرِّف أحدا ولا يصلح الناس إلا على أشرافهم، ولا ينبغى أن يكون جبانا فانه إذا كان جبانا ضاعت ثغوره واجترأ عليه عدوه » .

(١) فى الأصل الفتوغرافى سورها وكتب فوقها كالتفسير لها : حصنها .

(٢) هذه الجملة سقطت فى الأصل الفتوغرافى من سهو الناسخ .

وقدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان : واأبتاه ، وبكت . فقال معاوية : « يا ٱبنــة أخى إنّ الناس أعطوْنا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم حلما تحته غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره فان نَكَثْنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا ، ولأنْ تكونى بنت عمّ أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكونى ٱمرأة من عُرْض المسلمين » .

كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن على : « إنّ المسلمين ولَّوْك أمرهم بعد علىّ فشمِّر للحرب وجاهد عدوك ودارِ أصحابَك وٱشــترِ من الضَّنِين دينَه بما لا يثلُمُ دينك ووَلِّ أهــل البيوتات والشرف تستصلحْ بهم عشائرهم حتى تكونَ الجمــاعةُ فان بعض مايكره الناس ، ما لم يتعدَّ الحق وكانت عواقبه تؤدى الى ظهور العدل وعز الدين ، خيرٌ من كثير ممــا يحبون إذا كانت عواقبه تدعو الى ظهور الجور ووَهْن الدين » .

حدّثنى محمد بن عُبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن الأعمش عن إبراهيم قال : « كان عمر إذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعمن يَعْرِفُ من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف ؟ وهل يعود المريض ؟ فان قالوا نعم ، حمد الله تعالى ، وإن قالوا لا ، كتب اليه : أقبلْ » .

اختيــار العمال

رُوى أن أبا بكر الصــديق رضى الله عنه لمّــا حضرته الوفاة كتب عهدا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهِد أبو بكر خليفة رسول الله عنــد آخر عهده بالدنيا وأوّل عهده بالآخرة ، فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتّقِى فيها الفاجر : انى استعملت عمر بن الخطاب فان برّ وعدل فذلك علمى به ، وإن جار وبدّل فلا علم

لى بالغيب ، والخيرَ أردتُ ، ولكل امرئ ما اكتسب ﴿ وسيعلم ٱلذين ظلموا أىّ مُنقلَب ينقلِبون ﴾ » .

وفى التاج أن أَبْرويزَ كتب الى ٱبنـه شِيرَوَيْهِ من الحبس : « ليكن من تختاره لولايتـك آمرأ [كان](١) فى ضَعَة فرفعتَه ، أو ذا شرف وجدته مهتضَما فآصطنعتَه ، ولا تجعله آمرأ أصبتَه بعقوبة فآتّضع عنها ولا آمرأ أطاعك بعد ما أذللتَه ولا أحدا ممن يقع فى خَلَدك أن إزالة سلطانك أحبّ(٢) له من ثبوته ، وإياك أن تستعمله ضَرَعا غُمْرا كثر إعجابه بنفسه وقلّت تجاربه فى غيره ، ولا كبيرا مُدْبِرا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السنّ من جسمه » .

وقال لَقِيط فى هذا المعنى

فقـلِّدوا أمركم لله درُّكم * رحبَ الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مُتْرَفا إنْ رخاءُ العيش ساعده * ولا إذا عضّ مكروهٌ به خشعا(٣)
ما زال يحلُب دَرَّ الدهر أَشطُرَه * يكون متَّبِعا يوما ومتَّبَـعا
حتى آستمرّتْ على شَزْرٍ مَرِيرتُه * مستحكِمَ السنِّ لا قَحْما(٤) ولا ضَرَعا

ويقال فى مثَل : « رأْى الشيخ خير من مَشهَد الغلام » ومن أمثال العرب أيضا فى المجرِّب « العَوانُ لا تُعلَّمُ الخِمْرةَ » .

---

(١) زيادة عن النسخة الألمانية . (٢) فى النسخة الألمانية : خير .

(٣) فى النسخة الألمانية : خضعا .

(٤) هكذا فى النسخة الألمانية وفى الأصل الفتوغرافى "فخما" وكتب تحته كالتفسير له "كبيرا" والصواب "قحما" ومعناه كبير السن جدّا ونظيره من شعر العرب قوله

له حَكَمَات الدهر من غير كَبْرةٍ * تَشِين فلا فانٍ ولا ضَرَعٌ غُمْــر

قال بعض الخلفاء : دلونى على رجل أستعمله على أمر قد أهمّنى . قالوا : كيف تريده؟ قال : « إذا كان فى القوم وليس أميرَهم كان كأنه أميرهم وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم » قالوا : لا نعلمه إلا الربيعَ بن زياد [الحارثى] (١) . قال : صدقتم ، هو لها .

وروى الهيثم عن مُجالِد عن الشَّعبى قال ، قال الحجاج : دلونى على رجل للشُّرَط فقيل : أىَّ الرجال تريد؟ فقال : « أريده دائم العُبوس طويل الجلوس سمين الأمانة أعجف الخيانة لا يحفق فى الحق على جرة (٢) يهون عليه سِبَـالُ الأشراف فى الشفاعة » فقيل له : عليك بعبـد الرحمن بن عبيد التميمى . فأرسـل اليه يستعمله ، فقال له : لست أقبلها إلا أن تكفينى عيالَك وولدَك وحاشيتَك . قال : ياغلام ، نادِ فى الناس : من طلب اليه منهم حاجة فقد برئتْ منه الذمّة . قال الشعبى : فوالله ما رأيت صاحب شرْطة قطّ مثـلَه ، كان لا يحبس إلا فى دين ، وكان إذا أُتى برجل قد نقب على قوم وضع مِنْقَبته فى بطنه حتى تخرج من ظهره ، وإذا أُتى بنبّاش حفر له قبرا فدفنه فيه ، وإذا أتى برجل قاتل بحـديدة أو شهر سلاحا قطع يده ، وإذا أتى برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه ، وإذا أتى برجل يشكُّ فيه وقد قيل إنه لص ولم يكن منه شىء ضربه ثلثمائة سـوط . قال : فكان ربمـا أقام أربعين ليلة لا يُؤْتَى بأحد فضم اليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة .

---

(١) زيادة عن النسخة الألمـانية .

(٢) كذا بالأصلين الفتوغرافى والألمـانى وهو تحريف والصواب لايُحْنَق فى الحق على جِرّة ، يقال مايُحْنق فلان على جرة وما يكظم على جرة اذا لم ينطو على حقد ودغل ومنه حديث عمر رضى الله عنه : « لا يصلح هذا الأمر إلا لمن لايحنق على جِرّته » اهـ . انظر اللسان فى مادة حنق .

وقرأت فى كتاب أبرويز الى ابنه شيرويه : « انتخب لخراجك احد ثلاثة : إما رجلا يُظهر زهدا فى المال ويدّعى ورعا فى الدين فانّ من كان كذلك عدل على الضعيف وأنصف من الشريف ووفّر الخراج واجتهد فى العمارة، فان هو لم يَرَعْ ولم يَعِفَّ إبقاء على دينه ونظرا لأمانته كان حريًّا أن يخون قليلا ويوفّر كثيرا استسرارًا بالرياء واكتتاما بالخيانة ، فان ظهرتَ على ذلك منه عاقبتَه على ماخان ولم تحمَدْه على ماوفر، وإن هو جَلّح فى الخيانة وبارز بالرياء نكّلت به فى العذاب واستنظفتَ ماله مع الحبس . أو رجلا عالما بالخراج غنيا فى المال مأمونا فى العقل فيدعوه علمه بالخراج الى الاقتصاد فى الحلْب والعمارة للأرضين والرفق بالرعية، ويدعوه غناه الى العفة ويدعوه عقله الى الرغبة فيما ينفعه والرهبة مما يضره . أو رجلا عالما بالخراج مأمونا بالأمانة مُقْتِرا من المال فتوسّع عليه فى الرزق فيغتنم لحاجته الرزق ويستكثرَ لفاقته اليسيرَ، ويُزْجى بعلمه الخراج، ويَعِفّ بأمانته عن الخيانة » .

استشار عمر بن عبد العزيز فى قوم يستعملهم ، فقال له بعض أصحابه : عليك بأهل العُذْر . قال : ومن هم ؟ قال : الذين إن عدلوا فهو ما رجوتَ منهم وإن قصّروا قال الناس : قد اجتهد عمر .

قال عدى بن أَرْطاة لإياس بن معاوية : دلّنى على قوم من القراء أُوَلّهم . فقال له : القراء ضربان : فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك، وضرب يعملون للدنيا، فما ظنُّك بهم إذا أنت وليتهم فمكنتهم منها ؟ قال : فما أصنع ؟ قال : عليك بأهل البيوتات الذين يَسْتَحْيون لأحسابهم فولِّهم .

أحضر الرشيد رجلا ليولّيه القضاء فقال له : إنى لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه . قال الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة .

ولك حلم يمنعك من العَجَلة ، ومن لم يَعْجَل قلّ خطؤه . وأنت رجل تشـاور فى أمرك ومن شاور كثر صوابه . وأما الفقه فسينضم اليك من تتفقّه به . فوَلِى فما وجدوا فيه مطعنا .

حدّثنى سهل بن محمد قال حدّثنا الأصمعى قال حدّثنى صالح بن رُسْتَم أبو عامر الخزّاز قال قال لى إياس بن معاوية المُزَنىّ : أرسل إلىّ عمرُ بن هُبَيرة فأتيته فساكتنى فسكتُّ، فلما أطلتُ قال : إيهِ . قلت : سل عما بدا لك . قال : أتقرأ القرآن ؟ قلت نعم . قال : هل تفرض الفرائض ؟ قلت نعم . قال : فهل تعرف من أيام العرب شـيئا ؟ قلت نعم . قال : فهل تعرف من أيام العجم شيئا؟ قلت : أنا بها أعلم . قال : إنى أريد أن أستعين بك . قلت : إن فىّ ثلاثا لا أصلح معهن للعمل . قال : ما هن؟ قلت : أنا دميم كما ترى، وأنا حَديد، وأنا عَىٌّ . قال : أما الدمامة فانى لا أريد أن أحاسن بك الناس، وأمّا العىّ فانى أراك تعبرعن نفسك، وأمّا سوء الخلق فيقوّمك السـوط . قم ، قد وليتك . قال : فولّانى [وأعطانى] (*) ألفى درهم فهما أول مال تموّلته .

قرأت فى كتاب للهند : « السلطان الحازم ربمـا أحب الرجل فأقصاه واطّرحه مخافة ضره، فِعْلَ الذى تلسع الحية إصبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمّها فى جسده، وربما أبغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغَناء يجده عنده كتكارُه المرء على الدواء البَشِع لنفعه » .

حدّثنى المعلّى بن أيوب قال سمعت المأمون يقول : « من مدح لنـا رجلا فقد تضمّن عيبه » .

(*) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

باب صحبة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلونه

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنا أبو أُسَامة عن مجالد عن الشَّعْبى عن عبد الله بن عباس قال : قال لى أبى : « يا بُنَىّ إنى أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدّمك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنى أوصيك بخلال أربع : لا تفشينّ له سرا، ولا يجرّبنّ عليك كذبا ، ولا تغتابنّ عنده أحدا، ولا تَطْوِ عنه نصيحة » قال الشّعبى قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف . قال : إى والله ومن عشرة آلاف .

كان يقال : « إذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا، وإن زادك فزدْه » .

قال زياد لابنه : « إذا دخلت على أمير المؤمنين فادعُ له ثم اصفح صفحا جميلا، ولا يرينّ منك تهالكا عليه ولا انقباضا عنه » .

قال مسلم بن عمرو : « ينبغى لمن خدم السلطان ألا يغترّ بهم إذا رَضُوا عنه ولا يتغير لهم اذا سخطوا عليه ولا يستثقلَ ما حمَّلوه ولا يلحف فى مسئلتهم » .

وقرأت فى كتاب للهند : « صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخِطَار، وإنما تشبَّه بالجبل الوَعْر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية، فالارتقاء اليه شديد والمُقام فيه أشدّ، وليس يتكافأ خير السلطان وشره لأنّ خير السلطان لا يعدو مزيد الحال ، وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفوس التى لها طلب المزيد، ولا خير فى الشىء الذى فى سلامته مال وجاه وفى نكبته الجائحة والتلف » .

وقرأت فيه : « من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم للغيظ واطّراح للأنفة، وصل الى حاجته » .

وقرأت فيه : «السلطان لا يتوخى بكرامته الأفضل فالأفضل ولكن الأدنى فالأدنى كالكرْم لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه » .

وكانت العرب تقول : «اذا لم تكن من قُرْبان الأمير فكن من بُعْدانه » .

وقرأت فى آداب ابن المقفع : « لا تكوننّ صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم فى المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ، فان كنت حافظا إذا ولَّوْك ، حَذِرا اذا قرّبوك ، أمينا إذا آئتمنوك ، تعلمهم وكأنك تتعلم منهم ، وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم ، وتشكر لهم ولا تكلفهم الشكر ، ذليلا إن صَرَمُوك[1] ، راضيا إن أسخطوك ، وإلا فالبعد منهم كلَّ البعد والحذر منهم كلَّ الحـذر . وإن وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن به فانه من يخـدُم[2] السلطان بحقّه يَحُلْ[3] بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ، ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة فى الدنيا والوزر فى الآخرة » .

وقال : «إذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة فى غير طول المعاتبة ، وإذا نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام المَلَق ولا تكثرنّ له فى الدعاء إلا أن تكلمه على رءوس الناس ولا يكوننّ طلبك ما عنده بالمسئلة ولا تستبطئنّه إن[4] أبطأ . اطلبه بالاستحقاق ولا تخبرنه أن لك عليه حقا وأنك تعتدّ عليه ببلاء . وإن استطعت ألا يَنْسى حقّك وبلاءك بتجديد النصح والاجتهاد فافعل . ولا تعطينه المجهود كله فى أوّل صحبتك له فلا تجدَ موضعا للزيد ولكن دع للزيد موضعا . وإذا سأل غيرَك فلا تكن المجيب . وآعلم أن آستلابك للكلام خفةٌ بك واستخفاف منك بالسائل والمسئول ،

(١) فى الادب الكبير : شاموك ، وفى نسخة منه ظلموك .

(٢) فى الأدب الكبير : من يأخذ عمل .

(٣) فى الأدب الكبير : ومن لا يأخذه بحقه .

(٤) فى الأصل الفتوغرافى : وإن .

فما أنت قائل إن قال لك السائل : ما إياك سألت، وقال لك المسئول : اجب أيها المعجّب بنفسه المستخفّ بسلطانه ؟ » .

وقال : « مثل صاحب السلطان مثل راكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب » .

وقال عبد الملك بن صالح لمؤدّب ولده بعد أن آختصه لمجالسته ومحادثته : « كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فانهم قالوا : إذا اعجبك الكلام فاصْمُت وإذا أعجبك الصمت فتكلم . [يا عبد الرحمن] (*) لا تساعدنى على ما يقبح بى ولا تردّن علىّ الخطأ فى مجلسى ولا تكلّفنى جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودَع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى . وكلّمنى بقدر ما آستنطقتُك واجعل بدل التقريظ لى حسن الاستماع منى . واعلم أن صواب الاستماع أقل من صواب القول . وإذا سمعتنى أتحدّث فأرنى فهمك فى طَرْفك وتوقُّفك ولا تجهد نفسك فى تَطْرية صوابى ولا تستدع الزيادة من كلامى بما تُظهر من استحسان ما يكون منى، فمن أسوأ حالا ممن يستكدّ الملوك بالباطل فيدلّ على تهاونه، وما ظنك بالملك وقد أحلك محلّ المعجَب بما تَسمع منه وقد أحللتَه محل من لا يُسمع منه؟ وأقل من هذا يُحْبِط إحسانك ويُسقط حقّ حرمةٍ إن كانت لك . إنى جعلتك مؤدّبا بعد أن كنت معلّما وجعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مباعَدا . ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه، ومن لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يبلى » .

دخل أبو مسلم على أبى العباس وعنده أبو جعفر فسلّم على أبى العباس فقال له : يا أبا مسلم، هذا أبو جعفر ! فقال : يا أمير المؤمنين، هذا موضع لا يُقضى فيه إلا حقك .

(*) زيادة عن النسخة الألمانية .

قال الفضل بن الربيع : « مسـئلة الملوك عن أحوالهم من تحيات النَّوْكَى، فاذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير، فقل: صبَّح الله الأميرَ بالكرامة. وإذا أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه، فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمـة، فان المسئلة توجب الجواب فان لم يجبك اشتدّ عليك وإن أجابك اشتدّ عليه » .

وقرأت فى آداب ابن المقفع : « جانبِ المسخوطَ عليه والظَّنينَ عند السلطان ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا منزل ولا تظهرن له عذرا ولا تُثْنِ عليه عند أحد ، فاذا رأيته قد بلغ فى الانتقام[1] ما ترجو أن يلين بعده فاعمل فى رضاه عنك[2] برفق وتلطُّف ، ولا تُسارّ فى مجلس السلطان أحدا ولا تومئ اليـه بجفنك وعينك فان السِّرار يخيِّل الى كل من رآه من ذى سلطان وغيره أنه المراد به ، وإذا كلمك فاصْغَ الى كلامه ولا تَشْغل طَرْفَك عنه بنظر ولا قلبك بحديث نفس » .

وقرأت فى كتاب للهنــد أنه أُهدِى لملك الهنــد ثياب وحَلْى فدعا بامرأتين له وخيّر أحظاهما عنده بين اللباس والحِلْية ، وكان وزيره حاضرا، فنظرت المرأة اليه كالمستشيرة له فغمزها باللباس تَغْضِيناً بعينه، ولحظه الملك، فاختارت الحلية لئلا يَفْطَن للغمزة ، ومكث الوزير أربعين سنة كاسرا عينه لئلا تَقِرّ تلك فى نفس الملك وليظنّ أنها عادة أو خلقة وصار اللباس للاخرى [فلمـا[3] حضرت الملك الوفاة قال لولده : توصَّ بالوزير خيرا فإنه اعتذر من شىء يسير أربعين سنة] .

قال شَبِيبُ بن شَيْبة : « ينبغى لمن ساير خليفــة أن يكون بالموضع الذى إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شىء لم يحتجْ الى أن يلتفت : ويكونَ من ناحية إن

---

(١) فى الأدب الكبير «من الإعتاب عما سخط عليه فيه ما ترجو أن يلين له به قلب الوالى» والإعتاب الرجوع عن الاساءة .

(٢) فى الأدب الكبير : عنه . (٣) زيادة عن الأصل الفوتوغرافى .

التفت لم تستقبله الشمس، وإن سار بين يديه أن يحيد عن سَنَن الريح التى تؤدّى الغبار الى وجهه» .

قال رجل من النساك لآخر : «إن آبتليت بأن تدخل الى السلطان مع الناس فأخذوا فى الثناء فعليك بالدعاء» .

قال ثُمَامة[1] : كان يحيي بن أكثم يماشى المأمون يوما فى بستان موسى والشمس عن يسار يحيي والمأمون فى الظل وقد وضع يده على عاتق يحيي وهما يتحادثان حتى بلغ حيث أراد ثم كرّ راجعا فى الطريق التى بدأ فيها فقال ليحيي: كانت الشمس عليك لأنك كنت عن يسارى وقد نالت منك فكن الآن حيث كنتُ وأتحول أنا إلى حيث كنتَ. فقال يحيي : والله يا أمير المؤمنين لو أمكننى أن أقيك هَوْل المطلع بنفسى لفعلت . فقال المأمون : لا والله ما بُدٌّ من أن تأخذ الشمس منى مثل ما أخذت منك . فتحول يحيي وأخذ من الظل مثل الذى أخذ منه المأمون .

وقال المأمون : «أول العدل أن يعدل الرجل على بِطَانته ثم على الذين يلُونهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى .

المدائنى قال، قال الأحنف: «لا تنقبضوا عن السلطان ولا تَهَالكوا عليه فانه من أشْرَفَ للسلطان أَذْرَاه ومن تضرّع له أحظاه[2]» .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنى محمد بن عمرو الرومى [قال حدّثنا زُهير بن معاوية[3]] عن أبى إسحاق عن زيد بن يُثَيْع قال، قال حُذَيْفة بن اليمان : «ما مشى قوم قطّ الى سلطان الله فى الأرض ليُذلّوه إلا أذلّهم الله قبل أن يموتوا» .

---

(١) كذا بالأصل، وفى العقد الفريد : مؤنسة بنت المهدى .

(٢) هكذا فى الألمانية، وفى الفتوغرافية أخطاه . وفى العقد الفريد : ومن تطامن له تخطاه، قال : شبهوا السلطان بالريح الشديدة التى لا تضر بما لان وتمايل معها من الشجر والحشيش، وما استهدف لها قصمته . (٣) زيادة عن النسخة الألمانية .

وفى أخبار خالد بن صَفْوان أنه قال : دخلت على هشام بن عبد الملك فاستدنانى حتى كنتُ أقربَ النـاس منه فتنفَّس ثم قال : يا خالد، لربَّ خالدٍ قعد مقعدك هذا أشهى الىّ حديثا منك . فعلمت أنه يعنى خالد بن عبد الله . فقلت : يا أمير المؤمنين، أفلا تعيده؟ فقال : إن خالدا أَدَلَّ فأَمَلَّ وأَوْجف فأَعْجف ولم يدعْ لراجع مرجعا، على أنه ما سألنى حاجة . فقلت : يا أمير المؤمنين، ذاك أحرى . فقال : هيهات

إذا انصرفتْ نفسى عن الشىء لم تكنْ (١) * إليـــه بوجهٍ آخرَ الدهر تُقبـــل

حدّثنا الفضل بن محمد بن منصور بمعنى هـذا الحديث ، وببعضه نهيك (٢) : اعتل يحيى بن خالد فبعث الى منكه الهندى فقال له : ما ترى فى هذه العلة؟ فقال منكه : داؤك كبير ودواؤه يسير وأيسر منه الشكر، وكان متفننا (٣) . فقال له يحيى : ربمـا ثقل على السمع خَطْرةُ الحقّ به، فاذا كان ذلك كانت الهجرة له ألزم من المفاوضة فيه . قال منكه : صدقت ولكنى أرى فى الطوالع أثرا والأمد فيه قريب وأنت قسيم فى المعرفة وقد نُبهت، وربمـا كانت صورة الحركة للكوكب عقيمة ليست بذات نتاج ولكن الأخذ بالحزم أوفر حظ الطالبين . قال يحيى : للأمور منصرَف الى العواقب وما حُتم لا بد من أن يقع ، والمنعة بمُسَالَمة الأيام نُهْزة (٤) فاقصد لمـا دعوتك له من هـذا الأثر الموجود بالمزاج . قال منكه : هى الصفراء مازجتْها مائيةٌ من البلغم فحدث لها بذلك

(١) الرواية المشهورة فى هذا البيت : لم تكدْ .

(٢) ورد هذا الاسم فى النسخة الألمانية مضبوطا بضم النون وفتح الهاء . وفى تقريب التهذيب لابن حجر : «نهيك» بوزن عظيم ابن يريم . وفى تحفة ذكرى الأرب فى مشكل الأسماء والنسب لابن خطيب الدهشة : «نهيك» ككريم آخره كاف حيث وقع اسما وكنية .

(٣) كذا بالعقد الفريد وفى النسخة الفتوغرافية : "متعقبا" وفى النسخة الألمـانية : "متعينا" وكلاهما من تحريف النساخ .

(٤) كذا بالعقد الفريد وفى الفتوغرافية : "المتعة" وفى الألمـانية : "المنفعة" وكلاهما محرف .

ما يحدث للّهب عند مماسّته رطوبة المـادة من الاشتعال نخـذ ماء رُمّانين (١) فدقّهما بإهْليلَجة سوداء تُنهِضْك (٢) مجلسا [أو مجلسين] (٣) وتسكّن ذلك التوقد الذى تجد إن شاء الله .

فلما كان من حديثهم الذى كان، تلطف منكه حتى دخل على يحيي فى الحبس فوجده جالسا على لِبْد و وجد الفضل بين يديه يَمْهُنُ (٤) أى يخدم فاستعبر منكه وقال : قد كنت ناديت لو أُعرتُ (٥) الإجابة . قال له يحيي : أتراك علمتَ من ذلك شيئا جهلتُه؟ كلا ولكنه كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشّفَق وكان مزايلةُ القـدَر الخطيرِ عبئا قلّما تنهض به الهمة . و بعـدُ فقد كانت نعمٌ ارجو أن يكون أوّلها شكرا وآخرها أجرا . لما تقول فى هذا الداء؟ قال له منكه : ما أرى له دواء أنجع من الصبر، ولو كان يفدى بمال أو مفارقة عضو كان ذلك مما يجب لك . قال يحيي : قد شكرت لك ما ذكرت فان أمكنك تعهدنا فافعل . قال منكه : لو أمكنني تخليف الروح عندك ما بخلت بذلك ، فانما كانت الأيام تحسن لى بسلامتك . قال الفضل كان يحيي يقول : دخلنا فى الدنيا دخولا أخرجنا منها .

وقرأت فى كتاب للهند : « إنما مثل السلطان فى قلة وفائه للاصحاب وسخاء نفسه عمن فُقد منهم مثل البَغيِّ والمكتِّب، كلما ذهب واحد جاء آخر» .

والعرب تقول : « السلطان ذو عَدَوَانٍ وذو بَدَوَانٍ وذو تُدْرَإٍ » يريدون أنه سريع الانصراف كثير البَدَوات هَجُوم على الأمور .

(١) كذا بالأصل الفتوغرافى وفى العقد الفريد : نخذ ماء الرمان فدقّ فيه إهليلَجة الخ .

(٢) كذا بالعقد الفريد وفى الفتوغرافية هكذا "تنقضك" . وفى الألمانية : "تنقصك" وكلاهما تحريف .

(٣) الزيادة عن العقد الفريد .

(٤) فى الأصل الفتوغرافى كتب تحتها كالتفسير لها "يخدم" . وزيد فى النسخة الألمانية كأنه من الأصل

(٥) فى العقد الفريد "أسرعتَ" وفى الأصلين الفتوغرافى والألمانى هكذا "أعرب" ونقل فى هامش النسخة الألمانية أ : "أعرت" ولعله الصواب .

قال معاذ ابن مسلم : رأيت أبا جعفر وأبا مسلم دخلا الكعبة فنزع أبو جعفر نعله فلما أراد الخروج قال : يا عبد الرحمن ، هات نعلى . فجاء بها ، فقال : يا معاذ ضعها فى رجلى . فألبسته إياها فحقد ذلك أبو مسلم ، ووجّه أبو جعفر يَقْطِينَ بن موسى الى أبى مسلم لاحصاء الأموال فقال أبو مسلم أفعلها ابنُ سلامةَ الفاعلةِ؟ لا يكنّى. فقال يقطين : عجّلتَ أيها الأمير، قال وكيف ؟ قال : أمرنى أن أحصى الأموال ثم أسلّمها اليك لتعمل فيها برأيك . ثم قدم يقطينُ على المنصور فأخبره . فلما قدم أبو مسلم المدائن فى اليوم الذى قتل فيه جعل يضرب بالسوط مَعْرَفَةَ بِرْذَونه ويقول بالفارسية كلاما معناه : ما تُغنى المعرفةُ اذا لم يُقدر على دفع المحتوم . ثم قال : جارّة ذيلَها ، تدعو ياويلَها ، بدجلة أو حولها ، كأنا بعد ساعة ، قد صرنا فى دجلة .

قالْ المنصور : « ثلاث كنّ فى صدرى شفى الله منها : كتاب أبى مسلم إلىّ وأنا خليفة : عافانا الله وإياك من السوء . ودخول رسوله علينا وقوله : أيكم ابن الحارثيّة؟ . وضربُ سليمان بن حبيب ظهرى بالسياط» .

قال المنصور لسَلْم ابن قتيبة : ماترى فى قتل أبى مسلم ؟ فقال سَلْم (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) فقال : حسبك يابا أُمَيَّة .

قال أبو دُلَامة

أبا مُجْرم ماغيّر الله نعمة * على عبده حتى يُغيّرها العبد
أفى دولة المَهدىّ حاولتَ غَدْرة * ألا إن أهل الغدر آباؤك الكُرْدُ
أبا مجرم خوفتنى القتلَ فانتحى * عليك بما خوفتنى الأسدُ الوَرْدُ

قال مرْوان بن محمد لعبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه : « قد احتجتُ إلى أن تصير مع عدوّى وتظهر الغدر بى . فان إعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك ، فان استطعت أن تنفعنى فى حياتى وإلا لم تعجز عن حفظ

حُرمتى بعد وفاتى» فقال عبد الحميد : إن الذى أمرتنى به انفع الأمرين لك وأقبحهما بى وما عندى إلا الصبر (*) حتى يفتح الله لك أو أقتل معك . وقال

أُسِــرُّ وفاء ثم أُظهِــر غَدرة * فمن لى بعذرٍ يُوسِعُ الناسَ ظاهِرُهْ

المشــاورة والراى

حدّثنا الزِّيادىّ قال حدّثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال : « كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يستشير حتى المرأة فتشيرُ عليه بالشىء فيأخذُ به » .

وقرأت فى التاج أن بعض ملوك العجم استشار وزراءه ، فقــال أحدهم : « لا ينبغى للملك أن يستشير منا أحدا إلا خاليــا به ، فانه أَمْوَتُ للسر وأحزم للرأى وأجدر بالســلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض ، فان إفشاء السر الى رجل واحد أوثق من إفشائه الى اثنين ، وإفشاءه الى ثلاث كإفشائه الى العامة لأن الواحد رهن بما أُفشى اليه والثانى يطلِق عنه ذلك الرهن والثالث عِلاوة فيه ، وإذا كان سر الرجل عند واحد كان أحرى ألا يُظهره رهبةً منه ورغبة إليه ، وإذا كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المَعاريض ، فان عاقبهما عاقب اثنين بذنبٍ واحد ، وإن اتهمهما اتهم بريئا بجناية مجرم ، وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه » .

وقرأت فى كتاب للهنــد أن ملكا استشار وزراء له ، فقال أحدهم : « الملك الحازم يزداد برأى الوزراء الحَزَمة كما يزداد البحر بموادّه من الأنهــار ، وينال بالحزم والرأى مالا يناله بالقوة والجنود ، وللأسرار منازل : منها ما يدخل الرهطُ فيه ، ومنها ما يستعان فيه بقوم ، ومنها ما يستغنى فيــه بواحد . وفى تحصين السر الظَّفَرُ بالحاجة والسلامة من الخلل . والمستشير وإن كان أفضل رأيا من المشــير ، فانه يزداد برأيه

(*) فى النسخة الفتوغرافية : إلا الصبر معك .

رأيا كما تزداد النار بالسَّليط ضوءا . وإذا كان الملك محصّنا لسره بعيدا من ان يُعرَف ما فى نفسه متخيرًا للوزراء مهيبا فى أنفس العامة كافيا بحسن البلاء لا يخافه البرىء ولا يأمنه المُريب مقدّرا لما يُفيد وينفق، كان خليقا لبقاء ملكه . ولا يصلح لسرّنا هذا إلا لسانان وأربع آذان . ثم خلا به » .

قال أبو محمد : كتبت الى بعض السلاطين (*) كتابا وفى فصل منه : « لم يزل حَزَمةُ الرجال يستَحْلُون مرارة قول النصحاء ويستَهْدُون العيوب و يستثيرون صواب الرأى من كلّ حتى الأمةِ الوَكْعاء، ومن احتاج الى إقامة دليل على مايدّعيه من مودّته ونقاء طويّته فقد أغنانى الله عن ذلك بما أوجبه الاضطرار إذ كنت أرجو بدوام نعمتك وارتفاع درجتك وانبساط جاهك ويدك زيادةَ الحال » .

وفى فصل آخر : « وقد تحملتُ فى هذا الكتاب بعض العتب وخالفت ما أعلم إذ عرضت بالرأى ولم أُستشَرْ وأحللت نفسى محل الخواصّ ولم أُحَلّ ونزعتْ بى النفس، حين جاشت وضاقت بما تسمع ، عن طريق الصواب لها الى طريق الصواب لك ، وحين رأيت لسان عدوّك منبسطا بما يدّعيه عليك وسهامه نافذة فيك ، ورأيت وليّك مفْكوما عن الاحتجاج إذ لا يجد العذر ورأيت عوامّ الناس يخوضون بضروب الأقاويل فى أمرك، ولا شىء أضرّ على السلطان فى حال ولا أنفع فى حال منهم . وبما يُجرِيه الله على ألسنتهم تسير الركبان وتبقى الأخبار ويخلد الذكر على الدهر وتشرف الأعقاب، وظاهر الخبر عندهم أعدل من شهادة العدول الثقات » .

وفى فصل منه : «وسائسُ الناس ومدبر أمورهم يحتاج الى سعة الصدر واستشعار الصبر واحتمال سوء أدب العامّة وإفهام الجاهل وإرضاء المحكوم عليه والممنوع مما

(*) فى الأصل الفتوغرافى : كتب الى بعض أصحاب السلطان الخ، ولكن الحكاية تؤيد رواية النسخة الألمانية .

يسأل بتعريفه من أين منع ، والناس لا يجمعون على الرضا إذا جُمع لهم كل أسباب الرضا فكيف إذا مُنعوا بعضها ، ولا يعذرون بالعذر الواضح فكيف بالعذر الملتبس ، وأخوك من صدقك وأرتمض لك لا من تابعك على هواك ثم غاب عنك بغير ما أحضرك » .

قال زياد لرجل يشاوره : « لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع ، وإن الناس قد ابدّعت بهم خصلتان : إضاعة السر ، وإخراج النصيحة . وليس موضع السر الا أحد رجلين : رجل آخرة يرجو ثواب الله ، أو رجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه ، وقد عجمتهما لك » .

وكتب بعض الكتّاب : « اعلم أن الناصح لك المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره ، ومثّل لك الأحوال المخوفة عليك ، وخلّط لك الوعر بالسهل من كلامه ومَشُورته ليكون خوفك كفئا لرجائك وشكرك إزاء النعمة عليك . وأن الغاشّ لك الحاطب عليك من مدّ لك في الاغترار ووطّأ لك مِهاد الظلم وجرى معك في عِنانك منقادا لهواك » .

وفي فصل : « إني وإن كنت ظَنِينا عندك في هذه الحال ففي تدبرك صفحات هذه المشُورة ما دلك على أن مَخرَجها عن صدق وإخلاص » .

إبراهيم بن المنذر قال : استشار زياد بن عبيد الله الحارثي عبيد الله بن عمر في أخيه أبي بكر أن يوليه القضاء ، فأشار عليه به ، فبعث الى أبي بكر فامتنع عليه ، فبعث زياد الى عبيد الله يستعين به على أبي بكر ، فقال أبو بكر لعبيد الله : أنشدك بالله أ ترى لي أن ألِيَ القضاء ؟ قال : اللهم لا . قال زياد : سبحان الله ! استشرتك فأشرت عليّ به ثم أسمعك تنهاه ! قال : أيها الأمير استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك ، واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحته .

كان نصر آبن مالك على شُرَط أبى مسلم ، فلما جاءه إذنُ أبى جعفر فى القدوم عليــه استشاره فنهاه عن ذلك وقال : لا آمنه عليــك ، قال له أبو جعفر لمــا صار اليه : استشارك أبو مسلم فى القدوم علىّ فنهيته؟ قال نعم : قال وكيف ذاك؟ قال: سمعت أخاك إبراهيم الامام يحدّث عن أبيه محمد آبن علىّ قال « لا يزال الرجل يزاد فى رأيه ما نَصَح لمن استشاره » وكنت له كذلك وأنا اليوم لك كما كنت له .

قال معاوية : «لقد كنت ألقَى الرجل من العرب أعلم أن فى قلبه علىّ ضِغنا فأستشيره، فيثير(١) الىّ منه بقــدر ما يجده فى نفسه فلا يزال يوسعنى شتما وأوسعه حلما حتى يرجع صديقا أستعين به فيعيننى وأستنجده فيُنجدنى » .

وقرأت فى كتاب إبَرَوِيزَ الى ابنه شيرويه وهو فى حبسه : « عليك بالمشاورة فانك واجد فى الرجال من ينضج(٢) لك الكَىّ ويحسِم عنك الداء ويخرج لك المستكِنّ ولا يدَع لك فى عدوّك فرصة إلا انتهزها ولا لعدوّك فيك فرصة إلا حصّنها ، ولا يمنعك شدّة رأيك فى ظنك ولا علوّ مكانك فى نفسك من أن تجمع الى رأيك رأى غيرك فان أَحْمَدتَ اجتنيت وإن ذممت(٣) نفيت ، فان فى ذلك خصالا : منهــا أنه إن وافق رأيَك ازداد رأيك شدّة عندك ، وإن خالف رأيك عرضته على نظرك ، فان رأيته معتليا لمــا رأيت قبِلت ، وإن رأيته متضِعا عنه استغنيت ، ومنها أنه يجدّد لك النصيحة ممن شاورت وإن أخطأ ويمحض لك مودّته وإن قصّر» .

وفى كتاب للهند : « من التمس من الاخوان الرخصة عند المشُورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة ، أخطأ الرأى وازداد مرضا وحمّل الوزر» .

---

(١) قل بهامش النسخة الألمانية عن نسخة "فيثور" الخ .

(٢) فى الأصل "ينصح" وهو تحريف .

(٣) هكذا فى النسخة الألمانية والفتوغرافية ، والمناسب لمــا قبله "أذممت" يقال أذممته أى وجدته ذميما .

وفى آداب ٱبن المقفع : « لا يُقذفن فى رُوعك أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأى غيرك، فيقطعك ذاك عن المشاورة، فانك لا تريد الرأى للفخر به ولكن للانتفاع به . ولو أنك أردت الذكر كان أحسنُ الذكر عند الألبّاء أن يقال : لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من إخوانه » .

قال عمر بن الخطاب : «الرأى الفرد كالخيط السَّحيل، والرأيان كالخيطين المبرَمَين، والثلاثة مِرارٌ(*) لا يكاد ينتقض » . وقال أشجع

رأىٌ سرى وعيونُ الناس هاجعةٌ * ما أخّرَ الحزمَ رأىٌ قدّم الحـذَرا

كتب الحجاج الى المهلّب يستعجله فى حرب الأزارقة، فكتب اليه المهلب : «إن من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره » . وقيل لعبد الله ابن وهب الراسبىّ يوم عقدت له الخوارج : تكلمْ . فقال : ما أنا والرأى الفطير والكلام القضيب . وقال أيضا : خمير الرأى خير من فطيره ، ورُبّ شىء غابُّه خير من طريّه، وتأخيره خير من تقديمه . وقيـل لآخر : تكلمْ . فقال : ما أشتهى الخبز إلا بائتا .

كان ٱبن هبيرة يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من صحبـة من غايتُه خاصة نفسه والانحطاطُ فى هوى مستشيره ، وممن لا يلتمس خالص مودّتك إلا بالتأتّى لموافقة شهوتك، ومن يساعدك على سرور ساعتك ولا يفكر فى حوادث غدك » . وكان يقال : « من أُعطى أربعا لم يُمنَع أربعا : من أُعطى الشكر لم يُمنع المزيد، ومن أُعطى التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطى المَشُورة لم يمنع الصواب ، ومن أعطى الاستخارة لم يُمنع الخِيرة » . وكان يقال : لا تستشر معلّما ولا راعى الغنم ولا كثير القعود مع النساء. وكان يقال : لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها ولا جائعا ولا حاقن بول .

(*) فى النسخة الألمانية مرائر . والمرار : الحبل الذى أُجيد فتله .

وقالوا « لا رأى لحاقن ولا لحازق » وهو الذى ضغطه الخف « ولا لحاقب » وهو الذى يجد رِزًّا فى بطنه . وقالوا أيضا : لا تشاور من لا دقيق عنده .

وكان بعض ملوك العجم إذا شاور مَرَازِبَتَه فقصّروا فى الرأى دعا الموكَّلين بأرزاقهم فعاقبهم، فيقولون: تخطئ مَرَازِبَتُك وتعاقبنا! فيقول: نعم، إنهم لم يخطئوا إلا لتعلّق قلوبهم بأرزاقهم وإذا اهتموا أخطئوا . وكان يقال : إنّ النفس إذا أحرزت [قوتها] ورزقها اطمأنت .

وقال كعب : لا تستشيروا الحاكة فان الله سلبهم عقولهم ونزع البركة من كسبهم . قال الشاعر

وأنفع من شاورتَ من كان ناصحا * شفيقا فأبصرْ بعدها من تشاور
وليس بشافيك الشفيقُ ورأيه * غريب ولا ذو الرأى والصدرُ واغر

ويقال : علامة الرشد أن تكون النفس مشتاقة . وقال آخر

إذا بلغ الرأى النصيحة فاستعن * برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشُّورى عليك غَضاضة * فان الخَوافى رافدات القَوادم
وخلِّ الهُوَيْنا للضعيف ولا تكن * نَؤوما فان الحزم ليس بنائم
وأدنِ من القربى المقرِّب نفسه * ولا تُشهِد الشُّورى آمرأ غير كاتم
وما خير كفّ أمسك الغُلّ أختها * وما خير سيف لم يؤيَّد بقائم
فانك لن تستطرد الهمّ بالمُنى * ولن تبلغ العليا بغير المكارم

قال أعرابى : ما غُبِنْتُ قط حتى يُغبَن قومى . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا أفعل شيئا حتى أشاورهم . وقيل لرجل من بنى عَبْس : ما أكثر صوابكم! فقال :

نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه، فكأنا ألفُ حازم . ويقال : « ليس بين الملك وبين أن يملِك رعيته أو تملكه إلا حزم أو توانٍ » .

وقال القطامى فى معصية الناصح

ومعصيةُ الشفيق عليك مما * يزيدك مَرّة منه استماعا
وخيرُ الأمرِ ما استقبلْتَ منه * وليس بأن تَتَبّعَه اتباعا
كذاك وما رأيتُ الناس إلا * الى ما جرّ غاويهم سِراعا
تراهم يغمزون من آستركوا * ويجتنبون من صدَق المِصاعا

وقال آخر، أنشدنيه الرياشى

ومولًى عصانى وآستبدّ برأيه * كما لم يُطَع بالبَقّتين قَصِيرُ
فلمّا رأى أن غبَّ أمرى وأمره * وولّت بأعجاز الأمور صدورُ
تمنّى بئيسا أن يكون أطاعنى * وقدحدثت بعد الأمور أمورُ

وقال سبيع لأهل اليمامة « يا بنى حَنيفة بُعْدًا كما بعُدت عاد وثمود، أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه كأنى أسمع جَرْسه وأبصر غيبه ولكنّكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندم، وأصبحتم وفى أيديكم من تكذيبى التصديقُ ومن تهمتى الندامةُ، وأصبح فى يدى من هلاككم البكاءُ ومن ذلّكم الجزعُ ، وأصبح ما فات غيرَ مردود وما بقى غير مأمون . وإنى لمّا رأيتكم تتّهمون النصيح وتسفّهون الحليم استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء . والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غِرّة ولقد أمهلكم حتى ملّ الواعظ وَهَن الموعوظ وكنتم كأنما يُعْنَى بما أنتم فيه غيركم » .

وأشار رجل على صديق له برأى، فقال له : « قد قلت ما يقول الناصح الشفيق الذى يخلط حُلوكلامه بمُرّه وحَزْنه بسهله ويحرّك الاشفاقُ منه ما هو ساكن من غيره ،

وقد وعَيتُ النصح فيه وقبلته إذ كان مصدره مِن عند من لا يُشكّ فى مودته وصافى غيبه، وما زلتَ بحمد الله الى كل خير طريقا منهجا ومَهْيَعا واضحا» .

وكتب عثمان الى علىّ حين أحيط به : «أما بعد فانه قد جاوز الماء الزُّبى وبلغ الحزام الطُّبْيَين وقد تجاوز الأمر بى قدرَه .

فان كنتُ مأكولا فكن خيرَ آكل * وإلا فأدركـنى ولمَّا أمزَّق»

وقال أوس بن حَجَر

وقد أُعتِب ٱبنَ العم إن كنتُ ظالما * وأغفر عنه الجهل إن كان أجهلا

وإن قال لى ماذا ترى ؟ يستشيرنى * يجدْنى ٱبن عمٍ مِخْلَط الأمر مِزْيَلا

أقيم بدار الحـــزم ما دام حزمها * وأَحْرِ إذا حالت بأن أتحوّلا

وأستبدل الأمر القوىّ بغـيره * إذا عَقْـــد مأْفون الرجال تحلَّلا

وكان يقال : « أناة فى عواقبها دَرَك، خير من معاجلة فى عواقبها فَوت » . وأنشدنى الرياشى

وعاجزُ الرأى مضياع لفُرصته * حتى إذا فات أمر عاتَب القَدَرا

وكان يقال : «روِّ بحزم فاذا استوضحت فاعزم» .

الاصابة بالظن والرأى

كان ابن الزبير يقول : « لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه » . وسئل بعض الحكماء : ما العقل؟ فقال : «الإصابةُ بالظن ومعرفةُ ما لم يكن بما كان » . وكان يقال : «كفى مُخبِرا عما مضى ما بقى، وكفى عِبرًا لأولى الألباب ما جربوا» . وكان يقال : «كل شىء محتاج الى العقل، والعقل محتاج الى التجارب» . ويقال : «من لم ينفعك ظنه لم ينفعك يقينه» . وقال أوس بن حَجَر

الألمعى الذى يظن بك الظّنّ كأن قد رأى وقد سمعا

وقال آخر

وأَبغِى صــوابَ الظنّ أعــلم أنه * إذا طاش ظنُّ المرء طاشت مَقادِرهْ

وقال على بن أبى طالب صلوات الله عليه فى عبد الله بن عباس : «إنه لينظر الى الغيب من سِتْرٍ رقيق» . ويقال : «ظنُّ الرجل قطعةٌ من عقله» . ويقال : «الظنون مفاتيح اليقين» . وقال بعض الكتّاب

أصُونك أن أظنّ عليك ظنا * لأن الظن مفتاح اليقيــن

وقال الكميت

مثــلُ التدبر فى الأمر آئتنافُكَه * والمرء يعجز فى الأقوام(١) لا الحيل

وقال آخر

وكنتَ متى تُهْزَز لخطب تُغَشِّــهِ * ضرائبَ أمضَى من رِقاق المَضارب

تجلّلتَــه بالرأى حتى أَرَيتَــه * به ملءَ عينيه مكانَ العواقب

وقال آخر يصف عاقلا

بصــير بأعقــاب الأمور كأنمــا * يَرى بصواب الرأى ما هو واقع

وقال آخر فى مثله

عليم بأعقــاب الأمور برأيه * كانّ له فى اليوم عيناً على الغد

وقال آخر يصف عاقلا

بصير بأعقاب الأمور كأنمــا * يخاطبُه من كل أمر عواقبُهْ

وقال جثامة بن(٢) قيس يهجو قوما

أنتم أناس عظام لا قلوب لكم * لا تعلمون أجاء الرشد أم غابا

---

(١) هكذا فى النسخة الألمانية والفتوغرافية ، ولعله محرف عن الاقدام .

(٢) فى النسخة الفتوغرافية : وقال آخر .

وتبصرون رؤوس الأمر مقبلةً * ولا ترون وقد ولّين أذنابا
وقلّما يفجأ المكروهُ صاحبَه * إذا رأى لوجوه الشر أسبابا

وقال آخر (*)

فلا يحذرون الشرّ حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر إلا تدبُّرا

ويقال : «ظن العاقل كهانة» . وفى كتاب للهند : «الناس حازمان وعاجز، فاحد الحازمين الذى إذا نزل به البلاء لم يبطَر وتلقّاه بحيلته ورأيه حتى يَخرج منه ، وأحزم منه العارفُ بالأمر إذا أقبل فيد فعه قبل وقوعه ، والعاجز فى تردّد وتَمنٍّ حائرٌ بائرٌ لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا» .

وقال الشاعر

وإنى لأرجو الله حتى كأنّنى * أرى بجميل الظن ما الله صانع

وقال آخر

وغِرّةُ مرّةٍ من فعل غِرّ * وغِرّةُ مرّتين فعالُ مُوقِ
فلا تفرح بأمر قد تدنّى * ولا تأيس من ٱلأمر ٱلسّحيقِ
فان القرب يبعُد بعد قرب * ويدنو البعد بالقَدَر المَسُوقِ
ومن لم يتق ٱلضَّحْضَاح زلّتْ * به قدماه فى البحر العميقِ
وما ٱكتسب المحامدَ طالبوها * بمثل البِشْر وٱلوجه ٱلطَّليقِ

وقال مروان بن الحكم لحُبَيْش بن دَلْجَة : أظنك أحمق . قال: «أحمق ما يكون الشيخ إذا عمل بظنّه» . ونقش رجل على خاتمه : «الخاتم خير من الظن» . ومثله : «طِينةٌ خيرمن ظنّة» .

(*) فى النسخة الفتوغرافية وقال جثامة بن قيس . والبيت لجرير كما فى اللسان .

اتباع الهوى

كان يقال : الهوى شريك العمى . وقال عامر بن الظَّرِب : الرأى نائم والهوى يقْظان ، ولذلك يغلب الرأىَ الهوى . وقال ابن عباس : « الهوى إله معبود » وقرأ (أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ) . وقال هشام بن عبد الملك ، ولم يقل غيره

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * إلى بعض ما فيه عليك مقال

وقال بزرجمهر: «إذا آشتبه عليك أمران فلم تدرِ فى أيهما الصواب، فانظر أقربهما إلى هواك فاجتنبه» .

كان عمرو بن العاص صاحَبَ عُمارة بن الوليد إلى بلاد الحبشة ومع عمرو آمرأته فوقعت فى نفس عمارة فدفع عمرا فى البحر فتعلق بالسفينة وخرج ، فلما ورد بلاد الحَبَشة سعى عمرو بعمارة الى النَّجاشىّ وأخبره أنه يُخالف الى بعض نسائه فدعا النَّجاشى بالسواحر فنفخن فى إحليله فهام مع الوحش ، وقال عمرو فى ذلك

تعلَّمْ عُمَارًا أن من شرّ شيمة * لمثلك أن يُدعَى آبن عم له آبنما
وإن كنتَ ذا بُرْدَين أحوَى مُرَجَّلا * فلست براءٍ لابن عمك محرَما
إذا المرء لم يترك طعاما يحبّه * ولم يعص قلبا غاويا حيث يَمَّما
قضى وطَرًا منه يسيرا وأصبحت * إذا ذُكِرت أمثالُه تملأُ الفما

وقال حاتم طيِّئ فى مثله

وإنك إن أعطيت بطنك سُؤلَه * وفرجَك نالا مُنتَهى الذم أجمعا

وقال آخر

جارَ آلجنيد علىَّ مُحتكما * جهلا ولستُ بموضع الظلم
أكَل الهوى حُججى ورُبَّ هوى * مما سيأكل حجّة الخصم

قال اعرابى : «الهوى هوان، ولكن غُلِط باسمه» .

وقال الزبير بن عبد المطّلب

وأجتنب المقاذع حيث كانت * وأترك ما هَويتُ لما خشيت

وقال البُرَيق الهذلى

أبى لى ما ترى والمرءُ تأبَى * عزيمتُه ويغلبه هواه
فيَعمَى ما يُرَى فيه عليه * ويحسَب ما يراه لا يراه

وكان يقال : «أخوك من صَدَقك وأتاك من جهة عقلك لا من جهة هواك» .

السّر وكتمانه وإعلانه

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنا محمد بن الحُصَيب قال حدّثنى أوس ابن عبد الله بن بُرَيدة عن أخيه سهل عن بُرَيدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "استعينوا على الحوائج بالكتمان فانّ كلّ ذى نعمة محسود". وكانت الحكماء تقول: «سرّك من دمك» . والعرب تقول : «من ارتادّ لسره موضعا فقد أذاعه» .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيب عن عمّه الأصمعى قال أخبرنى بعض أصحابنا قال : دخل ابن أبى مِحْجَن الثقفى على معاوية ، فقال له معاوية : أبوك الذى يقول

إذا مُتُّ فادفنّى الى أصل كَرْمة * تُرَوّى عظامى بعدَ موتى عُروقُها
ولا تدفننّى فى الفَلاة فانّنى * أخاف وراءَ الموت أن لا أذوقُها

فقال ابن أبى مِحجَن : لو شئتَ ذكرتَ أحسن من هذا من شعره، فقال معاوية : وما ذاك؟ قال قوله

لا تسألى القومَ ما مالى وما حسَبى * وسائلى القومَ ما حزمى وما خُلُقى
القومُ أعلمُ أنى من سَرَاتهم * إذا تطيش يدُ الرِّعديدة الفَرِق
أُعطى السِّنان غداة الرَّوع حِصّته * وعاملَ الرُّمح أُرويه من العَلَق
قد أركبُ الهولَ مسدولاً عساكرُه * وأكتم السر فيه ضربة العنق

وأنشدنى للصَّلَتَان العَبْدِى

وسرُّك ما كان عند امرئ * وسرُّ الثلاثة غيرُ الخَفِى

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يتمثل بهذين البيتين

ولا تُفشِ سرَّك إلّا اليك * فانّ لكلّ نصيح نصيحا
فانى رأيت غُواةَ الرجا * لِ لا يتركون أديما صحيحا

وقال الشاعر

ومُراقَبَيْن تكاتما بهواهما * جعلا القلوبَ لما تُجِنّ قُبورا
يتلاحظان تلاحُظا فكأنّما * يتناسخان من الجفون سُطورا

وقال مِسْكِين الدّارِمِى

أُواخى رجالا لست أُطلِع بعضَهم * على سرِّ بعض غيرَ أنى جِماعُها
يَظَلّون شتّى فى البلاد وسرُّهم * الى صخرة أعيا الرِّجالَ انصِداعُها

وقال(*)

ولو قَدَرتُ على نِسيان ما اشتملت * منى الضُّلوعُ من الأسرار والخبر
لكنت أوّلَ من يَنسَى سرائرَه * إذ كنتُ من نشرها يوما على خَطَر

أسرَّ رجل الى صديق له حديثا فلما استقصاه قال له: أفهمت؟ قال: لا، بل نسيتُ.

قيل لأعرابى: كيف كِتمانك للسر؟ قال: «ما قلبى له إلا قبر». وقيل لمُزَبِّد: أىّ شىء تحت حضنك؟ فقال: يا أحمق لِمَ خبّأتُه. وقال الشاعر

إذا ما ضاق صدرك عن حديث * فأفشته الرجالُ فمَن تلوم
إذا عاتبتُ من أفشَى حديثى * وسرّى عنده فأنا الظَّلوم
وإنى حين أسأم حَمْلَ سرّى * وقد ضمّنتُه صدرى سَؤوم

(*) فى النسخة الألمانية: وقال آخر. على أنا لم نعثر على هذا الشعر لمسكين الدارمى.

قيل لرجل : كيف كتمانك للسر؟ قال: «أجحد المُخبِر وأحلِف للستخبر» . وكان يقال: «من وَهْى الأمر إعلانُه قبل إحكامه» . وقال الشاعر

إذا أنت حمَّلت الخؤونَ أمانة * فانك قد أسندتّها شرَّ مُســنَد

وقال عمرو بن العاص: «ما آستودعتُ رجُلا سرّا فأفشاه فلمتُه ، لأنى كنت أضيق صدرا حين آستودعته» . وقال

إذا أنت لم تحفَظ لنفسك سرّها * فسرّك عند الناس أفشَى وأضيعُ

وكان يقال : «من ضاق قلبه اتّسع لسانه» .

وقال الوليـــد بن عُتبة لأبيــه : إن أمير المؤمنين أسرّ الى حديثا ولا أراه يطوى عنك ما يبسطه لغيرك، أفلا أحدّثك به؟ قال: لا يابنى «إنه من كتم سره كان الخيار له ، ومن أفشاه كان الخيار عليه ، فلا تكونن مملوكا بعد أن كنت مالكا» قال قلت: وإن هذا ليجرى بين الرجل وأبيه؟ قال: لا ، ولكنى أكره أن تذلّل لسانك بأحاديث السر . فحدثت به معاوية فقال : ياوليد ؟ أعتقك أخى من رِقّ الخطأ .

وفى كتب العجم أن بعض ملوك فارس قال : «صونوا أسراركم فانه لا سر لكم إلا فى ثلاثة مواضع : مكِيدة تُحـاوَل أو منزِلة تُزاوَل أو سريرة مَدخُولة تُكتم ، ولا حاجة بأحد منكم فى ظهور شيء منها عنه» . وكان يقال : «ما كنتَ كاتمه من عدوّك فلا تظهر عليه صديقك» .

وقال جَميل بن مَعمَر

أموت وألقَى الله يابْثَن لم أَبُح * بسرِّكِ والمســتخبِرون كثير

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى

ولمـا تلاقَيـــنا عرفتُ الذى بها * كمثل الذى بى حَذْوَكَ النعلَ بالنعل

فقالت وأرخت جانب السِّتر إنما * معى فتكلَّم غيرَ ذى رِقْبَــةٍ أهلى
فقلتُ لهـا ما بى لهم من ترقُّب * ولكنَّ سرِّى ليس يحمـــله مِثلى

يريد أنه ليس يحمله أحد مثلى فى صِيانته وسَتره، أى فلا أُبديه لأحد . وقال زهير

السِّترُ دونَ الفاحشات ولا * يلقاك دون الخير من سِــتر

وقال آخر

فسِرِّى كإعلانى وتلك خَليقتى * وظُلمةُ ليلى مثلُ ضوءِ نهارِيا

وقال آخر لأخ له وحَدَّثه بحديث : اجعل هذا فى وعاء غير سَرِب . والسَّرِب السائل . وكان يقال : «للقائل على السامع جمعُ البال والكتمان وبسطُ العذر» . وكان يقال : «الرِّعاية خير من الاسترعاء» .

أتى رجل عُبَيد الله بن زِياد فأخبره : أن عبد الله بن هَمَّام السَّلُولى سبَّه . فأرسل اليه فأتاه فقال : يابن همام إن هذا يزعم أنك قلت : كذا وكذا . فقال ابن هَمَّام

فأنت امرؤ إمّا ائْتمنتُك خاليــا * فخُنتَ، وإمّا قلتَ قولا بلا علم
وإنك فى الأمر الذى قد أتيتَه * لفى منزل بين الخيــانة والإثم

وقال آخر

اخفِضِ الصَّوت إن نطقتَ بليل * والتفِتْ بالنهار قبــل الكَلام

وقال بعض الأعراب

ولا أكتُم الأسرارَ لكنْ أنُمُّها * ولا أدَع الأسرار تَغلِى على قلبى
وإنّ قليل العقل من بات ليلَه * تُقلِّبه الأسرارُ جنْبًا الى جنب

وقال أبو الشِّيص

لا تأمَنَنّ على سِرِّى وسرِّكم * غيرى وغيرَك أوطَىِّ القَراطيس
أو طائرٍ سأُحلِّيــه وأنعَتُــه * ما زال صاحبَ تنقير وتأسيس

سُـــودٍ بَرَاثِنُه مِيـــلٍ ذَوائبُهُ * صُفرٍ حمَالِقُه فى الحسن مغموس
قد كان هَمَّ سليمانٌ ليـــذبحه * لولا سعَايتُـــه يوما بِبِلْقيس

وقال أيضا

أفضى اليـكَ بسرّه قلمٌ * لو كان يعرفه بكى قلمُهْ

وقال مُسْلم بن الوليد فى الكتّاب يأتيك فيه السر

الحزمُ تَحْرِيقُه إن كنتَ ذا حذَر * وإنما الحزمُ سوء الظنّ بالناس
إذا أتاك وقـــد أدّى أمَانتَـــه * فاجعل صِيانته فى بطن أرْماس

وقال آخر

سأكتُمه سرّى وأحفَظُ سرَّه * ولا غرّنى أنى عليـــه كَرِيم
حَليمٌ فيَنسَى أو جهولٌ يُشيعه * وما النـــاسُ إلا جاهل وحليم

الكُتّاب والكِتَابة

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْه عن وهب بن جرير عن أبيـــه عن يونس بن عبيد (١) عن الحسن عن عمرو بن تَغلَب عن النبىّ صلى الله عليـــه وسـلم قال "من أشراط الساعة أن يَفِيض المـال ويظهر القـلم وتفشو التجار" قال عمرو : إن كنّا لنلتمس فى الحِواء (٢) العظيم الكاتبَ، ويبيع الرجلُ البيع فيقول : حتى أستأمِن تاجِرَ بنى فلان .

حدّثنا أحمـد بن الخليل عن إسماعيل بن أبَان عن عَنْبَسة بن عبد الرحمن القُرَشىّ عن محمد بن زَاذَان عن أُمّ سعد عن زيد بن ثابت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُملِى فى بعض حوائجه فقال "ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للمُمْلِى به".

(١) كذا بالفتوغرافية ، وفى الألمـانية «عبيد الله» ولعله يونس بن عبيد بن دينار العبدى راوى الحديث كثيرا عن الحسن البصرى وغيره . (٢) الحواء مجتمع بيوت الحى اذا تدانت .

وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد المُنعِم عن أبيه عن وَهْب قال: «كان إدريس النبىّ عليه السلام أوّلَ من خطّ بالقلم وأوّل من خاط الثياب ولبِسها وكان من قبلَه يلبَسون الجلودَ» .

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْه قال: أخبرنا جَرير عن يَزيد بن أبى زِياد عن عِياض ابن أبى موسى أن عمر بن الخطّاب قال لأبى موسى: ٱدعُ لى كاتبَك ليقرأ لنا صُحُفا جاءت من الشأم . فقال أبو موسى: إنه لا يدخُل المسجد. قال عمر: أبِه جَنابةٌ؟ قال: لا، ولكنّه نصرانى . قال: فرفَع يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها ثم قال مالكَ! قاتلك الله! أمَا سمِعت قول الله عز وجل (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ)! ألا ٱتخذتَ رجُلا حنيفيا! فقال أبو موسى: له دِينُه ولى كتابتُه . فقال عمر: «لا أُكرِمهم إذ أهانهم الله ولا أعزّهم إذ أذلهم الله ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله» .

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْه قال اخبرنا عيسى بن يونس قال حدّثنا أبو حَيّان التَّيْمى عن أبى زِنْباع عن أبى الدِّهْقانة قال: ذُكِر لعمر ٱبن الخطّاب غلام كاتب حافظ من أهل الحِيرة وكان نصرانيا، فقيل له: لو ٱتخذتَه كاتبا . فقال «لقد ٱتخذتُ إذًا بطانةً من دون المؤمنين» .

حدّثنى أبو حاتم قال: مُرَامِر بن مَرْوة (*) من اهل الأنْبار وهو الذى وضع كتابة العَربيّة، ومن الأنبار انتشرت فى الناس .

(*) هكذا فى النسخة الفتوغرافية والألمانية . والذى فى القاموس : ومرامر بن مرة بضمهما أول من وضع الخط العربى . ونقل صاحب اللسان عن ابن القطامى ما يوافق عبارة صاحب القاموس ثم قال : قال ابن برى : الذى ذكره ابن النحاس وغيره عن المدائنى أنه مرامر بن مَرْوة .

حدثنى أبو سهل عن الطَّنافسى عن المُنْكدِر بن محمد عن أبيه محمد بن المُنْكدِر قال جاء الزُّبَير بن العوَّام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف أصبحت؟ جعلنى الله فداك! قال "ما تركتَ أعْرابيَّتك بعد" .

قال عبد الملك ابن مراون لأخيه عبد العزيز حين وجَّهه الى مصر: «تفقَّد كاتبك وحاجِبك وجليسك ، فان الغائب يخبِّره عنك كاتبُك ، والمتوسِّم يعرفك بحاجبك ، والداخلُ عليك يعرفك بجليسك» .

ابن أبى الزِّناد عن أبيه قال : كنت كاتبا لعمر بن عبد العزيز فكان يكتب الى عبد الحَميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطَّاب فى المَظالم فيراجِعُه ، فكتب اليه : «إنه ليُخيَّل الى أنى لو كتبتُ اليك أن تُعطى رجلا شاة لكتبتَ الى : أضَأْن أم ماعِز ، ولو كتبتُ اليك باحدهما لكتبتَ : أذكر أم أنثى ، ولو كتبتُ اليك بأحدهما لكتبتَ : أصغير أم كبير . فاذا أتاك كتابى هذا فلا تُراجِعنى فى مَظْلمة» .

وكتب أبو جعفر الى سَلْم[1] بن قُتَيبة يأمره بهدم دُورِ مَن خرج مع ابراهيم وعَقْر نخلهم . فكتب اليه : بأى ذلك نبدأ أبالنخل أم بالدُّور ؟ فكتب اليه أبو جعفر . «أما بعد ، فانى لو أمرتُك بافساد ثَمرهم لكتبتَ الىّ تستأذن فى أيِّه تبدأ أبالبَرْنِىّ أم بالشِّهْرِيز؟» وعزله ، وولى محمد بن سليمان . وكان يقول : «للكاتب على الملك ثلاثة ، رفع الحِجاب عنه ، واتِّهام الوشاة عليه ، وإفشاء السرّ إليه» .

كانت العَجَم تقول : «من لم يكن عالما باجراء المياه وبحفر فُرَض[2] الماء والمسارب ورَدم المَهاوى ومجارِى الأيام فى الزيادة والنقصان واستهلال القمر وأفعاله ووَزْن الموازين

(١) فى الفتوغرافية : سلام وهو تحريف .

(٢) فى الفتوغرافية فرض المشارب .

وذَرع المُثلّث والمُربّع والمُختلِف الزّوايا ونَصْب القناطر والجُسور والدّوالى والنواعير على المياه وحال أدوات الصنّاع ودقائق الحساب كان ناقصا فى حال كتابته» .

قال ميمون بن ميمون «إذا كانت لك الى كاتب حاجةٌ فليكن رسولُك اليه الطمَع» .

وقال : «إذا آخيتَ الوزير فلا تخش الأمير» .

وفى كتاب للهند : «إذا كان الوزير يُساوى الملكَ فى المـال والهَيبة والطاعة من الناس فليصرعْه الملكُ، وإن لم يفعل فليعلم أنه هو المصروع» .

المدائنى قال : خلا زياد يوما فى أمر ينظر فيه وعنـده كاتب له يكتب وابنـه عُبيد الله، فنعس زياد فقال لعبيد الله : تعهّد هذا لا يكتبْ شيئا . ونام، فوجد عبيد الله مَسّا من البول فكره أن يُوقظ أباه وكره أن يُخلّى الكاتب فشدّ إبهاميه بخيط وختَمه وقام لحاجته .

قال أبو عبّاد الكاتب : ما جلس أحد قط بين يدى إلا تخيّل الى أنى جالس بين يديه .

وقرأت فى التاج أن أبْرَوَيز قال لكاتبه : «أكتُم السرّ واصدقْ الحديث واجتهد فى النصيحة واحترس بالحذر، فان لك علىّ أن لا أعجّل بك حتى أستأنى لك ولا أقبل عليك قولا حتى أستيقن ولا أُطمع فيك أحدا فيغتالك . واعلم أنك بمنجاة رفعة فلا تحطّنها وفى ظل مملكة فلا تستزيلنه، وقارب الناس مجاملة عن نفسك وباعد الناس مُشايحةً (*) من عدوّك واقصد الى الجميـل ادّراعًا لغدك وتحصّن بالعفاف صونا لمروءتك وتحسّن عنـدى بمـا قدرت عليـه من حسن ولا تُشْرِعنّ الألسـنةَ فيك ولا تقبحنّ الأحدوثةَ عنـك وصُن نفسـك صَون الدُّرّة الصافية وأخلِصها إخلاص الفضّة البيضاء وعاتبها معاتبة الحَذِر المُشفق وحصّنها تحصين المدينة المَنيعة . لا تدعَنّ أن ترفع الىّ الصغير، فانه يدل على الكبير ولا تكتمَن الكبيرَ فانه ليس شاغلى عن

(*) مشايحة : محاذرة .

الصغير . هذّب أمورك ثم ٱلقَنى بهـا وأحكم لسانك ثم راجعنى به ولا تجترئنّ علىّ فامتعِضَ ولا تنقبض منى فأتّهِمَ ولا تُمرَّضَنّ ما تلقانى به ولا تُخْدِجَنّه . وإذا فكرت فلا تعجّل وإذا كتبت فلا تُعْـذِر، ولا تستعينن بالفضول فانها علاوة على الكفاية ولا تُقَصرن عن التحقيق فانها هُجْنَة بالمقالة ولا تَلْبِسنّ كلاما بكلام ولا تباعدنّ معنى عن معنى. أكرِمْ كتابك عن ثلاث: خضوعٍ يستخفّه، وانتشارٍ يُثَبِّجُه، ومعانٍ تقعد به . واْجمع الكثير مما تريد فى القليل مما تقول، وليكن بَسطةُ كتابك على السُّوقة كبسطة ملك الملوك على الملوك، ولا يكن ماتملك عظيما وما تقول صغيرا فانمـا كلام الكاتب على مقدار الملك فاجعله عاليـا كعلوّه وفائقا كفَوْقه . واعلم أن جُمّـاع الكلام كله خصال أربع : سؤالك الشىء، وسؤالك عن الشىء، وأمرك بالشىء، وخبرك عن الشىء فهذه الخلال دعائم المقالات إن ٱلتُمِس لها خامس لم يوجد وإن نُقِص منها رابع لم تتم، فاذا أمرت فأحكم واذا سألت فأوضح واذا طلبت فأَسْجِحْ واذا أخبرت فحقّق فانك اذا فعلت ذلك أخذت بجَزَامير القول كله فلم يشتبه عليـك وارده ولم يُعْجزك منـه صادرُه . أثبت فى دواوينك ما أدخلت وأَحْصِ فيهـا ما أخرجت وتيقّظ لـما تأخذ وتجرّدْ لـما تعطى ولا يغلبنك النسيان عن الإحصاء ولا الأناة عن التقدّم ولا تُخرجنّ وزن قيراط فى غير حقّ ولا تعظّمن إخراج الكثير فى الحق، وليكن ذلك كله عن مؤامرتى » .

قال رجل لبنيـه : « يابنى تَزَيَّوْا بزى الكتّاب فان فيهـم أدب الملوك وتواضع السُّوقة » .

قال الكسائى : «لقيت أعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف وعن الشىء بعد الشىء أقرنه بغيره فقال: يالله! ما رأيت رجلا أقدر، على كلمة الى جنب كلمة أشبه شىء بها وأبعد شىء منها، منك! » .

وقال ابن الأعرابى: «رآنى أعرابى وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من ألفاظه فقال إنك لحتْف الكلمة الشرود» .

وقال رجل من أهل المدينة : « جلست الى قوم ببغداد فما رأيت أوزن من أحلامهم ولا أطيش من أقلامهم» .

وكتب بعض الكتّاب الى صديق له : «وصل الىّ كتابك فما رأيت كتابا أسهل فنونا ولا أملس مُتونا ولا أكثر عيونا ولا أحسن مقاطع ومطالع ولا أشدّ على كل مفصل حزّا منه . أنجزتَ فيه عدّة الرأى وبشرى الفراسة وعاد الظن بك يقينا والأمل فيك مبلوغا» .

ويقال : «عقول الرجال فى أطراف أقلامها» .

ويقال : «القلم أحد اللسانين وخفة العيال أحد اليسارين وتعجيل اليأس أحد الظّفَرين وإملاك العجين أحد الرَّيعين وحسن التقدير أحد الكاسبين واللّبَن أحد اللحمين» . وقد يقال : المرق أحد اللحمين .

قيل لبعضهم : إن فلانا لا يكتب ، فقال : تلك الزَّمانة الخفية . وقرأت فى بعض كتب العجم أن موبذان مُوبَذ وصف الكُتّاب فقال : « كُتّاب الملوك عَيْبتُهم المَصُونة عندهم وآذانهم الواعية وألسنتهم الشاهدة ، لأنه ليس أحد أعظمَ سعادة من وزراء الملوك إذا سعدت الملوك ، ولا أقرب هَلَكة من وزراء الملوك إذا هلكت الملوك ، فتُرفَع التهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لأنفسهم ، وتعظم الثقة بهم حين صار اجتهادهم للملوك اجتهادَهم لأنفسهم فلا يتّهم روح على جسده ولا يتهم جسد على روحه لأن زوال ألفتهما زوال نعمتهما ، وأن التئام أُلفتهما صلاح خاصّتهما» .

وقال

لئن ذهبتُ الى الحجّاج يقتلنى * إنى لأحمق من تَحْـدِى به العيرُ
مسـتحقبا صُحُفا تُدمى طوابعُها * وفى الصحائف حيّات مَنَاكيرُ

وقال بعض الشعراء فى القلم

عجبت لذى سِنَّين فى المـاء نبتُه * له أثر فى كـل مصرٍ ومعمّرِ

وقال بعض المحدثين فى القلم

ضئيل الرُّواء كـبير الغَناء * من البحر فى المنصب الأخضرِ
كمثل أنحى العشق فى شخصه * وفى لونه من بنى الأصفرِ
يمـــرّ كهيئة مَرّ الشـــجا * ع فى دِعْص مَحْنِيَـةٍ أعفـرِ
إذا رأسُـــه صحّ لم ينبعث * وجاز السـبيلَ ولم يبصرِ
وإن مُديةٌ صـدَعَت رأسه * جرى جرىَ لا هائب مُقصرِ
يقضّى مآربَـــه مقبــلا * ويَحْسِـمها هيئةَ المــدبرِ
تجـــود بكـف فتى كفُّه * تســوق الثّراء إلى المعسرِ

وقال حبيب الطائى يصف القلم

لك القـلم الأعلى الذى بشَـبَاتِه * يصابُ من الأمر الكُلَى والمفاصلُ
لعـابُ الأفاعى القاتلاتِ لعـابُه * وأرْىُ الجَنَى آشتارته أيدٍ عواسلُ
له ريقـةٌ طَلٌّ ولكـنّ وقعُها * بآثاره فى الشرق والغـرب وابـلُ
فصـيح إذا استنطقتَه وهو راكبٌ * وأعجمُ إن خاطبتَه وهو راجلُ
اذا ما آمتطى الخمسَ اللطافَ وأُفرِغَتْ * عليـه شِعابُ الفكر وهى حوافلُ
أطاعته أطـرافُ القنا وتقوضتْ * لنجــواه تقويضَ الخيام الجحافـلُ
تراه جليلا شأنُه وهـــو مرهَفٌ * ضَنًى وسمينا خطبُــه وهو ناحلُ

وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى يصف القلم

وأسمرَ طاوى الكشح أخرسَ ناطقٍ * له ذَمَلَانٌ فى بطون المَهَارِقِ
إذا استعجلتْه الكفُّ أمطرَ خالُه * بلاصوت إرعادٍ ولا ضوءِ بارق
كأنّ اللآلى والزبرجد نَطْقُــه * ونَوْرُ الخُزامى فى بطون الحدائق

وقال بعض المحدَثين يمدح كاتبا

وإذا تألق فى النَدِىّ كلامه آلـ * ـمنظوم خلت لسانه من عضبه
وإذا دجت أقلامه ثم ٱنْتَحَتْ * برقت مصابيح الدُّجى فى كتبه
باللفظ يقرُب فهمه فى بُعــده * منا ويبعــد نيــله فى قربه
حكَم فَسَائحها خِــلال بَنانه * متــدفق وقَلِيبها فى قلبــه
كالروض مُؤْتلِف بحمــرة نَوْره * وبياض زَهرته وخضرة عُشْبه

وقال سعيد بن حميد يصف العود

وناطق بلسان لا ضمير له * كأنه فخِــذ نِيطت الى قدم
يُبدى ضميرَ سواه فى الكلام كما * يُبدى ضميرَ سواه مَنطِق القلم

بعث الطائى الى الحسن بن وهب بدواة أبنوس وكتب اليه

قــد بعثنا إليــك أمَّ المنــايا * والعطايا زَنجيَّــة الأحســاب
فى حَشاها من غير حَرب حِرابٌ * هى أمضى من مرهَفات الحِراب

وقال ابن أبى كريمة يصف الدواة والقلم

ومسودّة الأرجاء قد خضتُ ماءها * ورَوِيت من قعرلهــا غير مُنبَط
خميصَ الحشا يروَى على كل مشرب * أمينا على سر الأمــير المسلَّط

وقال بعض أهل الأدب : إنما قيل "ديوان" لموضع الكتبة والحُسّاب لأنه يقال : للكتّاب بالفارسية "ديوان" أى شياطين ، لحذقهم بالأمور ولطفهم فسمّى موضعهم باسمهم .

وقال آخر : انما قيل لمدير الأمور عن الملك "وزير" من الوِزْر وهو الحمل يراد أنه يحمل عنه من الأمور مثل الأوزار وهى الأحمال ، قال الله عز وجل (وَلٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ القَوْمِ) أى أحمالا من حليهم ، ولهذا قيل للإثم : وزر ، شُبِّهَ بالحمل على الظهر ، قال الله تبارك وتعالى (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) .

وكان الناس يستحسنون لأبى نواس قوله

يا كاتبا كتب الغداة يسُبّنى * من ذا يطيق براعة الكُتّاب
لم ترض بالإعجام حين سببتنى * حتى شكلت عليه بالإعراب
وأردت إفهامى فقد أفهمتنى * وصدقت فيما قلت غيرَ مُحابِى

وقال آخر

ياكاتبا تنـثُر أقلامه * من كفه دُرًا على الأسطر

وقال عَدِىّ بن الرِّقاع

صلى الاله على امرئ ودَّعتُه * وأتم نعمته عليـه وزادها

ومنه أخذ الكُتّاب : وأتم نعمته عليك وزاد فيها عندك .

وقال حاتم طيئ فى معنى قولهم مُتُّ قبلك

إذا ما أتى يوم يفـرِّق بيننا * بموت فكن أنت الذى تتأخر

وقال جرير فى معناه

رُدّى فؤادى وكونى لى بمنزلتى * يا قبل نفسك لاقى نفسىَ التلَفُ

كتب بعض الملوك الى بعض الكُتّاب كتابا دعا له فيه بأمتع الله بك ، فكتب اليه ذلك الكاتب

أحُلْتَ(١) عما عهِدتُ من أدبك * أم نلتَ مُلكا فتهت فى كتبكْ
أم هل ترى أن فى التواضع للإخوان نقصا عليك فى حسَبك
أم كان ما كان منك عن غضب * فأىُّ شىء أدناك من غضبك
إنّ جَفاء كتَابِ ذى مِقة * يُكتب فى صدره : وأمتع بك

وقال الأصمعى فى البرامكة

إذا ذُكِر الشركُ فى مجلس * أنارت وجوه بنى بَرْمَك
وإن تُليت عندهم آية * أتوا بالأحاديث عن مروك(٢)

وقال آخر

إن الفَراغ دعانى * الى ابتناء المساجدْ
وإن رأيى فيها * كرأى يحيى بن خالد

مرّ عبد الله بن المقفّع ببيت النار، فقال

يا بيت عاتكة الذى أتعزّل * حذَرَ العدا وبه الفؤاد موكّل

وقال دِعبِل فى أبى عبّاد

أوْلَى الأمور بضَيعةٍ وفساد * أمر يدبّره أبو عبّاد
حنِق على جلسائه بدواته * فمرمّل ومضمّخ بمداد
وكأنه من دَيرِ هِزْقِلَ مُفلتٌ * حَرِدٌ يجرّ سلاسل الأقياد

---

(١) هذا ما كتبه عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم . أنظر هذا الشعر ورد ابن الزيات عليه فى العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٤

(٢) كذا بالأصلين الفتوغرافى والألمانى وهو محرف عن "مزدك" واليه ينسب المزدكية ، وقد خرج فى أيام قباذ بن فيروز فبدّل شريعة زرادشت واستحلّ المحارم وسوّى بين الناس فى الأموال والنساء والعبيد فكثر أتباعه وعظم شأنه وتبعه قباذ نفسه ولم يزل كذلك حتى ولى كسرى أنوشروان فقتله وأباد أتباعه اه باختصار عن ابن الأثير . وقد ورد البيتان فى البيان والتبيين للجاحظ .

خيانات العمال

حدّثنا إسحاق بن راهوَيه قال: ذُكر لنا أن امرأة من قريش كان بينها و بين رجل خصومة فأراد أن يخاصمها الى عمر فأهدت المرأة الى عمر فخذ جزور ثم خاصمته اليه فوجّه القضاء عليها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، افصل القضاء بيننا كما يُفصل فخذ الجزور . فقضى عليها عمر وقال : إياكم والهدايا . وذكر القصة .

قال إسحاق : كان الحجـاج استعمل المغيرة بن عبيد الله الثقفى على الكوفة فكان يقضى بين الناس، فأهدى اليه رجل سراجا من شَبَهٍ(١) وبلغ ذلك خصمه فبعث اليه ببغلة . فلما اجتمعا عند المغيرة جعل يحمل على صاحب السراج وجعل صاحب السراج يقول : إن أمرى أضوأ من السراج . فلما أكثر عليه قال: ويحك إن البغلة رمحت السراج فكسرته .

حدّثنا إسحاق قال حدّثنا رَوْح بن عُبادة قال حدّثنا حمّاد بن سَلَمة عن الجريرى(٢) عن أبى نَضْرة عن الربيع بن زياد الحارثى أنه وفد الى عمر فأعجبته هيئته ونحوه، فشكا عمر طعاما غليظا يأكله . فقال الربيع : يا أمير المؤمنين، إن أحق الناس بمطعم طيّب وملبَس ليّن ومركَب وَطىء لأنت . فضرب رأسه بجريدة وقال : والله ما أردتَ بهذا إلا مقاربتى، وإن كنتُ لأحسب أن فيك خيرا . ألا أخبرك بمثلى ومثل هؤلاء، إنمـا مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم الى رجل منهم وقالوا أنفقها علينا . فهل له أن يستأثر عليهم بشىء؟ قال الربيع : لا .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا سفيان بن عُيَينة عن ابن أبى نَجيح قال: لمـا أُتِى عمر بتاج كسرى وسِوَارَيه جعـل يقلبه بعود فى يده ويقول : والله إن الذى أدى

(١) النحاس الأصفر . (٢) كذا بالأصل غير مضبوط، ولعله الجريرى بصيغة التصغير وهو سعيد ابن إياس الجريرى، فقد جاء فى تهذيب التهذيب وفى الأنساب للسمعانى أن من جملة من روى عنه الحمّادان : حماد بن سلمة وحماد بن زيد .

الينا هذا لأمين . فقال رجل : يا امير المؤمنين أنت أمين الله يؤدّون اليك ما أدّيت الى الله فاذا رتَعت رتَعوا . قال : صدقت .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعى قال : لما أُتى علىٌ عليه السلام بالمال أقعد بين يديه الوزّان والنقّاد فكوّم كُومةً من ذهب وكومة من فضــة وقال : يا حمراء ويا بيضاء احمرّى وابيضّى وغُرّى غيرى . وأنشد

هــذا جَنَاىَ وخيارُه فيه * اذ كل جانٍ يدُه الى فيه

حدّثنى محمــد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن إسماعيل بن أبى خالد عن عاصم قال : كان عمر بن الخطاب اذا بعث عاملا يشترط عليــه أربعا : ألّا يركب البراذين ، ولا يلبس الرقيق ، ولا يأكل النقى ، ولا يتخذ بوابا . ومر ببناء يبنى بحجارة وجَصّ فقال : لمن هذا ؟ فذكروا عاملا له على البحرين فقال : «أبت الدراهم إلا أن تُخرج أعناقَها» وشاطره ماله . وكان يقول : «لى على كل خائن أمينان الماء والطين» .

حدّثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدّثنا قريش بن أنس عن سعيد عن قتادة قال : جاء كتاب عمر بن عبد العزيز الى واليه : أن دَعْ لأهل الخراج من أهل الفرات ما يتختمون به الذهب ويلبسون الطيالسة ويركبون البراذين وخذ الفَضْل .

حدّثنا محمد بن عبيد عن هَوْذة(1) عن عوف عن ابن سيرين [وإسحاق(2) عن النضر بن شُميل عن ابن عون عن ابن سيرين] بمعناه قال : لمـا قدم أبو هريرة من البحرين قال له عمر : يا عدوّ الله وعدوّ كتابه ، أسرقت مال الله؟ قال أبو هريرة لست بعدوّ الله

(١) فى النسخة الفتوغرافية : "حميد" والاسمان واردان معا فى تهذيب الكمال فى أسماء الرجال . وليس فى ترجمة أحدهما من يروى عن هَوْذة هذا ، ولعل رواية الألمانية هى الصواب حيث تقدم كثيرا أن ابن قتيبة يروى عن محمد بن عبيد هذا . (٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

ولا عدوّ كتابه ولكنى عدوّ من عاداهما ولم أسرق مال الله . قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم ؟ قال : خيلى تناسلت وعطائى تلاحق وسهامى تتابعت فقبضتها منه . قال أبو هريرة : فلما صليت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين ثم قال لى عمر بعد ذلك : ألا تعمل؟ فقلت : لا . قال : قد عمل من هو خير منك يوسف . فقلت يوسف نبىّ ابن نبىّ وأنا ابن أُمَيمة(١) أخشى ثلاثا واثنتين . قال فهـلا قلت خمسا ؟ قلت : أخشى أن أقول بغير علم ، وأحكم بغير حلم ، وأخشى أن يُضرب ظهرى ، ويشتم عرضى ، وينتزع مالى .

حدّثنا محمد بن داود عن نصر بن قُديد عن إبراهيم بن المبارك عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن أبى بُردة وهو أمير البصرة فقال : أيهـا الأمير ، إنى قرأت فى بعض الكتب : «من أحمقُ من السلطان ومن أجهل ممن عصانى ومن أعزّ(٢) ممن أعزّنى . أيا راعى السوء دفعتُ إليـك غنما سِمانا صِحاحا فأكلتَ اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمْن ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع» .

حدّثنى محمد بن شَبَابة عن القاسم بن الحكم العُرَنى القاضى قال حدّثنى اسماعيل ابن عيّاش عن أبى محمد القرشى عن رَجَاء بن حَيْوة عن ابن مَخْرمة(٣) قال : إنى لتحت منبر عمر بن الخطاب رضى الله عنـه بالجابية حين قام فى النـاس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أيها الناس ، اقرءوا القرآن تُعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله . إنه لن يبلغ ذو حق فى حقه أن يطاع فى معصية الله . ألا إنه لن يبعِّد من رزق الله ولن يقرِّب من أجلٍ أن يقول المرء حقا وأن يذكّر بعظيم . ألا و إنى ما وجدت صلاح ما ولّانى الله إلا بثلاث : أداء الأمانة ، والأخذ بالقوة ، والحكم بما أنزل الله . ألا و إنى ما وجدت

(١) اسم أم أبى هريرة . (٢) فى النسخة الالمـانية : ومن أغرّ ممن اغترّبى .
(٣) فى الالمـانية : "مخرمة" ولعل الصواب مافى الفتوغرافية حيث ذكر فى ترجمة رجاء بن حيوة ان من شيوخه المسور بن مخرمة .

صلاح هذا المـال إلا بثلاث : أن يؤخذ من حق ، ويعطى فى حق ، ويمنع من باطل . ألا وإنما أنا فى مالكم هذا كوالى اليتيم إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تَقَرُّمَ البَهْمِة» .

بلغنى عن محمد بن صالح عن بكر بن خُنَيس عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: «كان زياد اذا ولى رجلا قل له : خذ عهدَك وسِرْ الى عملك واعلم أنك مصروفٌ رأسَ سنتك وأنك تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك : إنا إن وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلّمتك من معرّتنا أمانتـك ، وان وجدناك خائنا قويا استهنّا بقوّتك وأحسنّا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك، وإن جمعت علينا الجُرْمين جمعنا عليك المضرّتين، وإن وجدناك أمينا قويا زدناك فى عملك ورفعنا لك ذكرك وكثّرنا مالك وأوطأنا عقبك» .

قال العتبى : بُعث الى عمر بحلل فقسمها فأصاب كل رجل ثوب فصعد المنبر وعليه حُلة ، والحلة ثوبان ، فقال: أيها الناس ألا تسمعون . فقال سلمان: لا نسمع . قال: ولم يا أبا عبد الله؟ قال: لأنك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك حلة . قال: لا تعجل يا أبا عبد الله . ثم نادى يا عبد الله فلم يجبه أحد، فقال : يا عبد الله بن عمر . قال: لبيك يا أمير المؤمنين . قال: نشدتك بالله، الثوب الذى اتَّزرتُ(*) به هو ثوبك؟ قال: اللهم نعم . فقال سلمان رضى الله عنه : أما الآن فقل نسمعْ .

بلغنى عن حفص بن عِمران الرازى عن الحسن بن عُمارة عن المِنْهال بن عمرو قال: قال معاوية لشداد بن عمرو بن أوس: قم فاذكر عليا فتنقّصه فقام شدّاد فقال: «الحمد لله

(*) كذا بالأصل ، وفى القاموس : واتزر به وتأزر به ولا تقل اتزر وقد جاء فى بعض الأحاديث ولعله من تحريف الرواة اه . وفى النهاية لابن الاثير انه خطأ لان الهمزة لا تدغم فى التاء . وفى التاج : وقال المطرزى انه لغة عامية ثم نقل عن الصاغانى انه يجوز أن تقول اتزر بالمئزر أيضا فيمن يدغم الهمزة فى التاء كما يقال اتّمنه والأصل ائتمنه .

الذى افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى آثر من رضا غيره . على ذلك مضى أولهم وعليه يمضى آخرهم . أيها النـاس إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، وإن الدنيا عَرَض حاضر يأكل منهـا البرّ والفاجر، وإن السامع المطيع لاحجة عليـه وإن السامع العاصى لا حجة له . وإن الله جل وعز إذا أراد بالنـاس صلاحا عمّل عليهم صلحاءهم وقضّى بينهم فقهاءهم وجعل المـال فى سُمحائهم ، وإذا أراد بالعباد شرا عمّـل عليهم سفهاءهم وقضّى بينهم جهلاءهم وجعل المـال عنـد بخلائهم . وإن من صلاح الولاة أن يصلح قرناؤها . نصحك يا معاوية من أسخطك بالحق وغشّك من أرضاك بالباطل » فقال له معاوية : اجلس . وأمر له بمـال ، وقال : ألستُ من السمحاء ؟ فقال : إن كان مالك دون مال المسـلمين تعمّدتَ جمعه مخافة تبعته فأصبته حلالا وأنفقته إفضالا ، فنعم . وإن كان مما شاركك فيـه المسلمون فاحتجتَه دونهم، أصبتَه اقترافا وأنفقته إسرافا ، فان الله عز وجل يقول (إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ ٱلشَّيَاطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) .

مرّ عمرو بن عُبيد بجماعة عُكوفٍ، فقال ما هذا؟ قالوا : سارق يقطع . فقال : لا إله إلا الله، سارق السر يقطعه سارق العلانية! .

ومر طارقٌ صاحب شُرْطة خالد القسرى بابن شبرمة ،وطارق فى موكبه فقال ابن شبرمة

أراها وإن كانت تُحَبُّ كأنهـا * سحابةُ صيف عن قريب تَقَشَّعُ

اللهم لى دينى ولهم دنياهم . فاستُعمل ابن شبرمة بعـد ذلك على القضاء، فقال له ابنه : أتذكر يومَ مرّ بك طارقٌ فى موكبه وقلت ما قلت ؟ فقال : يا بُنى، إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد مثلَهم أبوك . إن أباك أكل من حلوائهم وحط فى أهوائهم .

ولى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينـة سنتين فأحسن السيرة وعفّ عن أموال الناس ثم عزل فاجتمعوا اليه فأنشد لدرّاج الضِّبابى .

فلا السجن أبكانى ولا القيد شفّنى * ولا أننى من خشية الموت أجزع
ولكن أقواما أخاف عليهم * إذا متُّ أن يُعطوا الذى كنت أمنع

ثم قال : والله ما أسفت على هذه الولاية ولكنى أخشى أن يلىَ هذه الوجوه من لا يرعى لها حقها .

ووجدت فى كتاب لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه الى ابن عباس حين أخذ من مال البصرة ما أخذ : « إنى أشركتك فى أمانتى ولم يكن رجل من أهلى أوثق منك فى نفسى ، فلما رأيتَ الزمان على ابن عمك قد كلِب ، والعدوّ قد حَرِب قلبتَ لابن عمك ظهرَ المِجَنّ بفراقه مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين واختطفتَ ما قدرت عليه من أموال الأمة اختطاف الذئب الأزلّ داميةَ المِعْزى » وفى الكتاب : « ضَحِّ (*) رويدا فكأنْ قد بلغتَ المدى وعُرِضتْ عليك أعمالك بالمحل الذى به ينادِى المغترّ بالحسرة ويتمنى المضيّعُ التوبةَ والظالم الرجعةَ » .

وفى كتاب لعمر بن عبد العزيز الى عدىّ بن أرطاة : « غرّنى منك مجالستُك القرّاءَ وعمامتُك السوداء فلما بلَوْناك وجدناك على خلاف ما أمّلناك ، قاتلكم الله ! أما تمشون بين القبور! » .

قال ابن أحمر يذكر عمال الصدقة

إن العِياب التى يُخْفون مُشْرَجة * فيها البيان ويُلْوَى عندك الخبر
فابعث اليهم فحاسبهم محاسبة * لا تخفَ عين على عين ولا أثر
هل فى الثمانى من السبعين مَظْلمة * وربّما بكتاب الله مصطبِر

وقال عبد الله بن همّام السّلولى

أقِلى علىّ اللوم يا أم مالك * وذُمّى زمانا ساد فيه القَلاقِسُ

(*) ضحّ من ضحّيت الغنم اذا رعيتها فى الضحى ، أى ارع نفسك على مهل فانما أنت على شَرَف الموت .

وساعٍ مع السلطان ليس بناصح * و"محترس من مثله وهو حارس"(*)

قدم بعض عمّـال السلطان من عمل فدعا قوما فأطعمهم وجعل يحـدّثهم بالكذب ، فقـال بعضهم : نحن كما قال الله عزّ وجل (سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكّالُونَ لِلسُّحْتِ) . قال بعض الشعراء

ما ظنُّكم بأناس خـــيرُ كسبهم * مصرَّحُ السحتِ سمَّوْه الإصاباتِ

وقال أبو نواس فى إسماعيل بن صَبيح

بنيتَ بمـا خنتَ الامام سِقَاية * فلا شربوا إلا أمرَّ من الصبر

فما كنتَ إلا مثلَ بائعة آستها * تعودُ على المَرْضَى به طلبَ الأجرِ

يريد معنى الحديث أن آمرأة كانت فى بنى إسرائيل تزنى بحَبّ الرمّان وتتصدّق به على المرضى .

وقال فيه أيضا لمحمد الأمين

ألست أمينَ الله ســيفك نِقْمة * اذا ماق يوما فى خلافك مائق

فكيف باسماعيل يُسْــلِم مثلُه * عليكَ ولم يُسْــلِم عليكَ منافقُ

أُعيذك بالرحمن من شرّ كاتب * له قــلم زانٍ وآخرُ سارق

وقال فيه أيضا

ألا قلْ لاسماعيل إنك شارب * بكأس بنى ما هانَ ضَرْبةَ لازم

أتُسْمِنُ أولادَ الطرِيد ورَهطَه * بإهزال آل الله من نسل هاشم

وتخـبرُ من لاقيت أنك صائم * وتغــدو بفرج مُفْطر غير صائم

فإن يَسْرِ إسماعيــلُ فى بَخْرَاته * فليس أمـــيرُ المؤمنين بنـائم

ولى حارثةَ بن بدر "سُرَّق" فكتب اليه أنس الدؤلى

أحارِ بنَ بدر قد وليتَ ولايةً * فكن جُرَذًا فيهـا تخون وتسرق

(*) مثل يضرب للرجل يؤتمن على حفظ شىء لا يؤمن أن يخون فيه ، كما فى لسان العرب .

وبارِ تميما بالغنى إن للغنى * لسانا به المرء الهَيُوبَةُ ينطق
فان جميع الناس إما مكذِّب * يقول بما يهوى وإما مصدِّق
يقولون أقوالا ولا يعلمونها * وإن قيل هاتوا حقِّقوا لم يحقّقوا
ولا تحقِرَنْ يا حارِ شيئا أصبتَه * فحظُّك من مُلك العراقين سُرَّقُ

فلما بلغت حارثة قال : لا يعمى عليك الرشد .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن جُوَيْرِية بن أسماء قال، قال فلان : «إن الرجل ليكون أمينا فاذا رأى الضِّياع خان» .

قرأت فى كتاب أبرويز الى ابنه شيرويه : «اجعل عقوبتك على اليسير من الخيانة كعقوبتك على الكثير منها، فاذا لم يُطمع منك فى الصغير لم يُجترأ عليك فى الكبير . وأبْرِد البريد فى الدرهم ينقُص من الخراج، ولا تعاقبن على شىء كعقوبتك على كسره ولا ترزقنّ على شىء كرزقك على إزجائه، واجعل أعظم رزقك فيه وأحسن ثوابك عليه حقنَ دم المزجى وتوفير ماله من غير أن يعلم انك أحمدتَ أمره حين عفّ واعتصم من أن يهلك» .

وقرأت فى التاج أن أبروَيز قال لصاحب بيت المال : «إنى لا أحتملك على خيانة درهم ولا أحمدك على حفظ ألف ألف درهم، لأنك إنما تحقِنُ بذلك دمك وتعمُر به أمانتك فانك إن خنت قليلا خنت كثيرا . واحترس من خصلتين : النقصان فيما تأخذ، والزيادة فيما تعطى . واعلم أنى لم أجعل أحدا على ذخائر المُلك وعمارة المملكة والعُدّة على العدوّ إلا وأنت آمنُ عندى من موضعه الذى هو فيه وخواتيمه التى هى عليها، فحقق ظنى فى اختيارى إياك أحقق ظنك فى رجائك لى، ولا تتعوض بخير شرا ولا برفعة ضَعة ولا بسلامة ندامة ولا بأمانة خيانة» . وكان يقال : «كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة» .

قدم مُعاذ من اليمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضى الله عنه فقال له : ارفع حسابك . فقال : أحسابان، حساب من الله وحساب منكم؟ لا والله لا ألي لكم عملا أبدا .

ذكر أعرابي رجلا خائنا فقال : إن الناس يأكلون أماناتهم لُقَمًا وإن فلانا يَحْسُوها حَسْوا .

قال بعض السلاطين لعامل له : « كل قليلا تعمل طويلا وآلزم العفاف يلزمك العمل، وإياك والرُّشَا يشتد ظهرك عند الخصام » .

القضـاء

حدّثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا بِشْر بن المفضَّل بن لاحق قال حدّثنا المغيرة ابن محمد عن عمر بن عبد العزيز قال : « لا ينبغي للرجل أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال : يكون عالما قبل أن يستعملَ، مستشيرا لأهل العلم، ملقيا للرَّثَع[1]، منصفا للخصم، محتملا[2] للائمة » .

حدّثني علي بن محمد قال حدّثنا اسماعيل بن اسحاق الأنصاري عن عبد الله بن لَهِيعة عن عبد الله بن هُبَيرة عن علي عليه السلام أنه قال : «ذمتي رهينة وأنا به زعيم لمن صرحت له العِبَرَ ألّا يهلك[3] على التقوى زرعُ قوم ولا يظمأ على التقوى سِنْخ أصل . ألا وإن أبغض خلق الله الى الله رجل قَمَش جهلا غارًا بأغباش الفتنة عَميًا بما في عقد الهدنة[4] سماه أشباهه من الناس عالما ولم يُغْنِ في العلم يوما سالما . بَكَّرَ

(١) الحرص والطمع . (٢) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وصوابه « مقتديا بالأئمة » وقد ورد هذا الأثر في العقد الفريد وفي البيان والتبيين بما نصه : اذا كان في القاضي خمس خصال فقد كمل : علم ما كان قبله، ونزاهة عن الطمع، وحلم عن الخصم، واقتداء بالأئمة، ومشاورة أهل الرأى .

(٣) في النسختين الألمانية والفتوغرافية، «يهيج» والتصويب عن نهج البلاغة .

(٤) في الاصلين « عيب » والتصويب عن نهج البلاغة .

فاستكثر، ما قلّ منه فهو خير مما كثر حتى اذا ما ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل قعد بين الناس قاضيا لتخليص ما التبس على غيره، إن نزلت به إحدى المبهمات هيأ حشوا رثًّا(*) من رأيه، فهو من قَطْع الشبهات فى مثل غزل العنكبوت. لا يعلم اذا أخطأ، لأنه لا يعلم أأخطأ أم أصاب. خبّاط عَشَوات ركّاب جهالات. لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يَعَضّ فى العلم بضرس قاطع. يَذْرو الرواية ذَرْو الريحِ الهشيمَ، تبكى منه الدماء وتصرُخ منه المواريث ويستحلّ بقضائه الفرج الحرام. لا مَلِيءٌ والله باصدار ما ورد عليه ولا أهلٌ لما قُرِّظ به»

قال ابن شبرمة

ما فى القضاء شفاعة لمخاصم * عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أهونْ علىّ اذا قضيتُ بسنة * أو بالكتاب برَغْم أنف الراغم
وقضيت فيما لم أجد أثرا به * بنظائر معروفة ومعالم

الهَيْثم عن ابن عيّاش عن الشَّعْبى قال: كان اول قاض قضى لعمر بن الخطاب بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلى، ثم شهد القادسية وكان قاضيا بها، ثم قضى بالمدائن، ثم عزله عمر واستقضى شُرَحْبِيل على المدائن، ثم عزله واستقضى أبا قُرَّة الكندى وهو اسمه فاختط الناس الكوفة وقاضيهم أبوقرة. ثم استقضى شريحَ بن الحارث الكندى فقضى خمسا وسبعين سنة إلا أن زيادا أخرجه مرة الى البصرة واستقضى مكانه مسروقَ بن الأجدع سنة حتى قدم شريح فأعاده ولم يزل قاضيا حتى أدرك الفتنة فى زمن ابن الزبير فقعد ولم يقض فى الفتنة. فاستقضى عبدالله بن الزبير رجلا مكانه ثلاث سنين فلما قتل ابن الزبير أعيد شريح على القضاء فلقى رجل شريحا فى الطريق فقال: يا أبا أمية قضيت والله بجور، قال: وكيف ذاك؟ ويحك! قال: كثرتْ

(*) فى الأصلين «رأيا» والتصويب عن نهج البلاغة.

سنُّك واختلط عقلك وارتشى ابنك، فقال [شريح لا جرم](*) لا يقولها أحد بعدك . فأتى الحجاج فقال : والله لاأقضى بين اثنين . قال : والله لا أعفيك أو تبغينى رجلا. فقال شريح : عليك بالعفيف الشريف أبى بردة بن أبى موسى . فاستقضاه الحجاج وألزمه سعيدَ بن جُبَير كاتبا ووزيرا .

وروى الثورى عن علقمة بن مَرْثَد أنه لقى محاربَ بن دِثار وكان على القضاء فقال له : يامحارب، الى كم تردّد الخصوم؟ فقال له : إنى والخصوم كما قال الأعشى

أرقتُ وما هذا السُّهاد المؤرِّق * وما بى من سقم وما بى مَعْشَق
ولكن أرانى لا أزال بحادث * أغادَى بما لم يُمْسِ عندى وأطرَق

حدّثنى إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب ابن الشهيد قال : كنت جالسا عند إياس بن معاوية فأتاه رجل فسأله عن مسألة فطوّل فيها ، فقال إياس : إن كنت تريد الفُتْيا فعليك بالحسن معلمى ومعلم أبى ، وإن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يَعْلَى — وكان على قضاء البصرة يومئذ — وإن كنت تريد الصلح فعليك بحُمَيد الطويل، وتدرى ما يقول لك ؟ يقول لك : حُطّ شيئا ، ويقول لصاحبك : زده شيئا حتى نصلح بينكما ، وإن كنت تريد الشغب فعليك بصالح السَّدُوسى ، وتدرى مايقول لك ؟ يقول لك : اجحد ما عليك ، ويقول لصاحبك : ادّعِ ما ليس لك وادّعِ بيّنةً غُيَّبًا .

قرأت فى الآيين : « ينبغى للحاكم أن يعرف القضاءَ الحقَّ العدل والقضاءَ العدل غير الحق والقضاء الحق غير العدل ويقايس بتثبّت وروية ويتحفّظ من الشبهة» . والقضاء الحق العدل عندهم قتل النفس بالنفس، والقضاء العدل غير الحق قتل الحر بالعبد، والقضاء الحق غير العدل الدية على العاقلة .

(*) زيادة عن النسخة الألمانية .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن أخى الأصمعى قال حدثنى عمى الأصمعى قال قال أعرابى لقوم يتنازعون : هل لكم فى الحق أو فيما هو خير من الحق ؟ فقيل : وما يكون خيرا من الحق؟ قال : التحاطّ والهَضْم فان أخذ الحق كله مُرّ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال: اختلف رجلان فى شىء فحكّما رجلا له فى المخطئ هوى، فقال للمخطئ : من يقول بقولك أكثرُ .

الهيثم بن عدى قال : تقدّمت كُلْثُم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وأخوها الوليد الى عبد الملك بن عُمَير وهو قاضى الكوفة ، وكان ابنه عمرو بن عبد الملك يُرمى بها فقضى لها، فقال هُذَيل الأشجعى

أتاه رفيق بالشهود يسوقهم * على ما ادّعَتْ من صامت المال والخَوَلْ
فأدلى وليدٌ عند ذاك بحقّه * وكان وليد ذا مراء وذا جَدَلْ
ففتّنت القبطىَّ حتى قضى لها * بغير قضاء الله فى السُّوَر الطُّوَلْ
فلو كان من فى القصر يعلم علمَه * لما استُعمِل القبطىُّ فينا على عملْ
له حين يقضى للنساء تَخَاوُصٌ * وكان وما منه التخاوصُ والحَوَلْ
إذا ذاتُ دلٍّ كلمته لحاجة * فهمَّ بأن يقضى تنحنح أو سَعَلْ
[وبرّق عينيه ولاك لسانَه * يرى كل شىء ما خلا شخصَها جَلَلْ][1]

فكان عبدالملك بن عمير يقول: والله لربما جاءتنى السعلة أو التنحنح وأنا فى المتوضّأ فأكفّ عن ذلك .

وقال ابن مناذر[2] فى خالد بن طَليق وكان قد ولى قضاء البصرة :

قل لأمير المؤمنين الذى * من هاشم فى سرّها واللبابْ

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٢) فى القاموس : وابن مناذر ويضم فيصرف شاعر بصرى لأنه محمد بن المنذر بن المنذر بن المنذر. وفى الأغانى أنه اذا قيل له ابن مناذر بفتح الميم يغضب ثم يقول أمناذر الصغرى أم مناذر الكبرى وهما كورتان من كور الأهواز . انما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر فهو مناذر مثل ضارب فهو مضارب وقاتل فهو مقاتل .

إن كنت للسّــخْطة عاقبتنا * بخالد فهو أشــدّ العقابْ
كان قضاةُ الناس فيما مضى * من رحمة الله وهذا عذابْ
ياعجبًــا من خالد كيف لا * يخطئ فُتْيًا مرّةً بالصوابْ

وقال فيه

جُعِــل الحــاكم يا للنّــ*ـاس من آل طَليق
مُضحِــكَةً يحكم فى النــا * س برأى الجاثليــق (١)
أىُّ قاض أنت فى النقـــ*ـــص وتعطيل الحقوق
يا أبا الهيـــثم ما أنـــ*ـــت لهـــذا بخليــقٍ
لا ولا أنت لمــا حُمّـــ*ـــلتَ منـــه بمُطيــقٍ

أراد عدىُّ بن أرطاة بكرَ بن عبد الله المزنى على القضاء فقال له بكر: والله ما أحسن القضاء، فان كنتُ كاذبا أو صادقا فما يحلّ لك أن توليني .

وروى عبد الرزاق عن معمر قال : لمــا عُزل ابن شُــبرُمة عن القضاء قال له والى اليمن : اختر لنا رجلا نوليــه القضاء . فقال له ابن شــبرمة : ما اعرفه . فذُكر له رجل من أهل صنعاء فأرسل اليه فجاء ، فقال له ابن شبرمة : هل تدرى لم دُعيت؟ قال : لا . قال : إنك قد دعيت لأمر عظيم، للقضاء . قال: ما أيسر القضاء! فقال له ابن شبرمة : فنسئلك عن شىء يسير منه ، قال : سل . قال له ابن شبرمة : ماتقول فى رجل ضرب بطنَ شاة حامل فألقت مافى بطنها ؟ فسكت الرجل، فقال له ابن شبرمة : [إنا بلوناك(٢) فما وجدنا عندك شيئا . فقيل له : ما القضاء فيها؟ قال ابن شبرمة] تُقوَّم حاملا وتُقوَّم حائلا ويغرم قدرَ ما بينهما .

---

(١) فى القاموس : الجاثليق بفتح الثاء المثلثة رئيس النصارى فى بلاد الاسلام بمدينة السلام . قال صاحب التاج وهو المعروف الآن بالقتل كقنفذ . (٢) زيادة فى النسخة الالمانية .

حدّثنى عبد الله بن محمد الخَلَنجى (*) قال : كان يحيى بن أكثم يمتحن من يريدهم للقضاء ، فقال لرجل : ما تقول فى رجلين زوّج كل واحد منهما الآخر أمّه فولد لكل واحد من امرأته ولد، ماقرابةُ مابين الولدين؟ فلم يعرفها ، فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عمّ الآخر لأمه .

ودخل رجل من أهل الشام على عبد الملك بن مروان فقال : إنى تزوجت امرأة وزوجت ابنى أمّها ولا غنى بنا عن رِفدك. فقال له عبد الملك : إن أخبرتنى ماقرابةُ مابين أولادكما اذا أَولدتما ، فعلتُ . قال : يا أمير المؤمنين ، هذا حميد بن بحدل قد قلدتَه سيفك ووليته ما وراء بابك فسله عنها، فان أصاب لزمنى الحِرمان، وإن أخطأ اتسع لى العذر . فدعا بالبحدلى فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين، إنك ما قدمتنى على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالرّماح، أحدهما عمّ الآخر والآخر خاله .

قال ابن سيرين : كنا عند أبى عبيدة بن أبى حذيفة فى قُبّــة له وبين يديه كانُون له فيه نار فجاءه رجل فجلس معه على فِراشه فسارّه بشىء لا ندرى ما هو، فقال له أبو عبيدة : ضَع لى إصبعك فى هذه النار . فقال له الرجل : سبحان الله! تأمرنى أن أضع لك أصبعى فى هــذه النار ! فقال له أبو عبيدة : أتبخل علىّ بأصبع من أصابعك فى نار الدنيا وتسئلنى أن أضع لك جسدى كله فى نار جهنم ! قال : فظننا أنه دعاه الى القضاء .

كان يقال : «ثلاث إذا كنّ فى القاضى فليس بكامل : إذا كره اللوائم، وأحبَّ المحامد، وكره العزلَ . وثلاث إذا لم تكن فيه فليس بكامل: يشاور وإن كان عالمـا ، ولا يسمع شكيّة من أحد حتى يكون معه خصمه ، ويقضى إذا علم» .

(*) فى النسخة الفتوغرافية : «عبد الرحمن» وفى أنساب السمعانى ما يؤيد رواية الألمانية .

قالوا : « ويحتاج القاضى الى العـــدل فى لحظه ولفظه وقعود الخصوم بين يديه وألا يقضى وهو غضبان ولا يرفع صوته على أحد الخصمين مالا يرفعه على الآخر » .

قال الشـــعبى : حضرت شُرَيحا ذات يوم وجاءته امرأة تخاصم زوجها فأرسلت عينيها فبكتْ فقلت : يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة . فقال : ياشعبى ، إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون .

بلغنى عن كَثير بن هشام عن جعفر بن بُرقان قال : كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الأشعرى كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس . سلام عليك ، أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم اذا أُدلى اليك فانه لا ينفع تكلُّم بحق لانفاذ له . آسِ بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمَع شريف فى حَيْفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . البيّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين الناس إلا صلحا أحل حراما أو حرّم حلالا ، ولا يمنعنّك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهُديت لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق لا يبطله شىء . واعلم أن مراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهمَ الفهمَ فيما يتلجلج فى صدرك ممـا ليس فيه قرآن ولا سنة ، واَعرف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور عنـد ذلك ثم اعمد لأحبّها الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى . اجعل لمن ادّعى حقا غائبا أمدا ينتهى اليه فان أحضر بينة أخذ بحقه وإلا استحللتَ عليه القضاء . والمسلمون عدول فى الشهادة إلا مجلودا فى حدّ أو مجرّبا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو قرابة . إن الله تولّى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات . وإياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر، فانه من صلَحتْ سريرته فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزيّن للدنيا بغير مايعلم الله منه شانه الله ، والسلام» .

وقال سَلَمة بن الخُرْشُب لسُبَيع التغلبي في شأن الرُّهُن التي وضعت على يديه في قتلى عَبْس وذُبْيان .

أبلغ سُبَيعا وأنت سيدنا * قِدْما وأوفى رجالنا ذمَما
أن بَغِيضا وأن إخوتها * ذُبْيان قد ضرّموا الذي اضطرما
نُبِّئتُ أن حكّموك بينهم * فلا تقولنّ بئس ما حكما
إن كنت ذا عِرْفة بشأنهم * تعرفُ ذا حقّهم ومن ظَلَما
وتُنزل الأمر في منازله * حكما وعلما وتحضر الفَهَمَا
فاحكم فأنت الحكيم بينهم * لن يعدَموا الحقّ باردا صَتَمَا
واَصدعْ أديمَ السواء بينهم * على رضا من رضِى ومن رَغِما
إن كان مالا فمثل عِدّته * مالٌ بمال وإن دمًا فدمَا
هذا وإن لم تُطِق حكومتَهم * فانبذْ إليهم أمورَهم سَلَمَا

وأنشد عمر بن الخطاب شعر زهير بن أبي سلمى، فلما بلغ قوله

فإن الحق مقطعه ثلاث * يمينٌ أو نفارٌ أو جلاءُ

جعل عمر يتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ويقول : لا يخرج الحق من إحدى ثلاث إما يمين أو محاكمةٌ أو حجةٌ .

وقال ابن أبي ليلى الفقيه في عبد الله بن شبرمة

وكيف ترجِّى لفصل القضاء * ولم تصب الحكم في نفسكا
وتزعم أنك لابن الجُلَاح * وهيهات دعواك من أصلكا

عبد الله بن صالح العِجْلي قال : خرج شريك وهو على القضاء يتلقى الخَيْزُران وقد أقبلت تريد الحج، فأتى، "شاهِيَ" فأقام بها ثلاثا ولم تُوَافِ فخفّ زاده وما كان معه من الخبز فجعل يبلّه بالماء ويأكله بالملح، فقال العَلَاء بن المِنْهال الغَنَوِى

فان كان الذى قد قلت حقا * بأن قد أكرهوك على القضاء
فما لك مُوضِعًا فى كل يوم * تَلقّى من يحجّ من النساء
مقيما فى قرى شَاهِى ثلاثا * بلا زاد سوى كِسَر وماء
يزيد الناسُ خيرا كلّ يوم * فترجع ياشريك الى وراء

وقال فيه أيضا

فليت أبا شريك كان حيا * فيُقْصِر حين يبصره شريكُ
ويترك من تدرّيه علينا * اذا قلنا له هـذا أبوكَ(١)

وأنشد لبعض الشعراء فى بعض الحكام

أبكى وأندب بهجة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكّام
إن الحوادث ماعلمتُ كثيرة * وأراك بعض حوادث الأيام

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنى القاسم بن الفضل قال حدّثنى رجل من بنى جرير أن رجلا منهم خاصم رجلا الى سَوّار بن عبد الله فقضى على الجريرى، فمر سَوّار ببنى جرير فقام اليه الجريرى فصرعه وخنقه وجعل يقول

رأيتُ أحلاما فعبّرتُها * وكنتُ للأحلام عبّارا
رأيتُنى أخنق ضبًّا على * جُحْر وكان الضبُّ سَوّارا

فى الشهادات

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعى قال لى أيوب(٢) : إن من أصحابى من أرجو دَعْوته ولا أُجيز شهادته . قال وقال سَوّار : ما أعلم أحدا أفضل من عَطاء السُّلَمى، ولوشهد عندى على فَلْسَين لم أجز شهادته . يذهب الى أنه ضعيف الرأى ليس بالحازم،

(١) فى هذا الشعر الإقواء، وهو المخالفة بين القوافى فى حركة الإعراب، وقد أورد صاحب اللسان هذين البيتين فى جملة الشواهد المسوقة عليه . (٢) فى النسخة الألمانية «أبو أيوب» .

لا أنه يطعن عليه فى دينه وأمانته . قال : وشهد أبو عمرو بن العلاء عند سوّار على نسب فقال سوار : وما يدريك أنه ابنــه ؟ قال : كما أعلم أنك سَوّار بن عبد الله ابن عَنْزة بن نَقْب . قال : وشهد رجل عنـد سوار فى دار قد ادّعاها رجل قال : أشهد أنها له من المـاء الى السماء . وشهد آخر فقال للكاتب : اكتب شهادتهما . فقال : أىَّ شىء أكتب؟ فقال : كلَّ شىء يُخْرِج الدار من يد هذا ويجعلها فى ملك هذا فاكتبه . [قال[1] أبو حاتم بلغنى أنه إنما قيل شهادة عربية وما أشبهه] قال وشهد رجل عند سوار، فقال له : ما صناعتك ؟ قال : أنا مؤدّب . قال : فانا لا نجيز شهادتك . قال ولم ؟ قال : لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرا . قال : وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا . قال : إنى أكرهت على القضاء . قال : يا هذا، القضاءُ أكرهت عليه فهل أكرهت على أخذ الرزق ؟ قال : هلمّ شهادتَك، فأجازها . قال : وشهد الفرزدق عند بعض القضاة فقال : قد أجزنا شهادة أبى فراس، وزيدونا . فقيل له حين انصرف : إنه والله ما أجاز شهادتك . قال : وما يمنعه من ذلك وقد قذفتُ ألف مُحْصَنة . وجاء أبو دلامة ليشهد عند ابن أبى ليلى فقال فى مجلسه ذلك

إنِ القومُ غطَّوْنى تغطيتُ دونهم * وإن بحثوا عنى ففيهـم مَبَاحثُ
وإن حفروا بئرى حفرتُ بئارَهم * ليُعلم ما تخفيه تلك النَّبَـائثُ

فأجاز شهادته وحبس المشهود عليه عنده وأعطاه قيمة الشىء .

أتى رجل ابن شبرمة[2] بقوم يشهدون له على قَرَاح فيه نخل، فشهدوا وكانوا عدولا فسألهم : كم فى القراح من نخلة؟ قالوا : لا نعلم . فردّ شهادتهم . فقال له رجل منهم : أنت تقضى فى هذا المسجد منذُ ثلاثين سنة، فأعلِمْنا : كم فيه من أُسطُوانة؟ فأجازهم .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) كذا فى النسخة الألمانية، وفى النسخة الفتوغرافية أنه ابن سيرين والأول أقرب اذ لم نقف فى ترجمة ابن سيرين على توليه القضاء .

وقال بعض الشعراء

والخصـــمُ لا يرتجى النجاةُ له * يوما إذا كان خصمُه القاضى

قدّم رجل خصما له الى زياد فى حق له عليه، فقال : إن هذا الرجل يُدِلُّ بخاصّة ذكر أنها له منك . قال : نعم . وسأخبرك بمـا ينفعه عندى من خاصّته : إن يكن الحقّ له عليك آخذْك أخذا عنيفا ، وأن يكن الحق لك عليـه أقضِ عليه ثم أقضِ عنه .

وقال أبو اليقظان: كان عبيد الله بن أبى بكرة قاضيا وكان يميل فى الحكم الى إخوانه . فقيل له فى ذلك . فقال : وما خير رجل لا يقطع من دينه لإخوانه ؟ .

قال المدائنى : كان بين طلحة بن عبيد الله والزبير مدارأة فى واد بالمدينة . قال فقالا: نجعل بيننا عمرو بن العاص، فأتياه فقال لهما: أنتمـا فى فضلكما وقديم سوابقكما ونعمة الله عليكما تختلفان! وقد سمعتما من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما سمعت وحضرتما من قوله مثل الذى حضرت فيمن اقتطع شـبرا من أرض أخيه بغير حق أنه يُطَوَّقُه من سبع أرضين! والحَكَم أحوج الى العدل من المحكوم عليه وذلك لأن الحَكَم إذا جار رُزِئ دينَه والمحكوم عليه إذا جير عليه رُزِئ عرَض الدنيا [إن شئتما فأدليا بحجتكما و] (1) إن شئتما فأصلحا ذات بينكما . فاصطلحا وأعطى كل واحد منهما صاحبه الرضا .

وكان السِّندىّ ابن شاهَك لا يستحلف المكارى ولا الحـائك ولا الملاّح ويجعل القول قول المدّعى مع يمينه، ويقول : اللهم إنى أستخيرك فى الجمّال ومعلّم الصبيان .

---

(1) زيادة فى النسخة الألمـانية .

وقال ابو البيداء سمعت شيخا من الأعراب يقول : نحن بالبادية لا نقبل شهادة العبد ولا شهادة العِذْيَوْط ولا المغذّى ببوله . قال أبو البيداء : فضحكت والله حتى كدت أبول فى ثوبى .

وقيل لعبيد الله بن الحسن العنبرى : أتجيز شهادة رجل عفيف تقىّ أحمق؟ قال : لا ، وسأريكم . ادعوا لى أبا مودود(١) حاجبى، فلما جاء قال له : اخرج حتى تنظر ما الريح ؟ فخرج ثم رجع فقال : شَمال يشـوبها شىء من الجَنُوب . فقال : أَتَرَوْنى كنت مجيزا شهادة مثل هذا ؟

قال الأعمش قال لى مُحارب بن دِثَار : وليت القضاء فبكى أهلى وعُزِلت عنـه فبكوا ، فـما أدرى مم ذاك؟ فقلتُ له : وليتَ القضاء فكرهتَه وجزِعْت منه فبكى أهلك ، وعزِلت عنه فكرهت العزل وجزعت منه فبكى أهلك . فقال : إنه لكما قلتَ .

قدم إياس بن معاوية الشام وهو غلامٌ فقـدّم خصما له الى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخا كبيرا . فقال له القاضى : أتقدم شيخا كبيرا ؟ فقال له إياس : الحق أكبر منـه . قال : اسـكت . قال : فمن ينطق بحجتى ؟ قال : ما أظنك تقول حقا حتى تقوم . قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضى فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال : اقضِ حاجتَه وأخرجه من الشأم لا يفسدْ علىّ(٢) الناس .

قال أعرابى لخصم له : « والله لئن هَمْلَجْتَ الى البـاطل إنك عن الحـق لقَطُوف» .

---

(١) فى النسخة الفتوغرافية : مورد . (٢) فى الأصل "عليك" والتصويب عن البيان والتبيين .

باب الأحكام

حدّثنى عَبْدة بن عبد الله قال حدّثنـا وهب بن جرير قال حدّثنا أبى قال سمعت الزبير بن الحارث يحدّث عن عكرمة عن أبى هريرة قال : «قضى رسول صلى الله عليه وسلم اذا اختلف الناس فى الطرق أنها سبع أذْرُع » .

حدّثنى يزيد بن عمرو عن محمد بن موسى عن إبراهيم بن حنتم(١) عن غزال بن مالك الغِفَارى عن أبيه عن جدّه قال : «كفل النبى عليه السلام رجلا فى تهمة» .

قال وحدّثنى أيضا عن ابراهيم بن حنتم عن غزال بن مالك عن أبيــه عن جدّه قال قال أبو هريرة : « حبس النبى صلى الله عليه وسلم فى التهمة حبسا يسيرا حتى استبرأ » .

حدّثنى يزيد قال حدّثنى الوليد(٢) عن جرير بن حازم عن الحسن : « أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له : رباب» وقال لى رجل بالمدينة : هو ذو رباب .

حدّثنى أحمد بن الخليل عن سليمان بن حَرْب عن جرير عن يَعْلى بن حَكيم عن أبيه عن ابن عباس قال : «أتى ماعزُ بن مالك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى زنيت يا رسول الله، فقال : لعلك مسست أو لمست أو غمزت ، فقال : لا، بل زنيت ، فأعادها عليه ثلاثا، فلما كان فى الرابعة رجمه» .

حدّثنى شبابة عن القاسم بن الحكم عن الثـورى عن على بن الأقمر عن يزيد بن أبى كبشة أن أبا الدرداء أُتى بامرأة سرقت، فقال : أسرقتِ؟ قولى : لا ؟

(١) فى النسخة الألمانية : "خيثم" ولم نعثر على ما يرجح احدى الروايتين .

(٢) فى النسخة الفتوغرافية " أبو الوليد " .

حدّثنى سهل بن محمد قال حدّثنى الأصمعى قال : جاءوا زيادا بلصّ وعنده جماعة فيهم الأحنف، فانتهروه وقالوا : اصدق الأميرَ. فقال الأحنف : إن الصدق أحيانا معجزة . فأعجب ذلك زيادا وقال : جزاك الله خيرا .

حدّثنى شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عيّاش عمن حدّثه عن ابن عباس قال « جزُّ الرأس واللّحية لا يصلح فى العقوبة لأن الله عز وجل جعل حلق الرأس نُسُكًا لمرضاته » .

حدّثنى شبابة عن القاسم عن الأوزاعى أن عمر بن عبد العزيز قال «إياكم والمُثْلة فى العقوبة جزَّ الرأس واللحية» .

حدّثنى محمد بن خالد بن خِداش قال حدّثنا سَلْمُ بن قتيبة قال حدّثنا يونس عن أبى بكر بن حفص بن عمر قال : كان مروان بن الحكم أمير المدينة فقضى فى رجل فزّع رجلا فضرط بأربعين درهما .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن جُوَيبر عن الضحاك عن ابن مسعود قال « لا يحلّ فى هذه الأمة غلٌّ ولا صَفْدٌ ولا تجريدٌ ولا مدٌّ » .

حدّثنى عبد الرحمن عن الأصمعى قال : كان عامر بن الظَّرِب العَدْوانى حَكَمَ العرب، فنزل به قوم يستفتونه فى خنثى وله جارية يقال لها خُصَيْلة[1] . وربما لامها فى الإبطاء فى الرعى وفى الشىء يجده عليها . فقال : يا خصيلة لقد حبستُ هؤلاء القوم وريّثتُهم حتى أسرعتِ فى غنمى . قالت وما يكن عليك من ذلك؟ أتبعْه مبالَه . فقال لها : "مسّى خُصَيْل بعدها أو روّحى" .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفى الفتوغرافية «جيلة» وهو تحريف . وقد أورد صاحب بلوغ الأرب فى أحوال العرب خصيلة هذه فى حكايات العرب قال ولعلها هى التى كان أبوها عامر يقول لها "مسّى سُخَيل بعدها أو صبّحى" بناء على أنها كانت تسمى سخيلا أيضا . وقد ذكر الميدانى أنها جارية عامر بن الظرب وأورد المثل هكذا وذكر القصة .

قال: وأُتِى ابنَ زياد بانسان له قُبُل وذكر ولا يُدرى كيف يُوَرَّث. فقال: من لهذا؟ فقالوا: أرسل الى جابر بن زيد. فأرسل اليه، فجاء يَرْسُف فى قيوده فقال: ما تقول: فى هذا؟ فقال: أَلزِقْه بالجدار فان بال عليه فهو ذكر، وإن بال فى رجليه فهو أنثى.

حدّثنى محمد بن خالد بن خِدَاش قال حدّثنا سَلْم بن قتيبة قال حدّثنا قيس بن الربيع عن أبى حصين أن رجلا كسر طُنْبورا لرجل فخاصمه الى شريح، فقال شريح: لا أقضى فى الطنبور بشىء.

[حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن أبيه قال: قال لى أبو العجاج: يابن أصمع والله لئن أقررتَ لأُلزِمنّك، أى لا تقر].(*)

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن أبيه عن مَعْمر قال: ردّ رجل على رجل جارية اشتراها منه، فخاصمه الى إياس بن معاوية، فقال له: بم تردّها؟ قال له: بالحمق. فقال لها إياس: أىُّ رجليك أطول؟ فقالت: هذه. فقال: أتذكرين ليلة وُلِدتِ؟ قالت: نعم. فقال إياس: ردّ ردّ.

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا أبو داود عن قيس عن أبى حُصَين قال: رأيت الشَّعبىّ يقضى على جلد أسد.

الظلم

حدّثنى عبد الرحمن [بن عبد الله بن قُرَيب قال حدّثنى الأصمعىّ](*) قال أخبرنا بعض أشياخ البصرة أن رجلا وامرأته اختصما الى أمير من أمراء العراق وكانت المرأة حسنة المُتنقَّب قبيحة المَسْفر، وكان لها لسان فكأن العامِلَ مال معها فقال: يعمَد أحدكم الى المرأة الكريمة فيتزوّجها ثم يسىء اليها! فأهوى زوجها الى النِّقاب فألقاه

(*) زيادة في النسخة الألمانية.

عن وجهها فقال العامل : عليك اللعنة ! كلامٌ مظلومٍ ووجهُ ظالمٍ . وأنشد الرياشيّ فى نحو هذا

رأيتُ أبا الجَعْناء فى الناس جائرا * ولون أبى الجعناء لونُ البهائم
تراه على ما لاحَهُ من سواده * وإن كان مظلوما له وجه ظالم

أبو حاتم عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العَلاء قال : كان رجل من العرب فى الجاهلية إذا رأى رجلا يظلم ويعتدى يقول : فلان لا يموت سَوِيًّا . فيروْن ذلك حتى مات رجل ممن قال ذلك فيه فقيل له : مات فلان سويا . فلم يقبل حتى تتابعت الاخبار . فقال[1] : إن كنتم صادقين إن لكم دارا سوى هذه تجازَوْن فيها .

كتب رجل من الكُتّاب الى سلطان : « أعيذك بالله من أن تكون لاهيًا عن الشكر محجوبا بالنعم صارفًا فضلَ ما أوتيتَ من السلطان الى ما تقلّ عائدته وتعظم تبعتُه من الظلم والعدوان . وأن يستزلّك الشيطان بخُدَعه وغروره وتسويله فيُزيلَ عاجل الغِبْطة وينسيَك مذموم العاقبة ، فان الحازم من يذكر فى يومه المخوفَ من عواقب غده ولم يغرّه طولُ الأمل وتراخى الغاية ولم يضرب فى غَمْرة من الباطل ولا يدرى ما تَجلّى به مغبّتُها . هذا الى ما يتبع الظالم من سوء المنقلَب وقبيح الذكر الذى لا يفنيه كرّ الجديدين واختلاف العصرين » .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا معاوية بن عمرو قال حدّثنا أبو إبراهيم السقّاء عن ليث عن مجاهد قال : «يؤتَى بمعلم الصبيان[2] يوم القيامة فان كان عدل بين الغلمان وإلا أقيم مع الظلمة » . وكان معاوية يقول : إنى لأستحيي أن أظلم [من[3] لا يجد

(١) كذا بالأصل ولعل الفاء سقطت من الناسخ . (٢) فى الفتوغرافية : الكُتّاب .
(٣) زيادة فى النسخة الألمانية .

علىّ ناصرا إلا الله . وقال بلال : « إنى لأستحيي ان أَظْلِم] وأَحْرَجُ أن أُظلَمَ » . وكان يقال : اذا أراد الله ان يُتحف عبدا قيّض له من يظلمه .

كتب رجل الى سلطان : «أحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه وأولاهم بالانصاف من بُسِطت بالقدرة يداه» .

ذُكر الظلم فى مجلس ابن عباس فقال كعب : إنى لا أجد فى كتاب الله المنزل أن الظـلم يُخْرِب الديار . فقال ابن عباس أنا أُوجِدُكَهُ فى القرآن ، قال الله عز وجل ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ .

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعى قال : كان فُرْعان وهو من بنى تميم[(1)] لا يزال يُغير على إبل النـاس فيأخذ منها ثم يقاتلهم عليها الى أن أغار على رجل فأصاب له جملا ، فجاء الرجل فأخذ بشعره فجذبه فبرك ، فقال الناس : كبِرتَ والله يا فُرْعان . فقال : لا والله ولكن جذبنى جذبةَ مُحِقٍّ . وكان سُدَيف بن ميمون مولى اللِّهْبِيين يقول : اللهم قد صار فيئُنا دُوَلَةً بعد القسمة وإمارتُنا غلبةً بعد المشورة وعهدُنا ميراثا بعـد الاختيار للأمة . واشتُرِيت الملاهى والمعازف بسهم اليتيم والأرملة وحُكِّمَ فى أبشار المسلمين أهل الذمة وتولى القيامَ بأمورهم فاسقُ كلّ مَحَلّةٍ . اللهم وقد استحصد زرعُ الباطل وبلغ نهايته واجتمع طريدُه . اللهم فأتِحْ له يدا من الحق حاصدة تبدّد شمله وتفرّق أمره ليظهر الحق فى أحسن صُوَره وأتم نوره .

ولى أعرابى بعض النواحى فجمع اليهود فى عمله وسألهم عن المسيح فقالوا : قتلناه وصلبناه . فقال : فهل أديتم ديته؟ قالوا : لا . قال : فوالله لا تخرجون أو تؤدّوها . فلم يبرحوا حتى أدّوها .

---

(١) فى النسخة الفتوغرافية : وهو مولى لبنى تميم .

كان أبو العاج على جوالى البصرة فأتى برجل من النصارى : فقال ما اسمك ؟ فقال : بنداذ شهر بنداذ . فقال : اسمُ ثلاثةٍ وجزيةٌ واحد ! لا والله العظيم . قال : فأخذ منه ثلاث جزى .

ولى أعرابى "تَبَالَةَ" فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال : إن الأمير أعزنا الله و إياه ولّانى بلادكم هذه ، و إنى والله ما أعرف من الحق موضع سوطى ، ولن أوتَى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضربا ، فكانوا يتعاملون بالحق بينهم ولا يرتفعون اليه . قال بعض الشعراء

بنى عمّنا لا تذكروا الشعر بعد ما * دفنتم بصحراء الغُمَير[1] القوافيا
فلسنا كمن كنتم تصيبون سَلّةً * فنقبلَ ضَيْما أو نُحكِّم قاضيا
ولكن حكم السيف فيكم مسلَّط * فنرضى إذا ما أصبح السيفُ راضيا
فان قلتم إنا ظَلمنا فلم نكن * ظَلَمنا ولكنّا أسأنا التقاضيا

[وقال[2] آخر
تفرحُ أن تغلبنى ظالما * والغالبُ المظلومُ لو تعلم]

وكانوا يتوقّون ظلمَ السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا : « بسم الله إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . اخسئوا فيها ولا تكلّمون . أخذتُ سمعك وبصرك بسمع الله وبصره . أخذت قوتك بقوة الله . بينى و بينك سِتْر النبوّة الذى كانت الانبياء تستتر به من سَطَوات الفراعنة . جبريلُ عن يمينك وميكائيل عن يسارك ومحمد أمامك والله مطلع عليك ويحجُزك عنى و يمنعنى منك » .

---

(١) هكذا بالنسخة الألمانية . وقد ورد كذلك فى الحماسة منسوبا للشَّمَيْذَر الحارثى . والغمير موضع بين ذات عرق والبستان وقبله بميلين قبر أبى رغال كما فى ياقوت ثم ذكر أنه اسم لمواضع أخر . وقد ورد فى الفتوغرافية هكذا « العبيط » محرفا عن « الغَبيط » وفى اللسان والمعجم أنه اسم واد ومنه صحراء الغبيط وقد ورد فى شعر امرئ القيس

فألقى بصحراء الغبيط بَعاعَه * كصَرْع اليمانى ذى العِياب المحمل

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

وقال بعض الشعراء

ونستعدى الأميرَ إذا ظُلمنا * فمن يُعْدِى اذا ظَلم الأميرُ

[وقال آخر (١)

إذا كان الأمير عليك خصما * فلا تُكثِر فقد غلَب الأميرُ]

وكتب رجل الى صديق له : قد كنت أستعديك ظالما على غيرك فتحكُم لى وقد استعديتُك عليك مظلوما فضاق عنى عدلك ، وذكّرنى قول القائل

كنت من كُربتى أفرّ اليهم * فهُمُ كُربتى فأين الفِرار

[ونحوه (١)

والخصم لا يُرتجى النجاحُ له * يوما إذا كان خصمه القاضى]

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعىّ قال : كان يقال : ما أُعطِى أحد قط النَّصَف فأباه إلا أخذ شرا منه . قال : وقال الأحنف : ما عُرِضت النَّصَفة قطّ على أحد فقبِلها إلا دخلتنى له هيبةٌ ولا ردّها إلا اختبأتُها فى عقله .

وقال البَعيث

وإنى لأعطى النَّصْف مَن لو ظلمتُه * أقرّ وطابت نفسه لىَ بالظُّلم

وقال الطائى

يرى العلقَمَ المأدومَ بالعز أرْيةً * يمانِيَةً والأرْىَ بالضيم علقما

إذا فرشُوه النَّصْفَ نامتْ شَذَاتُه * وإن رَتَعُوا فى ظلمه كان أظلما

[وقال العباس بن عبد المطلب

أبى قومنا أن يُنصفُونا فأنصفَتْ * قواطع فى أيمانانا تقطُر الدما

تركناهمُ لا يستحلّون بعدها * لذى رحِمٍ يوما من الدهر محرَّما]

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . وقد تقدم البيت الثانى فى صحيفة ٧٠

بلغنا عن ضَمْرة عن ثور بن يزيد قال : كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عُمّاله : أما بعد فاذا دعتْك قدرتُك على الناس الى ظلمهم فاذكر قدرة الله عليك وفناءَ ما تُؤتِى اليهم وبقاءَ ما يؤتون اليك، والسلام .

سمع ابن سيرين رجلا يدعو على من ظلَمه، فقال : أقصِر يا هذا، لا تَرْبَح عليك ظالمك .

قولهم فى الحبس

[فى الحديث المرفوع(١) : «شكا يوسف عليه السلام الى الله عزّ وجلّ طولَ الحبس فأوحى الله إليه : مَن حَبسك يا يوسف ، أنت حبست نفسك حيث قلت ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ ولو قلتَ : العافيةُ أحبّ الىّ لعوفيت» .]

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : «إن يوسف عليه السلام دعا لأهل السجن دعوةً لم تزل تُعرف لهم الى اليوم ، قال : اللهم اعطف عليهم قلوبَ الأخيار ولا تُعم عليهم الأخبار» . فيقال : إنهم أعلم الناس بكل خبر فى كل بلد .

وكُتب على باب السجن : «هذه منازل البلوى وقبورُ الأحياء وتجربة الصديق وشماتة الاعداء» .

أنشدنى الرياشىّ

ما يدخُل السجنَ إنسانٌ فتسألُه * ما بالُ سجنك إلا قال مظلومُ

وقال أعرابى

ولمّا دخلتُ السجن كبّر أهلُه * وقالوا أبو ليلى الغداةَ حزينُ
وفى الباب مكتوبٌ على صفَحاته * بأنك تَنْزُو ثُمّ سوف تلين

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

ويقال : إنّ قولهم « تنزو وتلين » رُؤى مكتوبا على باب حبس فضربه الناس مثلا .

وقال بعض المسجونين

وبتُّ بأحصَنها منزلا * ثقيلا على عنق السالكِ
ولستُ بضيف ولا فى كِرًا * ولا مُستعيرٍ ولا مالكِ
ولستُ بغصبٍ ولا كالرُّهون * ولا يشبه الوقفَ عن هالك
ولى مُسْمِعان فأدناهما * يغنّى ويسمع فى الحالك
وأقصاهما ناظرٌ فى السما * ء عمدا وأوسخُ من عارك

المُسمع الاول قيده والثانى صاحب الحرس . ونحوه قول الآخر

ولى مُسمِعان وزَمّارة * وظلٌّ مديد وحصن أمَقّ

الزمّارة الغُلّ ، وأصل الزمّارة السّاجُور .

قال أبوعبيدة : اختصم خالد بن صفوان مع رجل الى بِلال بن أبى بُردة ، فقضى للرجل على خالد ، فقام خالد وهو يقول

* سحابة صيف عن قليل تَقشّع *

فقال بلال : أمَا إنها لا تَقَشّع حتى يصيبك منها شُؤبُوبُ بَرَد . وأمَر به الى الحبس ، فقال خالد : علام تحبسنى ؟ فوالله ما جنيت جناية ولا خنت خيانة . فقال بلال : يخبرك عن ذلك بابٌ مُصمَت وأقيادٌ ثِقال وقيّم يقال له حَفْص .

قال الحجاج للغضبان بن القَبَعْثَرى ورآه سمينا : ما أسمنك؟ قال : القيدُ والرَّتَعة ، ومن كان فى ضيافة الأمير سمن .

كان خالد بن عبد الله حبس الكميت الشاعر فزارته امرأته فى السجن فلبس ثيابها وخرج ولم يُعرف فقال

ولما أحلُّونى بصلعاءَ صَيْلَمٍ * بإحدى زُبَى ذى اللِّبْدَتين أبى الشِّبل
خرجتُ خروجَ القِدْحِ قدحِ ابن مُقْبِلٍ * على رغم آناف النوابحِ والمُشْلى
علىَّ ثيابُ الغانيات وتحتها * عزيمةُ مرءٍ أشبهتْ سَلَّةَ النصل

وكان خالد بن عبد الله حبس الفرزدق فقال

وأنى لأرجو خالدا أن يَفُكَّنى * ويطلق عنى مقفَلات الحدائد
فان يك قيدى ردّ همّى فربما * تناولتُ أطراف الهموم الأباعد
وما من بلاء غيرَ كلَّ عشية * وكلَّ صباح زائرٍ غيرِ عائد
يقول لى الحداد هل أنت قائم * وما أنا إلا مثل آخرَ قاعد

وقال بعض الشعراء فى خالد بن عبد الله القسرى حين حُبس

لعمرى لقد أعمرتُمُ السجنَ خالدا * وأوطأتموه وطأة المتثاقل
فان تحبسوا القسرىّ لا تحبسوا اسمه * ولا تسجُنوا معروفَه فى القبائل

وقال بعض المسجنين (١)

أسجنٌ وقيدٌ واغتراب وعُسْرة * وفقد حبيب! إن ذا لعظيم
وإنّ آمرأ تبقى مواثيقُ عهده * على كل هذا ، إنه لكريم

وقال آخر مثله

الى الله أشكو إنه موضع الشكوى * وفى يده كشف المصيبة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من آهلها * فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

(١) كذا بالنسختين الفتوغرافية والألمانية وفى هامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى «المسجونين» ولم نجد التضعيف لا فى القاموس ولا فى اللسان .

إذا جاءنا السجّان يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هـذا من الدنيـا
وتُعجبنا الرؤيا بجُـلّ حديثنـا * إذا نحن أصبحنا الحديثُ عن الرؤيا
فان حسُنتْ لم تأتِ عجلى وأبطأت * وإن قبُحت لم تحتبس وأتتْ عجلى

وقال يزيد بن المهلّب وهو فى الحبس : يا لهَفْى على طَلِبَة بمائة الف وفَرَج فى جبهة أسد . ودخل الفرزدق على المهلب وهو محبوس فقال

أصبح فى قيدك السماحةُ والـــجود وحملٌ لمضلِع الأثقـالِ

فقال : أتمدحنى على هذه الحال؟ فقال : أصبتُك رخيصا فاشتريتك (١) .

وحبس الرشيد أبا العتاهية فكتب اليه من الحبس بأبيات منها

تَفديك نفسى من كل ما كرهتْ * نفسُك إن كنتُ مذنبـا فاغفرْ
يا ليت قلبى مصـــوَّر لك ما * فيه لتستيقن الذى أُضمـــرْ

فوقَّع الرشيد فى رقعته : لا بأس عليك . فأعاد عليه رقعة أخرى فيها

كأنّ الخَلْق رُكّب فيه روح * له جسد وأنت عليــه رأس
أمينَ الله إنّ الحبس بأسٌ * وقد وقَّعْتَ «ليس عليك بأس»

فأمر باطلاقه

الحجـاب

أبو حاتم عن العتبى عن أبيــه أن عبد العزيز بن زُرارة الكلابى وقف على باب معاوية فقال : من يستأذن لى اليوم فأدخله غدا؟ وهو فى شَمْلتين ، فلمـا دخل على معاوية قال : هززتُ ذوائب الرحال (٢) اليك إذ لم أجد معوّلا الا عليك . أمتطى الليل بعد النهار وأسِمُ المجاهل بالآثار . يقودنى نحوك رجاء وتسوقنى إليك بلوى ، والنفس مستبطئة والاجتهاد عاذر . فأكرمه وقرّبه . فقال فى ذلك

(١) فى الأصل : «فأسلفتك» والتصويب عن العقد الفريد . (٢) فى الفتوغرافية : الرجاء .

دخلتُ على معاويةَ بنِ حرب * وذلك إذ يئستُ من الدخول
وما نلتُ الدخول عليه حتّى * حللتُ محلّةَ الرجل الذليل
وأغضيتُ الجفونَ على قَذاها * ولم أسمع الى قالٍ وقيل
فأدركتُ الذى أمّلتُ فيه * بمُكثٍ والخَطا زادُ العَجُول

وقال غير العتبي: لما دخل عبدالعزيز بن زُرَارة على معاوية قال له : «إنى رحلتُ اليك بالأمل واحتملتُ جَفْوتك بالصبر، ورأيت ببابك أقواما قدّمهم الحظُّ، وآخرين باعدهم الحِرمانُ . وليس ينبغى للتقدم أن يأمن ولا للتأخر أن ييأس . وأول المعرفة الاختبار فابْلُ واخْتبِرْ» وفى حجاب معاوية إياه يقول شاعر مضر

من يأذنِ اليومَ لعبد العزيزْ * يأذنْ له عبدُ عزيزٍ غدا

قال أبو اليقظان : كان عبد العزيز بن زُرارة فتى العرب .

استأذنَ أبو سفيان على عثمان فحجبه . فقيل له : حجبك أمير المؤمنين ؟ فقال لا عدمتُ من قومى من إذا شاء حجبنى . وحجب معاوية أبا الدرداء فقال أبو الدرداء: من يَغْشَ سُدَدَ السلطان يقم ويقعد ومن صادف بابا عنه مغلقا وجد الى جانبه بابا فُتُحا، إن دعا أُجيب وإذا سأل أُعطى .

قال رجل لحاجبه : إنك عين أنظرُ بها وجُنّة أستنيم اليها ، وقد ولّيتك بابى ، فما تراك صانعا برعيّتى ؟ قال : أنظرُ اليهم بعينك وأحملهم على قدر منازلهم عندك وأضعهم فى إبطائهم عن زيارتك ولزومهم خدمتك مواضعَ استحقاقهم وأرتّبهم حيث وضَعهم ترتيبُك وأحسنُ إبلاغك عنهم وإبلاغَهم عنك . قال : قد وفّيتَ ما لك وما عليك إن صدّقته بفعل . وكان يقال : حاجبُ الرجل حارس عِرْضه .

وقرأت فى التاج أن أبرويز قال لحاجبه : « لا تقدّمن مستغيثا ولا تضعنّ ذاشرف بصعوبة حجاب ولا ترفعنّ ذا ضعة بسهولته . وضَع الرجالَ مواضعَ أخطارهم ، فمن كان مقدّما له الشرفُ ممن آزدرّعه ولم يهدمه من بعد بنائه فقدّمه على شرفه الأوّل وحسن رأيه الآخر، ومن كان له شرف مقدّم فلم يصُن ذلك إبلاغا به ولم يزدرعْه تثميرا له فألحق بآبائه مهلة سبقهم فى خواصهم ،وألحق به فى خاصته ما ألحق بنفسه . لاتأذن له إلا دُبُرا ولا تأذن له إلا سِرّارا . وإذا ورد عليك كتّاب عامل من عُمّالى فلا تحبسه عنى طرفةَ عين إلا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول الىّ فيها ، وإن أتاك مدّع لنصيحة فاستكتبْها سرّا ثم أدخِلْه بعد أن تستأذن له . حتى اذا كان منى بحيث أراه فادفع الىّ كتابه ، فان أحمدتُ قبلت وإن كرهت رفضتُ ،ولا ترفعنّ الىّ طِلْبة طالب إن منعتُه بخّلنى وإن أعطيته آزدرانى ، إلا بمؤامرة منى من غير أن تُعلمه أنك قد أعلمتنى وإن أتاك عالم يستأذن علىّ لعلم يزعم أنه عنده فاسأله : ما علمه ذلك؟ ثم استأذن له فان العلم كاسمه ، ولا تحجبن سَخْطةً ولا تأذنن رِضًا ، اخصُص بذلكَ المَلك ولا تخصّ به نفسَك» .

الهيثم قال : قال خالد بن عبدالله لحاجبه : «لاتحجبن عنّى أحدا إذا أخذتُ مجلسى ، فان الوالى لا يحجب إلا عن ثلاث : عِىٍّ يكره أن يُطّلَعَ عليه منه ، أو ريبة ، أوبخل فيكره أن يدخُل عليه من يسأله» . ومنه أخذ ذلك محمود الورّاق فقال

إذا آعتصم الوالى باغلاق بابه * وردّ ذوى الحاجات دونَ حجابه
ظننت به إحدى ثلاث وربّما * نزعتُ بظنٍّ واقع بصوابه
فقلت به مَسٌّ من العِىّ ظاهرٌ * ففى إذنه للنــاس إظهارُ ما به
فان لم يكن عِىّ اللسان فغالبٌ * من البخل يحمى ما لَه عن طِلَابه
فان لم يكن هــذا ولا ذا فريبةٌ * يصرّ عليهـا عنـد إغلاق بابه

وقال بعض الشعراء

إعلمن إن كنت تعلمه * أن عِرْض المَلْك حاجبه
فبـه تبدو محاسنُه * وبه تبـدو مَعايبـه

وقال آخر

كم من فتى تُحمَد أخلاقه * وتسكُن الأحرار فى ذمّتهْ
قد كثّر الحاجبُ أعداءَه * وسلَّط الذمّ على نِعمته

حضر بابَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه جماعةٌ منهم سهيل بن عمرو وعُيينة ابن حِصْن والأقرع بن حابس فخرج الآذنُ فقال : أين صُهَيب ؟ أين عمّار ؟ أين سلمان ؟ فتمعّرتْ وجوهُ القوم . فقال واحد منهم : لِمَ تتمعّر وجوهكم ؟ دُعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر لَمَا أعدّ الله لهم فى الجنة أكثرُ .

وقال بعض الشعراء

سأترك هذا الباب ما دام إذنُه * على ما أرى حتى يخفّ قليلا
إذا لم نجد للاذن عندك موضعا * وجدنا الى ترك المجىء سبيلا

وقال آخر لحاجب

سأترك بابا أنت تملك إذنه * وإن كنتُ أعمى عن جميع المسالك
فلو كنتَ بوّاب الجنـان تركتُها * وحوّلتُ رِجلى مُسرعا نحوَ مالك

وكتب أبو العتاهية الى أحمد بن يوسف

لئن عدتُ بعـد اليوم إنى لظالم * سأصرف وجهى حيث تُبغَى المكارمُ
متى ينجحُ الغـادى اليك بحاجة * ونصـفُك محجوب ونصفك نائم؟

وقال آخر

ولست بمُتّخذ صاحبا * يُقيم على بابه حاجبا

إذا جئتُ قال له حاجةٌ * وإن عدتُ ألفيته غائبا
ويُلزِم إخـوانَه حقَّـه * وليس يرى حقَّهم واجبا
فلستُ بلاقيه حتى المماتِ * إذ أنا لم ألقه راكبا

وقال عبد الله بن سعيد فى حاجب الحجاج وكان يحجُبه دائما

ألا رُبَّ نصح يُغلَق البابُ دونَه * وغشٍّ إلى جنْب السرير يُقـرَّب

وقال آخر

ماضاقت الأرضُ على راغب * يَطَّلِبُ الرزقَ ولا هاربِ
بل ضاقت الأرض على طالب * أصبح يشكو جفوة الحاجب

وحُجب رجل عن باب سلطان فكتب اليه: «نحن نعوذ بالله من المطامع الدنيّة والهمم القصيرة وابتذال الحُرّية، فان نفسى والحمد لله أبيّة ما سقطت وراء همة ولا خذلها صبر عنـد نازلة ولا استرقّها طمع ولا طُبعت على طَبَع وقد رأيتك وأيّتَ عِرْضك من لا يصونه ووصلت ببابك من يَشينه وجعلت ترجمان عقلك من يُكثر من اعدائك وينقص من أوليائك [ويسىء العبارة عنك ويوجه وفد الذم اليك](١) ويُضْغِن قلوب إخوانك عليك إذ كان لا يعرف لشريف قدرا ولا لصـديق منزلة. ويزيل المراتب عن جهل بها وبدرجاتها فيحطّ العلىّ الى مرتبة الوضيع ويرفع الدنىّ الى مرتبة الرفيع ويحتقر الضعيف لضعفه وتنبو عينه عن ذى البَذاذة ويميل الى ذى اللبـاس والزينة ويقدّم على الهوى ويقبل الرُّشا» .

وقال بشار، وقيل هو لغيره

تأبى خلائق خالد وفعـاله * إلّا تجنُّبَ كلّ أمر عائب
فاذا أتيت الباب وقت غدائه * أذن الغداءُ برغم أنف الحاجب

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

وهذا ضدّ قول الآخر

إذا تغــدّى فــتى بوّابه * وآرتدّ من غير يدٍ بابه
ومات من شهوة ما يُحْتَسى * عيــالُه طـرًّا وأصحــابُه

وقال آخر

يا أمــيرا على جَرِيبٍ من الأر * ض له تســعة من الحُجّاب
قاعدا فى الخراب يُحجَب عنه * ما سمعنا بحاجب فى خراب!

وقال آخر

على أى باب أطلب الاذن بعد ما * حُجبت عن الباب الذى أنا حاجبه

وقال الطائى

يا أيهــا الملك النــائى برؤيته * وجودُه لمُـراعى جوده كَثَبُ
ليس الحجاب بمُقْصٍ عنك لى أملا * إن السماء تُرجّى حين تحتجب

وقال أيضا

ومحجَّبٍ حاولتــه فوجدته * نجما عن الركب العُفَاة شَسُوعا
أعدمتُه لـمــا عدمت نوالَه * شكرى فرُحْنا معدَمِيْن جميعا

وقال آخر

قد أطلنا بالبــاب أمس القعودا * وجُفينــا به جفاء شــديدا
وذممنــا العبيــد حتى إذا نحـــن بلَوْنا المولى عذرنا العبيــدا

وحُجب رجل فكتب

أبا جعفر إن الولاية إن تكن * منبّــاة قوما فأنت لهــا نُبْل
فلا ترتفع عنــا لشىء وَلِيتَه * كما لم يصغّر عندنا شأنَك العزل

وكتب رجل من الكتاب فى هذا المعنى الى صديق له : «إن كان ذهولك عنا لدنيا أَخْضَلَتْ عليك سماؤها وأَرْتَبَتْ بك ديمُها إن[(١)] أكثر مايجرى فى الظن بك بل فى اليقين منك أنك أملَكُ ماتكون لِعنانك أن يجمح بك ولنفسك أن تستعلىَ عليك اذا لانتْ لك أكنافُها [وآنقاد[(٢)] فى كفّك زمامُها لانك لم تنلْ مانلتَ خَلْسًا ولا خَطْفا، ولا عن مقدار جَرَفَ اليك غيرَ حقك وأمال نحوك سوى نصيبك . فان ذهبتَ الى أن حقك قد يحتمل فى قوّته وسعته أن تضمّ اليه الجَفْوة والنَّبْوة فيتضاءل فى جنبه ويصغر عن كبيره فغير مدفوع عن ذلك . وآيْم الله لولا ماأُبليتْ به النفس من الظن بك وأنّ مكانك منها لايسدّه غيرُك نسختْ عنك وذهلتْ عن إقبالك وإدبارك ولكان فى جفائك مايردّ من غِرّتها ويبرّد من غُلتها، ولكنه لما تكاملت النعمة لك تكاملت الرغبة فيك» .

أبو حاتم عن العتبىّ قال : قال معاوية لحُضَين بن المنذر وكان يدخل عليه فى أخريات الناس : يا أبا ساسان كأنه لا يُحْسَن إذنُك . فانشأ يقول

كل خفيف الشأن يسعى مشمّرا * إذا فتح البوّاب بابك إصبعا
ونحن الجلوس الماكثون رزانةً * وحلما الى أن يفتح الباب أجمعا

وقال بعض الشعراء فى بشر بن مروان

بعيدُ مرادّ العين ما ردّ طرفَه * حِذارَ الغواشى بابُ دار ولاستْرُ
ولو شاء بشر كان من دون بابه * طَماطمُ سودٌ أوْ صقالبةٌ حمرُ
ولكن بشرا يَسّرَ البابَ للتى * يكون له فى غِبّها الحمدُ والأجر

وقال بشر

فلا تبخلا بخل آبن قَزْعة إنه * مخافةَ أن يُرجى نَداه حزينُ

---

(١) كذا بالأصول التى بين أيدينا ولعل الفاء سقطت من قلم الناسخ .

(٢) كل مابين هذين القوسين المربعين غير موجود بالنسخة الفتوغرافية وقد نقلناه عن النسخة الألمانية .

إذا جئته فى العُرف اغلق بابه * فلم تلقه إلا وأنت كمين
فقل لأبى يحيى متى تدرك العلا * وفى كل معروف عليك يمين

وقال ابن هَرْمة يمدح

هشٌّ اذا نزل الوفودُ ببابه * سهل الحجاب مؤدَّب الخدّام
وإذا رأيتَ شقيقه وصديقه * لم تدرِ أيُّهما أخو الارحام

وكتب رجل إلى بعض الملوك

إذا كان الجواد له حجاب * فما فضل الجواد على البخيل

فكتب اليه الآخر

إذا كان الجواد قليل مال * ولم يُعْذر تعلّل بالحجاب

وقال عبيد الله بن عِكْراش]

وإنى لأَرْثِى للكريم إذا غدا * على طمع عند اللئيم يطالبهْ
وأرثى له من مجلس عند بابه * كمَرْثِيَتِى للطِّرْف والعِلْجُ راكبه

وكتب عبد الله بن أبى عيينة الى صديق له

أتيتك زائرا لقضاء حق * فحالَ السِّتْر دونك والحجاب
ولست بساقطٍ فى قِدْر قوم * وإن كرهوا كما يقع الذُّباب

أبوحاتم عن عبدالله بن مصعب الزبيرى قال: كنا بباب الفضل بن الربيع وهم يأذنون لذوى الهيئات والشارات وأعرابى يدنو فكلما دنا طُرِح . فقام ناحية وأنشأ يقول

رأيت آذِننا يَعْتام بِزّتَنا * وليس للحسب الزاكى بمُعْتام
ولو دُعينا على الأحساب قدّمنى * مجدٌ تليد وجَدّ راجح نامى
متى رأيتَ الصقور الجُدْلَ يَقْدُمُها * خِلْطان من رَخَمٍ قُزْعٍ ومن هَامِ

دخل شَريك الحارثى على معاوية فقال له معاوية : من أنت؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ما رأيت لك هفوة قبل هذه. مثلك ينكر مثلى من رعيته! فقال له معاوية : إن معرفتك متفرقة، أعرف وجهك إذا حضرتَ فى الوجوه، وأعرف اسمك فى الأسماء إذا ذُكرت، ولا أعلم أن ذلك الاسم هو هذا الوجه، فاذكُرْ لى اسمك تجتمعْ معرفتك .

استأذن رجلان على معاوية فأذن لأحدهما وكان أشرف منزلة من الآخر، ثم أذن للآخر فدخل عليــه فجلس فوق صاحبه . فقال معاوية : إن الله قد ألزمنا تأديبكم كما ألزمنا رعايتكم، وإنا لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك. فقم لا أقام الله لك وزنا .

دخل أبو مِجْلَز على عمر بن عبد العزيز حين أقدمه من خراسان، فلم يقبِل عليه . فلما خرج قال له بعض من حضر المجلس : هذا أبو مجلز . فردّه واعتذر اليه وقال : إنى لم أعرفك . قال : يا أمير المؤمنين فهلا أنكرتنى .

قال أشجع السلمى يذكر باب المنصور[1] بن زياد

على باب ابن منصورٍ * علاماتٌ من البـــذل
جماعاتٌ وحَسْب البـا * ب فضــلا كثرة الأهــل

وكانت العرب تتعوّذ بالله من قَرَع الفِناء ومن قرع المُرَاح . وقال بعض الشعراء

مالى أرى أبوابهـــم مهجورة * وكأنّ بابكَ مجْمَــعُ الأسـواق
أرَجَوْكَ أم خافوك أم شَامُوا الحَيَا * بحَرَاكَ[2] فانتجعوا من الآفاق

وقال آخر

يزدحم النــــاسُ على بابه * والمَشْرَعُ العذبُ كثيرُ الزحامْ

(١) هكذا فى النسخة الألمانيــة . وفى الفتوغرافية منصور. والصواب محمد بن منصور كما فى الكامل للمبرد وهو المطابق لقوله « ابن منصور » فى البيتين . (٢) الحرا والحراة الناحية .

وقال آخر * إن النَّدَى حيث ترى الضَّغَاطا *

يعنى الزحام

وقال بشار

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو * ف ولكن يَلَذُّ طعمَ العطاء
يسقط الطيرُ حيث يَنْتَثِر الحبُّ وتُغشى منازل الكرماء

دقّ رجل على عمر بن عبد العزيز[1] الباب فقال عمر: من هذا ؟ قال أنا . قال عمر: ما نعرف أحدا من إخواننا يسمى أنا .

خرج شَبِيب بن شَيْبة من دار الخلافة يوما فقال له قائل : كيف رأيت الناس؟ فقال : رأيت الداخل راجيا ورأيت الخارج راضيا .

قال أبو العتاهية

إذا آشتدّ دونى حجابُ آمرئٍ * كفَيْتُ المؤونة حُجّابَه

حُجب أعرابى على باب السلطان فقال

أُهينُ لهم نفسى لأُكرِمَها بهم * ولا يُكرِم النفسَ الذى لا يُهينها

وقال جرير

قوم إذا حضر الملوكَ وفودُهم * نُتِفت شواربهم على الأبواب

وقال آخر

فلما وردت البابَ أيقنتُ أننا * على الله والسلطان غيرُ كرام

وقال أبو القمقام الأسدى[2]

أبلغْ أبا مالك[3] عنى مُغَلْغَلة * وفى العتاب حياةٌ بين أقوام

(١) فى النسخة الفتوغرافية عمرو بن عبيد .

(٢) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وقد أورد الجاحظ هذا الشعر فى البيان والتبيين ونسبه لهمام الرقاشى ونسبه المرتضى فى التاج لعصام بن عبيد الزِّمّانى .

(٣) كذا بالأصل ويوافقه لسان العرب وفى البيان للجاحظ والتاج للرتضى : أبا مسمع

أدْخلتَ قبليَ قوما لم يكن لهمُ * من قبلُ أن يلجُوا الابواب قدّامى
لو عُدّ بيتٌ وبيتٌ كنتُ أكرمهم * بيتا وأبعدَهم من منزل الذّام
فقد جَعلتُ إذا ما حاجتى نزلت * ببـاب دارك أدلُـوها بأقـوام

التلطف فى مخـاطبة السلطان
والقاء النصيحة إليه

العتبى قال قال عمرو بن عُتْبة للوليد حين تنكّر له الناس : يا أمير المؤمنين إنك تُنطقنى بالأنس بك وأنا أكفت ذلك بالهيبة لك . وأراك تأمن أشياءَ أخافها عليك ، أفأسكت مطيعا؟ أم أقول مشفقا؟ فقال : كلٌّ مقبول منك ، ولله فينا علم غيب نحن صائرون اليه . ونعود فنقول : فقتل بعد أيام .

وفى إلقاء النصيحة إليه : قرأت فى كتاب للهنـد أن رجلا دخل على بعض ملوكهم فقال له : أيها الملك نصيحتك واجبـة فى الحقير الصغير فكيف بالجليل الخطير ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك ما يســوء موقعُه من الأسماع والقلوب فى جَنب صلاح العاقبة وتلافى الحادث قبل تفاقُمه لكان خرقا منى أن أقول ، وإن كنا إذا رجعنا الى أن بقاءنا [موصول](١) ببقائك وأنفسنا معلقة بنفسك لم أجد بُدّا من أداء الحق اليك وإن أنت لم تسئلنى [أو خفتُ ألّا تقبل منى](١) ، فانه يقال : من كتمَ السلطان نصحه والأطباء مرضه والإخوان بثّه فقد خان نفسَه .

الخفوت فى طاعته

قال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد : إنى قد أعددتك لأمر . قال : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد أعدّ لك منّى قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة بطاعتك وسيفا مَشحُوذا على عدوّك فاذا شئت فقل .

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية .

وفى مثله : قال إسحاق بن إبراهيم قال لى جعفر بن يحيى اغدُ علىّ غدا لكذا . فقلت : أنا والصبح كفرسَى رِهان . وفى مثله : أمر بعض الأمراء رجلا بأمر فقال له : أنا أطوَع لك من اليد وأذلّ لك من النّعل . وقال آخر: أنا أطوع لك من الرِّداء وأذلّ لك من الحِذاء .

التلطّف فى مدحه

قال خالد بن عبد الله القَسْرى لعمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زانته، فانك قد زنتها، ومن كانت شرفته فانك قد شرفتها، فأنت كما قال القائل

وإذا الدُّرّ زان حسنَ وجوه * كان للدرّ حسنُ وجهك زَينا

فقال عمر : أُعطِى صاحبُكم مَقُولا ولم يُعط معقُولا .

وكتب بعض الأدباء إلى بعض الوزراء: «إن أمير المؤمنين منذ استخلصك لنفسه فنظر بعينك وسمع بأذنك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك وأورد وأصدر عن رايك، وكان تفويضه إليك بعد امتحانك وتسليطُه الرأىَ على الهوى فيك بعد أن ميَّل بينك وبين الذين سَمَوْا لرتبتك وجَرَوا الى غايتك فأسقطهم مضمارُك وخَفُّوا فى ميزانك ولم يزدك رفعةً إلا ازددتَ لله تواضعا ، ولا بسطا وإيناسا إلا ازددت له هيبة وإجلالا ، ولا تسليطا وتمكينا إلا ازددت عن الدنيا عُزوفا، ولا تقريبا إلا ازددت من العامة قربا . ولا يخرجك فرط النصح للسلطان عن النظر لرعيته، ولا إيثار حقّه عن الأخذ لها بحقّها عنده، ولا القيام بما هو له عن تضمّن ما عليه ، ولا تشغلك جلائل الأمور عن التفقّد لصغارها ، ولا الجَذَل بصلاحها واستقامتها عن استشعار الحذر وإمعان النظر فى عواقبها » .

وفى مدحه: دخل العُمَانى الراجز على الرشيد لينشده وعليه قَلَنسُوة طويلة وخُفّ ساذَج، فقال له الرشيد: ياعمانى، إياك أن تنشدنى إلا وعليك عِمامة عظيمة الكَوْر

وخفّان دلقان(١) فبكّر إليه من الغد وقد تزيّا بزىّ الأعراب ثم أنشده وقبّل يده وقال: يا أمير المؤمنين قد والله أنشدتُ مروان ورأيت وجهه وقبّلت يده وأخذت جائزته ثم يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد ثم السفّاح ثم المنصور ثم المهدى. كلّ هؤلاء رأيت وجوههم وقبّلت أيديهم وأخذت جوائزهم، الى كثير من أشباه الخلفاء وكبار الأمراء والسادة والرؤساء، والله ما رأيت فيهم أبهى مَنظَرا ولا أحسن وجها ولا أنعم كفّا ولا أندَى راحةً منك يا أمير المؤمنين. فأعظم له الجائزة على شعره وأضعف له على كلامه وأقبل عليه فبسطه حتى تمنى جميع من حضر أنه قام ذلك المقام.

وفى المديح: كتب الفضل بن سهل الى أخيه الحسن بن سهل فقال: «إن الله قدجعل جَدّك عاليا وجعلك فى كل خير مُقدما وإلى غاية كل فضل سابقا وصيّرك، وإن نأت بك الدار، من أمير المؤمنين وكرامته قريبا، وقدجدّد لك من البِرّ كيت وكيت. وكذا يحوز الله لك من الدين والدنيا والعز والشرف أكثره وأشرفه إن شاء الله».

وفى مدحه: قال الرشيد يوما لبعض الشعراء: هل أحدثت فينا شيئا؟ فقال: يا أمير المؤمنين المديح فيك دون قدرك والشعرُ فيك فوق قدرى، ولكنّى أستحسن قول العتّابىّ

ما ذا يَرى قائلٌ يثْنى عليك وقد * ناداك فى الوحى تقديسٌ وتطهير
فُتّ المدائحَ إلا أن ألسُننا * مُستنطَقات بما تخفى الضمائير
[فى عترة(٢) لم تقم إلا بطاعتهم * من الكتّاب ولم تُقضَ المشاعير(٣)
هذى يمينك فى قُرباك(٤) صائلة * وصارمٌ من سيوف الهند مأثور]

(١) كذا بالأصل غير مضبوط والدُّلْقم كما فى القاموس دويبة كالسَّمُّور، وفى العقد الفريد «دَلقان». وفى البيان والتبيين «دُمّالقّان» والدمالق الحجر الأملس.
(٢) زيادة فى النسخة الألمانية.
(٣) فى الأصل «عبرة» بالباء الموحدة والتصحيح عن الأغانى.
(٤) فى الأصل «جدواك مائلة» والتصحيح عن الأغانى.

وفى مدحه : كتب بعض الكتّاب إلى بعض الأمراء : « إن من النعـمة على المُثنى عليك أنه لا يخاف الإفراط ولا يأمن التقصير ولا يحذر أن تلحَقه نقيصة الكذب ولا ينتهى به المدح الى غاية إلا وجد فى فضلك عونا على تجاوزها . ومن سعادة جَدّك أن الداعى لك لا يعدَم كثرةَ المشايعين ومساعدةَ النّية على ظاهر القول» .

وفى مثله كتب بعض الأدباء الى الوزير : «مما يُعين على شكرك كثرةُ المنصتين له ، ومما يبسط لسان مادحك أمنُه من تحمّل الإثم فيه وتكذيبِ السامعين له » .

وفى مثل ذلك : لمّـا عقَد معاوية البيعة ليزيد قام النـاس يخطبون فقال لعمرو ابن سعيد : قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد فان يزيد ابن معاوية أملٌ تأمُلونه وأجل تأمَنونه ، إن آستضفتم إلى حِلمه وَسِعكم ، وإن آحتجتم الى رأيه أرشدكم ، وإن آفتقرتم الى ذات يده أغناكم ، جَذَعٌ قارحٌ سُوبِق فسبق ومُوجِد فمجَد وقُورِع فخرج فهو خَلَف أمير المؤمنين ولا خلف منه» فقال معاوية : أوسعت يا أبا أمية فاجلس .

وفى مثل ذلك : قال رجل للحسن بن سهل : «أيها الأمير، أسكَتَنى عن وصفك تَساوِى أفعالك فى السودد وحيّرنى فيها كثرة عددها فليس الى ذكر جميعها سبيل، وإن أردتُ ذكر واحدة اعترضت أختُها إذ لم تكن الأولى أحق بالذكر منها، فلست أصفها إلا باظهار العجز عن صفتها » .

وفى مثل ذلك : كتب آخر إلى محمد بن عبد الملك«إن مما يُطمعنى فى بقاء النعمة عليك، ويزيدنى بصيرة فى العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها واستوجبتَها بمـا فيك من أسبابها، ومن شأن الأجناس أن تتواصل وشأن الأشكال أن تتقاوم، والشىء يتغلغل فى معدِنه ويحِنّ إلى عنصره، فاذا صادف مَنبِته ولُزّ فى مغرسه ضرب بعرقه وسَمَق بفرعه وتمكّن تمكّنَ الإقامة وثبت ثبات الطبيعة » .

وفى مثل ذلك كتب آخر الى بعض الوزراء: «رأيتنى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهـار الباهر والقمر الزاهر الذى لا يخفى على ناظر، وأيقنت أنى حيث انتهى بىَ القول منسوبٌ الى العجز مقصرٌ عن الغاية فانصرفتُ عن الثناء عليك الى الدعاء لك، ووكّلت الإخبار عنك الى علم الناس بك» .

وفى مثله كتب العتّابى الى خالد بن يزيد: «أنت أيها الأمير وارث سلَفك وبقيةُ أعلام أهل بيتك، المسـدودُ بك ثَلْمُهم والمُجدَّد بك قديمُ شرفهم والمنبّه بك أيامُ صيتهم والمنبسِط بك [آمالُنا والصائر بك أُكَالُنا والمأخوذ بك](١) حظوظنا، فانه لم يخمُل من كنت وارثه، ولا درَست آثارُ من كنت سالك سبيله ولا آمّحتْ معاهد من خلَفته فى مرتبته» .

وفى شكره: قرأت فى التاج قال بعض الكتّاب للملك: «الحمد لله الذى أعلقنى سببا من أسباب المَلِك ورفع خسيستى بمخاطبته وعزّز ركنى من الذّلة به وأظهر بَسْطتى فى العامّة وزيّن مقاومتى فى المشاهدة وفقًا على عيونَ الحسَدةوذلّل لى رقاب الجبابرة وأعظم لى رغبات الرعيّة وجعل لى به عقبا يُوطأ وخطرا يُعظّم ومزية تحسُن، والذى حقّق فىّ رجاء من كان يأملنى وظاهر به قوة من كان ينصرنى وبسط به رغبة من كان يسترفدنى، والذى أدخلنى من ظِلال الملك فى جَناح سترنى، وجعلنى من أكافه فى كَنَف آتسع علىّ» .

وفى شكره وتعداد نِعَمه: قرأت فى سير العجم أن أردشير لمـا استوسَق له أمرُه جمع الناس وخطبهم خطبة بليغة حضهم فيها على الألفـة والطاعة وحذرهم المعصية وصنّف الناس أربعة أصناف، فخرّ القوم سُجّدا وتكلّم متكلّمهم مجيبا فقال: «لا زلت

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية .

أيها الملك محبوّا من الله بعزّة النصر ودَرَك الأمل ودوام العافية وحسن المزيد، ولازلت تتابَع لديك النعم وتُسبَغ عندك الكرامات والفضل حتى تبلغ الغاية التى يُؤمن زوالها ولا تنقطع زهرتُها فى دار القرار التى أعدّها الله لنظرائك من أهل الزُّلفى عنده والحُظْوة لديه ، ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاءَ الشمس والقمر زائدين زيادةَ البحور والأنهار حتى تستوى أقطار الأرض كلّها فى عُلُوّك عليها ونفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمّنا عمومَ ضياء الشمس ووصل الينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصالَ النسيم، فجمعتَ الأيدى بعد افتراقها والكلمة بعد اختلافها وألّفت بين القلوب بعد تباغضها وأذهبت الإِحَنَ والحسائكَ بعد آستعار نيرانها ، وأصبح فضلك لا يدرَك بوصف ولا يحدّ بتَعداد ، ثم لم ترضَ بما عمّمتنا به من هذه النِّعم وظاهرت من هذه الأيادى حتى أحببتَ توطيدها والاستيثاقَ منها وعملت لنا فى دوامها كعملك فى إقامتها وكَفَلت من ذلك ما نرجو نفعه فى الخُلوف والأعقاب، وبلغت همّتك لنا فيه حيث لا تبلُغ هِمَم الآباء للأولاد، فجزاك الله الذى رضاه تحرّيتَ وفى موافقته سعيت أفضلَ ما التمستَ ونويتَ» .

وفى مثله : قال خالد بن صفوان لوالٍ دخل عليه : «قدمتَ فأعطيت كُلًّا بقسطه من نظرك ومجلسك وصِلاتك وعدلك حتى كأنك من كل أحد أو كأنك لست من أحد» .

وفى شكره : كتب بعض الكتّاب الى الوزير يشكره : « من شكر لك عن درجة رفعتَه اليها أو ثروة أفدته إياها فان شكرى إياك على مهجة أحييتَها وحُشاشة تبقّيتها ورمقٍ أمسكت به وقمت بين التلف وبينه » .

وفى شكره : قرأت فى كتاب : « ولكل نعمة من نعم الدنيا حدّ تنتهى إليه ومدًى تُوقف عنده وغاية فى الشكر يسمو إليها الطَّرْف خلا هذه النعمةَ التى فاتت الوصف وطالت الشكر وتجاوزت كل قدر وأتت من وراء كل غاية وجمعت من أميرالمؤمنين

مِننا جمّة أبقتْ للماضين منّا وللباقين فخرَ الأبد وردّت عنا كيد العدو وأرغمت عنا أنف الحسود وبسطت لنا عزا نتداوله ثم نخلفه للأعقاب فنحن نلجأ من أمير المؤمنين الى ظلّ ظليل وكَنَف كريم وقلب عطوف ونظر رءوف، فكيف يشكر الشاكر منا وأين يبلغ اجتهاد مجتهدنا ومتى نؤدّى ما يلزمنا ونقضى المفترَض علينا وهذا كتاب أمير المؤمنين الذى لو لم تكن له ولآبائه الراشدين عند من مضى منا ومن غيرنا إلا ما ورد من صنوف كرامته وأياديه ولطيف ألفاظه ومخاطبته، لكان فى ذلك ما يحسّن الشكر ويستفرغ المجهود » .

التلطف فى مسئلة العفو

قال كسرى ليوشت المغنىّ وقد قتل فهلوذ(*) حين فاقه وكان تلميذه : « كنتُ أستريح منه إليك ومنك إليه فأذهب شطرَ تمتّعى حسدُك ونَغَلُ صدرِك » ثم أمر أن يلقَ تحت أرجل الفِيَلة فقال : أيها الملك إذا قتلتُ أنا شطرَ طربك وأبطلتُه وقتلتَ أنت شطره الآخر وأبطلته، أليس تكون جنايتك على طربك كجنايتى عليه ؟ قال كسرى : دعوه، ما دلّه على هذا الكلام إلا ما جُعل له من طول المدّة .

وفى العفو أيضا . قال رجل للمنصور : «الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيذُ أمير المؤمنين بالله من أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين» .

وفى العفو : جلس الحجاج يقتل أصحاب عبد الرحمن، فقام اليه رجل منهم فقال: أيها الأمير إن لى عليك حقا . قال : وما حقك علىّ ؟ قال : سبّك عبد الرحمن يوما فرددتُ عنك . قال : ومن يعلم ذاك ؟ فقال الرجل : أنشُد الله رجلا سمع ذاك إلا شهد به . فقام رجل من الأسرى فقال : قد كان ذاك أيها الأمير . فقال : خلّوا

(*) فى الأغانى ج ٥ ص ٥٨ : الفهليذ .

عنه . ثم قال للشاهد : فما منعك أن تنكر كما أنكر؟ قال : لقديم بغضى إياك . قال : و يخلّى هذا لصدقه .

وفى العفو: أسر معاوية يوم صفّين رجلا من أصحاب علىّ صلوات الله عليه، فلما أقيم بين يديه قال : الحمد لله الذى أمكن منك . قال : لا تقل ذاك فانها مصيبة . قال : وأيّةُ نعمة أعظمُ من أن يكون الله أظفرنى برجل قتل فى ساعة واحدة جماعة من أصحابى . اضربا عنقه . فقال : ألّلهم اشهدْ أن معاوية لم يقتلنى فيك ولا لأنك ترضى قتلى، ولكن قتلنى فى الغلبة على حُطَام هذه الدنيا، فان فعل فافعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله . فقال : قاتلك الله ! لقد سببتَ فأوجعت فى السب ودعوتَ فأبلغتَ فى الدعاء . خَلّيا سبيله .

وفى مثله . أخذ عبد الملك بن مروان سارقا فأمر بقطع يده فقال .

يدى يا أمير المؤمنين أُعيذُها * بعفوك أن تلقى مكانا يَشينُها
فلا خير فى الدنيا وكانت حبيبةً * إذا ما شِمَالى فارقتْها يمينُها

فأبى إلّا قطعه، فدخلت عليه أمّه فقالت : يا أمير المؤمنين، واحِدى وكاسِبى . فقال : بئس الكاسب ! هـذا حدّ من حدود الله . فقالت : اجعله من الذنوب التى تستغفر الله منها . فعفا عنه .

وفى مثله : أخذ عبد الله بن على أسيرا من أصحاب مروان فأمر بضرب عنقه فلما رُفع السيف ليُضرب به ضرط الشامى فوقع العمود بين يدى الغلام ونفرت دابة عبد الله فضحك وقال : اذهب فأنت عتيق آستك . فالتفت اليه وقال : أصلح الله الأمير! رأيتَ ضرطة قطُّ أنجتْ من الموت غير هذه ؟ قال : لا، [قال](1) هذا والله الإدبار. قال : وكيف ذاك ؟ قال : ماظنك بنا وكنا ندفع الموت بأسنّتنا فصرنا ندفعه اليوم بأستاهنا .

(١) زيادة يعينها السياق .

وفى مثله : خرج النعمان بن المنـذر فى غِبّ سماء فمرّ برجل من بنى يَشْكُر جالسٍ على غدير ماء، فقال له : أتعرف النعمان ؟ قال اليشكرى : أليس ٱبن سَلْمَى ؟ قال : نعم . قال : والله لربمـا أمررتُ يدى على فرجها . قال له : ويحك، النعمان بن المنذر ! قال : قد خبرتُك . فما انقضى كلامه حتى لحقته الخيل وحيّوه بتحية الملك . فقال له : كيف قلت ؟ قال : أبيتَ اللعن ، إنك والله ما رأيتَ شيخا أكذب ولا ألأم ولا أوضع ولا أعضّ ببَظْر أمه من شيخ بين يديك . فقـال النعمان : دَعُوه ، فأنشأ يقول :

تعفو الملوك عن العظيـ * ـم من الذنوب لفضلها
ولقد تُعـاقِب فى اليسيـ * ـر وليس ذاك لجهلها
إلا ليُعـرَف فضلُهـا * ويُخاف شِدّةُ نَكْلِها

وفى مثله : لمّـا أخذ المأمون إبراهيم بن المهدى استشار أبا إسحاق والعباس فى قتله فأشارا به، فقال له المأمون : قد أشارا بقتلك . فقال إبراهيم : أما أن يكونا قد نصحا لك فى عظَم الخلافة وما جرت به عادة السياسة فقد فعـلا، ولكنّك تأبى أن تستجلب النصر إلا من حيث عوّدك الله . وكان فى اعتذاره اليه أن قال : إنه وإن بلغ جُرمى استحلالَ دمى فحلمُ أمير المؤمنين وفضـله يُبلغانى عفوَه ولى بعدهما شُفعة الإقرار بالذنب وحقّ الأبوة بعد الأب . فقال المأمون : لو لم يكن فى حق سببك(*) حقّ الصفح عن جُرمك لبلّغك ما أمّلتَ حسنُ تنصُّلك ولطف توصُّلك . وكان إبراهيم يقول بعد ذلك : والله ما عفا عنى المأمون صلةً لرحمى ولا محبة لاستحيائى ولا قضاءً لحق عمومتى، ولكن قامت له سُوقٌ فى العفو فكره أن يُفسـدها بى . ومن أحسن ما قيل فى مثله قول العتّابى

رحَل الرجاءُ إليـك مُغـتربا * حُشِـدت عليـه نوائب الدهر

(*) هكذا بالفتوغرافية وفى العقد الفريد "نسبك" .

ردتْ إليـــكَ ندامتى أمَـلى * وثنى إليكَ عِنـانَه شُكرى
وجعلتُ عَتْبَـك عتب موعظة * ورجاءَ عفوك مُنتهى عـذرى

وقول على بن الجَهْم للتوكل

عفـا الله عنك ألا حرمةٌ * تعوذ بعفوك أن أبعدا (١)
لئن جلّ ذنب ولم أعتمده * لأنت أجـلّ وأعـلى يدا
ألم تر عبـدا عـدا طورَه * ومولًى عفا ورشيدا هدى
ومفسـد أمر تلافيتَـه * فعـاد فأصلح ما أفسـدا
أقلْنى أقالك من لم يزل * يَقِيك ويصرف عنك الردى (٢)

وفى مثله . وَجِد بعض الامراء على رجل بجفاه وأطّرحه حينا ثم دعا به ليسئله عن شيء فرآه ناحلا شاحبا . فقال له : متى اعتللتَ ؟ فقال

ما مسّنى سُقْـمٌ ولكنى * جفوتُ نفسى إذ جفانى الأمير (٣)

فعاد له .

وقال آخر

ألا إن خير العفـو عفوٌ معجّل * وشر العقاب ما يُجازُ به القدرُ

وكان يقال : بحَسْب العقوبة أن تكون على مقدار الذنب .

وفى العفو : قال بعضهم : إن عاقبت جازيتَ وإن عفوت أُحسنت والعفو أقرب للتقوى .

(١) فى الأصلين الفتوغرافى والألمانى «تجود» والتصويب عن الأغانى .
(٢) فى نسخة : العدا .
(٣) كذا بالفتوغرافية والألمانية على أنه شعر والكلام فى ذاته مستقيم الوزن ، وأورده صاحب العقد نثرا و بعده «وآليت أن لاأرضى عنها حتى يرضى عنها أمير المؤمنين» .

ونحوه : قال رجل لبعض الأمراء : أسألك بالذى أنت بين يديه أذلُّ منى بين يديك، وهو على عقابك أقدر منك على عقابى إلّا نظرتَ فى أمرى نظر مَن بُرئى أحبُّ اليه من سُقْمى وبراءتى أحبُّ اليه من جرمى .

ونحوه قول آخر : قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة .

وفى مثله : أتى الأحنفُ آبن قيس مُصعبَ بن الزبير فكلّمه فى قوم حبسهم، فقال، أصلح الله الأمير: إن كانوا حُبسوا فى باطل فالحق يخرجهم، وإن كانوا حُبسوا فى حق فالعفو يسعهم، فخلّاهم .

وفى مثـله : أمر معاوية بعقوبة رَوْح بن زِنْباع فقـال له روح : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع منى خسيسة أنت رفعتها أو تنقض منى مِرّة أنت أبرمتهـا أو تُشمت بى عدوا أنت وَقَمْتَه[1] وإلّا[2] أتى حلمُك وعفوك على جهلى وإساءتى . فقال معاوية : خلّيا عنه . ثم أنشد

* إذا آلله سَنّى عقدَ أمرٍ تيسرا *

وفى مثله . أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نَذر إن أمكنه الله منه ليفعلنّ به وليفعلن . فقال له رَجَاء بن حَيْوة : قد فعل الله ما تحب من الظفر فافعل ما يحب الله من العفو .

وفى مثـله : قال ابن القِرِّيّة للحجاج فى كلام له : أَقِلْنِى عثرتى وأَسِغْنِى ريقى فانه لا بد للجواد من كبوة ولا بد للسيف من نبوة ولا بد للحليم من هفوة . فقال الحجاج : كلّا، والله حتى أوردَك جهنم . ألست القائل برُسْتُقُبَاذ : تَغَدَّوا الجدىَ قبل أن يتعشّا كم .

وفى مثله : أمر عبد الملك بن مروان بقتل رجل فقال : يا أمير المؤمنين، إنك أعزّ ما تكون أحوجُ ما تكون الى الله، فاعفُ له فانك به تُعان وإليه تعود . فخلّى سبيله .

(١) قهرته وأذللته .

(٢) كذا بالأصل وفى الأمالى وأسألك بالله إلا أتى حلمك الخ .

وفى مثله . قال خالد بن عبد الله لسليمان بعد أن عذبه [بما عذّبه به] (١) : إن القدرة تذهب الحَفيظة وقد جلّ قدرُك عن العتاب ونحن مقرّون بالذنب، فان تعفُ فأهل العفو وإن تعاقب فبما كان منا . فقال [أولى لك] (١) أمَّا حتّى تأتى الشأم راجلًا فلا عفو .

وفى مثله : ضرب الحجاج أعناق أَسَارى أُتى بهم، فقال رجل منهم : والله لئن كنّا أسأنا فى الذنب فما أحسنتَ فى المكافأة . فقال الحجاج : أفٍّ لهذه الجِيَف ! أما كان فيهم أحد يحسن مثل هذا ! وكفَّ عن القتل .

وفى مثله . أخذ مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه . فقال : أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذى يستضاء به فأتعلقَ بأطرافك وأقول أى ربِّ سلْ مصعباً فيم قتلنى . قال : أطلقوه . قال : اجعل ما وهبتَ لى من حياتى فى خَفْض . قال أعطوه مائة ألف . قال : بأبى أنت وأمى، أُشهد الله أن لابن قيس الرُّقَيات منها خمسين ألفا . قال : ولم ؟ قال : لقوله فيك

إنما مصعبٌ شهاب من اللّـــه تجلّت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروتٌ يُخشى ولا كبرياء
يتّقى الله فى الأمور وقد أفـــلح من كان همّه الاتقاءُ

فضحك مصعب، وقال : أرى فيك موضعا للصنيعة، وأمره بلزومه وأحسن اليه فلم يزل معه حتى قتل .

وفى مثله : قال عبد الملك (٢) بن الحجاج التغلّبى لعبد الملك بن مروان : هربتُ اليك من العراق . قال : كذبت، ليس إلينا هربتَ، ولكنك هربت من دم الحسين وخفتَ على دمك فلجأت الينا . ثم جاء يوما آخر فقال

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .
(٢) فى النسخة الألمانية « عبد الله » .

أدنو لترحمنى وتَرْثِىَ خَلَّتى * وأراك تدفعنى فأين المَدْفع

ونحوه قول الآخر

كنتُ من كربتى أفرّ إليهم * فهـــمُ كربتى فأين الفرار

وفى مثله : قَنَّع الحجاجُ رجلا فى مجلسه ثلاثين سوطا وهو فى ذلك يقول

وليس بتعزير الأمير خَزَايةٌ * علىّ إذا ما كنتُ غير مُريب

ونحوه

وإن أمير المؤمنين وفعــله * لكالدهر، لاعارٌ بما فعل الدهر

وفى مثله : مر الحسن البصرى برجل يُقاد منه . فقال للوَلىّ : يا عبد الله، إنك لا تدرى لعل هذا قتل وليّك وهو لا يريد قتله، وأنت تقتله متعمدا، فانظر لنفسك . قال : قد تركته لله .

وفى مثله . حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن عيسى بن عمــر قال : رُمى الحجاج فقال : انظروا من هذا ؟ فأوما رجل بيده ليرمى . فأُخذ فأُدخل عليه وقد ذهبتْ روحُه . قال عيسى بصوت ضعيف يَحْكى الحجاجَ : أنت الرّامينا منذ الليلة ؟ قال : نعم أيهـا الأمير . قال، ما حملك على ذلك ؟ قال : العىُّ(١) واللهِ واللؤم . قال : خلُّوا عنه . وكان إذا صُدِق انكسر

وفى مثله : حدّثنى أبو حاتم عن الاصمعى عن عثمان الشحّام قال : أُتى الحجاج بالشَّعبى فقال له : أخرجتَ علينا يا شعبى؟ قال : أجدب بنا الجنابُ وأَحزن بنا المنزلُ واستحلَسْنا الخوفَ واكتحلنا السهرَ وأصابتنا خَزْيةٌ لم نكن فيها بَرَرةً أتقياء ولا فَجَرة أقوياء . فقال الحجاج : لله أبوك . ثم أرسله .

(١) كذا بالأصل ولعله النَّىّ .

وفى مثله: أُتى موسى بن المهدى برجل كان قد حبسه بجُعل يُقرِّعه بذنو به، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، اعتذارى مما تقرّعنى به ردٌّ عليك وإقرارى بمـا تَعْتَدُّه علىّ يُلزمنى ذنبا لم أجنِه، ولكنى أقول

فان كنتَ ترجو بالعقوبة راحةً * فلا تَزْهَدَنْ عند المعافاة فى الأجر

وفى مثله: قال الحسن بن سهل لنُعَيم بن حازم وقد اعتذر إليه من ذنب عظّمه: على رِسْلك أيها الرجل، تقدّمتْ لك طاعةٌ وتأخرتْ لك توبة، وليس لذنب بينهما مكان، وما ذنبك فى الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين فى العفو.

وفى الدعاء له: قال رجل لبعض الأمراء: «إنى لو كنت أعرف كلاما يجوز أن ألقىَ به الأمير غير ما جرى على ألسن الناس، لأحببت(١) أن أبلغ ذلك فيما أدعو به له وأعظّم من أمره، غير أنى أسأل الله الذى لا يخفى عليه ما تحتجب به الغيوب من نيات القلوب أن يجعل ما يطّلع عليه ممـا تبلغه نيتى فى إرادته للأمير ادنى ما يؤتيه إياه من عطاياه ومواهبه».

وفى الدعاء له: قرأت فى كتاب رجل من الكتّاب «لا زالت أيامك ممدودة بين أمل لك تبلُغه وأمل فيك تُحققه حتى تَملّى من الأعمـار أطولها وترقّى من الدرجات أفضلَها».

وفى الدعاء: دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قُبضت ضِياعُه فقال: السلام عليك أميرَ المؤمنين. محمد بن عبد الملك سَليل نِعمتك وآبن دولتك وغصن من أغصان دَوحتك، أتأذن له فى الكلام؟ قال: نعم. فتكلّم بعد حمد الله والثناء عليه. فقال «نستمتع الله لحِيَاطة ديننا ودنيانا ورعايةِ أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد فى عمرك من أعمارنا وفى أثرك من آثارنا ويقيك

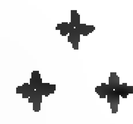
(١) فى النسخة الفتوغرافية «لاجتنبت» وهو تحريف.

الأذى بأسماعنا وأبصارنا . هذا مقام العائذ بظلّك الهارب الى كَنَفك وفضلك الفقير الى رحمتك وعدلك » ثم تكلّم فى حاجته .

وفى شكر السلطان وفى حمده : قدم رجل على سليمان بن عبد الملك فى خلافته فقال له : ما أقدمك علىّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أقدمنى عليك رغبة ولا رهبة . قال : وكيف ذاك ؟ قال : أما الرغبة فقد وصلت الينا وفاضت فى رِحالنا وتناولها الأقصى والأدنى منّا ، وأما الرّهبة فقد أَمِنّا بعدلك يا أمير المؤمنين علينا وحسنِ سِيرتك فينا من الظلم ، فنحن وفد الشكر .

وفى حمده : كتب بعض الكتّاب الى وزير : « كلُّ مَدًى يبلغه القائلُ بفضلك والواصفُ لأيامك والشاكرُ للنعمة الشاملة بك قصدٌ أَمَمٌ عند الفضائل الموفورة لك والمواهب المقسومة للرعية بك ، فواجبٌ على من عرف قدر النعمة بك أن يشكرها وعلى من أظله عزّ أيامك أن يستديمه وعلى من حاطته دولتك أن يدعو الله ببقائها ونمائها ، فقد جمع الله بك الشّتات وأصلح بها الفساد وقبض الأيدىَ الجائرة وعطف القلوب النافرة ، فأمنتَ سَرْب البرىء وخفضت جأشه وأخفتَ سُبُلَ الجانى وأخذتَ عليه مذاهبه ومطالعه ووقفتَ بالخاصّة والعامة على قصد من السيرة أَمنوا بها من العِثار والكبوة » .

وفى حضه على شكر الله عز وجل . قال شبيب بن شيبة للمهدى : إن الله عز وجل لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترضَ بأن يكون أحد أشكر له منك والسلام .



تم كتاب السلطان ، ويتلوه فى الجزء الثانى كتاب الحرب

كتاب الحرب

آداب الحرب ومكايدها

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : حدّثنى محمد بن عُبيد قال حدّثنا معاوية ابن عمرو عن أبى إسحاق عن هشام والأوزاعىّ عن يحيى بن أبى كثير قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تَمَنَّوْا لقاء العدوّ فعسى أن تُبتلَوْا بهم ولكن قولوا اللهم ٱكفِنا وكُفّ عنا بأسهم، وإذا جاءوكم يَعْزِفون ويزحَفون ويصيحون فعليكم الأرضَ جلوسا، ثم قولوا : اللهم أنت ربّنا وربهم، ونواصينا ونواصيهم بيدك، فاذا غَشُوكم فثوروا فى وجوههم» .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن سعيد بن عبد العزيز عمن حدّثه أنّ أبا الدرداء قال: أيها الناس، عَمَلٌ صالح قبلَ الغزو فانما تقاتِلون بأعمالكم .

حدّثنا القاسم بن الحسن عن الحسن بن الربيع[(1)] عن ٱبن المبارك عن حَيْوة بن شُرَيح قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله العظيم، ثم قال عند عقد الألوية : بسم الله وعلى عون الله وٱمضُوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر، فقاتِلوا فى سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . لا تجبُنوا عند اللقاء ولا تمثّلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هَرِما ولا ٱمرأة ولا وليدا . وتوقَّوْا قتلهم إذا التقى الزَّحْفان وعند

(1) فى الألمانية "الحكم" .

حُمَة النَّهضات(١) وفى شنّ الغارات. ولا تَغُلُّوا عنـد الغنائم ونزّهوا الجهاد عن عرَض الدنيا وأبشروا بالرِّبَاح فى البيع الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

استشار قوم أكثم بن صَيْفِىّ فى حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال : أقلّوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصِّياح من الفشل والمرء يعجَز لا محالة. تثبّتوا فان أحزم الفريقين الرَّكين، ورُبّتَ عَجَلةٍ تُعقب رَيْثا، وآتّزروا للحرب وادّرعوا الليل فانه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختُلف عليه .

وقال بعض الحكماء : قد جمع الله لنا أدب الحرب فى قوله تعالى (يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَـةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُـولَهُ وَلَا تَنَـازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن الأوزاعىّ قال، قال عُتْبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ألا ترونهم — يعنى أصحاب النبى صلى الله عليـه وسلم — جُثِيًّا على الرُّكَب كأنهم خُرْس يتلمّظون تلمّظ الحيّات . قال : وسمعتهم عائشـة يُكبِّرون يوم الجمَل فقالت : لا تكثروا الصياح فان كثرة التكبير عند اللقاء(٢) من الفشَل .

وذكر أبو حاتم عن العُتْبىّ عن أبى إبراهيم قال: أوصى أبو بكر رضى الله عنه يزيد بن أبى سفيان حين وجّهه الى الشـام فقال : يا يزيدُ سِرْ على بركة الله . فاذا دخلتَ بلاد العدوّ فكن بعيـدا من الحَمْلة فانى لا آمن عليك الجَوْلة . وآستظهرْ بالزاد وسِرْ بالأدلّاء ولا تقاتِل بمجروح فانّ بعضه ليس منه، وآحترس من البَيَات فانّ فى العرب

(١) أى شدّتها ومعظمها . (٢) فى الفتوغرافية «القتال» .

غِرّة، وأقلل من الكلام فانما لك ما وُعى عنك. وإذا أتاك كتابى فأنفذه فانما أعمل على حسب إنفاذه. وإذا قدِمَتْ عليك وفودُ العجم فأنزلهم معظم عسكرك وأسبغ عليهم النفقة وآمنع النـاس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين. ولا تُلحِنّ فى عقوبة [فان أدناها وجع] [(١)] ولا تسرعنّ اليها وأنت تكتفى بغيرها. وآقبلْ من الناس علانيتهم وكِلْهم الى الله فى سرائرهم. ولا تجسّسْ عسكرك فتفضحه ولا تهمله فتفسدَه. وأستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه.

[(١) قال أبو بكر لعكرمة حين وجهه الى عُمَان: يا عكرمة سِرْ على بركة الله ولا تَنزل على مستأمن ولا تؤمّنن على حق مسلم وأَهْدِر الكفرَ بعضه ببعض. وقدّم النُّذُرَ بين يديك. ومهما قلت إنى فاعل فافعله ولا تجعل قولك لغوا فى عقوبة ولا عفو. ولا ترجُ إذا أُمِّنت ولا تخافنّ إذا خُوّفت ولكن آنظر متى تقول وما تقول. ولا تَعِدنّ معصية بأكثر من عقوبتنا فان فعلت أثمت وإن تركت كذبت. ولا تؤمِّنن شريفا دون أن يُكفَل بأهله ولا تُكفلنّ ضعيفا أكثر من نفسه. وآتق الله فاذا لقيت فاصبر.]

وأوصى عبد الملك بن صالح [(٢)] أميرَ سَرِيّةٍ الى بلاد الروم فقال: أنت تاجر الله لعباده فكن كالمُضارب الكيِّس الذى إن وجد ربحا تَجَر، وإلا احتفظ برأس المـال. ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة. وكن من احتيالك على عدوّك أشدّ حذرا من احتيال عدوّك عليك.

وحدّثنى محمد بن عبيد عن آبن عيينة قال: أخبرنى رجل من أهل المدينـة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة أو لعمرو بن العاص: «إذا بعثتك فى سرية فلا تَنتقّهم وآقتطعْهم فان الله ينصر القوم بأضعفهم».

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية.

(٢) كذا بالنسختين الفتوغرافية والألمـانية وفى العقد الفريد «مروان».

حدّثنى محمد بن عبيد [عن آبن عيينة](١) عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عُمَير قال : غزا نبى من الأنبياء أو غير نبى فقال : «لا يغزوَنَّ معى رجل بنى بناء لم يكمله، ولا رجل تزوّج امرأة لم يَبْنِ بها، ولا رجل زرع زرعا ثم لم يحصُده» .

[وذكر ابن عباس عليا فقال : ما رأيت رئيسا يوزَن به . لرَأيتُه يوم صِفّين وكأنّ عينيه سِراجا سَليط وهو يحمّس أصحابه الى أن آنتهى إلىّ وأنا فى كَثْف(٢) فقال : معشرَ المسلمين، استشعروا الخشية وعنُّوا(٣) الأصوات وتجلببوا السكينة وأكملوا اللُّؤَم وأخفوا(٤) الجون وقلقلوا السيوف فى اغمادها قبل السَّلّة وآلحظوا الشَّزْر وآطعنوا النَّبْر(٥) ونافِحُوا بالظُّبا وصِلُوا السيوف بالخُطَا والرماحَ بالنَّبْل وآمشوا الى الموت مشيا سُجُحا . وعليكم بهذا السواد الأعظم والرِّوَاق المطنّب فآضربوا ثَبَجَه فان الشيطان راكد فى كِسْره نافج خُصْيَيه مفترش ذراعيه قد قدّم للوَثْبَة يدا وأخّر للنُّكوص رجلا] .

ولما ولّى يزيد بن معاوية سَلْمَ بن زياد خراسان قال له : إن أباك كفى أخاه عظيما، وقد استكفيتُك صغيرا فلا تتّكلنّ على عذر منى فقد اتكلتُ على كفاية منك . وإياك منّى قبل أن أقول إياى منك، فانّ الظن إذا أَخْلف فيك أَخْلف منك . وأنت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه، وقد أتعبك أبوك فلا تريحنّ نفسك، وكن لنفسك تكن لك، واذكر فى يومك أحاديث غدك ترشُدْ إن شاء الله .

قال الأصمعى قالت أم جبغويه ملك طخارستان لنصر بن سيّار الليثى : ينبغى للأمير أن تكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويفشى اليه سرّه، وحصن يلجأ اليه إذا فزع فينجيه — يعنى فرسا — وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف خَوْنه،

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) فى الأصل «كنف» وهو تحريف والكثف الحشد والجماعة .
(٣) من التعنية أى الحبس والأسر أى آحبسوا أصواتكم ولا ترفعوها . (٤) كذا بالأصل ولم نجده فى نهج البلاغة ولعله «أخفّوا الخوذ» جمع خوذة أى اجعلوها خفيفة حتى لا تثقلكم فى الحرب . (٥) يقال طعن نبر : مختلس كأنه ينبر الرمح عنه أى يرفعه بسرعة . وفى نهج البلاغة : والحظوا الخزر واطعنوا الشزر .

وذخيرة خفيفة المحمل إذا نابتــه نائبة أخذها، وامرأة إذا دخل عليها أذهبت همّه، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له بما يشتهيه .

وبلغنى عن عبّاد بن كثير عن عُقَيل [بن خالد][1] عن الزُّهْرى[2] عن عبيد الله بن عبد الله عن ٱبن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما غُلِب قوم قطّ يبلغون اثنى عشر ألفا إذا اجتمعت كلمتهم» . [وقال رجل يوم حنين : لن نُغْلَب اليوم عن قلّة . وكانوا اثنى عشر ألفا فهزم المسلمون يومئذ وأنزل الله عز وجل (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ الآية)][1] .

وقالوا كان يقال : ثلاث من كُنَّ فيه كُنَّ عليه : البغى، قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) والمكر، قال الله تعالى (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) والنَّكثُ، قال عز وجل (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) .

وقرأت فى كتاب للهند : لا ظَفَر مع بَغْى، ولا صحّة مع نَهَم، ولا ثناء مع كِبْر، ولا صداقة مع خَبّ، ولا شرف مع سوء أدب، ولا بِرّ مع شُحّ، ولا ٱجتنابَ مُحرّم مع حرص، ولا محبة مع زهو[3]، ولا ولاية حُكم مع عدم فقه، ولا عذر مع إصرار، ولا سلامة مع ريبة، ولا راحة قلب مع حسد، ولا سُودَد مع انتقام، ولا رياسة مع غَرارة وعُجْب، ولا صواب مع ترك المشاورة، ولا ثبات مُلك مع تهاون وجهالة وُزراء .

خرجت خارجة بخراسان على قتيبة بن مسلم فأهمّه ذلك فقيل له : ما يُهمّك منهم؟ وجّهْ إليهم وَكيع بن أبى سُود فانه يكفيكهم . فقال : لا ، إنّ وكيعا رجل به كِبْر يحتقر أعداءه، ومن كان هكذا قلّتْ مبالاته بعدوّه فلم يحترس منه فيجد عدوّه منه غِرّة .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) كذا فى الأصل الفتوغرافى وفى النسخة الألمانية : الزبيرى والصواب الأوّل فان المعروف فى كتب طبقات المحدّثين أن عقيل بن خالد يروى عن الزهرى والزهرى يروى عن عبيد الله بن عبد الله . (٣) فى الفتوغرافية «ولا محبة مع هزؤ» .

- وقرأت فى بعض كتب العجم أنّ ملكا من ملوكهم سئل : أىّ مكايد الحرب أحزم ؟ فقال : إذكاء العيون واستطلاع الأخبار وإفشاء الغَلَبة وإظهار السرور وأمانة الفَرَق والاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمن يُستنصح ولا استنصاح لمن يُستغشّ ولا تحويل شىء عن شىء إلا بسدّ ناحية من المراتب وحسن مجاملة الظنون وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره . وسئل عن وثائق الحزم فى القتال فقال : مخاتلة العدوّ عن الرِّيف وإعداد العيون على الرَّصَد وإعطاء المبلِّغين على الصدق ومعاقبة المتوصِّلين بالكذب وألا تُخرِج هاربا الى قتال ولا تُضيِّق أمانا على مستأمِن ولا تَشِبَّ عن أصحابك للبُغْية ولا تُشْدَهنّك الغنيمة عن المحاذرة .

* وقرأت فى كتاب للهند : الحازم يحذر عدوّه على كل حال . يحذر المواثبة إن قَرُب ، والغارة إن بَعُد ، والكمينَ إن انكشف ، والاستطراد إن ولّى ، والمكر إن رآه وحيدا . ويكره القتال ما وجد بُدًّا لأن النفقة فيه من الأنفُس والنفقة فى غيره من المال .

وقرأت فى الآيين : قد جرت السنة فى المحاربة أن يوضع من كان من الجند أعسر فى المَيْسرة ليكون لقاؤه يَسْرا ورميه شَزْرا وأن يكون اللقاء من الفرسان قُدُما وترك ذلك على حال مُمَايلة أو مُجانَبة وأن يرتاد للقلب مكانا مُشْرِفا ويلتمس وضعه فيه فان أصحاب الميمنة والميسرة لا يُقهرون ولا يُغلبون وإن زالتا بعض الزوال ما ثبت المادّتان(1) فان زالت المادّتان لم ينتفع بثبات الميمنة والميسرة . [وإذا عَىَ(2) الجند فليناوش أهل الميمنة والمادّتان فأما الميسرة] فلا يَشُذّنّ منهم أحد إلّا أن يبادر اليهم من العدوّ من يخاف بأثقته فيردّون عاديتهم مع أنّ أصحاب الميمنة والمادّتين لا يقدرون على لقاء من يناوشهم والرجوع الى أصحابهم عاطفين ، وأصحاب الميسرة لا يقدرون على مناوشة

(1) كذا بالنسخة الألمانية وفى الفتوغرافية هكذا "الماذيان" ولم نوفق الى تصويبها .

(2) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

الا مائلين و يعجزهم الرجوع عاطفين. ولا يألُوَنّ صاحبُ الجيش على حال من الحال أن يستدبر جندُه عينَ الشمس والريح، ولا يحاربنّ جندا الا على أشدّ الضرورة وعلى حال لا يوجد معها من المحاربة بدٌّ ، فاذا كان كذلك فليَجْهَد صاحب الجيش أن يدافع بالحرب الى آخر النهار. و ينبغى على كل حال أن يخلّى بين المنهزمين و بين الذهاب ولا يُحبسوا. وإن كان الجند قد نزلوا على ماء وأراد العدوّ أن ينالوا من الماء فليس من الرأى أن يُحال بينهم و بينه لئلا يُخْرِجوا الى الجدّ فى محاربتهم. وإن كان العدوّ قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فان وقت طلب ذلك عند رىّ العدوّ من الماء وسقيهم دوابَّهم منه وعند حاجة الجند إليه ، فان أَسْلس ما يكون الانسان عن الشيء عند استغنائه عنه وأشدَّ ما يكون طلبا للشيء عند حاجته اليه . ولْتَسِر الطلائع فى قرار من الأرض ويقفوا على التِّلاع ولا يجوزوا أرضا لم يستقصوا خبرها. وليكُنْ الكمين فى الخَمَر والأماكن الخفية. وليطرح الحَسَكَ فى المواضع التى يتخوّف فيها البياتَ. وليحترس صاحب الجيش من انتشار الخبر عنه فان فى انتشاره فساد العسكر وانتقاضه .

وإذا كان أكثر من فى الجند من المقاتِلَة مجرَّبين ذوى حُنْكة و بأس فبِدَارُ العدوّ الجند الى الوقعة خير للجند . وإذا كان أكثرهم أغمارا ولم يكن من القتال بدّ فبِدَار الجند الى مقاتلة العدوّ أفضل للجند . وليس ينبغى للجند أن يقاتلوا عدوّا إلا أن تكون عدّتهم أربعة أضعاف عدّة العدوّ أو ثلاثة أضعافهم ، فان غزاهم عدوّهم لزمهم أن يقاتلوهم بعد أن يزيدوا على عدّة العدوّ مثل نصف عدّتهم . وإن توسط العدوّ بلادهم لزمهم أن يقاتلوهم وإن كانوا أقل منهم ، وينبغى أن يُنتخب للكمين من الجند أهلُ جرأة وشجاعة وتيقّظ وصَرامة وليس بهم أنين ولا سُعال ولا عُطاس ويُختار لهم من الدواب مالا يَصْهل ولا ينغث[1] ، ويُختار لكمونهم مواضع لا تُغشى ولا تُؤتى ، قريبة من

(١) كذا فى النسخة الألمانية ، وفى النسخة الفتوغرافية "ينعث". ولعل الصواب ينهت كيضرب والنهات النفس بأنين وهو الزحير .

المـاء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم، وأن يكون إقدامهم بعد الروية والتشاور والثقة بإصابة الفرصة، ولا يخيفوا سباعا ولا طيرا ولا وحشا . وأن يكون إيقاعهم كضَرَيم الحريق، وليجتنبوا الغنائم ولينهضوا من المَكْمن متفرقين إذا ترك العدو الحراسة وإقامة الرَّمَايا، وإذا أونس من طلائعهم توانٍ وتفريطٌ وإذا أَمْرجُوا دوابَّهم فى الرعى، وأشدَّ ما يكون البرد فى الشتاء وأشدَّ ما يكون الحر فى الصيف . وأن يرفضّوا ويفترقوا إذا ثاروا من مكمنهم بعد أن يستخبر بعضهم بعضا وأن يسرعوا الايقاع بعدوّهم ويتركوا التلبّث والتلفّت . وينبغى للمبيّتين أن يفترصوا البَيَات إذا هبَّت ريح أو أُونِس من نهر قريب منهم خريرٌ فانه أجدر ألا يُسمَع لهم حسّ . وأن يُتوخّى بالوَقْعة نصفُ الليل أو أشدُّ مايكون إظلاما . وأن يصير جماعة من الجند وسط عسكر العدو وبقيتهم حوله ، ويبدأ بالوَقْعة من يصير منهم فى الوسط ليُسمع بالضجّة والضوضاء من ذلك الموضع لا من حوله ، وأن يُشرَّد قبل الوقعة الأَفْره فالأفره من دوابّهم ويقطّع أَرْسَانُها وتُهمَز بالرماح فى أعجازها حتى تَحيرَ وتَعيرَ ويُسمع لها ضوضاء ، وأن يهتف هاتف ويقول : يا معشر أهل العسكر النَّجاء النجاء فقد قُتل قائدكم فلان وقتل خلق وهرب خلق . ويقول قائل : أيها الرجل استَحيِنِى لله . ويقول آخر : العفو العفو . وآخر : أوه أوه ، ونحو هـذا من الكلام[(١)] . وليُعلم أنه إنما يُحتاج فى البَيَات الى تحيير العدو وإخافته وليجتنبوا التقاطَ الأمتعة وآستياقَ الدوابّ وأَخْذَ الغنائم . قال : وينبغى فى محاصرة الحصون أن يُستمال من يُقدَر على استمالته من أهل الحصن والمدينـة ليُظفر منهم بخَصْلتين : إحداهما استنباط أسرارهم ، والأخرى إخافتُهم وإفزاعهم بهم ، وأن يُدسَّ منهم من يصغّر شأنهم ويؤيسهم من المَدَد ويخبرهم أن سرّهم منتشر فى مكيدتهم ، وأن يُفاض حول الحصن ويشار اليه بالأيدى كأن فيه مواضع حصينة وأُخَر ذليلة ومواضع يُنصب المَجَانيق

(١) فى النسخة الفتوغرافية بعد هذا زيادة : وأنشد

فأَوه بذكراها إذا ماذكرتُها * ومن بعد أرض دونها وسماء

عليها ومواضع تُهيّأ العرّادات لهـا ومواضع تُنقب نقبا ومواضع توضع السّـلالم عليها ومواضع يُتسوّر منها ومواضع يُضرم النار فيها ليملأهم ذلك رعبا، ويكتب على نُشّابة: إياكم أهلَ الحصن والاغترار وإغفال الحراسة، عليكم بحفظ الأبواب فان الزمان خبيث وأهله أهل غدر فقد خُدع أكثرُ أهل الحصن واستُميلوا، ويُرمى بتلك النشابة فى الحصن ثم يُدسّ لمخاطبتهم المِنْطيق المُصيب الدّهيّ الموارِب المخاتِل غير المِهْـذار ولا المغفّل. وتؤخّر الحرب ما أمكن ذلك فان فى المحاربة جرأة منهم على من حاربهم ودليلا على الحيلة والمكيدة، فان كان لابد من المحاربة فليحاربوا بأخفّ العُدّة وأيسر الآلة . وينبغى أن يغلب العـدوّ على الأرض ذات الخَمَر والشجر والأنهـار للعسكر ومصافّ الجنود ويُخلّى بين العدوّ وبين بساط الأرض ودَكادكها .

وفى بعض كتب العجم أن بعض الحكماء سـئل عن أشدّ الأمور تدريبا للجنود وشحْذا لها، فقال: استعادة القتال وكثرة الظّفَر، وأن تكون لها موادّ من ورائها وغنيمة فيما أمامها، ثم الإكرام للجيش بعد الظّفر والإبلاغ بالمجتهدين بعد المُناصبة، والتشريف للشجاع على رءوس الناس .

قال المدائنى [قال نصر بن سيّار](١) : كان عظماء الترك يقولون : القائد العظيم ينبغى أن تكون فيه خصال من أخلاق الحيوان : شجاعة الديك، وتحنّن الدجاجة، وقلب الأسد، وحمْلة الخنزير، [وروغان الثعلب، وخَتْل الذئب . وكان يقال فى صـفة الرجل الجامع : له وثْبة الأسـد، وروغان الثعلب ، وختل الذئب](١) وجَمْع الذّرّة، وبُكور الغراب .

وكان يقال : أصلح الرجال للحرب المجرِّب الشجاع الناصح .

---

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن أبى الأصمّ قال، قيل لعمرو بن معاوية العُقَيلى وكان صاحب صَوَائف: بم ضبطت الصوائف؟ أى الثغور قال: بسّمانة الظهر وكثرة الكعك والقَديد. وفى كتاب الآيين: ليكن أوّل ما تحمله معك خبزا ثم خبزا ثم خبزا، وإياك والمَفَارش والثياب. أبو اليَقْظان قال قال شبيب الخارجى: الليل يكفيك الجبانَ ونصفَ الشجاع. وكان إذا أمسى قال لأصحابه: أتاكم المَدَد، يعنى الليل. وقيل لبعض الملوك: بيِّتْ عدوّك. قال: أكره أن أجعل غَلَبتى سرقة.

المدائنى قال: لما اشتغل عبد الملك بمحاربة مُصعب بن الزبير اجتمع وجوه الروم الى ملكهم فقالوا: قد أمكنتْك الفرصة من العرب بتشاغل بعضهم ببعض، فالرأى أن تغزوهم فى بلادهم. فنهاهم عن ذلك وخطّأ رأيهم، ودعا بكلبين فأرّش بينهما فاقتتلا قتالا شديدا، ثم دعا بثعلب فخلّاه بينهما، فلما رأى الكلبان الثعلبَ تركا ما كانا فيه وأقبلا على الثعلب حتى قتلاه، فقال لهم ملك الروم: هذا مثلنا ومثلهم. فعرفوا صدقه [وحسن رأيه] ورجعوا عن رأيهم.

وأوصى بعض الحكماء ملكا فقال: لا يكن العدوّ الذى قد كشف لك عن عداوته بأخوف عندك من الظَّنِين الذى يستتر لك بمخاتلته، فانه ربما تخوّف الرجل السُّمّ الذى هو أقتل الأشياء وقتله الماء الذى يحيى الأشياء، وربما تخوّف أن يقتله الملوك التى تملكه ثم قتلته العبيد التى يملكها. فلا تكن للعدوّ الذى تُناصب بأحذرَ منك للطعام الذى تأكل. وأنا لكل أمر أخذت منه نذيرك وإن عظُم آمَنُ منّى من كل أمر عرّيته من نذيرك وإن صغُر. واعلم أن مدينتك حِرْز من عدوّك، ولا مدينةَ تحترز فيها من طعامك وشرابك ولباسك وطيبك، وليست من هذه الأربع واحدة إلا وقد تُقتل بها الملوك.

وذكر عبد الملك بن صالح الهاشمى أن خالد بن برمك، حين فصل مع قحطبة من خراسان ، بينا هو على سطح بيت فى قرية قد نزلاها وهم يتغدون نظر الى الصحراء فرأى أقاطيع ظباء قد أقبلت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط العسكر ، فقال لقحطبة : أيها الأمير ناد فى الناس : يا خيل الله اركبى ، فان العدو قد نهد اليك وحث ، وغاية أصحابك أن يسرجوا ويلجموا قبل أن يروا سرعان الخيل ، فقام قحطبة مذعورا فلم ير شيئا يروعه ولم يعاين غبارا ، فقال لخالد : ما هذا الرأى؟ فقال خالد : أيها الأمير لا تتشاغل بى وناد فى الناس . أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس! إن وراءها جمعا كثيفا . قال : فوالله ما أسرجوا ولا ألجموا حتى رأوا ساطع الغبار فسلموا ، ولولا ذلك لكان الجيش قد اصطلم .

وقال بعض الحكماء لبعض الملوك : آمرك بالتقدم والأمر ممكن ، وبالإعداد لغد من قبل دخولك فى غد كما تعد السلاح لمن تخاف أن يقاتلك وعسى ألا يقاتلك ، وكما تأخذ عتاد البناء من قبل أن تصيبه السماء وأنت لا تدرى لعلها لا تصيبه ، بل كما تعد الطعام لعدد الأيام وأنت لا تدرى لعلك لا تأكله . وكان يقال : كل شىء طلبته فى وقته فقد مضى وقته .

[وقرأت فى كتاب سير العجم أن فيروز بن يزدجرد بن بهرام لما ملك سار بجنوده نحو خراسان ليغزو اخشنوار ملك الهياطلة ببلخ ، فلما انتهى الى بلاده اشتد رعب اخشنوار منه وحذره له ، فناظر أصحابه ووزراءه فى أمره ، فقال له رجل منهم : أعطنى موثقا وعهدا تطمئن اليه نفسى أن تكفينى أهلى وولدى وتحسن اليهم وتخلفنى فيهم ، ثم اقطع يدى ورجلى وألقنى على طريق فيروز حتى يمر بى هو وأصحابه فأكفيك مؤونتهم [وشوكتهم] وأورطهم مورطا تكون فيه هلكتهم . فقال له اخشنوار : وما الذى تنتفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت قد هلكت

ولم تَشْرَكا فى ذلك؟ قال : إنى قد بلَغتُ ما كنت أحب أن أبلغه من الدنيـا وأنا موقِن بأن الموت لا بد منه وإن تأخر أياما قلائل، فأحب أن أختم عمرى بأفضـل ما تُختَم به الأعمـار من النصـيحة لاخوانى والنكاية فى عدوّى فيشرُف بذلك عقبى وأصيب سعادة وحُظْوة فيما أمامى، ففعل به ذلك وأمر به فأُلقى حيث وصف له. فلمـا مرّ به فيروز سأله عن أمره فأخبره أن اخشـنوار فعل ذلك به وأنه احتال حتى حُمل الى ذلك الموضع ليدلّه على عورته وغِرّته وقال : إنى أدلك على طريق هو أقرب من هذا الذى تريدون سلوكه وأخفى، فلا يشعر اخشنوار حتى تهجُموا عليه فينتقم الله لى منه بكم، وليس فى هذا الطريق من المكروه الا تَفوِيزُ يومين ثم تُفْضون الى كل ما تحبون. فقبل فيروز قوله بعد أن أشار عليه وزراؤه بالاتهام له والحذر منه وبغير ذلك، فخالفهم وسلك الطريق حتى انتهى بهم الى موضع من المفازة لا صَدَر عنه ثم بيّن لهم أمره فتفرقوا فى المفازة يمينا وشمـالا يلتمسون المـاء فقتل العطشُ أكثرهم ولم يخلُص مع فيروز منهم إلا عدّة يسيرة فإنهم انطلقوا معه حتى أشرفوا على أعدائهم وهم مسـتعدّون لهم فواقعهم على تلك الحالة(١) وعلى ما بهم من الضر والجهـد فاستمكنوا منهم وأعظموا النكاية فيهم، ثم رغب فيروز الى اخشنوار وسأله أن يمنّ عليه وعلى من بقى من أصحابه على أن يجعـل لهم عهد الله وميثاقه ألا يغزوه أبدا فيما يستقبل من عمره وعلى أنه يحُدّ فيما بينه وبين مملكته حدّا لا تجاوزه جنوده، فرضى اخشنوار بذلك وخلّى سبيله وانصرف الى مملكته، فمكث فيروز بُرهة من دهره كئيبا ثم حمله الأَنَفُ على أن يعود لغزوه ودعا أصحـابه الى ذلك فردّوه عنه وقالوا : إنك قد عاهدته ونحن نتخوّف عليك عاقبة البغى والغدر مع ما فى ذلك من العار وسوء المقالة. فقال لهم : إنى إنما شرَطتُ له ألّا أَجُوز الحجر الذى جعلته بينى وبينه فأنا آمر بالحجر

(١) فى الأصل : فواقعهم على تلك من حالة وعلى ما بهم الخ والتصويب واضح .

ليحمل على عَجَلة أمامنا . فقالوا له : أيها الملك، إنّ العهود والمواثيق التى يتعاطاها الناس بينهم لا تُحمل على مايُسِرّ المعطى لها ولكن على مايُعلِن المعطى ، وإنك إنما جعلت له عهد الله وميثاقه على الأمر الذى عَرّفه لا على أمر لم يخطر بباله . فأبى فيروز ومضى فى غزاته حتى انتهى الى الهياطلة وتصافّ الفريقان للقتال فأرسل اخشنوار الى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفيّهم ليكلمه ، فخرج اليه فقال له اخشنوار قد ظننت أنه لم يدْعُك الى غزونا الّا الأنَف مما أصابك . ولعمرى لئن كنّا احتلنا لك بما رأيتَ، لقد كنت التمستَ منّا أعظم منه، وما ابتدأناك ببغى ولا ظلم ولا أردنا إلا دفعك عن أنفسنا وعن حريمنا، ولقد كنت جديرا أن تكون، من سوء مكافأتنا بمنّنا عليك وعلى من معك من نقض العهد والميثاق الذى وكّدْتَ على نفسك، أعظمَ أنَفا وأشدّ امتعاضا مما نالك منّا ، فإنّا أطلقناكم وأنتم أسرى ومَنَنّا عليكم وأنتم مُشرِفون على الهلَكة وحقَنّا دماءكم وبنا قدرة على سفكها ، وإنا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الراغب الينا فيه والمريدَ لنا عليه ففكِّرْ فى ذلك وميِّز بين هذين الأمرين فانظر أيُّهما أشدُّ عارا وأقبح سماعا، إن طلب رجل أمرا فلم يُتَحْ له وسلك سبيلا فلم يظفر فيها ببُغْيته واستمكن منه عدوّه على حال جَهْد وضَيْعة منه وممن معه، فمنّ عليهم وأطلقهم على شرط شرَطوه وأمر اصطلحوا عليه فاضطرّ لمكروه القضاء واستحيا من النَّكْث والغَدْر أن يقال امرؤ نكث العهدَ وختَر الميثاق . مع أنى قد ظننت أنه يزيدك لجاجا ما تثق به من كثرة جنودك وما ترى من حسن عُدّتهم وطاعتهم لك، وما أجدنى أشكّ أنهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شُخُوصك بهم عارفون بأنك قد حملتهم على غير الحق ودعوتهم الى ما يُسخط الله، فهم فى حربنا غير مستبصرين ونيّاتهم فى مناصحتك اليوم مدخولة، فانظر ما قدْر غَناء من يقاتل على مثل هذه الحال، وما عسى أن تبلغ نكايتُه فى عدوّه إذا كان عارفا بأنه

إن ظفر فمع عار وإن قُتل فالى النار، فأنا أذكّرك اللهَ الذى جعلته على نفسك كفيلا ونعمتى عليك وعلى من معك بعد يأسكم من الحياة وإشفائكم على الممات، وأدعوك الى ما فيه حظّك ورشدُك من الوفاء بالعهد والاقتداء بآبائك الذين مضوا على ذلك فى كل ما أحبوه أو كرهوه، فأحْمَدوا عواقبَه وحسُن عليهم أثرُه، ومع ذلك إنك لست على ثقة من الظَّفَر بنا والبلوغ لنَهْمتك فينا وإنما تلتمس منا أمرا نلتمس منك مثله وتناوئ عدوّا لعله يُمنَح النصر عليك فقد بالغتُ فى الاحتجاج عليك وتقدّمتُ فى الإعذار اليك ونحن نستظهر بالله الذى آعتززْنا به ووثِقْنا بما جعلتَه لنا من عهده إذا آستظهرتَ بكثرة جنودك وآزدهتْك عدّة أصحابك، فدونك هذه النصيحة فوالله ما كان أحد من نُصَحائك ببالغ لك أكثر منها ولا زائد لك عليها، ولا يَحْرِمنّك منفعتَها مَخْرَجُها منى فإنّه لا يُزْرِى بالمنافع عند ذوى الرأى أن كانت من قِبل الأعداء كما لا يُحبّب المضارّ اليهم أن تكون على أيدى الأولياء. واعلم أنه ليس يدعونى الى ما تسمع من مقالتى ضعف أُحِسّه من نفسى ولا قِلّةٌ من جنودى، ولكنى أحببتُ أن أزداد بذلك حجّة وآستظهارًا، وأزداد به من الله للنصر والمعونة آستيجابًا ولا أوثر على العافيــة والسلامة شيئا ما وجـدتُ اليهما سبيلًا، فأبى فيروز إلا تعلّقا بحجّته فى الحجر الذى جعله حدّا بينه وبينه وقال: لستُ ممن يردّعه عن الأمر يهمّ به وعيدٌ ولا يقتاده التهدّد والترهيب، [ولو كنت أرى ما أطلبك غدرًا منى ما كان أحد أنظرَ[(1)] ولا أشدّ اتقاءً منّى على نفسى فلا يغرّنك منّا الحال التى صادفتنا عليها فى المرّة الأولى من القلّة والجَهْد والضعف]. قال اخشنوار: لا يغرّنكَ ما تخدَع به نفسَك من حملك الحجر أمامك، فانّ الناس لو كانوا يُعطون العهود على ما تصفُ من إسرار أمرٍ وإعلان آخر، إذًا ما كان ينبغى لأحد أن يغترّ بأمانٍ ولا يثق بعهدٍ، وإذًا لما قبل الناس شيئًا

(1) زيادة فى النسخة الألمانية.

مما يعطونه من ذلك، ولكنّه وُضع على العلانية وعلى نية من تُعقَد العهودُ والشروط له .

فانصرفا يومهما ذلك فقال فيروز لأصحابه : لقد كان اخشنوار حسن المحاورة ، وما رأيتُ للفَرَس الذى كان تحته نظيرا فى الدواب فانه لم يُزِلْ قوائمَه ولم يرفع حوافرَه عن موضعها ولا صَهَل ولا أحدث شيئا يقطع به المحاورة فى طول ما تواقَفْنا . وقال اخشنوار لأصحابه : لقد واقفتُ فيروز كما علمتم وعليه السلاح كلّه فلم يحرّك رأسه ولم ينزع رجله من ركابه ولاحَنَا ظهره ولا ٱلتفت يميناً ولا شمالاً ، ولقد تورّكت أنا مرارا وتمطيتُ على فرسى وتلفّتُّ الى مَن خلفى ومددتُ بصرى فى أمامى وهو منتصبٌ ساكن على حاله ، ولولا محاورته إياى لظننت أنه لا يبصرنى . وإنما أرادا بما وصفا من ذلك أن يَنتشر هذان الحديثان فى أهل عسكريهما فيُشغَلوا بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكراه . فلما كان فى اليوم الثانى أخرج اخشنوار الصحيفة التى كتبها لهم فيروز ، فرفعها على رُمح لينظر اليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا غدره وبَغيه ويخرجوا من متابعته ، فانتقض عسكر فيروز وٱختلفوا وما لبثوا إلا يسيراً حتى ٱنهزموا وقتل منهم خلقٌ كثير وهلك فيروز ، فقال اخشنوار : لقد صدق الذى قال : لا رادّ لما قُدِر ، ولا أشدّ إحالةً لمنافع الرأى من ٱلهوى وٱللَّجاج ، ولا اضيع من نصيحة يُمنَحُها من لا يوطّن نفسه على قبولها والصبر على مكروهها ، ولا أسرعَ عقوبةً ولا أسوأَ عاقبةً من البغى والغدر ، ولا أجلبَ لعظيم العار والفُضُوح من إفراط الفخر والأنفة .

وقال أبو اليقظان : لما خرج شَبيب بن يزيد بن نُعَيم الخارجى بالموصل بعث اليه الحجّاج قائدا فقتله ثم قائدا فقتله كذلك حتى أتى على خمسة قوّاد قتلهم وهزم جيوشهم وكان أحد القوّاد موسى بن طلحة بن عبيد الله ، ثم خرج شبيب من الموصل يريد الكوفةَ وخرج الحجّاجُ من البصرة يريد الكوفة فطمع شبيب أن يلقى الحجّاجَ قبل

أن يصل الى الكوفة فأقْحَم الحجاجُ خيلَه فدخل الكوفة قبله ، ومرّ شبيب بعَتّاب بن وَرْقاء فقتله ومرّ بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهرب منه ، وقدم شبيبٌ الكوفة وآلى ألّا يَبْرح عنها أو يَلْقى الحجاج فيقتله أو يُقتل دونه ؛ فخرج الحجاج إليه فى خيله ، فلما قرُب منه عَمَد الى سلاحه فألبسه أبا الوَرْد مولاه وحمله على الدّابة التى كان عليها ، فلما تواقفا قال شبيب : أرونى الحجاج ، فأومأوا له الى أبى الورد فحمل عليه فقتله ، ثم خرج من الكوفة يريد الأهواز فغرق فى دُجَيل وهو يقول (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) .

الأوقات التى تختار للســفر والحرب

قال حدّثنى محمد بن عُبيد قال حدّثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن الزهرىّ قال : كان أحبَّ الأيام إلى رسول الله صــلى الله عليه وسلّم أن يعقد فيه رايتَه يوم الخميس ، وكان أحبّ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر فيه يوم الخميس .

وقالت العجم : أخِّر الحربَ ما آستطعت فان لم تجد بدّا فاجعل ذلك آخر النهار .

وحدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن ابن عَوْن عن محمد آبن سيرين أنّ النعمان بن مُقَرّن قال لأصحابه : إنى لقيت مع رسول الله صــلى الله عليه وسلم فكان من أحبِّ ما يَلْقَى فيــه إذا لم يُلْقَ فى أوّل النهار إذا زالت الشمسُ وحلّت الصلاة وهبّت الرياح ودعا المسلمون . ويروى قوم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان يكره الحجامةَ والابتداء بعمل فى مَحاق القمر وفى حاوله فى برج العَقْرب . [وقال بعضهم : كنت مع عمر آبن عبد العزيز فوق سطح وهو يريد الركوب ، فنظرت فاذا القمر بالدَّبَران فقلت : آنظر الى القمر ما أحسن آستواءه ! فرفع رأسه ثم نظر فرأى منزلته فضحك ، وقال : إنما أردتُ أن ننظر الى منزلته ، وإنّا (1)

(1) زيادة فى النسخة الألمانية .

لا تقيم لشمس ولا لقمر ولكنا نسير بالله الواحد القهّار] . وكان يقال : يوم السبت يوم مكر وخديعة ، ويوم الأحد يوم غَرْس وبناء ، ويوم الاثنين يوم سفر وآبتغاء رزق ، ويوم الثلاثاء يوم حربٍ ودمٍ ، ويوم الأربعاء يوم الأخذ والإعطاء ، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الحوائج ، ويوم الجمعة يوم خِطَب ونكاح .

الدعاء عند اللقاء

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا معاوية عن أبى إسحاق عن أبى رجاء قال : كان النبيّ صلّى الله عليه وسلم يقول اذا آشتدّت حَلْقه البلاء وكانت الضِّيقَه : « تضيَّقى تفرَّجى » ثم يرفع يديه فيقول : «بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوّة الا بالله العلى العظيم اللهم إياك نعبد وإياك نستعين آللهم كفّ عنا بأس الذين كفروا إنك أشدُّ بأسًا وأشدّ تنكيلا فما يخفض يديه المباركتين حتى يُنزل الله النصر .

وحدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن موسى بن عُقْبَة عن سالم أبى النضر مولى عمر (١) بن عبيد الله وكان كاتبا له ، قال : كتب عبد الله بن أبى أَوْفى حين خرج الى الحَرُورِيّة أنّ النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض أيامه التى لقىَ فيها العدوّ آنتظر حتى مالت الشمس ثم قام فى الناس فقال : « لا تمنّوا لقاءَ العدوّ وآسألوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فآثبتوا وآصبروا وآعلموا أنّ الجنّة تحت ظلال السيوف» ثم قال «اللهمّ منزِل الكتاب ومُجرىَ السحاب وهازم الأحزابَ آهزِمهم وانصرنا عليهم» وقال أبو النضر: وبلغنا أنه دعا فى مثل ذلك فقال : «اللهمّ أنت ربُّنا وربّهم وهم عبيدك ونحن عبيدك ونواصينا ونواصيهم بيدك فآهزِمهم وآنصرنا عليهم » .

حدّثنى محمد بن عبيد قال : لما صافّ قتيبةُ بن مسلم التُّركَ وهاله أمرُهم سأل عن محمد بن واسع (٢) ما يصنع ؟ قالوا : هو فى أقصى الميمنة جانح على سِيَة قوسه

(١) كذا بالنسختين وهو عمرو بن عبيد الله كما فى تقريب التهذيب . (٢) سية القوس ما آنعطف من طرفيها .

يُنَضْنِض بإصبعه نحو السماء . فقال قتيبةُ : تلك الإصبع الفاردة أحبّ الىّ من مائة ألف سيف شَهير وسنان طَرير . فلما فتح الله عليهم قال لمحمد : ما كنت تصنع ؟ قال : كنت آخذ لك بمجامع الطرق .

الصبرُ وحضّ الناس يوم اللّقاء عليه

حدّثنى سهلُ بن محمــد قال حدّثنا الأصمعىّ قال كان عاصم بن الحدثان رجلا من العرب عالمـا قديمـا وكان رأسَ الخوارج بالبصرة وربمـا جاءه الرسولُ منهــم من الجزيرة يسأله عن بعض الأمر يختصمون فيه فمرّ به الفرزدق فقال لابنه : أنشـد أبا فراس فأنشده

وهمُ إذا كسروا الجفونَ أكارمٌ * صُــبُرٌ وحين تُحلّل الأزرارُ
يغشَوْن حَوْماتِ المنون وإنها * فى الله عنـــد نفوسهم لصِغار
يمشون فى الخَطّى لا يثنيهــمُ * والقوم إذ ركبوا الرماح تِجَـار

فقال له الفرزدق : ويحك! اكتم هذا لا يسمعه النسّاجون فيخرجوا علينا بحفوفهم[1] . فقال عاصم : يا فرزدق، هذا شاعر المؤمنين وأنت شاعر الكافرين .

حدّثنا سهل قال حدّثنا الأصمعى قال قال سَليط بن سـعد قال بِسطام بن قيس لقومه : تَرِدون على قومٍ آثارُهم آثار نساء وأصواتهم أصوات صِرْدان ولكنهم صُبُرٌ على الشرّ . يعنى بنى يَرْبوع . وفى هؤلاء يقول معاوية : لو أنّ النجوم تناثرت لسقط قمرها فى حجور بنى يربوع ؛ قال الأصمعىّ قلت لسليط : أكان عُتَيبــة[2] بن الحارث ضخمًا؟ قال : لا ولا من قوم ضِخَام . يعنى بنى يربوع .

(١) الحَفُّ المِنْسَج وجمعه حفوف . (٢) فى النسخة الألمـانية «عيينة» وهو تحريف .

[وقال[1] عمر بن الخطاب لبنى عَبْس : كم كنتم يوم الهَبَاءة[2]؟ فقال : كنا مائةً كالذهب ، لم نكثُر فنتواكل ولم نقِلّ فنذِلّ . قال : فكيف كنتم تقهرون من ناوأكم ولستم بأكثر منهم عدداً ولا مالا ؟ قال : كنا نصبر بعد اللقاء هُنَيهة . قال : فلذلك إذاً . قيل لعنترة العبسيّ : كم كنتم يوم الفَرُوق[3]؟ قال : كنا مائة لم نكثُر فنفشَل ولم نقِلّ فنذِلّ] . وكان يقال : النصرُ مع الصبر . ومن أحسن ما قيل فى الصبر، قول نَهْشَل بن حَرِيّ ابن ضَمْرة

ويوم كأن المُصْطَلين بحَـرّه * وإن لم تكن نارٌ قيامٌ على الجمر
صبرنا له حتى يَبُوخ وإنما * تُفرَّج أيامُ الكريهة بالصبر

ومثله قول الآخر

بكى صاحبى لما رأى الموت فوقنا * مُطِلّاً[4] كإطلال السحاب إذا اكفهرّ
فقلت له لا تبكِ عينُك إنما * يكون غدا حسن الثناء لمن صبر
فما أخّر الإحجامُ يوما معجَّلا * ولا عجّل الإقدامُ ما أخّر القدرْ
فآسَى على حالٍ يقِلُّ بها الأسى * وقاتل حتى استبهم الوِرْدُ والصَّدرْ
وكرّ حِفَاظا خشيةَ العار بعد ما * رأى الموت معروضا على منهج المكرّ

وقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه لخالد بن الوليد حين وجهه : احرص على الموت تُوهبْ لك الحياة . وتقول العرب : الشجاع مُوَقًّى . وقالت الخنساء

نُهين النفوسَ وهونُ النفو * س يوم الكريهة أوقَى لها

وقال يزيد بن المهلّب

تأخرتُ أستبقى الحياةَ فلم أجد * لنفسى حياةً مثلَ أن أتقدما

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) أرض لغطفان ويومها من أيام العرب كان فيه النصر لعبس على ذبيان . (٣) موضع بديار بنى سعد ويومه من أيام حروب عبس وذبيان أيضا .
(٤) فى الألمانية مظلا كاظلال الخ بالظاء المعجمة .

وقال قَطَرِىّ بن الفُجَاءة

وقولى كلّما جشأتْ وجاشت * من الأبطال ويحك لا تُراعى
فانّك لو سألتِ حياةَ يوم * سوى الأجل الذى لكِ لم تُطاعى

[(١) وقال معاوية بن أبى سفيان شجّعنى على علىّ بن أبى طالب قولُ عمرو بن الإطْنابة .

أبتْ لى عِفّتى وأبى بلائى * وأخْذى الحمد بالثمن الرّبيح
وإقدامى على المكروه نفسى * وضربى هامةَ البَطَل المُشِيح
وقولى كلّما جَشَأت لنفسى * مكانَكِ تُحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحاتٍ * وأحمِى بعدُ عن عِرْض صحيح
أبتْ لى أن أقضّى فى فعالى * وأن أُغْضِى على أمر قبيح

وقال رَبيعة بن مَقْروم

ودعَوْا نَزَالِ فكنتُ أوّلَ نازل * وعلاَمَ أركَبُه إذا لم أنزل

وكان خالد بن الوليد يسير فى الصفوف يُذْمِر(٢) الناس ويقول: يا أهل الاسلام، إنّ الصبر عزّ وإنّ الفشل عجز وإنّ النصر مع الصبر . وقال بعض أبطال العرب .

إنّ الشِّواء والنّشِيل والرُّغُفْ(٣) * والقينةَ الحسناء والكأسَ الأُنُفْ
للضاربين الخيلَ والخيل قُطُفْ

وقال أعرابى: الله يُخْلف ما أتلف الناسُ، والدهر يتلف ما جمعوا، وكم من مِيتة عِلّتها طلب الحياة، وحياة سببها التعرّض للموت . ومثله قول أبى بكر الصديق لخالد: احرص على الموت تُوهبْ لك الحياة .

[(١) قدِمت مُنْهزِمةُ الرومِ على هِرَقل وهو بأَنْطاكِيَة، فدعا رجالا مِن عظمائهم فقال: ويحكم! أخبرونى ما هؤلاء الذين تقاتلونهم؟ أليسوا بشرًا مثلكم؟ قالوا: بلى . يعنى

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) يشجعهم ويحضهم على القتال .
(٣) ما طبخ من اللحم بغير تابل .

العرب. قال : فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً فى كلّ موطن. قال : ويلكم! فما بالكم تنهزمون كلّما لقيتموهم ؟ فسكتوا، فقال شيخ منهم : أنا أخبرك أيها الملك من أين تُؤْتَوْن . قال : أخبرْنى . قال : إذا حملنا عليهم صبروا وإذا حملوا علينا صدقوا، ونحمل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر . قال: ويلكم فما بالكم كما تصفون وهم كما تزعمون؟ قال الشيخ : ما كنت أراك إلا وقد علمت من أين هذا؟ قال له : من أين هو؟ قال : لأنّ القوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل ويُوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهوْن عن المنكر ولا يظلمون أحدا ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنّا نشرب الخمر ونزنى ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بما يُسخط الله وننهى عما يرضى الله ونفسد فى الأرض . قال : صدقتنى، والله لأخرجنّ من هذه القرية فما لى فى صحبتكم خير وأنتم هكذا. قالوا : نُشهدك الله أيها الملك. تدَع سُورِيَة وهى جنة الدنيا وحولك من الروم عدد الحصى والتراب ونجوم السماء ولم يُؤتَ عليهم] .

ذكر الحرب

قالت العرب : الحرب غَشُوم، لأنها تنال غير الجانى . وقال الكميت

الناس فى الحرب شتّى وهى مقبِلةٌ * ويستوون اذا ما أدبر القُبُل
كلٌ بأَمْسِيّها طَبٌ مولِيّةً * والعالمون بذى غُدْوِيِّها قُلُل

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمرو بن مَعْديكَرِب : أخبرنى عن الحرب . قال : مُرّة المَذاق إذا قلَصتْ عن ساق، مَن صبَر فيها عُرف ومن ضعف عنها تلف . وهى كما قال الشاعر

الحرب أوّلَ ما تكون فتيةٌ * تسعى بزينتها لكلّ جهول

حتى إذا ٱستعرت وشبّ ضِرامها * عادت عجوزًا غير ذات خليل[(١)]
شمطاء جزّت رأسها وتنكّرت * مكروهةً للّثم[(١)] والتقبيل

كان يزيد بن عمر بن هُبَيرة يحب أن يضع من نصر بن سيار فكان لا يُمدّه بالرجال ولا يرفع ما يَرد عليه من أخبار خراسان، فلما كثر ذلك على نصر قال

أرى خَلَل الرماد وَمِيضَ جمرٍ * ويوشك أن يكون له ضِرامُ
فانّ النار بالعُودين تُذكى * وإنّ الحرب أوّلها الكلام
فان لم يُطفِها عقلاء قوم * يكون وَقُودَها جُثَثٌ وهَامُ
فقلت من التعجب ليت شعرى * أأيقاظٌ أميّة أم نيام

ونحو قوله: «الحرب أوّلها الكلام» قول حُذَيفة: إنّ الفتنة تُلْقَح بالنجوى وتُنْتَج بالشكوى.

العتبىّ عن أبيه قال قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لابنه الحسن: يا بُنى لا تدعوَنّ أحدا إلى البِراز، ولا يدعوَنّك أحد اليه إلا أجبتَه فانه بَغْى.

فى العدّة والسلاح

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن خُصَيفة[(٢)] عن السائب ابن يزيد — فيما حفظت إن شاء الله — أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم كان عليه دِرْعان يوم أُحد. قيل لعبّاد بن الحُصَين وكان أشدّ رجال أهل البصرة: فى أىّ عدّة تحبّ أن تلقى عدوك؟ قال: فى أجل مُستأخِر.

حدّثنى زياد بن يحيى قال حدّثنا بِشر بن المفضّل قال حدّثنا داود بن أبى هند عن عِكْرِمة قال: لما كانت ليلة الأحزاب قالت الجَنوب للشَّمال: ٱنطلق بنا نُمِدّ

(١) فى العقد الفريد «حليل» بالحاء المهملة وفيه أيضا كما فى الفتوغرافية «الشم» بدل اللثم.
(٢) فى الأصل «حصيفة» بالحاء المهملة وهو تحريف والتصويب والضبط عن كتب التراجم.

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال : إنّ الحرّة لا تسرى بالليل ، فكانت الريح التى أُرسلت عليهم الصَّبا .

حدّثنى سهل بن محمد قال حدّثنا الأصمعىّ قال حدّثنا ابن أبى الزِّناد قال : ضرب الزبير بن العوّام يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة فقطّه الى القَرَبوس فقالوا : ما أجودَ سيفك! فغضب ، يريد أنّ العمل ليده لا لسيفه .

وقال الوليد بن عبيد البحترىّ يصف سيفا

ماضٍ وإن لم تُمضِه يد فارس * بطلٍ ومصقولٌ وإن لم يُصقَلِ
متوقِّد يَفْرى بأوّل ضَرْبة * ما أدركت ولو آنها فى يَذْبلِ

وقال آخر

وما السيف إلا بَزُّ غادٍ لزينة * إذا لم يكن أمضى من السيف حاملُهْ

رؤى الجرّاح بن عبد الله فى بعض الحروب وقد ظاهر بين درعين ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنى لست أقى بدنى وإنما أقى صبرى . واشترى يزيد بن حاتم أَدرُعا وقال : إنى لم أشتر أدراعا إنما اشتريت أعمارا .

وقال حبيب بن المهلّب : ما رأيت رجلا فى الحرب مُستلئِما إلا كان عندى رجلين ، ولا رأيت حاسرين إلا كانا عندى واحدا . فسمع هذا الحديث بعض أهل المعرفة فقال : صدق ، إنّ للسلاح فضيلة . أما تراهم ينادون عند الصَّريخ : السلاحَ السلاحَ ولا ينادون : الرجالَ الرجالَ . [قال المهلب لبنيه : يا بَنِىّ لا يقعدنّ أحد منكم فى السوق ، فان كنتم لا بدّ فاعلين فالى زَرّاد أو سَرّاج أو وَرّاق .] وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعمرو بن معد يكرب : أخبِرْنى عن السلاح . قال : سَلْ عما شئت منه . قال : الرمح؟ قال : أخوك وربما خانك . قال النَّبل؟ قال : منايا تخطئ وتصيب .

(١) فى النسخة الألمانية «الكوفة» . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

قال : التُّرْس؟ قال : ذاك المِجَنّ وعليـــه تدور الدّوائر . قال : الدِّرع ؟ قال : مُثْقِــلة[1] للراجل مُتْعِبة للفارس، وإنّها لحصن حصين . قال : السيف؟ قال: ثَمَّ، قارعتْك أُمُّك عن الثُّكْل . قال عمر : بل أُمُّك . قال "الحُمَّى أَضْرعتْنى لك"[2] .

وقال الطائىّ يصف الرِّماح،

مثقَّفات سلبْنَ الرومَ زرقتَهـا * والعُرْبَ سُمْرتَها والعاشق القَضَفا[3]

وقال دِعْبل يصف الرُّمح

وأَسمـرٍ فى رأســه أزرَقٌ * مثلُ لسان الحيّة الصادى

وقال الشاعر

تلمَّظ السيفُ من شوق إلى أنس * فالموت يَلْحَظ والأقدار تنتظر
أظلّه منـــك حَتْف قد تجلّله * حتى يؤامر فيــه رأيَك[4] القــدَر
أمضى من السيف إلا عند قدرته * وليس للسيف عفو حين يَقتدر

وقال آخر

متى تَلْقَني يَعْدُو ببَزِّى[5] مقلِّصٌ * كُمَيتٌ بَهِـــيمٌ أو أغرّ محجَّلُ
تلاقِ امرأً إن تلقَه فبسيفه * تُعلّمك الأيام ما كنت تجهل

وقال علىّ رضى الله عنه : السيف أنمى عددا وأكثر ولدًا[6] . وفى الحديث « بقيّة السيف مباركة » يعنى أنّ من نجا من ضربة السيف ينمو عدده ويكثر ولده . وقال المهلّب : ليس شىء أنمى من سيف . ويقال : لا مجـد أسرع من مجد سيف .

---

(١) فى الأصلية « مشغلة » والتصويب عن العقد الفريد . (٢) هكذا ورد فى مجمع الأمثال وفى النسخة الألمانية : « إليك » . (٣) النحافة . (٤) فى الفتوغرافية « ربّه » (٥) قال فى اللسان : البَزّ والبِزّة السلاح ويدخل فيه الدرع والمِغفر والسيف . (٦) هكذا فى النسخة الألمانية ، وفى الفتوغرافية « السيف أنمى عددا وأكرم ولدا » ، وفى نهج البلاغة بقيّة السيف أبقى عددا وأكثر ولدا . ولعله الصواب .

وكانت درع علىّ رضى الله عنه صدرا لا ظهر لها فقيل له فى ذلك فقال : إذا استمكن عدوّى من ظهرى فلا يبْقِ . وقال أبو الشِّيص .

ختلتْه المنون بعد اختيال * بين صَفَّين من قنًا ونِصَال
فى رداء من الصفيح صقيل * وقميص من الحديد مُذَال

بلغ أبا الأغرّ أنّ أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شرّ فبعث ٱبنه الأغرّ وقال : يا بُنى كن يدا لأصحابك على من قاتلهم ، وإيّاك والسيف فانه ظلّ الموت، وٱتق الرمح فانه رِشاء المنيّة، ولا تقرب السّهام فانها رُسُل لا تُؤامِر مُرسِلَها . قال : فبما ذا أقاتل؟ قال : بما قال الشاعر

جَلَامِيدُ يملأْنَ الأكُفَّ كأنّها * رءوس رجال حُلِّقت فى المَواسِم

وقال الخُزَيمى فى بغداد أيام الفتنة

يا بؤس بغداد دار مملكة * دارتْ على أهلها دوائرُها
أمهلها الله ثمّ عاقبها * لما أحاطت بها كبائرُها
رقّ بها الدّين وٱستُخِفّ بذى الـفضل وعزّ الرجالَ فاجرُها
وصار ربُّ الجيران فاسقَهم * وٱبتزّ أمنَ الدروب شاطرُها
يحرق هذا وذا يهدّمها * ويشتفى بالنِّهاب داعرُها
والكرخ أسواقُها معطَّلة * يَسْتَنّ شذّاُبها[1] وعائرُها
أخرجت الحربُ من أساقطهم * آسادَ غيلٍ غُلْبا تُساوِرها
من البوارِى[2] تِراسُها ومن الـخُوص اذا استلأمت مغافرها
لا الرزقَ تبغى ولا العطاءَ ولا * يحشُرها بالعناء[3] حاشرُها

(١) فى الطبرى «عيّارها» . (٢) جمع بارىّ بتشديد الياء وهو الحصير المنسوج .
(٣) فى الطبرى «للّقاء» .

ونحوه قول علىّ بن أمية

دهتنا أمور تُشيب الوليــد * ويَخذُل فيها الصديقَ الصدّيق

فنــاء مُبيــد وذُعر عتيــد * وجوع شديد وخوف وضيق

وداعى الصّباح بِطُول الصياح * السّــلاح السّــلاح فمــا نستفيق

فبــالله نبــلُغ ما نرتجــى * وبالله ندفــع ما لا نُطيق

جنى قوم من أهل اليمامة جناية فأرسل اليهم السلطان جندا من بُخَارِيّة[(1)] ابن زياد، فقال رجل من أهل البادية يُذَمِّر قومه : يا معشر العرب و يا بنى المحصَنات، قاتلوا عن أحسابكم ونسائكم ، والله لئن ظهر هؤلاء عليكم لا يدَعون بها لَبِنة حمراء ولا نخلة خضراء إلا وَضَعوها بالأرض ولأعتراكم من نُشّاب معهم فى جِعَاب كأنها أُيور الفِيَلة ينزعون فى قِسِىّ كأنهــا العَتَل فتئِطّ أحداهنّ أطيط الزُّرْنُوق يَمغَط أحدهم فيها حتى يتفرّق شعرُ إبطَيْه ثم يرسل نُشّابة كأنها رِشاء منقطع فما بين أحدكم وبين أن تَنْفَضِخ عينه أو ينصدع قلبه منزلة، فخلع قلوبَ القوم فطاروا رعبا .

آداب الفروسة

حدّثنى محمد بن عبيــد قال حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن عاصم بن سليمان عن أبى عثمان قال : كتب عمر رضى الله عنه : اتّزروا وارتَدُوا وانتعلوا وألقوا الخفاف وارموا الأغراض وألقوا الرُّكُبَ وآنْزُوا نَزْوا على الخيل وعليكم بالمَعَدّيّة ، أو قال العربية . ودَعوا التنعّم وزِىّ العجم ولا تلبسوا الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه إلا هكذا ، ورفع إصبعيه . وقال أيضا : لن تخُور قوًى ما كان صاحبها ينزِع و ينْزُو ، يعنى ينزع فى القوس وينزو على الخيل من غير استعانة بالرُّكُب . وقال

(١) كذا بالأصلين والصواب بخارية زياد وهى سكة بالبصرة أسكنها زياد ابن أبيه ألف عبد من بخارى حين استولى عليها من خاتون ملكتها وكانوا جيدى الرمى بالنشاب .

العمرى . كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذنَه [اليمنى (١) وبيده اليسرى أذنَ فرسه اليسرى] ثم يجمع جَرَامِيزَه ويَثِبُ فكأنما خُلق على ظهر فرسه .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم صِفِّين : عَضُّوا على النَّواجذ من الأضراس فانه أَنْبَى للسيوف عن الهام . وأقاموا رجلا بين العُقَابين فقال له أبوه : طِدْ رجلك وأَصِرَّ إصْرار الفرس واذكر أحاديث غد و إياك وذكر الله فى هذا الموضع فانه من الفشل . [وقال غيره (٢) طِدْ رجليك إذا ٱعْتَصيت بالسيف والعصا وأنت مخيَّر فى رفعه (٣) ساعةَ المسالمة والموادعة] .

وقرأت فى الآيين أن من إجادة الرمى بالنُّشّاب فى حال التعلُّم إمساكَ المتعلم القوسَ بيده اليسرى بقوّة عَضُده الأيسر والنُّشّابةَ بيده اليمنى وقوّةِ عضده الأيمن وكفَّه أَصْدَرَيْه (٤) وإلقاؤه ببصره الى مَعْلَم الرمى وإجادته نصبَ القوس بعد أن يطأطئ من سِيَتِها بعض الطَّأطأة وضبطُه إياها بثلاث أصابع وإحناؤه السبَّابة على الوتر، وإمساكه بثلاثة وعشرين كأنها ثلاثة وستون وضمه الثلاثة ضما وتحويله ذَقَنَه الى منكبه [الأيسر] (٢) وإشرافه رأسَه وإرخاؤه عنقه وميلُه مع القوس وإقامتُه ظهرَه وإدارتُه عضدَه ومَغْطُه القوسَ مترافعا ونزعُه الوترَ الى أذنه ورفعُه بياضَ عينيه من غير تصريف لأسنانه وتحويلٍ لعينه وارتعاشٍ من جسده واستبانتُه موضع زِجَّجةِ النُّشّاب .

وقرأت فى الآيين : من إجادة الضرب بالصَّولجان أن يضرب الكُرَة قُدُما ضرب خُلْسة يُدير فيه يده الى أذنه ويُميل صَوْلجانه الى أسفلَ من صدره ويكون ضربه متشازرا مترفِّقا مترسِّلا ولا يُغفل الضرب (٥) ويرسل السِّنَان خاصة وهو الحامية لمجاز الكُرَة الى غاية الغرض ثم الجز للكرة من موقعها ، والتوخّى للضرب لها تحت مِحْزَم

(١) زيادة فى النسخة الألمانية وفى البيان والتبيين «يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى» . (٢) زيادة فى النسخة الالمانية . (٣) كذا بالأصلين ولعله «رفعهما» . (٤) فى الألمانية : «وكفه الى صدره» .
(٥) عبارة النسخة الفتوغرافية ولا يغفل الضرب (ترسلا البنيان؟) خاصة وهو الحامية لمجاز الكرة الخ .

الدابة ومن قِبَل لَبّتها فى رفق ، وشدّةُ المزاولة والمُجاحَشة على تلك الحال والتركُ للاستعانة فى ضرب الكرة بسوط والتأثيرِ فى الأرض بصولجان والكسيرِ له جهلا باستعماله أو عقرِ قوائم الدابة، والاحتراسُ من إيذاء من جرى معه فى ميدانه، وحسنُ الكفّ للدّابة فى شـدّة جريه ، والتوقّى من الصَّرعة والصَّدمة على تلك الحال ، والمجانبـةُ للغضب والسَّبّ ، والاحتمالُ والمُلاهاة ، والتحفُّظُ من إلقاء كُرة على ظهر بيت وان كان ستَّ كُرِيَّ بدرهم ، وتركُ طرد النَّظَّارةِ والجُلوسِ على حيطان الميدان فان عرض الميدان انما جعل ستين ذراعا لئلا يُحالَ ولا يُضارَّ من جلس على حائطه .

وقال أبو مسلم صاحب الدّعوة لرجاله : أشعِروا قلوبكم الجرأة عليهم فانها سبب الظَّفَر، واذكروا الضغائن فانها تبعث على الإقدام، والزموا الطاعة فانها حصن المُحارِب .

المسير فى الغزو والسفر

حدّثنا شَبَابة عن القاسم بن الحَكَم عن إسماعيل بن عيّاش عن مَعْدان بن حُدَير الحَضْرمى عن عبد الرحمن بن جُبَيْر بن نُفَير عن أبيه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مثلُ الذين يَغْزون من أمّتى ويأخذون الجُعْل يتقوّوْن به على عدوهم كمثل أمّ موسى تُرضع ولدَها وتأخذ أجرها» . حدّثنى محمد بن عُبيد عن ابن عُيينة عن عبد الرحمن ابن حَرْملة عن سعيد بن المسيّب قال : لمـا نزل النبى صلى الله عليه وسلم المُعرَّس أمر مناديا فنادى : لا تَطْرُقوا النساء . فتعجّل رجلان فكلاهما وجد مع امرأته رجلا . وكانت العرب تقول : السفر ميزانُ القوم[1] . وتأمر بالمُحِلّات وهى الدلو والفأس والسُّفْرة والقِدْر والقَدّاحة ، وإنمـا قيل لها مُحِلّات لأن المسافر بها يحلّ حيث شاء ولا يبالى ألّا يكون بقربه أحد .

(١) فى الميدانى «السَّفَر ميزان السَّفْر» أى أنه يُسفر عن أخلاق المسافرين ، وفى الفتوغرافية السفر مجلاة القوم وهو يرجع الى هذا المعنى أيضا .

حدّثنى عبد الرحمن بن الحسين عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال، قال لقمان لابنه: «يا بنىّ إذا سافرت فلا تنم على دابّتك فان كثرة النوم سريع فى دبَرِها، فاذا نزلتَ أرضا مُكْلِئة فأعطها حظّها من الكلأ وآبدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك وإذا بعدت عليك المنازل [فعليك بالدّلج فان الأرض تُطوَى بالليل. وإذا أردت النزول] (١) فلا تنزل على قارعة الطريق فانها مأوى الحيّات والسباع ولكن عليك من بقاع الأرض بأحسنها لونا وألينها تُربة وأكثرها كلأً فآنزلها، وإذا نزلت فصلّ ركعتين قبل أن تجلس وقل (رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ). وإذا أردت قضاء حاجة فأبعِد المذهبَ فى الأرض وعليك بالسُّتْرة. وإذا آرتحلت من منزل فصلّ ركعتين وودّع الأرض التى ارتحلت عنها وسلم عليها وعلى أهلها فان لكل بقعة من الأرض أهلا من الملائكة. وإذا مررت ببقعة من الأرض أو واد أو جبل فأكثر من ذكر الله فان الجبال والبقاع ينادى بعضها بعضا: هل مرّ بكنّ اليوم ذاكر لله؟ وإن آستطعت ألا تَطعَم طعاما حتى تتصدّق منه فآفعل. وعليك بذكر الله جلّ وعزّ مادمتَ راكبا وبالتّسبيح مادمت صائما وبالدعاء مادمت خاليا. وإيّاك والسّيرَ فى أوّل الليل وعليك بالتّعريس والدُّلجة من نصف الليل الى آخره. وإياك ورفعَ الصوت فى سيرك إلا بذكر الله، وسافر بسيفك وقَوسك وجميع سلاحك وخُفّك وعمامتك وإبْرتك وخُيوطك وتزوّد معك الأدْوية تنتفع بها وتنفع مَن صحِبك من المرضى والزمْنى. وكن لأصحابك موافقا فى كل شىء يُقرّبك إلى الله ويباعدك من معصيته. وأكثر التبسُّم فى وجوههم وكن كريما على زَادك بينهم وإذا دعوك فأجبهم، وإذا استعانوك فأعنهم وإذا استشهدوك على الحق فاشهَد لهم وآجهَد رأيك. وإذا رأيتهم يمشون فآمشِ معهم أو يعملون فاعمل معهم. [وإن تصدّقوا أو أعطوا فاعط] (١). واسمع لمن هو أكبر منك. وإن تحيّرتم فى طريق فانزلوا، وإن شككتم فى القصد فتثبّتوا وتآمروا، وإن رأيتم خيالا واحدا

(١) زيادة فى النسخة الألمانية.

فلا تسألوه عن طريقــكم فان الشخص الواحد فى الفلاة هو الذى حيّركم واحذروا الشخصين أيضا إلّا أن تروا ما لا أرى فان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وإن العاقل اذا أبصر شيئا بعينيه عرف الحق بقلبه .

علّم أعرابى بنيــه إتيانَ الغائط فى السفر فقال لهم : اتّبعوا الخَلاء وجانِبُوا الكَلا واْعلُوا الضَّراء(١) وأَفِجُّوا إفجــاج النعامة وامسحوا بأشمُلكم .

[(٢)وقال عمرو بن العاص للحسن بن على بن أبى طالب رحمهما الله : يا أبا محمد، هل تنْعت الخَرَاءة ؟ فقال : نعمْ، تُبعِد المشىَ فى الأرض الصَّحْصَح حتى تتوارى من القوم، ولا تستقبل القبلةَ ولا تستدبرْها ولا تستنْجِ بالرَّوْثة ولا العَظْم ولا تبُلْ فى المــاء الراكد] .

أراد الحسن البصرىّ الحج ، فقال له ثابت : بلغــنى أنك تريد الحج فأحببت أن نصطحب . فقال : ويحك ! دَعْنا نتعايشْ بستر الله، إنى أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه . وفى الحديث المرفوع عن بَقِيَّةَ عن الوَضِين بن عَطَاء عن محفوظ بن علْقمة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه «أما إنّك إن ترافق غير قومك يكن أحسنَ لخلقك وأحقّ أن يُقتَفى بك» .

أتى رجل هِشَاما أخا ذى الرُّمّة الشاعر فقال له : إنى أريد السفر فأوصِنى . قال : صلّ الصلاة لوقتها فانك مصلّيها لا محالة فصلّها وهى تنفعك، وإياك وأن تكون كلبَ رُفْقتك فان لكل رُفقة كلبا ينبح دونهم، فان كان خيرا شَرَكُوه فيه وإن كان عارا تقلّده دونهم .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن عثمان بن عَطَاء عن أبيه قال : اذا ضلّتْ لأحدكم ضالّةٌ فليقل : اللهم ربَّ الضالّة تَهْدِى الضالّة وتردّ الضالّة اردُد علىّ ضالتى، اللهم لا تبلُنا بهلاكها ولا تتعبنا بطلبها، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله . ياعباد الله الصالحين ردّوا علينا ضالتنا . وإذا أردت أن تحمل الحمل الثقيل فقل : ياعباد الله أعينونا . [(٢)وقال أبو عمرو : إذا ضلّت لأحدكم ضــالّة فليتوضأ

(١) الضراء ما واراك من شجر . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

فيحسن الوضوء ثم يصلّ ركعتين ثم يتشهد ويقول : بسم الله، اللهم يا هادىَ الضّال ورادّ الضالّ اردُد على ضالتى بعزّتك وسلطانك فانها من فضلك وعطائك] .

حدّثنى محمد بن عبيد عن حمزة بن وَعْلة عن رجل من مُرَاد يقال له أبو جعفر عن محمد بن على عن على رضى الله عنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «يا علىّ، أمانٌ لأمتى من الغَرَق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا بسم الله الملك الرحمن . وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . بِسْمِ اللهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن محمد بن عجْلان عن عمرو ابن شُعَيب قال : أراد عمر أن يُغْزِى البحرَ جيشا، فكتب اليه عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين، البحر خَلْق عظيم يركبه خَلْق ضعيف دُودٌ على عُود بين غَرَق وبَرَق[1] قال عمر : لا يسألنى الله عن أحد حَمَلته فيه . وحدّثنى أيضا عن معاوية عن أبى إسحاق عن يزيد بن أبى زياد عن مجاهد قال كان ابن عمر يقول فى السفر اذا أسحر: سمِعَ سامعٌ بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا . ويقول : اللهم صاحِبْنا فأفضلْ علينا ثلاثا، اللهم عائذٌ بك من النار ثلاثا لا حول ولا قوة إلا بالله .

وعن الأوزاعى عن حسّان بن عطيّة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى سفره حين هاجر: « الحمد لله الذى خلقنى ولم أكُ شيئا مذكورا، اللهم أَعِنّى على أهاويل الدنيا وبوائق الدهر ومصيبات الليالى والأيام واكْفِنى شرّ ما يعمل الظالمون فى الأرض، اللهم فى سفرى فاصْحَبْنى، وفى أهلى فاخلُفْنى، وفيما رزقتنى فبارك لى، ولك فى نفسى فذلّلْنى، وفى أعين الصالحين فعظّمنى، وفى خُلُق فقوّمنى، وإليك ربّ فحبّبْنى، الى من تكلُنى ربّ المستضعَفين وأنت ربى » .

(١) البرق الحيرة والدهش . وفى النسخة الألمانية «ترق» وهو تحريف .

وحدّثنى أيضا عن معاوية عن أبى إسحاق عن عاصم عن عبد الله بن سَرْجِس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافر يقول : «اللهم إنى أعوذ بك من وَعْثاء السفر وكآبة المُنقلَب والحَوْر بعد الكَوْر ودعوة المظلوم وسوء المنظَر فى الأهل » وزاد غيره «اللهم اطوِ لنا الأرض وهوّنْ علينا السفر» .

وقال مطرِّف بن عبد الله لابنه : الحسنة بين السيّئتين وخيرُ الأمور أوساطها وشرُّ السير الحَقْحَقَةُ . وفى الحديث « لا تُحَقْحِقْ فتنقطع ولا تَباطأْ فتُسبَق ولكن اقصِدْ تبْلُغ » والحقحقة أشدّ السير . وفى حديث آخر « إن المُنبَتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » وقال المَرّار

تُقطِّع بالنزول الأرضُ عنّا * وبُعدُ الأرض يقطعه النزول

الأصمعى قال، قيل لرجل أسرع فى سيره : كيف كان مسيرك ؟ قال كنت آكل الوَجْبَة وأُعرِّس إذا أسحرتُ وأرتحل إذا أسفرت وأسير الوَضْع وأجتنب المَلْع فجئتكم لمُسْيِ سَبْع . قال أبو اليقظان : من السير المذكور مسير ذَكْوان مولى آل عمر بن الخطاب، سار من مكة الى المدينة فى يوم وليلة، فقدم على أبى هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلّى العَتَمَة، فقال له أبو هريرة : حاجٌّ غير مقبول منه . قال له : ولم ؟ قال : لأنك نفَرْتَ قبل الزوال . فأخرج كتاب مروان بعد الزوال وقال

ألم تَرَنى كلّفتُهم سيرَ ليلة * من آل منًى نَصًّا الى آل يثرب
فأقسمت لاتنفكُّ ما عشتُ سَيْرتى * حديثا لمن وافى بجَمْع المحصَّب

ومن السير المذكور مَسير حُذيفة بن بدر، وكان أغار على هجائن [النعمان بن] المنذر ابن ماء السماء وسار فى ليلة مسيرة ثمان، فقال قيس بن الخطيم

هممنا بالإقامة ثم سرنا * كسير حُذَيفةِ الخيرِ بن بدر

قال الشَّرَقىّ بن القَطَامى : خرجت من الموصل أريد الرَّقّة فصحبنى فتى من أهـل الجزيرة وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مِزْوَد ورَكْوة وعصا ، ورأيته لا يفارقها مُشاة كنا أو رُكبانا وهو يقول : إن الله جعـل جِمَاع أمر موسى وأعاجيبـه وبراهينه ومآربه فى عصاه ، ويُكثر من هذا وأنا أضحك متهاونا بمـا يقول ، فتخلّف المُكَارى فكان حمار الفتى إذا وقف أكرهه بالعصا ويقف حمارى ولا شىء فى يدى فيسبقنى الى المنزل فيستريح ويُرِيح ولا أقدر على البَرَاح حتى يوافينى المكارى ، فقلت : هذه واحدة . ثم خرجنا من غد مُشاة فكان إذا أعيا توكّأ على العصا وربمـا أحْضَر ووضع طرفا على الأرض فاعتمد عليها ومرّ كأنه سهم زَالجٌ حتى انتهينا وقد تفسّختُ من الكَلَال وإذا فيه فضل كثير ، فقلت : وهذه أخرى . فلما كان فى اليوم الثالث هجمنا على حيّـة منكَرَة فسارت الينا فأسلمتُه اليها وهربت عنها فضربهـا بالعصا حتى قتلها ، فقلت : هـذه ثالثة . [وهى أعظمهنّ] وخرجنا فى اليوم الرابع وبنـا قَرَمٌ الى اللحم فاعترضتنا أرنب فحذفها بالعصا وأدركنا ذَكَاتَها فقلت : هـذه رابعة . فأقبلتُ عليه فقلت : لو أن عندنا نارا ما أخرت أكلها الى المنزل . فأخرج عُويدا من مِزْوَده ثم حكّه بالعصا فأَوْرَتْ إيراءَ المَرْخ والعَفَار ، ثم جمع ما قدر عليه من الغُثَاء والحشيش وأوقد نارا وألقى الأرنب فى جوفها فأخرجناها وقد لزقـبهـا من الرماد والتراب مابغّضها الىّ فعلّقها بيده اليسرى ثم ضرب جُنوبَها بالعصا وأعراضها ضربا رقيقا حتى انتثر كل شىء عليها فأكلناها وسكن القرم وطابت النفس ، فقلت : هذه خامسة . ثم نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت ملآنة رَوْثا وترابا فلم نجد موضعا نظلّ فيه فنظر الى حديدة مطروحة فى الدار فأخذها فجعل العصا نِصَابا لهـا ثم قام فجرف جميع ذلك الروث والتراب وجرد الأرض حتى أظهر بياضها وطابت ريحها فقلت : وهذه سادسة . ثم نزع العصا من الحديدة فأوتدها فى الحائط وعلّق عليها ثيابه وثيابى

فقلت : هذه سابعة . فلمـا صرنا الى مَفْرِق الطريقين وأردت مفارقته قال لى : لو عدلتَ معى فبتّ عندى ! فعدلت معه فأدخلنى منزلا يتصل ببِيْعة فما زال يحدّثنى ويُطْرِفنى الليلَ كلّه فلما كان السحَر أخذ العصا بعينها وأخذ خشبة أخرى فقرع بها العصا فإذا ناقوس ليس فى الدنيا مثله وإذا هو أحذق الناس به فقلت له : ويحك! أما أنت بمسلم؟ قال : بلى . قلت : فلم تضرب بالناقوس؟ قال : لأن أبى نصرانى وهو شيخ كبير ضعيف فإذا شهدتُ بررتُه بالكفاية . وإذا شيطان مارد وأظرف الناس وأكثرهم أدبا فخبّرته بالذى أحصيتُ من خصال العصا، فقال : والله لو حدّثتك عن مناقب العصا ليلة إلى الصباح ما استنفدتُها .

وروى يزيد عن هشام عن الحسن عن جابر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كنتم فى الخِصْب فأمكنوا الرِّكابَ أسنّتها[(١)] ولا تَعْدوا المنازل وإذا كنتم فى الجَدْب فاستَنْجُوا[(٢)] وعليكم بالدُّلْجة فإن الأرض تُطْوَى بالليـل وإذا تغوّلتْ لكم الغيلانُ فنادوا بالأذان ولا تصلُّوا على جَوَادِّ الطرق ولا تنزلوا عليها فإنها مأوى السِّباع والحيات ولا تَقْضُوا عليها الحوائج فإنها الملاعن» .

وأراد أعرابى سفرا فقال لامرأته

عُدّى السنين لغيبتى وتصبّرى * وذَرِى الشهورَ فإنهنّ قصار

فأجابته

اذكرْ صبابتَنا اليك وشوقنا * وآرحم بناتِك إنهنّ صِغار

(١) أورده ابن الأثير بلفظ « أعطوا الرُّكُب أسنتها » وقال ناقلا عن أبى عبيد ان كانت اللفظة محفوظة فكأنها جمع الأسنان، يقال لما تأكله الابل وترعاه من العُشب سنٌّ وجمعه أسنان ثم أسنة . وقال الزمخشرى ان الأسنة هنا الرماح وقال فى معناه : اعطوها ما تمتنع به من النحر لأن صاحبها اذا أحسن رعيها سمنت وحسنت فى عينه فيبخل بها عن أن تنحر فشبه ذلك بالأسنة فى وقوع الامتناع بها، وهو كما ترى متكلف لا يساعد عليه سياق الحديث . (٢) أى أسرعوا .

فأقام وترك السفر . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلى

طربتَ إلى الأُصَيْبِيَة الصِّغار * وهاجك منهمُ قربُ المزار
وكلّ مسافر يزداد شوقا * إذا دنت الديار من الديار

وفى الحديث المرفوع قال ابن مسعود : كنّا يوم بدر ثلاثةٌ على بعير فكان علىّ وأبو لُبابة[(١)] زَميلَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا دارت عُقْبَتُهما قالا : يا رسول الله اركب ونمشى عنك . فيقول «ما أنتما بأقوى منّى وما أنا بأغنى عن الأجر منكما» .

خطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان فقال فى خطبته : إذا غزوتم فأطيلوا الأظفار وقصّروا الأشعار .

وقالت عائشة رضى الله عنها : «لا سهر إلا لثلاثة : مُصَلٍّ أو عروس أو مسافر» .

وقال بعض الشعراء

سُرِرتُ بجعفرٍ والقرب منه * كما سُرّ المسافر بالإياب
وكنت بقربه إذ حلّ أرضى * أميرا بالسّكينة والصّواب
كممطورٍ ببلدته فأضحى * غنيّا عن مطالبة السحاب

وقال آخر فى معناه

وكنت فيهم كممطور ببلدته * فَسُرّ أنْ جَمَعَ الأوطانَ والمطرا

وقال آخر

إذا نحن أُبْنا سالمين بأنفس * كرام رجت أمرا فخاب رجاؤها
فأنفسنا خيرُ الغنيمة إنها * تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها

(١) كذا بضم أوّله وفتح ثانيه وهو كنية رفاعة بن عبد المنذر وهو صحابى معروف .

وقال آخر

رجعنا سالمين كما بدأنا * وما خابت غنيـمة سالمينا
[وما تدرين أىّ الأمر خير * أما تهوين أم ما تكرهينا[1]

وقال بعض المحدثين

قبّح الله آل برمك إنى * صرت من أجلهم أخا أسفار
إن يكن ذو القرنين قد مسح الأر * ض فإنى موكّل بالعيّار]

التفـــويز[2]

حدثنى أبى، أحسبه عن الهيثم بن عدى قال : لما كتب أبو بكر رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى الشأم واليا مكان أبى عبيدة بن الجراح،[3] أخذ على السّماوة حتى انتهى إلى قُراقِر، وبين قراقر وسُوَى خمس ليال فى مفازة، فلم يعرف الطريق، فدُلّ على رافع بن عَميرة الطائى وكان دليلا خِرّيتا فقال لخالد : خلّف الأثقال واسلك هذه المفازة إن كنت فاعلا؛ فكره خالد أن يخلّف أحدا وقال: لا بد من أن نكون جميعا . فقال له رافع : والله إن الراكب المنفرد ليخافها على نفسه وما يسلكها إلا مغرور مخاطر بنفسه، فكيف أنت بمن معك؟ فقال: لا بد من ذلك. فقال الطائى لخالد : ابغنى عشرين جَزُورا مَسَانّ عِظَاما ففعل فظمّأهن ثم سقاهن حتى رَوِينَ ثم قطع مَشَافِرهنّ وكَعَمَهنّ لئلا تجترّ، ثم قال لخالد : سِرْ بالخيول والأثقال فكلما نزلت منزلا نحرت من تلك الجُزُر أربعا ثم أخذت ما فى بطونها من الماء فسقيته الخيل وشرب الناس مما تزوّدوا، ففعل . فلما صار إلى آخر المفازة انقطع ذلك

(١) ما بين هذين القوسين زيادة فى النسخة الألمانية .

(٢) يقال فوّز الرجلُ بإبله اذا ركب بها المفازة .

(٣) كذا بالألمانية وفى النسخة الفتوغرافية أبى عبيدة محمد بن سعيد وهو خطأ اذ اسم أبى عبيدة عامر ابن عبد الله بن الجراح الفهرى فلعله من سهو النساخ .

وجَهِد الناسُ وعطِشتْ دوابّهم، فقال له خالد : ويحك، ما عندك؟ قال : أدركت الرىّ إن شاء الله، انظروا هل تجدون شجرةَ عَوْسَج على ظهر الطريق؟ فنظروا فوجدوها فقال : احْفِروا فى أصلها فحَفَروا فوجدوا عينا فشربوا منها وتزوّدوا، فقال رافع : والله ماوردتُ هذا المـاء قطُّ إلا مرة واحدة مع أبى وأنا غلام. فقال راجز المسلمين فى ذلك

لله درُّ رافع أنَّى اهتـدى * فوّز من قُراقِر إلى سُـوَى
أرضا إذا سار بها الجيش بَكَى * ماسارها قبلك من إنس أُرَى(١)

قال ولما مرّ خالد بموضع يقال له البِشْر طلع على قوم يشربون وبين أيديهم جَفْنة وأحدهم يتغنّى

ألا علّلانى قبل جيش أبى بكر * لعلّ منايانا قريبٌ وما ندرى
ألا علّلانى بالزُّجاج وكرِّرا * علىّ كُمَيت اللون صافيةً تجرى
أظن خيـول المسلمين وخالدا * سيَطْرُقكم قبل الصباح من البِشْر
فهل لكُمُ فى السير قبـل قتالهم * وقبل خروج المُعْصِرات من الخِدْر

فما هو إلا أن فرغ من قوله شدّ عليه رجل من المسلمين بالسيف فضرب عنقه فإذا رأسه فى الجفنة، ثم أقبل على أهل البِشر فقتل منهم وأصاب من أموالهم.

ابن الكلبى قال: أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبى صلى الله عليه وسلم فأضلّوا الطريق ووقعوا على غير ماء فمكثوا ثلاثا لا يقدرون على المـاء، فجعل الرجل منهم يَسْتذرِى بفىء السَّمُر والطَّلْح يأسا من الحياة، فبينا هم كذلك أقبل راكب على بعير فأنشد بعض القوم بيتين من شعر امرئ القيس

لمّا رأتْ أن الشَّريعـة همُّها * وأن البياض من فرائصها دَامِى
تيمّمتِ العينَ التى عنـد ضارجٍ * يفىء عليها الظّل عَرْمَضُها طَامِى

(١) كذا بالألمانية، وفى الفتوغرافية «أدى» بالدال ولعله "أَوَى" بمعنى عاد ورجع.

فقال الراكب : من يقول هذا؟ قالوا : امرؤ القيس . قال والله ما كذب، هذا ضارج عندكم، وأشار اليه، فجثوا على الرُّكب فإذا ماءٌ غَدَق وإذا عليه العَرْمض والظلّ يفيء عليه فشربوا منه ريّهم وسقوا وحملوا حتى بلغوا الماء، فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا: يا رسول الله أحيانا بيتان من شعر امرئ القيس قال : «ذاك رجل مذكور فى الدنيا شريف فيها مَنسىّ فى الآخرة خامل فيها، يجىء يوم القيامة معه لواء الشعراء يقودهم إلى النار» .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله[1] بن قُرَيب عن عمه الأصمعى عن رجل من بنى سليم أن رُفقة ماتت من العطش بالشَّجِى، فقال الحجاج : إنى أظنهم قد دعوا الله حين بلغهم الجَهْد فاحْفِروا فى مكانهم الذى ماتوا فيه لعل الله يسقى الناس . فقال رجل من جلسائه : أيها الأمير قد قال الشاعر

تراءت له بين اللِّوى وعُنَيزة * وبين الشَّجِى مما أحال على الوادى

والله ما تراءت له إلا وهى على ماء . فأمر الحجاج عضيدة[2] السلمى أن يحفر بالشجى بئرا فحفر فأنبط، ويقال : إنه لم يمت قوم قطّ عطشا إلا وهم على ماء .

قالت العرب «أن تَرِدَ الماء بماء أَكْيَس» . ويقال فى مثل : «بَرْدُ غَداةٍ غَرَّ عبدا من ظَمأ» .

فى الطيرة والفأل

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال : هَرَب بعض البصريين من الطاعون فركب حمارا له ومضى بأهله نحو سَفَوَان فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول

لن يُسبق اللهُ على حمار * ولا على ذى مَيْعَة مَطّار
أو يأتىَ الحَتفُ على مقدار * قد يصبح اللهُ أمامَ السّارى

(١) فى الألمانية عبيد الله وهو تحريف .

(٢) هكذا فى النسختين الألمانية والفتوغرافية، وفى معجم البلدان : «عبيدة السلمى» .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال حدّثنى سعيد بن سلم بن قتيبة عن أبيه أنه كان يعجب ممن يصدّق بالطّيرة ويَعيبها أشدّ العيب وقال : فَرَقَتْ لنا ناقةٌ وأنا بالطّف فركبت فى إثرها فلقينى هانئُ بن عتبة[1] من بنى وائل يركُض وهو يقول

* والشرُّ يلْقَى مُطَالِعَ الأَكَمِ *

ثم لقينى رجل آخر من الحى فقال وهو للبيد

ولئن بعثتَ لهم بُغَا * ةً ما البُغَاة بواجدينا

ثم دفعتُ إلى غلام قد وقع فى صغره فى نار فأحرقتْه فقبُح وجهه وفسد، فقلت له : هل ذكرت من ناقةٍ فارِقٍ؟ قال : ههنا أهل بيت من الأعراب فانظر . فوجدناها قد نُتِجت ومعها ولدها . يقال : ناقة فارق : قد ضربها الطَّلْق، وسحابة فارق : قد دنا هراقة مائها . قال المرقِّش[2]

ولقد غدوت وكنت لا * أغدو على واقٍ[3] وحاتم

فإذا الأشائمُ كالأيا * من والأيامنُ كالأشائم

وكذاك لا خير ولا * شرٌّ على أحد بدائم

[وقال آخر[4]

وليس بهيّاب إذا شدّ رحلَه * يقول عدانى اليومَ واقٍ وحاتمُ

ولكنه يمضى على ذاك مُقدِما * إذا صدّ عن تلك الهَنَاتِ الخُتَارِمُ[5]]

(١) فى النسخة الفتوغرافية : «عبيد» . (٢) فى النسخة الفتوغرافية «المرقم» وهو تحريف وقد أورد فى اللسان هذه الأبيات ونسبها للرقش كما هنا، وأورد صاحب بلوغ الأرب فى أحوال العرب المرقش هذا ضمن من أنكر الزجر والطيرة من العرب واستشهد له بهذه الأبيات .

(٣) الواق : الصرد، والحاتم : الغراب الأسود وكانت العرب تتشاءم بهما . (٤) زيادة فى النسخة الألمانية . (٥) فى الأصل «الخشارم» وهو تحريف والختارم كعلابط : الرجل المتطير . وقد أورد فى لسان العرب هذه الأبيات ونسبها الى خُثَيم بن عدى وقيل للرَّقّاص الكلبى يمدح بها مسعود بن بحر وصوبه ابن برى . أنظر اللسان مادة «و ق ى» .

وقال آخر

تعـــلّمْ أنه لا طـير إلا * على متطـيِّرٍ وهو الثُّبور
بَلَى، شيءٌ يوافق بعضَ شيء * أحايينــا وباطلُه كثير

حدّثنى الرياشى عن الأصمعى قال: سألت ابن عَوْنٍ (١) عن الفأل فقال: هو أن تكون مريضا فتسمع : يا سالم ، أو باغيا فتسمع : يا واجد . وفى الحـديث المرفوع « أَصْدَقُ الطِّيَرَة الفأل» . وفيه «الطِّيَرُ تجرى بقَدَر »

أراد أبو العالية (٢) أن يخرج من البصرة لعلّة كانت به (٣) فسمع مناديا ينادى: يامتوكل، فحطّ رحلَه وأقام .

وقال عكرمة كنّا جلوسا عند ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم : خيرخير . فقال ابن عباس : لا خير ولا شر . [قال (٤) كعب لابن عباس : ما تقول فى الطِّيَرة قال : وما عسيت أن أقول فيها؟ لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خير الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله . قال كعب : إن هذه الكلمات فى كتاب الله المنزل . يعنى التوراة] .

حدّثنى محمد بن يحيي القُطَعى (٥) قال حدّثنى عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبى حسان (٦) الأعرج أن رجلين دخلا على عائشـــة رضى الله عنها فقالا : إن أبا هريرة

---

(١) كذا بالنسخة الفتوغرافية وفى الألمـانية « عون بن عبـــد لله » ولم نعثر فى كتب التراجم على من تسمى بهذا الاسم سوى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وهذا مات بين سنة عشر ومائة الى عشرين ومائة ه فلا تصح رواية الأصمعى عنه لأنه ولد ســـنة ١٢٢ فلعل ما فى الفتوغرافية هو الصواب ويكون المراد به عبد الله بن عون بن أرطبان البصرى فقـــد توفى هذا فى ســـنة ١٥١ أى والأصمعى فى السن التى يتلق فيها عن مشايخه . (٢) فى النسخة الألمـانية «أبو العتاهية» . (٣) فى الألمـانية «لقينة كانت بها» وهو غير متناسب مع السياق . (٤) زيادة فى النسخة الألمـانية . (٥) كذا بالنسخة الألمـانية من غير ضبط . وفى الفتوغرافية « القطيعى » بضم أوّله وفتح ثانيه بعدهما ياء مثناة والصواب أنه « القطعى » بضم أوّله وفتح ثانيه من غير ياء كما ضبطه فى تقريب التهذيب ولعله نسبه الى قطيعة — بكهينة — بن عبس ابن بغيض وهو أبو حى كما فى القاموس وقد ذكر صاحب تهـــذيب التهذيب محمد بن يحيي هذا وقال إن من شيوخه عبد الأعلى . وهو هنا يروى عنه . (٦) فى الألمـانية « ابن حسان » وهو تحريف .

يحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انمـا الطِّيَرة فى المرأة والدار والدابة فطارت شَقَقًا ثم قالت : كذب، والذى أنزل الفرقان على أبى القاسم، مَن حدّث بهذا عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم، أنمـا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كان أهل الجاهلية يقولون إن الطيرة فى الدابة والدار والمرأة» ثم قرأت : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا)

كان عبد الله[(١)] بن زياد صوّر فى دهليزه كلبا وأسدا وكبشا وقال : كلب نابح وكبش ناطح وأسد كالح . وأنشدنى أبو حاتم عن الأصمعىّ

يا أيّهـا المُضمِر همًّا لا تَهُمّ * إنك إن تُقدَر لك الحُمّى تُحَمّ
ولو علوتَ شاهقا من العلَم * كيف تَوَقّيك وقد جفّ القلم

ولمـا أمر معاوية بقتل حُجْر بن عَدِىّ الكندىّ فى ثلاثة عشر رجلا معـه قال حُجْر : دعونى أصلّ ركعتين فتوضأ وأحسن الوضوء، ثم صلى وطوّل فقيل له : أجَزِعت؟ فقال : ما توضأت قطّ إلا صليت، ولا صليت قط صلاة أخفّ منها . وإن أجزَع فقد رأيت سيفا مشهورا وكَفَنا منشورا وقبرا محفورا . فقيل له : مُدّ عُنقَك، فقال : إن ذلك لدمٌ ما كنت لأُعين عليه . فقدّم فضربتْ عنقُه . وكان معاوية بعث رجلا يقال له هُدْبة لقتلهم، وكان أعور، فنظر إليه رجل من خَثْعم فقال : إن صدقت الطِّيرة قُتل نصفنا، فلما قُتل سبعة بعث معاوية رسولا آخر بعافيتهم فلم يقتل الباقون .

خرج كُثَيِّر عَزّة الى مصر يُريد عزة، فلقيه أعرابىّ من نهد فقال : يا أبا صخر، أين تريد؟ فقال : أريد عزة بمصر . قال : فهل رأيت فى وجهك شيئا؟ قال : لا،

---

(١) كذا بالألمـانية، وفى الفتوغرافية «عبيد الله» وهما من أولاد زياد بن أبيه كما فى المعارف لابن قتيبة، ولا ندرى أيهما صاحب القصة .

إلا أنى رأيت غرابا ساقطا فوق بانة ينتف ريشه . فقال له : تُوافى مصر وقد ماتت عزة . فانتهره كثير ثم مضى فوافى مصرَ والناس ينصرفون عن جنازة عزة، فقال

فما أعيف النَّهْدىّ لا دَرَّ دَرُّه * وأزجرَه للطير لا عزّ ناصره
رأيت غرابا ساقطا فوق بانة * ينتِّف أعلى ريشـه ويُطايره
فأما غُراب فاغتراب ووحشة * وبانٌ فبَيْن من حبيب تعاشره

وهوِى بعد عزةّ امرأة من قومه يقال لها : أم الحويرث . فخطبها فأبت وقالت : لا مال لك، ولكن ٱخرج فٱطلبْ فإنى حابسة نفسى عليك . فخرج يريد بعض بنى مخزوم، فبينا هو يسـير عنّ له ظبي فكره ذلك ومضى فاذا هو بغراب يبحث التراب على وجهه فكرهه وتطيّر منه، فانتهى الى بطن من الأزد يقال لهم بنولِهْب، فقال : أفيكم زاجر؟ قالوا : نعم، فأرشدوه الى شيخ منهم فأتاه فقصّ عليه القصة، فقال: قد ماتت أو خَلَف عليها رجل من بنى عمها. فلما انصرف وجدها قد تزوجت فقال

تيممت لِهْبا أطلب العلم عندهم * وقد رُدّ علم العائفين الى لهب
(١)
فقال جرى الطير السَّنيح ببَيْنها * فدونك فاهمِلْ جِدَّ مُنهمِرٍ سَكب
فإلّا تكن ماتت فقـد حال دونها * سواك خليل باطن من بنى كعب

حدّثنى أبو سفيان الغَنَوىّ قال حدّثنى خالد بن يزيد الصَّفّار قال حدّثنـا همّام بن يحيى عن قَتادة عن حَضْرَمىّ بن لاحِق أو عن أبى سَلَمة أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى أمرائه : « اذا أبردتم الىّ بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم » .

(٢)
[خرج عمر الى حَرّة وَاقِم فلقى رجلا من جُهَينة فقال له : ما ٱسمك ؟ قال : شهاب . قال : ابن من؟ قال : ابن جَمْرة . قال : وممن أنت؟ قال : من الحُرَقة .

(١) كذا بالأصل وقد حذف من الشعر بيتان يتصل بهما المعنى وهما .
فيممت شـيخا منهـم ذا أمانة * بصـيرا بزجر الطـير منحنى الصلب
فقلت له ماذا ترى فى سـوانح * وصوت غراب يفحص الأرض بالترب
(٢) زيادة فى النسخة الألمـانية .

ثم قال : ممن ؟ قال : من بنى ضِرَام . فقـال له عمر : أدرك أهـلك وما اراك تدركهم إلا وقد احترقوا، فأتاهم وقد أحاطت النـار بهم] .

خرج ابن عامر الى المدينة فاذا هو فى طريقه بنعامات خمس، فقال لأصحابه : قولوا فى هـذه . فقال بشر بن حسان : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : «لا عدوى ولا طِيَرَة» ومن علم شيئا فليقله ولكنى أقول : فتنة خمس سنين .

قرأت فى كتب العجم أن كسرى بعث وهرز الى اليمن لقتال الحبشة فلما اصطفّوا قال وهرز لغلام له : أخرج الىّ من الجُعْبة نُشَّابة وكان الأُسوار[(1)] يكتب على كل نُشَّابة فى جعبته ، فمنها ما يَكتب عليه اسمَ الملك ، ومنها ما يكتب عليه اسم نفسه ، ومنها ما يكتب عليه اسم ابنه[(2)] ، ومنها ما يكتب عليه اسم آمرأته . فأدخل العبد يده فأخرج له نشابة عليهـا اسم امرأته فتطيّر وقال : أنت المرأة وعليـك طائر السوء . رُدّها وهات غيرها . فردّها وضرب بيده فأخرج تلك النشابة بعينها ففكر وهرزُ فى طائره ثم آنتبه فقال: زنان . وزنان بالفارسية : النساء ، ثم قال : زن آن ، فاذا ترجمتُها اضرب ذلك قال : نعم الطائر هذا . ثم وضعها فى كبد قوسه ثم قال : صفوا لى ملكهم ، فوصفوه بياقوتة بين عينيه . ثم إنه مَغَط فى قوسه حتى اذا ملأها سَرّحها فاقبلتْ كأنها رِشَاء منقطع حتى فَضَّت[(3)] الياقوتةَ فطار فُضَاضها ثم فلقتْ هامتَه وهُزِم القوم . وقال المَعْلُوط

تَنادَى الطائران بِبَيْن سَـلْمى * على غصنين من غَـرْب وبان
فكان البان أن بانت سليمى * وفى الغَرب اغتراب غير دانى

أخذ معناها أبو الشِّيص فقال

أشاقك والليـل مُلقِى الجِرَان * غراب ينوح على غصن بان
أَحَصُّ الجناح شديد الصياح * يبكّى بعينيـن ما تَذْرِفان
وفى نَعَبات الغراب اغتراب * وفى البـان بَيْنٌ بعيد التدانى

(١) الأسوار بالضم والكسر قائد الفرس . (٢) فى الفتوغرافية « أبيه » .
(٣) فى الفتوغرافية : « حتى صَلَّت الياقوتةُ فطارت فُضاضًا » .

وقال الطائىّ

أتضعضعتْ عَبَراتُ عينك أنْ دعتْ * ورقاءُ حين تضعضع الإظلام
لا تَنْشِجنّ لها فان بكاءها * ضحك وإن بكاءك استغرام
هنّ الحَمام فان كسرت عِيافةً * من حائهنّ فانهنّ حِمام

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنى موسى بن مسعود عن عِكْرِمة بن عمّار عن إسحق بن عبدالله بن أبى طَلْحة عن أَنَس بن مالك قال: جاء رجل منا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله إنا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا وكثرتْ فيها أموالنا ثم تحوّلنا منها الى أخرى فقلّت فيها أموالنا وقلّ فيها عددنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ذروها وهى ذميمة».

بلغنى عن ابن كُنَاسة عن مبارك بن سعيد أخى سفيان الثَّوْرىّ قال: بلغنا أن أعرابيا أضاع ذَوْدا له فخرج فى الطلب حتى أدركه العطش، فمرّ بأعرابى يحتلب ناقة فنَشَده ضالّته فقال له: متى خرجت فى الطلب؟ ادن منى حتى أسقيك لبنا وأرشدك. قال: قبل طلوع الفجر. قال: فما سمعتَ؟ قال: عواطيس حولى: ثُغاء الشاء ورُغاء البعير ونُبَاح الكلب وصياح الصبىّ. قال: عواطيس تنهاك عن الغدو. قال: فلما طلع الفجر عَرَض لى ذئبٌ. قال: كَسُوبٌ ذو ظفَر. قال: فلما طلعت الشمس لقيتُ نعامةً. قال: ذات ريش واسمها حسن، هل تركتَ فى أهلك مريضا؟ قال: نعم. قال: ارجع فانك ستجد ضالتك فى منزلك.

حدّثنى عبد الرحمن عن حَفْص بن عمر الحَبَطىّ قال حدّثنا أبو زُرْعة يحيى بن أبى عمرو الشَّيْبانىّ[1] عن نُبَيع عن كَعْب قال: كانت الشجرة تنبت فى محراب سليمان النبى صلى الله عليه وسلم وتكلمه بلسانٍ ذَلِق فتقول: أنا شجرة كذا وفىّ دواء كذا. فيأمر بها سليمان فيكتب اسمها ومنفعتها وصورتها وتقطع وترفع فى الخزائن حتى كان

(١) فى الأصل «الشيبانى» بالشين المعجمة وهو تحريف والتصويب والضبط عن تقريب التهذيب.

آخر ما جاء منها الخروبة قالت: أنا الخروبة . فقال سليمان : الآن نُعيتْ الىّ نفسى وأُذن فى خراب بيت المقـدس . قال الطائىّ يصف عَمُّورِيَّة

بِكْرٌ فما افترعتْها كفُّ حادثة * ولا ترقّت اليهـا هِمّــة النُّوب
جرى لهـا الفال بَرْحا يوم أَنْقِـرة * اذ غُودِرت وَحْشةَ الساحات والرَّحَب
لَمّـا رأت أختَها بالامس قد خربت * كان الخراب لها أَعدَى من الجَرَب

مذاهب العجم فى العِيافة والاستدلال بها

قرأت فى الآيين : كانت العجم تقول : اذا تحوّلت السِّـباع والطير الجبلية عن أماكنها ومواضعها دلَّت بذلك على أن المَشْتَى سيشتدّ ويتفاقم . واذا نَقَلت الجُرذان بُرًّا وشعيرا أو طعاما الى رب بيت رُزق الزيادة فى ماله وولده ، وإن هى قَرَضت ثيابه دلّت بذلك على نقص ماله وولده ، فينبغى أن يُقطع ذلك القَرْض ويُصلح . وإذا شبّت النار شبوبا كالصَّخَب دلت على فرح شديد ، واذا شبت شبوبا كالبكاء دلت على حزن ، وأما النار التى تشتعل فى أسفل القُدور فانها تدل على أمطار تكثر أو ضيف يحضُر . وإذا فشا المَوت فى البقر وقع المُوتانُ فى البشر ، وإذا فشا الموت فى الخنازير عمّ الناسَ السـلامةُ والعافية ، وإذا فشا الموت فى السباع والوحوش أصاب الناس ضَيْقة ، وإذا فشا الموت فى الجرذان أَخْصب النـاسُ . وإذا أكثرت الضفادع النَّقيق دلت على موتان يكون . واذا أَنَّ ديك فى دار فشا فيها مرض الرجال ، واذا أَنَّتْ دجاجة فشا فيها مرض النساء ، واذا صرخت ديوك صُراخا كالبكاء فشا الموت فى النساء ، واذا صرخ الدجاج مثل ذلك الصراخ فشا الموت فى الرجال . واذا نَعَب غراب أسود بحاوبته دجاجة دل ذلك على خراب يُعمر . واذا قوّقت دجاجة وجاوبها غراب دل على عُمران يخرّب . وإذا غطّ الرجل الحسيب فى نومه بلغ سَنًا ورفعة ، ومن نفخ فى نومه أُفسد ماله ، ومن صَرّتْ أسنانُه فى نومه دلّ ذلك منه على نميمة ،

وينبغى أن يُضرب على فيه بخُفّ متخرِّق . ومن سقطت قدّامَه حية من جُحرٍ أصابته معرّة ومضرة . واذا رئى فى الهواء دُخْنة وظلمة من غير علة تُخوّف على الناس الوباء والمرض . واذا رئى فى آفاق السماء فى ليلة مصحية كاختلاف النيران غَشِى البلاد التى رئى ذلك فيها عدو ، فان رئى ذلك وفى البلاد عدو انكشف عنها . واذا نبح كلب بعد هَدْأة نبحة بغتة دل على أن السُّرّاق قد اجتمعوا بالغارة على بعض ما فى تلك الدار أو ما جاورها . واذا صفّق ديك بجناحيــه ولم يصرخ دل على أن الخبر محتبس عن صاحبه . واذا أكثر البوم الصراخ فى دار برئ مريض إن كان فيهــا . وإذا سُمع لبيت تنقُّض شَخَص من فيه عنه ، واذا عوت ذئاب من جبال وجاوبتها كلاب من قرى تفاقم الأمر فى التحارُب وسفك الدماء . واذا عوت كلاب وجاوبتها ذئاب كان وباء ومُوتان جارف ، واذا أكثرت الكلاب فى البَغَتات الهريرَ دلت بذلك على إتيان العدو البلادَ التى هى فيها ، واذا صرخ ديك فى دار قبل وقت صراخ الديوك كان ذلك محاولة لدفع بَليّة قد شارفت تلك الدارَ ، واذا صرخت دجاجة فى دار كصراخ ديك كان ذلك تحذيرا لمن فيها من آفة قد أشرفوا عليها . واذا أكثر ديك النَّزَوان على مُتَكَأة رب الدار نال شرفا ونباهة ، وإن فعلت ذلك دجاجة ناله خمول وضعة . واذا ذَرَق ديك على فراشــه نال مالا رغيبا وخيرا كثيرا وذلك اذا كان من غير تضييع من حشمه لفراشه ، فان ذرقت دجاجة على فراشــه نالت زوجته منــه خيرا كثيرا ، وكانوا يقولون : إن الموت من المريض الشبيه للصحيح قريب وإن الصحيح الشبيه بالمريض مستشعر للشر وينبغى مباعدته . وينبغى أن يُعرف كُنْه من كان مِنْطيقا لعلّه لا يجيد العمل ، وحال من كان سِكّيتا مترمّتا لعله بعيد الغور . وكانوا يكرهون استقبال المولود ساعة يوضع إلا أن يكون ناقص الخَلْق فإن بليته وآفته قد صارتا على نفسه ، ويكرهون استقبال الزَّمِن والكريه الاسم والجارية

البكر والغلام الذاهب الى المكتب ، وكانوا يكرهون الثيران المقرونة بِقَرَان والحيوان المُوثق والدابّة المَقُودة وحاملة الشراب والحطب والكلب ، ويستحبُّون الصحيح البدن الرضيّ الاسم والمرأة الوسيمة الثيّب والغلام المنصرف من المكتب والدواب التي عليها حُمُولة من طعام أو تبن أو زبل . وكانوا لا يُنَحُّون عن سمع الملك ألحان المغنيات ونَقيض الصوارى وصهيل الخيل والبَرَاذين ويتخذون فى مبيته ديكا ودجاجة . واذا أهديت له خيل سُنِح بها عليه من يساره الى يمينه وكذلك الغنم والبقر ، وأما الرقيق والسباع وما أشبهها فكان يُبَرَّح بها من يمينه الى يساره .

باب فى الخيل

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا سفيان بن عُيَينة عن شَبيب بن غَرْقَدَة [عن عُرْوَة](1) البارقى قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : «الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة» .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنى أَشْهل بن حاتم قال حدّثنى موسى بن على بن رَبَاح اللَّخْمى عن أبيه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى أريد أن أُعِدّ فرسا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فاشتره اذًا أدهَم أو كُميتا أَقْرح أَرْثم أو محجّلا مُطْلَق اليمين» وفى حديث آخر « فانها مَيَامين الخيل ثم اَغزُ تسلمْ وتغنم إن شاء الله » .

حدّثنى سهل بن محمد قال أخبرنى أبو عبيدة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «عليكم بإناث الخيل فان ظهورها حِرْز وبطونها كنز» قال : وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستحبّ من الدواب الشُّقْر ويقول : « لو جمعت خيل العرب كلها فى صعيد

(١) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية لأن المنسوب الى بارق — وهو كما قال السمعانى جبل ينزله الأزد فيما أظن ببلاد اليمن — عروة بن الجعد بن أبى الجعد البارقى الصحابى .

واحد ماسبقها إلا أشقر» . وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أىّ المـال خير . قال «سكة مأبورة» يعنى النخل «ومُهْرة مأمورة» يريد كثيرة النتاج . قال : وكان يكره الشِّكَال [١] فى الخيل . [قال [٢] أبوذر : ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه ويقول : اللهم سخرتنى لابن آدم وجعلت رزقى بيده فاجعلنى أحبّ اليـه من أهله وماله ، اللهم ارزقه وارزقنى على يديه] . سأل المهدى مطر بن دراج : أىّ الخيل أفضـل؟ قال : الذى اذا استقبلتَه قلتَ نافر ، واذا اسـتعرضته قلت زافر [٣] ، واذا اسـتدبرته قلت زاجر [٤] . قال : فأىّ البراذين شر؟ قال : الغليظ الرقَبة الكثير الجَلَبَة الذى اذا أرسلته قال أمسكنى واذا أمسكته قال أرسلنى . قال : فأىّ البراذين خير؟ قال : ما طرفه إمامه وسوطه عِنانه .

[وصف رجل برذونا فقال : ان تركته نَعَس وان حركته طار] . وقال ابن أقيصر : خير الخيل الذى اذا استقبلتَه أَقْعى وإذا استدبرته جَبّى [٥] وإذا استعرضته استوى وإذا مشى رَدَى واذا عدا دحا .

محمد بن سـلّام قال : أرسل مسلم ابن عمرو ابنَ عمٍ له الى الشأم ومصر يشترى له خيلا فقال : لا علم لى بالخيل قال : ألست صاحب قَنْص؟ قال : بَلَى . قال :

(١) ان تكون ثلاث قوائم محجلة والواحدة مطلقة وعكسه أيضا . قاموس .

(٢) زيادة فى النسخة الألمـانية .

(٣) فى العقد الفريد « زاجر » ولا معـنى له ، ولعل المراد بالزافر عظيم الزُّفْرة بالضم وهى وسط الفرس ويكون كأنه زافر أبدا من عظم جوفه وإجفار جنبيه وذلك مما يمدح فى الخيل .

(٤) كذا بالنسختين وفى العقد الفريد « زاخر » ولعله الصواب ويكون المعنى أنك إذا استدبرته رأيته عظيم الكفل ممتلئه وذلك مما يمدح فى الخيل أيضا .

(٥) جبّى : انكب على وجهه وقد أورده فى الأمالى « جَنّا » وهو أيضا بمعناه ، وقال أبو على القالى الرديان أن يرجُم الأرض رجما بين المشى الشديد والعدوّ . والدحو أن يرمى بيديه رميا لا يرفع سنبكه عن الأرض .

فانظر، كلُّ شيء تستحسنه فى الكلب فاطلبه فى الفرس . فقدم بخيل لم يك فى العرب مثلها . وقالوا : سُمِّيت خيلا لاختيالها .

وذكر أعرابى فرسا وسرعته فقال : لما خرجت الخيل جارى بشيطان فى أشْطان[(١)] فلما أُرْسلت لَمَع لمعة سحاب فكان أقربَها اليه الذى تقع عينه عليه .

وسئل رجل من بنى أسد : أتعرف الفرس الكريم قال أعرف الجواد المُبِرّ من المُبْطئ المُقْرِف . أما الجواد المبر فالذى لُهِزَ[(٢)] لَهْزَ العَيْر وأُنِّف تأنيفَ السَّيْر[(٣)] الذى اذا عدا آسلهب واذا قِيِّد آجلَعَبّ[(٤)] واذا انتصب آتَلأَبّ . وأما المبطى المقرف فالمدلوك[(٥)] الجَبَة الضخم الأرْنبة[(٦)] الغليظ الرقبة [الكثير الجلبة][(٧)] الذى إن أرسلته قال : أمسكنى وإن أمسكته قال : أرسلنى وأنشد الرياشى

كمُهْرِ سوء اذا سكّنتَ شِرّته * رام الجِماحَ فان رفّعتَه سكَنا

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثنى الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء أن عمر بن الخطاب شك فى العِتاق والهُجُن ، فدعا سَلْمان بن ربيعة الباهلى فأخبره ، فأمر سلمان بطَسْت فيه ماء فوُضع فى الأرض ثم قُدّمت الخيل اليه فرسا فرسا فما ثنَى منها سُنْبُكَه فشرب هجّنه ، وما شرب ولم يثن سنبكه عرّبه . وذلك لأن

---

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفى الفتوغرافيــة هكذا (جاو الشيطان) الخ وفى لسان العرب : ووصف أعرابى فرسا لا يحفى فقال كأنه شيطان فى أشطان . ولعل أصل عبارة النسخة الفتوغرافية «جاء كأنه شيطان فى أشطان» فحرفها الناسخ كما ترى . (٢) كذا بالفتوغرافية مضبوطا . وفى القاموس : الملهوز المضبّر الخَلْق والتضبير اكتناز اللحم فكأنه يريد أن يمدحه بأنه مكتنز الخلق كالعير الوحشى ويوافقه ما فى اللسان ولكنه مضبوط بالبناء للفاعل ولعله خطأ . وفى الألمانية والعقد الفريد "نَهَزَ نَهْزَ العير" . وفى اللسان نهزت الدابّة اذا نهضت بصدرها للسير ، ولعل معناه أنه يندفع فى السير كاندفاع العير الوحشى .

(٣) فى اللسان : واذا أنف يأتنف السير وهو تحريف دفع اليه توهم أن السير هنا بمعنى المشى لأن المؤنّف هو المحدّد من كل شىء ، ومنه سير (جلد) مؤنَّف أى مقدود على قدر واستواء ، والمراد أنه قُدَّ حتى استوى كما يستوى السير المقدود . (٤) اسلهب : مضى . وآجلعبّ : امتدّ على الأرض . واتلأبّ : استوى .

(٥) جبة الفرس ما أشرف على صفاق البطن من وركيه ، ومدلوكها الذى ليس لجبته اشراف فهى ملساء مستوية . (٦) الأرنبة الأنف . (٧) فى الأصل الكبير والتصويب عن العقد الفريد .

فى أعناق الهُجُن قصرا فهى لا تنال المـاء على تلك الحال حتى تثنى سنابكها وأعناق العتاق طوال .

وحدّثنى أبو حاتم قال حدّثنـا الأصمعىّ قال : ذكروا أنـ كسرى كان اذا أتاه سائسه فقال : الفرس يشتكى حافره، قال : المطبخ . واذا قال : يشتكى ظهـره، قال : البَيْطار .

وأنشدنى أبو حاتم لأبى ميمون العِجْلىّ وهو النضر بن سلمة فى شعر طويل له يصف الفرس، وقال قرأته على أبى عبيدة وعلى الأصمعىّ

الخيــلُ منّى أهلُ ما أن يُدْنَيْنْ * وأن يُقــرَّبْنَ وأن لا يُقْصَيْنْ
وأن يُبَأْبَأْنَ(١) وأنـ يُفــدَّيْنْ * وأن يكون المحضُ ممـا يُسْقَيْن
وأهــل أن يُعْلَيْنَ أو يُغَالَيْنْ * بالطّرْف والتّـلْد وأن لا يُجْفَيْنْ
وأهــلُ ما يَحْبُنَنَـا أن يُقْفَيْنْ(٢) * وأهــل ما أعْقَبْنَنَا أن يُحْــزَيْنْ
أليس عزُّ النـاسِ فيما أبْلَيْنْ * والحسب الزاكى اذا ما يُقْنَيْن
والأجر والزَّيْن اذا رِيمَ الزّين * كم من كريم جدّه قــد أعْلَيْن
وكم طريدٍ خائفٍ قــد أنْجَــيْن * ومن فقــيرٍ عائــل قد أغْنَيْنْ
وكم برأس فى لبـان أجْرَيْنْ * وجســدٍ للعـافياتِ أعْرَيْنْ
وأهلِ حصنٍ ذى امتناع أرْدَيْنْ * وكم لها فى الغُنْم من ذى سهمين
يكون فيما اقتســموا كالرَّجُلين * وكم وكم أنْكَحْنَ من ذى طِمْرَيْنْ
بغير مهــر عاجل ولا ديـن * والخيل والخــيرات فى قرينين
لا تشتكينَ عمــلا ما أنْقَيْنـ * ما دام مخٌّ فى سُــلاَمَى أو عين
* ما بلّل الصوفةَ(٣) ماءُ البحرين * .

(١) يقال لها بأبى أنت، كناية عن الاحتفاظ بها . (٢) يُؤْثَرْن . (٣) فى اللسان : وصوف البحر شىء على شكل هذا الصوف الحيوانى واحدته صوفة وفى الأبديات : لا آتيك ما بلّ بحر صوفة .

وأنشدنى أبو حاتم عن أبى عبيدة . قال : وقال لى أبو عبيـدة لا أعرف قائل هذا الشعر وعروضه لا يخرّج . قال أبو حاتم : أحسبه لعبد الغفار الخُزَاعى

ذاك وقـد أذعر الوحوشا * بصَلْتِ الخدّ رَحْبِ لَبَانُهُ (١) مُجْفَرْ
طويلُ خمسٍ (٢) قصـير أربعة (٣) * عريض ست (٤) مقلّص حشُور (٥)
حَدّتْ له تسعةٌ (٦) وقد عريت * تسع (٧) ففيه لمن رأى منظر
ثم له تسـعة كُسِينَ (٨) وقد * أُرْحِب منـه اللَّبـانَ والمَنْخَرْ
بعيـد عشر وقـد قَرُبْنَ (٩) له * عشر وخمس طالت ولم تقصر

(١) اللَّبَان الصدر ومُجفر بفتح الفاء واسع الجُفْرة وهى من الفرس وسطه .

(٢) تعرض أبو صفوان الأسدى فى قصيدة له الى مدح فرس وذكر أن ما طال منـه تسع وفسرها ابن الاعرابى بالعنق ووظيفى الرجلين والبطن والذراعين والفخذين . قال أبو على القالى : وتفسيره غير موافق لقول الشاعر لأنه ذكر عشرة أشياء وذكرها الشاعر تسعة ونقـل عن أبى العباس أن هذا غلط من الشاعر ثم ذكر أن الذى يستحب طوله فى القوائم ثمانية : وظيفا الرجلين والذراعان والثُّنّ وهى الشعر الذى فى مؤخر الرسغ ، وقال : فإن كان الشاعر ذهب الى هذا وأراد معها العنق جاز وصح قوله .

(٣) عدها صاحب القصيدة السالفة الذكر تسعة فقال ابن الاعرابى فى تفسـيرها هى أربعة : أرساغه ووظيفا يديه وعسيبه وساقاه . (٤) عدت فى القصيدة المذكورة ثمانية وقال ابن الاعرابى فى تفسيرها هى الفخذان والوركان والأوظفة . (٥) حَشْوَر : منتفخ الجنبين .

(٦) ذكرت فى تلك القصيدة ثمانية وقال ابن الاعرابى : حديد الثمان : عرقوباه وأذناه وقلبه ومنكباه ، كذا فى أمالى أبى على القالى ولم يذكر الثامن .

(٧) عدت فى تلك القصيدة سبعة . قال ابن الاعرابى السبعة العارية : خدّاه وجبينه والوجه كله وقوائمه فكل هذا يستحب فيه أن يكون عاريا من اللحم .

(٨) عدت فى تلك القصيدة سبعة وقال ابن الاعرابى السبع المكسوة : الفخذان وحاميتاه ، ووركاه وحصيراجنبيه ونَهْدتاه وهما فى الصدر . وغير ابن الاعرابى يقول فَهْدتاه بالفاء . قال أبو على القالى والصحيح فهدتاه وهما اللحمتان اللتان فى الزَّوْر كالفَهْدين .

(٩) عد فى تلك القصيدة ما قرب منه سبعا وما بعد سبعا وقال ابن الاعرابى السبع التى قربت يريد بها سبع خصال صالحة قربن منه وسبع خصال رديئة بعدن منه فليست فيه . ولم يبين هذه الخصال على وجه التفصيل .

(راجع قصيدة أبى صفوان الأسدى وشرحها فى الأمالى من صفحة ٢٤٠ – ٢٥٣) .

تُقْفِيه بالمَحْض دون وِلْدَتنـا * وعُضُّـــه (١) فى آرِيِّه (٢) يُنْـثر
نَصْـبَحُه تارة ونَغْبَقُــه * ألبانَ كُومٍ رَوَائمٍ أظْؤُر
حتى شَـتَا بادِنًا يقـالُ ألا * يطوون من بُدْنه وقد أُضْمِر (٣)
مُوَثَّقُ الخَلْق جُرْشُـعٌ (٤) عَتِـد * مُنْضَرِجُ الحُضْر حين يُسْتَحْضَر
حَاظِى (٥) الحَمَـاتَيْن لَحْمُه زِيَمٌ * نَهْدٌ شـديد الصِّفَاقِ والأَبْهَر
رقيق خمس غليظ أربعـة * نائى المَعْـدَّين (٦) لَيِّن الأَشْـعَر

وقد فسرت هذا الشـعر فى كتابى المؤلف فى أبيات المعانى فى خلق الفـرس .

أنشدنا أبو سعيد لبعض الضَّبِّيين فى وصف فرس

متقاذفٍ عبلِ الشَّوى شَنِجِ النَّسا * سَـبَّاقِ أندية الجيـاد عَمَيْثَلِ (٧)
واذا تُعُلِّلَ بالسِّـياط جيادُها * أعطـاكَ نائـلَه ولم يتعلَّلِ (٨)

قيل لـما وضعت حرب صِفِّين أوزارها قال عمرو بن العاص

شبَّت الحربُ فأعددتُ لها * مُفْرَعَ الحَارِكِ مروِىَّ الثَّبَج (٩)

(١) العُضُّ : العجين تُعلفه الابل ، والقت ، والشعير والحنطة لا يشركهما شىء . (٢) الآرىّ : الآخيَّة وهى محبس الدابة . (٣) يقال ضمر الخيل تضميرا : علفها القوت بعد السمن كأضمرها . قاموس .

(٤) الجرشع كقنفذ : العظيم الصـدر المنتفخ الجنبين . ومنضرج الحضر : شديد العدو . (٥) هكذا فى النسخة الألمـانية والفتوغرافيـة وذكر فى أسفل النسخة الألمـانية أن فى بعض النسخ خاظى . وكلاهما غير مناسب للمعنى ولعـله حاظى بالخاء والظاء المعجمتين فان الحمـاتين من الفرس اللحمتان المجتمعتان فى ظاهر الساقين من أعاليهما والخاظى كما فى لسان العرب المكتنز اللحم أو الغليظ الصلب . ولحمه زيم : مكتنز . والصفاق فسره الأصمعى فى كتاب الفرس كما فى لسان العرب الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر والأبهر : عرق فى الظهر . (٦) المعدان : موضع دفتى السرج . والأشعر : ما استدار بالحافر من منتهى الجلد .

(٧) متقاذف ، سريع . وعبل الشوى : غليظ القوائم . والنسا : عرق من الورك الى الكعب . وشنج النسا متقبضه وهو مدح للفرس لأنه اذا شَنِج نَسَاه لم تسترخ رجلاه . والعميثل النشيط . (٨) فى الفتوغرافية وما يتعلل وهذا إنما يصح اذا كانت القافيـة مرفوعة . على انه فى العقد الفريد أورد هـذا الشعر على نحو ما فى الصلب . (٩) الحارك أعلى الكاهل والثبج ما بين الكاهل الى الظهر .

جُرْشُعًا أعظمه جُفْــرَتُهُ * فاذا ابتــلّ من المــاء حَرِجْ
يصــل الشّد بشــدٍّ فاذا * ونت الخيلُ من الشدّ معج[(١)]

ووجدت فى كتاب من كتب الروم أن من علامة فَرَاهة المهر الحولى صغر رأسه وشدّة سواد عينيه وأن يكون مُحدّد الأذنين أَجْرد باطنها كثيف العُرْف، فى عرفه ميل من قِبَل يمين راكبه عريض الصدر مرتفع الهادى معتدل العضدين مكتنز الجنبين طويل الذنَب عريض الكَفَل مستدير الحوافر صحيح باطنها، ومن علامة فراهة المهر ألا يكون نَفُورا [ولا يقفُ عند دابة إلا مع أمّه] واذا دفع الى عين أو نهر ماء لم يقف لتجاوزه دابة فيسير بسيرها ولكنه يقطع ذلك النهر والعين .

قالوا ومما يسلم الله به الخيــل من العين وأشباه ذلك أن يُجْعل فى أعناقها خرزة من قرون الأيايل[(٢)] .

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن سفيان عن حُصَين بن عبد الرحمن عن هلال بن إِسَاف وعن سُحَيم بن نَوْفل قالا : كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود ونحن نعرض المصاحف، فجاءت جارية الى سيّدها فقالت: ما يُجلسك؟ قم فآبتغ لنا راقيا فإن فلانا لَقَع[(٣)] مهرك بعينه فتركته يدور كأنه فلك . فقال عبد الله : لا تبتغ راقيا ولكن اذهب فآنفُث فى مَنْخره الأيمن أربعا وفى الأيسر ثلاثا ثم قل: بسم الله لا باس لا باس أذهِب الباس رب النّاس وآشف أنت الشافى لا يكشف الضراءَ إلا أنت .
قال : فما قمنا حتى جاء الرجل فقال : قد فعلت الذى أمرتنى به فبال وراث وأكل .

حدّثنى أبو حاتم عن أبى عبيدة أنه قال : اذا كان الفرس صَلُودا لا يعرق سقيتَه ماء قد دُفْتَ فيه نُحيرة أو علفته ضِغْثا من هِنْدِبَاء فان ذلك يُكثر عرقه، فان حَمِرَ[(٤)] أدخلتَه

(١) فى الفتوغرافية «فاذا وت الخيل من الثج» . والشدّ : العدو. ومعج كمنع : أسرع . (٢) الأيايل جمع أيل وهو الوعل . (٣) يقال لقع فلانا بعينه : أصابه بها . (٤) حمر الفرس كفرح : سنق (تخم) من أكل الشعير أو تغيرت رائحة فيه اهـ قاموس .

الحمّـام وأشمّه عَذِرَةً . فقلت لأبى عبيدة : ما يدريك أن هذا كذا؟ فقال : خبرنى به جلّ الهندىّ وكان بصيرا . قال : فان أصابته مَغْلةٌ وهى وجع البطن من أكل التراب أُخذله شىء من بُورَقٍ فدقّ ونُخل بجعـل فى ربع دَوْرَق من خمر فخُفِق به وبُلّ تراب طيّب ببول أَتان(١) حتى يصير طينا ثم لُطخ به بطن الدابة . قال : وممـا يذهب العَرَن دماغ الأرنب .

وقف الهَيْثم بن مطهّر على باب الخَيْزُران على ظهر دابته، فبعث اليـه الكاتب فى دارها : آنزل عن ظهر دابتك فقد جاء فى الأثر : لا تجعلوا ظهور دوابّكم مجالس . فبعث اليه : إنى رجل أعرج وإن خرج صاحبى خِفْتُ ألّا أدركه . فبعث اليه : إن لم تنزل أنزلناك . قال : هو حَبيس إن أنزلتنى عنه إن أَقْضَمْتُه شهرا فانظر أيّمـا خير له، راحةُ ساعة أو جوعُ شهر؟ فقال : هذا شيطان، آتركوه .

باب البغال والحمير

قال مَسْلمة : ما ركب الناس مثل بغلة قصيرة العِذَار طويلة العِنَان . وكتب رجل الى وكيله : آبغنى بغلة حَصّاءَ الذنَب طويلة العنق سوطها عِنانُها وهواها أمامُها .

عاتب الفضلَ بن الربيع بعض بنى هاشم فى ركوبه بغلة، فقال له : هذا مركب تَطاطأ عن خُيَلاء الخيل وآرتفع عن ذِلّة الحمار وخير الأمور أوساطها .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء : قال دفع أبو سَيّارَةَ بأهل المُزْدَلِفة أربعين سنة على حمار لا يعتلّ، فقالت العرب : «أصح من عَيْر أبى سيارة»

قال رجل للفضل الرَّقَاشى وهو جدّ مُعْتَمِر لأمّه : إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب، فلم ذلك؟ قال : لأنها أكثرها مَرْفَقا . قال : وما ذاك؟ قال : لا تستبدل بالمكان على

(١) فى الفتوغرافية "انسان" .

قدر اختلاف الزمان ثم هى أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صَريعا وأسهل تصريفا وأخفض مَهْوًى وأقل جِمَاحا وأشهر فارِهًا وأقل نظيرا ويُزْهَى راكبه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصدا وقد أسرف فى ثمنه . وقال خالد بن صفوان فى وصف حمار: قد أركبه عيرا من بنات الكُدّاد(١) أصحر السِّرْبال مُحْمْلَجَ القوائم يحمل الرِّجْلة ويبلغ العقبة ويمنعنى أن أكون جبّارا عنيدا .

وقال رجل لنخّاس : اطلب لى حمارا ليس بالكبير المشتهَر ولا القصير المحتقر ولا يُقَدِم تقحّما ولا يحجم تبلّدا يتجنب(٢) بى الزحام والرِّجام والإكام خفيفَ اللجام اذا ركبتُه هام واذا ركبه غيرى قام، إن علفتُه شكر، وإن أجعته صبر. فقال له النخاس: إن مسخ الله القاضى زيادا حمارا رجوت أن أصيب لك حاجتك إن شاء الله. وقال رجل لآخر يوصيه : خذ من الحمار شكره وصبره ومن الكلب نصحه لأهله ومن الغراب كتمانه للسِّفَاد .

جرير بن عبد(٣) الله عن أبيه قال : لا تركب حمارا فانه إن كان فارها أتعب يديك وإن كان بليدا أتعب رجليك .

باب فى الإبل

الهيثم قال قال ابن عياش(٤): لا تشتر خمسة من خمسة: لا تشتر فرسا من أسَدِىّ ولا جملا من نَهْدِىّ ولا عيْرا من تميمى ولا عبدا من بَجَلى . ونسى الهيثم الخامس، يريد أن أهل هذه القبائل عظام الجدود فى هذه الأشياء . قيل لبنى عبس : أىّ الإبل

(١) فحل تنسب اليه الحمر . قاموس . (٢) كذا بهامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى وفيها كما فى الفتوغرافية «يخبب» . (٣) فى النسخة الفتوغرافية «عبدالحميد» وهما واردان معا فى كتب التراجم .

(٤) كذا بالفتوغرافية وفى الألمانية «ابن عباس» ولعل رواية الفتوغرافية أصح اذ لم نقف فى ترجمة ابن عباس على ان الهيثم روى عنه ، ولعل هيثما هذا هو الهيثم بن حارجة الخراسانى فقد روى عن إسماعيل بن عياش كما فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى .

أصبر عليكم فى محاربتكم ؟ قال الزُّمْك الجعَاد . قيل : فأىّ الخيـل وجدتم أصبر ؟ قالوا : الكُمْتَ الحُوَّ . قيل : فأىّ النساء وجدتم أصبر؟ قالوا : بناتِ العم .

المدائنى قال قال شَبَّة بن عِقَال : أقبلت من اليمن أريد مكة وخفت أن يفوتنى الحج، ومعى ثلاثة أجمال فمررت برجل من أهل اليمن على ناقة له فطويته فلما جُزْته قام بى بعير لى ثم آخر ثم قام الآخر فظننت أن الحج يفوتنى فمرّ بى اليمـانى فقال : مررتَ بنا ولم تسلِّم ولم تعرِّض . فقلت : أَجَلْ (١) يرحمك الله . قال : أتطيب نفسا عما أرى؟ قلت : نعم . فنزل فأرخى أَنْساع رَحْله ثم قدّمه فكاد يضعه على عنقها ثم شدّه وقال لى : لولا أنك لا تضـبط رأسها لقدّمتك . ثم قال لى : خذ حُرّ متاعك إن لم تطب نفسا به ففعلت، ثم ارتدفتُ فجعلتْ تعوم عوما ثم انسلّت كأنها ثعبان يسيل سيلا كالمـاء فما شعرت حتى أرانى الأعلام وقال: أتسمع؟ فسمعت أصوات الناس فاذا نحن بجمعٍ (٢)، فقضيت حِجّتى، وكان قال لى : حاجتى اليك ألّا تذكر هذا فان هذه عندى أثر من ولاية العَرُوض يعنى مكة والمدينة، أدرك عليها الثأر وهى ثِمَال العيال وأصيد عليها الوحش وأوافى عليها الموسم فى كل عام من صنعاء فى أقل من غِبّ الحمار فسألته : من أين هى؟ قال : بُجَاوِيّة من هَوَامِى نتَاج [بدو] (٣) بَجيلة الأولى وهى من المَهَارى التى يذكر الناسُ .

[وكتب (٣) سليمان بن عبد الملك الى عامله : أصبْ لى نجَائب كِرَاما . فقدم رجل على جمل سُبَاعِىٍّ عظيم الهامة له خَلْق لم يروْا مثلَه قطّ فساموا، فقال : لا أبيعه . قالوا : لا نَدَعُك ولا نغصبُك ولكنا نكتب الى أمير المؤمنين بسببه . قال : فهلا خيرا من هذا ؟ قالوا : ما هو؟ قال : معكم نجائب كِرَام وخيل سابقة، فدعونى أركب

(١) فى الفتوغرافية "قد كان ذاك رحمك الله". (٢) هى المزدلفة وسميت بذلك لاجتماع الناس بها.
(٣) زيادة فى النسخة الألمـانية.

جملى وأبعثه وٱتبعونى فان لحقتمونى فهو لكم بغير ثمن . قالوا : نعم . فدنا منه فصاح فى أذنه ثم أثاره فوثب وثبة شديدة فكبا ثم ٱنبعث وٱتبعوه فلم يدروا كيف أخذ، ولم يروا له أثرا بجعل أهل اليمن علَمًا على وَثْبته يقال له : الكفلان] .

أخبار الجبناء

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعى قال : أرسل عبيد الله بن زياد رجلا فى ألفين الى مِرْدَاس بن أُدَيَّة وهو فى أربعين فهزمه مرداس فعنّفه ٱبن زياد وأغلظ له فقال : يشتمنى الأمير وأنا حى أَحَبُّ الىّ من أن يدعوَ لى وأنا ميت . فقال شاعر الخوارج

أألفا مؤمن منكم زعمتم * ويهزمهم بآسَكَ أربعونا
كذبتم ليس ذلكمُ كذاكم * ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم * على الفئة الكثيرة يُنصرونا

حدّثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن عون عن الحسن قال، قال النبى صلى الله عليه وسلم : «ما ٱلتقتْ فئتان قطّ إلا وكفّ الله بينهما فاذا أراد أن يهزم إحدى الطائفتين أمال كفّه عليها» . [(1) ورفع معاوية ثُنْدُوَته بيده وقال: لقد علم الناس أن الخيل لا تجرى بمثلى، فكيف قال النجاشى

ونجّى ٱبنَ حرب سابقٌ ذو عُلَالة * أجشُّ هَزِيمٌ والرماح دَوَانى]

ابن دَأْب قال، قال عمرو بن العاص لمعاوية : لقد أعيانى أن أعلم أجبان أنت أم شجاع ؟ فقال

شجاع اذا ما أمكنتنىَ فرصة * وإلّا تكن لى فرصة لجبان

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

شهد أبو دُلَامة حربا مع رَوْح بن حاتم فقال له : تقدّم فقاتِلْ . فقال

إنى أعوذ برَوْح أنْ يقدّمنى * الى القتــال فتخْزَى بى بنو أسد
إن المهلب حبَّ الموت ورّثكم * ولم أورِّث(١) حبَّ الموت عن أحد

أبو المنــذر قال، حدّثنا زيد بن وهب قال، قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه : عجبًا لابن النابغة ! يزعم أنى تِلْعَابة أُعَافس وأُمَارِس ! أما وشرُّ القول أكذبُه، إنه يسأل فيلحِف ويُسأل فيبخل، فاذا كان عند البأس فانه آمرؤ زاجر مالم تأخذ السيوف مأخذَها من هام القوم، فاذا كان كذلك كان أكبرُ همّه أن يُبَرْقِطَ ويمنح الناس آستَه . قبّحه الله وترّحه . وقال القَرّار السُّلَمى

وكتيبة لبّستُها بكتيبة * حتى اذا التبستْ نفضتُ بها يدى
وتركتهم تَقِصُ الرماحُ ظهورَهم * من بين منجدِل وآخر مسنَد
ما كان ينفعنى مقال نسائهم * وقُتلت دون رجالهم : لا تَبْعَدِ

وقال آخر

أضحت تشجعنى هنــد وقد علمت * أن الشجاعة مقرون بهــا العَطَب
لا والذى(٢) حجت الأنصــار كعبته * مايشتهى الموتَ عندى من له أرب
للحرب قوم أضـــل الله سعيهمُ * اذا دعتْهم الى حَوْبائها(٣) وثبـــوا
ولست منهـــم ولا أبغى فعالهُمُ * لا القتل يعجبنى منها ولا السَّلَب

وقال أيْمن بن خُرَيم

إنّ للفتنة مَيْطا بيّنــا(٤) * فروَيد الميطَ منها يعتــدل

(١) كذا بالنسختين، وفى الأغانى : «وما ورثت اختيار الموت عن أحد» .
(٢) رواه فى العقد الفريد «لا والذى منع الأبصار رؤيته» . (٣) فى النسخة الألمانية «نيرانها» .
(٤) هكذا فى النسختين الالمانية والفتوغرافية، وفى العقد الفريد «عاجلا» .

فاذا كان عطاء فأتهمْ * وإذا كان قتال فاعتزل
إنما يُسْعِرها جُهّالها * حطب النار فدعها تشتعل

وقال آخر

كُلْقِيَ الأعنة من كفّه * وقاد الجيادَ بأذنابها

وقال جِرَان العَوْد فى الدَّهش

يوم ارتحلت برحلى قبل تَودعتى * والقلب مستوهِلٌ بالبين مشغول
ثم اعتضضتُ على نِضْوِى لأدفعه (١) * إثر الحُمول الغَوَادِى وهو معقول

كان خالد بن عبد الله من الجبناء خرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيرية [من الرافضة] وهو من بَجيلة (٢) فقال من الدهش : أطعمونى ماء . فذكّره بعضهم فقال

عاد الظلوم ظَليما حين جُدّ به * واستطعم الماءَ لما جدّ فى الهرب

وقال عبيد الله بن زياد إما لُكنة فيه أو لجبن أو دهشة : افتحوا سيوفكم . وقال ابن مُفَرِّغ الحِمْيرى

ويومَ فتحتَ سيفك من بعيد * أضعتَ وكلُّ أمرك للضياع

وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيرا

أكان الجبان يرى أنه * سيُقتَل قبل انقضاء الأجلْ
فقد تدرك الحادثاتُ الجبان * ويسلم منها الشجاع البطلْ

وقال خالد بن الوليد : لقد لقيت كذا وكذا زَحْفا وما فى جسدى موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رَمْية ثم ها أنا أموت على فراشى حَتْف أنفى (٣) ، فلا نامت أعين الجبناء .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ولا معنى له ، وفى الفتوغرافية «اغثرت» بالراء المهملة وهو محرف عن «اغترزت» بالزاى المعجمة ومعناه ركبت وأصله وضع الرجل فى الغرز وهو الركاب . (٢) فى النسخة الألمانية «وهو مولى لبجيلة» . (٣) كذا بالنسخة الفتوغرافية ، وفى النسخة الألمانية «أموت على فراشى كما يموت العير» وفى العقد الفريد «ثم ها أنذا أموت حتف نفسى كما يموت العير» .

[قيل لأعرابى[1] : ألا تغزو فإن الله قد أنذرك . قال : والله إنى لأبغض الموت على فراشى فكيف أمضى اليه ركْضا !] وقال قِرْوَاش بن حَوْط وذكر رجلين

ضَبُعا مُجَاهَرة وليثا هُدْنة * وثُعَيلِبا خَمَر اذا ما أظْلما

وقال عبد الملك بن مروان فى أمية بن عبد الله بن خالد

إذا صوّت العُصفور طار فؤاده * وليثٌ حديد الناب عند الثرائد

ونحوه قول الآخر[2]

ولو أنها عصفورة لحسبتها * مُسوَّمة تدعو عُبَيدا وأزْنَما

وقال الله جل وعز (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) .

ومن أشعار الشُّطَّار فى الجبان

رأى فى النوم إنسانا[3] * فوارَى نفسَه أشهرْ

قال ابن المقفع : الجبن مَقْتلة والحرص مَحْرمة فانظر (فيما[1] رأيت وسمعت) : من قُتل فى الحرب مقبلا أكثر أم من قُتل مدبرا؟ وانظر من يطلب اليك بالإجمال والتكرم أحقّ أن تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب اليك بالشره والحرص ؟ وقال حَنَش[4] ابن عمرو

وأنتم سمــاء يعجب الناس رِزُّها * لهــا زَجَلٌ باق شــديدٌ وَئِيدُها
تقطّع أطنابَ البيوت بحَاصِبٍ * وأكذبُ شيء برقُها ورعودها
فويلُمِّها خيلًا تَهَــاوى شِرَارُها * اذا لاقت الأعداءَ لولا صدودُها

(١) زيادة فى النسخة الألمانية. (٢) هو العوّام بن شوذب الشيبانى . (٣) هكذا فى النسختين الفتوغرافية والالمانية وفى العقد الفريد "عصفورا" .

(٤) نسب هذه الأبيات فى الحماسة لقراد بن حنش الصاردى وروى البيت الأوّل

وأنتم سماء يعجب الناس رزها * بآبدة تنحى شــديد وئيــدها

والثالث فو يلمِّهــا خيــلا بهــاءً وشــارة * إذا لاقت الأعداء لولا صدودها

وقال الفرزدق أو البَعيث

سائل سَلِيطًا إذا ما الحرب أفزعها * ما بالُ خيلكمُ قُعْسًا هَوَادِيها

لا يرفعون الى داعٍ أعنّتَها * وفى جَواشِنها داء يُجَافيها

كان بالبصرة شيخ من بنى نهشل يقال له عروة بن مَرْثَد ويكنى أبا الأغرّ ينزل ببنى أخت له فى سكة بنى مَازِن، وبنو أخته من قريش، فخرج رجالهم إلى ضِيَاعهم فى شهر رمضان وخرج النساء يصلّين فى مسجدهم فلم يبق فى الدار إلا الإماء فدخل كلب يَعْتَسّ فرأى بيتا فدخله وآنصفق الباب فسمع الحركة بعض الإماء فظنوا أن لصا دخل الدار فذهبت إحداهنّ الى أبى الأغر فأخبرته، فقال أبو الأغر: ما يبتغى اللص؟ ثم أخذ عصاه وجاء فوقف على باب البيت وقال: إيه يا مَلْأمان، أما والله إنك بى لعارف فهل أنت إلا من لصوص بنى مازن شربتَ حامضا خبيثا حتى إذا دارت القدوح فى رأسك منّتْك نفسك الأمانى وقلت: أطرقُ ديارَ بنى عمرو والرجال خُلُوف والنساء يصلينَ فى مسجدهم فأسرقهم. سَوءةً لك، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وآيم الله لتخرجَن أو لأهتِفنّ هَتْفة مشؤومة يلتقى فيها الحيّان عمرو وحَنْظلة وتجىء سَعْدٌ بعدد الحصى وتسيل عليك الرجال من هاهنا ومن هاهنا ولئن فعلتُ لتكونَنّ أشأمَ مولود. فلما رأى أنه لا يجيبه أحد أخذ باللين فقال: اخرج بأبى وأمى، أنت مستور، إنى والله ما أراك تعرفنى ولو عرفتنى لقنعت بقولى واطمأننت الىّ. أنا — فديتُك — أبو الأغر النَّهْشلى، وأنا خال القوم وجِلْدة بين أعينهم لا يعصوننى، ولن تضارّ الليلة فآخرج فأنت فى ذمتى وعندى قَوْصَرّتان أهداهما الىّ ابن أختى البارّ الوَصُول فخذ إحداهما فانتبذها حلالا من الله ورسوله. وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق وإذا سكت وَثَب يُرِيغُ المخرج، فتهاتف أبو الأغرّ ثم تضاحك وقال: يا ألأم الناس وأوضعهم، لا أرى إلا أنى لك الليلة فى واد وأنت لى فى واد، أقلّب السوداء

والبيضاء فتُصيخ وتُطرِق ، وإذا سكتُّ عنك وثبتّ تُريغ المخرج ، والله لتخرجنّ أو لأَلِجنّ عليك البيت . فلمـا طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت : أعرابى مجنون ، والله ما أرى فى البيت شيئا ، فدفعت الباب فخرج الكلب شَدًّا وحاد عنـه أبو الأغر ساقطا على قفاه ، ثم قال : يالله ما رأيت كالليلة ! والله ما أراه إلا كلبا ، أما والله لو علمت بحاله لولجت عليه .

وشبيه بهذا حديث لأبى حية النُّميرى ، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق ، وكان يسميه لُعَاب المنية . قال جار له : أشرفت عليـه ليلة وقد انتضاه وشمّر وهو يقول : أيها المغترّ بنا والمجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف صقيل ، لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهور ضربته لاتخاف نبوته . اخرج بالعفو عنك وإلا دخلتُ بالعقوبة عليك ، إنى والله إن أدعُ قيسا تملأ الأرض خيلا ورَجْلا . يا سبحان الله ، ما أكثرها وأطيبها ! ثم فتح البـاب فاذا كلب قد خرج ، فقال : الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفانى حربا .

وقرأت فى كتاب كليلة ودمنة : يخاف غيرَ المخوف طائر يرفع رجليه خشية السماء أن تسقط ، وطائر يقوم على إحدى رجليه حِذار الخَسْف إن قام عليهما ، ودودة تأكل التراب فلا تشـبع خوفا أن يفنى إن شبِعت فتجوع ، والخفافيش تستتر بالنهار حذار أن تُصطاد لحسنها .

بينا عبد الله بن خازم السُّلَمى عند عبيد الله بن زياد إذ دُخل عليه بجُرَذ أبيض فعجب منه وقال : يا أبا صالح ، هل رأيت أعجب من هذا؟ وإذا عبد الله قد تضاءل حتى صار كأنه فرخ واصفرّ حتى كأنه جرادةٌ ذكر . فقال عبيد الله : أبو صالح يعصى الرحْمن ويتهاون بالشيطان[(1)] ويقبض على الثعبان ويمشى الى الأسد الوَرْد ويلقَى الرماح بوجهه قد اعتراه من هذا الجرذ ما ترون ! إن الله على كل شىء قدير !

(١) كذا بالنسختين ، وفى العقد الفريد : «ويتهاون بالسلطان» .

كان الحارث بن هشام أخو أبى جهل بن هشام شهد بدرا مع المشركين وانهزم، فقال فيه حسان

إن كنتِ كاذبةَ الذى حدّثتنى * فنجوتِ مَنْجى الحارث بن هشام
ترك الأحبّة لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طِمِرّةٍ ولجام

فاعتذر الحارث من فراره وقال

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا فرسى بأشقر مُزْبِد
وعلمت أنى إن أقاتل واحدا * أُقتل ولا يضرر عدوى مشهدى
فصددت عنهم والأحبة فيهمُ * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد (١)

وأسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه، وخرج فى زمن عمر من مكة الى الشام بأهله وماله، فاتّبعه أهل مكة يبكون، فرقّ وبكى ثم قال: أما إنا لو كنا نستبدل دارا بدارنا وجارا بجارنا ما أردنا بكم بدلا، ولكنها النُّقْلة الى الله، فلم يزل هنالك مجاهدا حتى مات.

المدائنى قال: رأى عمرو بن العاص معاوية يوما يضحك فقال له: مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنّك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءَتك يوم ابن أبى طالب، أما والله لقد وافقته منّانا كريما، ولو شاء أن يقتلك لقتلك. قال عمرو: يا أمير المؤمنين أما والله إنى لعن يمينك حين دعاك الى البِرَاز فاحولّت عيناك وربا سَحْرك وبدا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحكْ أو دَعْ.

وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فدخل وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة، فبعثت اليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت: من هذا الأعرابى المستلئم فى السلاح عندك وأنت فى غِلَالة؟ فبعث اليها أنه الحجاج، فأعادت

(١) هكذا فى النسختين الالمانية والفتوغرافية، والذى فى المعارف للصنف "يوم سرمد".

الرسول اليه، فقال : تقول لك والله لأن يخلو بك ملك الموت أحيانا أحبّ الىّ من أن يخلو بك الحجاج، فأخبره بذلك الوليد وهو يمازحه، فقال : ياأمير المؤمنين، دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المرأة رَيْحانة وليست قَهْرَمَانَةً فلا تُطلعها على سرك ومكايدة عدوّك . فلمـا دخل الوليد أخبرها بمقالة الحجاج فقالت : يا أمير المؤمنين حاجتى أن تأمره غدا بأن يأتينى مستلئما، ففـعل ذلك وأتاها الحجاج فحجبته فلم يزل قائما، ثم قالت : إيه يا حجاج، أنت الممتنّ على أمير المؤمنين بقتال ابن الزبير وابن الأشعث، أما والله لو لا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمى الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النِّطاقين أول مولود ولد فى الاسلام، وأما نهيُك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذّاته وأوطاره فان كنّ ينفرجْنَ عن مثـله فغير قابل لقولك، أما والله لقد نفَض نساء أمير المؤمنين الطِّيبَ من غدائرهن فبِعْنَه فى أعطية أهل الشأم حين كنت فى أضيق من القَرْن[(١)] قد أظلتك رماحهم وأثخنك كفاحهم وحين كان أمير المؤمنين أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم فأنجاك الله من عدوّ أمير المؤمنين بحبهم إياه، قاتل الله القائل حين نظر اليك وسنان غَزَالة بين كتفيك

أسد علىّ وفى الحروب نعامة * فَتْخَاءُ تنفِر من صفير الصافر
هلا كررْتَ على غَزَالة فى الوَغَى * بل كان قلبك فى جوانح طائر

وغزالة امرأة شَبِيب الخارجى . ثم قالت : اخرج ، فخرج .

وكان فى بنى ليث رجل جبان بخيل فخرج رهطه غازين وبلغ ذلك ناسا من بنى سليم وكانوا أعداء لهم فلم يشعر الرجل إلا بخيل قد أحاطت بهم فذهب يفرّ فلم يجد مفرّا، ووجدهم قد أخذوا عليه كل وَجه فلما رأى ذلك جلس ثم نَثَل كنانته وأخذ قوسه وقال[(٢)]

(١) فى النسخة الفتوغرافية "القوت". (٢) هو عاصم بن ثابت كما فى اللسان مادة (عنبل) ورواه
ما علتى وأنا طب خاتل * والقوس فيها وتر عنابل
* تزل عن صفحته المعابل *

ما علّتى وأنا جَلْد نابِل * والقوس من نَبْع لها بَلَابِل
يَرِزُّ فيها وتَرٌ عُنَابِل * ان لم أقاتلكم فأمّى هَابِل
أكلَّ يوم أنا عنكم نَاكِل * لا أُطعِم القومَ ولا أقاتل
* الموت حق والحياة باطل *

ثم جعل يرميهم حتى ردّهم، وجاءهم الصريخ وقد مُنع الحىُّ، فصار بعدذلك شجاعا سمحا معروفا .

ولما قتل عبد الملك مصعَبَ بن الزبير وجّه أخاه بشر بن مروان على الكوفة ووجّه معه رَوْح بن زِنباع الجُذَامِى كالوزير،وكان روح رجلا عالما داهية غير أنه كان من أجبن الناس وأبخلهم ، فلما رأى أهل الكوفة من بخله مارأوا تخوّفوا أن يفسد عليهم أمرهم وكانوا قد عرفوا جبنه فاحتالوا فى إخراجه عنهم فكتبوا ليلا على بابه

إنّ ابن مروان قد حانت منيّته * فاحتلْ لنفسك يارَوحُ بنَ زِنباع

فلما أصبح ورأى ذلك لم يشكّ أنه مقتول فدخل على بشر فاستأذنه فى الشخوص فأذن له وخرج حتى قدم على عبد الملك فقال له : ما أقدمك؟ قال : يا أمير المؤمنين تركْتُ أخاك مقتولا أو مخلوعا . قال : كيف عرفت ذلك؟ فأخبره الخبر فضحك عبد الملك حتى فَحَصَ برجليه، ثم قال: احتال لك أهل الكوفة حتى أخرجوك عنهم .

كان أُمَيّة بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد وُجّه الى أبى فُدَيك فانهزم وأُتى الحجاج بدوابّ من دوابّ أمية قد وُسم على أفخاذها "عُدّة" فأمر الحجاج فكتب تحت ذلك : "للفرار" .

[وقال عمر[1] رضى الله عنه : إنّ الشجاعة والجبن غرائز فى الرجال ، تجد الرجل يقاتل عمن لايبالى ألا يؤوب الى أهله ، وتجد الرجل يفرّ عن أبيه وأمه ،وتجد الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله فذلك هو الشهيد] .

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

وقال الشاعر

يفرّ الجبانُ عن أبيه وأمّه * ويحمى شجاعُ القوم من لايناسبه

باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنى الأصمعى قال سمعت الحَرَسِىَّ يقول: رأيت من الجبن والشجاعة عجبا . استَثَرْنا من مَزْرعة فى بلاد الشأم رجلين يُذْرِيان حنطة، أحدهما أصيفر أحيمس[1]، والآخر مثل الجمل عِظَما، فقاتلنا الأصيفر بالمِذْرى لا تدنو منه دابة إلّا نخس أنفها وضربها حتى شقّ علينا فقُتل، ولم نصل الى الآخر حتى مات فَرَقا فأمرت بهما فبقرت بطونهما فإذا فؤاد الضخم يابس مثل الحشفة، وإذا فؤاد الأصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض فى مثل كوز من ماء .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال حدّثنا أبو عمرو[2] الصَّفّار قال : حاصر مَسْلَمة حصنا فندب الناس الى نَقْب منه، فما دخله أحد . فجاء رجل من عُرْض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم، فنادى مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد، فنادى: إنى قد أمرت الآذن بإدخاله ساعةَ يأتى، فعزمتُ عليه إلّا جاء . فجاء رجل فقال: استأذنْ لى على الأمير . فقال له : أنت صاحب النقب؟ قال : أنا أخبركم عنه . فأتى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له فقال له : إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا : ألّا تسوّدوا اسمه فى صحيفة [الى الخليفة][3] ولا تأمروا له بشىء، ولا تسألوه ممن هو . قال : فذاك له . قال : أنا هو . فكان مسلمة لايصلى بعدها صلاة إلا قال : اللهم اجعلنى مع صاحب النقب .

(١) كذا بالألمانية، وفى الفتوغرافية "أخينس" ولعله "أحيمش" مصغر أحمش وهو دقيق الساقين .

(٢) فى الألمانية "عثمان" ولم نعثر عليه فى كتب التراجم، ولعله حماد بن واقد أبو عمرو الصفار كما فى كتب التراجم . (٣) زيادة فى الألمانية .

حدّثنى محمد بن عمرو الجُرْجانى قال كتب أَنُوشِرْوَانُ الى مَرازِبته : عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فإنهم أهـل حسن الظن بالله تعالى . وذكر أعرابى قوما تحاربوا فقال : أقبلت الفحول تمشى مشى الوُعول ، فلمـا تصافحوا بالسيوف فغَرت المنايا أفواهَها . وذكر آخر قوما اتبعوا قوما أغاروا عليهم فقال : آحتثُّوا كلَّ جُمَالِيَّة عَيْرانَة فمـا زالوا يَخْصِفون أخفافَ المَطِىّ بحوافر الخيل حتى أدركوهم بعد ثالثة فجعلوا المُرَّانَ أَرْشيَةَ الموت وآستَقَوْا بها أرواحَهم .

حدّثنى عبد الرحمن عن عمه عن رجل من العرب قال : انهزمنا من قَطَرِىّ وأصحابه فأدركنى رجل على فرس فسمعت حسًّا منكرا خلفى ، فالتفتُّ فاذا أنا بقَطَرى فيئست من الحياة فلما عرفنى قال : آشدُدْ عنانَها وأوجِعْ خاصرتَها قطع الله يديك . قال : ففعلت فنجوت منه .

وحدّثنى عبـد الرحمن عن عمه قال : لمـا غرق شبيب [قالت آمرأة[(١)] : الغرق يا أمير المؤمنين ، قال ذلك تقدير العزيز العليم قال فـ] أُخرج فيشُقّ بطنُهُ وأُخرج فؤاده فاذا مثل الكوز ، فجعلوا يضربون به الأرض فيَنْزو .

حدّثنا الرياشى قال حدّثنا الأصمعى قال أخبرنا صاحب لنا عن أبى عمرو بن العَلَاء قال : لمـا كان يومُ الكلاب خرج رجل من بنى تميم ، أحسبه قال : سَعْدىٌّ ، فقال : لو طلبتُ رجلا له فداءٌ ! قال : فخرجت أطلبهُ ، فاذا رجل عليه مُقَطَّعة يمـانيَّة على فرس ذَنُوب ، فقلت له : على يمينك . قال : على يسارى أَقْصدُ لى . قلت : أَيْهاتَ منك اليمن . قال : العراق منى أبعـد . قلت : وتا لله لا ترى أهلك العام . قال لا والله ولا أهلَك لا أراهم . قال : فتركتُه ولمـا كان بعد أيام ونعتُّ نعتَه بعد ذلك ، فقيل لى : هو وَعْلَةُ الجَرْمى .

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية .

حدّثنا محمد بن عبيــد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحــاق عن هشام عن محمد ابن سيرين قال : بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه الأحنف بن قيس على جيش قِبَل خراسان فبيّتهم العدوّ ليلا وفرّقوا جيوشهم أربع فرق وأقبلوا معهم الطبل ففزع الناس وكان أوّل من ركب الأحنف فأخذ سيفه وتقلّده ثم مضى نحو الصوت وهو يقول

إنّ على كل رئيس حقًّا * أن يَخْضِب الصَّعْدَةَ أوتَنْدَقّا

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله ، فلما فقد أصحابُ الطبل الصوتَ انهزموا . ثم حمــل على الكُرْدُوس[1] الآخر ففعل مثــل ذلك وهو وحده ، ثم جاء الناس وقد انهزم العدوّ فاتبعوهم يقتلونهم ، ثم مضوا حتى فتحوا مدينة يقال لها مَرْوُ الرُّوذ .

سأل ابن هُبَيرة عن مقتل عبد الله بن خازم ، فقال رجل ممن حضر : سألنا وَكيع ابن الدَّوْرَقِيّة كيفَ قتلتَه ؟ قال : غلبته بفضل فَتَاء كان لى عليه فصرعتُه وجلست على صدره وقلت له : يا لَثَارات دُوَيلة . يعنى أخاه من أبيه . فقال من تحتى : قتلك الله ! تقتل كبش مضر بأخيك وهو لا يساوى كفَّ نوى ! ثم تنخّم فملأ وجهى نُخَامة ، فقال ابن هبيرة : هذه والله البسالة ! استدلَّ عليها بكثرة الريق فى ذلك الوقت .

قال هشام لمسلمة : يا أبا سعيد هل دخلك ذُعْر قطُّ لحرب [أو عدوّ][2] قال : ما سلمت فى ذلك من ذعر ينبِّه على حيــلة ولم يَغْشَنِى فيها ذعر سلبنى رأيى . قال هشام : هذه البسالة .

خرج زُهَير[3] بن حَزْم الهلالىّ ومعــه أهله وماله يريد النُّقلة من بلد الى بلد فلقيــه ثلاثون رجلا من بنى تَغلِب فعرفهم ، فقال : يا بنى تغلب ، شأنكم بالمــال وخلُّوا

---

(١) الكردوس : الكتيبة من الخيل فى الحرب . (٢) زيادة فى النسخة الألمــانية .

(٣) فى النسخة الألمــانية «زهير» ولم نعثر على ما يرجح احدى الروايتين .

الظعينة . فقالوا : رضينا إن ألقيتَ الرمح . قال : وإن رمحى لمعى . وحمل عليهم فقتل منهم رجلا وصرع آخر وقال

رُدّا على آخرِها الأثاليا * إن لها بالمشرَفىّ حاديا

* ذكّرنى الطعنَ وكنتُ ناسيا *

قال الزُّبيرى : ما استحيا شجاع أن يفرّ من عبد الله بن خازم السُّلَمى وقَطَرِىّ ابن الفُجَاءة .

أبو اليَقْظان قال : كان حبيب بن عَوْف العَبْدى فاتكا، فلقى رجلا من أهل الشأم قد بعثه زياد ومعه ستون ألفا يتّجر بها فسايره، فلما وجد غَفْلة قتله وأخذ المال فقال يوما وهو يشرب [على لذته] (١) .

يا صاحبىّ أقِلّا اللوم والعَذَلا * ولا تقولا لشىء فات ما فُعلا

رُدّا علىّ كُمَيت اللون صافيةً * إنى لقيت بأرض خاليا رجلا

ضخم الفرائص لو أبصرتَ قِمّته * وسْط الرجال إذنْ شبهتَه جَمَلا

ضاحكتُه ساعة طورا وقلت له * أنفقتَ بيعك إنْ رَيْثا وإن عَجِلا (٢)

سايرتُه ساعة ما بى مخافته * الا التلفُّتَ حولى هل أرى دَغَلا

غادرتُه بين آجامٍ ومَسْبَعة * لم يدرِ غيرىَ بعدى بعدُ ما فُعلا

يدعو زيادا وقد حانت منيّته * ولا زيادَ لمن قد وافق الأجلا

المفضَّل الضَّبّى : كان سُلَيك بن سُلَكة التيمى من أشدّ فرسان العرب وأذكرهم وأدلّ الناس بالأرض وأجودهم عَدْوا على رجليه لا تَعْلَق به الخيل وكانت أمّه سوداء وكان يقول : اللهم إنك تهيئ ما شئت لما شئت اذا شئت ، اللهم إنى لو كنت ضعيفا كنت عبدا ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إنى أعوذ بك من الخيبة ،

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) فى الفتوغرافية : «إن زيثا وإن عسلا» .

فأما الهيبة فلا هيبة . وأملق حتى لم يبق له شىء، فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غِرّة من بعض من يمرّ عليــه فيذهب بإبله ، حتى اذا أمسى فى ليلة باردة مقمرة واشتمل الصَّمّاء ونام اذا هو برجل قد جثّم على صدره وقال : آستأسِرْ . فرفع سليك رأسه وقال : «إن الليل طويل وأنت مُقْمِر» فجرى مثلا ، وجعل الرجل يلْهَزُه ويقول : استأسرْ ياخبيث ، فلما آذاه ضمّه اليه ضمّةً ضرَط منها وهو فوقه ، فقال له سليك : «أضَرِطًا وأنت الأعلى» فجرى مثلا ، ثم قال له : ما أنت؟ قال : أنا رجل افتقرت ، فقلت : لأخرجنّ ولا أرجع حتى أستغنى . قال : فانطلقْ معى ، فمضيا فوجدا رجلا قصته مثل قصتهما ، فأتوْا جَوف مُرَاد وهو واد باليمن فاذا فيه نَعَم كثيرة ، فقال لهما سليك : كونا قريبا حتى آتىَ الرِّعَاء وأعلم لكما عِلْم الحى أقريب هو أم بعيــد ، فإن كانوا قريبــا رجعت اليكما ، وإن كانوا بعيدا قلت لكما قولا أُحِى[1] به لكما فأَغِيرا . فانطلق حتى أتى الرعاء ، فجعل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى فإذا هم بعيد ، فقال لهم سليك : ألا أغنّيكم؟ قالوا : بلى . فتغنّى بأعلى صوته ليُسمع صاحبيه :

يا صاحبىّ ألا لا حىّ بالوادى * إلا عبيــدٌ وآمٍ بين أذواد
أتنظُران قليــلا رَيْثَ غفلتهم * أم تَعْدُوَان فان الريح للعادى

فلما سمعا ذلك أتيا السليك فأطردوا الإبل وذهبوا بها .

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعى قال : كان سليك يُحْضِر فتقع السهام من كنانته فترتزّ فى الأرض من شدّة إحضاره . وقال له بنو كنانة حين كبر : أرأيت أن تريَنا بعض ما بقى من إحضارك ؟ قال : نعم ، اجمعوا لى أربعين شابا وآبغونى درعا ثقيلة . فأخذها فلبسها وخرج بالشباب حتى إذا كان على رأس ميل أقبل يُحضر فلاثَ العَدْو لَوْثًا واهْتَبَصُوا[2] فى جَنَبَتيه فلم يصحبوه إلا قليلا فجاء يُحضر مُنبِترا من حيث لا يرونه وجاءت الدِّرع تخفِقُ فى عنقه كأنها خرقة .

(١) من وحى يحى اذا أومأ . (٢) عدوا .

قال سهل وحدثنى العُتْبى (١) قال حدثنى رجل من بنى تميم عن بعض أشياخه من قومه قال : كنت عند المهاجر بن عبد الله والى اليمامة فأُتى بأعرابى قد كان معروفا بالسَّرَق فقال له : أخبرنى عن بعض عجائبك ، قال : إنها لكثيرة ، ومن أعجبها أنه كان لى بعير لا يُسبَق وكانت لى خيل لا تُلحَق (٢) ، فكنت لا أخرج فأرجع خائبا فخرجت يوما فاحترشتُ ضبًّا فعلّقته على قَتَبى ثم مررت بخباء سرى ليس فيه إلا عجوز ، فقلت : أخلقْ بهذا الخباء أن يكون له رائحة من غنم وإبل ، فلما أمسيت إذا بإبل مائة فيها شيخ عظيم البطن مثدّن اللحم ومعه عبد أسود وغد ، فلما رآنى رحّب بى ثم قام الى ناقة فاحتلبها وناولنى العُلْبة فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقى فضرب به جبهته ثم احتلب تسع أَيْنُق فشرب ألبانهن ثم نحر حُوارا فطبخه ثم ألقى عظامه بيضا وحثا كُومَةً من بَطْحاء وتوسّدها وغطّ غطيطَ البَكْر ، فقلت : هذه والله الغنيمة . ثم قمت الى فحل إبله فخطمتُه ثم قرنته الى بعيرى وصِحتُ به فأتبعنى الفحل وأتبعته الإبل إرْبابًا به ، فصارت خلفى كأنها حبل ممدود ، فمضيت أبادر ثنيّةً بينى وبينها مسيرة ليلة للمسرع ، فلم أزل أضرب بعيرى بيدى مرة وأقرعه برجلى أخرى حتى طلع الفجر ، فأبصرت الثنيّة فاذا عليها سواد فلما دنوت اذا أنا بالشيخ قاعدا وقوسه فى حجره فقال : أضيفنا ؟ قلت : نعم . قال : أتسخو نفسك عن هذه الإبل . قلت : لا . فأخرج سهما كأن نصله لسان كلب ثم قال : أبصرْ بين أذنى الضب ، ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه ، ثم قال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأيى الأول . قال : انظر هذا السهم الثانى فى فقرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فكأنما قدّره بيده ثم وضعه بأصبعه ، ثم قال : أرأيتَ ؟ قلت : إنى أحب أن أستثبت . قال : انظر هذا السهم الثالث فى عُكْوة ذنبه والرابعَ واللهِ فى بطنك . ثم رماه فلم يخطئ العُكْوة ، فقلت :

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفى الفتوغرافية «عن بعض أهله» وفى العقد الفريد «وحدث العتبى عن بعض أشياخه قال كنت عند المهاجر الخ» . (٢) فى الأصل «تخلف» والتصويب عن العقد الفريد .

أنزلُ آمنا؟ قال : نعم . فنزلت فدفعت اليه خِطَام جمله وقلت : هذه إبلك لم يذهب منها وبرة وأنا أنتظر متى يرمينى بسهم ينتظم به قلبى، فلما تنحّيت قال لى : أقبل . فأقبلت والله خوفا من شرّه لا طمعا فى خيره، فقال : أى هذا، ما أحسبك جَشِمتَ الليلة ما جشمت إلا من حاجة . قلت : أجل . قال : فاقرُن من هذه الإبل بعيرين وآمض لطِيّتك، قلت : أما والله حتى أخبرك عن نفسك قبلا . ثم قلت : والله ما رأيت أعرابيا قط أشـدّ ضِرْسا ولا أعدى رِجْلا ولا أرمى يدا ولا أكرم عفوا ولا أسخى نفسا منك .

وقرأت فى كتاب سير العجم أن بَهْرَام جُور خرج ذات يوم الى الصيد ومعه جارية له فعرضتْ له ظباء، فقال للجارية : فى أىّ موضع تريدين أن أضع السهم من الوحش؟ فقالت أريد أن تُشبّه ذُكرانها بالإناث وإناثها بالذكران، فرمى تيسا من الظباء بنُشّابة ذات شُعْبتين فاقتلع قرنيه ورمى عنزا منها بنُشّابتين فأثبتهما فى موضع القرنين . ثم سألته أن يجمع أذن الظبى وظِلْفه بنشّابة واحدة فرمى أصل أذن الظبى بِبُنْدُقة فلما أهوى بيده الى أذنه ليحتكّ رماه بنشّابة فوصل ظلفه بأذنه ثم أهوى الى القَيْنة فضرب بها الأرض وقال : شدّ(١) ما اشتططتِ علىّ وأردتِ إظهار عجزى !

وقرأت فى كتبهم أن كسرى استعمل قرابة له على اليمن يقال له المَرْوَزان، فأقام بها حينا ثم خالفه أهل المَصَانع — والمصانع جبل باليمن ممتنع طويل ووراءه جبل آخر بينهما فصل إلا أنه متقارب ما بينهما — فسار اليهم المروزان فنظر الى جبل لا يطمع أحد أن يدخله إلا من باب واحد يمنع ذلك الباب رجل واحد . فلما رأى أن لا سبيل اليهـم صعد الجبل الذى هو وراء المصانع من حيث يُحاذِى حصنَهم فنظر

(١) فى الأصلين «أشد» وهو تحريف .

الى أضيق مكان فيه وتحتــه هواء لا يُقدر قدرُه، فلم ير شيئا أقرب الى افتتاح ذلك الحصن من ذلك الجبل، فأمر أصحـابه أن يقوموا به صفّين ثم يصيحوا به صَيْحة واحدة ثم ضرب فرســه حتى اذا استجمع حُضْرا رمى به أمام الحصن وصـاح به أصحابه فوثّب الفرس الوادىَ فاذا هو على رأس الحصن، فلما نظرت اليه حِمْير قالوا : هذا أَيْم . والأيم بالحميرية شيطان، فانتهرهم بالفارسية وأمرهم أن يربط بعضهم بعضا ففعلوا واستنزلهم من حصنهم فقَتل طائفة وسبى طائفة وكتب بما كان منه الى كسرى، فتعجّب كسرى وأمره بالاستخلاف على عمله والقدوم اليه وأراد أن يُسامى به أساوِرتَه ، فاستخلف المروزان ابنَــه ثم توجّه نحوه فلمـا صار ببعض بلاد العرب هلك فوضعوه فى تابوت ثم حمـلوه حتى قدموا به على كسرى فأمر كسرى بذلك التابوت فوُضع فى خزانته فكان يُخرَج فى كل عام اليه وإلى من عنده من أساورته فيقول : هذا الذى فعل كذا وكذا .

وروى أبو سُوقَةَ التميمى عن أبيه عن جدّه عن أبى الأغرّ التميمى قال : بيْنا أنا واقف بِصِفّين مر بى العباس بن ربيعة مكفَّرا بالسلاح وعيناه تَبِصّان من تحت المِغْفر كأنهما عينا أَرقم وبيده صفيحة له (١) وهو على فرس له صَعْب يمنعـه ويلين من عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشأم يقال له عَرار بن أدهم : يا عباس هلمّ الى البِرَاز . قال العباس : فالنزول اذًا فانه إيَاسٌ من القُفُول . فنزل الشامى وهو يقول

إنْ تركبوا فركوب الخيل عادتنا * أو تنزلون فانا معشر نُزُلُ

وثنى العباس وركه فنزل وهو يقول

وتصــدّ عنك مَخيلةَ الرجل الــ * ـعرِّيضِ مُوضِحةٌ عن العَظْم

بُحسام سيفك أو لسانك والــ * ـكَلِمُ الأصيلُ كأرْغَبِ الكَلْم

(١) عبارة الفتوغرافية «وبيده صفيحة له يمانية يقلبها وهو على فرس له صعب فبيناهو يقلبها (ولينته؟) ويلين من عريكته هتف به هاتف الخ» .

ثم غضّن فَضَلات درعه فى حُجْزته ودفع قوسه الى غلام له أسود يقال له : أسلم كأنى أنظر الى فَلائل شعره ثم دَلَف كلُّ واحد منهما الى صاحبه فذكرت بهما قول أبى ذؤيب

فتنازلا وتواقفتْ خيلاهما * وكلاهما بطل اللقاء مُخَدَّع

وكف الناس أعنَّة خيولهم ينتظرون ما يكون من الرجلين فتكافحا بينهما مَليّا من نهارهما لا يصل واحد منهما الى صاحبه لكمال لأْمته الى أن لحظ العباس وَهْياً فى درع الشامىّ فأهوى اليه بيده فهتكه الى ثُنْدُوَته ثم عاد لمجاولته وقد أصحر له مفتّق الدرع فضربه العباس ضربةً انتظم بها جوانحَ صدره وخرّ الشامى لوجهه وكبّر الناس تكبيرة ارتجّت لها الأرض من تحتهم وانسامَ العباس فى الناس [وانساع أمره] وإذا قائل يقول من ورائى (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فالتفتُّ واذا أمير المؤمنين رضى الله عنه علىّ بن أبى طالب، فقال: يا أبا الأغر، من المُنازل لعدوّنا؟ فقلت : هذا ابن أخيكم، هذا العباس بن ربيعة. فقال : إنه لهو، يا عباس ألم أنهك وابنَ عباس أن تخلّا بمركزكما أو تباشرا حربا ؟ قال : إن ذلك . يعنى نعم. قال: فما عَدَا مما بدَا؟ قال: فأُدعى الى البراز فلا أجيب؟ قال: نعم، طاعة إمامك أولى بك من إجابة عدوّك . ثم تغيّظ واستشاط حتى قلت : الساعة الساعة، ثم تطأمن وسكن ورفع يديه مبتهلا فقال : اللهــم اشكر للعباس مقامه واغفر له ذنبه، اللهــم إنى قد غفرت له فاغفر له . قال : وتأسّف معاوية على عرار وقال متى يَنْطِفُ فحلٌ بمثله ! أيُطَلّ دمه ! لاها الله ذا . ألا لله رجل يَشْرِى نفسَه يطلب بدم عرار؟ فانتدب له رجلان من لخم . فقال : اذهبا فأيّكما قتل العباس برازا فله كذا . فأتياه ودعواه الى البراز فقال : إن لى سيدا أريد أن أؤامره . فأتى عليّاً فأخبره الخبر، فقال علىّ : والله

لودّ معاوية أنه ما بقى من هاشم نافخُ ضَرْمَةٍ الا طُعِن فى نَيْطه[(١)] إطفاءً لنور الله ويأبى الله إلّا أن يُتِمّ نورَه ولو كره الكافرون، أما والله ليملكنّهم منا رجال، ورجال يَسُومونهم الخسفَ حتى يَحْفِروا الآبار ويتكفّفوا النـاس . ثم قال : يا عباس ناقِلْنى سلاحك بسلاحى ، فناقله ووثب على فرس العباس وقصـد اللخميين . فلم يَشُكّا أنه العباس فقالا له : أذن لك صاحبك؟ فحَرِجَ أن يقول نعم، فقال : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) فبرز له أحدهما فضربه ضربة فكأنمـا أخطاه ، ثم برز له الآخر فألحقه بالأوّل، ثم أقبل وهو يقول : (الشَّهْرُ الْحَـرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) ثم قال : يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحى، فإن عاد لك أحد فعُدْ الىّ ، ونُمِى الخبر الى معاوية فقال : قبح الله اللَّجاج إنه لَقَعُود ما ركبته قط إلا خُذِلْتُ . فقال عمرو ابن العاص : المخذول والله اللخميان لا أنت . قال معاوية : اسكت أيهـا الرجل فليس هذه من ساعتك. قال: وإن لم تكن، رحم الله اللخميين وما أراه يفعل. قال: ذاك والله أخسر لصفقتك وأضيق لجُحْرك . قال: قد علمت ذلك ولولا مصر لركبت المنجاة منها. قال: هى أعمتك ولولا هى لأُلفيت بصيرا . وقال عمرو بن العاص لمعاوية

معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل * به منك دنيا، فانظُرنْ كيف تصنع
فإن تعطنى مصرا فأربِحْ بصفقة * أخذتَ بهـا شيخا[(٢)] يضر وينفـع

خرج الأُخَيْنس الجُهَنِىّ يلقى الحُصَين العمرىّ[(٣)]، وكانا جميعا فاتكين، فسارا حتى لقيا رجلا من كِنْدة فى تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك ، فنزل تحت شجرة

(١) كتب فى النسخة الفتوغرافية بعدها (أى فى نفسه) . وقال فى اللسان بعد أن أورد هـذه الجملة فى مادة "نيط" معناه : إلّا مات . ثم قال : وقيل النيط نِياط القلب وهو العرق الذى القلب متعلق به ا هـ .

(٢) فى النسخة الألمـانية : "شيئا" . (٣) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الحصين بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن كلاب كما فى لسان العرب وفى الألمانية «العميرى» بالياء. وفى اللسان ومجمع الأمثال يرويه الحصين الكلابى .

يأكل، فلما انتهيا اليه سلّما . قال الكندىّ : ألا تضحّيان؟ [١] فنزلا . فبينما هم يأكلون مرّ ظليم فنظر اليه الكندىّ وأبدّه [٢] بصره فبدَت له لَبّته، فاعترّه الحصين فضرب بطنه بالسيف فقتله، واقتسما ماله وركبا، فقال الأخينس : يا حصين ما صَعْلَةٌ وصَعْل؟ قال : يوم شُرب وأكل . قال : فانْعَتْ لى هذه العُقَاب . فرفع رأسه لينظر اليها فوَجأ بطنَه بالسيف فقتله مثل قتله الأول . ثم إن أختا للحصين يقال لها صَخْرَة لما أبطأ عليها خرجت تسأل عنه فى جيران لها من مراح وجَرْم . فلما بلغ ذلك الأخينس قال

وكم من فارس لا تزدريه * إذا شَخَصَتْ لموقفه العيونُ
يذلّ له العـزيز وكل ليث * شديدِ الهَصْر مسكنه العرين
علوت بياض مَفْرِقه بعَضْب * يَنُوء [٣] لوقعه الهَـامُ السُّكون
فأمست عِرْسه ولَهًا عليه * هدوء بعد ليلته أنين [٤]
كصَخْرَةَ اذ تُسائل فى مراح * وفى جَرْم، وعلمهما ظُنون
تسائل عن حصين كل ركب * وعند جُهينة الخبر اليقين

فذهبت مثلا

[خرج [٥] المهدىّ وعلىّ بن سليمان الى الصيد ومعهما أبو دُلامة الشاعر . فسنحت لهم ظباء فرمى المهدىّ ظبيا فأصابه، ورمى علىّ بن سليمان كلبا فعقره، فضحك المهدى وقال لأبى دلامة : قل فى هذا، فقال

ورمى المهدىّ ظبيا * شَكَّ بالسهم فؤادَهْ

---

(١) فى النسخة الفتوغرافية : "تصطبحان" . (٢) كذا فى الأصل والصواب أبَدّه بالباء الموحدة يقال أبده النظر أى أعطاه بُدّته من النظر أى حظّه . (٣) فى الفتوغرافية «تنِقّ» وهو من نق ينق بمعنى صوّت . (٤) كذا بالأصل وفى أمثال الميدانى :

وأضحت عرسه ولها عليه * بُعيد هدوء ليلتها رنين

(٥) زيادة فى النسخة الألمانية .

وعلىّ بن سليما * ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كلّ امرئ يأكل زاده]

قال أبو دُلامة: كنت في عسكر مروان أيام زحف الى شبيب الخارجىّ، فلما التقى الزَّحْفان خرج منهم فارس ينادى: من يبارز؟ فجعل لا يخرج اليه إنسان إلا أعجله ولم يُنَهْنِهْه (١)، فغاظ ذلك مروان، فجعل ينْدُب الناس على خمسمائة، فقُتل أصحاب خمس المائة، وزاد مروان على نُدْبته فبلغ بها ألفا، فما زال ذلك فعله حتى بلغ بالندبة خمسة آلاف درهم، وتحتى فرس لا أخاف خَوْنه (١)، فلما سمعت بخمسة الآلاف نزّقته واقتحمت الصفّ. فلما نظر الىّ [الخارجىّ] علم أنى خرجت للطمع، فأقبل يتهيأ لى وإذا عليه فَرْوله قد أصابه المطر فارمعلّ (٢) ثم أصابته الشمس فاقفعلّ (٣) وعيناه تَدَّران (٤) كأنهما فى وَقْبين (٥)، فدنا منّى وقال:

وخارج أخرجه حب الطمَعْ * فرّ من الموت وفى الموت وقع
* من كان ينوى أهله فلا رجع *

فلما وَقَرتْ فى أذنى انصرفت عنه هاربا، وجعل مروان يقول: من هذا الفاضح؟ آئتونى به. ودخلت فى غمار الناس فنجوت

كان خالد بن جعفر نديما للنعمان، فبينا هو ذات يوم عنده وقد دعا النعمان بتمر وزُبْد فهما يأكلان منه إذ دخل عليهما الحارث بن ظالم. فقال النعمان: آدنُ يا حارث فكُلْ، فدنا. فقال خالد: من ذا أبيتَ اللعن؟ قال: هذا سيد قومه وفارسهم الحارث بن ظالم. قال خالد: أما إن لى عنده يدا. قال الحارث: وما تلك اليد؟ قال: قتلتُ سيدَ قومك فتركتُك سيدَهم بعده. يعنى زُهَير بن جَذيمة، قال الحارث

(١) فى الأصلين الخمس مائة وفيهما بالخمسة آلاف، ولم يقل بصحته إلا قليل من العلماء كما فى شرح المرادى على التسهيل. (٢) ابتلّ. (٣) تقبّض. (٤) كتب فى الفتوغرافيــة تحتها كالتفسير لها «تلوحان». (٥) الوقب نقر فى الصخرة يجتمع فيه الماء.

أما إنى سأجزيك بتلك اليد . ثم أخذه الزَّمَع وأُرْعِدت يده ، فأخذ يعبث بالتمر فقال له خالد : أَيَّتَهنّ تريد فأُنا وِلُكَها ؟ قال الحارث : أَيَّتُهن تَهُمّك فأَدَعُها ؟ ثم نهض مغضبا ، فقال النعمان لخالد : ما أردتَ بهذا وقد عرفتَ فَتْكَه وسَفَهَه ؟ فقال : أبيتَ اللعن ، وما تخوّف علىّ منه ؟ فوالله لو كنت نائما ما أيقظنى . فانصرف خالد فدخل قُبّة له من أَدَم بعد هَدْأة من الليل وقام على بابها أخ له يحرسه . فلما نام الناس خرج الحارث حتى أتى القبة من مؤخّرها فشقّها ثم دخل فقتله ، فقال عمرو بن الإِطْنابة

علِّلانِى وعلِّلا صاحبيّا * وآسقيانى من المُرَوّق ريّا
إنّ فينا القِيَان يعزفْنَ بالضر * ب لفتياننا وعيشا رخيّا
يتناهين فى النعيم ويَضْرِبْــ * ــن خلال القُرون مسكا ذكيّا
أَبلغا الحارثَ بن ظالِم الرِّعْــ * ــديدَ(١) والناذر النُّــذور عليّا
إنمــا تقتــل النِّيامَ ولا تقــ * ــتل يقظان ذا ســلاح كَمِيّا

وكان عمرو قد آلى ألا يدعوه رجل بليــل إلا أجابه ولم يسأله عن آسمه . فأتاه الحارث ليلا فهتفَ به ، فخرج اليه ، فقال : ما تريد ؟ قال أَعِنّى على أبل لبنى فلان وهى منك غير بعيد فإنها غنيمة باردة . فدعا عمرو بفرسه وأراد أن يركب حاسرا . فقال له : البَسْ عليك سلاحَك فانى لا آمن امتناع القوم ، فاستلأم وخرج معه ، حتى إذا برزا قال له الحارث : أنا أبو ليلى فخذ حِذْرَك ياعمرو ، فقال له : آمْنُنْ علىّ . فجزّ ناصيتَه . وقال الحارث

عــلِّلانى بلذّتى قَيْــنَتَيَّا * قبــل أن تبكىَ العيون عليّا
قبل أن تذكر العواذل أنى * كنتُ قِدْما لأمرهن عَصِيّا
ما أُبالى إذا اصطبحت(٢) ثلاثا * أَرَشيدًا دعوتَنى أم غَوِيّا

(١) فى الفتوغرافيــة «الموعود» ولعله محرّف عن « المَوْعِد » كما نقل فى هامش النسخة الألمــانية عن نسخة أخرى . (٢) فى الألمــانية : أصبحت .

غـيرَ ألّا أُسِرَّ لله إثمـا * فى حياتى ولا أخونَ صَفِيّا
بلغتنى مقالة المـرء عمرو * بلغتنى وكانت ذاك بَدِيّا
فخرجنـا لموعد فالتقينـا * فوجدناه ذا سـلاح كَمِيّا
غـيرَ ما نائم يُرَوَّع بالليـل(١) مُعِــدًّا بكفّه مَشْرَفِيّا
فرجعنا بالمَنِّ مِنّا عليــه * بعد مَا كان منــه منّا بديا(٢)

ووفد تميم بن مُرّ وبَكْر بن وائل على بعض الملوك، وكانا ينادمانه فجرى بينهما تفاخر فقالا : أيها الملك أعطنا سيفين، فأمر الملك بسيفين من عودين فُنحتا ومُوِّها بالفضة وأعطاهما إياهما، فجعلا يضطربان بهما مَلِيّا من نهارهما، فقال بكر

* لو كان سيفانا حديدا قَطَعا *

وقال تمـــيم

* أو نُحِتا من جَنْدَل تصدّعا *

ففرّق الملك بينهما، فقال بكر لتميم

* أُسَاجِلكَ العداوةَ ما بقينا *

وقال تمـــيم

* وإن متنا نورِّثها بَنِينا *

فأورثاها بنيهما الى اليوم .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن خَلَف الأحمر قال: كان أبو عُرْوَة السباعِ يَصيح بالسبع وقد آحتمل الشاةَ فيسقط فيموت فيُشَقّ بطنُه فيوجد فؤاده قد آنخلع. وهو مثل فى شدّة الصوت . قال الشاعر(٣) فى ذلك

---

(١) فى النسخة الفتوغرافية "بالقتل" . (٢) كذا بالنسخة الألمانية، وفى النسخة الفتوغرافية : «بعد مَنّ قد كان منّا بديا» ولعل كلمة «منّا» هذه محرفة عن «منه» فيستقيم المعنى .

(٣) هو النابغة الجعدىّ كما فى اللسان مادة (عرا) .

زَجْرَ أبى عُرْوَةَ السباعَ إذا * أشْـفق أن يلتبسْنَ بالغـنم

قال : وأبو عطيــة عفيف النصرىّ نادى فى الحرب التى كانت بين ثَقِيف وبين بنى نَصْر لمـا رأى الخيل بعَقْوَته[1] : يا سوء صباحاه، أُتيتم يابنى يَربوع ! فألقت الحَبالَى أولادها، فقيل فى ذلك

وأسقط أحبالَ النســاء بصوته * عفيفٌ لَدُنْ نادى بنصرٍ فطرّبا

فى أخبار وهب بن مُنَبه أن يهوذا قال ليوسف : لتكفنّ أو لأصيحنّ صيحة لاتبقَى حاملٌ بمصر الا ألقت ما فى بطنها .

محمد بن الضحاك عن أبيــه قال : كان العباس بن عبد المطلب يقف على سَلْع فينادى غلمــانه وهم بالغابة فيُسْمِعهم وذلك من آخر الليل . وبين الغابة وبين سلع ثمانية أميال، وسلع جبل وسط المدينة . وكان شَبيب بن رِبْعِىّ يتنحنح فى داره فيسمع تنحنحه بالكُناسة، ويصيح براعيه فيسمع نداؤه على فرسخ وكان هــذا مؤذن سَجاح التى تنبّات [ذكر[2] هذا خالد بن صفوان، وسمعه أبو المجيب النهدىّ فقــال : ما سمع له بصوت أبعــد من صوته بأذانه فإنه كان مؤذنها يعنى سجاح] .

ذم رجل الأشتر[3] فقال له قائد : اسكت فإن حياته هزمت أهل الشام وإن موته هزم أهل العراق .

المدائنى قال : أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنــه رجل يستحمله، فقال له : خذ بعيرا من إبل الصــدقة . فتناول ذنب بعير صعب يجذبه فاقتلعه ، فعجب عمر وقال له : هل رأيت أشدّ منك ؟ قال : نعم، خرجت بامرأة من أهلى أريد بها

---

(١) العقوة : ما حول الدار أو ساحتها .

(٢) زيادة فى النسخة الألمـانية .

(٣) فى الفوتوغرافية : «الحسين بن على عليهما السلام» وهمـا بدل « قائد » « زيد » .

زوجها فنزلنا منزلا أهله خُلُوف فقرَّبتُ من الحوض فبينا أنا كذلك إذ أقبل رجل ومعه ذَوْد والمرأة ناحيةً فسرَّب ذوده الى الحوض ومضى الى المرأة فساورها ونادتنى، فما انتهيت اليها حتى خالطها، فجئت لأدفعه عنها فأخذ برأسى فوضعه بين عضده وجنبه فما استطعت أن أتحرك حتى قضى ما أراد ثم استلق. فقالت المرأة: أىّ فحل هذا! لو كانت لنا منه سَخْلة! وأمهلتُه حتى امتلأ نوما فقمت اليه بالسيف فضربت ساقه فأَبَنْتُها، فانتبه وتناول رجله فعدا فغلبه الدم فرمانى برجله وأخطأنى وأصاب عنق بعيرى فقتله. فقال عمر: ما فعلت المرأة؟ قال: هذا حديث الرجل. فكرر عليه مرارا لا يزيده على هذا، فظنّ أنه قد قتلها.

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا أَشْهل بن حاتم قال حدّثنا ابن عَوْن عن عُمَير ابن إسحاق قال: كان سعد على ظهر بيت وهو شاكٍ والمشركون يفعلون بالمؤمنين ويفعلون. وأبو مِحْجَن فى الوَثَاق عند أم وَلَد لسعد فأنشأ يقول

كفى حَزَنا أن تلتقِ الخيلُ بالقنا[(1)] * وأُترَكَ مشدودا علىّ وَثَاقيا
إذا شئتُ غنّانى الحديدُ وغُلِّقت * مغاليق من دونى تُصِمُّ المناديا

فقالت له أم ولد سعد: أتجعل لى إن أنا أطلقتك أن ترجع الىّ حتى أعيدك فى الوثاق؟ قال نعم، فأطلقته فركب فرسا بَلْقاء لسعد وحمل على المشركين فجعل سعد يقول: لولا أن أبا محجن فى الوثاق لظننت أنه أبو محجن وأنها فرسى. فانكشف المشركون وجاء أبو محجن فأعادته فى الوثاق وأتت سعدا فأخبرته، فأرسل الى أبى محجن فأطلقه وقال: والله لا حبَستك فيها أبدا. يعنى الخمر، فقال أبو محجن: وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبدا. وقال الشاعر[(2)]

سأغسل عنى العارَ بالسيف جالبا * علىّ قضاءُ الله ما كان جالبا

(١) فى النسخة الألمانية «تطعن». (٢) هو سعد بن ناشد المازنى كما فى اللسان والحماسة.

وأذهل عن دارى وأجعل هدمَها * لعِرْضِىَ من باقى المذمّة حاجبا
ويصغُر فى عينى تِلادِى إذا انثنتْ * يمينى بإدراك الذى كنت طالبا
فيـا لِرِزَامٍ رَشّحوا بى مُقَـدِّما * الى الموت خوّاضا اليـه الكرائبا[1]
إذا همّ لم يُرْدِع كريمةَ همه[2] * ولم يأت ما يأتى من الأمر هائبا
أخا غَمَـراتٍ لا يريد على الذى[3] * يهُمّ به من مُقْطِع الأمر صاحبا
إذا همّ ألقى بين عينيه عزمَـه * ونكّب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشِرْ فى رأيه غير نفسـه * ولم يرضَ إلا قائم السيف صاحبا
عليكم بدارى فاهـدموها فانها * تراث كريم لايخـاف العواقبا

وقال رجلٌ[4] من بنى العنبر

لو كنت من مازن لم تَسْتَبِحْ إبلى * بنو اللَّقيطة من ذُهْل بن شَيبانا
إذَنْ لقام بنصرى مَعْشَر خُشُنٌ * عنـد الكريهة إن ذو لُوثَةٍ لانا
قوم اذا الشرُّ أبدى ناجذَيْه لهم * طاروا اليـه زَرَافاتٍ ووُحْدانا
لكنّ قومى وإن كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشرِّ فى شىء وإن هانا
يَجْزون من ظلم أهل الظلم مغفرةً * ومن إساءة أهل السوء إحسانا[5]
كأنّ ربّك لم يخلُقْ لخَشْيته * سواهُمُ من جميـع الناس إنسانا
فليت لى بهــمُ قوما إذا ركبوا * شَنُّوا الإغارةَ فُرْسانا ورُكْبانا
لا يسألون أخاهم حين يندُبُهم * فى النائبات على ما قال برهـانا
لكن يطيرون أشتاتا إذا فَزِعوا * وينفِرون الى الغارات وُحدانا

---

(١) فى الحماسـة "الكتائبا" . (٢) فى الحماسة "لم تُرْدِع عزيمة همه" .
(٣) كذا فى الحماسة والذى فى الأصل «التى يهم بها من مفظع الأمر» .
(٤) هو قُرَيط بن أُنَيف كما فى الحماسة . (٥) كذا بالحماسة وفى الأصل «غفرانا» .

وقال آخر

ولئن عَمِرْتُ لأشفيــنّ النفسَ من تلك المَسَاعى

ولأُعلمنّ البطْن أنّ الزاد ليس بمُستطــاع

أمّا النهــار فرأى أصــحابى بمَرْقَبــةٍ يَفَــاع

أثرُ الشجاع بهــا كَسْر * دِ الخَرْز فى سَيْرِ الصَّنَاع

ترِدُ الســباعُ معى فأُلْــفَى كالمُدِلّ من السباع

وقال آخر

إنا محيــوكِ ياسَــلْمى فحيّينــا * وإن سَقَيتِ كرامَ الناسِ فاسقينا

إنّا لَنُرْخِصُ يوم الرَّوْع أنفسنا * ولو نُسامُ بهــا فى الأمْن أُغْلينا

بِيضٌ مفارقُنــا تَغْلى مراجلُنا * نَأْسُو بأموالنــا آثار أيدينــا

وقال المَعْلُوط

ألم تَرَنى خُلِقت أخا حروب * إذا لم أَجْنِ كنتَ مِجَنّ جانى

وقال آخر(١)

لعَمْرى لقــد نادى بأرفع صــوته * نَعِىّ سُوَيدٍ(٢) أنّ فارسَــكم هَوَى

أجلْ صــادقًا والقائلَ الفاعلَ الذى * اذا قال قولا أَنْبَــطَ المــاءَ فى الثرى

فتًى قَبَــلٌ لم تَعْنُسِ(٣) السنُّ وجهَــه * سوى خُلْسةٍ(٤) فى الرأس كالبرق فى الدُّجَى

---

(١) هو سُوَيْد المراثد الحارثى كما فى الحماسة واللسان فى مادة «عنس» .

(٢) كذا بالحماسة ، وفى الفتوغرافية «نعىُّ جؤىٍّ» ، وفى الكامل «نعىُّ حُيَىٍّ» . (٣) لم تعنس : لم تغير. (٤) كذا بالحماسة واللسان ، وفى الأصــل «شهب» . وقد ذكره اللسان فى مادة «خلس» وقال أبو زيد : أخلس رأسه فهو مخلس وخليس اذا ابيضّ بعضه فاذا غلب بياضه سواده فهو أغثم .

أشـارت له الحرب العَوَانُ بجاءها * يُقَعْقِـع بالأَقراب[(١)] أوّلَ من أتى
ولم يَجْنِهـا لكن جناها وليّـــه * فآسَى فآداه فكان كمن جنى

وقال بَشَامَةُ

إنا بنى نَهْشَــلٍ لا نَدَّعِى لأب * عنـه ولا هو بالأبنـاء يَشْرينا
إن تُبْتَــدَر غايَةٌ يوما لمَكْرُمَـــة * تَلْقَ السوابق منـا والمُصَــلّينا
إنا لَمِنْ معشر أفنى أوائلَهــم * قِيلُ الكُماة ألا أين المحـامونا
لوكان فى الألف منا واحد فدعَوْا * مَنْ فارسٌ[(٢)]؟ خالهم إيّاه يَعْنُونا

وقال زهير

يَطْعَنُهُم ما آرتَمَـوْا حتّى إذا آطَّعَنوا * ضَارَبَ حتى إذا ما ضاربوا آعْتَنَـقا

وقالت امرأة من كِندة

أبَوْا أن يَفِرّوا والقَنَا فى نحورهم * ولم يَرْتَقُوا من خَشْـية الموت سُـلّما
ولو أنهـــم فـرّوا لكانوا أَعِزّة * ولكنْ رَأَوا صَبْرًا على الموت أكْرما

وقال آخر

بنى عَمّنا رُدُّوا فُضُـولَ دمائنـا * يَنَمْ لَيلُكـم، أوْ لا تَلُمْنا اللّوائمُ
فإنا وإياكم وإن طال تَرْكُكُمْ * كَذِى الدَّيْنِ ينأَى ما نأى وهو غارم

وقال أبو سعيد المَخْزُومىّ وكان شجاعا

وما يريد بنو الأعيار من رجل * بالجمر مُكْتَحِلٍ بالنَّبْل مُشْـتَمِلِ
لا يشرب المـاء إلا من قَلِيبِ دم * ولا يبيت له جارٌ على وَجَـلِ

(١) فى الأصل «فى الأقراب» والذى فى الصلب عن الحماسة .
(٢) كذا بالحماسة وفى الأصل «عاطف» .

وقال عبد القُدُّوس بن عبد الواحد من ولد النعمان بن بَشِير

نَدًى تحكمُ الآمالُ فيــه ، ونجدةٌ * تَحَكَّمُ فى الأعداء بالأَسْرِ والقتل

وقال آخر

ضربنــاكُمُ حتى إذا قام مَيْلكُمْ * ضربنا العِدَا عنكم بأبيض صارم

تمثّل زيد بن على يوم قُتِل بقول القائل

أَذُلّ الحيــاة وعِزّ الممــات * وَكُلًّا أراه طعــاما وَبِيــلا

فان كان لا بُدَّ من واحد * فسيروا الى الموت سيرا جميلا

وقال قَيْس بن الخَطِيم

أَبْلِــجُ لا يَهُـــمُّ بالفِرار * قد طاب نفسًا بدخول النار

وقال آخر(١)

ومَنْ تكنِ الحضارةُ أعجبَتْه * فأىَّ رجالِ باديةٍ تَــرانا

ومَن رَبَط الجِحَاش فإن فينا * قَنًا سُــلُبًا وأفراسا حِسَــانا

وكنّ إذا أغَرْن على قبيــل * فأَعْوزهن كونٌ حيث كانا(٢)

أغرن من الضِّباب على حِلَالٍ(٣) * وضَبَّةَ إنه من حان حانا

وأحيــانا نكــرّ على أخينا * إذا مالم نجــد إلا أخانا

وقالت الخنساء

تَعَرَّقَنِي الدهرُ نَهْسًــا وحَزًّا * وأوجعنى الدهر قَرْعا وغَمْزا

---

(١) هو القطامى كما فى الحماسة .   (٢) فى الحماسة :

وكن اذا أغرن على جَنَاب * وأعوزهن نَهْبٌ حيث كانا

(٣) جمع حِلَّة بكسر أوله وهى كما فى القاموس القوم النُّزول ، وفى ديوان الحماسة : «حلول» جمع حالّ والحى الحلول الذين يكونون فى مكان واحد .

وأفنى رجالى فبــادُوا معــا * فأصبح قلبى بهم مســتَفزّا
ومن ظن ممن يلاقِى(١) الحروب * بأن لا يصاب فقد ظنّ عجزا

وفيها تقول

ونلبَس للحرب أثوابهــا * ونلبس فى الأمن خزّا وقــزّا

وهذا كقولهم : البس لكل حالة لَبُوسها .

وقال عبد الله بن سَبْرة الحَرَشى(٢) حين قُطعت يده

وَيْلُمّ جارٍ غداةَ الجسْر فارقــنى * أعزِزْ علىّ به إذ بان فانصــدعا
يُمنَى يدىّ غدتْ منّى مفارقة * لم أستطع يوم خِلْطاس(٣) لهـا تبعا
وما ضَنَنتُ عليهـا أن أصاحبها * لقــد حَرَصت على أن نستريح معا
وقائــلٍ غاب عن شأنى وقائلة * ألّا اجتنبتَ عــدوّ الله إذ صُرِعا
وكيف أتركه(٤) يمشى بمنْصُــله * نحوى وأجبنُ عنــه بعدما وقعــا
ما كان ذلك يوم الرَّوْع من خُلُقى * وإن تقارب منى الموت واكْتنعا
ويْلُمّــه فارسـا ولّتْ كتيبتُه * حامى وقد ضيّعوا الأحساب فارتجعا
يمشى الى مُستميتٍ مثــلِه بطَلٍ * حتى اذا مَكّنا سـيفيهما امْتَصَعا
كلٌّ ينوء بماضى الحدّ ذى شُطَبٍ * جلّى الصَّـياقلُ عن دُرِّيه(٥) الطَّبَعا
حاشيته(٦) الموت حتى آشتفّ آخره * فمــا استكان لمِـا لاقى وما جَزِعا

---

(١) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لمـا فى الكامل للبرد ، وفى النسخة الألمـانية «يقاسى» .

(٢) فى الأصــل الفتوغرافى «الجرشى» ويوافقه ما فى الأمالى ج ١ ص ٤٩ وصوابه «الحَرَشى» قال ابن قتيبة فى المعارف وأما الحريش بن كعب فمنهم مطرف بن عبدالله بن الشِّخِّير وزُرارة بن أوفى وعبدالله ابن سبرة الحرشى الذى قطع يده اطر يانوس الرومى اهـ . (٣) فى الأمالى «فاطاس» . (٤) فى النسخة الفتوغرافية «أنكبُه» . (٥) كذا بالأصل يعنى تلألؤه وإشراقه ، ورواه فى اللسان وفى الأمالى «ذَرِّيه» والذَّرِّىُ فِرِنْد السيفِ ومائه . (٦) كذا بالأصل وهى محرفة عن «حاسيته» بالسين المهملة .

كأنّ لِمّته هُـدّابُ مُخْمَلةٍ * أحمر[1] أزرقُ لم يَشْمَطْ وقد صَلِعا
فان يكن أَطْرَبُون الروم قطّعها * فقـد تركتُ بها أوصـاله قِطَعا
وإن يكن أَطْرَبُونُ الروم قطّعها * فإن فيها بحمـد الله مُنتَفعا
بَنانتان وجُذْمُورٌ[2] أُقيمُ بها * صـدر القناة إذا ما آنسوا فَزَعا

وقال بعض الشعراء

إن لنـا من قومنا ناصرةً * بيضَ الظُّبا سُمْرَ القنا شُهْبَ اللِّمَمْ
يستنفرون الموتَ من مَجْثِمه * ويبعثون[3] الحرب من عَقْد السَّلَمْ
أُولاكَ قيسٌ قومُنا أَكْرِمْ بهم * قيسُ النّدى قيس العُلا قيس الكرمْ

وقال جعفر بن عُلْبة الحارثى

لِيَهْنِ عُقَيلا أنّنى قـد تركتُها * بنوءٍ بقتلاها الذئاب الهَوامل[4]
لهم صدرُ سيفى يوم بُرْقة سَحْبَلٍ * ولى منه ما ضُمّت عليه الأنامل
إذا القوم سدّوا مأزقا فرجتْ لنا * بأيمانـنا بِيضٌ جَلَتْها الصَّياقل

وقال عمرو بن مَعْديكرِب

أعاذلَ شِكّتِي بَزّى ورمحى * وكل مقلّص سَلِس القياد
أعاذل إنمـا أَفْنَى شـبابى * ركوبٌ فى الصَّريخ الى المنادى

قال أبو دُلَف

لقـد علمتْ وائل أننـا * نخوض الحُتُوف غَداة الحُتوف
ولا نتّقيها بزَحْف الفِرار * اذا ما الصفوف آنبرت للصفوف

---

(١) كذا بالأصل وهى محرّفة عن «أحمّ» والحُمّة كما قال ابن سيدة لون بين الدُّهمة والكُمْتة .
(٢) الجذمور هنا ما بقى من يده بعد قطعها . (٣) فى النسخة الألمانية «يبعثون» .
(٤) فى الأصلين : * تبوء بقتلاها دماء هوامل * وقد أخذنا ما فى الأصل عن هامش النسخة الألمانية .

ويوم أفاءتْ لنــا خيلُنــا * لدى جبـــل الدَّيْلَمِىّ المُنِيف
طِــوَالَ الفتى بطوال القنــا * وبيضَ الوجوه ببيض السيوف
وكلَّ حَصَــان بكل حِصَــان * أمينٍ شَـظَاه سـليم الوَظِيف
ألا نعِّــمانى فمــا نعمــتى * برادعتى عن ركوب المخوف
لىَ الصـــبر عنــد حلول البَلا * إذا نزلت بِىَ إحدى الصُّروف
وإن تسألى تخـبَرى أننى * أَقِى حســـبِى بأُلوف الألوف
وأحلُم حتى يقــولوا ضـعيفٌ * وما أنا ــ قدعلموا ــ بالضعيف
خفيف على فرسى ما ركبت * ولســـت على ظالمى بالخفيف

باب الحيل فى الحروب وغيرها

قال ابن اسحاق : لمــا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر، مرّ حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين . فقال الشيخ : لا أخبركم حتى تخبرونى ممن أنتم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم «اذا أخبرتنا أخبرناك» . فقال الشيخ: خُبِّرت أن قريشا خرجت من مكة وقت كذا، فان كان الذى خبّرنى صدَق فهى اليوم بمكان كذا، للوضع الذى به قريش . وخُبِّرت أن محمدا خرج من المدينة وقت كذا، فان كان الذى خبّرنى صدّق فهو اليوم بمكان كذا، للوضع الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : من أنتم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء » ، ثم انصرف . فجعل الشيخ يقول: نحن من ماء ! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا !

حدّثنى سهل بن محمد قال حدّثنى الأصمعى قال حدّثنى شيخ من بنى العنبر قال: أسرتْ بنو شيبان رجلا من بنى العنبر فقال لهم : أرسل الى أهلى ليَفْتدونى . قالوا : ولا تكلّم

الرسول إلا بين أيدينا . فجاءوه برسول فقال له : آئت قومى فقل لهم : إن الشجر قد أورق وإن النساء قد آشتكت . ثم قال له : أتعقل ما أقول لك؟ قال : نعم أعقل . قال : فما هذا؟ وأشار بيده . قال : هذا الليل . قال : أراك تعقل . انطلق لأهلى فقل لهم : عرّوا جملى الأصهب وآركبوا ناقتى الحمراء وسَلُوا حارثا عن أمرى . فأتاهم الرسول فأخبرهم ، فأرسلوا الى حارث فقصّ عليه القصة ، فلما خلا معهم قال لهم : أما قوله : «إن الشجر قد أورق» فإنه يريد أن القوم قد تسلّحوا . وقوله «إن النساء قد آشتكت» فإنه يريد أنها قد اتخذت الشِّكاء للغزو ، وهى أسقية ، ويقال للسقاء الصغير شَكْوة . وقوله : «هذا الليل» يريد أنهم يأتونكم مثلَ الليل أو فى الليل . وقوله : «عرّوا جملى الأصهب» يريد ارتحلوا عن الصَّمّان . وقوله : «اركبوا ناقتى الحمراء» يريد اركبوا الدَّهْناء . قال فلما قال لهم ذلك تحوّلوا من مكانهم ، فأتاهم القوم فلم يجدوا منهم أحدا .

أرسل على بن أبى طالب رضى الله عنه عبد الله بن عباس لمّا قدم البصرة فقال: ائت الزبير ولا تأت طلحة فان الزبير ألْين وأنت تجد طلحة كالثور عاقصًا قَرْنه ، يركب الصعوبة ويقول هى أسهل ، فأقرئه السلام وقل له يقول لك ابن خالك : عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق ، فما عَدَا ممّا بَدَا ؟ قال ابن عباس : فأتيته فأبلغته . فقال قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة ، واجتماع ثلاثة وانفراد واحد ، وأُمٌّ مبرورة ، ومشاورة العشرة ، ونشر المصاحف ، نُحلّ ما أحللت ونُحرّم ما حرمت .

الهيثم بن عدى قال : مرّ شبيب الخارجى على غلام فى الفرات يستنقع فى المـاء ، فقال له شبيب : اخرجْ الىّ أسائلك . قال : فأنا آمن حتى ألبس ثوبى ؟ قال : نعمْ . قال : فوالله لا ألبسه .

قال الهيثم : أراد عمر رحمه الله قتل الهُرْمُزان . فآستسقى فأُتى بماء فأمسكه بيده وآضطرب ، فقال له عمر : لا بأس عليك ، إنى غير قاتلك حتى تشربه . فألقى القدح

من يده وأمر عمر بقتله، فقال : أو لم تؤمنّى ؟ قال كيف آمنتك ؟ قال : قلت : لا بأس عليك حتى تشربه، ولا بأس أمان، وأنا لم أشربه . فقال عمر : قاتله الله! أخذ أمانا ولم نشعر به . قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق .

العُتبى : بعث يزيد بن معاوية عبيد الله بن عِضَاه الأشعرى الى ابن الزبير فقال له : إن أوّل أمرك كان حسنا فلا تفسده بآخره . فقال له ابن الزبير : إنه ليست فى عنق بيعة ليزيد . فقال عبيد الله : يامعشر قريش، قد سمعتم ماقال وقد بايعتم وهو يأمركم بالرجوع عن البيعة .

المدائنى قال : أقبل واصل بن عطاء فى رُفْقة فلقيهم ناس من الخوارج، فقالوا لهم : من أنتم؟ قال لهم واصل : مستجيرون حتى نسمع كلام الله، فأعرضوا علينا . فعرضوا عليهم فقال واصل : قد قبلنا . قالوا : فآمْضُوا راشدين . قال واصل : ما ذلك لكم حتى تُبْلِغونا مأمننا . قال الله تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) فأبلغونا مأمننا . فجاءوا معهم حتى بلغوا مأمنهم .

وقال معاوية : لا ينبغى أن يكون الهاشمى غير جواد ولا الأموى غير حليم ولا الزُّبيرى غير شجاع ولا المخزومى غير تَيَّاه . فبلغ ذلك الحسن(1) بن على فقال : قاتله الله! أراد أن يجود بنو هاشم فينفَد ما بأيديهم، ويحلمُ بنو أمية فيتحبّبوا الى الناس، ويتشجّع آل الزبير فيفنَوْا، ويَتِيه بنو مخزوم فيبغضهم الناس .

حدثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن عيسى بن عمر قال : استقبل الخوارج ابن عِرْبَاض اليهودى وهم بحَرُورَى فقال : هل خرج اليكم فى اليهود شىء ؟ قالوا : لا . قال : فآمضوا راشدين .

المدائنى قال : لما بلغ قتيبةَ بن مسلم أن سليمان يريد عزله عن خراسان واستعمال يزيد بن المهلّب كتب اليه ثلاث صحائف، وقال للرسول : ادفع اليه هذه، فان دفعها

(1) فى النسخة الألمانية : الحسين .

الى يزيد فادفع اليه هـذه ، فان شتمنى عند قراءتها فادفع اليه الثالثة . فلما صار اليه الرسول دفع اليه الكتاب الأول وفيه : يا أمير المؤمنين، إن من بلائى فى طاعة أبيك وطاعتك وطاعة أخيك كيت وكيت . فدفع كتابه الى يزيد فأعطاه الرسول الكتاب الثانى وفيه : يا أمير المؤمنين، تأمنُ ابن دَحْمَة على أسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده ! فشتم قتيبةَ، فدفع اليه الرسول الكتاب الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم الى سليمان ابن عبد الملك، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فوالله لأُوَثّقنّ لك آخِيَّةً لا ينزعها المهر الأَرِنُ . قال سليمان : عجّلنا على قتيبة. ياغلام، جدِّد له عهده على خراسان .

لما صرف أهلُ مِزّة الماءَ عن أهل دمشق ووجهوه الى الصحارى كتب اليهم أبو الهِنْدام[1] : الى بنى آستها أهلِ مزة، ليمسِّينى الماءُ أو لتصبِّحنكم الخيل . فوافاهم الماء قبل أن يُعتِموا فقال أبو الهندام : «الصدق يُنْبى عنك لا الوعيد» .

ولما بايع الناس يزيد بن الوليد أتاه الخبر عن مروان ببعض التلكؤ والتربص، فكتب اليه يزيد : أما بعد فإنى « أراك تقدّم رجلا وتؤخر أخرى » فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيتهما شئت، والسلام .

ولما هُزِم أمية بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد لم يَدْرِ الناسُ كيف يعزّونه، فدخل عليه عبد الله بن الأهتم فقال : [مرحبا بالصابر المخذول][2] الحمد لله الذى نظَر لنا عليك ولم ينظُر لك علينا، فقد تعرّضت للشهادة بجهدك إلا أن الله علم حاجة الإسلام اليك فأبقاك له بخذلان من كان معك لك . فصدر الناس عن كلامه .

وكتب الحارث بن خالد المخزومى — وكان عاملَ يزيد بن معاوية على مكة — الى مسلم بن عُقْبة المُرّى، فأتاه الكتاب وهو بآخر رمق، وفى الكتاب : أصلح الله

(١) فى النسخة الفتوغرافية : أبو الهيذام . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

الأمير، إنّ ابن الزبير أتانى بما لا قِبَل لى به فانحزتُ . فقال : ياغلام اكتب اليه : أمّا بعد فقد أتانى كتابك تذكر أن ابن الزبير أتاك بما لا قبل لك به فانحزت . وآيم الله ما أبالى على أىّ جنبيك سقطت إلا أن شرهما لك أحبّهما الىّ ، وبالله لئن بقيتُ لك لأُنزلنّك حيث أنزلت نفسك والسلام .

أبو حاتم قال، حدّثنا العتبى قال حدّثنا إبراهيم قال : لما أسنّ معاوية اعتراه أرق فكان اذا هَوَّم أيقظته نواقيس الروم، فلما أصبح يوما ودخل عليه الناس قال : يامعشر العرب، هل فيكم فتى يفعل ما آمره وأعطيه ثلاث دِيَات أعجّلها له وديتين اذا رجع؟ فقام فتى من غسّان فقال : أنا ياأمير المؤمنين . قال : تذهب بكتبى[1] الى ملك الروم، فاذا صرتَ على بساطه أذّنت . قال : ثم ماذا ؟ قال : فقط . فقال لقد كلّفتَ صغيرا وآتيت كبيرا . فكتب له وخرج، فلما صار على بساط قيصر أذّن، فتناجزت البطارقة واخترطوا سيوفهم فسبق اليه ملكُ الروم فجثا عليه وجعل يسألهم بحق عيسى وبحقهم عليه لمّا كفّوا، ثم ذهب به حتى صعد على سريره ثم جعله بين رجليه[2]، ثم قال : يا معشر البطارقة ، إن معاوية رجل قد أسنّ وقد أُرِق وقد آذته النواقيس، فأراد أن نقتل هذا على الأذان فيقتل مَنْ قِبَلَه منّا ببلاده على النواقيس، والله ليرجعنّ اليه بخلاف ماظنّ . فكساه وحمله فلما رجع الى معاوية قال : أوقد جئتنى سالما ؟ قال : نعم، أمّا من قِبَلك فلا .

وكان يقال : ما ولى المسلمين أحد إلا ملَك الرومَ مثلُه إن حازما وإن عاجزا . وكان الذى ملكهم على عهد عمر هو الذى دوّن لهم الدواوين ودوّخ لهم العدوّ ، وكان ملكهم على عهد معاوية يشبه معاوية فى حزمه وحلمه . وبهذا الإسناد قال : كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض العرب وتأتى من قِبَلهم الدنانير، وكان

(١) لعلها تذهب بكتابى الخ . (٢) فى النسخة الألمانية : يديه .

عبدالملك أوّل من كتب (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم فى الطّوامير، فكتب اليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم فى طواميركم شيئا من ذكر نبيكم نكرهه فانْهَ عنه وإلا أتاكم فى دنانيرنا من ذكره ما تكرهون . فكَبُر ذلك فى صدر عبد الملك وكره أن يدَع شيئا من ذكر الله قد كان أمر به أو يأتيه فى الدنانير من ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ما يكره، فأرسل الى خالد بن يزيد بن معاوية فقال : يا أبا هاشم إحدى بناتِ طَبَق(١)، وأخبره الخبر . فقال : ليُفْرِخْ رُوعُك، حرِّمْ دنانيرهم وٱضرب للناس سِكَكا ولا تُعْفِهم مما يكرهون . فقال عبد الملك : فرّجتَها عنّى فرّج الله عنك .

حدّثنا الرياشىّ قال : لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب اليه ملك الروم : إنك قد هدمتَ الكنيسة التى رأى أبوك تركها فإن كان حقا فقد أخطأ أبوك، وإن كان باطلا فقد خالفته . فكتب اليه الوليد (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ) الى آخر القصة .

حدّثنا الزيادىّ محمد بن زياد قال حدّثنا عبد الوارث بن سعيد قال حدّثنا علىّ ابن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : كتب قيصر الى معاوية : سلام عليك، أمّا بعد فأنبئنى بأحبّ كلمة الى الله وثانية وثالثة ورابعة وخامسة، ومَن أكرمُ عباده اليه وأكرم إمائه، وعن أربعة أشياء فيهنّ الروح لم يَرْتكِضْنَ فى رحم، وعن قبر يسير بصاحبه ومكان فى الأرض لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة، والمجرّة ما موضعها من السماء، وقوس قُزَح وما بدء أمره ؟ . فلما قرأ كتابه قال : اللهم ٱلعنه ! ما أدرى ما هذا ! . فأرسل الىّ يسألنى فقلت : أمّا أحب كلمة الى الله فلا إله إلا الله لا يقبل عملا إلا بها وهى المنجية، والثانية سبحان الله وهى صلاة الخلق، والثالثة الحمد لله كلمة الشكر، والرابعة الله أكبر فواتح الصلوات والركوع والسجود، والخامسة

(١) بنات طبق : الدواهي .

لاحول ولا قوّة إلا بالله . وأمّا أكرم عباد الله اليه فآدم خلقه بيــده وعلّمه الأسماء كلّها ، وأكرم إمائه عليــه مريم التى أحصنت فرجها . والأربعة التى فيهنّ روح ولم يرتكضن فى رحم فآدم وحوّاء وعصا موسى والكبش . والموضع الذى لم تصـبه الشمس إلا مرة واحدة فالبحر حين انفلق لموسى وبنى إسرائيل . والقبر الذى سار بصاحبه فبطن الحوت الذى كان فيه يونس .

أبو حاتم عن العتبىّ عن أبيه قال : قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر فأقعـدهما بين يديه وجعــل يسألهما عن أعمالهما الى أن اعترض عمرو فى حديث معاوية ، فقــال له معاوية : أعلىّ تعيب وإلىّ تقصد؟ هلمّ حتى أخبر أمير المؤمنين عن عملك وتخبره عن عملى . قال عمرو : فعلمت أنه بعملى أبصر منى بعمله وأنّ عمر لا يدّع أوّل هذا الحديث حتى يأتى على آخره، فأردت أن أفعل شيئا أقطع به ذلك فرفعت يدى فلطمتُ معاوية، فقال عمر : تالله ما رأيت رجلا أسفَه منك، يامعاوية آلطمْه . فقال معاوية إنّ لى أميرا لا أقضى الأمور دونه . فأرسل عمر الى أبى سفيان فلما رآه ألقى له وِسَاده ثم قال معتذرا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال : ألهذا بعثت الىّ ؟ أخوه وآبن عمه وقد أتى غيرَ كبير، قد وهبت له ذلك .

أبو حاتم عن الأصمعى عن نافع قال ذكر بِشْر بن أَرْطاة عليا فنال منه فضرب زيد بن عمر — وأمّه ابنة علىّ بن أبى طالب — على رأسه بعصا فشجّه فبلغ ذلك معاوية فبعث الى زيد بن عمر : أتدرى ما صنعت ؟ وَثَبْتَ على بشر بن أرطاة وهو شيخ أهل الشام فضربت رأسه بعصا، لقد أتيت عظيما . ثم بعث الى بشر فقــال أتدرى ما صـنعت ؟ وثبت على آبن الفاروق وآبن على بن أبى طالب تسـبّه وسط الناس وتزدريه، لقد أتيت عظيما . ثم بعث الى هذا بشىء وإلى هذا بشىء .

المدائنى قال : كان ابن المقفع محبوسا فى خَراج كان عليه وكان يعذَّب ، فلما طال ذلك وخشى على نفسه تعيَّن[1] من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به إبقاء على ماله .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال ، قال المختار : ادعو الى المهدىّ محمد بن الحَنَفية . فلما خشى أن يجىء قال : أما إنّ فيه علامة لا تخفى ، يضربه رجل بالسيف ضربة لا تعمل فيه . قال الأصمعى عرَّضه لأن تجرّب به .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن عوَانة بن الحكَم الكلبى قال : ولّى علىّ رضى الله عنه الأشتر مصر فلما بلغ العريش أتى بطُرّا مصر فقال له مولى لعثمان وكان يقول : أنا مولى لآل عمر، هل لك فى شربة من سويق أجْدَحُها لك؟ قال : نعم . فجَدَح له بعسل وجعل فيها سمًّا قاضيا فلما شربها يبس ، فقال معاوية لما بلغه الخبر : يا بردَها على الكبد! «إنّ لله جنودا منها العسل» . وقال علىّ «لليدين وللفم» .

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى عن ابن أبى الزِّناد[2] قال نظر علىّ الى ولد عثمان كأنهم مستوحِشون فسألهم فقالوا نُرمى بالليل ، فقال : من أين يأتيكم الرمى؟ قالوا : من ههنا . فصعد علىّ ولفّ رأسه ثم جعل يرمى وقال : اذا عاد فافعلوا مثل هذا فانقطع الرمىُ .

قال محمد بن كعب القُرَظىّ : جاء رجل الى سليمان النبى عليه السلام فقال يا نبىّ الله : إنّ لى جيرانا سرقوا إوزّتى فنادى : الصلاةَ جامعةً . ثم خطبهم فقال فى خطبته : وأحدكم يسرق إوزة جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ! فمسح رجل على رأسه ، فقال سليمان : خذوه فهو صاحبكم .

---

(١) الدَّين والعِينة الربا ، وعيَّن التاجرُ وتعيَّن أخذ بها .

(٢) فى النسخة الفتوغرافية "أبى الزياد" .

أخذ الحكم بن أيوب الثّقفى عاملُ الحجاج إياسَ بن معاوية فى ظِنّة الخوارج ، فقال له الحكم : إنك خارجى منافق وشتمه ، ثم قال آئتنى بمن يكفل بك . قال : ما أجد أحدا أعرف بى منك . قال : وما علمى بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق . قال إياس : ففيم هذه الشهادة منذُ اليوم . فضحك وخلّى سبيله .

دخل رجل من بنى مخزوم على عبد الملك بن مروان وكان زُبيريا ، فقال له عبد الملك : أليس قد ردّك الله على عقبيك ؟ قال : ومن رُدّ عليك فقد رُدّ على عقبيه ؟ فسكت عبد الملك وعلم أنه قد أخطأ .

وكان رجل من النصارى يختلف الى الضّحّاك بن مُزَاحِم فقال له يوما : لو أسلمت ! قال : يمنعنى من ذلك حبّى للخمر . قال فأسلِمْ وآشربها . فأسلم ، فقال له الضحاك : إنك قد أسلمت فإن شربت الخمر حددناك وإن رجعت عن الإسلام قتلناك . فحسن إسلامه .

دخلت أمّ أفعى العَبْدية على عائشة رضى الله عنها فقالت : ياأم المؤمنين ما تقولين فى امرأة قتلت ابنا لها صغيرا؟ قالت : وجبت لها النار . قالت : فما تقولين فى امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفا ؟ قالت : خذوا بيد عدوّة الله .

العتبىّ قال كتب يزيد بن معاوية الى أهل المدينة : أمّا بعد فإنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال . إنى والله قد لبستُكم فأخلقتُكم ورقّعت بكم فاخترقتكم ثم وضعتكم على رأسى ثم على عينى ثم على فمى ثم على بطنى . وَآيْمُ الله لئن وضعتكم تحت قدمى لأطأنّكم وَطأة أُقلّ بها عددكم وأُذِلّ غابركم وأترككم أحاديث تُنسخ بها أخباركم مع أخبار عاد وثمود . ثم تمثّل

لعل الحلم دل علىّ قومى * وقد يُستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسونى * فمعوجٌّ علىّ ومستقيم

أبو حاتم قال حدّثنا أبو عبيدة قال : أُخذ سُرَاقة بن مِرْداس البارقىّ أسيرا يوم جبّانة السَّبيع ، فقدم فى الأسرى فقال

امنُنْ علىّ اليوم يا خيرَ معدّ * وخيرَ من حلّ بصحراء الجَنَدْ (١)

* وخير من لبّى وصلّى وسجدْ *

فعفا عنه المختار ثم خرج مع إسحاق (٢) بن الأشعث عليه فجيء بسراقة أسيرا فقال له المختار : ألم أعفُ عنك؟ أما والله لأقتلنّك . قال : إنّ أبى أخبرنى أن الشأم ستُفتح لك حتى تهدم مدينة دِمَشق حجرا حجرا وأنا معك فوالله لا تقتلنى . ثم أنشده

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا * نَزَوْنا نَزْوةً كانت علينا

خرجنا لا نرى الضعفاء شيئا * وكان خروجنا بَطَرا وحَيْنا

نراهم فى مَصَفّهم قليلا * وهم مثل الدَّبَا لما ٱلتقينا

فأسجِح إن (٣) قدرت فلو قدرنا * لَجُرْنا فى الحكومة وٱعتدينا

تقبّل توبةً منى فانى * سأشكر إن جعلتَ النَّقْد دَيْنا

فخلّى سبيله ثم خرج إسحاق عليه ومعه سراقة فأُخذ أسيرا فقال : الحمد لله الذى أمكننى منك يا عدو الله ، فقال سراقة : ما هؤلاء الذين أخذونى ! فأين هم؟ لا أراهم ! إنا لما التقينا رأينا قوما عليهم ثياب بيض على خيل بُلْق تطير بين السماء والأرض . فقال المختار : خلّوا سبيله ليخبر الناس . [ثم (٤) عاد لقتاله وقال

ألا مَنْ (٥) مخبر المختار عنى * بأن البُلْق بيض مصمتات

(١) فى النسخة الفتوغرافية "بشجر والجد" وهو محرّف وصوابه كما فى الطبرى "بشجر والجند" .

(٢) فى النسخة الفتوغرافية "عبدالرحمن" وقد صوبه فى هامشها بأنه إسحاق ويرجحه ما فى الطبرى والعقد الفريد .

(٣) فى النسختين «إن» وفى ابن جرير «فاسجح اذ ملكت» وهو الأنسب . (٤) زيادة فى النسخة الألمانية . (٥) فى الطبرى .

ألا أبلغ أبا إسحاق انى * رأيت البلق دهما مصمتات

أُرِى عيــنِىّ ما لم تَرْأياه * كلانا عالم بالــتُّرّهات
كفرتُ بدينكم وجعلت نذرا * علىّ قتالَــكم حتى المات]

خرج المغيرة بن شعبة مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته وكانت له عَنَزة يتوكأ عليها فربما أثقلته فيرمى بها قارعةَ الطريق فيمرّ بها المــارّ فيأخذها، فاذا صار الى المنزل عرفها فأخذها المغيرة ففطن له علىّ رضى الله عنه فقال: لأخبرنّ النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: لئن أخبرتَه لا تُرَدّ بعدها ضالّةٌ أبدا. فأمسك علىّ.

باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا أبو أُسَامة عن زائدة عن سِمَاك عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس أنه كان اذا سمعهم يقولون: يكون فى هذه الأمة اثنا عشر خليفة، قال: ما أحمقكم! إنّ بعد الاثنى عشر ثلاثة منا: السفاح والمنصور والمهدى يسلمها الى الدجّال. قال أبو أسامة: تأويل هذا عندنا أن ولد المهدىّ يكونون بعده الى خروج الدجال.

وقال محمد بن على بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة حين اختارهم للدعوة وأراد توجيههم: أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علىّ بن أبى طالب. وأما البصرة فعثمانية تدين بالكفّ وتقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل. وأما الجزيرة فحَرُورية مارقة وأعراب كأعْلاج ومسلمون فى أخلاق النصارى. وأما أهل الشأم فليس يعرفون إلا آل أبى سفيان وطاعة بنى مروان، عداوة لنا راسخة وجهلا متراكما. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تتقسّمها الأهواء ولم تتوزّعها النِّحَل ولم تَشْغلها ديانة ولم يتقــدّم فيها فساد وليست لهم اليوم همم العرب ولا فيهم كتَحَازُب

الأتبـاع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبيّة العشائر ، ولم يزالوا يُذَالُون ويُمتهنون ويُظلمون ويَكظمون ويتمنّون الفرج ويؤمّلون [الدول] وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولحىً وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أفواه منكرة، وبعدُ فكأنى أتفأّل الى المشرق والى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق .

وقال سعيد بن عمرو بن جَعْدة المخزومى : كنت مع مروان بن محمد بالزّاب فقال لى : يا سعيد من هذا الذى يقابلنى ؟ قلت : عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن عباس . قال : أعرفه؟ قلت: نعم، أما تعرف رجلا دخل عليك حسن الوجه مصفرًّا رقيق الذراعين حسن اللسان فوقع فى عبد الله بن معاوية؟ فقال: بلى قد عرفته والله، يابن جعدة ليت علىّ بن أبى طالب [فى الخيل] يقابلنى . إنّ عليا وأولاده لا حظّ لهم فى هذا الأمر، وهذا رجل من بنى العباس ومعـه ريح خراسان ونصر الشأم، يا بن جعدة أتدرى لم عقدتُ لعبد الله ولعبيد الله وتركت عبـد الملك وهو أكبر منهما ؟ قلت : لا أدرى . قال : لأنى وجدت الذى يلى هذا الأمر بعدى عبد الله أو عبيد الله، فكان عبيد الله أقرب الى عبد الله من عبد الملك .

وكتب مروان الى عبد الله بن علىّ : إنى لا أظن هذا الأمر إلا صائرا اليكم ، فاذا كان ذلك فاعلم أن حرمنا حرمكم . فكتب اليه عبد الله إنّ الحق لنا فى دمك وإن الحق علينا فى حرمك .

سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسيرهم وأنهم لم يزالوا على ٱستقامة حتى أفضى أمرهم الى أبنائهم المترفين فكانت هممهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصدَ الشهوات وإيثارَ اللذات والدخول فى معاصى الله ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله وأمنًا لمكره، فسلبهم الله العزّ ونقل عنهم النعمة . فقال له صالح بن على :

يا أمير المؤمنين إن عبد الله[(١)] بن مروان لـما دخل أرض النُّوبة هاربا فيمن معه سأل ملكُ النوبة عنهم فأُخبر فركب إلى عبد الله فكلمه بكلام عجيب فى هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده ، فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا فى هـذه الليلة ويسأله عن ذلك . فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال : يا أمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سلِم لى فافترشته بها وأقمت ثلاثا ، فأتانى ملك النوبة وقد خُبِّر أمرَنا ، فدخل علىّ رجل طُوَال أقْنى حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب ، فقلت : ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا؟ قال : لأنى ملك ، وحقّ على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعـه . ثم قال لى : لم تشربون الخمر وهى محرّمة عليكم ؟ قلت : آجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا لأن الملك زال عنا . قال : فلم تطأون الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم ؟ قلت : يفعل ذلك جهّالنا . قال : فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرّم عليكم؟ قلت : ذهب الملك منـا وقلّ أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا فى ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . قال : فأطرق مليًّا وجعل يقلّب يديه وينكُت فى الأرض [ويقول[(٢)]: عبيدنا وأتباعنا دخلوا فى ديننا وزال الملك عنا ! يردّده مرارا] ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرّم عليكم وركبتم ما عنـه نهيتم ، وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم ، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها وأخاف أن يحلّ بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصيبنى معكم ، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فتزوّدوا ما آحتجتم إليه وآرتحلوا عن بلدى ، ففعلت ذلك .

ولـما آفتتح المنصور الشأم وقتـل مروان قال لأبى[(٣)] عون ومن معـه من أهل خراسان : إن لى فى بقيـة آل مروان تدبيرا فتأهبوا يوم كذا وكذا فى أكمل عُدّة ، ثم

(١) فى الفتوغرافية «عبيدالله» . (٢) فى الفتوغرافية بدل هذه الجملة «وينكت فى الأرض ويردّد كلامى ثم قال الخ» . (٣) ظاهر هذا أن القصة وقعت مع المنصور ولكن آخر الحكاية ويؤيده ما فى الكامل للبرد أنها وقعت مع عبد الله بن على وقد كان أميرا على الشام من قبل المنصور .

بعث إلى آل مروان فى ذلك اليوم بجُمعوا وأعلمهم أنه يفرض لهم فى العطاء، فحضر منهم ثمانون رجلا فصاروا الى بابه ومعهم رجل من كلب قد ولّدهم[1] ثم أذن لهم فدخلوا، فقال الآذن للكلبي : ممن أنت؟ قال: من كلب وقد ولّدْتُهم . قال : فانصرفْ ودع القوم . فأبى أن يفعل وقال : إنى خالهم ومنهم . فلما آستقر بهم المجلس خرج رسول المنصور وقال بأعلى صوته : أين حمزة بن عبد المطلب ؟ لِيدخل ، فأيقن القوم بالهلكة ، ثم خرج الثانية فنادى : أين الحسن بن علىّ؟ ليدخل، ثم خرج الثالثة فنادى : أين زيد بن علىّ بن الحسين ؟ ثم خرج الرابعة فقال : أين يحيى بن زيد[2] ؟ ثم قيل : ائذنوا لهم . فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد[3] وكان له صديقا فأومأ اليه : أن ارتفعْ . فأجلسه معه على طنفسته وقال للباقين : اجلسوا . وأهل خراسان قيام بأيديهم العمد فقال : أين العَبْدىّ الشاعر؟ فقام وأخذ فى قصيدته التى يقول فيها

أما الدُّعاة الى الجِنّان فهاشم * وبنو أميّة من دعاة النار

فلما أنشد أبياتا منها قال الغمر : يابن الزانية . فانقطع العبدى وأطرق عبد الله ساعة ثم قال : امض فى نشيدك . فلما فرغ رمى اليه بصرّة فيها ثلاثمائة دينار، ثم تمثّل بقول القائل

ولقد ساءنى وساء سِوائىَ * قربهم من منابر[4] وكراسى
أنزلوها بحيث أنزلها اللّٰـه بدار الهوان والإتعاس
[لا تُقِيلنّ[5] عبدَ شمس عِثارا * وآقطعوا كل نُخلة وغِرَاس[6]]
واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقتيلا بجانب المِهْراس

(١) ربّاهم . (٢) فى الفتوغرافية «الحسين» ولكنه يحيى بن زيد بن على بن الحسين .
(٣) فى الفتوغرافية «هشام» ولكنه الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان .
(٤) كذا بالنسخة الألمانية ، وفى الفتوغرافية «نمارق» ولعله فى الكامل للبرد .
(٥) زيادة فى النسخة الألمانية . (٦) كذا بالأصل ، وفى الكامل للبرد «كل رَقْلة وأواسى» وقال : الرقلة النخلة الطويلة والأواسى جمع آسيّة وهى أصل البناء بمنزلة الأساس .

ثم قال لأهل خراسان : دِهِيدْ [1] . فشُدخوا بالعمد حتى سالت أدمغتهم وقام الكلبىّ فقال : أيها الامير : أنا رجل من كلب لست منهم . فقال

ومُدخِلٍ رأسَه لم يُدْنِه أحد * بين القرينين حتى لزّه القَرَنُ

ثم قال : دهيد . فشُدخ الكلبى معهم ثم التفت الى الغمر فقال : لا خير لك فى الحياة بعدهم . قال : أجلْ ، فقُتل ثم دعا ببَرَاذِعَ فألقاها عليهم وبسط عليها الأَنْطاع ودعا بغدائه فأكل فوقهم وإن أنين بعضهم لم يهدأ ، حتى فرغ ثم قال : ما تهنأت بطعام منذ عقلت مقتل الحسين إلا يومى هذا . وقام فأمر بهم فجُرُّوا بأرجلهم وأغنم أهلَ خراسان أموالهم ثم صُلبوا فى بستانه . وكان يأكل يوما فأمر بفتح باب من الرُّواق الى البستان فاذا رائحة الجيف تملأ الأنوف ، فقيل له : لو أمرت أيها الأمير برد هذا الباب ! فقال : والله لرائحتها أحبّ الىّ وأطيب من رائحة المسك ، ثم قال

حسبتْ أميةُ أن سترضى هاشم . عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلّا وربِّ محمد وإلٰهه * حتى تُباح سُهولها وحُزونها
وتَذِلَّ ذُلَّ حليلةٍ لحليلها * بالمَشرفىّ وتُستردّ ديونها

وأُتى المهدىّ [2] برجل من بنى أمية كان يطلبه فتمثل بقول سُدَيف شاعرهم

جرِّد السيفَ وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويّا
لا يغرّنْك ما ترى اليوم منهم * إنّ تحت الضلوع داءً دَوِيّا

فقال الأموى : لكن شاعرنا يقول

شُمْسُ العداوة حتى يُستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاما اذا قدَروا

فقال المهدىّ [2] : قال شاعركم ما يشبهكم وقال شاعرنا ما يشبهنا . ثم أمر به فقتل .

---

(١) كلمة فارسية بمعنى اضربوا . (٢) فى النسخة الفتوغرافية «المنصور» .

وقال رجل: كنا جلوسا مع عمرو بن عبيد فى المسجد، فأتاه رجل بكتاب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعوه الى نفسه، فقرأه ثم وضعه فقال الرسول: الجواب. فقال: ليس له جواب، قل لصاحبك: دعْنا نجلس فى هذا الظل ونشرب من هذا المساء البارد حتى تأتينا آجالنا فى عافية.

وكان عمرو بن عبيد اذا رأى المنصورَ يطوف حول الكعبة فى قُرْطين يقول: إن يُرِدِ الله بأمة محمد خيرا يُوَلِّ أمرَها هذا الشابَّ من بنى هاشم. وكان له صديقا فلما دخل عليه بعد الخلافة وكلمه وأراد الانصراف، قال: يا أبا عثمان سَلْ حاجتك. قال: حاجتى ألّا تبعث الىّ حتى آتيك ولا تعطينى حتى أسألك. ثم نهض فقال المنصور

كلُّكم ماشِى رُوَيْدْ * كلُّكم خاتِلُ صيدْ
* غيرَ عمرو بن عُبَيدْ *

فلما مات عمرو رثاه المنصور فقال

صلّى الالٰه عليك من متوسِّد * قبرا مررتُ به على مَرّانِ
قبرا تضمَّن مؤمنا متحنِّفا * صدَق الالٰهَ ودان بالقرآن
واذا الرجال تنازعوا فى سنّة * فصَل الحديثَ بحكمة وبيان
فلوآن هذا الدهر أبقى صالحا * أبقى لنا حيّا أبا عثمان

قال الوَضّاح بن حبيب: كنا اذا خرجنا — يعنى أصحابه — من عند المنصور صرنا الى المهدىّ وهو يومئذ ولى عهده ففعلنا ذلك يوما فأبرز الى يده، ولم يكن ذلك من عادته، فأكببت عليها فقبّلتها وضرب بيدى الى يده، ثم علمت أنه لم يفعل ذلك إلا لشىء فى يده، فوضع فى يدى كتابا صغيرا تستره الكفّ، فلما خرجت فتحته فاذا فيه: يا وضّاح، اذا قرأتَ كتابى فاستأذنْ الى ضِياعِكَ بالرّىّ، فرجعت فقلت للربيع: استأذنْ لى. فدخل فاستأذن، فأذن لى، فدخلت فقلت: يا أمير المؤمنين، ضياعى بالرى

قد اختلّت وبى حاجة الى مطالعتها فقال : لا، ولا كرامة، فخرجت. ثم عدت اليه اليوم الثانى والقوم معى فدخلنا فاستأذنته، فردّ الىّ مثل الجواب الأوّل. فقلت : ياأمير المؤمنين ما أريد إصلاحها إلا لأقوى بها على خدمتك . فسُرِّى عنه، ثم قال : اذا شئتَ فودّع . فقلت يا أمير المؤمنين : ولى حاجة أذكرها . قال : قل . قلت : أحتاج الى خَلْوة . فنهض القوم وبقى الربيع قلت : أَخلِنى . قال : ومن الربيع وبينكما ما بينكما ! قلت : نعم . فتنحّى الربيع، فقال : قد خلوتَ فقل إن جدتَ لى بمالك ودمك. فقلت : يا أمير المؤمنين، وهل أنا ومالى إلا من نعمتك، حقنت دمى ودم أبى ورددت علىّ مالى وآثرتنى بصحبتك . قال : إنه يهجس فى نفسى أن جَهْوَرا(1) على خَلْع وليس له غيرك لما أعرفه بينكما، فاظهرْ إذا صرتَ اليه الوَقيعةَ فىّ والتنقّص لى حتى تعرف ما عنده، وإن رأيته يهمّ بخلع فاكتب الى، ولا تكتبنّ على يد بريد ولا مع رسول ولا يفوتنى خبرك فى كل يوم فقد نصبتُ لك فلانا القَطّان فى دار القُطن فهو يُوصل كتبك فى كل يوم الىّ. قال : فمضيتُ حتى أتيت الرىّ فدخلت على جهور فقال : أَفلتَّ؟ فقلت : نعم والحمد لله . ثم أقبلت أؤانسه بالوقيعة فيه حتى أظهر ما ظنّ به المنصور فكتبت اليه بذلك .

دخل عبد الله بن الحسن الطالبىّ على المنصور وعنده إسحاق بن مسلم العُقَيلى وعبد الملك بن حُميد الشامى الكاتب، فتكلم عبد الله بكلام أعجب إسحاق ففطن ذلك المنصور، فلما خرج عبد الله قال : يا غلام ردّه . فلما رجع قال : يا أبا محمد إنّ إسحاق بن مسلم حدّثنى أن رجلا هلك بدمشق وترك ناضًّا كثيرا وأرضا ورقيقا وزعم أنه مولاكم وأشهد على ذلك. قال : نعم يا أمير المؤمنين، ذلك مولانا قد كنت أعرفه وأكاتبه . فقال المنصور : يا إسحاق، أعجبك كلامه فأحببتُ أن تعرفه .

(1) فى النسخة الألمانية : «جوهر» وهو تحريف إذ هو جهور بن مرار العجلى أحد قواد المنصور.

أبو الحسين المدائنى قال : لما بنى أبو العباس المدينة بالأنبار قال لعبد الله ابن الحسن : يا أبا محمد كيف ترى؟ فتمثل عبد الله فقال

ألم تر حَوْشَبا أمسى يُبَنِّى * قصورا نفعها لبنى بُقَيْلَهْ
يؤمّل أن يعمَّر عمرَ نوح * وأمر الله يحدث كلَّ ليلهْ

ثم آنتبه فقال : أقلنى [أقالك الله] (١) . قال : لا أقالنى الله إن بتَّ فى عسكرى ، فأخرجه الى المدينة . [حَنَش (١) بن المغيرة قال : جئتُ وأبو ذَرّ آخذٌ بحلقة باب الكعبة وهو يقول : أنا أبو ذر الغِفَارى ، من لم يعرفنى فأنا جُنْدَب صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «مَثَلُ أهلِ بيتى مثلُ سفينة نوح مَنْ ركبها نجا»] .

حدّثنا خالد بن محمد الأزدى قال حدّثنا شَبَابة بن سَوّار عن يحيى بن إسماعيل ابن سالم عن الشعبيّ قال ، قيل لابن عمر : إن الحسين قد توجّه الى العراق ، فلحقه على ثلاث ليال من المدينة وكان عند خروج الحسين غائبا فى مال له فقال : أين تريد؟ قال : العراق . وأخرج اليه كتبا وطَوَامِيرَ قال : هذه كتبهم و بيعتهم . فناشده الله أن يرجع فأبى فقال : أما إنى سأحدّثك حديثا : إن جبريل عليه السلام أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فخيّره بين الدنيا والآخرة فآختار الآخرة ، وإنكم بَضعة من النبي صلى الله عليه وسلم ، والله لا تليها أنت ولا أحد من أهل بيتك وما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم فآرجع . فأبى فآعتنقه وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل .

حدّثنى القاسم بن الحسن عن على بن محمد عن مَسْلمة بن مُحَارِب عن السَّكَن قال : كتب الحسين بن على رضى الله عنهما الى الأحنف يدعوه الى نفسه فلم يردّ الجواب وقال : قد جربنا آل أبى الحسن فلم نجد عندهم إيَالَةً للملك ولا جمعا للمال ولا مكيدة

(١) زيادة فى النسخة الألمانية .

فى الحرب . وقال الشعبي : ما لقينا من آل أبي طالب؟ إن أحببناهم قتلونا، وإن أبغضناهم أدخلونا النار .

ولما قتل مُصعَب بن الزبير خرجت سُكَينة بنت الحسين تريد المدينة فأطاف بها أهل الكوفة فقالوا : أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله . فقالت : والله لقد قتلتم جدّى وأبى وعمّى وزوجى مُصعبًا، أيتمتمونى صغيرة وأرملتُمونى كبيرة فلا عافاكم الله من أهل بلد ولا أحسن عليكم الخلافة . وقال بعض الشعراء

اِبْكِ حسينًا ليوم مَصْرعه * بالطّفّ بين الكتائبِ الخُرْسِ
أضحت بنات النبيّ اذ قُتلوا * فى مأْتم والسباع فى عُرْسِ

روى سِنانُ[1] بن حَكيم عن أبيه قال : انتهب الناس وَرْسا فى عسكر الحسين ابن على يوم قُتل فما تطيبت منه امرأة إلا بَرِصتْ . ولما قُتل حسين قالت بنت لعَقيل بن أبى طالب

ماذا تقولون إن قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم أفضل الأمم
بعترتى وبأهلى بعد منطلَقى * منهم أُسَارى وقتلى ضُرِّجوا بدم
[[2]ما كان هذا جزائى أن نصحتُ لكم * أن تخلُفونى بقتلٍ فى ذوى رحمى]

فما سمعها أحد إلا بكى .

[[2]دخل زيد بن علىّ على هشام فقال : ما فعل أخوك البقرة ؟ قال زيد : سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باقرا وتسميه بقرة ! لقد اختلفتما .

أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يا جابر إنك ستعمَّر بعدى حتى يولد لى مولود اسمه كاسمى يبْقَر العلم بَقْرا فاذا لقيتَه فأقرئه منى السلام» فكان جابر يتردّد فى سكك المدينة بعد ذهاب بصره وهو ينادى : يا باقر، حتى قال

(١) كذا بالألمانية وفى الفتوغرافية «سيّار بن الحكم» . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

الناس : قد جُنّ جابر . فبينا هو ذات يوم بالبَلَاط اذ بَصُر بجارية يتورّكها صبيّ فقال لها : ياجارية، من هذا الصبي ؟ قالت : هذا محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبي طالب . فقال : أَدْنيه مني فأدنته منه فقبّل بين عينيه وقال : يا حبيبي ، رسول الله يقرئك السلام. ثم قال: نُعيت الىّ نفسي وربِّ الكعبة . ثم انصرف الى منزله وأوصى فمات من ليلته .

[قال هشام بلغني أنك تَرَبَّصُ(١) نفسُك للخلافة وتطمع فيها وأنت آبن أمة . قال له زيد : مهلا يا هشام فلو أن الله علم فى أولاد السَّرارِى تقصيرا عن بلوغ غاية ما أعطى إسماعيل ما أعطاه . ثم خرج زيد وبعث اليه بهذه الأبيات]

مهلا بنى عمنا عن نحت أَثْلَتِنا * سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا
لا تجمعوا أن تُهينونا ونُكرمكم * وأن نكُفَّ الأذى عنكم وتؤذونا
فالله يعلم أنا لا نحبّكم * ولا نلومكم ألّا تحبّونا

[ثم إن زيدا أعطى الله عهدا ألا يلقى هشاما إلا فى كتيبة بيضاء أو حمراء فدخل الكوفة فطبع بها السيوف وكان من أمره ما كان حتى قتل رحمه الله] .

ذكر الأمصار

قالت الحكماء : المدائن لا تبنى إلا على ثلاثة أشياء : على المـاء والكلأ والمُحْتَطَب .

قال آبن شهاب : من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله فى مائها ثم شربه عُوفى من وبائها. وقال معاوية لقوم قدموا عليه : كلوا من فَحَا(٢) أرضنا فقلّما أكل قوم من فَحَا أرض فضرّهم ماؤها .

(١) هكذا فى الأصل ، وفى الجملة حذف . ولعل أصل الكلام : قال هشام لزيد بن على ، كما يدل عليه باقى القصة و رواية العقد الفريد ، وقد وردت القصة كاملة هكذا فى النسخة الألمانية ، واقتصر فى الفتوغرافية على قوله « كتب زيد بن على بن الحسين الى هشام بن عبد الملك » ثم ساق الأبيات .

(٢) الفحا : توابل القدور كالفلفل والكمون ونحوهما : لسان العرب .

حدّثنى الرياشىّ قال حدّثنى الأصمعىّ قال، قال معاوية: أغبطُ الناس عندى سعد مولاى، وكان يلى أمواله بالحجاز، يتربّع جُدّة ويتقيّظ الطائف ويتشتّى مكة .

حدّثنا الرياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ قال: أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن: الخِطْر والكُنْدُر والعَصَب والوَرْس .

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى قال: اليهود لا تأكل من بقل سُورَى وتقول: هى مَغِيض الطوفان . قال وقال الأصمعى عن مَعْمَر(١) قال: سبعٌ محفوظات وسبع ملعونات، فمن المحفوظات نَجْرَان ومن الملعونات أثَافِتُ [وبَرْذَعَة](٢) . وأثافِتُ باليمن . وقفت باليمن على قرية فقلت لامرأة: ما تسمى هذه القرية؟ فقالت ويحك! أما سمعت قول الشاعر

أحب أثَافِتَ عند القِطَاف * وعند عُصَارة أعنابها

[قال الأصمعى: سواد البصرة الأهْواز ودَسْتُمِيسَان وفارس، وسواد الكوفة كَسْكَر الى التراب(٣) الى عمل حُلْوان الى القادسية، وعمل العراق هِيتُ الى الصين والسند والهند ثم كذلك الى الرىّ وخُراسان الى الديلم والجبال كلها، وأصبهان صرّة العراق افتتحها أبو موسى الأشعرى، والجزيرة ما بين دِجلة والفرات، والموصل من الجزيرة، ومكة من المدينة ومصر لا تدخل فى عمل العراق] .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال: أول قرية بنيت بعد الطوفان قرية بقَرْدَى تسمى سوقَ ثمانين، كان نوح لما خرج من السفينة ابتناها وجعل فيها لكل رجل آمن معه بيتا وكانوا ثمانين فهى اليوم تسمى

(١) فى النسخة الألمانية «معتمر» وهو تحريف إذ هو أبو عبيدة معمر بن المثنّى اللغوى النحوى وقد كان معاصرا للأصمعى . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .
(٣) كذا فى الأصل وهى محرفة عن «الزاب» كما فى ياقوت .

سوق ثمانين . قال : وحرّان سميت بهاران بن آزر أخى إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبو لوط .

[قال النبي صلى الله عليه وسلم لبُرَيدة : « يا بريدة إنه سيُبعث بعدى بُعُوث فاذا بُعثت فكن فى أهل بَعْث المشرق ثم فى بعث خراسان ثم فى بعث أرض يقال لها : مَرْو ، فاذا أتيتها فانزل مدينتها فانه بناها ذوالقرنين وصلّى فيها ، غزيرةٌ أنهارُها تجرى بالبركة ، فى كل نقب منها ملك شاهر سيفه يدفع عنها السوء الى يوم القيامة » فقدمها بُريدة فمات بها] .[1] [2]

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنى الأصمعى قال أخبرنى النَّمِر بن هلال الحَبَطى عن قَتَادة عن أبى جلدة[3] قال : الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ فملك السودان اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانيـة آلاف فرسخ وملك فارس ثلاثة آلاف فرسخ وأرض العرب ألف فرسخ .

[وقال أبو صالح كنا عند ابن عباس فأقبل رجل فجلس ، فقال له : ممن أنت؟ قال من أهل خراسان ، قال : من أىّ خراسان؟ قال : من هَرَاة ، قال : من أىّ هراة؟ قال : من بُوشَنْج . ثم قال : ما فعل مسجدها ؟ قال : عامر يُصلّى فيـه . قال : ابن عباس كان لابراهيم مسجدان : المسجد الحرام ومسجد بُوشَـنْج . ثم قال : ما فعلت الشـجرة التى عند المسجد ؟ قال : بحالهـا . قال : أخبرنى العباس أنه قال فى ظلها] .[1]

---

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية . (٢) فى الأصل «يزيد» وهو تحريف .

(٣) كذا بالألمـانية ، وفى النسخة الفتوغرافية «أبى الجلد» ولم نعثر فى كتب التراجم على من تكنّى بهذه الكنية ، على أن من شيوخ قتادة «أبا بردة بن أبى موسى» فلعلّه محرف عنه .

حدّثنى محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون[١] الحرّانى عن عوف بن أبى جميلة عن الحسن البصرى قال : لمـا قدم على رضى الله عنه البصرة ارتقى على منبرها لحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل البصرة ، يا بقايا ثمود ويا جند المرأة[٢] ويا أتباع البهيمة ، رغا فآتّبعتم وعُقر فآنهزمتم . أما إنى لا أقول رغبة فيكم ولا رهبة منكم ، غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « تُفتحُ أرضٌ يقال لها البصرةُ أقومُ الأرضين قبلةً ، قارئها أقرأ الناس ، وعابدها أعبد الناس ، وعالمها أعلم الناس ، ومُتصدِّقها أعظم الناس صدقةً ، وتاجرها أعظم الناس تجارة . منها الى قرية يقال لها الأُبُلَّة أربعة فراسخ . يُسْتشهَدُ عنـد مسجد جامعها أربعون ألفا ، الشهيد منهم يومئذ كالشهيد معى يوم بدر » .

حدّثنا القاسم بن الحسن قال حدّثنا أبو سَلَمة قال أخبرنى أبو المُهَزِّم عن أبى هريرة قال : مُثِّلت الدنيا على مثال طائر ، فالبصرة ومصر الجناحان فاذا خربتا وقع الأمر .

وحدّثنى أيضا عن هارون بن معروف عن ضَمْرة عن ابن شَوْذَب عن خالد بن ميمون قال : البصرة أشدّ الأرض عذابا وشرها ترابا وأسرعها خرابا . قال وقال آبن شوذب عن يزيد الرِّشْك[٣] : قست البصرة فى ولاية خالد بن عبد الله القسرى فوجدت طولها فرسخين غير دانِق .

وقال محمد بن سلام عن شُعيب بن صَخْر : تذاكروا عند زياد البصرة والكوفة فقال زياد : لو ضلّتِ البصرةُ لجعلتُ الكوفةَ لمن دلّنى عليها . قال [محمد بن سيرين] كان الرجل يقول : غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة ، عزله عن البصرة

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفى الفتوغرافية « يزيد بن خالد عن عبد الله بن ميمون المرئى » ولم نعثر فى كتب التراجم على هذين الاسمين ولعل صواب العبارة « حدّثنا يزيد بن خالد بن عبدالله عن ميمون المرئى » إذ الاسمان موجودان معا فى كتب التراجم . (٢) يعنى بها عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وبالبهيمة الجمل الذى ركبته ، وبه سمّى هذا اليوم وهو معروف مشهور . (٣) كذا بالألمانية ، وفى الفتوغرافية « الرشت » وكلاهما محرف عن الرشك بكسر فسكون وهو لقب يزيد بن أبى يزيد الضُّبَعى .

وآستعمله على الكوفة . [وقال[1] علىّ حين دخل البصرة : يا أتباع البهيمة ويا جند المرأة رَغَا فاجبتم وعُقر فآنهزمتم ، دينكم نِفَاق وأخلاقكم رِقَاق وماؤكم زُعاق ، يا أهل البصرة والبُصيرة [و] السُّبَيْخَة والخُرَيبة ، أرضكم أبعد الأرض من السماء وأبعدها من الماء وأسرعها خرابا وغرقا .

مر عُتْبة بن غَزْوان بموضع المِرْبد فوجد فيها الكَذَّان الغليظ فقال : هذه البصرة فانزلوا بسم الله . وقال أبو وائل : اختطّ الناس البصرة سنة سبع عشرة] .

فخر ناس من بنى الحارث بن كعب عند أبى العباس، فقال أبو العباس لخالد بن صَفْوان : ألا تكلّم يا خالد؟ قال : أخوال أمير المؤمنين وأهله . قال : فأنتم أعمام أمير المؤمنين وعَصَبته . قال خالد : ما عسى أن أقول لقوم بين ناسج بُرْد ودابغ جلد وسائس قرد ، دلّ عليهم هدهد وغرقتهم فأرة وملكتهم امرأة .

[سئل[1] خالد عن الكوفة فقال : نحن منابتنا قصب، وأنهارنا عجب، وثمارنا رُطب، وأرضنا ذهب . قال الأحنف : نحن أبعد منكم سَرِيّة وأعظم منكم بَحْرِيّة[2] وأغذى[3] منكم بَرِّية . وقال أبو بكر الهذلىّ : نحن أكثر منكم ساجا وعاجا وديباجا وخراجا ونهرا عجّاجا] .

وقال الخليل فى ظهر البصرة مما يلى قصر أوس من البصرة

زُرْ وادىَ القصر نعم القصر والوادى * لا بد من زَوْرة عن غير ميعاد
تُرفا به السُّفْن والظُّلْمان واقفة * والضَّبُّ والنّون والملّاح والحادى

وقال آبن أبى عيينة فى مثل ذلك

يا جنةً فاتت[4] الجنانَ فما * تبلغها قيمةٌ ولا ثمنُ
ألفتُها فاتخذتُها وطنا * إن فؤادى لحبّها وطنُ

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) فى البيان والتبيين «وأعظم منكم بحرية» .
(٣) هكذا فى الأصل ، وفى كتاب البيان للجاحظ أعذى بالعين المهملة وهو الأقرب الى الصواب يقال عذا البلد يعذو : طاب هواؤه . (٤) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : فاقت .

زوّج حيتانها الضِّباب بها * فهذه كَنّة وذا خَتَن
فانظر وفكّر فيا تُطيف به(١) * إن الأريب المفكّر الفطِن
من سُفُنٍ كالنّعام مقبلة * ومن نَعَام كأنهـا سفنُ

أنشد محمد بن عمر عن ابن كُنَاسةَ فى ظهر الكوفة

وإن بها لو تعلمين أصائلا * وليـلا رقيقا مثل حاشـية البُرد

بلغنى عن إبراهيم بن مهدى عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم التَّيْمى قال: لمـا أُمرت الأرض أن تغيض غاضت إلا أرض الكوفة فلُعِنت، بجميع الأرض تُكرَب على ثورين وأرض الكوفة تُكرب على أربعة ثيران. وكان يقال: إذا كان علم الرجل حجازيا وسخاؤه كوفيا وطاعته شأمية فقد كمل.

[لمـا(٢) اجتوى المسلمون المدائن بعد ما نزلوا وآذاهم الغبار والذباب، كتب عمر الى سعد فى بعثة روّاد يرتادون منزلا برّيّا فإن العرب لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل والشاء. فسأل مَن قِبله عن هذه الصفة فيا يليهم، فأشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب باللسان. وظهر الكوفة يقال له اللسان، وهو فيا بين النهرين الى عين بنى الحَذّاء، وكانت العرب تقول: أَدْلَع البَرُّ لسانه فى الرِّيف، فما كان يلى الفرات منه فهو المِلْطاط وما كان يلى الظهر(٣) منه فهو النِّجَاف، فكتب الى سعد يأمره به].

وقال النابغة الجعدى يمدح الشأم

جاعلين الشأم حَمَّـا(٤) لهمُ * ولئن همّوا لنعم المتقل
موته أجر ومَحْيـاه غنى * وإليه عن أذاه معـتزَل

(١) كذا بالأصل وهو محرف عن «نطقت به» كما فى الأغانى. (٢) زيادة فى النسخة الألمانية.
(٣) فى معجم ياقوت فى الكلام على اللسان «وما كان يلى البطن منه فهو النجاف».
(٤) يقال حم حمّه أى قصد قصده.

وقال أيضا

ولكن قومى أصبحوا مثل خَيبر * بهـا داؤُهـا ولا تضرّ الأعاديا

قال الأصمعى : لم يولد بغَدير خُمٍّ مولود فعاش الى أن يحتـلم إلّا أن يتحوّل عنها . قال : وحَرّة لَيْلَى ربما مرّ بها الطائر فيسقط ريشه . قال عمرو بن بحر : يزعمون أن من دخل أرض تُبّت لم يزل ضاحكا مسرورا من غير عَجَب حتى يخرج منها ، ومن أقام بالموصـل عاما ثم تفقّد قوّته وجد فيها فضلا ، ومن أقام بالأهواز حولا فتفقّد عقله وجد النقصان فيه بيّنا . والناس يقولون : حُمّى خيبر وطِحَال البحرين ودماميل الجزيرة وطواعين الشأم .

قالوا : من أطال الصوم بالمَصيصة فى الصيف خيف عليه الجنون . وأما قصبة الأهواز فتقلب كل من ينزلها من الأشراف الى طبائع أهلها ، ووباؤها وحُمّاها يكون فى وقت انكسار الوباء ونزوع الحُمّى عن جميع البلدان ، وكل محموم فان حُمّاه إذا أقلعت عنه فقد أخذ عند نفسه منها البراءة الى أن يعود إلى التخليط وإلى أن يجتمع فى جوفه الفساد الا محمومَ الأهواز فإنها تعاود من فارقته لغير علّة حدثت ، ولذلك جمعت سوق الأهواز الأفاعى فى جبلها المطلّ عليها والجرارات (١) فى بيوتها ومن ورائها سباخ ومناقع مياه غليظة وفيها أنهار تشقّها مسايل كُنُفهم ومياه أمطارهم فإذا طلعت الشمس وطال مُقامها واستمرّت مقابلتها (٢) لذلك الجبل قبل الصخرية (٣) التى فيها الجرارات ، فإذا امتلأت يبسا وحرّا وعادت جمرة واحدة قذفت ماقبلت من ذلك عليهم وقد بخرت تلك السباخ وتلك الأنهار ، فإذا التقى عليهم ما بخرت به السباخ وما قذفه ذلك الجبل فسد الهواء

(١) الجرارة بجبانة : عقيرب قتالة تجر ذنبها اذا مشت لا ترفعه كما تفعل سائر العقارب .

(٢) فى الأصل «طالت معاناتها بذلك الجبل» والتصويب عن معجم ياقوت .

(٣) هكذا فى الأصل . وفى معجم البلدان « قبل تسبب الصخرية التى فيها تلك الجرارات الخ » ولعل صواب العبارة «قبلت بسبب الصخرية التى فيها تلك الجرارات فاذا امتلأت الخ» .

وفسد بفساد الهواء كل ما يشتمل عليه الهواء . وقال إبراهيم بن العباس الكاتب : حدّثنى مشايخ أهل الأهواز عن القوابل أنهنّ ربما قَبِلْن الطفلَ فيجدْنَه فى تلك الساعة محموما [يعرفن ذلك ويتحدّثن به] . قال : ومن قدم من شِقّ العراق إلى بلد الزِّنْج لم يزل حزينا ما أقام بها فإن أكثر من شرب نبيذها وأكل النّارجيل طمس الخُمَارُ على عقله حتى لا يكون بينه وبين المعتوه إلا شىء يسير . قال : وفى عهد سِجِسْتان على العرب حين افتتحوها : ألّا يقتلوا قنفذا ولا يصيدوه . لأنها بلاد أفاع والقنافذ تأكلها ولولا ذلك ما كان لهم بها قرار .

وقال ابن عيّاش لأبى بكر الهُذَلى يوم فاخره عند أبى العباس : إنما مثل الكوفة مثل اللَّهَاة من البدن يأتيها الماء ببرده وعذوبته ، والبصرة بمنزلة المثانة يأتيها الماء بعد تغيّره وفساده .

وقال محمد بن عمير بن عُطَارِد : إن الكوفة قد سَفُلت عن الشأم ووبائها وآرتفعت عن البصرة وعمقها فهى مَرِيئة مَرِيعة عَذْبة تَرِيّة[(1)] ، إذا أتتنا الشَّمال ذهبت مسيرةَ شهر على مثل رَضْراض الكافور ، وإذا هبت الجَنُوب جاءتنا بريح السّواد ووَرده وياسَمينه وأُتْرُجّه ، وماؤنا عذب وعيشنا خصب . وقال الحجاج : الكوفة بكر حسناء والبصرة عجوز بَخْراء أوتيت من كل حَلْى وزينة .

اجتمع أهل العراق ليلةً فى سَمَر يزيد بن عمر بن هُبَيرة ، فقال يزيد : أىّ البلدين أطيب ثمرة : الكوفة أم البصرة؟ فقال خالد بن صفوان : بل ثمرتنا أيها الأمير منها الأزَاذُ والمَعْقِلىّ وكذا وكذا . فقال عبد الرحمن بن بَشير العِجْلى : لست أشك أيها الأمير أنكم قد اخترتم لأمير المؤمنين ما تبعثون به اليه . قال : أجلْ ، قال : قد رضينا باختيارك لنا وعلينا . قال : فأىّ الرُّطب تحملون اليه؟ قال : المُشَان . قال : ليس بالبصرة منه واحدة . ثم أيّة؟ قال : السَّابِرى . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال خالد بن

(1) كذا بالأصول ، وفى معجم البلدان : «وبرّها» .

صفوان : بلى عندنا بالبصرة منه شيء يسير . قال : فأىّ التمر تحملون اليه ؟ قال : النِّرْسيان . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال . ثم أية ؟ قال : الهَيْرُون أَزَاذ . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : فأىّ القَسْب تحملون اليـه ؟ قال : قَسْب العنبر . قال : ولا بالبصرة منـه واحدة . قال ابن هبيرة لخالد : ادّعى عليك خمسا فشاركته فى واحدة وسلّمتَ له أربعا ، ما أراه إلا قد غلبك .

دخل فتى من أهل المدينة البصرة ثم انصرف ، فقال له أصحابه : كيف رأيت البصرة ؟ قال : خير بلاد الله للجائع والعَزَب والمفلس : أما الجائع فيأ كل خبز الأرز والصِّحْناء (١) لا ينفق فى الشهر درهمين ، وأما العزب فيتزوج بشق درهم ، وأما المحتاج فلا عَيْلة عليه ما بقيت عليه آستُه يخرأ ويبيع .

أبو الحسن المدائنى قال قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليـد بن المغيرة لمعاوية : أما والله لو كنا بمكة على السـواء لعلمت . قال معاوية : إذًا كنتُ أكون ابن أبى سفيان منزلى الأبطح ينشقّ عنه سيله ، وكنتَ ابنَ خالد منزلك أَجْيادٌ أعلاه مَدَرَة وأسفله عَذِرَة .

رأى رجل من قريش رجلا له هيئة رَثّة ، فسأل عنه فقالوا : من بنى تغلب . فوقف له وهو يطوف بالبيت ، فقال له : أرى رِجْلين قلّما وطئتا البطحاء . قال له التغلبىّ : البَطْحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة وهى لى دونك ، وبطحاء ذى قار وأنا أحق بها منك ، وهذه البطحاء ، وسواء العاكف فيه والبادى .

وقال بعض الأعراب : اللهم لا تُنزلنى ماء سـوء فأكون آمرأ سوء . قال خالد ابن صفوان : ما رأينا أرضا مثـل الأُبُلَّة أقرب مسافة ولا أعذب نُطفة ولا

---

(١) إدام يتخذ من السمك الصغار .

أوطأ مطيّة ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعابد . وقال ابن أبى عيينة يذكر قصر انس بالبصرة

فيا حسنَ ذاك القصر قصرا ونزهة * بأَفْيح سهل غير وَعْر ولا ضَنْك
بغرس كأبكار الجوارى وتُرْبة * كأن ثَرَاها ماء وَرد على مِسك
كأن قصور الأرض ينظرن حوله * الى ملك مُوفٍ على منبر الملك
يُدِلُّ عليها مستطيلا بحسنه * ويضحك منها وهى مُطرقة تبكى

قال جعفر بن سليمان[1] : العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمِرْبَد عين البصرة ، ودَارِينُ عين المربد . وقالوا : من خصال الحرم أن المطر إذا أصاب الباب كان الخِصْب من شقّ العراق ، وإذا أصاب المطر الناحية من شق الشأم كان الخِصب بالشأم ، وإذا عمّ جوانب البيت كان المطر عاما . قال : [وذرع[2] الكعبة أربعمائة وتسعون ذراعا] .

المدائنى قال قال الحجاج : لما تبوأتِ الأمورُ منازلَها قالت الطاعة : أنزل الشأم ، قال الطاعون : وأنا معك . وقال النفاق : أنزل العراق ، قالت النعمة : وأنا معك . وقالت الصحة : أنزل البادية ، قالت الشِّقوة : [و] أنا معك .

(١) فى الفتوغرافية «مسلم» وفى الألمانية «سليمان» ويوافقه ما فى لطائف المعارف للثعالبى .
(٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

نجز كتاب الحرب ويتلوه فى الجزء الثالث كتاب السؤدد

كتاب السؤدد

مخايل السُّؤْدُد وأسبابه ومخايل السوء

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة رحمه الله : حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله ابن قُرَيْب عن عمه الأصمعي قال: أخبرنا جميع بن أبي غاضرة وكان شيخا مُسِنًّا من أهل البادية وكان من ولد الزِّبْرِقان بن بدر من قِبل النساء، قال : كان الزبرقان يقول : أبغضُ صبياننا إلىّ الأُقَيْعِسُ الذكر الذي كأنما يَطّلع في جحره، وإن سأله القوم أين أبوك، هرّ في وجوههم وقال: ما تريدون من أبي. وأحبُّ صبياننا إلىّ الطويلُ الغُرْلة السَّبْط الغُرّة العريض الورك الأبله العَقول الذي يطيع عمّه ويعصي أمه، وإن سأله القوم أين أبوك، قال : معكم .

قال وقال الأصمعي قال معاوية : ثلاث من السُودد : الصَّلَع، واندحاق البطن، وترك الإفراط في الغَيرة .

قال وقيل لأعرابي : بم تعرفون سودد الغلام فيكم ؟ فقال : إذا كان سائل الغرّة طويل الغُرلة مُلْتاثَ الإزْرة وكانت فيه لَوْثة فلسنا نشكّ في سودده . وقيل لآخر : أيّ الغلمان أسود ؟ قال : اذا رأيتَه أَعْنق أَشْدق أَحْمق فأَقْرِب به من السودد . وكان يقال : اذا رأيت الغلام غائر العينين ضيق الجبهة حَديد الأرنبة كأنما جبينه صَلَاية فلا تَرْجُه، إلا أن يريد الله أمرا فيبلغه .

حدثنا الرياشيّ عن الأصمعي قال : قريش تمدح بالصَّلَع ، وأنشد

إن سعيدًا وسعيدٌ فرعُ * أصلع تميــه رجال صُلْع

ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير فقال : إنى أظن هــذا الغلام سيسود قومه ، فقالت هند : ثكلتُه إن كان لا يَسُود إلا قومَه .

قال شبيب بن شيبة لبعض فُرسان بنى مِنْقَر : ما مُطِلتَ مَطْلَ الفُرسان ولا فُتِقتَ فَتْق السادة ، وقال آخر لِسِنَان بن سَلَمة الهُذَلىّ : ما أنت بأَرْسَحَ(١) فتكون فارسا ولا بعظيم الرأس فتكون سيدا ، وقال بعض الشعراء

فقبّلت رأسا لم يكن رأس سَيِّد * وكَفًّا ككَفّ الضَّبّ أو هى أحقر

وقال آخر

دعا ابنُ مُطِيع للبِيَاع بجُنّتـه * الى بَيْعــة قلبى لهـا غيرُ آلف

فنا ولنى خشــناءَ لمّــا لمَسْتُهـا * بكَفّىَّ ليست من أكُفّ الخلائف

وقرأت فى كتاب للهند أنه قد قيل فى الفِراسة والتَّوَسُّم : إنه من صغُرت عينه [و] دام اختلاجها وتتابع طَرْفها ومال أنفُه إلى أيمن شقّيه وبُعْــد ما بين حاجبيه وكانت منابت شعره ثلاثا ثلاثا وطال إكبابه إذا مشى ، وتلفّت تارة بعــد أُخرى ، غَلبَت عليه أخلاق السوء .

كان يقال : أربع يُسَوِّدْنَ العبد : الأدب، والصِّدق، والعفّة، والأمانة . وقال بعض الشعراء فى النبي صلى الله عليه وسلم

لو لم تكن فيــه آياتٌ مُبَيِّنة * كانت بَدَاهته تُنْبِيك بالخبر

وقال معاوية : إنى لأكره البكارة(٢) فى السيد وأحب أن يكون عاقلا متغافلا .

(١) قليل لحم العجز والفخذين .

(٢) هكذا بالنسخ التى بأيدينا ولعلها محرّفة عن «الغباوة أو البلادة» كما يقتضيه السياق .

وقال الشاعر فى هذا المعنى

ليس الغبىّ بسيّد فى قومه * لكنّ سـيِّد قومه المُتغابى

ويقال فى مَثَلٍ : «ليس أمير القوم بالخَبِّ الخَدِع» . وقال الفرزدق

لاخير فى خِبٍّ من تُرجّى فواضـلُه * فاستمطِروا من قريش كل مُنخَدِع
كأنّ فيـه إذا حاولتَـه بَلَهًا * عن ماله وهو وافى العقل والوَرَع

وقال إياس بن معاوية : لستُ بِخَبٍّ والخَبُّ لا يخدعنى . وقال مالك بن أنَس عن ابن شهاب : الكريم لمـا تُحكِّمه التجارب .

قال بعض الشعراء

غيرَأنّى أراك من أهل بيت * ما على المرء أن يَسُـودوه عار

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : السـيد الجواد حين يُسأل، الحليم حين يُستجهَل، البارّ بمن يعاشر . قال عَدِىّ بن حاتم : السيد الذليل فى نفسه، الأحمق فى ماله، المُطَّرِح لحقده، المعنِىّ بأمر عامّته . سئل خالد بن صفوان عن الأحنف بم ساد، فقال : بفضل سلطانه على نفسه . وقيل لقَيْس بن عاصم : بم سدتَ قومك؟ فقال : ببذل القِرَى وترك المِرَا ونُصرة المَوْلى . وقال على بن عبد الله بن عباس : سادة الناس فى الدنيـا الأسخياء وفى الآخرة الأتقياء . وقال سَلْم بن قُتَيبة لولده : إنكم لن تسودوا حتى تصبروا على سِرَار الشيوخ البُخْر . وقال : الدنيا هى العافيـة، والصحة هى الشباب، والمروءة الصبر على الرجال . قال عمرو بن هَدّاب : كنا نعرف سُودد سلم ابن قتيبة بأنه كان يركب وحده ويرجع فى خمسين . وقال رجل للأحنف وأراد عيبَه : بم سدتَ قومك ؟ قال : بتركى من أمرك ما لا يعنينى كما عناك من أمرى مالا يعنيك . وقال عبد الملك بن مروان لابن مطاع العَنَزِىّ [1] : أخبرنى عن مالك

(١) هكذا بالنسخة الألمانية، وهو فى النسخة الفتوغرافية غير واضح، وذكر فى العقد الفريد فى باب السؤدد هذه القصة وقال إنه روح بن زنباع .

ابن مِسْمَع . فقال له : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه فى أىّ شىء غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السُّودد، ولم يَلِ شيئا قط . وكذلك أسماء ابن خارجة لم يل شيئا قط . قيل لعَرَابة الأوْسِىّ : بم سُدْتَ قومك ؟ فقال بأربع : أنخدع لهم عن مالى، وأَذِلُّ لهم فى عِرضى، ولا أحقِر صغيرهم، ولا أحسُد رفيعَهم.

وقال المُقَنَّع الكِندىّ وهو محمد بن عميرة

ولا أحمِـلُ الحِقْـدَ القديم عليهمُ * وليس رئيسُ القوم من يحمل الحقدا
وليسوا الى نَصْرى سِراعًا وإن هُمُ * دعوْنى الى نصر أتيتُهُمُ شَــدّا
إذا أكلوا لحمى وفَرْتُ لحومَهــم * وإن هدموا مجدى بَنَيْتُ لهم مجدا
يُعيّرنى بالدَّيْن قومى وإنمـا * ديونىَ فى أشياء تَكْسِبهم حَمْدا

وقال آخر

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أيْسارٌ ذوو يَسَرٍ * سُوّاس مَكْرُمَةٍ أبناءُ أيْسارِ
لا ينطقون على الفحشاء إن نطقوا * ولا يُمَـارُون إن مارَوْا بإكثار
مَنْ تَلْقَ منهم تقل لاقيتُ سيّدَهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وقال آخر

وإن سيادةَ الأقوام فاعلم * لها صُعَدَاء مَطْلَعُها طويلُ

وقال رجل من العرب : نحن لا نسوّد الا من يُوَطّئنا رَحْله ويُفْرِشنا عِرْضه ويُمَلّكنا ماله . وفى الحديث المرفوع : «مَنْ بذل معروفه وكفّ أذاه فذلك السيد» . ويقال : لا سُودد مع انتقام . والعرب تقول « سيد مُعَمَّم » يريدون أنّ كل جِنَاية يجنيها أحد من عشيرته معصوبة برأسه . ويقال : بل السيد منهم كان يَعْتَمّ بعمامة صفراء لا يعتم بها غيره . وإنمـا سُمّى الزِّبْرِقان بصفرة عمامته . يقال : زَبْرَقْت الشىء إذا صفّرته، وكان اسمه حُصَينا . قيـل لابن هُبَيْرة : مَن سيدُ الناس اليوم ؟ قال : الفَرَزْدَق، هجانى مَلِكا ومدحنى سُوقَةً . وقال عامر بن الطُّفَيْل

إنى وإن كنت ابنَ سيدِ عامر * وفارسها المشهورِ فى كل مَوْكب
فما سَوَّدتنى عامر عن وِراثة * أبَى اللهُ أن أسمُو بأُمّ ولا أب
ولكنّنى أحْمِى حِمَاها وأتّقى * أذاها وأرمى من رماها بمنكِبِ

هذا نحو قول الآخر

نفسُ عِصامٍ سوّدت عِصاما * وعلّمته الكَرّ والإقداما
* وصيّرته ملِكا هُمَاما *

وعصام عبد كان للنعمان بن المُنْذِر ، وله يقول النابغة

فإنّى لا ألوم على دُخـول * ولكن ما وراءكَ يا عِصامُ؟

الكمال والتناهى فى السُّودَد

حدّثنى أبو حَمْزة الأنصارىّ عن العُتْبىّ قال ، قال الأحنف : الكامل من عُدّت هَفَواته . وكتب معاوية الى زياد : انظر رجلا يصلح لثغر الهند فولّه ، فكتب اليه : إن قِبَلى رجلين يصلحان لذلك : الأحنف بن قَيْس ، وسِنَان بن سَلَمة الهُذَلى ، فكتب اليه معاوية : بأىّ يومَىِ الأحنف نكافيه : أبخِذْلانه أمَّ المؤمنين ، أم بسَعْيه علينا يوم صِفّين؟ فوجّه سنانا ، فكتب اليه زياد : إن الأحنف قد بلغ من الشرف والحلم والسودد مالا تنفعه الولاية ولا يضرّه العزل . وقال أبو نواس يمدح رجلا

أوحده الله فما مثله * لطالب ذاك ولا ناشد
وليس لله بمُسْتَنْكَر * أن يجمعَ العالَمَ فى واحد

وقال أيضا فى نحو هذا

ياناق لا تسأمى أو تبْلُغى رجلا * تقبيلُ راحته والرُّكْنِ سيّانِ
متى تُحَطّى اليه الرَّحْلَ سالمةً * تَسْتَجْمِعى الخَلْقَ فى تِمثال إنسان

محمد خير من يمشى على قَــدَم * ممن برا اللهُ من إنس ومن جان
تنازع الأحمدان الشِّــبْهَ فاشتبها * خَلْقا وخُلْقا كما قُــدَّ الشِّراكان
سِيّانِ لافرق فى المعقول بينهما * معناهمــا واحد والعِــدّة اثنان

وقال الطائى

لو أنّ إجماعَنا فى فضــل سُودَده * فى الدين، لم يختلف فى المِلّة اثنان

وقال أيضا

فلو صوَّرتَ نفسك لم تَزِدها * على مافيك من كرم الطِّباع

وقال خالد بن صَفْوان : كان الأحنف يفرّ من الشرف والشرف يتبعه .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : وفد الأحنف والمنــذر بن الجَارُود الى معاوية، فتهيّأ المنــذر وخرج الأحنف على قَعود وعليــه بَتٌّ، فكلما مرّ المنذر قال الناس : هذا الأحنف، فقال المنذر : أرانى تزيّنْتُ لهذا الشيخ . وقالت بنو تميم للأحنف: ماأعظم مِنّتنا عليك! فضّلناك وسوّدناك، فقال : هذا شِبْل بن مَعْبَد، من سوّده وليس بالحَضْرة بجلىّ غيره ؟ أو قال بالبصرة .

قال عبد الملك بن مروان لعبد الله بن عبــد الأعلى الشاعر الشَّيْبانىّ : مَن أكرمُ العرب أو مَن خيرُ الناس ؟ قال : مَن يحُبُّ الناسُ أن يكونوا منــه، ولا يُحب أن يكون من أحد، يعنى بنى هاشم . قال : مَن ألأم النــاس ؟ قال : مَن يحب أن يكون من غيره، ولا يُحب غيره أن يكونوا منه . قال رجل من أشراف العجم لرجل من أشراف العرب : إن الشَّرَف نسب مفرد، فالشريف من كل قوم نسيب . وكان يقال : أكرمُ الصَّفَايا أشدّها وَلَهًا إلى أولادها، وأكرمُ الإبل أحنُّها إلى أوطانها، وأكرم الأفلاء[(١)] أشدُّها ملازمةً لأمهاتها، وخير الناس آلَفُ الناس للناس .

(١) جمع فَلُو بالكسر أو كعدُوّ وسُمُوّ، وهو الجحش أو المهر اذا فطما أو بلغنا السنة .

السّيادة والكمال فى الحَدَاثة

قال الأحنف : السّودد مع السـواد ، يريد أنه يكون سيدا من أنّتـه السيادة فى حداثته وسواد رأسـه ولحيته ، وقد يُذهب بمعناه إلى سواد النـاس وعامّتهـم يُراد أن السُّودد يكون بتسويد العامّة . وقال أبو اليَقْظان ولّى الحجّاج محمد بن القاسم ابن محمد بن الحَكَم الثَّقَفِىّ قتال الأكراد بفارس فأباد منهم ، ثم ولّاه السِّنْدَ فافتتح السندَ والهندَ وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر

إن السماحة والمُرُوءة والنّدى * لمحمد بن القاسم بن محمـد
قاد الجيوشَ لِسبْعَ عَشْرَةَ حِجّةً * ياقربَ ذلك سُوددا من مولد !

ويروى« ياقرب ذلك سُورةمن مولد »-السُّورة المنزلة الرفيعة. قال أبو اليقظان : وهو جعل شِيرَاز معسكرا ومنزلا لوُلاة فارس . وقال حمزة بن بِيض[1] لمخلّد بن يزيد بن المُهَلّب

بلغت لعشر مضت من سِنِيـّـك ما يبلغ السيّدُ الأشيب
فهمُّك فيها جِسام الأمور * وهمُّ لِدَاتك أن يلعبـوا

نظر الحُطَيئة الى ابن عباس يتكلم فى مجلس عمر، فقال : مَن هذا الذى نزل عن الناس فى سـنه وعَلَاهم فى قوله ! وقال ابن مسـعود : او بلغ أسناننا ما عشره منّا[2] رجل . ونظر رجل إلى أبى دُلَف فى مجلس المأمون فقال : إن همته ترمى به وراء سنه . وولى عُبَيد الله بن زِياد خُراسان وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وليها لمعاوية . وقيل لزياد عنـد موته : استخلِف عبيد الله ، فقال : إن يَكُ فيـه خير فسيولّيه عمُّه ، فلما مات زياد شخص عبيـد الله الى عمه معاوية فقال له : ما منع أباك أن يولّيك ؟ أما إنه لو فعل فعلت ، فقال عبيد الله : يا أمير المؤمنين ، لا يقولنّها أحد

---

(١) قال ابن برى هو بكسر الباء لا غير ، وضبطه الحافظ بالفتح .

(٢) هكذا بالأصل وعبارة اللسان عاشره وقال فى بيانها : لو كان فى السن مثلنا ما بلغ أحد منا عشر علمه .

بعدك : ما منع أباه وعمه أن يكونا استعملاه، فرغب فيه فاستعمله على خراسان ، وولى معاذ اليمن وهو ابن أقل من ثلاثين سنة . وحمل أبو مسلم أمر الدولة والدعوة وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وحمل الناسُ عن ابراهيم النَّخَعىّ وهو ابن ثمانى عشرة سنة . وولّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَتّاب بن أَسِيد مكّة وهو ابن خمس وعشرين سنة . وسوّدت قُرَيش أبا جهل ولم يطُرّ شاربه فأدخلته مع الكهول دارَ النَّدوة . قال الكميت

رُفِعتْ إليـك وما ثُغِرْ(١) * تَ عيونُ مستمِع وناظر
ورأوا عليك ومنك فى الـ * ـمهد النُّهَى ذات البصائر

قال قدم وفد على عمر بن عبد العزيز من العراق، فنظر إلى شاب منهم يتحوّز يريد الكلام ، فقال عمر : كبِّروا كبِّروا، فقال الفتى : ياأمير المؤمنين إن الأمر ليس بالسن، ولو كان كذلك كان فى المسلمين من هو أسنّ منك، قال صدقتَ فتكلّم . قال الشاعر فى خلاف هذا المعنى

إنما المُلْكُ أن يُساسوا بغِرٍّ * لم تُعِرْه الأيامُ رأيا وَثِيقَا

وقال آخر

ألا قالت الحسناء يومَ لقيتها * كبِرتَ، ولم تجزع من الشيب مَجْزعا
رأت ذا عصًا يمشى عليها وشيبة * تَقنَّع منها رأسه ما تقنّعا
فقلتُ لها: لا تهزَئى بى فقلّما * يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا
ولَلْقارحُ اليَعْبُوبُ خيرٌ عُلَالَةً * من الجذع المُجْرَى وأبعدُ مَنْزَعَا

رأى بُكَير بن الأخنس المُهَلَّبَ وهو غلام فقال

خذونى به إن لم يَسُد سَرَواتِهم * ويبرع حتى لا يكون له مِثْلُ

(١) يقال ثغر الغلام اذا سقطت أسنانه الرواضع .

الهمّة وإخطار بالنفس

قال أخبرنا خالد بن جُوَيرية عن محمد بن ذُؤيب الفُقَيمى(١) وهو العُمانى الراجز عن دُكَيْن الراجز قال : أتيت عمر بن عبد العزيز بعد ما استُخلف أستنجزُ منه وعدا كان وعدنيه وهو والى المدينة، فقال لى : يا دُكين إن لى نفسا توّاقة، لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلما نلتها تاقت الى الخلافة، فلما نلتها تاقت الى الجنــة . وما رزأتُ من أموال المسلمين شيئا، وما عندى إلا ألفا درهم، فاختر أيّهما شئت، وهو يضحك. فقلت : يا أمير المؤمنين، قليلُك خيرٌ من كثير غيرك ، ويقال قليلك خير من كبير غيرك ، فاختر لى أنت، فدفع إلىّ ألفا وقال : خذها بارك الله لك فيها، فابتعتُ بها إبلا وسُقتها الى البادية، فرمى الله فى أذنابها بالبركة بدعوته حتى رزقنى الله ماترون .

قال معاوية لعمرو بن العاص حين نظر معسكر علىّ عليه السـلام : من طلب عظيما خاطر بعظيمته . وكان عمرو يقول: عليكم بكل أمر مَزْلَقة مَهلَكة، أى عليكم بجسام الأمور . وقال كَعْب بن زُهَير

وليس لمن لم يركب الهولَ بُغْيةٌ * وليس لرَحْلٍ حطّه الله حامـلُ
إذا أنت لم تُقْصِرْ عن الجهل والخَنَا * أصَبْتَ حليما أو أصابك جاهل

وفى كتاب للهند : ثلاثة أشياء لا تُنال إلا بارتفاع همّـة وعظيم خَطَر : عمـل السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدو . وفيه أيضا : لا ينبغى أن يكون الفاضل من الرجال الا مع الملوك مكرّما أو مع النُّسّاك مُتَبتّلا ، كالفيل لا يَحْسُن أن يُرى إلا فى موضعين : فى البرّيّة وحشيّا أو للملوك مركبا . وفيه أيضا : ذو الهمة إن حُطّ فنفسُه تأبى إلا عُلُوّا كالشُّعلة من النار يُصَوّبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا . وقال العتّابىّ

تلوم على ترك الغنى باهليّــةٌ * طوى الدّهرُ عنها كلّ طِرْفٍ وتالد

(١) نسبة الى فقيم دارم ، قال فى القاموس : والنسبة الى فقيم كنانة فُقَمى كعُرَنى وهم نَسَأة الشهور فى الجاهلية ، والى فقيم دارم فقيمى اهـ .

يسرّكِ أنى نِلتُ ما نال جعفـر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأنّ أمير المؤمنيـن أغصّنى * مغصّهما بالمُشْرِقات البـوارد؟
ذَرِينى تَجِئْـنى مِيتتى مُطْمئنّـة * ولم أتقحّم هـولَ تلك الموارد
فإن كريمات المعـالى مَشُوبة * بمستودَعات فى بطون الأساوِد

وقال الطائىّ

وأخرى لحَتْنِى يومَ لم أمنع النّوَى * قِيـادى ولم يَنقُض زِمَاعِىَ ناقضُ
أرادت بأن يَحوِى الغِنى وهو وادعٌ * وهل يَفرِسُ الليثُ الطُّلَا وهو رابض؟

وقال أيضا

فاطلب هدوءا فى التقلقُل[(1)] وآستثرْ * بالعِيس من تحت السُّهاد هُجُودا
ما إن ترى الأحسابَ بِيضًا وُضّحًا * إلا بحيث ترى المنـايا سُـودا

وقال آخر

* ما العِزُّ إلا تحت ثوب الكَدّ *

وقال آخر

الذُّلّ فى دَعة النفوس ولا أرى * عِزّ المعيشـة دون أن يُشْقَى لها

وقال بعض المُحْدَثين وأظنه البُحْترىّ

فاطلبا ثالثـا سـوایَ فإنّى * رابعُ العِيس والدُّجَى والبِيد
لستُ بالواهن المقيم ولا القا * ئل يوما إن الغنى بالجُدود
وإذا استُصْعِبت مَقادةُ أمرٍ * سَهّلتها أيدى المَهارِى القُود

وقال عبد الله بن أبى الشِّيص

أظنّ الدهر قد آلى فبرّا * بأن لا يَكسِبَ الأموالَ حُرّا
لقـد قعـد الزمانُ بكل حُرّ * ونقّض مِن قُـواه المُسْتَمِرّا
كأن صفائح الأحرار أرْدَتْ * أباه فحارب الأحرار طُرّا

(١) فى النسخة الألمانية : التقلد ، وفى الفتوغرافية : التقلل ، والتصويب عن الديوان .

فأصبح كلُّ ذى شرف رَكوبا * لأعناق الدجى برًّا وبحرا
فهتّك جَيْبَ دِرع الليل عنه * إذا ماجيبُ درع الليل زُرّا
يراقبُ لِلْغِنَى وجها ضَحُـوكا * ووجهـا للنيّـة مُكْفَهِرّا
ومن جعل الظلامَ له قَعُودا * أصاب به الدجى خيرا وشرّا

وكان يقال : مَن سرّه أن يعيش مسرورا فليقنَع ، ومن أراد الذكر فليجهَد . قيل للعتّابى : فلان بعيدُ الهمة ، قال : إذن لا يكون له غاية دون الجنة . وقيل لبعض الحكماء : مَن أسوأ الناس حالا ؟ قال : من اتّسعت معرفته وضاقت مقدرته وبَعُدت همّتُه .

وقال عَدِىّ بن الرِّقاع

والمـرء يُورِثُ جودَه أبنـاءَه * ويموتُ آخرُ وهو فى الأحياء

أبو اليقظان قال : كان أوّلُ عمل وليَـه الحجّاج تَبَالَةَ ، فسار اليها فلما قرُب منها قال للدليل : أين هى وعلى أىّ سَمْت هى؟ قال : تسترها عنك هذه الأكمةُ . قال لا أرانى أميرا إلّا على موضع تستر منه أكَمَة ! أهوِنْ بها ولاية ! وكرّ راجعا . فقيل فى المثل : «أهوَنُ من تَبالةَ على الحجّاج» . وقال الطائىّ

وطولُ مُقام المرء فى الحى مُخْلِقٌ * لديبـاجتيه فاغترِبْ تتجـدّدِ
فإنى رأيتُ الشمسَ زِيدَت محبّةً * إلى الناس أنْ ليست عليهم بسَرْمَدِ

وقال رجل لآخر : أبوك الذى جهـل قدرَه وتعـدّى طَوْره فشقّ العصا وفرّق الجماعة ، لا جَرم لقد هُزم ثم أُسر ثم قُتـل ثم صُلب . قال الآخر : دَعْنى من ذكر هزيمة أبى ومن صَلْبه ، أبوك ما حدّث نفسَه بشىء من هذا قطّ . قال حاتم طيّ

لحى اللهُ صُعلوكًا مُناه وهَمّـه * من العيش أن يلقى لَبوسا ومَطْعما
يرى الخِمْص تعذيبا وإن يلْقَ شَبْعة * يَبِتْ قلبُه من قلّة الهمّ مُبهَما
ولله صُـعلوكٌ يُساوِر همّـه * ويمضى على الأهوال والدهرِ مُقدِما

يرى قوسَــه أو رُمحه ومِجنَّـــه * وذا شُطَبٍ لَدْنَ المَهزَّة مِخْذَما
وأحنــاءَ سرجٍ قاترٍ(١) ولجامَــه * مُعَدّا لدى الهَيْجا وطِرْفا مُسَوَّما
فذلك إنْ يَهْلِك فحُسْنَى ثناؤه * وإن يَحْيَ لا يقعُدْ لئيما مُذَمَّمـا

وقال آخر

لا يمنعنّك خَفْضَ العيش تطلبه * نِزاعُ شوقٍ الى أهلٍ وأوطانِ
تَلْقَ بكلِّ بلادٍ إن حللتَ بها * أهلا بأهــلٍ وجيرانا بجيرانِ

ويقال: ليس بينك وبين البلدان نسبٌ فخير البلاد ما حملكَ. وقال عُرْوة بن الوَرْد

لحى اللهُ صُعلوكا إذا جَنّ ليلُه * مُصافي المُشاش(٢) آلِفا كلَّ مَجْزِرِ
يَعُدّ الغِنى من دهره كلَّ ليلةٍ * أصابَ قِراها من صديقٍ مُيَسَّرِ
ينـامُ عِشاءً ثم يُصبِحُ قاعدا * يَحُتّ الحصا من جنبه المُتعفِّرِ
يُعينُ نساءَ الحيّ لا يستعِنَّهُ * ويُمسِي طَليحا كالبعير المُحَسَّرِ
ولله(٣) صُعلوكٌ صَفيحةُ وجهه * كضوء شهاب القابس المُتَنوِّرِ
مُطِـلٌّ على أعدائه يزجُرونه * بساحتهم زجرَ المَنيح المشهَّرِ

وقال آخر

تقول سُلَيمى: لو أقمتَ بأرضنا! * ولم تَدْرِ أني للمُقام أطـوفُ

وقال الطائيّ في نحوه

أآلِفَــةَ النَّحيبِ كم افتراقٍ * ألمّ(٤) فكان داعيــةَ اجتماعِ
وما إن فرحةُ الاوباتِ إلا * لموقوفٍ على تَرَحِ الوَداعِ

---

(١) القاتر والمُقْتِر من الرحال والسروج الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها . قاموس .

(٢) المشاش جمع مشاشة وهي رأس العظم الممكن مضغه . (٣) كذا في الأصول والأغاني، وفي الحماسة : «ولكن صعلوكا الخ» . (٤) في الأصول اظل، والتصويب عن الديوان .

نظر رجل إلى رَوح بن حاتم واقفا فى الشمس على باب المنصور فقال له : قد طال وقوفك فى الشمس . فقال روح : لِيَطُولَ مُقامى فى الظل . وقال خِداش بن زُهير

ولن أكون كمن ألقى رِحالَته * على الحمار وخَلّى صَهْوة الفرس

وقال آخر

لا أنتَ قصّرتَ عن مجدٍ ولا أنا، إذ * أسْمُو إليك بنفسى، قصّرتْ هِمَمى

قال عمر بن الخطاب : أشيعُوا بالكُنَى فإنها منبهّة . دخل عُبيد الله بن زِياد بن ظَبْيان التيمىّ على أبيه وهو يجود بنفسه فقال له : ألَا أُوصى بك الأميرَ؟ فقال عبيد الله : إذا لم يكن للحىّ إلّا وصيّةُ الميت فالحىّ هو الميت . وقال الشاعر فى نحوه

إذا ما الحىّ عاش بعَظْمِ مَيْتٍ * فذاك العظمُ حىٌّ وهو مَيْتُ

وقال معاوية لعمرو بن سعيد وهو صبىّ : إلى مَنْ أوصى بك أبوك ؟ قال : أوصى إلىّ ولم يُوصِ بى . نظر أبو الحارث جمير إلى بِرْذَوْنٍ يُستَقى عليه ، فقال : المرء حيث يجعل نفسَه ، لو هَمْلَجَ هذا لم يُبْتَلَ بما تَرَوْن . قال الطائىّ

وقلقلَ نابٍ من خراسان جاشُها * فقلت اطمئنى أنضرُ الرَّوضِ عازِبُهْ
وركبٍ كأطراف الأسِنّة عرَّسوا * على مثلها، والليل تَسْطو غياهبُه
لأمرٍ عليهم أن تَتِمّ صدورُه، * وليس عليهم أن تَتمّ عواقبُه

وقال آخر

وعِشْ مَلِكا أو مُتْ كريما، وإن تمت * وسيفُك مشهور بكفك تُعذَرِ

والمشهور فى هذا قول امرئ القيس

فلو أن ما أسعَى لأدنَى معيشةٍ * كفانى ولم أطلُب قليلٌ من المال
ولكنّما أسعَى لمجدٍ مؤثَّلٍ * وقد يدرِكُ المجدَ المؤثّلَ أمثالى

وقوله .

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونه * وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا

فقلت له : لا تبكِ عينُك ، إنما * نحاول مُلكا أو نموتَ فنُعذَرا

وقال أبو نُوَاس

سأبغي الغِنَى إمّا جليسَ خليفةٍ * نقوم سَواءً ، أو مُخيفَ سبيل

وقيل ليزيد بن المُهَلّب : ألا تبنى دارا ! فقال : منزلى دارُ الإمارة أو الحبس .

والمشهور فى سقوط الهمة قولُ الحُطَيْئة

دَعِ المكارمَ لا ترحَل لبُغْيَتها * واقعُد فإنك أنت الطاعِمُ الكاسِى

وقال مالك بن الرَّيْب

فإن تُنصِفونا آلَ مروانَ نَقترِبْ * إليكم وإلّا فأْذَنوا بتَعادِى[1]

فإنّ لنا عنكم مَرَاحًا ومرحلا * بعِيسٍ الى ريح الفلاة صَوادِى

وفى الأرض عن دار المَذَلّة مَذهبٌ * وكلُّ بلادٍ أُوطِنَت كبلادِى

فماذا عسى الحجاج يبلغُ جهدُه * إذا نحن جاوزنا حَفيرَ زياد

فيأسْتِ أبى الحجاج وآستِ عجوزه * عُتَيِّدُ[2] بَهْمٍ يَرتعى بوِهَادِ

فلولا بنو مروان كان ابنُ يُوسفٍ * كما كان عبدًا من عبيدِ إياد

زمانَ هو المُقْرِى[3] المُقِرُّ بذلّةٍ * يُرَاوِح غِلمانَ القُرى ويُغَادِى

بعث يحاب[4] خليفتها إلى ابن عائشة المحدث وهو عُبَيد الله بن محمد بن حَفْص التَّيْمىّ ، فأتاه فى حلقته فى المسجد فقال له : أبو من ؟ قال : هلّا عرفت هذا قبل مجيئك !

(١) فى الكامل للمبرد طبع ليبزج : «ببعاد» بدل «تعادى» وهو الأنسب للسياق .

(٢) العتيد تصغير عتود وهو كما فى لسان العرب من أولاد المعز ما رعى وقوى وأتى عليه حول ، يصفه بالضعف .

(٣) المقرى طالب الضيافة ، وفى الحماسة والكامل : «العبد» . (٤) كذا بالأصل ؟

قال: أريد أن تُخْلِيَنى . قال : فى حاجة لك أم فى حاجة لى؟ قال : فى حاجة لى . قال : فَٱلْقَنى فى المنزل. قال: فإن الحاجة لك . قال : ما دون إخوانى سرّ .

وقال بعض لصوص هَمْدان وهو مالك بن حَرِيم

كذبتم و بيتِ اللهِ لا تأخذونها * مُرَاغَمَــةً ما دام للسّيف قائمُ
متى تجمع القلبَ الذكىَّ وصارما * وأنْفًا حَمِيًّـا تجتنبْــك المظـالمُ
ومَن يَطلبِ المـال المُمنَّعَ بالقَنَا * يَعِشْ مُثْرِيًا أو تَخْتَرِمْه المخَـارمُ
وكنتُ إذا قومٌ غَزَوْنى غزوتُهم * فهل أنا فى ذا يالَ هَمْدان ظالمُ

وقال أبو النَّشْنَاش، من اللصوص

إذا المرءُ لم يَسْرَح سَوَامًا ولم يُرِح * سَوامًا ولم تعطف عليـه أقاربُهْ
فَلَلْموتُ خيرٌ للفتى مِن حياته * فقيرا ومِنْ مَوْلًى تدبّ عقاربه
وسائلةٍ بالغيب عنّى وسـائلٍ * ومَن يسألُ الصُّعلوكَ أين مذاهبُه؟
وطامسةِ الأعلام مائلةِ الصُّوَى * سَرَتْ بأبى النَّشناش فيها رَكائبه (١)
فـلم أر مثلَ الفَقْر ضاجَعَه الفتى * ولا كسواد الليل أخفَق صاحبه

وقال آخر من اللصوص

وإنّى لأستَحْيِى من الله أن أُرَى * أُطوِّفُ بأرض ليس فيــه بعـيرُ
وأن أسألَ المـرء اللئـيم بعــيرَه * وبُعْرَانُ ربّى فى البــلاد كثيرُ
فلِلّيــل إن وارانىَ الليـلُ حكمةٌ * ولِلشــمس إن غابت علىّ تدورُ
عَوَى الذّئبُ فاستأنَسْتُ للذئب إذ عوى * وصوّت إنسانٌ فكِدْتُ أطيرُ
رأى اللهُ إنّى للأنيس لَشَانِئٌ * وتُبْغِضُهم لى مقـلةٌ وضَمِــيرُ

(١) فى الحماسة : «طالبه» . أى الطالب فيه .

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب

خاطِر بنفسك كَيْ تُصيبَ غنيمةً * إنّ الجلوسَ مع العيال قبيــحُ
فالمــالُ فيــه تَجِــلَّةٌ ومهابةٌ * والفقــرُ فيــه مَــذَلّة وقُبُوحُ

وقال آخر

تقول ابنتى : إنّ انطلاقك واحدا * إلى الرَّوْع يومًا تارِكى لا أبَالِيَا
ذَرِينى من الإشفاق أو قدّمى لنــا * من الحَدَثانِ والمنيّةِ واقيــا
سَتَتْلَفُ نفسى أو سأَجْمَعُ هَجْمــةً * تَرى ساقِيَيْها يَأْلَمانِ التَّراقيــا

وقال أوس بن حَجَر

ومَنْ يكُ مثلى ذا عيــالٍ ومُقْــتِرًا * من المــال يطرَحْ نفسَه كلَّ مطرحِ
لِيُبْلِيَ عُــذْرًا أو لِيَبْلُغَ حاجةً ، * ومُبلِــغُ نفسٍ عُذْرَها مثلُ مُنجِحِ

وقال آخر

رمى الفقرُ بالأقوام حتى كأنّهم * بأَطْرار آفاق البــلاد نجومُ

قال كسرى : احذروا صولةَ الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع . وقال الشاعر

خُلُقانِ لا أرضى اختلافَهما : * تيــهُ الغِنى ، ومَذَلّةُ الفقرِ
فإذا غَنِيتَ فلا تكن بَطِــرًا * وإذا افتقرت فَتِهْ على الدّهرِ
وآصبر ، فلستَ بواجدٍ خُلُقًا * أدنى إلى فرجٍ من الصّبْرِ

كان أعرابىّ يمنع ابنَه من التصرف إشفاقا عليه ، فقال شعرا فيه

إذا ما الفتى لم يَبْغِ إلّا لِباسَــه * ومطعَمَه ، فالخــيرُ منــه بعيــدُ
يُذَكِّرُنى خوفَ المنايا ، ولم أكن * لأهرُبَ ممّــا ليس منــه مَحِيــدُ
فلو كنتُ ذا مال لَقُرِّبَ مجْلِسى * وقيل إذا أخطأتُ : أنتَ رشيدُ
رأيتُ الغِنى قد صار فى الناس سُودَدًا ، * وكان الفتى بالمَكْرُمات يسودُ

وإن قلتُ لم يُسمَع مَقالى وإنّنى * لَمُبدِئٌ حقّ بينهم ومُعيدُ
فذَرْنى أُجَوِّلْ فى البلاد لَعلّه * يُسَرَّ صديقٌ أو يُساءُ حسودُ
ألا رُبّما كان الشَّفيقُ مَضَرّةً * عليك من الإشفاق وهو وَدُودُ

وقال أعرابىّ من باهلة

سأُعْمِلُ نَصَّ العِيس حتى يَكُفَّنى * غِنَى المال يوما أو غِنى الحَدَثانِ
فَلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ يُرَى لها * على الحرّ بالإقلال وَسْمُ هَوانِ
متى يتكلّمْ يُلْغَ حُسنُ كلامه * وإن لم يَقُلْ قالوا: عَديمُ بَيانِ
كأنّ الغِنى عن أهله ـ بُورِكَ الغِنى ـ * بغير لسانٍ ناطقٌ بلسانِ

الشرف والسُّودَد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب

أنشد ابن الأعرابىّ

ومَن يفتقرْ فى قومه يَحمَدِ الغِنى * وإن كان فيهم ماجدَ العَمّ مُخْوِلَا
يَمُنّون إن أعطَوْا ويبخلُ بعضُهم * ويُحْسَبُ عجزًا سَكْتُه إن تَجمّلا
ويُزْرِى بعقل المرء قِلّةُ ماله * وإن كان أقوى من رجال وأَحْوَلا

وقرأت فى كتاب للهند: ليس من خَلّة يُمدَح بها الغَنِىُّ إلا ذُمّ بها الفقيرُ، فان كان شجاعا قيل أهْوَجُ، وإن كان وَقُوراً قيل بليدٌ، وإن كان لَسِنا قيل مِهذارٌ، وإن كان زِمِّيتا[1] قيل عَيِىّ. وقال آخر

الفقرُ يُزْرِى بأقوام ذَوِى حسبٍ * وقد يُسَوِّدُ غيرَ السيّد المالُ

وأنشد ابن الأعرابىّ

رُزِقتُ لُبًّا ولم أُرزَق مُروءتَه * وما المروءة إلّا كثرةُ المال
إذا أردتُ مُساماةً يُقَعِّدُنى * عمّا يُنَوِّه باسمى رِقّةُ الحال

(١) الزميت: كثير الوقار.

وقال آخر

يُغَطِّى عيوبَ المرء كثرةُ ماله * يُصدَّق فيما قال وهو كَذوبُ
ويُزْرِى بعقل المـرء قِلَّةُ ماله * يُحَمِّقــه الأقـوامُ وهو لبيبُ

وقال آخر

كم من لئيم الجُدود سوّده الـــمال، أبوه وأمّــه الوَرِقُ
وكم كريم الجـــدودِ ليس له * عيبٌ سوى أنّ ثوبه خَلَقُ
أدّبه سادةٌ كـرام فما * ثوباه إلا العـفاف والخُــلُق

وأنشد الرّياشىّ

غضبانُ[1] يعـلم أنّ المـال ساق له * ما لم يَسُــقْه له دِينٌ ولا خُلُق
لولا ثلاثون ألفـا سُقْتها بَطَــرًا * إلى ثلاثين ألفـا ضاقت الطُّرُق
فمَن يكن عن كِرام الناسِ يسألنى * فأكرمُ[2] الناسِ من كانت له وَرِق

وقال أُحَيْحَةُ بن الجُلَاح

استغنِ أو مُتْ ولا يَغْرُرْكَ[3] ذونَشَب * من ابن عمّ ولا عمّ ولا خال
يلوون ما عنـدهم من حق أقربهم * وعن صديقهـم والمـالُ بالوالى
ولا أزال على الزَّوْراء[4] أعمُرها، * إنّ الكريم على الإخوان ذو المـال
كلّ النـــداء إذا ناديتُ يَخـذُلنى * إلّا ندائى إذا ناديتُ يا مالى

وقال حسّان

رُبَّ حِلمٍ أضاعه عَـدَمُ المـا * ل وجهـلٍ غطّى عليه النعيمُ

وقال الهُذَلىّ

رأيتُ مَعاشِرا يُثْنَى عليهـم * إذا شَبِعوا وأوجُهُهم قِباحُ

---

(١) فى العقد الفريد «حيران» . (٢) فى الأصل «قات اه الناس الخ» والتصويب عن العقد الفريد .
(٣) فى الأصول يعزرك بالعين والزاى . والتصويب من الأغانى . (٤) فى القاموس : الزوراء مال لأحيحة .

يَظَلّ المُصْرِمون[1] لهم سُجُودا * ولو لم يُسْقَ عندهمُ ضَيَاحُ[2]

ويروى يُلْف. وقال بعضهم: وددت أنّ لى مثل أُحُد ذهبا لا أنتفع منه بشىء. قيل له: فما تصنع به؟ قال: لكثرة من يخدمنى عليه. قال الصَّلَتان

إذا قلتَ يوما لمن قد ترى: * أرُونى السَّرِىَّ، أرَوْكَ الغَنِى

وسِرُّك ما كان عند آمرئٍ * وسِرّ الثــلاثة غيرُ الخَفِى

وقال آخر

لا تسألى النّاسَ: مامجدى وماشَرَفى، * الشأنُ فى فِضّتى والشأنُ فى ذهبى

لو لم يكن لِىَ مال لم يَطُرْ أحد * بابى ولم يعرفوا مجدى ومجد أبى

وقال آخر

أجلّك قوم حين صِرْتَ إلى الغِنَى، * وكُلُّ غَنِىّ فى العيون جليــلُ

ولو كنتَ ذا عقل ولم تُؤتَ ثروةً * ذَلَلْت لديهــم والفقــير ذليــلُ

إذا مالت الدنيا على المرء رغّبَت * إليــه ومال النــاسُ حيث يميلُ

وليس الغِنَى إلّا غِنًى زَيّن الفتى * عشــيّةَ يَقْــرِى أو غداةَ يُنيــلُ

وقال آخر

وكُلُّ مُقِــلٍّ حين يغــدو لحاجة * إلى كلّ من يغدو[3] من الناس مذنبُ

وكان بنو عمى يقولون مرحبا * فلما رَأَوْنى مُعْدِمًا مات مرحبُ

وقال آخر

أبا مصلح أصلح ولا تك مفسدا * فانّ صلاحَ المــال خيرٌ من الفقرِ

ألم تر أنّ المــرء يزداد عِزّةً * على قومــه إن يعلموا أنه مُثرى

وقال عُرْوة بن الوَرْد

ذَرِينى للغِنَى أسـعى فإنى * رأيتُ النّاس شرُّهم الفقيرُ

(١) المصرم: الفقير الكثير العيال. (٢) الضياح: اللبن الرقيق المزوج بالماء.
(٣) كذا بالأصول، وفى العقد الفريد «يلق».

وأبعدُهم وأهونُهم عليهـم * وإن أمسى له حَسَبٌ وخِيرُ
ويُقصِيه النّدِىُّ وتزدريه * حليلته وينهَـرُه الصـغيرُ
وتُلفِي ذا الغِنَى وله جلالٌ * يكاد فؤاد صاحبـه يطيرُ
قليـلٌ ذنبـه والذنبُ جَمٌّ * ولكن للغِنى ربٌّ غفـورُ

وقال زيد بن عمرو بن نُفيل

وَيْكَأنْ مَن يكن له نَشَـبٌ يُحْـبَبْ، ومن يفتقرْ يعِشْ عيشَ ضُرّ
ويُجنَّبْ سِرّ النـجِيّ ولكنّ أخا المـال مُحضَرٌ كلّ سِرّ

وقال آخر

ألم ترَ بيتَ الفقرِ يُهجَرُ أهلُهُ * وبيتَ الغِنَى يُهْدَى له ويُزارُ .

وقال آخر

إذا ما قلّ مالك كنت فردا * وأىُّ الناس زُوّار المُقِلّ ؟

وقال عبد العزيز بن زُرَارة

وما لبُّ اللبيب بغـير حظّ * بأغنى فى المعيشة من فَتيـلِ
رأيتُ الحظّ يسـتُر عيبَ قوم * وهيهات الحظوظُ من العقول

وقال الطائىّ

الصبر كاسٍ وبطنُ الكف عاريةٌ * والعقلُ عارٍ اذا لم يُكسَ بالنَّشَب
ما أضيَعَ العقلَ ان لم يَرْعَ ضيعتَه * وَفْرٌ، وأىّ رحًا دارت بلا قُطُب؟

وقال آخر

عِش بجَدٍّ ولا يضُرّك نَوْكٌ[1] * انما عيشُ من ترَى بالجدود
عِش بجـدّ وكن هَبنَّقَةَ القيـسىّ نَوْكا أو خالدَ بن يزيد[2]

(١) فى الأصول «فلم» ، والتصويب عن البيان للجاحظ .
(٢) فى البيان للجاحظ «شيبة بن الوليد» ، وهو الموافق لما فى اللسان فى مادة هبنق .

وقال الطائىّ

يَنَـالُ الفتى من عيشه وهو جاهلٌ * ويُكْدِى الفتى فى دهره وهو عالمُ
ولو كانت الأرزاقُ تجرى على الحِجَا * هلكنَ اذًا من جهلهنّ البهائمُ

وقال المرّار

اذا لم تُرافـد فى الرِّفاد ولم تَسُقْ * عدوًا ولم تستغن فالموت أروحُ

وقال ابن الدُّمَيْنة الثقفىّ

أطعتُ العِرْسَ فى الشهوات حتى * أعادتنى عَسِيفًا عبـدَ عبـدِ
اذا ما جئتُهـا قـد بعتُ عَـذْقا * تُعـانِقُ أو تقبّـلُ أو تُفَـدِّى

وقال الأسْعَر الجُعْفىّ

وخَصَاصـةُ الجُعْفىّ ما داينتَـه * لا ينقضى أبدا وإن قيل انقضى
إخوانُ صدقٍ ما رأوك بغِبْطة * فان افتقرتَ فقد هوى بك ما هوى

وقال آخر

اذا المرء لم يَكسِب معاشا لنفسـه * شكا الفقر أو لاقَى الصديقَ فأكثرا
وصار على الأدنينَ كَلًّا وأوشكت * صِلاتُ ذوى القربى له أن تَنَكَّرا
فَسِر فى بلاد الله والتمس الغـنى * تَعِشْ ذا يسار أو تموتَ فتُعْـذَرا
وما طالبُ الحاجات من حيث تُبتغى * من النـاس إلا من أجدّ وشمّـرا
فـلا ترض من عيشٍ بدونٍ ولا تَنَمْ * وكيف ينامُ الليلَ من كان مُعسِرا

وقال آخر

مَنْ يجمع المـالَ ولا يُثِبْ بِه * ويترِكِ العـامَ لعـامٍ جَدْبِه
* يَهُنْ على الناس هوانَ كلبه *

قال أبو اليَقْظان : ماساد مُمْلِقٌ قط الا عُتْبَةُ بن ربيعة .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ عن حمّاد بن سَلَمَة عن عُبَيد الله بن العيزار عن عبد الله بن عمرو أنه قال: احرُث لدنياك كأنّك تعيش أبدا واحرُث لآخرتك كأنّك تموت غدًا .

قال حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ قال حدّثنى أصحـاب أيّوب عن أيّوب قال : كان أبو قِلَابة يَحُثُّنى على الاحتراف ويقول : إنّ الغِنَى من العافية .

قال وقال الأصمعىّ : سأل اعرابىّ عن رجل فقالوا : أحمقُ مرزوقٌ، فقال : ذاك والله الرجل الكامل . وكان يقال : من حفظ مالَه فقد حفظ الأكرمَين: الدّينَ والعِرضَ . ويقال فى بعض كتب الله : أطعنى فيما آمرك ولا تُعلِمنى بمـا ينفعُك وآمدد يدَك لباب من العمل أفتحْ لك بابا من الرزق . وكان يقال : من غَلَى دماغه فى الصيف غَلَتْ قِدْرُه فى الشـتاء . ويقال : حفظُ المـال أشدُّ من جمعه . وقال الحسن : اذا أردتم أن تعلموا مِنْ [أين](١) أصاب المـال فانظروا فيم ينفِقه فانّ الخبيث يُنفَقُ سَرَفا . ونحوه قولهم: من أصاب مالا من نَهاوِش(٢) أذهبه الله فى نَهابِر. ويُقال فى مثل « الكَدّ قبل المدّ » يراد الطلبُ قبـل العَجاجة(٣) والعجز . وقال لَقِيط «الغزو أدرّ(٤) للّقاح وأحدّ للسلاح» . وقال أبو المعافى

وإن التوانى أنكح العجزَ بنتَـه * وساق اليها حين زوّجها مَهْـرا
فِراشًا وطِيئًا ثم قال لهـا آتّكى * قُصاراهما لا بدّ أن يَلِدا الفقرا

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) فى الأصل «مهاوش» بالميم ، والتصحيح عن لسان العرب فى مادة نهبر . (٣) هكذا بالأصول ولعلها محرفة عن الحاجة . (٤) فى النسخة الألمانية هكذا : « وقال لقيط الفزارى درّ للّقاح وأحد للسلاح » وفى الفتوغرافية «الغز» بغير واو، والتصويب عن مجمع الأمثال للميدانى .

وقال زيد بن جَبَلة : لا فقير أفقرُ من غنيّ أمِنَ الفقرَ . وروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : ما دون أربعة آلاف درهم نفقةٌ، وما فوقها كنزٌ . ويقال : القبرُ ولا الفقرُ . ويقال : ما سبق عيالٌ مالًا قطّ إلا كان صاحبه فقيرا . وقيل لرجل من البصريين : مالَكَ لا يَنْمِى مالُكَ؟ قال : لأنى اتخذتُ العيالَ قبل المال واتخذ الناسُ المالَ قبل العيال . ويقال : العيالُ سوسُ المال . وقيل لمدينىّ : كيف حالُك ؟ قال : كيف يكون حال من ذهب مالُه وبقيت عادتُه . ويقال : الغنَى فى الغربة وطنٌ والفقرُ فى الوطن غربةٌ .

حدّثنى محمد بن يحيى بإسناد ذكره قال : شكا نبىّ من الأنبياء الى الله شدّةَ الفقر فأوحى اللهُ اليه : هكذا جرى أمرُك عندى أفتريد من أجلك أن أُعيدَ الدنيا .

قال أبو حاتم قال حدّثنا العُتبىّ قال سمعت يونس بن حبيب يقول : ما أجدب أهلُ البادية قطّ حتى تسوّيهم السَّنةُ ثم جاءهم الخِصْب إلا عاد الغِنى الى أهل الغنى .

قال الأصمعىّ رأيت أعرابية ذات جمال رائع تسأل بمِنًى فقلت : يا أمة الله تَسألينَ ولكِ هذا الجمالُ! قالت : قدّر اللهُ فما أصنعُ؟ قلت : فمن أين معاشُكم؟ قالت : هذا الحاجُّ نتقمّمُهم ونغسلُ ثيابَهم . فقلت : فاذا ذهب الحاجُّ فمن أين؟ فنظرتْ الىّ وقالت : يا صُلْبَ الجبين! لو كنّا إنما نعيشُ من حيث نَعلمُ لما عِشْنا . وقال الشاعر

أتُراني أرَى من الدهر يوما * لِىَ فيه مطيةٌ غيرُ رِجْلى
واذا كنتُ فى جميع فقالوا * قرِّبوا للرحيل قدّمتُ نَعْلى
حيثما كنت لا أُخلّف رحلا * مَنْ رآنى فقد رآنى ورَحْلى

قيل لمدينىّ : ما عندك من آلة الحج؟ قال : التلبيةُ . وقيل لآخر : ما عندك من آلة العصيدة؟ قال : الماءُ . وقيل لآخر : ما عندك من آلة القريس؟ قال : الشتاءُ .

ذم الغـــنى ومـــدح الفقر

قال شُرَيح : الجِدَةُ كنيةُ البَهْل . وقال أكثمُ بن صَيْفِيّ : ما يسرُّنى(١) أنى مَكْفِىٌّ كلَّ أمرِ الدنيا . قيل : وإن أسمنتَ وألبنتَ ؟ قال : نعم ، أكره عادةَ العَجْز . وكان يقال : عَيبُ الغِنَى أنه يُورِثُ البَلَهَ ، وفضيلةُ الفقر أنه يورث الفِكرَةَ . وقال محمد بن حازم الباهلىّ

ما الفقرُ عارٌ ولا الغنى شَرَف * ولا سخـاء فى طاعةٍ سَرَف
ما لكَ إلّا شىءٌ تُقــدِّمه * وكُلُّ شىء أخرتَه تَلَف
تركُكَ مالًا لــوارثٍ يتهنّــاه وتَصلَى بحرِّه أسـفُ

وقال ابن مُناذر

رَضِينا قِسْـمةَ الرحمٰن فينا * لنـا عِــلْمٌ وللثقفِيّ مالُ
وما الثّقفىُّ إن جادت كُساه * وراعَكَ شخصُه إلا خيـالُ

وقال أنس بن مالك : لـمّا خرج مروانُ من المدينة مرّ بماله بذى خُشُب(٢) فلما نظر اليه قال : ليس المـالُ إلا ما أشرِجتْ عليه المناطقُ . ورُوِى عن المسيح أنّه قال : فى المـال ثلاثُ خصالٍ ، قالوا : وما هى يارُوحَ الله : قال : لا يَكسِبُه مِنْ حِلّه قالوا : فإن فعل قال : يمنعُه من حقّه ، قالوا : فان لم يفعل ، قال : يَشْغَله إصلاحُه عن عبادة ربه . قيل لابن عمر : توفّى زيد بن حارثة وترك مائة ألف درهم ، قال : لكنها لا تتركه . وقال المَعْلوط

ولا سـوّد المـالُ الّدنىَّ ولا دنا * لذاك ولكنّ الكريم يَسُــودُ
متى ما يَرَ النـاسُ الغنىَّ وجارَه * فقـيرًا(٣) يقولوا عاجــزٌ وجليـدُ

(١) فى النسخة الألمـانية : «يسوءنى» . وهو خطأ .

(٢) فى القاموس : وخشب بجنب واد باليمامة وواد بالمدينة ، وفى المرتضى فى شرح القاموس وابن الأثير فى النهاية أنه واد على مسيرة ليلة من المدينة وله ذكر كثير فى الأحاديث والمغازى و يقال له ذو خشب .

(٣) كذا بالأصل ، وفى الحماسة : «وجاره فقير» بالرفع على أن الواو للحال .

وليس الغِنَى والفقر من حيلة الفتى * ولكن أَحَاظٍ قُسِّمَتْ وجُدودُ
فكم قد رأينا من غنيٍّ مُذَمَّمٍ * وصُعلوكِ قومٍ مات وهو حميدُ
اذا المرء أعيته المُروءة ناشئا * فمطلبُها كهلًا عليه شديدُ

وقال آخر

ولا تُهِينَ الفقيرَ علّك أن * تركَعَ يومًا والدهرُ قد رفَعَهْ

الأخفَش قال: قال المبرّد: أُريد النونُ الخفيفةُ فى ولا تهينَ فأسقط التنوين[1] لسكونه وسكون اللام . وقال آخر

ولستُ بنظّارٍ الى جانب الغِنَى * اذا كانت العلياءُ فى جانب الفقر
وإنّى لصبّارٌ على ما ينُوبُنى * لأنى رأيتُ الله أثنَى على الصبر

وقال أعرابىّ يمدح قومًا

اذا افتقروا عَضّوا على الصبر حِسْبَةً * وإن أيسروا عادوا سِراعًا الى الفقر

يقول : يُعطون ما عندهم حتى يفتقروا . قال الحسن : عيّرت اليهودُ عيسى بن مريم بالفقر فقال : من الغنى أُتيتُم، وقال : حسبُك من شرف الفقر أنك لا ترَى أحدا يعصى الله ليفتقرَ . أنشد ابن الأعرابىّ[2]

المال يغشى رجالا لا طَبَاخَ[3] بهم * كالسَّيل يغشى أصولَ الدِّنْدِنِ[4] البالى

وقال الطائىّ

لا تنكرى عَطَلَ الكريم من الغِنَى * فالسيلُ حَرْبٌ للمكان العالى

قال عمر بن الخطاب : من دخل على الأغنياء خرج وهو ساخط على الله . قال آعرابىّ : الغَنىُّ من كثُرت حسناته والفقير من قلّ نصيبه منها . وقال ذو الأصبع

(١) عبارة المبرد فى الكامل بعد أن أورد البيت : أراد ولا تهينن بالنون الخفيفة فحذفها لالتقاء الساكنين فلعل ما هنا محرف من «فأسقط النون لسكونها وسكون اللام» . (٢) عزاه فى اللسان الى حسان ابن ثابت، ثم قال وورد هذا البيت فى شعر لحية بن خلف الطائى . (٣) الطباخ : القوة، قال فى اللسان ومعناه فى البيت : لا عقل لهم . (٤) ما بلى وعفن من أصول الشجر .

لِيَ ٱبْنُ عمّ على ما كان من خُلُقِى * مخـالفٌ لِيَ أقْليـه ويَقْلِينى
أَزْرَى بنا أننـا شَالَتْ نَعَامَتُنا * فخالنى دونه بل خلتُـه دونى

وقال آخر

إنّ الحـرام غزيرةٌ حَلَبَـاته * ووجدتُ حالبةَ الحلال مَصُورا

قيل لأعرابى : ان فلانا أفاد مالا عظيما قال : فهل أفاد معه أياما يُنفقه فيها ؟ . وفى كتاب للهند : ذو المروءة يكرَم مُعْدِمًا كالأسد يُهَابُ وإن كان رابضًا ، ومن لا مروءة له يُهانُ وإن كان موسرا كالكلب وإن طُوِّق وحُلِّى . وقال خِدَاش بن زُهير

أعاذِل إنّ المـالَ أعْـلمُ أنّه * وجامعَـه للغائلات الغوائل
متى تجعلينى فوق نعشك تعلَمِى * أيُغْنِى مكانِى أبْكُرِى وأَفَائِلى

وقال آخر

اذا المرء أثرى ثمّ قال لقومـه * أنا السيّدُ المَقْضِى اليـه المعظَّمُ
ولم يُعطهم خيرًا أبَوْا أن يسودَهم * وهان عليهم رغمُـه وهو أظلم

وقال زَبّانُ بن سَيّار

ولسنا كقوم مُحْدَثِينَ سـيادةً * يُرَى مالُهـا ولا يُحَسُّ فَعَالُهـا
مساعيهم مقصـورةٌ فى بيوتهم * ومسعاتُنا ذُبيانُ طُرًّا عِيالُهـا

وقال أبو عبيد الله الكاتب : الصبرُ على حقوق المروءة أشدُّ من الصـبر على ألم الحاجة ، وذِلّةُ الفقر مانعةٌ من عزّ الصبر كما أنّ عزّ الغنى مانعٌ من كرم الإنصاف . وقال بعض المتكلمين فى ذمّ الغنى : ألم تر ذا الغِنَى ما أدْوَم نَصَبه ، وأقلّ راحتَه ، وأخسّ من ماله حظّه ، وأشدّ من الأيام حَذَرَه ، وأغرى الدّهر بثَلْمه ونقضه ، ثمّ هو بين سلطان يرعاه ، وحقوق تسترثيه ، وأكفاء يتنافسونه ، ووَلَدٍ يودّون فراقه ، قد بعث عليه الغِنى من سلطانه العَنَاءَ ، ومن أكفائه الحسدَ ، ومن أعدائه البَغْىَ ، ومن ذوى

الحقوق الذمّ، ومن الولد الملامة، لا كذى البُلْغة قَنِع فدام له السرورُ، ورفض الدنيا فسلِم له الجسدُ، ورضى بالكفاف فتنكّبته الحقوقُ. ضَجِر أعرابىٌّ بكثرة العيال والولد مع الفقر وبلغه أنّ الوباء بخَيْبَر شديد فخرج اليها بعياله يُعرِّضهم للموت، وأنشأ يقول

قلتُ لحُمَّى خيبرَ ٱستعِدّى * هاكِ عيالى وٱجهَدِى وجِدّى

وباكِرِى بصالبٍ ووِرْدِ * أعانكِ اللهُ على ذا الجندِ

فأخذته الحمّى فمات هو وبقى عيالُه. وكتب عمر بن الخطاب الى ٱبنه عبد الله: يابنىّ، ٱتق الله، فإنه من ٱتقى الله وقاه، ومن توكّل عليه كفاه، ومن شكره زاده، فلتكن التقوى عِماد عينيك وجِلاءَ قلبك، وٱعلم أنه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حِسْبَة له، ولا مال لمن لا رِفق له، ولا جديد لمن لا خَلَق له. وقال محمود الورّاق

يا عائبَ الفقر ألا تَزْدَجِرْ * عَيْبُ الغِنَى أكثرُ لو تَعْتَبِرْ

مِن شَرَفِ الفقر ومن فضله * على الغِنَى إن صحّ منك النظرْ

أنك تَعْصِى اللهَ تبغى الغِنَى * ولستَ تَعْصِى اللهَ كى تفتقرْ

وقال آخر

ليس لى مالٌ سوى كرمى * فيه لى أمْنٌ من العُدُم

لا أقول: اللهُ أعدَمنى * كيف أشكو غيرَ متّهَمِ

قنِعتْ نفسى بما رُزِقتْ * وتمطّت بالعُلى هِمَمِى

وجعلتُ الصبرَ سابغةً * فهى من قَرْنِى الى قدَمِى

فاذا ما الدهرُ عاتَبَنِى * لم يجِدْنى كافرًا نِعَمِى

التجارة والبيع والشراء

قال: حدّثنى محمد بن عُبَيْد عن معاوية بن عمرو عن ابن إسحق عمّن حدّثه يرفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُعِثْتُ مَرْحَمَةً ومرحمةً ولم أُبْعَثْ تاجرًا ولا زرّاعًا وإنّ شرّ هذه الأمّة التّجارُ والزرّاعون إلا مَنْ شَحّ عن دِينه». وفى حديث

آخر رواه أبو معاوية عن الأعمش عن وائل بن داود عن سعيد بن جُبَير: سئل النبيّ صلى الله عليـه وسلم أيُّ الكسب أطيبُ قال : «عَمَلُ الرجل بيـده وكُلُّ بيع مبرور» .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدّثنا عَوْن بن عُمارة عن هشام بن حسّـان عن الحسن أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : من تَجَرَ فى شىء ثلاث مرات فلم يُصِبْ فيه فليتحوّل منه الى غيره. وقال : فرّقوا بين المنايا[(١)]، واجعلوا الرأسَ رأسين ولا تَلِثُّوا بدار مَعْجَزَة. وقال : اذا اشتريتَ بعيراً فاشتَرِه عظيمَ الخَلْق فإن أخطأك خيرٌ لم يُخْطِئك سوقٌ. وقال : بِعِ الحيوانَ أحسَنَ ما يكون فى عينك . وقال الحسن : الأسواقُ موائدُ الله فى الأرض فمن أتاها أصاب منها. ابن المبارك عن مَعْمَر عن الزُّهرى قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يبيع شيئا، فقال : «عليك بالسَّوْم أوّلَ السوق فإن الرَّباح مع السماح». وكان يقال : اِسْمَحْ يُسْمَحْ لك . وفى بعض الحديث المرفوع : «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأغنياءَ باتّخاذ الغنم والفقراءَ باتّخاذ الدَّجاج» . وقيل للزُّبَير : بِمَ بلغتَ ما بلغت من اليسار ؟ قال : لم أرُدَّ ربحًا ولم أستَرْ عيباً . دخل ناسٌ على معاوية فسألهم عن صنائعهم ، فقالوا : بيعُ الرقيق . قال : بئس التّجارةُ ضمانُ نفسٍ ومَئُونةُ ضِرْس .

باع رجلٌ ضَيْعةً فقال للمشترى : أما والله لقد أخذتَها ثقيلةَ المئُونة قليلةَ المنفعة، فقال : وأنت والله لقد أخذتَها بطيئةَ الاجتماع سريعةَ التفرّق . واشترى رجل من

(١) رواه ابن الأثير فى النهاية وابن منظور فى اللسان « فرّقوا عن المنية واجعلوا الرأس رأسين الخ » وقالا فى تفسيره : اذا اشتريتم الرقيق أو غيره من الحيوان فلا تغالوا فى الثمن واشتروا بثمن الرأس الواحد رأسين فان مات الواحد بقى الآخر فكأنكم فرقتم مالكم عن المنية اه ولا تلثوا بدار معجزة أى لا تقيموا بدار يعجزكم فيها طلب الرزق وتحوّلوا عنها الى غيرها .

رجل دارًا فقال له المشترى : لو صبرتَ لاشتريتُ منك الذراعَ بعشرة، فقال : وأنت لو صبرتَ بعتُك الذراع بدرهم .

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ أنّ أبا سُفيان بن العَلَاء باع غلامًا له بثلاثين ألفًا فقال عمر بن أبى زائدة : هذا أحمق، قالوا : كيف؟ قال : لأنّه لم يبلغ ثلاثين ألفا حتى أُعطى قبل ذلك عشرون ألفا فكيف آنتظر ولم يغتنمها . ورُئى عبد الله ابن جعفر يُمَاكِس فى درهم فقيل له : أتُمَاكس فى درهم وأنت تجود من المال بما تجود به؟ قال : ذلك مالى جدتُ به وهذا عقلى بَخِلْتُه[1] . ابتاع آبن عمر شيئا فحثا له البائعُ على المكيال فقال له آبن عمر أرسل يدكَ ولاتُمسِكْ على رأسه فإنّمـا لى ما يحمله المكيالُ . كان جريرُبن عبد الله اذا آشترى شيئًا قال لصاحبه: إن الذى أخذنا منك خيرٌ ممّا أعطيناك اذ أظنّ أنّه كذلك فأنتَ بالخيار . اشترى عمرو بن عُبَيد إزارا للحسن بستّة دراهم ونصف فأعطاه سَبْعةَ دراهم فقال الرجل : انمـا بعتُه بستة دراهم ونصف، فقال عمرو : إنى اشتريتُه لرجل لا يقاسِم أخاه درهما .

قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ عن أبى الزّناد قال : اذا عَزَب المـالُ قَلّتْ فواضلُه ، لا بَلَحةَ ولا بُسْرةَ ولا رُطَبةَ ولا كُرْنَافةَ . ونحوه قول بعض الحجازيّين

سَأَبغيـكَ مالًا بالمدينـة إنّنى * أرَى عازبَ الأموال قَلّتْ فواضلُهْ

قال عمر بن عبد الرحمن بن عوف : قَسَم سهلُ بن حُنَيف بيننا أموالنا وقال لى : يابنَ أختى إنى أُوثِرُكَ بالقرابة، اعلمْ أنّه لامال لأخرقَ ولاعَيْلةَ على مُصلح، وخيرُ المـال ما أطعمك لا ما أطعمتَه، وإن الرقيقَ جَمَالٌ وليس بمال . قال زياد : ليس لذى ضَعْف

(١) كذا بالأصل ولعله بخلت به .

مثل أرض عُشْرٍ وليس لذى جاه مثلُ خَراجٍ وليس لتاجرٍ مثلُ صامتٍ. قال رجل لآخر: بكم تبيع الشاةَ؟ قال: أخذتُها بستةٍ وهى خير من سبعةٍ وقد أُعطيتُ بها ثمانيةً فان كانت من حاجتك بتسعةٍ فَزِنْ عشرةً . كان يقال : خيرُ المال عينٌ خَرّارة، فى أرض خوّارة، تُفَجِّرُها الفارة، تسهرُ اذا نِمتَ، وتشهدُ اذا غِبْتَ ، وتكون عقباً اذا مِتَّ . عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزهرىّ عن سعيد بن المسيّب قال: إن الله اذا أبغض عبدا جعل رزقه فى الصِّياح . وقال الفُضَيل مثلَ ذلك وقال: أما سمعتَ الى أهل دارِ البطّيخ والمَلّاحينَ ودَوِيِّهم .

قال حدّثنا أحمد بن الخليل قال حدّثنا أحمد بن الحارث الهُجَيْمىّ قال حدّثنا المُبارك بن سعيد عن بُرْد بن سِنان عن نافع عن ابن عمر أنّه كان لا يرى بالمُكايَسة والمُماكسة فى الشراء والبَيْع بأسًا .

قال حدّثنى محمد قال حدّثنى الأصبهانىّ عن يحيى بن أبى زائدة عن مُجالِد عن أبى بُردة . قال : أتى عمرُ غلامًا له يبيع الحُلَل، فقال له: اذا كان الثوب عاجزا فانشره وأنت جالسٌ وإذا كان واسعا فانشره وأنت قائم . قال، فقلتُ له : اللهَ اللهَ ياعمرُ. قال : إنما هى السُّوق . قال عبد الله بن الحسين : غَلّةُ الدور مُسْكةٌ وغلّةُ النخلِ كَفَافٌ وغلّةُ الحَبّ الغِنَى . قال أعرابىّ

زيادةُ شيءٍ تُلحِقُ النفسَ بالمُنَى * وبعضُ الغلاء فى التجارة أربحُ

ولمّا بلغ عُتبةَ بنَ غَزْوانَ أنّ أهل البصرة قد اتخذوا الضِّياعَ وعَمَروا الأرضين كتب اليهم : لا تُنْهِكوا وجهَ الأرض فإن شَحْمتها فى وجهها . قال أعرابىّ

وفى السُّوق حاجاتٌ وفى النَّقْدِ قِلّةٌ * وليس بمُقْضِى(١) الحاجِ غيرُ الدّراهِمِ.

قال ميمون بن ميمون : من اشترى الأشياءَ بِنَعْتِ أهلها غُبِنَ .

(١) كذا بالأصل . ولم نجد فى القاموس أو اللسان أقضى بمعنى قضى . ولعله : وليس مُقضِّى الخ .

حدثنى سهل بن محمد عن الأصمعى . قال : حدثنى شُكْر الحَرَشى[1] قال : جاء الحسن بشاةٍ فقال لى بِعْها وآبرأ من أنها تقلِبُ المَعْلَف وتنزِعُ الوَتِدَ مِنْ قَبْلِ البيع لئلا يقولوا ندم . قال الشاعر

اذا ما تاجرٌ لم يُوفِ كيلاً * فصُبَّ على أنامله الجُذام

ابن الزيات فى الطائى

رأيتُكَ سهلَ البيع سَمْحًا وإنما * يُغَالِى اذا ما ظنّ[2] بالشىء بائعُهْ

هو الماء إن أحميتَه طاب شُرْبُهُ * ويَكْدُرُ يوما أن تُبَاحَ مشارِعُهْ

حُدّثت عن شَيْبان بن فَرّوخ عن أبى الأشهب عن الحسن قال : كان رجل يَتّجِر فى البحر ويحمل الخمرَ يأتى بها قوما ، فعمَد اليها فمزجها نصفين وأتاهم بها فباعها بحساب الصِّرْف وآشترى قردًا فحمله معه فى السفينة ، فلمّا لجّج فى البحر لم يَشْعُرْ إلّا وقد أخذ القردُ الكيسَ وعلا على الصّارِى وجعل يُلقِى دينارًا فى البحر ودينارا فى السفينة حتى قسمه قِسمين . قال رجلٌ من الحاجّ : أتانا رجل من الأعراب بالرمل فى طريق مكّة بغِرارة فيها كَمْأة ، فقلنا له : بِكَمِ الغِرارةُ؟ فقال : بدرهمين ، فقلنا : لك ذلك ، فأخذناها ودفعنا اليه الثمن ، فلما نهض قال له رجل منا : فى آست المغبون عُودٌ ، فقال : بل عودان وضرب الأرض برجله فاذا نحن على الكمأة قيامٌ . قيل لأعرابىّ : ألا تشترى لابنك بِطّيخةً . فقال : لا ، أو يبلغَ من كساده أن يكون إذا تناول منُ بين يَدَى البقّال وأخذه وعَدَا رماه بأخرى ولم يَعْدُ خلفه . اشترى أعرابىّ غلامًا فقال للبائع : هل فيه من عيبٍ ، فقال : لا ، غيرَ أنّه يبول فى الفراش . فقال : ليس هذا بعيبٍ ، إن وجد فِراشًا فليبُلْ فيه .

(١) فى الألمانية «الحارثى» .

(٢) هكذا بالأصل ظنّ بالظاء ولعله ضنّ بالضاد المعجمة بمعنى بخل .

الدَّيْن

قال ثابت قُطْنة : الدَّين عُقْلة الشريف . وقال دُليم

اللهُ لَقَّى من عَرابة بَيْعَــةً * على حينَ كاد النَّقدُ يعسُر عاجِلُهْ
ولوّى بَنانَ الكفِّ يحسُب ربحَه * ولم يحسُب المَطْلَ الذى أنا ماطِلُهْ
سيرضى من الرِّبح الذى كان يرتجِى * بأس الذى أَعْطَى وهل هو قابِلُهْ

عبدُ الرازق عن ابن جُرَيج قال : رآنى عمر وأنا متقنِّع ، فقال : يا أباخالد ، إن لقمان كان يقول : القِناعُ بالليل رِيبةٌ وبالنهار مذلّةٌ ، فقلتُ : إنّ لقمان لم يكن عليه دَينٌ . كتب يعقوب بن داود الى بعض العُبّاد يسأله القدومَ عليه ، فأتى محمدَ بن النضر الحارثىَّ فاستشاره وقال : لعلّ اللهَ يقضى دَينى ، فقال محمد بن النضر : لَأَنْ تلقى اللهَ وعليكَ دَينٌ ولك دِينٌ خيرٌ من أن تلقاه وقد قضيتَ دَيْنَكَ وذهب دِينُكَ ، . قال عِيَاض بن عبد الله : الدَّينُ رايةُ الله فى أرضــه فاذا أراد أن يُذِلّ عبدًا جعلها طَوقًا فى عنقه . دخل عُتْبة بن عمرو(1) على خالد القَسْرىّ . فقال خالد يُعرِّض به : إنّ ههنا رجالا يَدّانون فى أموالهم فاذا فنيت آدّانوا فى أعراضهم . فقال عتبة : إن رجالا لا تكون مُروءاتُهم أكثرَ من أموالهم فيَدّانون على سَعَة ما عند الله ، فخجل خالد وقال : إنّك منهم ما علمتُ . وقال أعرابىّ يذكر غُرَماء له

جاءوا إلىّ غِضـابًا يَلْغَطون معا * يَشفِى أذاتَهُمُ أن غاب أنصارى
لما أبَوْا جَهْــرةً إلا ملازمتى * أجمعتُ مكرًا بهم فى غـير إنكار
وقلت إنى ســيأتينى غدًا جَلَبى * وإنّ موعِدَكم دارُ ابنِ هَبّار
وما أُواعِــدهم إلا لِأَرْبُثَهُــم(2) * عنى فيُخرِجُنى نَقْضِى وإمرارى

(1) فى الألمانية عمير بالتصغير . (2) فى العقد الفريد : لأدرأهم .

وما جلبتُ اليهم غيرَ راحلةٍ * تَخْدى برحلى وسيفٍ جَفْنُه عارِى
إن القضاء سيأتى دونه زمنٌ * فاطوِ الصحيفةَ وآحفظها من الفار (١)

وقال آخر لغرمائه

ولو علّقتمونى كلَّ يوم * برجلى أو يدى فى المنجنيق
لمـا أعطيتكم إلا تُرابا * يُطيَّرُ فى الخيآشم والحلوق

وقال آخر

إنَ آخيتَ الأميرَ فقل سلامٌ * عليـك ورحمـةُ اللهِ الرحيمِ
وأما بعـد ذاك فلى غريمٌ * من الأعراب قُبِّحَ من غريمِ
له ألفٌ علىّ ونصفُ ألفٍ * ونصفُ النصفِ فى صَكّ قديمِ
دراهم ما آنتفعتُ بها ولكن * وصلتُ بها شيوخَ بنى تميمِ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى . قال : جاء رجل من بنى مخزوم الى الحارث بن عبد الله بن نَوْفل وهو يقضى عن أخيه دينًا فقال : إنّ لى على أخيك حقًّا، قال : ثبِّتْ حقّك تُعْطَه . قال : أَمِنْ مَلَاءة أخيك ووفائه ندّعى عليه ما ليس لنا؟ فقال : أمِنْ صدقِكَ وبِرّك نقبل قولَكَ بغير بينةٍ ؟ . لزم سهلَ بن هارون دَيْنٌ كثيرٌ، فقال أعرابىّ يوصيه بالتّوارى عن غُرمائه

انزل أبا عمرو على حِـدِّ قريةٍ * تَرَبّعَ الى سهل كثير السّـلَائقِ
وخذ نَفَقَ اليَرْبوع فآسلك طريقَه * ودع عنك إنّى ناطقٌ وآبنُ ناطقِ
وكن كأبى قُطْب على كلّ رائع * له بابُ دارٍ ضيّق العَرْض سامقِ

وأبو قُطْبَة خَنّاق كان بالكوفة مولى لِكِنْدَة .

حدّثنى محمد بن عبيـد . قال : حدّثنى سُفيان بن عُيَينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عُمير أنّ رجلًا كان يُبايع الناسَ ويداينهم، وكان له كاتب ومَتْجَرٌ، فيأتيـه

(١) فى العقد الفريد : النار .

المُعْسِرُ والمستنظِرُ فيقول لكاتبه : أَكْلِئْ وآستنظِرْ وتجاوَزْ ليوم يتجاوز اللهُ عنا فيه ، فمات لا يعمل عملا غيره فغفر الله له . قال شُقْرانُ القُضاعِيّ

لو كنتُ مولى قيس عَيْلانَ لم تجد * عليّ لإنسانٍ من الناس درهما
ولكنّني مولى قُضاعَةَ كلها * فلستُ أُبالى أن أَدِينَ وتَغْرَما

بلغنى عن يحيى بن أيّوب عن الأعمش عن إبراهيم . قال : أرسل عمر الى عبد الرحمن بن عوف يستسلِفُه أربعمائة درهم ، فقال عبد الرحمن : أتستسلِفُني وعندك بيت المال ، ألا تأخذ منه ثم تردّه ، فقال عمر : إنى أتخوّف أن يصيبنى قَدَرى ، فتقول أنت وأصحابُك : اتركوا هذا لأمير المؤمنين ، حتى يؤخذ من ميزانى يوم القيامة ، ولكنى أتسلّفها منك لما أعلم من شُحّك فاذا مِتُّ جئتَ فآستوفيتَها من ميراثى .

كتب أبو عبّاد المهلّبى (١) إلى صديق له مُكثرٍ يَستسلِفُه مالا ، فآعتلّ عليه بالتعذّر وضيق الحال ، فكتب اليه آبن عبّاد (١) : إن كنتَ كاذبا فجعلك الله صادقًا وإن كنتَ ملومًا فجعلك الله معذورًا . أبو اليقظان قال : كان الفضل بن العبّاس بن عُتْبة بن أبي لَهَب الشاعر يُعَيِّن الناسَ فاذا حلّت دراهمُه ركب حمارًا له يقال له شاربُ الريح فيقف على غرمائه ويقول

بَني عمّنا رُدّوا الدراهمَ إنما * يُفَرِّق بين الناس حُبُّ الدراهم

وكان رجل من بنى الدِّيل عَسِر القضاء فاذا تعلّق به غرماؤه فرّ منهم وقال

فلو كنتُ الحديدَ لكسّرونى * ولكنّى أشدُّ من الحديد

فعيّنه الفضلُ فلما كان قبل المَحِلّ جاء فبنى مَعْلَفًا على باب داره ، وكان يقال للرجل عَقْرب فلقى كل واحد من صاحبه شِدّةً ، فهجاه الفضل فقال

(١) فى الألمانية المُهَلّبى ولم نقف على من اشتهر بأبى عباد وهو ابن عباد سوى أبى عباد يحيى بن عباد الضبعى البصرى ولكن المنسوب الى المهلب هو محمد بن عباد بن حبيب المهلبى .

قد تَجرتْ فى دارنا عقربٌ * لا مرحبًا بالعقرب التاجره
إن عادتِ العقربُ عُدنا لها * وكانت النّعـلُ لها حاضره
كُلّ عـدوّ يُتّقى مُقبِـلًا * وعقربٌ تُخشَى من الدّائره
إنّ عدوّا كيدُه فى آسته * لَغيرُ ذى كيدٍ ولا نائره

قال بعضهم : ثلاثة من عازّهم عادت عزّته ذلّة : السلطان، والوالد، والغريم . وفى الحديث المرفوع : «لصاحب الحقّ اليدُ واللسانُ» . المدائنى قال : ساير بعضُ خلفاء بنى أميـة رجلًا وهو يحادثه ثم قطعَ حديثه وآصفرّ لونه، فقال له الرجل : ما هـذا الذى رأيتُ منك؟ قال : رأيت غريمًا لى، قال الشاعر

اذا ما أخذتَ الدّين بالدّين لم يكن * قضاءً ولكن كان غُرمًا على غُرم

وقال آخر

أخذتُ الدّينَ أدفع عن تِلادى * وأَخْذُ الدّين أهلكُ للتّـلاد

كان لرجل من يَحصُبَ على رجل من باهلة دينٌ، فلما حل دينُه هرب الباهلىّ وأنشأ يقول

اذا حلّ دينُ اليحصُبىّ فقل له : * تزوّد بزاد وآستعن بدليـل
سَيُصبحُ فوق أقتمُ الرأس واقعًا (١) * بقَالِى قَلَا أو من وراء دَبيـل

قال المحدّث بهذا : فحدّثنى من رآه بقالِى قَلَا أو بدبيل وهو مصلوب وقد وقعت عليه عُقابٌ . وقف أبو فرعون الأعرابىّ على باب قوم يسألهم، فحلفوا له : ما عندهم شىء يُعطُونه، فقال : استقرضوا لنا شـيئا، فقالوا : ما يُقرضنا أحد شـيئا، فقال أبو فرعون : ذلك لانكم تأخذون ولا تُعطُون، أوقال ولا تَقضُون . أتى قومٌ عِبادِيًّا فقالوا : نحبّ أن تُسلِفَ فلانا ألفَ درهم وتؤخّره بها سنةً، قال : هـذه حاجتان ،

(١) الذى فى اللسان : سيصبح فوق أقتم الريش واقعا .

وسأقضى لكم إحداهما، وإذا أنا فعلتُ فقد أنصفتُ، أنا أؤخره ماشاء . كتب عمر ابن عبد العزيز إلى رجل له عليه دينٌ: قد آن للحقّ الذى عندك أن يرجعَ إلى أهله، ونستغفرُ اللهَ تعالى من حبسه .

اختلاف الهمم والشهوات والأمانى

اجتمع عبد الله بن عمر وعُروة بن الزُّبَير ومُصعَبُ بن الزبير وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة ، فقال لهم مصعبٌ : تمنَّوْا فقالوا : ابدأ أنت . فقال : ولايةُ العراق وتزوّجُ سُكَينةَ ابنة الحسين وعائشة بنت طلحة بن عُبَيد الله ، فنال ذلك وأصدقَ كلَّ واحدة خمسمائة ألف درهم وجهّزها بمثلها . وتمنى عُروةُ بن الزُّبَير الفقهَ وأن يُحمَلَ عنه الحديثُ فنال ذلك . وتمنّى عبدُ الملك الخلافة فنالها . وتمنى عبد الله بن عمر الجنةَ .

قال قُتَيبة بن مُسلم لحُصين بن المُنْذر : ما السّرورُ ؟ قال : امرأةٌ حسناء، ودارٌ قَوْراء، وفرسٌ مُرتَبِطٌ بالفِناء . وقيل لضِرَار بن الحُسين : ما السّرورُ؟ قال : لِواءٌ منشور، وجلوسٌ على السرير، والسـلام عليك أيها الأمير . وقيل لعبـد الملك بن صالح : ما السّرورُ ؟ فقال

كلّ الكرامة نِلتُها * إلّا التحيةَ بالسلام

يريد أنه لم يُسَلَّمْ عليه بالخلافة . وأخذه من قول الآخر

مِن كلّ ما نال الفتى * قد نِلتُـهُ إلا التحيه

يريد المُلكَ . قيل لعبد الملك بن الأهتم : ما السّرورُ؟ فقال : رفعُ الأولياء، وحطُّ الأعداء، وطولُ البقاء، مع القدرة والنمـاء (1) . وقال آخر

أطيبُ الطّيبات قتلُ الأعادى * واختيالٌ على متُونِ الجِياد
وأيادٍ حَبَوْتهنَّ كريمـا * إن عند الكريم تزكو الأيادى

(1) فى النسخة الألمانية «والنُّهَى» .

قيل للفضل بن سهل : ما السّرورُ؟ فقال : توقيعٌ جائز وأمرٌ نافذ . وقال يزيد بن أسد يوما : أيُّ شيءٍ أسرُّ الى القلوب ؟ فقالوا : رجل هَوِىَ زمانا ثم قَدَر، فقال : إن هذا السّرورُ. وقال آخر : رجل طلب الولدَ زمانا فلم يولَد له ثم بُشّر بغلام ، فقال يزيد : أسرّ من هذا كلّه قَفْلَةٌ على غَفْلة . قيل لبعض الحكماء : تمنّ، فقال : مُحادثة الإخوان ، وكَفَاف من عيش يَسُـدّ خَلّتى ويستر عورتى ، والانتقال من ظلّ إلى ظل . قيل لآخر : ما بقى من مَلاذّك ؟ قال : مناقلةُ الإخوان الحديثَ على التّلاع العُفْر فى الليالى القُمْر . قيل لامرئ القيس : ما أطيبُ عيشِ الدنيا؟ فقال : بيضاءُ رُعْبُوبة، بالطّيب مَشوبة[1]، بالشحم مكروبة . وقيل لطَرَفة مثلُ ذلك فقال : مطعمٌ شهِىّ وملبسٌ دَفِىّ، ومركبٌ وطِىّ . وقيـل للأعشى مثلُ ذلك ، فقال : صهباءُ صافية، تمزُجُها ساقية، من صَوْبِ غادية . وقال طَرَفة

ولولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى * وجَـدِّك لم أحْفِل متى قام عُوّدى
فمنهن سبقى العاذلاتِ بشَربة * كُمَيت متى ما تُعْـلَ بالمـاء تُزْبِد
وتقصيرُ يوم الدَّجْن والدجنُ مُعْجِبٌ * ببهكَنَةٍ تحت الطِّـرَاف المُعَـمَّد
وكَرِّى اذا نادى المُضَـاف مُحَنَّبا * كسِيدِ الغَضا نبّهتَـه المتورِّد

وقال أبو نواس

قلتُ بالقُفْص ليحيى * ونـداماى نيـامُ
يا رَضِيعِى ثَدْىَ أُمٍّ * ليس لى عنه فِطَامُ
إنّمـا العيشُ سَماعٌ * ومـدامٌ ونِـدامُ
فإذا فاتك هـذا * فعلى العَيش السلامُ

وقال سُحَيـمٌ

تقول حَذْراءُ: ليس فيك سوى الـ * ـخمر مَعابٌ يَعيبـه أحَـدُ

(١) كذا بالأصل ولعله «مشبوبة» .

فقلتُ: أخطأتَ، بل مُعاقرتى الـــخمرَ وبَذْلِى فيها الذى أجِدُ
هو السَّناء[1] الذى سمعتَ به * لا سَبَدٌ مُخْتِدى[2] ولا لَبَدُ
ويحك لولا الخمورُ لم أحْفِلِ الـــعيشَ ولا أن يَضُمَّنى لَحَدُ
هى الحيا والحياة واللَّهو لا * أنت ولا ثَرْوَةٌ ولا ولَدُ

وقال أبو الهندىّ

تركتُ الخمورَ لأربابها * وأصبحتُ أشربُ ماءً قَرَاحا
وقد كنتُ حينا بها مُعجَبًا * كحبّ الغلامِ الفتاةَ الرَّداحا
وما كان تركى لها أننى * يخافُ نديمى علىّ افتِضاحا
ولكنّ قولى له مرحَبا * وأهلًا مع السّهل وٱنعَم صَباحا

وقال آخر

إسْقِنِى بالكبير إنّى كبيرٌ * إنّما يشربُ الصغيرَ الصغيرُ
لا يَغُرَّنْكَ يا عُبَيدُ خُشوعِى * تحت هذا الخشوعِ فِسقٌ كثيرُ

كان ابن عائشة يُنشِد

لمّا رأيتُ الحظَّ حظَّ الجاهلِ * ولم أر المَغْبونَ غيرَ العاقلِ
رَحَلْتُ عَنْسًا من كروم بابل * فبِتُّ من عقلى على مراحل

وقال آخر

شَرِبْنا من الدّاذِىّ حتى كأننا * ملوكٌ لهم بَرُّ العِراقَينِ والبحرُ
فلمّا ٱنجلت شمسُ النهار رأيتُنا * تولَّى ٱلغِنَى عنا وعاودَنا الفَقرُ

قال بعضهم: العيشُ كلّه فى كثرة المال وصحةِ البدن وخمولِ الذكر. وكان يقال: ليس السّرورُ للنفس بالجِدَةِ، إنما سرورُ النفس بالأمل. قال يزيد بن معاوية:

(١) فى النسخة الألمانية: الثناء. (٢) فى النسخة الألمانية: مخلدى.

ثلاث تُخْلِقُ العقلَ وفيها دليلٌ على الضعف : سرعةُ الجواب ، وطول التمنّى ، والاستغراب فى الضحك . وكان يقال : المُنَى والحُلْمُ أخَوان . وسئل ابن أبى بَكْرة : أىُّ شىءٍ أدْوَمُ إمتاعًا ؟ فقال : المُنَى . وقال الشاعر

إذا تمنَّيتُ بتُّ الليـلَ مُغتبِطًا * إن المُنَى رأسُ أموال المَفالِيس

وقال آخر

ما فاتنى منك فإنّ المُنَى * تدنيـــهِ(1) منّى فكأنّا معا

وقال آخر

وإن لوًّا ليس شيئًا سوى * تسلية اللَّوْماءِ بالباطل

وقال بعض الأعراب

مُنًى إن تكن حقًّا تكن أحسنَ المُنَى * وإلّا فقــد عِشنا بهــا زمنا رَغْدَا
أمانِىُّ من سُــعدَى عِذَابًا كأنمــا * سَقَتْك بها سُــعدى على ظمأٍ بَرْدا

وقال بشار

كرنا أحاديثَ الزمان الذى مضى * فــلَذّ لنــا محمــودُها وذميمُها

وقال المجنون

أيا حَرَجَاتِ الحىّ حيث تحمّلوا * بذى سَلَمٍ لا جَادَكُنّ ربيعُ
وخَيماتُكِ اللّاتى بمُنعَرَج اللِّوَى * بلِيــنَ بِلًى لم تَبْلَهنّ رُبوعُ
فَقدتُكِ من نفسٍ شَعاعٍ(2) فطالمــا * نهيتُكِ عن هــذا وأنتِ جميعُ
فقرّبتِ لى غيرَ القريب وأشرفَتْ * إليك ثنـــايا(3) مالهنّ طُلوعُ

(1) فى الأصل «يدنيه» . (2) كذا فى الأغانى واللسان . وفى الأصول «قلب» .

(3) فى الأصول «منال ثنايا الخ» . والتصويب عن الأغانى .

وقال ابن أبى الدُّمَينة[1]

يا ليتنــا فَرْدَا وحِش ندورُ معًا * نرعَى المِتَانَ[2] ونَخفَى فى نواحيها
أو ليتَ كُدْرَ القطا حلّقن بى وبها * دون السماء فَعِشْنا فى خَوَافيها
أكثرتُ مِن ليتنا لو كان ينفعُنى * ومِن مُنَى النفس لو تُعطَى أمانيها

وقال كُثَيِّر

فياليتنا يا عزّ من غـير ريبة * بعيران نَرعَى فى الفلاة ونَعزُب
نكونُ لذِى مالٍ كثيرٍ يُضِيعُنا * فلا هو يرعانا ولا نحن نُطلَب

وقال جِرَانُ العَوْد

ألا ليتنا طارت عُقابٌ لنا معًا * لها سببٌ عنــد المَجَرَّةِ أو وَكْرُ

وقال مالك بن أسماء

ولمــا نزلنا منزِلًا طَلّه النّــدى * أنِيقًا وبُستانا مِن النَّوْر حَالِيَا
أجَدّ لنا طِيبُ المكان وحسنُه * مُنًى فتمنّينا فكنتِ الأمانيَــا

وأنشدنا الرِّياشىّ

نهارى نهارُ الناس حتّى إذا دجا * لِيَ الليلُ مَلّتنى هناكَ[3] المضاجعُ
أُقضّى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعُنى والهمّ بالليــل جامعُ

وأنشد أبو زيد

كأنّى إذ أسعى لأظفَرَ طائرٌ * مع النجم فى جوّ السماء يَطيرُ
فتًى مُتَلَهّى بالمُنَى فى خلائه * وهنّ وإن حسّنتُهنّ غُرورُ

(١) كذا بالأصول بزيادة أبى، والصواب ابن الدمينة .
(٢) المتان جمع متن وهو ما صلب من الأرض وارتفع .
(٣) فى ديوان ابن الدمينة : « هزتنى اليك » بدل « ملتنى هناك» .

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : زعم شـيخ من بنى القُحَيف قال : تمنّيتُ دارا فمكثتُ أربعة أشهر مُغْتمّاً للدرجة أين أضعُها. قال الوليد بن عبد الملك لبُدَيح المُغَنّى : خذ بنـا فى التمنّى فوالله لأغلبنّك . قال : والله لا تَغلبنى أبدا . قال : بلى . قال بُدَيحٌ : فإنى أتمنّى كِفْلَين من العذاب، وأن يلعَننى الله لعنا كثيرا فخذ ضِعفَىْ ذلك . قال : غلبتنى لعنك الله . قيل لِمُزَبِّد : أيسرّكَ أنّ هذه الجنة لك؟ قال : وأُضْرَبُ عشرينَ سوطا . قالوا : ولِمَ تقول هذا ؟ قال : لأنه لا يكون شىء إلا بشىء .

الأصمعىّ عن مُبَشّر بن بَشير أن رجلا كان يطلبه الحجّاج فمرّ بساباط فيه كلب بين جُبَّين يَقْطُر عليه ماؤهما . فقال: ياليتنى مثلُ هذا الكلب، فما لبث ساعةً أن مُرّ بالكلب فى عنقه حبـلٌ ، فسأل عنه ، فقالوا : جاء كتابُ الحجّاج يأمر فيـه بقتل الكلاب . قال مَدِينىّ لكوفىّ : ما بلغ من حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: وَدِدتُ أنّى وَقَيتُه ولم يكن وصل اليه يوم أُحُدٍ ولا غيره شىءٌ من المكروه إلّا كان بى دونه . قال المدينىّ : وَدِدتُ أن أبا طالب كان أسـلَمَ فسُرَّ به رسـولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنّى كافرٌ .

تمنّى ابن أبى عَتيق أن يُهـدَى له مسلوخٌ يتخذُ منـه طعاما ، فسمعته جارةٌ له فظنّت أنه قد أمر أن يُشتَرَى له ، فانتظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت تَدُقُّ البابَ، وقالت : شَمِمتُ ريحَ قُدوركم فجئتُ لِتطعِمونى، فقال ابن أبى عتيق : جيرانى يَشَمّون ريحَ الأمانِى .

وفى كتاب للهند أن ناسكا كان له عسل وسمن فى جَرّة ، ففكّر يوما فقال : أبيعُ الجرّةَ بعشرة دراهم، وأشترى خمسةَ أعنُزٍ فأُولِدُهُنّ فى كلّ سنةٍ مرتين ، ويبلغ النِّتاجُ فى سنين مائتين ، وأبتـاعُ بكل أربعٍ بقرةً ، وأُصيب بَذْرا فأزرع، ويَنْمِى المـالُ فى يدى ، فأتّخذُ المساكنَ والعبيدَ والإماءَ والأهـلَ ويُولَدُ لى ابنٌ فأسميه كذا وآخذه

بالأدب ، فإن هو عصانى ضربتُ بعصاى رأســه وكانت فى يده عصا فرفعها حاكيا للضرب ، فأصابت الجرّةَ فانكسرت ، وانصبّ العسلُ والسمنُ على رأسه .

ابن الكلبيّ قال : كان رجل من ولد عمر بن الخطاب إذا كان مسرورا قال

ليت أيّامَنا ببُرْقة خَاخٍ * ولياليكَ ياطويلُ تعودُ

وإذا كان مغتمّا قال

تَرَى الشيءَ مما تَتّقِى فتخافُه * ومالا تَرَى مما يَقِى اللهُ أكثرُ

الأصمعىّ عن أبيــه قال قال زِياد : أىّ الناس أنعمُ؟ قالوا : معاوية . قال : فأين ما يَلْقَى من الناس ! قالوا : فأنت . قال : فأين ما ألقى من الثغور والخــراج ! قالوا : فمن ؟ قال : شابٌّ له سِدَادٌ من عيش ، وامرأةٌ قد رضيها ورضيته ، لا يعرفنا ولا نعرفه ، فإن عرَفَنا وعرّفْناه أفسدنا عليه دينَه ودنياه .

التواضـــــع

قال حدّثنى محمد بن خالد بن خدّاش قال حدّثنا مســلم بن قُتيبة عن شــيخ من أهل المدينة قال [قال] رجاء بن حَيْوَة : قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصلحَ من السِّراج فقلت : يا أمير المؤمنين لِمَ لا أمرتَنِى بذلك ، أو دعوتَ له من يُصلِحُه ؟ فقال : قمتُ وأنا عمرُ وعدتُ وأنا عمرُ .

قال حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : كتب محمد بن كعب فانتسب وقال : القُرَظىّ ، فقيل له : أو الأنصارىّ . فقال : أكره أن أمُنّ على الله بما لم أفعل .

قال حدّثنى أحمد بن الخليــل قال حدّثنا عبد الله بن مَسْلمة عن يعقوب بن حمّاد المدنىّ عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيــه قال : كان عمر بن الخطاب اذا سافر لا يقوم فى الظلّ ، وكان يراحلنا رِحالَنا و يُرَحِّلُ رحلَه وحده . وقال ذات يوم

لا يأخذ الليلُ عليك بالهمّ * والبس له القميص واعتمّ[(١)]
وكن شريكَ نافع وأسلم * ثم اخدُمِ الأقوامَ حتى تُخدَم

وروى وَكيع عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم قال : جاء رجل الى النبىّ صلّى الله عليه وسلم، فأصابته رِعدةٌ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : «هوّن عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القَديدَ» .

قال حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : جلس الأحنف على باب دار، فمرّت به ساقيةٌ فوضعتْ قِربتَها وقالت : ياشيخ، احفظ قربتى حتى أعودَ ومضت، فأتاه الآذن وقال : انهض . فقال : إن معى وديعةً، وأقام حتى جاءت

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن جَرير بن حازم عن الزُّبير بن الحارث عن أبى لَبيد، قال : مرّ بنا زياد وهو أمير البَصرة ومعه رجل أو رجلان وهو على بغلة قد طوّق الحبلَ فى عنقها تحت اللجام .

الأصمعىّ قال، قال يحيى بن خالد : الشريفُ اذا نُقِّر[(٢)] تواضع والوضيع اذا نُقِّر تكبّر . الأصمعىّ قال : لا أُرَاه أخذه إلا من كِيس غيره .

حدّثنا حسين بن حسن المَرْوَزِىّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيّوب عن عُمارة بن غَزِيّة عن عبد الله بن عُروة بن الزُّبَير قال : إلى الله أشكو حمدى مالا آتى، وذَمّى مالا أتركُ .

قال حدّثنى أحمد بن الخليل عن أبى نُعَيم عن مِنْدَل عن حُمَيد عن أَنَس قال : مرّ النبىّ صلّى الله عليه وسلم وأنا فى غلمانٍ فسلم علينا .

وحدّثنى أحمد بن الخليل عن عمر بن عامر عن شُعْبة عن جابر عن طارق التَّيْمىّ عن جَرير بن عبدالله البَجَلىّ قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنِسْوة فسلّم عليهن .

(١) كذا ورد هذا الشطر فى الأصول وهو مختل الوزن. (٢) يقال نقر إذا نودى باسمه من بين الأسماء.

قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : أخبرنى مَعْمر قال : قلت لجار لعَطَاء السُّلَمىّ : من كان يخدُم عطاء؟ قال : مُخَنّثون كانوا فى الدار يستقون له وَضُوءَه . فقلت : أيُوضّئه مخنّثون! فقال: هو كان يظنهم خيرا منه . الأصمعىّ عن رجل عن البَتّى قال : آذى ابن لمحمد بن واسع رجلا، فقال له محمد : أتؤذيه وأنا أبوك وإنما اشتريتُ أمّك بمائة درهم .

قال عامر بن الظَّرِب العَدْوانىّ : يامعشر عَدْوان، إن الخيرَ ألوف عَرُوفٌ عَزُوفٌ، وإنه لن يُفارِقَ صاحبَه حتى يفارقَه، وإنى لم أكن حكيما حتى صحِبتُ الحكماءَ، ولم أكن سيّدكم حتى تعبّدتُ لكم . قال عُروة بن الزبير: التواضعُ أحدُ مصايد الشرف. كان يقـالُ : اسمان متضادّان بمعنى واحد : التواضعُ والشرفُ . وقال بُزُرْجِمْهر : ثمرةُ القناعة الراحةُ، وثمرةُ التواضع المحبةُ . وقال الوليد : خدمةُ الرجلِ أخاه شرفٌ . وقال عبد الله بن طاهر

أميلُ مع الذَّمام على ابن عمّى * وأحتملُ الصديقَ على الشقيق
وإن ألفَيتَنِى مَلِكا مُطاعًا * فإنك واجِدِى عبدَ الصديقِ
أُفرِّقُ بين معـروفى ومَنّى * وأجمَـعُ بين مالى والحقوقِ

وقال آخر

وإنى لعبدُ الضَّيْف من غيرِ ذِلّةٍ * وما فىّ إلّا تلك من شِيمة العبد [(1)]

ويقال : كلُّ نِعمةٍ محسودٌ عليها إلّا التواضعَ . قال المسيح عليه السلام لأصحابه: إذا اتّخـذكم الناسُ رءوسا فكونوا أذنابا . اعتمّ هشام بن عبـد الملك فقام الأبرش ليُسوِّىَ عمامتَه، فقال هشام : مَهْ إنا لا نتخذُ الاخوان خَوَلًا . كان عمر بن الخطاب يلقُط النَّوَى ويأخذ النُّكَثَ من الطريق، فإذا مرّ بدار رمى بها فيها وقال: انتفعوا بهذا.

(١) جاء هذا البيت فى الحماسة من أبيات مفتوحة الروى للمقنع الكندى هكذا :
وإنى لعبد الضيف مادام ثاويا * ولا شيمة لى غيرها تشبه العبـدا

قال يوسف بن أَسْبَاط : يَجْزِى قليلُ الورع من كثير العلم، ويجزِى قليلُ التواضع من كثير الاجتهاد . وقال بكر بن عبد الله : إذا رأيتَ أكبرَ منكَ فقل : سبقنى بالإسلام والعمل الصالح فهو خيرٌ منّى ، وإذا رأيتَ أصغرَ منكَ فقل : سبقتُه بالذنوب والمعاصى فهو خيرٌ منّى، وإذا رأيتَ اخوانَك يكرِمونك فقل: نعمةٌ أحدثوها، وإذا رأيتَ منهم تقصيرا فقل : بذنب أحدثته . قال عبد الملك بن مروان : أفضل الرجال من تواضع عن رفعةٍ، وزَهِدَ عن قُدرةٍ، وأنصف عن قوةٍ . قال ابن السَّمَّاك لعيسى بن موسى : تواضعُكَ فى شرفك خيرٌ لك من شرفك . وقال عبدالملك بن مروان : ثلاثةٌ من أحسنِ شىء : جُود لغير ثواب، ونَصَبٌ لغير دنيا، وتواضعٌ لغير ذلّ .

قال إبراهيم النَّخَعىُّ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجيب دعوةَ العَبد ويركبُ الحمارَ رِدْفا . الأعمش عن أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدعَى إلى خُبزِ الشعير والإهالة السَّنِخة(١) فيُجيبُ . قال غيره : وكان لا يأكلُ مُتَّكِئًا ويأكلُ بالحَضِيض، وهو الأرض، ويقول : إنما أنا عبدٌ آكلُ كما يأكل العبدُ . قال أوْس ابن الحَدَثان : رأيتُ أبَا هُبيرةَ وهو أمير المدينة راكبا على حمار عُرْيٍ يقول : الطريقَ الطريقَ، قد جاء الأميرُ . قال حَفْص بن غِيَاث : رأيتُ الأعمش خارجا إلى العيد على حمار مقطوع الذنَب قد سَدَّل رجليه من جانب . المدائنىّ قال : بينا عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه على المنبر إذ أحسّ من نفسه بريح خرجت منه، فقال : أيها النـاسُ إنى قد مَيَّلْتُ بين أن أخافكم فى الله وبين أن أخاف اللهَ فيكم، فكان أن أخاف اللهَ فيكم أحبَّ إلىّ، ألا وإنى قد فسوْتُ، وهأنذا أنزِلُ لأُعِيدَ الوضوءَ . كان يقال : من لم يستحي من الحلال قلّت كبْرياؤه وخفّت موازينُه . قال معاوية : مامنا أحد إلا فُتِّشَ(٢) عن جائفةٍ أو مُنَقِّلةٍ خلا عمر بن الخطاب . المُنَقِّلة الشجة التى يخرج منها

(١) الإهالة : ما يؤتدم به من الأدهان، والسنخة : المتغيرة الريح .

(٢) يريد : ليس فينا أحد إلا وفيه عيب عظيم، فاستعار الجائفة والمنقلة لذلك .

العظام ، والجائفة التى تبلغ جوف الدماغ . يحيى بن آدم عن محمد بن طلحة عن أبى حمزة قال [قال] إبراهيم : لقد تكلّمتُ ولو وجدتُ بُدًّا ماتكلمت ، وإن زمانا تكلمتُ فيه لزمانُ سوء . كان رجل من خَثْعَمَ رَدِىَّ فقال فى نفسه

لو كنتُ أَصْعَدُ فى التكرُّم والعُلا * كتحدُّرِى أصبحتُ سيّد خثعمِ

فباد أهلُ بيته حتى ساد فقال

خَلَتِ الدّيَارُ فسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدِ * ومن الشّقاء تفَرُّدِى بالسُّودد

أنشدنى أبو حاتم عن الأصمعىّ فى مثله

إنّ بقوم سوّدوك لحاجةً * إلى سيّدٍ لو يَظفَرون بسيّد

قال يحيى بن خالد : لستَ ترى أحدا تكبّر فى إمارته إلّا وهو يعلم أن الذى نال فوق قَدْرِه ، ولستَ ترى أحدا يضعُ نفسَه فى إمارة إلّا وهو فى نفسه أكثرُ مما نال فى سلطانه . ومثله ، قيل لعُبيد الله بن بَسّام : فلان غيّرته الإمارةُ ، فقال : إذا وَلِى الرجلُ وِلايةً فرآها أكثر منه تغيّر ، وإذا وَلِى ولايةً يرى أنه أكثرُ منها لم يتغيّر . ويقال : التواضُع مع السخافة والبخلِ أحمدُ من السخاء والأدب مع الكبر ، فأعظِمْ بنعمةٍ عفّت من صاحبها بسيّئتين ، وأقبِحْ بسيئةٍ حرَمتْ صاحبَها حسنتين . وفى بعض كتب العجم : علامةُ الأحرار أن يُلْقَوْا بما يُحِبون ويُحرَموا أحبُّ إليهم من أن يُلْقَوْا بما يكرهون ويُعطَوْا ، فآنظر الى خَلّة أفسدت مثلَ الجود فاجتنبها ، وآنظر إلى خَلّة عفّت مثلَ البخل فالزمْها . كان يقال : الشرفُ فى التواضُع ، والعزُّ فى التّقوى ، والغِنَى فى القَنَاعة . أبو الحسن قال : خَطَب سلمانُ إلى عمر فأجمعَ على تزويجه ، فشقّ ذلك على عبدالله بن عمرَ وشكاه إلى عَمْرو بن العاص فقال : أنا أردّه عنك ، فقال : إن رددتَه بما يكره أغضبتَ أميرَ المؤمنين ، قال : عَلَىَّ أن أردّه عنك راضيا ، فأتى سلمانَ فضرب بين كتفيه بيده ، ثم قال : هنيئا لك أبا عبد الله ، هذا أميرُ المؤمنين يتواضع بتزويجك ،

فالتفتَ اليـه مُغضَباً وقال، أبى يتواضع ! والله لا أتزوّجها أبدا . وقال المرّار بن مُنقِذ العَدَوىّ[(١)]

ياحبّذا حين تُمسى الريحُ باردةً[(٢)] * وادِى أُشَىٍّ، وفتيانٌ به هُضُمُ
يُخدَّمون، كرامٌ فى مجالسهم، * وفى الرحال إذا لاقيتَهم خَدَمُ
وما أُصاحبُ قوما ثم أذكُرهم * إلّا يزيدهُمُ حُبّـا الىّ هُمُ

ابن المبارك عن ذَرّ عن الشعبىّ قال : ركب زيد بن ثابت، فدنا عبد الله بن عباس ليأخذ بركابه ، فقال : لا تفعل يابن عمّ رسـول الله ، فقال : هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا . فقال زيد : أرنى يدك، فأخرج يده فقبّلها زيد، ثم قال : هكذا أُمِرنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا عليه السـلام . قال عبـد الله بن مسعود : رأسُ التواضع أن تَبدأ مَنْ لَقِيتَ بالسّلام، وأن تَرضَى بالدُّون من المجلس . ابن أبى الزِّناد عن أبيه أن العبّاس بن عبد المطّلب لم يمرّ قط بعمر ولا بعثمان وهما راكبان إلّا ترجّلا حتى يجوزهما إجلالا له أن يمرّ وهما راكبان وهو يمشى . كان سَلْمان يتعوّذ بالله من الشيطان والسلطان والعِلْج إذا استعرب . المدائنىّ قال : سـلّم رجل على حسّان ابن أبى سِنَان فدعا له ،فقيل : أتدعو لمثل هذا ! فقال : إن مما يفضّلنى به أن يَرَى أنّى خيرٌ منه . قال عبد الله بن شدّاد : أربعٌ مَنْ كنّ فيه فقد برئ من الكبر : من اعتقلَ العنزَ، وركب الحمار، ولبس الصوفَ، وأجاب دعوةَ الرجل الدُّونِ .

باب الكِبر والعجب

حدّثنى إبراهيم بن مسلم قال حدّثنا أبو السُّكَيْن قال حدّثنى عمٌّ أبى زَحْرُ بن حِصْن قال، قال رجل للحجّاج : أصلحَ الله الأميرَ، كيف وجدتَ منزلكَ بالعراق ؟

(١) جاءت هذه الأبيات فى الحماسة ضمن قصيدة معزوّة الى زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث، قال التبريزى : و يقال زياد بن منقذ . (٢) كذا فى الأصل، وفى الحماسة «بادرة» .

قال : خيرُ منزلٍ لو كان الله بلّغنى أربعةٌ فتقربتُ بدمائهم إليه . قال : ومَنْ هم؟ قال : مُقاتِل بن مِسْمَع ، وَلِيَ سِجِسْتانَ فأتاه الناسُ فأعطاهم الأموالَ ، فلمّا عُزِل دخل مسجد البَصرة فبسط الناسُ له أرديتَهم فمشى عليها ، وقال لرجل يُماشيه : لمثل هذا فليعمل العاملون . وعُبيد الله بن زِيَاد بن ظَبْيان التيميّ ، حزبَ أهلَ البصرة أمرٌ فخطب خطبةً أوجزفيها ، فنادى الناسُ من أعراض المسجد : أكثرَ اللهُ فينا أمثالك . فقال : لقد كلّفتم الله شَطَطًا . ومَعْبَد بن زُرَارة ، كان ذات يوم جالسا فى طريق ، فمرّت به آمرأة فقالت : يا عبد الله كيف الطريقُ إلى موضع كذا ، فقال : لِهذّ عبد الله ! أنا لِهذّ(١) ، أراد كفى بكِ أنا ، يريد الفخر . وأبو سِماك(٢) الأسدىّ ، أضلّ راحلته فآلتمسها الناس فلم يجدوها ، فقال : والله لئن لم يَرُدُّد علىّ راحلتى لا صلّيتُ له أبدا ، فآلتمسها الناسُ حتى وجدوها ، فقالوا : قد ردّ الله عليك راحلتك فصلِّ ، فقال : إن يمينى كانت صريا(٣) .

قال أبو حاتم عن الأصمعىّ عن كُرْدِين المِسْمَعىّ . قيل لرجل متكبّر : هل مرّت بك أَحْمِرةٌ؟ فقال للسائل : تلك دوابّ لا يراها عمُّك . قال وقال كُرْدِين : رآنى ابنُ مَيّادةَ الشاعر فأعجبتُه لِمَا رأى مِنْ جَلَدِى وبيانى . فقال : ممن أنت؟ قلت : من بكر بن وائل ، فقال : وفى أىّ الأرض يكون بكر بن وائل ؟

قال أبو اليقظان : جلس رافع بن جُبَير بن مُطْعِم فى حَلْقة العَلاء بن عبد الرحمن الحُرَقىّ وهو يُقرِئُ الناسَ . فلما فرغ قال : أتدرون لِمَ جلستُ إليكم ؟ قالوا : لتسمع ، قال : لا ، ولكن أردتُ التّواضعَ لله بالجلوس إليكم . قال : ومرّ محمد

(١) هكذا بالنسخ التى بأيدينا ، وفى العقد الفريد الجزء الأوّل صفحة ٢٤٤ — : فقال : لمثل يقال يا عبدالله ! ويلك ! (٢) كذا بالأصول ، وفى العقد الفريد : «وأبو سماك الحنفى» وفى اللسان فى مادة صرى : «أبو سَمّال الأسدى» . (٣) كذا بالفتوغرافية ، وفى الألمانية «ضريا» والذى فى اللسان والصحاح «علم ربى أنها منى صِرَّى» . بكسر الصاد وفتح الراء المشددة ، أى عزيمة قاطعة ويمين لازمة .

ابن المنذر بن الزبير بن العوام فى حاجة له، فانقطع قِبالُ[1] نعله، فنزع الأخرى بقدمه ومضى وتركهما ولم يُعَرِّج عليهما . قال بعض الشعراء

وأُعْرِضُ عن ذى المال حتى يُقالَ لى * قد آحدث هـذا نَخْوةً وتعظّما
وما بىَ كِبرٌ عن صديقٍ ولا أخٍ * ولكنّه فِعْلى اذا كنتُ مُعْدِما .

قيل لبعضهم : ما الكِبر . قال : حُمْقٌ لم يدر صاحبُه أين يضعُه . قال معاوية بن أبى سُفيان : قدِم عَلْقَمةُ بن وائل الحَضْرمىّ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم فأمرنى رسولُ الله أن أنطلق به الى منزل رجل من الأنصار أُنزِلُه عليه، وكان منزلُه فى أقصى المدينة، فانطلقتُ معه وهو على ناقة له وأنا أمشى فى ساعة حارّة وليس علىّ حذاءٌ، فقلتُ : احملنى يا عمّ من هـذا الحَرّ فانه ليس علىّ حذاءٌ، فقال : لستَ من أرادف الملوك، قلت : إنّى آبن أبى سُفيان، قال : قد سمعتُ رسول الله عليه السلام يذكر ذلك، قال قلت : فألْقِ الىّ نعلك، قال : لا تَقْبلُها قدماك ولكن آمش فى ظلّ ناقتى فكفاك بذلك شرفًا، وإن الظلّ لك لكثير. قال معاوية : فما مرّ بى مثل ذلك اليوم قطّ، ثم أدرَك سلطانى فلم أؤاخذه بل أجلستُه معى على سريرى هذا . قال ابن يَسَار

ولو لَحَظَ الأرضَ لى والدٌ * تطأطأتِ الارضُ من لَحْظتِهْ

وقال آخر

أتيهُ على جِنّ البلاد وإنسها * ولو لم أجد خَلْقًا لتِهْتُ على نفسى
أتيهُ فما أدرى مِن التّيه مَنْ أنا * سوى ما يقول الناس فىّ وفى جنسى
فان زعموا أنّى من الإنس مثلُهم * فما لِىَ عيبٌ غيرَ أنى من الإنس

وكان عند الرُّسْتمىّ قوم من التُّجار فحضرت الصلاةُ فنهض ليصلّى فنهضوا فقال : ما لكم ولهذا وما أنتم منه! الصّلاةُ ركوعٌ وسجود وخضوع، وإنما فرض اللهُ هذا

(١) قبال النعل : زمام بين الأصبع الوسطى والتى تليها .

يريد به المتكبّرين والمتجبّرين والملوك والأعاظم مثلى ومثل فرعون ذى الأوتاد ونُمْروذ وأنوشِرْوان . وكان يقال : مَنْ رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه . قال الحسن : ليس بين العبد وبين ألّا يكون فيه خير إلّا أن يرى أن فيه خيرًا . رأى رجلٌ رجلًا يختال فى مِشْيته ويتلفّت فى أعطافه ، فقال : جعلنى اللهُ مثلك فى نفسك ولا جعلنى مثلَكَ فى نفسى . قيل لعبد الله بن المُبارك : رجلٌ قتل رجلًا فقلتُ إنى خيرٌ منه ، فقال : ذنبك أشدُّ من ذنبه . قال الأحنف : عجبتُ لمن جرى فى مجرى البَوْل مرتين كيف يتكبّر . ابن عُلَيّة عن صالح بن رُسْتَم عن رجل عن مُطَرِّف ، قال : لأن أبيتَ نائمًا وأُصبحَ نادمًا أحبُّ الىّ من أن أبيتَ قائمًا وأُصبحَ مُعْجَبًا . وقال هشام بن حسان . سيئة تسوءك خير من حسنة تُعجبك . قال أبو حازم : إن الرجل ليعمل السيئةَ ما عمِل حسنةً قطّ أنفعَ له منها وإنّه ليعمل الحسنةَ ما عمل سيّئةً قط أضرّ عليه منها . قال الشاعر

أما ٱبنُ فَروة يونُسٌ فكأنّه * من كِبْرِه أيْرُ الحمار القائمُ
ما ٱلناسُ عندك غيرَ نفسك وحدها * والناسُ عندك ما خلاكَ بهائمُ

قال المسعودىّ

مُسًّا ترابَ الأرض منها خُلقتما * وفيها المعادُ والمصيرُ الى الحشر
ولا تعجَبا أن تُرجِعا فتُسلّما * فما خَشِى الأقوامُ شرًّا من الكِبْر
ولو شئتُ أدْلَى فيكما غيرُ واحد * علانيةً أو قال عندىَ فى سِتْر
فإن أنا لم آمُر ولم أنهَ عنكما * ضحكتُ له حتى يَلِجّ ويَسْتَشْرِى

الأصمعى قال قال رجل : ما رأيتُ ذا كبرٍ قط إلا تحوّل داؤه فىّ ، يريد أنى أتكبّر عليه . وقال آخر : ما تاه أحد قط علىّ مرتين ، يريد اذا تاه مرة لم أُعاوده . قال الشاعر

يا مُظهِرَ الكِبْرِ إعجابًا بصورته * أُنظر خَلاءك إن النَّتْنَ تثريب

لو فكّر النـاسُ فيما فى بطونهـم * ما آستشعر الكِبْرَ شُبَّانٌ ولا شِيبُ
هل فى آبن آدم غيرُ الرأس مكرُمَة * وَهُوَ بِخَمْسٍ من الأقذار مضروب
أنفٌ يَسيلُ وأذْنٌ رِيحُها سَهِكٌ * والعينُ مُرْمَصَــةٌ والثغرُ مَلْعوبُ
يا بنَ التراب وماكولَ التراب غدًا * أَقْصِرْ فإنك مأكولٌ ومشروبُ

دفع أَرْدَشِيرُ الملك الى رجل كان يقوم على رأسه كتابًا، وقال له : اذا رأيتَنى قد آشتدّ غضبى فادفعه الىّ ، وفى الكتاب : أمسك فلستَ بإله انما أنتَ جَسَد يُوشِك أن يأكل بعضُه بعضا ويصيرَ عن قريب للدُّود والتراب . كان للسِّنْدِىّ والى الجسر غلامٌ صغير قد أمره بأن يقوم اليـه إذا ضرب الناسَ بالسِّيَاط فيقول له : ويلك ياسِنْدِىّ ، اذْكر القِصاصَ . كتب إبراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك

أبا جعفرٍ عَرِّج على خُلَطائكا * وأقصر قليـلًا عن مدى غُلَوَائكا
فإن كنتَ قد أُعْطِيتَ فى اليوم رِفعةً * فانّ رجائى فى غدٍ كرجائكا

قال لى بعضُ أصحابنا وأحسبه محمد بن عمر : سمعتُ رجلًا يُنشد

ألا رُبَّ ذى أَجَلٍ قد حضرْ * طويلِ التمنّى قليـلِ الفِكَرْ
اذا هزّ فى المشى أعطافَه * تبيّنتَ فى مَنْكِبَيْه البَطَرْ

قال : فغدوتُ عليه لأكتبَ تمـامَ القصيدة فوجدتُه قد مات . المدائنىّ قال : رأيتُ فلانًا مولى باهلةَ يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيتُـه بعد ذلك راجلًا فى سَفَر، فقلتُ له : أراجلٌ فى هذا الموضع ؟ قال : نعم، إنى ركبتُ حيثُ يمشى الناسُ فكان حقًّا على الله أن يُرْجِلَنى حيث يركبُ الناس . وقال أبو نواس فى جعفر ابن يحيى البرمكى

وأعظمُ زَهْوًا من ذباب على خُرْء * وأبخلُ من كلب عَقُورٍ على عَرْق
ولو جاء غيرُ البُخلِ من عند جعفرٍ * لمـا وضعوه النّـاسُ (١) إلا على حُمْق

(١) هذا وارد على لغة من يلحق الفعل علامة الفاعل قبل ذكره وهى لغة أزدشنوءة .

وقال آخر

أَلَجُّ لَجَـاجًا [1] من الخُنفساء * وأزهَى إذا ما مشى من غراب

قيل لرجل من بنى عبد الدار : ألا تأتِى الخليفةَ ، قال : أخشى ألّا يَحْمِلَ الجسْرُ شَرفِى . وقيل له : البَس شيئًا فان البرد شديد ، فقال : حَسَبِى يُدْفِئُنى . قال أبو اليَقْظان : كان الحجّاج آستعمل بِلالًا الضَّبِّىَّ على جيش وأغزاه قِلاعَ فارس ، وكان يقال لذلك الجيش : بِيبى [2] ، سُمّى بذلك لأنه فرض فرضا من أهل البصرة فكان أهلوهم وأمهاتهم يأتونهم يقولون : بِيبى . وفى جيشه قال الشاعر

الى الله أشكو أنّنى بِتُّ حارسًا * فقام بلالىٌّ فبـال على رجلى

فقلت لأصحابى آقطعوها فإننى * كريمٌ وإنّى لن أُبلّغها رَحْلى

مدّ أعرابىّ يده فى الموقف وقال : اللّهمّ إن كنتَ ترى يدًا أكرم منها فاقطعها . قال نوح : سمعتُ الحجّاج بن أَرْطَاة يقول : قتلنى حُبّ الشرف . وقيل له : مالك لا تحضُر الجماعة؟ قال : أكره أن يَزْحَمَنى البقّالون . كان جَذِيمةُ الأبرشُ — وهو الوَضّاح سُمّى بذلك لبَرَص كان به — لا يُنادِمُ أحدًا ذَهَابًا بنفسه ، وقال : أنا أعظمُ من أن أُنادِمَ إلا الفرقدين ، فكان يشرب كأسا ويصبّ لكلّ واحدٍ منهما فى الأرض كأسًا ، فلما أتاه مالك وعَقيل بابن أخته الذى آستهوتْه الشياطين قال لهما : احتكما ، فقالا له : مُنادمتُك ، فنادماه أربعين سنةً يحادثانه فيها ما أعادا عليه حَديثًا . وفيهما يقول مُتَمِّمُ بن نُوَيْرة

وكنّا كنَدْمَانَىْ جَذِيمـةَ حِقْبَـةً * من الدّهر حتى قِيلَ لن نتصدّعا

(١) كذا بالأصل وفى لسان العرب فى مادة زها . وأورد الميدانى المثل هكذا «ألحّ من الخنفساء» بالحاء المهملة ولم يشرحه ، وعلله فى كتاب فرائد اللآل بأن الخنفساء اذا دفعت عن موضع عادت اليه .

(٢) أصله بأبى ، أبدلت الهمزة فيه ياء ، انظر اللسان فى مادة أبى . وفى الأغانى ج ٢ ص ١٥٥ أن الحجاج ضرب البعث على المحتلمين ومن أنبت من الصبيان فكانت المرأة تجىء الى ابنها وقد جُرِّد فتضمّه اليها وتقول له بأبى جزعا عليه فسمى ذلك الجيش جيش بأبى .

وقال الهُذلىّ

ألم تَعلَمى أنْ قد تفرّق قبلنا * خليلا صفاءٍ مالكٌ وعقيـلُ

قيل لإياس بن معاوية : مافيك عيبٌ إلا أنك مُعجَبٌ، قال: أفأَعجبكم؟ قالوا: نعم قال : فأنا أحقّ أن أُعجَب بما يكون منّى . ويقال : للعادة سلطانٌ على كلّ شىء، وما آستُنبط الصوابُ بمثل المشاورة، ولا حُصّلتِ النعمُ بمثل المواساة، ولا اكتُسبت البِغْضة بمثل الكِبْر .

باب مَدْح الرجل نفسَه وغيره

قال الله عزّ وجلّ حكايةً عن يوسف : (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنا سيدُ ولد آدم ولا فخرَ" . وقال للأنصار : "والله ما علمتُكم إلّا تَقِلُّون عند الطمع وتَكْثُرون عند الفزع" . وذكر أعرابىّ قومًا فقال : والله ما نالوا بأطراف أناملهم شيئًا إلا وقد وطئناه بأخَامص أقدامنا، وإن أقصى مُناهم لأدنى فعالنـا . ابن إدريس عن إسمعيل بن أبى خالد، قال : كنتُ أمشى مع الشَّعْبىّ وأبى سَلَمَة ، فسأل الشّعبىُّ أبا سَلَمة : مَنْ أعلمُ أهل المدينة؟ فقال : الذى يمشى بينكما، يعنى نفسَه. وقال الشّعبى : ما رأيتُ مثلى، وما أشاءُ أن ألقى رجلًا أعلمَ منّى بشىء إلا لقيتُه . قال معاوية لرجل : مَنْ سيّدُ قومك؟ قال : أنا . قال : لو كنتَ كذلك لم تَقُلْ . الوليد بن مُسْلم عن خليد عن الحسن قال : ذَمُّ الرجلِ نفسَه فى العلانية مَدحٌ لها فى السرّ. كان يقال: مَنْ أظهر عيبَ نفسه فقد زكّاها . الأعمش عن إبراهيم عن عبـد الله قال : إذا أثنيتَ على الرجل بمـا فيه فى وجهه لم تُزكِّه . قال عمر بن الخطاب: المدح ذَبْح. ويقال: المدح وافدُ الكِبْر. وقال علىّ بن الحسين : لا يقول رجل فى رجل من الخير ما لا يعلمُ إلا أوشك أن يقولَ فيه من الشرّ ما لا يعلم، ولا يصطحب آثنان على غير طاعةِ الله إلا أوشكا أن يفترقا على غير طاعة الله . قال وهب بن منبِّه : اذا سمعتَ الرجلَ يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا تأمنْ

أن يقولَ فيك من الشرّ ما ليس فيك . ويقال فى بعض كتب الله عزّ وجلّ : عجباً لمن قِيلَ فيه الخيرُ وليس فيه كيف يفرحُ ! ولمن قِيل فيه الشرُّ وليس فيه كيف يَغضَبُ ! وأعجبُ من ذلك من أحبّ نفسَه على اليقين وأبغضَ الناسَ على الظُّنون ! . وكان يقال : لا يَغلِبنّ جهلُ غيرك بك عِلمَك بنفسك . وقال أعرابى : كفى جهلًا أن يَمدَح المادحُ بخلاف ما يَعرِف الممدوحُ من نفسه ، وإنّى[1] والله ما رأيتُ أعشقَ للمعروف منه . قال آبن المقفع : إيّاك إذا كنتَ والياً أن يكون من شأنك حبُّ المدح والتزكية وأن يَعرِفَ الناسُ ذلك منك فتكونَ ثُلْمةً من الثُّلَم يقتَحِمون عليك منها ، وباباً يفتحونك منه ، وغِيبَةً يغتابونك بها ويضحكون منك لها . وآعلم أن قابِلَ المدح كمادح نفسه ، والمرءُ جديرٌ أن يكون حُبُّه المدحَ هو الذى يحمِلهُ على ردّه ، فإن الرادَّ له ممدوحٌ والقابلَ له مَعِيبٌ . وقال البَعِيثُ

ولستُ بمِفْراحٍ اذا الدّهرُ سَرّنِى * ولا جازعٍ مِنْ صَرْفه المتقلّبِ
ولا أتمنّى الشرَّ والشرُّ تارِكى * ولكن متى أُحمَلْ على الشرّ أركبِ
ويعتــدّه قومٌ كثيرٌ تجارةً * ويَمنعُنى من ذاكَ دِينى ومَنْصِبى
فانّ مسيرى فى البــلاد ومنزلى * لبــالمنزِل الأقصى اذا لم أُقرَّبِ

قول الممدوح عند المِدْحَة

حدّثنى سَهْلُ بن محمد عن الأصمعىّ قال : كان أبو بكر يقول عند المِدحة : اللهم أنتَ أعلَمُ بى منّى بنفسى وأنا أعلَمُ بنفسى منهــم ، اللهم آجعلنى خيراً ممــا يَحسَبُون وآغفر لى ما لا يعلمون ولا تُؤاخذنى بما يقولون . قال حدّثنا الرِّياشى عن الأصمعىّ عن حمّاد بن سَلَمة قال : أثنى رجلٌ على علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه فى وجهه ، وكان يُتَّهَمُهُ ، فقال علىّ : أنا دونَ ما تقولُ وفوقَ ما فى نفسكَ .

(١) لا يظهر ارتباط هذه الجملة بما قبلها ، وكأنه سقط من تمام الجملة ما ينتظم به السياق ، ففى العقد الفريد صحيفة ١٠٩ ج ٢ ما نصه : وذكر أعرابى رجلا فقال : ما رأيت أعشق للمعروف منــه . وفى الصحيفة نفسها : ودخل أعرابى على بعض الملوك فقال : ان جهلا أن يقول المــادح بخلاف ما يعرفه من الممدوح وانى والله ما رأيت أعشق للمكارم فى زمان اللؤم منك .

قيل لأعرابى : ماأحسنَ الثناءَ عليك! فقال : بلاءُ الله عندى أحسنُ من وصف المادحين وإن أحسنوا ، وذنوبى الى الله أكثر من عيب الذامّين وإن أكثروا، فيا أسفًا على مافرّطتُ ويا سوءتا مما قدّمتُ . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الثناءَ إلا من مُكافئٍ (١) . ومِن احسنِ ما قِيلَ فى مدح الرجلِ نفسَه قولُ أعشى بنى ربيعةَ

ما أنا فى أهلى ولا فى عشيرتى * بمهتضَمٍ حقّى ولا قارعٍ سِنّى
ولا مُسلِمٍ مولاىَ عند جنايةٍ * ولاخائفٍ مولاى من سوءِ ما أجنى
وإن فؤادًا بين جَنْبَىَّ عالمٌ * بما أبصرتْ عينى وما سمعتْ أُذْنى
وفضّلنى فى الشّعر واللُّب أنّنى * أقول على علم وأعلَمُ ما أعْنِى
فأصبحتُ إن فضّلتُ مروانَ وٱبنَه * على الناس قد فضّلتُ خيرَأبٍ وٱبْنِ

وقال آخر

اذا المرءُ لم يمدَحْه حسنُ فَعاله * فمادِحُه يَهْذِى وإن كان مُفْصِحَا

وقال آخر

لعمرُ أبيكَ الخيرِ إنّى لخادمٌ * لِصَحْبى وإنّى إن ركبتُ لَفارِسُ

وقال آخر

ونحن ضِياءُ الأرض ما لم نَسِرْ بها * غِضَابًا، وإن نَغْضَبْ فنحن ظَلَامها

وأنشدَ الحسنُ البصرىّ (٢) قولَ الشاعر

لولا جَريرٌ هلكتْ بَجيلهْ * نعم الفتى وبئستِ القَبيلهْ

(١) فى اللسان مادة كفأ بعد أن أورد الحديث : قال القتيبى معناه اذا أنعم على رجل نعمة فكافأه بالثناء عليه قبل ثناءه واذا أثنى قبل أن ينعم عليه لم يقبلها . قال ابن الأثير وقال ابن الأنبارى هذا غلط اذ كان أحد لا ينفك من إنعام النبى صلى الله عليه وسلم لان الله بعثه رحمة للناس كافة فلا يخرج منها مكافئ ولا غير مكافئ ، والثناء عليه فرض لا يتم الاسلام الا به وانما المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه الا من رجل يعرف حقيقة إسلامه ولا يدخل عنده فى جملة المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم . قال وقال الأزهرى وفيه قول ثالث : الا من مكافئ ، أى مقارب غير مجاوز حدّ مثله ولا مقصر عما رفعه الله اليه ا هـ ومثله بالحرف فى ابن الأثير .

(٢) فى الأصل «الحسن بن البصرى» وظاهر أن لفظة «ابن» من زيادات النساخ .

قال الحسنُ : ما مُدِح رجلٌ هُجِيَ قومُه . وقال أبو الهِنْدام

يقولون: الحديدُ أشدُّ شيءٍ * وقد ثُنِيَ الحديدُ وما ثُنِيتُ
تَخِرُّ الأرضُ إن نُودِيتُ باسمى * وتَنهَدُّ الجبالُ اذا كُنِيتُ

ومَدْحُ النفسِ فى الشِّعر كثيرٌ، وهو فيه أسهل منه فى الكلام المنثور .

باب الحيـاء

حدّثنى أبو مسعود الدّارِمىّ، قال : حدّثنى جَدّى خِرَاش عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الحياءُ شُعْبةٌ من الإيمان» . وروى ٱبنُ نُمَير عن الأحوص ابن حَكيم، قال : حدّثنى أبو عَوْن المدنىّ قال : سمِعتُ سعيدَ بن المسيّب يقول : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «قِلّةُ الحياءِ كفرٌ» . وروَى جرِيرُ بن حازم عن يَعْلى ابن حَكيم عن رجل عن ٱبن عمر، قال : الحياءُ والإيمانُ مَقْرونانِ جميعا فاذا رُفِع أحدُهما ٱرتفع الآخَرُ . وكان يقال : أَحْيُوا الحياءَ بمجالسة مَنْ يُسْتَحيا منـه . ذكر أعرابىٌّ رجلًا فقال : لا تراه الدَّهرَ إلا وكأنه لا غنَى به عنك وإن كنتَ اليه أحوجَ، فإن أذنبتَ غفَر وكأنه المذنبُ، وإن أسأتَ اليـه أحسن وكأنه المسىء . وقالت ليلى الأَخْيَليّةُ

ومُقدَّرٍ عنـه القميصُ تَخالُه * وَسْطَ البيوتِ من الحيـاء سقيماً
حتى اذا رُفِع اللواءُ رأيتَـه * تحت اللواءِ على الخميس زعيماً

ونحوه قول الآخر إلّا أنه فى التواضع

يبدو فيبدو ضعيفًا مِن تَواضُعه * ويكفَهِرّ فيُلفَى الأسـودَ الَّلحِما

وقال أبو دَهْبَلٍ الجُمَحىّ(١)

إن البيوتَ معادنٌ فنِجارُه(٢) * ذَهَبٌ وكلُّ جُدودِه(٣) ضَخْمُ

(١) يمدح النبى صلى الله عليه وسـلم . (٢) فى الأصول . «فتجارة» وهو تحريف والتصويب عن الحماسة . (٣) فى الحماسة «بيوته» يعني القبائل التي اكتنفته من أخواله وأعمامه .

مُتَهَلِّلٌ بِنَعَمْ للاء مُجانِبٌ * سِيّانِ منه الوَفْر والعُدْمُ
نَزْرُ الكلام من الحياءِ تَخالُه * ضَمِناً وليس بجسمه سُقْمُ
عُقِمَ النساءُ فلا يَلِدْنَ شبيهَهُ * إنّ النساءَ بمثله عُقْمُ

حدّثنا أبو الخطاب قال : حدّثنا المعتمر، قال : سمعتُ لَيْثَ بن أبي سليم يُحدّث عن واصل بن حَيّان عن أبي وائل عن ابن مسعود ، قال : كان آخر ما حُفِظ من كلام النبوّة « اذا لم تَسْتحْيِ فاصنع ما شئت » . قال الشاعر

تَخالُهُمُ للحلم صُمّاً عن الخَنا * وخُرْساً عن الفحشاء عند التهاجُرِ
ومَرْضَى اذا لُوقوا حياءً وعِفّةً * وعند الحِفاظ كالليوث الخَوادر

وقال آخر

عليه من التقوى رداءُ سكينةٍ * وللحقّ نورٌ بين عينيه ساطعُ

وقال الشّعْبي : تعايَشَ الناسُ زماناً بالدّين والتقوى، ثم رُفِع ذلك فتعايشوا بالحياء والتذمّم ، ثم رُفِع ذلك فما يتعايش الناسُ الا بالرغبةِ والرهبةِ ، وأظُنه سيجيء ما هو أشدّ من هذا .

باب العَقْل

حدّثني اسحاق بن ابراهيم الشَّهيدي، قال : حدّثنا الحارثُ بن النّعمان، قال : حدّثنا خَليد بن دَعْلَج عن معاوية بن قُرّة يرفعه، قال : « إن الناس يعملون الخيرَ وإنما يُعْطَوْنَ أجورَهم يوم القيامة على قَدْر عقولهم » . مَهْدِيُّ بن غَيْلان بن جرير قال : سمعت مُطَرِّفا يقول : عُقولُ الناس على قَدْر زمانهم .

حدّثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن مُنَبّه قال : وجدتُ في حِكْمة داودَ : ينبغي للعاقل أن لا يَشْغَلَ نفسَه عن أربع ساعاتٍ، ساعةٍ يُناجي فيها ربّه، وساعةٍ يُحاسِبُ فيها نفسَه، وساعةٍ يخلو فيها هو وإخوانُه والذين يَنصحُون له

فى دينه ويَصْدُقُونه عن عيوبه، وساعةٍ يُخَلِّى بين نفسه وبين لذاتها فيما يَحِلُّ ويُحْمَدُ فان هذه الساعةَ عونٌ لهذه الساعات وفَضْلُ بُلْغَةٍ واستِجمامٌ للقلوب . وينبغى للعاقل أنْ لا يُرَى الا فى إحدى ثلاثِ خِصَالٍ: تزوّدٍ لمَعاد، أو مَرَمّةٍ لمعاش، أو لذّةٍ، فى غير محرّم . وينبغى للعاقل أن يكونَ عارفًا بزمانه، حافظًا للسانه، مُقبِلًا على شانه .

قال حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا هِلالُ بنُ حقٍّ قال، قال عمرو بن العاص: ليس العاقلُ الذى يَعرِفُ الخيرَ من الشرّ ولكنه الذى يعرِفُ خيرَ الشرّينِ، وليس الواصِلُ الذى يصِلُ مَنْ يصِلُه ولكنه الذى يصِلُ مَنْ قطعه . وقال زياد: ليس العاقلُ الذى يحتالُ للأمر إذا وقع ولكنه الذى يحتال للأمر ألّا يقعَ فيه .

قال معاوية لعمرو : ما بلغَ من دَهائك ياعمرو؟ قال عمرو : لم أدخُلْ فى أمرٍ قطّ فكرِهتُه إلا خرجتُ منه . قال معاويةُ: لكنّى لم أدخُلْ فى أمرٍ قطّ فأردتُ الخروجَ منه . وقرأتُ فى كتابٍ للهند: الناسُ حازِمانِ وعاجِزٌ، فأحدُ الحازِمين الذى إذا نزل به البلاءُ لم يَبْطَرْ به وتلقّاه بحيلته ورأيه حتى يَخْرُجَ منه، وأحزمُ منه العارفُ بالأمر اذا أقبلَ فيدفعُه قبل وقوعه، والعاجزُ فى تردُّدٍ وتَمَنٍّ حائرٌ بائرٌ لا يأتَمِرُ رَشَدًا ولا يُطيعُ مُرشِدًا . وقال أعرابىٌّ : لو صُوِّرَ العقلُ لأظلمتْ معه الشمسُ، ولو صُوِّرَ الحمقُ لأضاءَ معه الليلُ . قال بعض الحكماء : ما عُبِدَ اللهُ بشىءٍ أحبَّ اليه من العقل وما عُصِىَ اللهُ بشىءٍ أحبَّ اليه من السّتر . أبو رَوْق عن الضحّاك فى قول الله عزّ وجل (لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا) قال: مَنْ كان عاقلا . ذكر المغيرةُ بن شُعْبةَ عمرَ بن الخطاب فقال : كان أفضَلَ مِنْ أن يَخْدَعَ وأعقلَ مِنْ أن يُخْدَعَ .

حدّثنى إسحاق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قُرَيش بن أنس عن حبيب ابن الشهيد قال، قال إياس : لستُ بِخَبٍّ والخَبُّ لا يَخْدَعُنى ولا يخدعُ آبنَ سِيرينَ ويخدعُ أبى ويخدعُ الحسن . قال غيرُه : وكان كثيرا ما يُنشِدُ

أُبَالى البلاءَ وإنّى آمرؤٌ * اذا ما تَبَيّنْتُ لم أرْتَب

وفى كتاب كليلة ودمنة : الأدبُ يُذْهِبُ عن العاقلِ السكرَ ويَزِيدُ الأحمقَ سُكرًا، كما أن النهارَ يَزيدُ كُلَّ ذِى بصرٍ بصرًا ويَزِيدُ الخفافيشَ سُوءَ بصرٍ . وفيه : ذو العقل لا تُبطِرُه المنزلةُ والعِزُّ كالجبل لا يَتزعزعُ وإن آشتدّتْ عليه الريحُ، والسخيفُ يُبطِرُه أدنَى منزلةٍ كالحشيش يُحرّكه أضعفُ ريحٍ . وقال تأبّط شرًّا فى هذا المعنى[1] :

ولستُ بِمِفْرَاحٍ إذا الدهرُ سَرّنى * ولا جازعٍ مِنْ صَرْفِه المتقلّبِ
ولا أتمنّى الشرّ والشرُّ تاركى * ولكن متى أُحْمَلْ على الشرّ أَرْكَبِ

وفى كتاب كليلة : رأسُ العقلِ التمييزُ بين الكائن والممتنع، وحسنُ العَزاءِ عما لا يُستطاعُ . وفيه : العاقلُ يُقِلُّ الكلامَ ويُبالِغُ فى العمل ويَعترفُ بزلّةِ عقله ويَستقيلُها كالرجل يَعثُر بالأرض وبها ينتعشُ . ويقال : كلُّ شىءٍ محتاجٌ الى العقل، والعقلُ محتاجٌ الى التجارِب . قال يحيى بن خالد : ثلاثةُ أشياءَ تدلُّ على عقول الرجال : الكتابُ، والرسولُ، والهديةُ . وكان يقال : دَلَّ على عقل الرجل آختيارُه، وما تمّ دِينُ أحدٍ حتى يتمّ عقلُه، وأفضلُ الجهادِ جهادُ الهوى . سُئِل أنوشروانُ : ما الذى لا تَعلُّمَ له، وما الذى لا تَغيُّرَ له، وما الذى لا مَدْفَعَ له، وما الذى لا حِيلةَ له . فقال : تَعلُّمُ العقلِ، وتَغيُّرُ العُنصُرِ، ودَفعُ القَدَرِ، وحِيلةُ الموت . وكان يقال : كتابُك عقلُك تضعُ عليه خاتَمَك . وقالوا : كتابُ الرجلِ موضعُ عقلِه، ورسولُه موضعُ رأيِه . كان الحسنُ اذا أُخبِرَ عن رجلٍ بصلاحٍ قال : كيفَ عقلُه . وفى الحديث "أن جبريلَ عليه السلام أتَى آدمَ عليه السلامُ فقال له : إنى أتيتُك بثلاثٍ فاخترْ واحدةً، قال : وما هى يا جبريلُ ؟ قال : العقل والحياء والدينُ . قال : قد آخترتُ العقلَ فخرج جبريل الى الحياء والدينِ فقال : ارجعا فقد اختار العقل عليكما، فقالا : أُمِرنا أن نكون مع العقل حيث كان"

---

(١) تقدّم هذان البيتان يتصل بهما بيتان آخران فى باب مدح الرجل نفسه ص ٢٧٦ والأربعة منسوبة هناك للبعيث .

كان يقال : العقلُ يظهرُ بالمعاملة وشِيَمُ الرجالِ تظهر بالولاية . ويقال : العاقل يَقِى ما لَه بسلطانه، ونفسَه بمـاله، ودِينَه بنفسه . قال الحسن : لو كان للناس جميعًا عقولٌ لخرِبتِ الدنيا . خُيِّرَ رجلٌ فأبَى أن يختارَ وقال : أنا بحَظِّى أوثَقُ مِنِّى بعقلى فأَقرِعُوا بيننا .

باب الحلم والغضب

قال حدّثنى الزِّيَادِىُّ قال : حدّثنا حمّاد بن زيد عن هشام عن الحسن قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أيَعْجِزُ أحدُكم أن يكونَ كأبى ضَمْضَم كان إذا خرج من منزله قال : اللهم إنّى قد تصدّقتُ بِعِرْضى على عبادِكَ " .

حدّثنا زياد بن يحيى قال : حدّثنا بِشر بن المفضّل عن يونس عن الحسن قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الغضبَ جمرةٌ تُوقَدُ فى جوف ٱبن آدم، ألم تَرَوْا الى حُمرةِ عينيه وٱنتفاخ أوداجه" . قال حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنى عبـد الله بن رَجَاء عن إسرائيل عن أبى حُصَين عن أبى صالح عن أبى هريرة قال، قال رجل : يا رسول الله أوصِنى، فقال : لا تَغْضَبْ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب . قال حدّثنى أحمـد بن الخليل قال، حدّثنى عبد الله بن نافع عن مالك عن ٱبن شِهاب عن سعيد بن المسيّب عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ليس الشديدُ بالصُّرَعَةِ إنما الشديدُ الذى يَملِكُ نفسَه عند الغضب" . قال: حدّثنا حسين بن الحسن المَرْوَزِىّ، قال : حدّثنا عبد الله بن المبارك قال : حدّثنا حبيب بن حجر القَيْسِىّ قال، كان يقال: ما أحسنَ الإيمانَ يَزِينُه العلمُ وما أحسنَ العلمَ يَزِينُـه العملُ وما أحسنَ العملَ يَزِينُه الرفقُ، وما أُضيفَ شىءٌ الى شىءٍ أَزْيَنَ مِن حلم الى عِلم ومِنْ عفوٍ الى مَقْدُرةٍ . وكان يقال: مَنْ حَلُمَ ساد ومن تَفَهَّمَ ازداد . والعرب تقول : احْلُمْ تَسُدْ . وقال : سمّى اللهُ يحيى

سيدًا بالحلم . وقال عبد الملك بن صالح : الحِلْمُ يَحْيا بحياة السُّودَدِ . أغلظ رجلٌ لمعاوية فحَلُم عنه، فقيل له : تحلُم عن هذا! فقال: إنّى لا أحولُ بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يَحُولُوا بيننا وبين سلطاننا . شتَمَ رجلٌ الأحنفَ وألحّ عليه، فلما فرغ قال له : يابن أخى، هل لك فى الغداء؟ فانك منذ اليوم تحدُو بجملٍ ثَفَالٍ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن بكر المُزَنىّ قال : جاء رجل فشتم الأحنفَ فسكتَ عنه، وأعاد فسكت، فقال: والهَفَاه ! ما يَمنعُه مِنْ أن يَرُدَّ علىّ إلّا هَوَانِى عليه .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: أخبرنا عبد الله بن صالح من آل حارثة بن لَأْم، قال : نزلتُ برجلٍ من بنى تغلبَ فأتانى بِقِرًى فانفلتَ(1) منّى فقال

والتَّغْلَبِىُّ اذا تَنحنحَ لِلقِرَى * حَكَّ ٱسْتَهُ وتَمثَّلَ الأمثالَا

فانقبضتُ فقال : كُلْ أيها الرجلُ فإنما قلتَ كلمةً مقولةً .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ، قال: أسمع رجلٌ الشعبىَّ كلامًا فقال له الشعبىّ : إن كنت صادقا فغفر اللهُ لى وإن كنتَ كاذبا فغفر اللهُ لكَ . ومرّ بقوم ينتقصونه فقال

هَنيئًا مريئًا غيرَ داءٍ مُخَامِرٍ * لِعزّةَ مِن أعراضنا ما ٱستحلّتِ

وٱستطال رجلٌ على أبى معاوية الأسود فقال : أستغفر اللهَ من الذنب الذى سُلّطتَ به علىّ . قال معاوية : إنى لأرفعُ نفسى أن يكون ذنبٌ أوزنَ من حِلْمى . وقال معاوية لأبى جهم العَدَوىّ : أنا أكبرُ أم أنتَ يا(2) أبا جهم؟ قال: لقد أكلتُ فى عرس أُمّكَ هند، قال : عند أىّ أزواجها؟ قال : عند حَفْص بن المُغيرة، قال: يا أبا جهم، إياك والسلطانَ فانه يغضبُ غضبَ الصبىّ ويُعاقِب عقوبةَ الأسدِ، وإن قليله يغلبُ كثيرَ الناس . وأبو الجهم هذا هو القائل فى معاوية

(1) هكذا بالنسخ التى بين أيدينا، ولعل الصواب "فقلت" . (2) فى النسخة الفتوغرافية يا أبا الجهم .

تَمِيلُ على جوانبــه كأنّا * اذا مِلنَا نَميــلُ على أبينا
نُقَلِّبُــه لِنَخْبُرَ حالتيـــه * فنَخْبُرَ منهما كرمًا ولِينا

سمِع الأحنفُ رجلا ينازع رجلا فى أمرٍ فقال له الأحنف: حسبك[١] إلا ضعيفا فيما تُحاوِلُ، فقال الرجل : ما على ظنّك خرجتُ من عند أهلى، فقال الأحنفُ لأمرٍ مّا قيل : احذروا الجوابَ. جعل رجلٌ جُعلًا لرجلٍ على أن يقومَ الى عمرو بن العاص يسألُه عن أمّه، فقام اليه وهو يخطبُ على منبرِ تِنّيس، فقال له : أيها الرجل أَخْبِرنَا مَنْ أُمُّكَ، فقال : كانت امرأةٌ من عَنَزَةَ أُصيبت بأطرافِ الرّماح فوقعت فى سهم الفاكه بن المغيرة فاشتراها أبى فوقع عليها، انطلِق وخُذْ ما جُعِلَ لك على هذا . قال الشاعر

قل مابدالكَ مِنْ زُورٍ ومن كذِبٍ * حِلْمِى أصَمُّ وأُذْنِى غيرُ صَمّاء

نظر معاويةُ الى ابنه يزيدَ وهو يضرب غلاما له، فقال له : أَتُفْسِدُ أدبكَ بأدبه فلم يُرَ ضارِبًا غلامًا له بعـد ذلك . قيـل ليحيى بن خالد : إنك لا تُؤدِّبُ غلمانَكَ ولا تَضرِبُهم، قال : هم أمناؤنا على أنفسنا فاذا نحن أخفناهم فكيف نأمَنُهم . وكان يقال: «الحليم مَطِيَّة الجَهُول»[٢] . وذكر أعرابىّ رجلا فقال: كان أحلَمَ من فَرْخ طائر. وفى الإنجيل : كونوا حُلَماء كالحيات وبُلَهاء كالحمام . قال بعض الشعراء

إنى لَأُعْرِضُ عن أشياءَ أسمعُها * حتى يقــولَ رجالٌ إنّ بى حُمُقَا
أَخْشَى جوابَ سفيهٍ لا حياءَ له * فَسْلٍ[٣] وظنَّ أناسٍ أنه صــدَقَا

قال الأحنف : مَنْ لم يصبر على كلمةٍ سَمِـعَ كلماتٍ ورُبَّ غيظٍ قد تجرّعتُه مَخَافَةَ[٤] ماهو أشدُّ منه . قال أكثم بن صيفىّ: العزُّ والغلبةُ للحلم . وقال علىّ بن أبى طالب

(١) هكذا بالأصول . ولعله «لا أحسبك» . (٢) فى النسخة الألمانية «الجود» ، وفى الفتوغرافية «الجول» وكلاهما تحريف والتصويب عن مجمع الأمثال للميدانى .

(٣) بهامش النسخة الفتوغرافية : الفسل من لا خير فيه . وفى القاموس : الرذل الذى لا مروءة له .

(٤) فى الأصل الألمانى «أخاف» وفى الفتوغرافية «يخافه» والتصويب عن العقد الفريد .

عليه السلام : أوّلُ عِوَضِ الحليم مِنْ حِلمه أنّ الناسَ أنصارُه على الجهول . وقال المنصور : عقوبةُ الحلماءِ التعريضُ، وعقوبةُ السفهاءِ التصريحُ .

قال حدّثنى سُهيل قال حدّثنا الأصمعىّ قال : بلغنى أن رجلا قال لآخر : والله لئن قلتَ واحدةً لتسمعنّ عشرًا ، فقال له الآخر : لكنّك إن قلتَ عشرًا لم تسمعْ واحدةً . قال : وبلغنى أن رجلا شتم عمر بن ذَرّ فقال له : يا هذا لا تُغْرِقْ فى شتمنا ودَعْ للصلح موضعاً ، فانى أمَتُّ مُشاتَمةَ الرجال صغيرا ولن أُحييها كبيرا ، وإنى لا أُكافئ مَنْ عَصَى اللهَ فِىّ بأكثرَ مِنْ أن أُطيعَ اللهَ فيه . وقال بعض المحدَثين

وإنّ اللهَ ذو حلم ولكن * بِقَدْرِ الحِلم يُنتقَدُ الحليمُ
لقد وَلَّتْ بِدولتك الليالى * وأنتَ مُعَلَّقٌ فيها ذَميمُ
وزالتْ لم يَعِشْ فيها كريمٌ * ولا ٱستغْنَى بِثروتِها عَديمُ
فَبُعْدًا لا انقضاءَ له وسُحْقًا * فغيرُ مُصَابِكَ ٱلحدَثُ العظيمُ

المدائنى قال: كان شَبيب بن شيبةَ يقول : مَنْ سَمِع كلمةً يكرهُها فسكتَ عنها ٱنقطع عنه مايكره، فإن أجاب عنها سمع أكثر مما يكره، وكان يتمثّل بهذا البيت

وتجزَعُ نفسُ المرءِ مِنْ وَقْعِ شَتْمَةٍ * ويُشْتَمُ ألفًا بعدها ثم يَصْبِرُ

قاتَلَ الأحنفُ فى بعض المواطن قتالًا شديدا، فقال له رجل : يا أبا بحر، أين الحِلْمُ قال : عند الحُبَى . وقال مسلم بن الوليد

حُبًى لا يَطيرُ الجهلُ فى جَنَباتها * اذا هى حُلَّتْ لم يفُتْ حَلَّها ذَحْلُ

أغْضَبَ زيدُ بنُ جَبَلةَ الأحنفَ ، فوثب اليه فأخذ بعمامته وتناصبا ، فقيل للأحنف : أينَ الحلمُ اليومَ! فقال: لو كان مِثلِي أو دونى لم أفعَلْ هذا به . كان يقال : آفةُ الحِلْمِ الضَّعْفُ . وقال الجعدىّ

ولا خيرَ فى حِلْمٍ اذا لم تكن له * بوادِرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أن يُكَدَّرَا

وقال إياسُ بن قَتَادةَ

تُعاقِبُ أَيدِينا ويَحْلُمُ رَأْيُنَا * ونَشْتِمُ بالأَفعال لا بالتكلم

وأنشد الرِّياشيّ

إنى آمرُؤٌ يَذُبُّ عن حَرِيمِى * حِلْمِى وتَرْكِى اللَّوْمَ لِلَّئيم *
* والعِلمُ[1] أَحْمَى من يدِ الظَّلُومِ *

وقال الأحنف : أصبْتُ الحِلْمَ أَنْصَرَ لى من الرجال . قال أبو اليقظان : كان المتَمَشْمِشُ بنُ معاويةَ عمُّ الأحنف يَفْضُلُ فى حِلمه على الأحنف قَبْلُ، فأمره أبو موسى أن يَقْسِمَ خيلًا فى بنى تميم فقسَمَها، فقال رجل من بنى سعد : مامنعكَ أن تُعطِيَنى فرسًا ووثَبَ عليه فَمَرَش وجْهَه، فقام اليه قوم ليأخذوه، فقال : دَعُونى وإياه، إنى لا أُعَانُ على واحد، ثم انطلَقَ به الى أبى موسى، فلما رآه أبو موسى سأله عما بوجهه فقال : دَعْ هذا ولكن آبنُ عمِّى ساخطٌ فآحمِله على فرس، ففعل .

قيل للأحنف : ما أحلَمَكَ قال : تعلّمتُ الحِلْمَ من قيس بن عاصم المِنْقَرى، بينا هو قاعد بفِنائه مُحْتَبٍ بكسائه ، أتته جماعةٌ فيهم مقتولٌ ومكتوفٌ وقيل له : هذا آبنك قتله ابن أخيك، فوالله ماحَلّ حُبْوته حتى فرغ من كلامه، ثم التفتَ إلى آبن له فى المجلس ، فقال له : قم فأطلقْ عن آبن عمك ووَارِ أخاك وآحمِلْ إلى أمه مائةً من الإبل فإنها غَرِيبـــةٌ[2]، ثم أنشأ يقول

إنى آمرُؤٌ لا شائِنٌ[3] حَسَبِى * دَنَسٌ يُغَــيِّرُه ولا أَفِنُ
مِنْ مِنْقَرٍ فى بيتِ مَكْرُمةٍ * والغُصْنُ يَنْبُتُ حولَه الغُصُنُ

(١) كذا فى الأصول ولعله «والحلم» . (٢) فى الأصلين «عربية» وهو تحريف والتصويب عن العقد الفريد . (٣) رواه فى العقد الفريد :

إنى امرؤ لا يطّبِى حسبى * دَنَس يهجّنه ولا أفِن

خُطَباءُ حين يَقُولُ قائِلُهم * بِيضُ الوجوه، أعِفَّةٌ لُسُنُ
لا يَفْطَنُونَ لِعَيبِ جارِهِمُ * وهُمُ لِحفظِ جِوارِه فُطُنُ

ثم أقبلَ على القاتل فقال : قَتَلْتَ قَرابَتَك، وقَطَعْتَ رَحِمَكَ، وأَقلَلْتَ عَدَدَكَ، لايُبْعِدِ الله غيرَكَ . وفى قيس بن عاصم يقول عَبْدَةُ بنُ الطَّبِيب، إسلامىّ

عليكَ سَلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصِمٍ * ورحمتُه ماشاء أن يَترحَّمَا
تَحِيَّةَ مَنْ أَلبستَه منك نِعمةً * إذا زار عن شَحْطٍ بِلادَكَ سَلَّمَا
وما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ واحِدٍ * ولَكِنّه بُنيانُ قَومٍ تَهَدَّمَا

وقال الأحنفُ : لقد آختلفنا إلى قيسِ بن عاصم فى الحِلْمِ كما نَختلِفُ إلى الفقهاء فى الفقه . شتم رجلٌ الأحنفَ وجعل يتبعُه حتى بلغ حَيَّه، فقال الأحنف : يا هذا إن كان بَقِىَ فى نفسك شىء فهاتِه وآنصرِفْ لا يَسمَعْكَ بعضُ سُفَهائنا فتلْقَى ما تَكرَه. شتم رجلٌ الحسنَ وأَرْبَى عليه، فقال له : أمّا أنتَ فما أبقيتَ شيئاً، وما يعلمُ اللهُ أكثرُ. قال بعضُ الشعراء

لن يُدرِكَ المجدَ أقوامٌ وإن كَرُمُوا * حتّى يذِلُّوا ــ وإن عَزُّوا ــ لأقوامِ
ويُشْتَمُوا فَتَرَى الألوانَ مُشْرِقَةً * لا صَفحِ ذُلٍّ ولكن صَفْحِ أَحْلامِ

قال [حدّثنى] أبو حاتم عن الأصمعى قال : لا يَكادُ يجتمِعُ عشرةٌ إلا وفيهم مُقاتِلٌ وأ كثرُ، ويجتمِعُ ألفٌ ليس فيهم حليمٌ . ابن عُيينة قال : كان عُرْوة بن الزُّبير إذا أسرع إليه رجلٌ بِشَتْمٍ أو قولٍ سَيّئٍ لم يُجِبْهُ وقال : انّى أَتْرُكُكَ رفعًا لنفسى عنكَ، فجرى بينه وبين علىّ بن عبد الله كلامٌ، فأسرع اليه. فقال له علىّ : خَفِّضْ عليكَ أيها الرجلُ فإنّى أتركك اليومَ لِمَا كنتَ تترُكُ له الناسَ .

قال حدثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال، قال رجل : لمثلِ هذا اليومِ كنتُ أدعُ الفُحْشَ على الرجال ، فقال له خَصْمُه : فإنّى أدعُ الفحشَ عليكَ اليومَ لِما تركتَه

أنتَ له قبل اليوم . وأغلظ عبدٌ لسيده، فقال : إنى أُصبرُ لهذا الغلامِ على ما تَرونَ لأَرُوضَ نفسِي بذلك ، فإذا صَبَرْتُ للملوك على المكروه كانَتْ لغيرِ المملوك أصْبرَ .

كلّم عمر بن عبد العزيز رجلا من بنى أميّة وقد ولدتْه نساء بنى مُرّة فعاب عليه جَفاءً رآه منه، فقال : قبَّح الله شَبَهًا [غلب][1] عليك من بنى مرّة، و بلغ ذلك عَقيل بن عُلَّفة المُرِّىّ وهو بجَنَفاءَ من المدينـة على أميال فى بلد بنى مرة ، فركب حتى قَدم على عمر وهو بدَيْر سِمْعَان، فقال : هيه يا أمير المؤمنين ! بلغنى أنك غضبت على فتى من بنى أبيك، فقلت : قبح الله شبها غلب عليك من بنى مرة، وإنى أقول : قبّح الله أَلْأَمَ طرفيه، فقال عمر : دَعْ ويحك هذا وهات حاجتَك . فقال : والله مالى حاجة غير حاجته[2]، وولّى راجعا من حيث جاء، فقال عمر : ياسبحان الله ! من رأى مثل هذا الشيخ؟ جاء من جنفاء ليس إلّا يشتِمُنا ثم آنصرف ! فقال له رجل من بنى مرة : إنه والله يا أمير المؤمنين ما شتمك وما شتم إلا نفسه، نحن والله ألأم طرفيه .

المدائنى قال : لمـا عزل الحجاج أميةَ بن عبد الله عن خراسان أمر رجلا من بنى تميم فعابه بخراسان وشنّع عليـه ، فلما قفل لقيه التميمىّ فقال : أصلح الله الأمير لاتَلُمْنى فإنى كنت مأمورا، فقال : يا أخا بنى تميم أَوَحدّثتْك نفسُك أنّى وَجِدْتُ عليك؟ قال : قد ظننتُ ذلك، قال : إن لنفسك عندك قَدْرا ! . كان يقال: طيِّروا دماءَ الشباب فى وجوههم : ويقال : الغضب غُول الحلم . ويقال : القدرة تُذهِب الحَفيظَةَ . وكتب كِسْرى أَبْرَوِيز إلى ابنـه شِيرَوَيْهْ من الحبس : إن كلمة منك تَسْـفِك دما، وإن كلمة أخرى منك تَحْقِن دما ، و إن سخطَك سيوفُك[3] مسلولةٌ على من سَخِطتَ عليه، وإن رضاك بركة مستفيضة على من رضيت عنه، وإنّ نفَاذ

(١) زيادة فى العقد الفريد .

(٢) رسم فى النسخة الفتوغرافية هكذا «حاجه» ولعل الناسخ حرفها عن «هذه» كما يقتضيها السياق .

(٣) لعله «وإن سخطك سيوف مسلولة الخ» بالتنكير ليتناسب فى السياق مع ما بعده .

أمرك مع ظهور كلامك، فاحترس فى غضبك من قولك أن يُخطئ ومن لونك أن يتغيّر ومن جسدك أن يَخِفّ، وإن الملوك تُعاقب قدرةً وحزما، وتعفو تفضّلا وحلما، ولا ينبغى للقادر أن يُستخَفّ ولا للحليم أن يَزْهو، وإذا رضِيتَ فأبلغ بمن رضيت عنه يَحرِصْ من سواه على رضاك، وإذا سخِطتَ فضَعْ من سخِطتَ عليه يهرُبْ مَنْ سواه من سخطك، وإذا عاقبتَ فأنْهِكْ(١) لئلا يُتعرّض لعقوبتك، وآعلم أنك تَجِلّ عن الغضب وأن غضبك يصغُر عن ملكك، فقدّر لسخطك من العقاب كما تُقدّر لرضاك من الثواب. قال محمد بن وُهَيب

لئن كنتُ محتاجا إلى الحلم إننى * إلى الجهل فى بعض الأحايين أحْوجُ
ولى فرس للحلم بالحلم مُلجَمٌ * ولى فرس للجهل بالجهل مُسْرَجُ
فمن رام تقويمى فإنى مُقوَّمٌ * ومن رام تعويجى فإنى مُعوَّجُ
وما كنتُ أرضى الجهلَ خِدْنا وصاحبا * ولكننى أرضى به حين أُحْرَجُ
ألا ربّما ضاق الفضاءُ بأهله * وأمكن من بين الأسنّة مَخْرَجُ
وإن قال بعض الناس فيه سماجة * فقد صدقوا، والذلُّ بالحرّ أَسْمجُ

وقال ابن المقفع : لا ينبغى للملك أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته؛ ولا يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد، ولا يبخل لأنه لا يخاف الفقر، ولا يَحْقِد لأن خطره قد جَلّ عن المجازاة. قال سُوَيد بن الصامت(٢)

إنى إذا ما آلأمرُ بُيِّن شكُّه * وبدتْ بصائرُه لمن يتأملُ
أَدَعُ التى هى أرفق الحالات بى * عند الحفيظة للتى هى أجمل

أُتى عمرَ بن عبد العزيز رجل كان واجدا عليه، فقال : لولا أنى غضبان لعاقبتُك، وكان اذا أراد أن يعاقب رجلا حبسه ثلاثة أيام؛ فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه عاقبه،

(١) نهك السلطان : بالغ فى العقوبة. (٢) فى الأغانى ج ٢ ص ١٦٩ سويد بن صامت بدون الألف واللام.

كراهةَ أن يَعْجَل عليه فى أوّل غضبه . وأسمعه رجل كلاما فقال له : أردتَ أن يستفِزّنى الشيطانُ بعِزّ السلطان فأنالَ منك اليوم ما تناله منّى غدًا، انصرفْ رحمك الله .

قال لقمان الحكيم : ثلاث من كنّ فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضِى لم يُخرجه رضاه إلى الباطل، وإذا غضِب لم يُخرجه غضبه من الحق، وإذا قـدر لم يتناول ما ليس له . وقال لابنه : إن أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه، فان أنصفك فى غضبه وإلاّ فدَعْه .

خطب معاوية يوما فقال له رجل : كذبتَ، فنزل مُغضَبا فدخل منزله، ثم خرج عليهم تقطرُ لحيتُه ماءً، فصَعِد المنبرَ فقال : أيها الناس إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان من النار، فإذا غضب أحدكم فليُطفئه بالماء، ثم أخذ فى الموضع الذى بلغه من خطبته . وفى الحديث المرفوع : "إذا غَضِب أحدُكم فإن كان قائما فَلْيَقْعُدْ وإن كان قاعدا فَلْيضطَجِع" . وقال الشاعر

إحذر مَغَايظَ أقوامٍ ذوى أَنَفٍ * إن المَغيظَ جهولُ السيف مجنون

وقال عمر بن عبد العزيز : متى أَشْفِى غيظى؟ أحينَ أَقْدِرُ فيقال لى : لوعفوتَ، أو حينَ أَعْجِز فيقال لى : لو صبرت؟ . والعرب تقول : «إن الرَّثيئة(1) مما يَفْثأ(2) الغضبَ» والرَّثيئة(1) اللبن الحامض يُصَبُّ عليه الحليب، وهو أطيب اللبن .

كان المنصور ولّى سَلْمَ بن قتيبة البصرةَ وولى مولًى له كُوَرَ البصرة والأُبُلّة، فورد كتاب مولاه أنّ سَلْما ضربه بالسِّياط، فٱستَشاط المنصور وقال : علىّ تجرّأ سَلْم ! لأجعلنّه نَكالا، فقال ٱبن عيّاش —وكان جريئا عليه— : يا أمير المؤمنين، إن سَلْمًا لم يضرب مولاك بقوّته ولا قوّة أبيه، ولكنك قلّدته سيفك وأصعدته منبرك، فأراد مولاك أن يُطأطئ منه مارفعتَ ويُفسِدَ ما صنعتَ، فلم يحتمل ذلك، ياأمير المؤمنين

(1) فى الأصل «الريثة» وهو تحريف . (2) كذا فى الأصل، وهو مثل . ونصه كما فى اللسان ومجمع الأمثال للميدانى «ان الرثيئة تفثأ الغضب» وفثأ الغضب سكنه وكسر حدّته .

إن غَضَبَ العربىّ فى رأسه فإذا غضب لم يهدأ حتى يُخرجه بلسان أو يد، وإن غَضَبَ النَّبَطىّ فى آسته فإذا غَضِب [و] خَرِئَ ذهب غضبه، فضحك أبو جعفر وقال : فعل الله بك يامنتوف وفعل، فكفّ عن سَلْم .

كان يقال : إياك وعِزَّةَ الغضب فإنها مُصيِّرَتُك إلى ذلّ الاعتذار. قال بعض الشعراء

الناسُ بعدك قد خفّت حُلُومُهُمُ * كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصيرُ

أبو بكر بن عيّاش عن الأعمش قال : كنت مع رجل فوقع فى إبراهيم، فأتيت إبراهيم فأخبرته وقلت : والله لهَمَمْتُ به، فقال : لعل الذى غضبتَ له لو سمعه لم يقل شيئا .

باب العزّ والذلّ والهيبة

أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا عمر بن السَّكَن قال قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلّب : فيمن العِزُّ بالبصرة ؟ فقال : فينا وفى حلفائنا من ربيعة ، فقال عمر بن عبد العزيز : ينبغى أن يكونَ العزّ فيمن تُحُولِفَ عليه يا أمير المؤمنين . قالت قريبةُ : إذا كنت فى غير قومك فلا تَنْسَ نصيبَك من الذِّلّة . قال رجل من قريش لشيخ منهم : عَلِّمْنِى الحِلْمَ، قال : هو يابن أخى الذلّ، أفتصبر عليه؟ . وقال الأحنف : ما يسرّنى بنصيبى من الذلّ حُمُرُ النَّعَم ، فقال له رجل : أنت أعزّ العرب، فقال : إن الناس يَرَوْن الحلمَ ذلّا، فقلت ما قلت على مايعلمون .

وقرأت فى كتاب للهند أن الريح العاصف تَحطِم دَوْحَ الشجر ومُشيَّدَ البنيان ويَسلَمُ عليها ضعيفُ النبت لِلينه وتثنّيه . ويقال فى المثل : «تَطَأْطَأْ لها تُخطِئْكَ» . وقال زيد بن علىّ بن الحسين حين خرج من عند هشام مُغضَبا : ما أَحبّ أحد قطّ الحياة إلا ذلّ ، وتمثّل

شرّده الخوفُ وأَزْرى به * كذاك مَنْ يكره حَرّ الجِلَاد

منخرقُ الخُفَّين يشكو الوَجَى * تنكُبُه أطرافُ مَرْوٍ حِدَاد
قد كان فى الموت له راحة * والموت حتم فى رقاب العباد

وقال المتلمس

إن الهوان، حمارُ البيت يعرفه * والمرء ينكره والجَسْرة الأُجُدُ(١)
ولا يُقيم بدار الذلّ يعرفها * إلا الحمارُ حمارُ الأهل والوَتِدُ

وقال الزُّبير بن عبد المطلب

ولا أُقيم بدار لا أَشُدُّ بها * صوتى إذا ما اعترتْنى سَورةُ الغضب

وقال آخر

إذا كنتَ فى قومٍ عِدًا لستَ منهم * فكُلْ ما عُلِفْتَ من خبيثٍ وطيّب

وقال العباس بن مِرْداس

أبلغْ أبا سَلْمٍ رسولا نصيحة * فإن معشرٌ جادوا بعرضك فابخلِ
وإن بوءوك منزلا غيرَ طائل * غليظا فلا تنزلْ به وتحوَّلِ
ولا تَطْعَمنْ ما يَعْلِفونك إنهم * أتوْكَ على قُرْبانهم بالمُثَمَّلِ
أراك إذن قد صرتَ للقوم ناضحا * يقال له بالغَرْب أدْبِرْ وأَقْبِلِ

وقال آخر

فأبلغْ لديْكَ بنى مالكٍ * على نأيها وسَراة الرِّباب
بأنّ امرأً أنتم حوله * تحُفّون قُبّته بالقِباب
يُهين سَراتَكمُ عامدا * ويقتلُكُمْ مثلَ قتل الكلاب
فلو كنتمُ إبلا أَمْلَحتْ(٢) * لقد نَزَعتْ للمياه العذاب
ولكنكم غَنَمٌ تُصطفى * ويُترك سائرُها للذئاب

(١) ناقة أجد : قوية موثقة الخلق متصلة فقار الظهر، خاص بالاناث . قاموس .
(٢) يقال : أملحت الابل أى وردت ماء ملحا وفى الأصل أملجت بالجيم ولم يظهر له معنى مناسب .

وقال آخر

تالله لولا انكسارُ الرُّمح قد علموا * ماوجدونى ذليلا كالذى أجد
قد يُحْطَم الفحلُ قَسْرًا بعد عزّته * وقد يُرَدّ على مكروهه الأسد

وقال بعض العَبْديين

ألا أَبْلغا خُلّتِى راشــدًا * وصِنْوِى قديما إذا ما اتصـلْ
بأن الدّقيق يَهِيــجُ الجليــل * وأن العزيز إذا شاء ذَلّ
وأن الحَزَامة أن تصرفوا * لحىّ سِــوانا صُــدورَ الأَسَلْ
فان كنتَ ســيّدنا سُــدْتنا * وإن كنت للخال فاذهبْ فَخَلْ

وقال البَعيث

ولو تُرمى بلُؤم بنى كليب * نجومُ الليل ماوَضَحَتْ لسارِى
ولو لَبِس النهارَ بنو كليب * لدنَّس لُؤمُهُــم وَضَحَ النهار
وما يغدو عزيزُ بنى كليب * ليطلب حاجة إلا بجــار

جاور ابنُ سَيَابَةَ مولى بنى أسد قوما فأزعجوه، فقال لهم : لمَ تُزعجونى من جواركم؟ فقالوا : أنت مُريب، فقال : فمن أذلُّ من مريب ولا أحسنُ جوارا . أبو عبيــدة عن عَوَانَةَ قال: إذا كنتَ من مُضَر ففاخرْ بكنانة وكاثرْ بتميم والْقَ بقَيْس، وإذا كنت من قحطان فكاثرْ بقُضاعة وفاخرْ بمَذْحِج والْقَ بكلب ، وإذا كنت من ربيعة ففاخر بشيبان والْقَ بشيبان وكاثرْ بشيبان . كان يقال : مَنْ أراد عزًّا بلا عَشيرة وهيبةً بلا سلطان فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عز طاعة الله . قيل لرجل من العرب : مَنِ السّيدُ عندكم ؟ قال : الذى إذا أقبل هِبْناه وإذا أدبر اغتبْناه . ونحوه قول مسلم

وكم مِنْ مُعِدٍّ فى الضمير لِىَ الأذى * رآنى فالقى الرعبُ ما كان أضمرا

وقال أيضا

ياأيها الشاتِمِى عِرْضى مُسَارَقَةً * أَعْلِنْ به، أنت إن أعلنتَه الرجلُ

ومن أحسن ما قيل فى الهيبة

فى كفه خَيْزُرانٌ ريحُها عبِقٌ * من كفّ أَرْوَعَ فى عِرْنينه شَمَمُ
يُغْضِى حياءً ويُغْضَى من مَهَابته * فما يُكلَّم إلا حين يَبْتَسِمُ

وقال ابن هَرْمة فى المنصور

له لَحَظاتٌ عن حِفَافَىْ سريره * إذا كرّها فيها عِقَابٌ ونائلُ
فأمّ الذى آمنتَ آمنـةُ الرّدَى * وأمّ الذى أوعدتَ بالثُّكْل ثاكلُ
كريم له وجهان وجه لدى الرضا * أَسِيلٌ، ووجه فى ٱلكريهة باسلُ
وليس بمُعْطِى العفوِ عن غير قدرة * ويعفو إذا ما أمكنته المَقَاتِلُ

وقال آخر فى العفو بعد القدرة

أســدٌ على أعــدائه * ما إن يَلِينُ ولا يهون
فإذا تمكّن منهــمُ * فهنـاك أحلم ما يكون

وقال آخر فى مالك بن أَنَس

يأبى الجوابَ فما يُراجَعُ هَيبةً * والسائلون نَوَاكسُ الأذقانِ
هَدْىُ التَّقِىِّ[(1)] وعِزُّ سلطانِ ٱلتُّقَى * فهو ٱلمُطَاع وليس ذا سلطانِ

وقال آخر

وإذا الرجالُ رأَوْا يزيدَ رأيتَهم * خُضُعَ الرِّقابِ نواكسَ الأبصار

وقال أبو نواس

أُضمِرُ فى القلب عتابًا له * فإن بدا أُنْسِيتُ من هيبتهْ

ٱلمدائنى قال: قال ابن شُبْرُمة القاضى لابنه: يابُنَىّ لا تُمكّن الناسَ من نفسك، فإن أجرأ الناس على السباع أكثرُهم لها مُعاينةً. قيل لأعرابىّ: كيف تقول: استخذأتُ أو ٱستخذيتُ؟ قال: لا أقوله، قيل: ولِمَ؟ قال: لأن العرب لا تَستخذى. وكان يقال: اصفَحْ أو ٱذبَحْ.

(1) فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٠٢ : هَدْىُ الوَقارِ.

باب المروءة

في الحديث المرفوع : قام رجل من مُجَاشِع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله، ألستُ أفضلَ قومي؟ فقال: "إن كان لك عقل فلك فضل، وإن كان لك خُلُق فلك مروءة، وإن كان لك مال فلك حَسَب، وإن كان لك تُقًى فلك دين" وفيه أيضا « إن الله يُحِبّ مَعَالِيَ الأمور ويكره سَفْسافَها ». روى كَثير بن هشام عن الحكم بن هشام الثَّقَفيّ قال : سمعت عبد الملك بن عُمير يقول : إن من مروءة الرجل جلوسَه ببابه . قال الحسن: لا دينَ إلا بمروءة . قيل لابن هبيرة: ما المروءة؟ قال : إصلاح المال، والرَّزانةُ في المجلس، والغداء والعشاء بالفِناء . قال ابراهيم : ليس من المروءة كثرةُ الالتفات في الطريق ولا سرعةُ المشي . ويقال: سرعةُ المشي تُذهِب بَهاءَ المؤمن .

قال معاوية: المروءة ترك اللذة . وقال لعمرو: ما ألذُّ الأشياء؟ فقال عمرو : مُرْ أحْداثَ قريش أن يقوموا، فلما قاموا قال : إسقاطُ المروءة . قال جعفر بن محمد عن أبيه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وَرُّوا[1] لذوي المروءات عن عَثَراتهم، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثُر وإنّ يدَه لفي يد الله". كان عروة بن الزبير يقول لولده: يابَنِيّ العبوا، فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب . قيل للأحنف: ما المروءة؟ فقال: العِفّة[2] والحِرْفة . قال محمد بن عِمْران التَّيْمي: ما شيءٌ أشدَّ حَملا عليّ من المروءة، قيل: وأيّ شيءٍ المروءةُ؟ قال : لا تعملُ شيئا في السرّ تستحي منه في العلانية .

وقال زهير في نحو هذا

السِّتْرُ دون الفاحشات، ولا * يلقاك دون الخير من سِتْرِ

(١) كذا في الأصول، وفي العقد الفريد «تجاوزوا» .
(٢) في الأصول «المروءة» والتصويب عن العقد الفريد .

وقال آخر

فسترى كإعلانى ، وتلك خليقتى * وظلمةُ ليــلى مثلُ ضــوء نهاريا

قال عمــر بن الخطاب : تعلّموا العربيةَ فإنهــا تزيد فى المروءة ، وتعلّموا النسبَ فرُبَّ رَحِم مجهولة قد وُصلت بنسبها . قال الأصمعىّ : ثلاثة تحكُمُ لهم بالمروءة حتى يُعرفوا : رجل رأيتَــه راكبا ، أو سمعته يُعرِب ، أو شَمِمتَ منه رائحةً طيبة . وثلاثة تحكم عليهم بالدناءة حتى يُعرفوا : رجل شَمِمتَ منه رائحةَ نبيذ فى مَحْفِل ، أو سمعتَه يتكلم فى مصرٍ عربىّ بالفارسية ، أو رأيتَه على ظهر الطريق ينازع فى القَدَر . قال ميمون آبن ميمون : أوّل المروءة طلاقة الوجه ، والثانى التودّد ، والثالث قضاء الحوائج . وقال : من فاته حسَبُ نفسه لم ينفعه حسَبُ أبيه . قال مَسْلمة بن عبد الملك : مروءتان ظاهرتان : الرِّياسة والفصاحة . وقال عمر بن الخطاب : المروءة الظاهرة الثيابُ الطاهرة . قالوا : كان الرجل اذا أراد أن يَشِينَ جارَه طلب الحاجةَ إلى غيره . وقال بعض الشعراء

نومُ الغداةِ وشُربٌ بالعشيّاتِ * موكَّلان بتهــديم المروءات

باب اللباس

حدّثنى محمــد بن عبيد قال ، حدّثنا آبن عيينة عن إبراهيم بن مَيْسَرة عن طاوس عن آبن عباس ، قال : كُلْ ما شئتَ والبَسْ ما شئتَ اذا ما أخطاكَ شيئان : سَرَفٌ أو مَخِيلةٌ .

قال حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا آلمِنْهال بن حمّاد عن خارجة بن مُصْعَب عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم عن أبيه ، قال : كانت مِلْحَفةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم التى يَلبَسُ فى أهله مُورَّسةً [1] حتى إنها لَتَرْدَعُ [2] على جلده .

(١) مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر باليمن . وفى الأصول : "مورّشة" بالشين المعجمة وهو تحريف .
(٢) تنفض صبغها .

حدّثنى أبو الخطّاب، قال حدّثنا أبو عتّاب قال حدّثنا المختار بن نافع عن إبراهيم التيمىّ(١) عن أبيه عن علىّ، قال: رأيت لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما إزارا فيه إحدى وعشرون رُقْعة من أَدَم ورقعةٌ من ثيابنا.

حدّثنا الزّيادىّ قال حدّثنا عبد الوارث بن سعيد عن الجريرىّ عن ابن عباس، قال: رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وإزارُه مرقوع بأَدَم. نظر معاوية الى النّخّار العُذْرىّ الناسب فى عباءة فازدراه فى عباءة(١)، فقال: يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلّمك وإنما يكلّمك مَنْ فيها. قال سُحَيم بن وَثِيل

أَلَا ليس زينُ الرحل قِطْعًا يُمَزّق * ولكنّ زينَ الرحل يا مىّ راكبُهْ

وقال آخر

إيّاك أن تَزْدَرِى الرجالَ فما * يُدرِيكَ ماذا يُكِنُّه الصَّدَفُ

نفسُ الجواد العتيقِ باقيةٌ * يومًا وإن مسّ جسمَه العَجَفُ

والحرُّ حرّ وإن ألمّ به الضّرُّ * وفيه العَفافُ والأَنَفُ

وقال آخر من المحدَثين

تَعجّبتْ دُرُّ مِنْ شَيبى فقلتُ لها * لا تَعجَبى قد يلوحُ الفجرُ فى السَّدَف

وزادها عَجَبًا أَنْ رُحْتُ فى سَمَلٍ * وما دَرتْ دُرُّ أنّ الدُّرّ فى الصَّدَف

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ أن ابن عَوْن آشترى بُرْنُسًا من عمر بن أنس بن سيرين فمرّ على مُعَاذةَ العَدَويّة، فقالت: أمثلُكَ يلبَس هذا! قال: فذكرتُ ذلك لابن سيرين فقال: ألا أَخبرتَها(٢) أن تميما الدارىّ آشترى حُلّة بألف يُصَلّى فيها.

(١) كذا فى النسختين.

(٢) فى الاصل: ألا أخبركم. والتصويب عن العقد الفريد. ج ٣ ص ٣٤٨

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنا مُصعَبُ بن عبد الله من ولد عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال أخبرنى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيـه، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران : رِداءٌ وعِمَامةٌ .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا على بن عاصم قال أخبرنا أبو اسحاق الشَّيْبانىّ قال: رأيتُ محمد آبن الحنفية واقفا بعرفات على بِرْذونٍ عليه مُطْرَفُ خَزٍّ أصفرُ .

حدّثنى الرّياشىّ عن الأصمعىّ عن حَفْص بن الفُرَافِصَة(١) قال: أدركتُ وجوهَ أهل البصرة، شقيقَ بن ثَوْر فمن دونه وآنيتُهم فى بيوتهم الجِفانُ والعِسَسَةُ فإذا قعدوا بأفنيتهم لَبِسوا الأكسيةَ وإذا أتَوا السلطانَ ركبوا ولبِسوا المَطَارِفَ .

قدِم حَمّادُ بن أبى سليمان البصرة فجاءه فَرقَدٌ السَّبَخِىُّ وعليـه ثيابُ صوف فقال حماد : ضَعْ نصرانيّتَك هـذه عنك، فلقد رأيتُنا ننتظر إبراهيمَ فيخرج علينا وعليـه مُعصفَرةٌ ونحن نرى أن المَيتة قد حلّت له .

وروى زيد بن الحُبَاب عن الثَّوْرىّ عن آبن جُرَيْج عن عثمان بن أبى سليمان أن ابن عباس كان يرتدى رداءً بألف . قال مَعْمَر : رأيت قميصَ أيوبَ يكاد يمَسّ الأرض، فكلمتُه فى ذلك فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت فى تذييل القميص وإنها اليومَ فى تشميره .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال أخبرنى بعض أصحابنا قال: جاء سَيّار أبو الحَكَم الى مالك بن دينار فى ثيابٍ آشتهرها(٢) مالكٌ، فقال له مالك: ماهذه الشّهرةُ؟ فقال له سيار : أتضعنى عندك أم ترفعنى ؟ قال : بل تضعك، قال : أراك تنهانى عن التواضع، فنزل مالك فقعد بين يديه .

(١) فى لسان العرب : كل ما فى العرب فرافصة بضم الفاء الا فرافصة أبا نائلة امرأة عثمان رحمـه الله فانه بفتح الفاء لا غير. (٢) اشتهرها : شنع بها .

قال أبو يعقوب الخُرَيمىّ : أراد جعفر بن يحيى يوما حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعىّ فدفع الى خادم كيسا فيه ألفُ دينارٍ وقال : إنى سأنزل فى رجعتى الى الأصمعىّ وسيحدّثنى ويُضحكنى فاذا ضحكتُ فضَع الكيسَ بين يديه، فلما رجع ودخل عليــه رأى حُبًّا(١) مكسور الرأس وجرّة مكسورة العنق وقصعة مُشَعَّبة وجَفْنةً أَعْشارا ورآه على مصلًّى بالٍ وعليــه بَرَّكَانٌ(٢) أجرَدُ فغمز غلامَه ألّا يضــعَ الكيسَ بين يديه ولم يَدَع الأصمعىُّ شيئا مما يُضحِكُ الثَّكلانَ إلا أورده عليه فما تبسّم وخرج، فقال لرجل كان يُسَايره : "مَنْ آسترعى الذئبَ ظلَم" ومن زرع سَبَخَةً حصد الفقرَ، فإنى والله لو علمتُ أن هــذا يكتُم المعروفَ بالفعل لـمـا حَفَلْتُ نشرَه له باللسان، وأين يقع مدح اللسان من مدح آثار الغِنى، لأن اللســان قد يكذِب والحال لا تكذِب . ولله درّ نُصَيبٍ حيث يقول

فعاجُوا فأثنَوْا بالذى أنت أهــلُه * ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

. ثم قال له : أعلمتَ أن ناووسَ أبرويزَ أمدحُ لأبرويزَ من شعر زهير لآل سِنان .

قال ربيعة بن أبى عبد الرحمن : رأيت مشيخةً بالمدينة فى زِىّ الفتيان لهم الغدائرُ وعليهم المُوَرَّد والمُعصفَر وفى أيديهم المَخاصِرُ وبها أثر الحِنّاء، ودِينُ أحدهم أبعدُ من الثريّا إذا أُرِيدَ دِينُه . ذمّ آبن التوءم رجلا فقال : رأيتُه مُشحَّم النعل دَرِنَ الجَورب مُغضَّن الخفّ دقيقَ الخِزَامة . أنشد آبن الأعرابىّ

فإن كنتَ قد أُعطيتَ خَزًّا تجرّه * تبدّلتَــه من فروةٍ وإهاب
فلا تأيسَنْ أن تَملكَ الناسَ إنّنى * أرى أُمــةً قد أدبرت لذَهــاب

قال أيوب يقول الثوبُ : آطونى أُجمِّلْك . هِشَامُ بن عُرْوة عن أبيه قال، يقول المــال : أرِنى صاحبى أعمُرْ، ويقول الثوب : أكْرِمْنى داخلا أُكرِمْك خارجا .

(١) فى اللّسان وغيره : الحُبّ الخابية فارسىّ معرب .   (٢) كساء أسود .

ويقال: لكل شيء راحةٌ، فراحةُ البيت كنسُه، وراحةُ الثوب طيّه. قيل لأعرابيّ: إنك تُكثِرُ لُبسَ العِمامة، فقال: إن عظمًا فيه السّمعُ والبصرُ لجديرٌ أن يُكَنّ من الحرّ والقُـرّ. ويقال: حُبَى العرب حيطانُها، وعمائمها تيجانُها. وذكروا العمامةَ عنـد أبي الأسود الدؤلي فقال: جُنّةٌ في الحرب، ومَكِنّةٌ في الحرّ والقرّ، وزيادةٌ في القامة، وهي بعدُ عادةٌ من عادات العرب. وقال طلحة بن عبيد الله: الدّهنُ يُذهِبُ البؤس، والكِسوةُ تُظهِرُ الغِنى، والإحسانُ إلى الخادم مما يَكبِتُ اللهُ به العدوّ.

أبو حاتم قال حدّثنا العتبيّ قال: سمعت أعرابيا يقول: لقـد رأيتُ بالبصرةَ بُرُودا كأنما نُصِحَتْ[(1)] بأنوار الربيع وهي تَروعُ، واللّابسوها أَروعُ. قال يحيى بن خالد للعَتّابيّ في لباسه — وكان لا يُبالي ما لبس —: يا أبا عليّ أخزى الله امرأً رضِيَ أن يرفعه هيئتاه من جماله وماله، فإنما ذلك حظُّ الأدنياء من الرجال والنساء، لا والله حتى يرفعَه أكبراه: هِمّتُه ونفسُه، وأصغراه: قلبُه ولسانُه. وفي الحديث المرفوع: "إن الله إذا أنعم على عبدٍ نعمةً أحبّ أن يَرَى أثرَها عليه". قال حبيب بن أبي ثابت: أن تعِزَّ في خَصَفَةٍ خيرٌ لك من أن تَذِلّ في مُطْرَفٍ، وما اقترضتُ من أحد خيرٍ من أن أقترضَ من نفسي. قال عمرو بن معديكرب

ليس الجمـالُ بمِـئْزَرٍ * فاعـلمْ وإن رُدِّيتَ بُرْدَا
إنّ الجمالَ معـادنٌ * وموارثٌ أورَثْنَ مَجْـدَا

وقال ابن هَرْمة

لو كان حولي بنُـو أميـة لم * يَنطِق رجال إذا هـمُ نطقـوا
إن جلسوا لم تَضِـقْ مجالسُهم * أو ركِبوا ضاق عنهمُ الأُفُقُ

(1) نصح الثوب: خاطه.

كم فيهمُ مِن أخ وذى ثِقةٍ * عن منكِبيه ٱلقميصُ مُنخَرِقُ
تجهَـــمَ عُـــوَّذَ النســاء إذا * ما ٱحمرّ تحت القَوَانِس الحَدَقُ
فريحُهُم عند ذاك أندى من ٱلـ * ـمسك وفيهـمْ لخـابطٍ وَرَقُ

قال حدّثنى أحمـد بن إسماعيـل قال : رأيت على أبى سعد[1] ٱلمخزومىّ الشـاعر كردوانيـا مصبوغا بسواد ، فقلت له : يا أبا سعد،هذا خزّ؟ فقال : لا ، ولكنه دَعِىٌّ على دَعِىّ ، وكان أبو سعد دعيا فى بنى مخزوم، وفيه يقول أبو البرق

لمـا تاه عـلى النـاس * شريفٌ يا أبا سـعد
فتِهْ ما شِئتَ إذ كنت * بلا أصـلٍ ولا جَدّ
وإذ حَظُّك فى ٱلنسبـة بين الخز وٱلعبـد
وإذ قاذفُــك المُفْحِــشُ فى أمنٍ مِنَ الحـَدّ

قال عمر بن عبد العزيز لمؤدّبه : كيف كانت طاعتى إياك وأنت تؤدّبنى ؟ قال: أحسن طاعةٍ، قال : فأَطِعْنى ٱلآن كما كنتُ أطيعك ، خذ من شاربك حتى تبدوَ شَفَتاك، ومن ثوبك حتى يبدوَ عَقِباك . وكيع قال : راح ٱلأعمش إلى الجمعة وقد قلّب فروةً جِلدُها على جلده وصوفُها إلى خارج ، وعلى كتفيه مِنديلُ الخـوّان مكانَ الرِّداء . قال حدّثنى أبو الخطاب عن أبى داود عن قيس عن أبى حُصَين قال: رأيت ٱلشعبىّ يَقْضِى على جِلْدٍ . قال الأحنف : ٱستجِيدوا النِّعال فانها خلاخيلُ الرجال. أبو الحسن المدائنىّ قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مُسْـلم فى مِدْرَعةِ صوف فقال له قتيبة : ما يدعوك الى لُبس هذه؟ فسكتَ ، فقال له قتيبة : أُكلّمك فلا تجيبنى ! قال : أكره أن أقولَ زهدا فأُزكّىَ نفسى ، أو أقول فقرا فأشكوَ ربّى.

---

(١) فى الأصول : "سعيد" والتصويب عن الأغانى وهو الموافق لما فى البيت الأوّل .

قال ٱبن السَّمَّاك لأصحاب الصوف : والله إن كان لباسُكم هـذا موافقا لسرائركم لقد أحببتم أن يطَّلع الناسُ عليها ، وإن كان مخالفا لها فقد هلكتم. وقال بعض المحدثين يعتذر من أطمارٍ عليه

فما أنا إلا السَّيفُ يا كلُّ جفنَه * له حليةٌ من نفســه وهو عاطِلُ

التَّخـــتُّم

قال حدّثنى أبو الخطاب زِياد بن يحيى الحَسَّانىّ قال حدّثنا عبـد الله بن ميمون قال حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم تختَّم فى يمينه .

قال حدّثنى أبو الخَطَّاب قال حدّثنا سهل بن حَماد قال حدّثنا أبو خَلْدة خالد بن دينار قال : سألت أبا العالية ما كان نقشُ خاتَم النبيّ صلى الله عليه وسلم؟ قال: "صَدَقَ اللهُ" قال : فألحق الخلفاء بعد صدق الله "محمد رسول [الله](1)" .

قال أبو الخطاب حدّثنا عَتَّاب(2) قال حدّثنا سالم بن عبد الأعلى عن نافع عن ٱبن عمر : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يذكر الشيء أَوْثقَ فى خاتمه خيطا .

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا عبد الله بن ميمون قال : حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه أن خاتم علىّ كان من وَرِقٍ نقشُه "نِعمَ القادرُ اللهُ". كان على خاتم علىّ بن الحسين بن علىّ "علِمتَ فٱعمَلْ" . كان نقش خاتم صالح بن عبيد الله بن علىّ "تبارك مَنْ

(١) زيادة لم توجد بالأصل ولعلها سقطت من الناسخ . ويؤيده ما فى "شرح المواهب اللّدنية" للزرقانى فى رواية ابن سعد عن أبى العالية : أن نقش خاتمه «صدق الله» ثم ألحق الخلفاء «محمد رسول الله» . أنظر ج ٥ ص ٤٥ طبع بولاق .

(٢) هكذا بالأصل ولعل الصواب أبو عتاب فانا لم نجد فى شيوخ أبى الخطاب الا أبا عتاب وهو سهل ابن حماد المذكور آنفا . وقد جاءت الرواية عنه فى أوّل سطر من صحيفة ٢٩٧ بكنيته أبى عتاب .

نَحْرِى بأنى له عبدٌ" ونقشُ خاتم شريح "الخاتمُ خيرٌ من الظن" . ونقش خاتم طاهر "وَضعُ الخدِّ للحقّ عِزٌّ" . وكان لأبى نواس خاتمان : أحدهما عقيق مربع وعليه

تعاظَمَنى ذنبى فلما عَدَلْتُهُ * بعفوك ربّى كان عفوُك أعظَمَا

والآخر حديد صينىّ مكتوب عليه : "الحَسَنُ يشهدُ أن لا إله إلا الله مخلصًا" فأوصى عند موته أن يُقلَعَ الفصُّ ويُغسَلَ ويُجعلَ فى فمه .

باب الطِّيب

قال حدّثنا محمد بن عُبَيد قال حدّثنا سفيان بن عُيينة عن عاصم الأحول عن أبى عثمانَ النَّهْدىّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خيرُ طِيب الرجال ما ظهر ريحُه وخَفِى لونُه، وخيرُ طيبِ النساء ما ظهر لونُه وخَفِى ريحُه» .

حدّثنا القُطَعِىُّ قال حدّثنا بِشْر عن آبن لَهِيعَةَ قال حدّثنى بُكَير عن نافع : أن آبن عمر كان يستجمر بعُودٍ غيرِ مُطَرًّى ويجعل معه الكافور ويقول : هكذا كان رسول الله يستجمر .

قال حدّثنا زياد بن يحيى قال حدّثنا زياد بن الربيع عن يونس، قال قال أبو قِلاَبة : كان آبن مسعود إذا خرج الى المسجد عرف جيرانُه ذاك بطيب ريحه .

حدّثنى القُومَسِىّ قال حدّثنا أبو نعيم عن شَقيق عن الأعمش قال قال أبو الضّحى : رأيتُ على رأس آبن الزبير من المسك ما لو كان لى كان رأسَ مال .

قال حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا أبو قتيبة وأبو داود عن الحسن بن زيد الهاشمىّ عن أبيه قال : رأيت آبن عباس حين أَحْرَم والغاليةُ على صلعته كأنها الرُّبّ .

قال حدّثنى أحمد بن الخليل عن عمرو بن عون عن خالد عن عمرو بن يحيى عن محمد بن يحيى بن حَبّان قال : كان عبد الله بن زيد يتخلّق بالخَلُوق ثم يجلسُ فى المجلس .

وحدّثنى أيضا عن سُوَيد بن سعيد عن ضِمام بن إسماعيل عن عُمَارة بن غَزِيّة قال : لمـا أولم[١] عمرُ بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبـد الملك أسرج فى مسارجه تلكَ الليلةَ الغاليـةَ .

قال وحدّثنى عن أبى عبد الرحمن المقرئ عن سعيد بن أبى أيوب عن عبيد الله ابن أبى جعفر عن الأعرج، قال : قال أبو هريرة، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : «لا تَرُدُّوا الطِّيبَ فإنه طَيِّبُ الريح خفيفُ المَحمِل» .

قال حدّثنى زيد بن أَخْزم قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا أنس بن مالك قال حدّثنا عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت : كأنى أنظر إلى وبِيص الطِّيب فى مَفَارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُحْرِمٌ . إبراهيم بن الحكم عن أبيـه قال [قال][٢] عِكرمة : كان ابن عباس يَطْلِي جسدَه بالمسك فاذا مرّ بالطريق قال ابن عباس : أمَرّ ابنُ عباس أم مَرّ المسكُ؟ . قال المُسَيِّب بن عَلَس يمدح بنى شيبان

تَبيتُ الملوكُ عـلى عَتْبها * وشيبانُ إن غَضِبتْ تَعتِبُ
وكالشَّهْد بالراح أحلامُهُـم * وأحلامُهـم منهما أعذبُ
وكالمسكِ تُربُ مَقاماتهم * وتربُ قبورِهـمُ أطيبُ

أخذه العباس بن الأحنف فقال

وأنت إذا ما وطِئتَ الترا * بَ صار ترابُك للناس طِيبا

وقال كعب بن زهير يمدح قوما

المطعِمون إذا ما أَزمةٌ أَزَمَتْ * والطيِّبونَ ثِيـابًا كلّما عَرِقُوا

(١) هكذا بالنسخة الألمـانية، وظاهر السياق يقتضى « بنى » أما النسخة الفتوغرافية فالفعل فيهـا محذوف سهوا .

(٣) كذا بالأصل ولعلها قال الناس .

وأنشد ابن الأعرابى

خَوْد يكون بها القليل تَمَسُّه(١) * مِن طيبها عَبِقًا يطيبُ ويكثُرُ
شَكَرَ الكرامةَ جِلدُها فصَفَا لها * إن القبيحةَ جلدُها لا يَشْكُرُ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : ذُكِر لأيوب هؤلاء الذين يتقشّفون فقال : ما علمتُ أن القذرَ من الدّين .

باب المجالس والجُلَساء والمحادثة

قال حدّثنى أحمد بن الخليل عن حبّان بن موسى قال حدّثنا ابن المبارك عن مَعْمر عن سُهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الرجلُ أحَقُّ بمجلسه اذا قام لحاجةٍ ثم رجَعَ» .

وحدّثنى أيضا عن سعيد بن سليمان عن إسحاق بن يحيى عن المُسيّب بن رافع عن عبد الله بن يزيد الخَطْمىّ عن عبد الله بن الغَسيل قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المرءُ أحقُّ بصَدْرِ بيته وصدرِ دابته وصدرِ فراشه ، وأحَقُّ أن يَؤُمَّ فى بيته» .

قال حدّثنى محمد بن عُبيد قال حدّثنا ابن عُيينة عن عمرو بن دينار عن أبى جعفر محمد بن على قال : أُلقِىَ لعلىّ وِسادةٌ يجلس عليها وقال : إنه لا يأبى الكرامةَ إلا حمارٌ . وفى الحديث المرفوع عن أبى موسى قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَثَلُ الجليس الصالح مَثَلُ الدّارِىّ إن لم يُحْذِك(٢) من طيبه عَلِقَكَ من ريحه ، ومَثَلُ الجليس السوء مَثَلُ الكير إن لم يُحْرِقْكَ بشَرار ناره عَلِقَكَ من نَتْنه» . قال أبو إدريس الخَوْلانىّ :

---

(١) فى النسخة الألمانية : النليل وفى الفتوغرافية : العليل ، وكلاهما محرّف عن «القليل» اذ هو الذى يقتضيه السياق .

(٢) أحذاه : أعطاه .

المساجدُ مجالسُ الكرام . قال الأحنف : أطْيَبُ المجالسِ ما سافرَ فيــه البصرُ وأتَّدع(١) فيه البدنُ ، فأخذه علىّ بن الجهم فقال

صُحُونٌ تُسافرُ فيها العيون * وتَحْسِرُ عن بُعد أقطارها

وقال المهلب : خيرُ المجالس ما بَعُدَ فيه مَدَى الطَّرْف وكثرت فيه فائدةُ الجليس . قيل للأَوْسيَّةِ : أىُّ مَنظَرٍ أحسنُ ؟ فقالت : قصورٌ بِيضٌ فى حدائقَ خُضْرٍ . ونحوه قول عدىّ بن زيد

كدُمَى العاج فى المحاريب أو كالــ ـبَيْض فى الروض زهرُه مُستنـيرُ

حدّثنا سهل بن محمد قال حدّثنــا الأصمعىّ قال : كان الأحنفُ إذا أتاه إنسان أوسع له ، فان لم يجــد موضعا تحرّكَ لِيُرِيَه أنه يُوسِعُ له . وكان آخر لا يُوسِــعُ لأحد ويقول ”ثَهلانُ ذو الهَضَبات ما يَتَحَلْحَلُ(٢)“ .

قال ابن عباس : لجليسى علىّ ثلاثٌ : أن أَرْمِيَهُ بطَرْفى إذا أقبــل ، وأن أُوسِعَ له إذا جلس ، وأُصْغِيَ إليه إذا تحدّث . وقال الأحنف : ما جلستُ مجلسًا فخفت أن أُقامَ عنــه لغيرى . وكان يقول : لَأَنْ أُدعَى من بعيد فأُجيبَ أحبُّ إلىّ من أن أُقْصَى من قريب .

كان القَعْقاع بن شَوْر إذا جالسه رجل فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيبا فى ماله ، وأعانه على عدوّه ، وشفع له فى حاجته ، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرا . وقسم معاويةُ يوما آنيةَ فضةٍ ودفع إلى القعقاع حظَّه منها ، فآثر به القعقاعُ أقربَ القوم إليه فقال

(١) من «ودع» ككرم ووضع : سَكن .

(٢) هذا شطر بيت من قصيدة للفرزدق وقد جاء فى الأصل وفى معجم البلدان هكذا «ثهلان ذوالهضبات» بالرفع . وقال ابن برى فيما حكاه صاحب اللسان : صوابه «ثهلان ذا الهضبات» بالنصب لأن صدره :

* فارفع بكفك إن أردت بناءنا *

وكنتُ جليسَ قَعقاع بن شَوْر * ولا يَشْــقَى بقعقاع جليسُ
ضحوكُ السنّ إن نطقوا بخــير * وعنــد الشرّ مِطراقٌ عَبــوسُ

كان يقال : إياك وصدرَ المجلس فإنه مجلس قُلْعة . قيل لمحمد بن واسع : ألا تَجلسُ متكئا ! فقال : تلك جِلْسَةُ الآمنين . قال عمرو بن العاص : ثلاثة لا أمَلُّهم : جليسي ما فَهِمَ عنّي ، وثوبي ما سترَني ، ودابتي ما حملت رجلي (١) . وزاد آخر : وآمرأتي ما أحسنَتْ عِشرتي .

ذكر رجل عبدَ الملك بن مروان فقال : إنه لآخِذٌ بأربع ، تارِكٌ لأربع : آخذٌ بأحسن الحديث إذا حَدّث ، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث ، وبأحسن البِشْر إذا لقِيَ ، وبأيسر المئونة إذا خولف . وكان تاركا لمحادثة (٢) اللئيم ، ومنازعة اللَّجوج ، وممارَاة السفيه ، ومصاحبة المأبون .

كان رجل من الأشراف إذا أتاه رجل عند انقضاء مجلســه قال : إنك جلستَ إلينــا على حينِ قيامٍ منّا أفتأذن ؟ . قال الفُضَيل بن عِيَاض للثوري : دُلَّني على مَنْ أجلسُ إليــه ، قال : تلك حالةٌ لا تُوجد . قال مُطرِّف : لا تُطعِم طعامَكَ مَنْ لا يشتهيه ، يُريد : لا تُقبِل بحديثك على من لا يُقبل عليك بوجهه . وقال سعيد بن سَــلْم : إذا لم تكن المحدِّثَ أو المحدَّث فانهضْ . ونحوه قول ابن مسعود : حَدِّث القومَ ما حدَّجوك بأبصارهم .

قال زياد مولى عَيَّاش بن أبي ربيعة : دخلت على عمر بن عبــد العزيز ، فلمــا رآني رحل عن مجلسه وقال : إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضــلا فلا تأخُذْ عليه شرفَ المجلس . وقال ابن عباس : ما أحدٌ أكرم عليّ من جليسي ، إن

(١) في النسخة الألمانية : رحلي . (٢) في العقد الفريد : لمجاوبة .

الذباب يقع عليه فيشقّ علىّ . ذكر الشَّعبىّ قوما فقال : ما رأيتُ مثلَهم أشدَّ تَناوبا[1] فى مجلس ولا أحسنَ فهمًا عن محدِّث .

قال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفـارِهَ ووطئنا الحسناءَ ولَبِسنا اللّيِّنَ وأكلنا الطَّيِّبَ حتى أَجَمْنا[2]، ما أنا اليومَ الى شىء أحوجُ منّى إلى جليس أضعُ عنّى مئُونة التحفظ فيما بينى و بينه .

روى ابن أبى ليلى عن حبيب بن أبى ثابت عن يحيى بن جَعْدة قال، قال عمر بن الخطاب : لولا أن أَسيرَ فى سبيل الله أو أضعَ جَبهتى فى التراب لله أو أُجالسَ قومًا يلتقطون طَيِّب القول كما يُلتقَط طيِّبُ التمر لأحببت أن أكونَ قد لحقتُ بالله. قال عامر بن عبـد قيس : ما آسى على شىء من العراق إلا على ظمأ الهواجر، وتجاوب المؤذنين ، وإخوان لى منهم الأسودُ بن كُلثوم . وقال آخر ما آسَى من البصرة إلا على ثلاث : قصب السُّكر[3]، وليل الخَرِير[4]، وحديث ابن أبى بَكرة . وقال المغيرةُ : كان يجالس إبراهيمَ صيرفىٌّ ورجل متّهَـمٌ برأى الخوارج، فكان يقول لنـا : لا تذكروا الربا إذا حضر هذا، ولا الأهواء إذا حضر هذا . وكان إمام مسجد الحرام لا يقول (تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ) إلا عنـد ختم القرآن فى شهر رمضان من أجل اللَّهَبِيِّينَ .

كان يقال : محادثة الرجال تُلقِحُ ألبابَها . كان بعض الملوك فى مسـير له ليلا فقال لمن حوله : إنه لا يُقطَعُ سُرَى الليل بمثل الحديث فيه فلينفُض كل رجل منكم بنـا

(١) فى الأصول : تنابذا ، والتصويب عن العقد الفريد .

(٢) أجم الطعام وغيره : كرهه وملّه .

(٣) فى الأصول : رطب والتصويب عن ثمار القلوب للثعالبى .

(٤) فى الأصول : الحزين وهو تحريف والتصويب عن ثمار القلوب ، قال الجاحظ : فى أعلى جبانة البصرة موضع يقال له الخرير . يقال إن الناس لم يروا قط هواء أعدل ولا نسيما أرق ولا أطيب من ذلك الموضع .

جَوْشًا[1] منه . قال معاوية لعمرو بن العاص : ما بقى مَن لذة الدنيا تلذُّه ؟ قال : محادثةُ أهل العلم، وخبرٌ صالح يأتينى من ضَيْعتى . قال أبو مُسْهِر : ما حدّثت رجلا قط إلا حدّثنى إصغاؤه : أَفَهِمَ أم ضَيَّع .

باب الثُّقَلاء

قال ابراهيم : إذا علم الثقيلُ أنه ثقيلٌ فليس بثقيل . كان يقال : مَنْ خاف أن يُثْقِّل لم يثقُل . قيل لأيّوب : ما لكَ لا تكتبُ عن طاوُس؟ فقال : أتيته فوجدته بين ثقيلين : ليث بن أبى سليم، وعبد الكريم بن أبى أميّة .

قال الحسن : قد ذكر الله الثقلَ فى كتابه قال : (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) . كان أبو هريرة إذا آستثقل رجلا قال : اللهم آغفر له وأرحنا منه . وكتب رجل على خاتمه : أَبْرمتَ فقُمْ، فكان إذا جلس إليه ثقيلٌ ناوله إياه . قال بُخْتَيْشُوعُ للمأمون: لا تُجالس الثقلاءَ فإنا نجدُ فى الطب : مجالسةُ الثقيل حُمَّى الروح . قال بعض الشعراء

إنى أُجالسُ معشرًا * نَوْكَى أخَفُّهمُ ثقيلُ
قومٌ إذا جالستَهم * صَدِئَتْ بقربهم العقولُ
لا يُفهِمونى قولَهم * ويَدِقّ عنهم ما أقولُ
فهُمُ كثيرٌ بى وأعلم أننى بهمُ قليلُ

أخبرنا النُّوشَجَانِيّ عن عمر بن سعيد القرشيّ قال حدّثنى صَدَقة بن خالد قال : أتيت الكوفةَ فجلستُ إلى أبى حنيفة، فقام رجل من جلسائه فقال

فما الفيلُ تحمِلُهُ مَيِّتًا * بأثقلَ من بعض جُلّاسنا

فما حملت عنه شيئا .

(١) فى القاموس : الجوش القطعة العظيمة من الليل أو من آخره اهـ. والجوشن بزيادة النون لغة فيه .

مر رجل بصديق له ومعه رجل ثقيل، فقال له : كيف حالك؟ فقال

وقائلٍ كيف أنت قلتُ له * هذا جليسى فما تَرى حالى

وقال بشّار

ربّما يَثقُل الجليسُ وإن كا * ن خفيفا فى كفّة الميزانِ
ولقد قلتُ حين وَتّد فى الأر * ض ثقيـلٌ أربَى على ثَهْلانِ
كيف لم تَحمِـلِ الأمانةَ أرضٌ * حملتْ فوقها أبا سفيانِ (١) !

وقال آخر

هل غُربةُ الدار منك مُنجيَتِي * إذا آغتـدتْ بى قَلائصٌ ذُمُلُ
وما أظنّ الفَـلاةَ تَنجيني (٢) * منـكَ ولا الفُلْكُ أيها الرجلُ
ولو ركبتُ البُراقَ أدركَنى * منكَ على نأى دارك الثِّقَـلُ
هـل لك فيما ملكتُ نافلةٌ * تأخـذُه جمـلةً وترتحـلُ

وقال أعرابىّ

كأنى عند حمزة فى مُقـامى * ألا حُيِّيتِ عنـا يا مَدِينَـا
بُلِينَا عنـده حتى كأنا * ألا هُبِّى بصَحنِك فاصبَحِينا

وقال آخر

ثقيـلٌ يُطالِعنا من أَمَمْ * إذا سرّه رغـمُ أنفى ألَمّْ
لطلعتـه وخزةٌ فى الحشـا * كوخز المَشَـارط فى المحتجَمْ
أقـول له إذ بدا طالعا (٣) * ولا حمّلتْـه إلينا قَـدَمْ
فقدتُ خيالكَ لا مِن عمًى * وأُذْنِي (٤) كلامَك لا من صَمَمْ

---

(١) فى العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : أباعمران. (٢) هكذا بالنسختين الفتوغرافية والألمانية "تنجينى" ولعلها "منجيتى". (٣) فى العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢٣ : «اذ بدا لا بدا» وفى ديوان نافلمه أبى نواس لا أتى. (٤) فى العقد الفريد والديوان : وصوت كلامك.

قال سُهيل بن عبد العزيز : مَنْ ثَقُلَ عليك بنفسه وغمّك فى سؤاله فألزمه أذناً صماء وعيناً عمياء .

وكتب بعضُ الكتّاب فى فصل من كتابه : ما آمنُ نزغَ مُستميحٍ حرمتَه ، وطالبِ حاجةٍ رددتَه ، ومُثابرٍ ثقيلٍ حجبتَه ، أو منبسطٍ نابٍ قبضتَه ، ومُقبلٍ بعنانه علىّ لَوَيتُ عنه ، فقد فعلت هـذا بمستحقين وبتعذر الحال ، فتثبت رحمك الله ، ولا تُطِعْ كلَّ حلّاف مَهِين .

وقال بعض المُحدَثين للخليل

خرجنا نُريد غُزاةً لنـا * وفينا زِيادٌ أبو صَعْصَعهْ
فستّةُ رهطٍ به خمسـةٌ * وخمسةُ رهطٍ به أربعهْ

باب البناء والمنازل

الهيثم بن عدىّ عن مُجَالِدٍ عن الشَّعبىّ قال قال السائب بن الأقرع لرجل من العجم : أخبرنى عن مكان من القرية لا يَخْرَبُ حتى أستقطعَ ذلك الموضعَ ، فقال له : ما بين الماء إلى دار الإمارة ، فاختطّ لثقيف ذلك الموضعَ ، قال الهيثم بن عدىّ : فبتُّ عندهم فإذا ليلُهم بمنزلة النهار .

وقال قائل فى الدار : ليكن أوّل ما تَبتاعُ وآخرَ ما تبيعُ .

وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر حين اختط داره ليبنيها : هى قميصُك فان شئتَ فوسّعه ، وإنْ شئت فضيّقه ، وأتاه وهو يبنى دارَه التى ببغداد بقرب الدور ، وإذا هم يُبيّضون حيطانَها فقال : اعلم أنك تُغَطّى الذهبَ بالفضة ، فقال جعفر : ليس فى كلّ مكانٍ يكون الذهبُ أنفعَ من الفضة ، ولكن هل ترى عيبا؟ قال : نعم ، مخالطتُها دورَ السُّوقة .

دخل آبن التوءم على بعض البصريين وهو يبنى دارا كثيرة الذرع ، واسعة الصحن ، رفيعة السّمك ، عظيمة الأبواب ، فقال : اعلم أنك قد ألزمت نفسك مئونة لا تُطاق ، وعيالا لا يُحتمل مثلُهم ، ولا بد لك من الخدم والسّتور والفرش على حسب ما ٱبتُليتَ به نفسُك ، وإن لم تفعل هُجّنت رأيك .

وقرأت فى كتاب " الآيين " أنه كان يُستقبَل بفراش الملك وبمجلسه المشرق ، أو يُستقبلُ به مَهبُّ الصَّبا ، وذلك أن ناحية المشرق وناحية الصبا يوصفان بالعلو والآرتفاع ، وناحيةَ الدَّبور وناحيةَ المغرِب يُوصفان بالفضيلة(١) والانخفاض ، وكان يُستقبلُ بصدور إيوانات الملِك المشرقُ أو مَهبُّ الدبور ، ويُستقبلُ بصدور الخلاء وما فيه من المقاعد مَهبُّ الصَّبا ، لأنه يقال : إن آستقبالَ الصَّبا فى موضع الخلاء آمنٌ من سِحر السَّحَرة ومن ريح الجِنَّة .

وكان عمر يقول : على كلّ خائنٍ أمينان : الماءُ والطينُ . ومر ببناء يُبنَى بآجُرّ وجِصٍّ فقال : لمن هذا؟ قالوا : لفلان ، عاملٍ له ؛ فقال : تأبى الدراهمُ إلا أن تُخرِجَ أعناقَها ، وشاطَره مالَه .

أبو الحسن قال : لما بلغ عمرَ أن سعدا وأصحابه قد بَنَوْا بالمدَر قال : قد كنتُ أكره لكم البنيانَ بالمدر ، فأمّا إذ قد فعلتم فعرِّضوا الحيطانَ ، وأطيلوا السَّمْكَ ، وقاربوا بين الخشب . وقيل ليزيد بن المهلب : لم لا تَبنى بالبصرة دارا؟ فقال : لأنى لا أدخلها إلا أميرا أو أسيرا ، فان كنتُ أسيرا فالسجن دارى ، وإن كنتُ أميرا فدارُ الإمارة دارى . وقال : الصواب أن تُتّخذَ الدورُ بين الماء والسّوق ، وأن تكونَ الدورُ شرقية والبساتينُ غربية .

قال بعض الشعراء

بنو عُمَيرٍ مجدُهم دارُهم * وكلُّ قومٍ لهم مَجْدُ

(١) وردت هذه الكلمة هكذا بالأصلين ولم يظهر لها معنى .

وقال آخر لأبى محمد اليزيدى

قَوْمِى خِيارٌ غيرَ ما أنهم * صَولَتُهُمْ منهمْ على جارِهم
ليس لهم مجدٌ سوى مسجِدٍ * به تَعَدَّوْا فوقَ أطوارهم
لو هُدِمَ المسجِدُ لم يُعرَفُوا * يوما ولم يُسمَعْ بأخبارهم

وقال رجل من خُزاعة

لخر المسيّبُ بالمناره * ومنارهُ برحا[1] عُمارَه
فإذا تفاخرتِ القبا * ئلُ من تميم أو فزاره
حَفلَتْ عليك شُيُوخُ ضَبّة بالمسيّب والمناره

مرّ رجل من الخوارج بدار تُبْنَى فقال : مَنْ هذا الذى يُقيم كفيلاً ؟ . وقالوا : كُلُّ مال لا يَخرجُ بخروجكَ ولا يرجعُ برجوعكَ ولا ينتقلُ فى الوجوه بانتقالكَ فهو كفيلٌ .

وقالت الحكماء من الروم : أصْلحُ مواضع البنيان أن يكونَ على تلٍّ أو كِبْس وثيق ليكونَ مُطِلّاً ، وأحقُّ ماجُعِلتْ إليه أبوابُ المنازل وأفنيتُها وكِوَاؤها المشرقُ واستقبالُ الصَّبا ، فان ذلك أصلح للأبدان لسرعة طلوع الشمس وضوئها عليهم .

ومن حسن التشبيه فى البناء قولُ علىّ بن الجهم

صُحُونٌ تُسافِر فيها العيون * وتَحسِرُ عن بعد أقطارِها
وقُبّةُ مُلْكٍ كأن النجو * مَ تُصْغِى إليها بأسرارها
وفَوّارةٌ ثأرُها فى السماء * فليست تُقَصِّرُ عن ثارها
إذا أُوقدتْ نارُها بالعراق * أضاء الحجازَ سَنا نارها
تَرُدُّ على المزن ما أنزلَتْ * على الأرض من صَوْب أقطارها

(١) محلة بالكوفة تنسب الى عمارة بن عقبة بن أبى معيط . معجم البلدان .

لهـا شُرُفاتٌ كأنّ ٱلربيـع * كساها ٱلرياضَ بأنوارهـا
فهنّ كمُصطحباتٍ خرجن * لفصـح النصارى وإفطارها
فمِنْ بين عاقصـةٍ شعرَهـا * ومُصـلِحةٍ عَقْـدَ زُنّارِهـا

وقال الوليد بن كعب

بكتْ دارُ بِشرٍ شجوَهَا أن تبدّلت * هـلالَ بن عياد بِبشر بن غالب
وما هي إلا مثلُ عِرسٍ تنقّلتْ * على رَغْمِها من هاشم فى مُحَارِبِ

وقال آخر

ألم تر حَوْشـبًا أمسى يُبَنِّى * قصورا نَفعُها لبنى بُقيـلهْ
يُؤمِّل أن يُعمَّرَ عُمْـرَ نوح * وأمرُ الله يحـدُثُ كلَّ ليله

كان مالك بن أسماء يَهْوَى جاريةً من بنى أسـد وكانت تنزل خُصًّا وكانت دارُ مالك مبنيةً بآجُرٍّ فقال

ياليتَ لى خُصًّا يُجاوِرُها * بدلًا بدارى فى بنى أسد
الخُصُّ فيه تَقَرُّ أعيُنُنَـا * خيرٌ من الآجُرِّ والكَمَـد

حدّثنى محمد بن خالد بن خِداش عن أبيه قال حدّثنا إسحاق بن ٱلفُرات قاضى مصر عن ٱلأوزاعىّ عن يحيى بن أبى كثير قال قال سليمان بن داود لابنه : يابُنَىّ إن من ضيق ٱلعيش شِراءَ ٱلخبز من السوق، والنقلةَ من منزلٍ إلى منزلٍ .

بلغنى أن رجلا من الزّهّاد مرّ فى زورق، فلما نظر إلى بناء المأمون وأبوابه صاح: واعُمَرَاه! فسمعه ٱلمأمونُ فدعا به فقال: ما قلتَ؟ قال: رأيتُ بناء ٱلأكاسرة فقلتُ ما سمعتَ، قال المأمون : أرأيتَ لو تحوّلتُ من هذه المدينـة إلى إيوان كسرى بالمدائن هل كان لك أن تعيبَ نزولى هناك؟ قال: لا، قال: فأراك إنما عبتَ إسرافى

فى النفقة، قال : نعم، قال : فلو وهبتُ قيمةَ هذا البناء لرجل أكنتَ تعيب ذلك؟ قال : لا، قال : فلو بنَى هذا الرجلُ بما كنتُ أهبُ له بناءً أكنتَ تصيحُ به كما صِحتَ بى؟ قال : لا، قال : فأراك إنما قَصَدتَنى لخاصّتى فى نفسى لا لعلة هى فى غيرى، ثم قال له : هذا البناءُ ضربٌ من مكايدنا نبنيه ونتخذ الجيوش ونُعدُّ السلاحَ والكُراعَ وما بنا إلى أكثره حاجةٌ، فلا تَعُودنّ إلىّ فتمسَّكَ عقوبتى، فإن الحفيظة ربما صرفَتْ ذا الرأى إلى هواه، فاستعمله .

باب المزاح والرخص[1] فيه

قال حدّثنا محمد بن عبيد عن معاوية عن أبى إسحاق عن هشام بن عروة عن أبى سلمة قال : أخبرتنى عائشةُ أنها سابقتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فسبقتْه، وسابقتْه فى سفر آخر فسبقها وقال : «هذه بتلك» .

حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى رافع قال : كان أبو هريرة على المدينة خليفةً لمروانَ، فربما ركب حمارا قد شدّ عليه برذعةً وفى رأسه حِليةٌ فيلقَى الرجلَ فيقول : الطريقَ، قد جاء الأميرُ، وربما دعانى إلى عشائه بالليل فيقول : دع العُرَاق[2] للأمير، فأنظر فإذا هو ثريدٌ بزيت .

قال حدّثنى محمد بن محمد بن مرزوق عن زاجر بن الصَّلْت الطاحى[3] عن سعيد ابن عثمان قال، قال الشعبىّ لخياط مرّ به : عندنا حُبٌّ مكسور تخيطُه؟ فقال الخياط : إن كان عندك خيوطٌ من ريح .

(١) كذا فى الأصل، ولم نجد فى القاموس ولا فى اللسان الرخص بمعنى الترخيص والتسهيل، والوارد فى هذا المعنى إنما هو الرخصة بتاء التأنيث فلعل التاء سقطت من قلم الناسخ .

(٢) العُراق : العظم أكل لحمه أو العظم بلحمه .

(٣) فى الأصل : الطاجى بالجيم وهو تحريف والتصويب عن تاج العروس .

وحدّثني بهذا الإسناد قال : دخل رجل على الشعبيّ ومعه في البيت امرأة فقال : أيكم الشعبيّ ؟ قال الشعبيّ : هذه . وسـئل الشعبيّ عن لحم الشيطان فقال : نحن نرضى منه بالكَفاف، قال : فما تقول في الذُّبّان ؟ قال : إن اشتهيتَه فكُلْه .

قال خالد بن صفوان للفرزدق وكان يمـازحه : ما أنت يا أبا فراس بالذى لمّـا رأينـه أكبرنه وقطعن أيديهن، قال : ولا أنت يا أبا صفوان بالذى قالت فيـه الفتاة لأبيها : (يَا أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ) .

حمـاد بن زيد عن غالب أنه سأل ابن سيرين عن هشـام بن حسان قال : تُوفّي البارحة، أَمَا شَعَرتَ؟ فجزع واسترجع، فلما رأى ابنُ سيرين جزعه قرأ (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَـا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) .

مَرَّ بالشعبيّ حَمّالٌ على ظهره دَنٌّ خَلٍّ ، فلما رآه وضعَ الدنَّ وقال : ما كان اسمُ امرأةِ ابليسَ؟ فقال الشعبيّ : ذاك نكاحٌ ما شَهِدناه .

حدّثني محمد بن عبـد العزيز عن الأصبهانيّ عن يحيي بن أبي زائدة عن الأعمش قال : عادني إبراهيم فنظر إلى منزلي فقال : أمّا أنتَ فتُعرَفُ في منزلك أنكَ لستَ من أهل القَريتين عظيم .

وروى وكيع عن ربيعة عن الزهريّ عن وهب بن عبد بن زمعة قال، قالت أم سلمة : خرج أبو بكر في تجارة ومعه نُعَيمان وسُوَيبِطُ بن حرملة، وكانا شهدا بدرا، وكان نعيمان على الزاد فقال له سويبط وكان مزّاحا : أطعمني، فقال : حتى يجيء أبو بكر، فقال : أما والله لأغيظنك ، فمرّوا بقوم فقال لهم سويبط : أتشترون مني عبدا لي ؟ قالوا : نعم، قال : إنه عبد له كلام وهو قائل لكم : إني حرّ، فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تُفسدوا عليّ عبدي، فقالوا : بل نشتريه منك

بعشر قلائص، ثم جاءوا فوضعوا فى عنقه حبلا وعمامة واشتروه، فقال نعيمان : إن هـذا يستهزئ بكم وإنى حرّ، قالوا : قد أُخبرنا بخبرك، وآنطلقوا به ، وجاء أبو بكر فأخبروه فاتبعهم فردّ عليهم القلائص وأخذه ، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه فضحك هو وأصحابه منهما حولا (١) .

حدّثنى محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عبدالله بن عبد الوهاب الحَجَبىّ عن أبى عَوَانة عن قتادة أن عدىّ بن أرطاة تزوّج امرأة بالكوفة وشرط لها دارها فأراد أن ينقلها فخاصمته إلى شريح ، فقال : أين أنت أصلحك الله ؟ قال : بينك وبين الحائط ، قال : إنى رجل من أهل الشام ، قال : بعيد سحيق ، قال : إنى تزوّجت امرأة ، قال : بالرفاء والبنين ، قال : وولدتْ غلاما ، قال : لِيَهْنِئْك الفارسُ ، قال : وشرطتُ لهـا دارها ، قال : الشرطُ أملكُ ، قال : اقض بيننا ، قال : قد قضيتُ ، قال : بِمَهْ ؟ قال شريح : «حَدِّث امرأة حديثين (٢) فإن أبت فارْبَعْ» قال لى المحـدّث : فأربعة ، وإنمـا هو فاربع أى كُفّ وأمسِكْ .

وتقدّم رجلان إلى شريح فى خصومة فأقرّ أحدُهما بمـا يدّعى الآخر عليـه وهو لا يعلم ، فقضى عليه شريح ، فقال الرجل : أتقضى علىّ بغير بينة ؟ فقال : قد شهد عندى ثقة ، قال : ومن هو ؟ قال : ابن أخت خالتك .

كان ابن سيرين يُنشِد

نُبِّئْتُ أن فتاة كنتُ أخطبها * عُرقوبُها مثلُ شهرآلصوم فىآلطول

---

(١) فى القاموس فى مادة نعم أن نعيمان هو المزّاح وأنه هو الذى باع سويبطا وبعـد نحو صفحتين من هذا الكتاب ستجد ذكر نعيمان بأنه هو المزاح .

(٢) رواه الميـدانى « حدّث امرأة حديثين فان لم تفهم فأربعة وفسره بقوله أى زد ثم قال : وأراد بالحديثين حديثا واحدا تكرره مرتين فكأنك حدثتها حديثين ، والمعنى كرر لها الحديث لأنها أضعف فهما فان لم تفهم فاجعلهما أربعا . ورواه فى اللسان كما فى الأصل وقال فى معناه أى قف واقتصر وهو من ربع يربع اذا كف وأمسك .

وقال أيضا

لقد أصبحت عِرسُ ٱلفرزدق ناشزا * ولو رضيتْ رمحَ ٱسته لٱستقرّتِ

وكان ٱبن سيرين يضحك حتى يسيل لُعابه .

ٱلمدائنى قال، قال عمرو بن ٱلعاص لمعاوية : إنى رأيت ٱلبارحةَ فى المنام كأن القيامة قد قامت ووُضِعت ٱلموازينُ وأُحضِر الناسُ للحساب ، فنظرت إليك وأنت واقف قد ألجمك العرقُ ، وبين يديك صحف كأمثال ٱلجبال ، فقال معاوية : فهل رأيتَ شيئا من دنانير مصر !

كان مَعْن بن زائدة ظَنِينا فى دينه ، فبعث إلى ٱبن عيّاش المَنْتوف بألف دينار ، وكتب إليه : قد بعثتُ إليك بألف دينار ٱشتريتُ بها دينَك ، فاقبض المال وٱكتب إلىّ بالتسليم ، فكتب إليه : قد قبضتُ ٱلدنانير وبِعتك بها دِينى خلا التوحيد لِمَا عرفتُ من زهدك فيه .

قال ٱلرشيد ليزيدَ بن مزْيد : ما أكثرَ الخلفاءَ من ربيعة ! فقال يزيد : أجل ، ولكن منابرهم ٱلجُذوع .

قال بلال بن أبى بُرْدة لٱبن أبى علقمة : إنما دعوتك لأسخَر منك ، فقال له ٱبن أبى علقمة : لئن قلتَ ذاك لقد حكّمَ المسلمون رجلين سخِرَ أحدُهما من الآخر .

كان يقال : ٱلسِّبابُ مِزاح ٱلنَّوْكَى(1) . وقال الشاعر

أخو ٱلجِدّ إن جاددتَ أرضاكَ جِدُّه * وذو باطل إن شئتَ ألهاكَ باطلُهْ

وقال مِسْعرُ بن كِدَام لابنه

ولقد حبوتك يا كِدامُ نُصيحتى * فاسمع لقول أبٍ عليك شفيقِ

أمّا المُزاحةُ والمِراءُ فدعهما * خُلُقان لا أرضاهما لصديق

ولقد بلوتُهما فلم أحمدهما * لمجاورٍ جارٍ ولا لرفيق

(1) كذا فى الأصل . وفى مجمع الأمثال للميدانى «المزاح سباب النوكى» .

وقال الكميت

وفى الناس أقناعٌ مَلَاهِيجُ بالخَنَا * متى يَبلُغِ الجِـدُّ الحفيظةَ يلعبوا

ومما يقارب هذا قولُ بعض المحدَثين

أرانى سَأُبدِى عنـــد أوّل سكرة * هوای لفضـل فى خفاءٍ وفى ستر

فإن رضيَتْ كان الرضا سببَ الهوى * وإن غضبَتْ حمّلتُ ذنبى على السكر

وقال الراعى — فى نحو هذا يصف نساء —

يُناجِينَنَا بالطَّرْف دون حديثنا * ويَقْضِين حاجاتٍ وهنّ مَوَازِحُ

عرض بعضُ الأمراء على رجل عملين ليختار أحدَهما فيوليه ، فقال : «كلاهما وتمرا» ، فقال : أعندى تمزح! لا وَلِيتَ لى عملا .

وقال عمر بن الخطاب : مَنْ كثر ضحكه قلّت هيبتُه . وقال علىّ : إذا ضَحِك العالم ضَحْكةً مجّ من العلم مَجّةً . وقال أكثم : «المُزاحةُ تُذهِبُ المهابةَ» .

الهيثمُ عن عوانة الكلبىّ قال : دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وهو مغموم وعنده رجل كان يحسُده الأخطل ويُقارضه ، فقال الأخطل : يا أمير المؤمنين عهدى بأبى هذا الفتى وهو سيدنا معشرَ بنى جُشَم ، وشيخنا الذى نصدرُ عن رأيه ، فاهتزّ لها الفتى وقال : يا أمير المؤمنين ، هو أعلم بنا قديما وحديثا ، قال الأخطل : إن أباه أمرنا ذات يوم وقـد نورت الرياضُ أن نَخْرُجَ إلى روضـة فى ظهر بيوت الحىّ فنتحدّث فيها ، فخرجنا وابتسطنا(١) لعبا ، وخرج الرجل منا بالبَكْرة الكَوْماء وبالخروف والجدى ، وقام الفتيانُ فاجتزروا واشتَوَوْا ودارت السُّقاةُ علينا ، فبينما نحن كذلك رُعِفَ أبوه فما تركنا فى الحىّ روثة حمار إلا نَشَّقْناه إياها فلم يَرْقأ دمُه ، فقال لنا شيخ :

(١) هكذا بالأصول ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا «ابتسط» ، ولعلّه محرّف عن «انبسطنا» .

شُدّوا خُصْيَيِ الشيخ عَصْباً، ففعلنا ذلك فرقاً الدمُ، فوالله ما دارت الكأسُ إلا دورة حتى أتانا الصريخُ عن أمّه أنها قد رَعَفتْ، فبادرنا إليها، فوالله ما درينا ما نَعصِبُ منها حتى خرجتْ نفسُها، وعبد الملك يَفحَصُ برجليه ضحكا، والفتى يقول: كذب والله، فقال عبد الملك: ألم تزعم أنه أعلم الناس بقديمكم وحديثكم!

حدّثنى أحمـد بن عمرو قال: كان رجل من الفقهاء فى طريق مكة، فرأى وهو محرم يربوعاً فرماه بعصا كانت فى يده فقتله، فقال الجمّالُ: ألستَ مُحرِما؟ قال: بلى وما كانت بى إلى رميه حاجة إلا أن تعلمَ أن إحرامى لا يمنعنى من ضربك.

قال وكان الأعمش يقول: مِنْ تمـام الحج ضربُ الجمّال.

المدائنىّ قال: كان نُعيمانُ رجلا من الأنصار وشهد بدرا وجلده النبىّ عليه السلام فى الخمر أربعَ مرات، فمرّ نعيمانُ بمَخْرَمة بن نَوْفل وقد كُفَّ بصرُه فقال: ألا رجل يقودنى حتى أبولَ، فأخذ بيده نعيمان، فلما [بلغ] (١) مؤخرَ المسجد قال: هاهنا فبُلْ، فبال فَصِيحَ به، فقال: مَنْ قادنى؟ قيل: نعيمان، قال: لله علىّ أن أضربه بعصاى هذه، فبلغ نُعيمانَ فأتاه فقال له: هل لك فى نعيمانَ؟ فقال: نعم، فقال: قم، فقام معه فأتى به عثمانَ بن عفانَ وهو يصلى، فقال: دونك الرجلَ، فجمع يديه فى العصا ثم ضربه، فقال الناس: أمير المؤمنين، فقال: مَنْ قادنى؟ قالوا: نعيمان، قال: لا أعود إلى نعيمان أبدا.

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن ابن أبى الزِّناد عن أبيه قال: قلت لخارجة بن زيد: هل كان الغناء يكون فى العُرُسات؟ قال: قد كان ذاك، ولا يُحضَر بمـا يُحضَر اليوم

(١) زيادة فى النسخة الألمـانية وهى لازمة.

من السفه، دعانا أخوالنا بنو نُبيط فى مدعاةٍ لهم فشهد المدعاةَ حسانُ بن ثابت وابنه عبد الرحمن وأنا، وجاريتان تُغنّيانِ

أنظر خليلى بباب جِلّق هل * تُؤنِسُ دون البَلْقاء من أحد

فبكى حسان وقد كُفّ بصرُه، وجعل عبد الرحمن يُومئُ إليهما أن زِيدا، فلا أدرى ما ذا يُعجبه مِن أن تُبكيا أباه، ثم جىء بالطعام، فقال حسان : أطعامُ يدٍ أم طعامُ يدين ؟ فقالوا : طعامُ يد، يريدون الثرِيدَ فأكل، ثم أُتِى بطعام آخر فقال : أطعامُ يد أم طعام يدين؟ قالوا : طعامُ يدين، يعنون الشِّواء فكفّ .

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : كان طُوَيْسٌ يتغنّى فى عُرس، فدخل النعمان ابن بَشير العرسَ وطويسٌ يقول

أَجَدّ بعَمرةَ غُنيانُها * فتهجُرَ أم شأنُنا شانُها[1]

وعمرة أم النعمان، فقيل له : اسكت اسكت، فقال النعمان : إنه لم يقل بأسا وإنما قال

وعَمْرةُ مِنْ سَرَوَاتِ النّسا * ءِ تَنفَحُ بالمسك أردانُها

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا الحجاج بن نُصير قال حدّثنا شُعبة عن قتادة عن أبى العالية أنه كان مع ابن عباس وهو محرم، فقال ابن عباس

وهُنّ يَمشِينَ بنا هَمِيسَا * إنْ تَصدُقِ الطيرُ نَنِلْ لَمِيسَا[2]

فقالوا : تقول الرفثَ وأنت محرم يابن عباس ! فقال : إنما الرفثُ عند النساء .

قال جابر الجُعْفىّ : رأيت الشعبىّ خارجا من الكوفة فقلت له : أين ؟ قال : أنظرُ إلى الفيل .

(١) كذا بالأصول ولسان العرب . وفى نهاية الأرب ج ٤ ص ٢١١ : أم شأنها شاننا وهو أوجه .

(٢) كذا فى الأصل ننل باللام . وروى فى شرح القاموس للرتضى والعقد الفريد بالكاف بدل اللام .

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا سَلْمُ بن قتيبة قال حدّثنا شَريك عن جابر الجعفىّ عن عِكْرِمة قال : ختن آبن عباس بنيـه فأرسلنى فدعوتُ اللعّابين فلعبوا فأعطاهم أربعمائة درهم (١) .

حدّثنى شيخ لنا من أهل المدينة قال : وَلِىَ الأوقصُ المخزومىُّ قضاءَ مكة فما رُئِىَ مثـلُه فى العَفاف والنُّبل ، فبينا هو نائم ذات ليلة فى جَناحٍ له مرّ به سكران يتغنّى ، فأشرف عليه فقال له : يا هذا ، شربتَ حراما ، وأيقظتَ نُوّاما ، وغنّيتَ خطأ ، خذ عنى فأصلحه له . وقال الأوقصُ قالت لى أمى : يا بُنىّ إنك خُلقتَ خِلقةً لا تصلُح معها لمجامعة الفِتْيانِ فى بيوت القِيَان ، إنك لا تكون مع أحد الا تخطّتْكَ إليه العيونُ ، فعليك بالدِّين فإنه يرفع الخسيسةَ ويُتِمّ النقيصةَ ، فنفعنى الله بكلامها فبلغتُ القضاءَ .

قال عبدالله بن جعفر لرجل : لو غنّتْكَ فلانةُ جاريتى صوتَ كذا ما أدركتَ دُكّانَك .

حدّثنى شيخ لنا عن سليم بن قتيبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال : مرّ بى عمرُ ، وأنا وعاصمُ بن عمرَ نتغنّى غناء النَّصْبِ (٢) ، فقال : أعيدا ، فأعدنا ، فقال : مَثَلُكُما مَثَلُ حِمارَى العِبَادِىّ ، قيل له : أىّ حمارَيك أشرّ (٣) ؟ قال : هذا ثم هذا .

وحدّثنى أيضا عن ابن عاصم عن ابن جُرَيج قال : سألتُ عطاء عن القراءة على ألحان الغِناء والحُداء فقال : وما بأس ، لقد حدّثنى عبيد بن عمير الليثىّ قال : كانت لداود نبىّ الله مِعْزَفةٌ يَضرِبُ بهـا إذا قرأ الزبور ، فكان إذا قرأ اجتمع إليه الإنس والجنّ والطير فبكى وأبكى مَنْ حوله . وقال لى غيره : ولهذا قيل : مزاميرُ داود ، كأنه أغانى داود .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية وفى النسخة الفتوغرافيـة "أربعة درهم" ولا ندرى أسقط من الناسخ كلمة مائة أم ألف الجمع فى دراهم . (٢) ضرب من أغانى العرب .

(٣) كذا بالأصل ، وفى مجمع الأمثال «شرّ» وهو الافصح .

خرج أبو معاوية الضرير يوما على أصحابه فقال

وإذا المِعْدةُ جاشت * فارمِها بالمَنجنيق

بثلاثٍ من نبيذٍ * ليس بالحُلو الرقيق

النُّوشَجانيّ قال حدّثنى محمد بن سابق قال حدّثنا مالك بن مِغْوَل عن أبى حَصين قال : شرِبَ الأسودُ فقال : لو سقيتمونى آخرَ لغنّيتُ .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا أبو أسامة عن المجالد[1] عن الشعبيّ عن عمه قال : صحبتُ ٱبنَ مسعود حولا من رمضان إلى رمضان لم يَصم يوما واحدا، [فـ][2]أهمنى ذلك وسألتُ عنه، ولم أره صلى الضحى حتى خرج من بين أظهرنا .

قال حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا مسلم بن إبراهيم عن مهدىّ بن ميمون قال : كان أبو صادق لا يتطوّع من السّنة بصوم يوم، ولا يصلى ركعةً سوى الفريضة قبلها ولا بعدها، وكان به من الورع شىء عجيب .

حدّثنى الزِّيادىّ قال قال حماد بن زيد عن أيوب قال : دخلت على رجل من الفقهاء وهو يلعب بالشِّطْرَنْج .

وحدّثنى الزِّيادِىّ قال حدّثنا حماد بن زيد عن هشام بن حسان قال : سئل ابن سيرين عن اللّعِب بالشِّطْرَنْج فقال : لا بأس به هو رِفقٌ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن معتمر قال ، قال أبى : تَرون أن الشِّطْرَنْج وُضِعت[3] على أمر عظيم؟ .

(١) كذا فى الأصل بالتعريف والمعروف فى كتب التراجم «مجالد» بدون أل ، ودخول أل فى مثل المنقول عن اسم الفاعل للمح الصفة موقوف على السماع من العرب . (٢) زيادة يقتضيها سياق الكلام .

(٣) لم نقف فى كتب اللغة على أن الشطرنج مما يصح تأنيثه ولعل تأنيثه هنا على تأويله بآلة لعب .

قال وحدّثنا الأصمعيّ عن ابن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد قال: كان قيس ابن أبي حازم في مَدْعَاةٍ فقال لصاحب المنزل: طَيِّرْ.

حدّثني شَبابة قال حدّثني القاسم بن الحَكَم العُرَنيّ قال: حدّثني سُلَيمٌ مولى الشعبيّ أن الشعبيّ كان اذا اختضب فغَرِضَ[1] لاعب ابنته بالنَّرْد حتى يَعْلَقَ الخضابُ.

حدّثنا إسحاق بن رَاهْوَيْهِ[2] قال أخبرنا النَّضْرُ بن شُمَيل قال حدّثنا شُعْبة عن عبد ربه قال: سمعتُ سعيدَ بن المسيب وسُئل عن اللعب بالنّرد فقال: إذا لم يكن قِماراً فلا بأس.

حدّثنا إسحاق بن راهويه[2] قال أخبرنا الفضل بن موسى عن رِشْدِين بن كُرَيب قال: رأيت عِكرِمةَ أُقيم قائمًا على اللعب بالنّرد. قال إسحاق: إن كان لَعِبُه على غير معنى القِمار يريد به التعليمَ والمكايدةَ فهو مكروه، ولا يبلغُ ذلك إسقاطَ شهادته.

وروى عبد الملك بن عمير عن إبراهيم بن محمد قال أخبرني أبي قال: رأيتُ أبا هريرة يلعب مع أبي بأربعةَ عشرَ على ظهر المسجد.

حدّثني محمد بن عبيد قال حدّثني عليّ بن عاصم عن أبي إسحاق الشَّيْباني عن خَوّات التيميّ عن الحارث بن سُوَيد قال: أتى عبدَ الله بنَ مسعود رجلٌ فقال: يا أبا عبد الرحمن إن لي جارا يُرْبِي وما يتورّع من شيء أصابه، وإني أُعسِرُ فأستسلفُهُ، ويدعوني فأجيبه، فقال: كُلْ فلك مَهْنَؤُه وعليه وِزْرُه.

كان أبو فَضَالة أَسَنَّ وشَقّت عليه الصلاةُ، فكان يقول: مُشْقِيةٌ مُنصِبَة، مُقِيمةٌ مُقْعِدة، لا تزال بصاحبها حتى يضعَ أكرَمَه ويرفعَ أخَسَّه.

(١) غرض: أصابه الملال.

(٢) كذا بفتح الراء وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الياء وبعدها هاء ساكنة ضبطه في ابن خلكان ثم قال: وقيل له أيضا رَاهُوَيَه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء.

قال عبد الله بن القَعْقاع الأسدىّ

أتانا بها صفراءَ يزعم أنها * زَبيبٌ، فصدّقناه وهو كذوبُ
فهل هى إلا ليلةٌ غابَ نحسُها * أُصلّى لربّى بعدها وأتوبُ

وقال آخر

مَنْ ذا يُحرِّمُ ماءَ المزن خالطه * فى جوف آنيةٍ ماءُ العناقيدِ
إنى لأكره تشديدَ الرُّواة لنا * فيها ويُعجبُنى قولُ ابن مسعود

وعيونُ الأخبارِ ومُتَخيَّرُ الشعر فى الشراب يقع فى كتابى المؤلف فى الأشربة، ولذلك تركت ذكرها .

وكتب بعضُ الكُتّاب إلى صديق له فى فصل : ونحن نحمد الله إليك فإن عُقْدَةَ الإسلام فى قلوبنا صحيحةٌ، وأَواخِيَّه ثابتةٌ، ولقد اجتهد قومٌ أن يُدْخِلوا قلوبَنا من مرض قلوبِهم، وأن يَلْبِسُوا يقينَنا بشكّهم، فمنعتْنا عصمةُ الله منهم، وحالَ توفيقُه دونهم ، ولنا بعدُ مذهبٌ فى الدُّعابة جميلٌ ، لا يَشُوبه أذًى ولا قذًى ، يُخرِج إلى الأُنس من العُبُوس، وإلى الاسترسال من القُطُوب، ويُلحِقُنا بأحرار الناس وأشرافهم الذين ارتفعوا عن لِبْسَةِ الرياء والتصنّع .

التوسّط فى الأشياء، وما يُكره من التقصير فيها والغلوّ

باب التوسط فى الدّين

حدّثنى الزِّيادىّ قال حدّثنا عبد العزيز الدَّرَاوَرْدِىّ قال حدّثنى محمد بن طَحْلاء عن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "اِكْلَفُوا من العمل ما تُطيقونَ فإنّ اللهَ لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا، وإنّ أفضلَ العمل أدومُه وإن قَلَّ" .

حدّثنى محمد بن يحيى القُطَعِىّ قال حدّثنا محمد بن على بن مُقَدّم عن مَعْنٍ الغِفَارىّ عن المَقْبُرِىّ عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ هذا الدِّينَ يُسْرٌ ولن يُشَادّ الدِّينَ أحدٌ إلا غلبه، فَسَدِّدُوا وقَارِبوا وأَبْشِرُوا".

حدّثنى القُومَسِىُّ عن أحمد بن يونس عن زُهير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدِّينُ الحسنُ والسَّمْتُ الصالحُ والاقتصادُ جزءٌ من خمسةٍ وعشرين جزءًا من النبوّة".

حدّثنى محمد بن عُبيد عن معاويةَ بن عمرو عن أبى إسحاق عن خالد الحَذّاء عن أبى قِلَابة عن مسلم بن يَسَار أنّ رُفقةً من الأشعريين كانوا فى سفر، فلما قدموا قالوا: يا رسولَ الله ليس أحدٌ بعد رسول الله أفضلَ من فلانٍ، يصومُ النهارَ، فإذا نزلنا قام يُصلّى حتى نرتحلَ، قال: "مَنْ كان يَمْهَنُ له أو يَكْفيه أو يَعمَلُ له؟" قالوا: نحن، قال: "كُلُّكم أفضلُ منه".

وروى أبو معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علىّ عليه السلام قال: خِيارُكم كلُّ مُفَتَّنٍ تَوّابٍ. وقال علىّ أيضا: خيرُ هذه الأمةِ النَّمَطُ الأوسطُ، يَرجِعُ إليهم الغالِى ويَلحَقُ بهم التالى (١).

وروى وكيع عن محمد بن قيس عن عمرو بن مرّة قال، قال حذيفةُ: خيارُكم الذين يأخذون من دنياهم لآخرتهم، ومن آخرتهم لدنياهم. وكان يقال: دِينُ الله

---

(١) كذا فى اللسان والعقد الفريد وفى الأصل «البالى» وهو تحريف، ورواه فى نهج البلاغة «نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالى وإليها يرجع الغالى» وفسره شارحه بأن آل البيت أشبه بها للاستناد إليهم فى أمور الدين كما يستند إلى الوسادة لراحة الظهر واطمئنان الأعضاء، ووصفها بالوسطى لاتصال سائر النمارق بها فكأن الكل يعتمد عليها إما مباشرة أو بواسطة ما بجانبه وآل البيت على الصراط الوسط العدل يلحق بهم من قصر ويرجع إليهم من غلا وتجاوز اهـ.

بين المقصِّر والغـالى . وقال المطرّف[1] لابنه : يابُنىَّ ، الحسنةُ بين السيئتين ، يعنى بين الإفراط والتقصير ؛ وخيرُ الأمور أوساطُها ، وشرُّ السَّيرِ الحَقْحقةُ[2] .

وفى بعض الحـديث المرفوع : "ليس خيرُكم مَنْ ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرةَ للدنيا ولكن خيرَكُم مَنْ أخذَ مِنْ هذه وهذه" . وقال : "إنّ الله بعثنى بالحَنيفيَّة السهلة ، ولم يبعثنى بالرَّهْبانية المبتدَعة ، سُنَّتى[3] الصلاةُ والنّوم ، والإفطارُ والصوم ، فمن رَغِبَ عن سنّتى فليس منّى" . وفى الحديث : "إنّ هـذا الدّينَ متينٌ فأوغِلْ فيـه برِفقٍ ، فإن المنبَتَّ لا أرضًا قطعَ ولا ظهرًا أبقَى" .

وكان يقال : طالبُ العلم وعاملُ البِرّ كآكل الطعام إن أخذ منه قوتا عَصَمه ، وإن أسرف فى الأخذ منه بَشِمه[4] ، وربمـا كانت فيه مَنِيَّتُه ، وكآخذ الأدوية التى قَصْدُها شفاءٌ ، ومجاوزةُ القدر فيها السمُّ المميتُ .

حدّثنى محمد بن عبيد قال : حدّثنا سفيان بن عيينة عن سالم بن أبى حَفْصة أنّ ٱبن أبى نُعْم كان يُهِلُّ من السنة إلى السنة ويقول فى تلبيته : لبيك ، لو كان رياء لاضمحلّ .

حدّثنى أحمد بن ٱلخليل قال حدّثنا موسى بن مسعود عن سفيان عن أبى إسحاق قال [قال] عمر بن ميمون : لو أدركَ أصحابُنا محمدَ بن أبى نُعْم لرجَموه ، كان يُواصل كذا وكذا يومًا ويُهِلُّ بالحج إذا رجع ٱلناسُ من ٱلحج .

وقال سلمانُ : القصـدَ وٱلدوامَ وأنت السّابقُ ٱلجـواد . وفى بعض ٱلحديث أن عيسى بن مَريم لقِيَ رجلا فقال : ما تَصـنع ؟ قال : أتعبَّدُ . قال : مَنْ يعود عليك؟ قال : أخى ، قال : أخوك أعبدُ منك .

(١) كذا بالأصل والمعروف فى كتب التراجم «مطرّف» بدون أل . (٢) الحقحقة : أرفع السير وأتعبه للظهر . (٣) فى الأصل «فنّى» وهو تحريف . (٤) هكذا فى النسخ التى بأيدينا «بشمه» بغير ألف . وفى القاموس واللسان ، يقال : بَشِمَ الرجلُ وأبشمه الطعامُ .

رَوْحُ بن عُبادةَ عن ٱلحجاج بن ٱلأسود قال : مَنْ يَدُلّني على رجل بَكّاءٍ بالليل بَسّامٍ بالنهار ؟

وروى أبو أُسامة عن حماد بن زيد عن إسحـاق بن سُويد قال ، قال مُطرِّف : انظروا قوما إذا ذُكروا ذُكِروا بالقراءة فلا تكونوا منهم ، وٱنظروا قوما إذا ذُكروا ذُكِروا بالفجور فلا تكونوا منهم ، كونوا بين هؤلاء وهؤلاء .

باب ٱلتوسّط في ٱلمداراة وٱلحلم

قرأت في كتاب للهنـد : بعضُ ٱلمقاربة حزمٌ ، وكلُّ ٱلمقـاربة عجزٌ ، كالخشبة ٱلمنصوبة في ٱلشمس تُمـالُ فيزيدُ ظلُّها ، ويُفرَطُ في ٱلإمالة فينقُصُ ٱلظلُّ . ومن أمثال العرب في هذا : «لا تكن حُلْوًا فتُسْـتَرَطَ(١) ولا مُرًّا فتُلفَظَ» وأبو زيد يقول : ولا مُرا فتُعقِيَ ، يقال : أعقَ ٱلشيءُ إذا ٱشتدّتْ مرارتُه(٢) . وقال الشاعر

* وإنّي لصعبُ ٱلرأس غيرُ جَمُوحِ *

وقال آخر في صفة قوس

* في كفّه مُعطِيةٌ مَنُوعُ *

وقال آخر

* شِرْيانةٌ تَمنعُ بعد اللّينِ *

وقال أبرويز لٱبنه : إجعل لٱقتصادك السلطانَ على إفراطك ، فإنك إذا قدّرتَ ٱلأمورَ على ذلك وزنتَها بميزان ٱلحكمة وقوّمتَها تقويمَ ٱلثِّقاف ، ولم تجعل للنـدامة سلطانا على الحلم .

---

(١) سرطه واسترطه : ابتلعه .

(٢) هذا يقتضى أن القاف في قوله تعق مكسورة ، ويقال : أعق الشىء إذا لفظه من فيه لمرارته ، وبهذا يصح أن يكون الفعل مبنيا للمجهول ، وقد روى المثل بالوجهين كما في اللسان .

وقال ٱلنابغة الجعدىّ

ولا خيرَ فى حِلم اذا لم تكن له * بوادرُ تَحْمِى صَفْوَه أن يُكَدَّرَا

وقال آخر

ولا خيرَ فى عِرْض آمرِئٍ لا يصونه * ولا خيرَ فى حِلم آمرِئٍ ذَلَّ جانبُه

وقال أكثم بن صيفىّ : الانقباضُ من ٱلناس مَكْسَبَةٌ للعداوة، وإفراطُ ٱلأنس مَكْسَبَةٌ لقُرَناءِ ٱلسُّوء .

باب ٱلتوسّط فى ٱلعقل وٱلرأى

رُوى فى ٱلحديث أن زياد بن أبى سفيان كان كاتبا لأبى موسى ٱلأشعرىّ فعزله عمر عن ذلك، فقال له زياد : أعن عجزٍ عزلتَنى يا أميرَ المؤمنين أم عن خيانة ؟ فقال : لا عن ذاك ولا عن هذا، ولكِنّى كرِهتُ أن أحمِلَ على ٱلعامّة فضلَ عقلكَ . ويقال : إفراطُ ٱلعقل مُضِرٌّ بالجَدّ . ومن ٱلأمثال ٱلمبتذلة : استأذنَ ٱلعقلُ على الجَدِّ فقال : اذهب لا حاجة بى اليك . وقال ٱلشاعر

فَعِش فى جَدٍّ أَنْوكَ حالفتْه * مقاديرٌ يُساعِدُها ٱلصوابُ

وقال آخر

إنّ ٱلمقاديرَ إذا ساعدَتْ * أَلْحَقتِ ٱلعاجزَ بالحازمِ

وقال آخر

أرى زمنا نَوْكاهُ أسعدُ أهلِه * ولكنّه يَشقَى به كلُّ عاقلِ

وقال الحسن : تشبّه زيادٌ بعمرَ وأفرط ، وتشبّه الحجاجُ بزيادٍ فأهلك الناسَ . وقالت الحكماء : فضلُ ٱلأدب فى غيرِ دِين مَهْلَكَةٌ ، وفضلُ ٱلرأى إذا لم يُستعمَلْ فى رِضوان الله ومنفعة ٱلناس قائدٌ إلى الذنوب، وٱلحفظُ ٱلزاكى الواعى لغير العلم النافع مُضِرٌّ بالعمل ٱلصالح، والعقلُ غيرُ ٱلمورِّع عن الذنوب خازنُ الشيطان .

تنازع ٱثنان : أحدهما سلطانىّ والآخر سُوقىّ ، فضربه السلطانىّ فصاح : واعُمَرَاه ! ورُفِعَ خبرُه إلى المأمون فأمر بادخاله عليه ، قال : مِنْ أين أنت ؟ قال : من أهل فَامِيَةَ ، قال : إن عمرَ بن ٱلخطاب كان يقول : مَن كان جاره نَبَطِيّاً وٱحتاج الى ثمنه فَلْيبعْه ، فان كنتَ تطلبُ سِيرةَ عمرَ فهذا حكمه فيكم ، وأمر له بألف درهم .

باب ذمّ فضل الأدب وٱلقول

قيل لبعض ٱلحكماء : متى يكون ٱلأدبُ شرًّا مِن عدمه ؟ قال : إذا كَثُرَ الأدبُ ونقصَ ٱلعقلُ . وكانوا يكرهون أن يَزيد مَنطِقُ الرجل على عقــله . ويقال : من لم يكن عقــلُه أغلبَ خصال ٱلخير عليــه كان حَتْفُه فى أغلب خصال ٱلخير عليه . وقال الشاعر

رأيتُ ٱللســانَ على أهــله * إذا ساسه ٱلجهلُ لَيْثاً مُغيرَا

وقال سليمان بن عبد ٱلملك : زيادةُ منطقٍ على عقلٍ خُدْعةٌ ، وزيادةُ عقلٍ على مَنْطِقٍ هُجْنةٌ ، وأحسنُ مِن ذاكَ ما زَيَّنَ بعضُه بعضا .

قال ضِرار بن عمرو لابنته حين زوّجها : أمسِكى عليك ٱلفَضْلَين : فضلَ الغُلْمَة وفضلَ الكلام .

وقال عمر بن ٱلخطاب رحمه الله : رَحِمَ اللهُ ٱمرَأً أمسكَ فضلَ ٱلقول وقدّمَ فضلَ العـــمل .

نزل ٱلمنذرُ بن ٱلمنذر فى كَتِيبِةٍ موضعًا ، فقال له رجل : أبيتَ ٱللّعنَ إن ذُبِحَ رجلٌ هاهنا ، إلى أىّ موضع يبلغُ دمُه مِن هذه الرابيةِ؟ فقال ٱلمنذر : ٱلمذبوحُ واللهِ أنتَ ، ولأنظرنّ أينَ يبلغُ دمُكَ ، فقال رجل[1] ممن حضر: «رُبَّ كلمةٍ تقولُ[2] [لصاحبها] دَعْني» .

(١) الذى فى مجمع الأمثال للميدانى : أن القائل هو المنذر نفسه .
(٢) الزيادة عن مجمع الأمثال للميدانى .

قال زيادٌ على المنبر : إن الرجلَ ليتكلّمُ بالكلمة لا يَقطعُ بها ذَنَبَ عنز مَصُورٍ ولو بلغتْ إمامَه سَفكتْ دمَه . وقال أكثم بن صيفي : مَقتَلُ الرجلِ بين فَكّيهِ . وقال الأحنف : حَتْفُ الرجلِ مخبوءٌ تحت لسانه .

باب التوسّط فى الجِدَة

كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهمّ إنى أعوذ بك مِن غِنًى مُبْطِرٍ ومِن فَقرٍ مُلِبٍّ أو مُرِبٍّ"[1]، وكذلك "اللهمّ لا غِنًى يُطْغِى ولا فقرًا يُنْسِى" .

وقال أبو المعتمر السُّلمىّ : الناسُ ثلاثةُ أصناف : أغنياء وفقراء وأوساط ، فالفقراءُ موتَى إلا مَنْ أغناه الله بعزّ القناعة ، والأغنياءُ سُكارَى إلا مَنْ عصمه الله بتوقّعِ الغِيَر ، وأكثرُ الخير مع أكثر الأوساط وأكثرُ الشرّ مع الفقراء والأغنياء لِسَخْفِ الفقر وبَطَر الغِنى . ومن أمثال العرب فى هذا : «بينَ المُمِخَّة والعَجْفَاء» .

باب الاقتصاد فى الإنفاق والإعطاء

قال الله عز وجل : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) ، وقال عز وجل : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا) .

حدّثنى أحمد بن الخليل عن مسلم بن إبراهيم عن سُكَين بن عبد العزيز عن إبراهيم ابن مسلم عن أبى الأحوص عن عبد الله قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما عَالَ مُقْتَصِدٌ" .

وحدّثنى أيضا عن مسلم قال حدّثنا أبو قُدَامَة الحارثُ بن عبيد قال حدّثنا بُرْدُ بن سِنَان عن الزُّهرى قال ، قال أبو الدَّرداء : حُسْنُ التقدير فى المعيشة أفضلُ من نصف الكسب ، ولَقَطَ حَبًّا منثورا وقال : إن فقهَ الرجل رِفْقُهُ فى معيشته .

---

(١) من ألبّ بالمكان وأربّ به : أقام به ولزمه .

قال أبو الأسود لولده: لا تُجاوِدُوا ٱللهَ فإنه أجودُ وأمجدُ، وإنه لو شاء أن يُوَسِّعَ على الناس كلِّهم حتى لا يكونَ محتاجٌ لفعلَ، فلا تُجهِدُوا أنفسَكم في ٱلتوسعة فتَهلِكُوا هُزْلًا.

قيل لمحمد بن عمران قاضي ٱلمدينة — وهو من ولد طلحة بن عبيد الله — : إنك تُنْسَبُ إلى البخل، فقال: والله إني لا أَجمُدُ في ٱلحق ولا أذوبُ في ٱلباطل. وكان يقال: لا تَصُنْ كثيرًا عن حقٍّ ولا تُنفِقْ قليلًا في باطل. ومن أمثال العرب في ذلك «لا وَكْسَ ولا شَطَطَ» و«إذا جَدَّ السؤالُ جَدَّ ٱلمنعُ». وقال ٱلشاعر

إلّا أَكُنْ كلَّ ٱلجـوَاد فإنّني * على ٱلزاد في ٱلظّلماء غيرُ لئيمِ
وإلّا أكن كلَّ ٱلشجاع فإنني * أَرُدُّ سِنانَ ٱلرمح غيرَ سَـليمِ
وقد علِمَتْ عُلْيَـا هوازنَ أنني * فتاها وسُـفلَى عامرٍ وتميـمِ

قال معاوية: ما رأيتُ شرفا قطّ إلا وإلى جانبه حقٌّ مُضَيَّعٌ.

أفعال من أفعال السادة والأشراف

حدّثني ٱلرِّياشيّ قال حدّثنا ٱلأصمعيّ قال حدثنا ابن عمران قاضي ٱلمدينة أن طلحة كان يقال له: [طلحة](١) ٱلخير، وطلحة ٱلفيّاض، وطلحة ٱلطّلَحات وأنه فدى عشرة من أُسَارى بدر وجاء يمشي بينهم، وأنه سُئل برَحِمٍ فقال: ما سُئلتُ بهذه ٱلرحِم قبل ٱليوم، وقد بعتُ حائطا لي بتسعمائة ألف درهم وأنا فيه بالخيار، فإن شئتَ ٱرتجعتُه وأعطيتُكه، وإن شئتَ أعطيتُكَ ثمنَه.

حدّثني سهل بن محمد عن الأصمعيّ قال أخبرني شيخ من مَشْيَختنا، — وربما قال: هارون ٱلأعور — أن قتيبة بن مسلم قال: أرسلني أبي إلى ضِرَار بن ٱلقَعْقاع بن مَعْبد ٱبن زُرَارة فقال: قل له قد كان في قومك دماء وجِراح، وقد أحبّوا أن تحضُرَ ٱلمسجدَ فيمن يَحضُر، قال: فأتيته فأبلغتُه فقال ياجارية: غَدِّيني، فجاءت بأرغفة

(١) زيادة في النسخة الألمانية.

خُشْنٍ فثردتهنّ فى مَرِيس[1] ثم بَرَقْتُهن[2] فأكل، قال قتيبة : فجعل شأنُه يصغُر فى عينى ونفسى، ثم مسح يده وقال : الحمدُ لله، حِنطةُ ٱلأهواز وتمرُ الفرات وزيتُ الشأم، ثم أخذ نعليه وٱرتدى، ثم ٱنطلق معى وأتى ٱلمسجدَ ٱلجامع فصلى ركعتين ثم ٱحتبى، فما رأته حَلْقَــة إلا تقوّضت إليه، فاجتمع ٱلطالبون وٱلمطلوبون فأكثروا ٱلكلام، فقال : إلى ماذا صار أمرُهم؟ قالوا : إلى كذا وكذا من إبلٍ، قال : هى علىّ، ثم قام.

الهيثم عن ٱبن عباس قال : كان معديكرِب بن أَبْرَهة جالسا مع عبد ٱلعزيز بن مروان على سريره فأُتِى بفتيانٍ قد شربوا ٱلخمرَ، فقال : يا أعداء الله، أتشربون الخمرَ! فقال معديكرب : أنشُدُكَ ٱلله أن تَفضَح هؤلاء[3]، فقال : إنّ ٱلحق فى هؤلاء وفى غيرهم واحد، فقال معديكرب : يا غلام صُبَّ من شرابهم فى ٱلقدح، فصبّ له فشربه وقال : والله ما شرابُنا فى منازلنا إلا هذا، فقال عبد ٱلعزيز : خلّوا عنهم، فقيل له حين ٱنصرفوا : شَرِبتَ الخمرَ! فقال : أما والله إن الله ليعلم أنّى لم أشربْها قطّ فى سِرٍّ ولا علانية، ولكنّى كرِهتُ أن يُفضَح مثل هؤلاء بحضرى[4].

وحدّثنى شيخ لنا قال : مدح شاعرٌ ٱلحسنَ بن سهل، فقال له : احتكِمْ، وظنّ أن همّتــه قصيرةٌ، فقال : ألف ناقة، فوَجَمَ ٱلحسنُ ولم يمكنْه، وكره أن يَفتضِحَ وقال : يا هذا إنّ بلادنا ليست بلادَ إبلٍ، ولكن ما قال ٱمرؤ القيس

إذا ما لم يكن إبلٌ فمِعزًى * كأنّ قرونَ جِلّتِها العِصِيُّ[5]

قد أمرتُ لك بألف شاة، فألْقَ يحيى بن خاقان، فأعطاه بكلّ شاة دينارا .

---

(١) فى هامش النسخة الفتوغرافية : «المريس تمر وزيت» ؛ وفى القاموس أنه التمر المروس أو اللبن .

(٢) برق الطعام بزيت أو سمن : جعل فيه منه قليلا . قاموس .

(٣) هكذا بالنسخ التى بأيدينا ، وظاهر الكلام يتوقف على " لا " الناهية .

(٤) فى الأصل بمصرى وهو تحريف . (٥) فى الأصل : عِصِىّ . والتصحيح عن الديوان والأغانى .

قال : وقدم زائر على أبى دُلَف فأمر له بألف دينار وكُسوَة ثم قال – ويقال إن الشعر لعبد الله بن طاهر –

أعْجلْتَنا فأتاك عاجـلُ بِرِّنا * قُـلًّا ولو أمهلْتنا لم يَقْلِـلِ
فخذِ القليلَ وكن كأنك لم تَقُل * شيئا ، ونحن كأننـا لم نفعَلِ

وقال بعض الشعراء

ليس جودُ الفِتيان من فضل مالٍ * إنمـا الجـودُ للقِـلِّ المُوَاسِى

وقال دِعْبِل فى نحوه

لئن كنتَ لا تُولِى يدًا دون إمْرة * فلستَ بمُـولٍ نائـلًا آخرَ الدّهرِ
فأىُّ إناءٍ لم يَفِضْ عنـد مَلئه! * وأىُّ بخيـلٍ لم يُنِلْ ساعةَ الوَفْرِ!
وليس الفتى المعطى على اليسر وحدَه * ولكنه المعطى على العسر واليسر

ابن الكلبىّ قال : أخبرنى غيرُ واحد من قريش قالوا : أراد عبد الله وعبيد الله ابنا العباس أن يقتسما ميراثهما من أبيهما بمكة، فدُعِىَ القاسم ليَقْسِم ، فلما مدّ الحبل قال له عبد الله : أقِمِ المِطْمَرَ، يعنى الحبل الذى يمدّ . فقال له عبيد الله : يا أخى ، الدارُ دارك لا يُمَدُّ والله فيها اليومَ مِطْمَرٌ . وكان يقال : مَنْ أراد العلمَ والسخاءَ والجمـالَ فليأتِ دار العباس ، كانَ عبدُ اللهِ أعلمَ الناسِ ، وعبيدُ اللهِ أسخَى الناسِ ، والفضـلُ أجملَ الناسِ .

باع عبدُ الله بنُ عتبةَ أرضا بثمـانين ألفا ، فقيل له : لو اتخذتَ لولدك من هذا المـال ذُخْرًا ! فقال : أنا أجعلُ هـذا المـالَ ذخرا لى عند الله ، وأجعلُ اللهَ ذخرا لولدى ، وقَسَمَ المـالَ .

ويقال : إنّ أوّلَ ما عُرِفَ به سُؤْدُدُ خالد بن عبد الله القَسرى أنه مرّ فى بعض طرق دِمشقَ وهو غلام فأوطأ فرسَه صبيًّا فوقف عليه ، فلما رآه لا يتحرك أمرَ غلامَه

لحمله، ثم انتهى به إلى أوّل مجلس مرّ به فقال: إن حَدَثَ بهذا الغلام حَدَثُ الموت فأنا صاحبُه، أوطأتُه فَرسى ولم أعلم.

قال عدِىُّ بن حاتم لابنٍ له حَدَثٍ: قُمْ بالباب فامنع مَنْ لا تعرِفُ وأْذَنْ لمن تَعرف، فقال: لا والله، لا يكونُ أوّلُ شىءٍ وَلِيتُه من أمرِ الدنيا مَنْعَ قومٍ من الطعام.

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: ضاف بَنِى زِيادٍ العبسيّين ضيفٌ، فلم يَشعُروا إلا وقد احتضن أُمَّهُم من خلفها، فرُفع ذلك إلى ربيع بن زياد الكامل فقال: لا يُضَارّ الليلةَ عائذُ أُمّى، إنه عاذَ بحَقْوَيْها.

المدائنىّ قال: أحدثَ رجلٌ فى الصلاة خلفَ عمرَ بن الخطاب، فلما سَلَّم عمرُ قال: أعزِمُ على صاحب الضرطة إلا قام فتوضأ وصلى، فلم يَقُم أحدٌ، فقال جرير ابن عبد الله: يا أميرَ المؤمنين اعزِم على نفسك وعلينا أن نتوضأ ثم نُعيدَ الصلاةَ، فأمّا نحن فتصيرُ لنا نافلةً، وأما صاحبُنا فيَقْضِى صلاتَه، فقال عمرُ: رحمك الله، إنْ كنتَ لشريفا فى الجاهلية فقيها فى الإسلام.

كان عبدُ الله بنُ جُدْعانَ التيمىّ حين كَبِرَ أخذ بنو تيم عليه ومنعوه أن يُعْطِىَ شيئا من ماله، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال: ادنُ مِنّى، فإذا دنا منه لطَمه ثم قال: اذهب فاطلبْ بلَطْمتك أو تُرْضَى، فتُرضِيه بنو تيم من ماله. وفيه يقول ابنُ قيس الرُّقيّات — حين فخرَ بسادة قريش —

والذى إن أشار نحوَك لَطْماً * تَبِعَ اللَّطْمَ نائـلٌ وعطاءُ

وابن جُدْعانَ هو القائل

إنّى وإن لم يَنَلْ مالى مَدَى خُلُقِى * وهّابُ ما ملكتْ كفّى من المـال

لا أحبِسُ المـالَ إلّا رَيْثَ أُتلِفُه * ولا تُغَيِّرُنى حالٌ عن الحـال

الهيثم عن حمّاد الراوية عن مشايخ طيّ قالوا : كانت عَنبةُ[(١)] بنتُ عفيف أُمُّ حاتم لا تُلِيقُ[(٢)] شيئا سخاءً وجودا، فمنعها إخوتُهـا من ذلك فأبتْ، وكانت مُوسرةً فحبسوها فى بيتٍ سنةً يُطعِمُونها قُوتَها رَجاءَ أن تَكُفَّ، ثم أخرجوها بعد سنةٍ وظنّوا أنها قد أقصرت ودفعوا إليها صِرْمةً[(٣)]، فأتتها آمرأة من هَوَازنَ فسألتْها فأعطتها الصِّرمةَ وقالت : وآلله لقد مسّنى من الجوع ما آليتُ معه ألّا أمنعَ سائلا شيئا، وقالت

لَعَمْرِى لَقِدْمًا عَضّنى آلجوعُ عَضّةً * فآليتُ ألّا أمنـعَ الدّهرَ جائعـا
فقولا لهـذا ٱللّائمى ٱلآن أَعْفِنى * فإن أنتَ لم تفعل فَعَضَّ الأصابعا
[فمـاذا عساكم أن تقولوا لأختكم[(٤)] * سوى عذلكم أو عذلِ مَنْ كان مانعا]
ولا ما تَرَوْنَ[(٥)] الدّهرَ إلا طبيعةً * فكيف بتركى يا ابن أُمِّ الطبائعا

آبن الكلبىّ عن أبيه عن رجالات طيّ قالوا : كان حاتم جوادا شاعرا، وكان حيثما نَزَلَ عُرِفَ منزلُه، وكان ظَفِرًا إذا قاتل غَلَبَ، وإذا غَنِمَ أَنْهَبَ، وإذا سُئِلَ وَهَبَ، وإذا ضَرَبَ بالقِدَاحِ سَبَقَ، وإذا أَسَرَ أَطْلَقَ، وكان أقسمَ بالله : لا يقتُل واحدَ أُمّه .

---

(١) كذا بالنسختين بعين مهملة ونون وباء موحدة بعدها . ويوافقه ما فى لشعر والشعراء للمؤلف وعلق عليه ناشره بأنه يروى «عتبة» و«عنية» أنظر نسخة طبعة أوربا ص ١٢٣ و١٢٤ ، وفى الأغانى طبع بولاق ج ١٦ ص ٩٧ «عتبة» . وكذا فى شعراء النصرانية وعلق عليه الناشر بأنه فى رواية الميدانى «عبة» . أنظر نسخة طبع بيروت ص ٩٨

(٢) لا تليق : لا تمسك .

(٣) القطعة من الإبل واختلف فى عددها من العشرة الى الخمسين .

(٤) زيادة عن الأغانى وشعراء النصرانية .

(٥) كذا بالنسختين . وفى الأغانى وشعراء النصرانية : «وهاذا تروى اليوم» الخ ، وفى هامش نسخة الشعر والشعراء : «فهل ما ترون اليوم» الخ .

أبو اليقظان قال : أخذ عبيدُ الله بن زياد عروةَ بنَ أُذينةَ(١) [أخا](٢) أبى بلال فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره، فقال لأهله : انظروا هؤلاء الموكَّلين بى فأحسِنوا إليهم فإنهم أضيافكم .

سفيان بن عيينة قال : كان سعيدُ بن العاص إذا أتاه سائلٌ فلم يكُ عنده ما سأل قال : اكتب علىّ بمسألتك سِجِلًّا إلى أيام يُسْرِى .

باع أعرابىّ ناقةً له مِنْ مالك بن أسماء، فلما صار الثمن فى يده نظر إليها فذرفتْ عيناه، ثم قال

وقد تنزِعُ الحاجاتُ يا أمَّ مَعْمرٍ * كرائمَ مِنْ ربٍّ بهنّ ضَنينِ

فقال له مالك : خُذ ناقتكَ وقد سوّغتُكَ الثمنَ . اشترى عبيدُ الله بن أبى بكْرة جاريةً نفيسةً فطُلِبَتْ دابةٌ تُحمَلُ عليها فلم تُوجَدْ ، فجاء رجل بدابّة فحملها . فقال له عبيدُ الله : اذهب بالجارية الى منزلك . باع ثابت بن عبيد الله بن أبى بكرة دارَ الصّفاق من مُقاتِل بن مِسْمَعٍ نَسيئةً ثم اقتضاه فلزمه فى دار أبيه . فرآه عبيدُ الله فقال : ما لَكَ؟ قال : حبسنى ابنُكَ . قال : بِمَ؟ قال : بثمن دار الصّفاق . قال : يا ثابتُ أما وجدتَ لغرمائك مَحْبِسًا إلّا دارى، ادفع اليه صَكّه وأعوضك . قيل لرجل : ما لَكَ تنزل فى الأطراف؟ فقال : منازلُ الأشراف فى الأطراف يتناولون ما يريدون بالقدرة ويتناولهم مَنْ يريدهم بالحاجة . لمّا كَبِر عَدِىُّ بن حاتم آذاه بردُ الأرض وكان رجلا

---

(١) كذا بالنسختين الألمانية والفتوغرافية وهو محرّف من "أُدَيَّة" وعروة بن أُدية هذا هو الذى قتله عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان فيمن قتل من الخوارج سنة ٥٨ هجرية . أنظر تاريخ ابن جرير الطبرى طبع أوروبا المجلد الثانى من القسم الثانى ص ١٨٥ و ١٨٦ والكامل طبع أوروبا ص ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤

(٢) هذه اللفظة ساقطة بالأصلين سهوا من الناسخ لأن المكنى بأبى بلال اسمه هو أخوه مرداس بن أُدَيَّة لا هو . أنظر ابن جرير أيضا فى ص ١٨٥ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٠٩

لحيًا فتمشت الأرض بفخذيه بجمع قومه فقال : يابنى ثُعَل ، إنى لستُ بخيركم إلا أن تروا ذلك فقد كان أبى بمكانٍ لم يكن به أحدٌ من قومه ، بنى لكم الشرفَ ونفى عنكم العارَ فأصبح الطائىّ اذا فعل خيرا قال العرب : مِنْ حىٍّ لا يُحمَدون على الجود ولا يعذَرون على البخل ، وقد بلغتُ من السنّ ما ترَوْنَ وآذانى بردُ الأرض فأْذَنُوا لى فى وِطَاءٍ فوالله ما اريده فخرًا عليكم ولا احتقارًا لكم ، وساخبركم : ما على مَنْ وضَعَ طِنْفِسةً وقُعِدَ حوله الا أنّ الحقّ عليه أن يبذُلَ فى عرضه ويتخدَّعَ فى ماله ولا يحسُدَ شريفا ولا يحقِرَ وضيعًا ، فقال القوم : دعنا اليوم ، ثم غدَوْا عليه فقالوا : يا أبا طريف ضَعِ الطِّنْفِسَةَ وآلبَسِ التاجَ ، فبلغ ابنَ دَارَةَ الشاعرَ فأتاه وقال : قد مدحتُك ، فقال : أَمسِكْ عليك حتى أُنبئَك بمالى فنمدَحنى على حَسَبه ، لى ألفُ ضائنةٍ وألفا درهم وثلاثةُ أعبدٍ[(١)] وفرسى هذا حبيسٌ فى سبيل الله ، هاتِ الآنَ فقال

تحِنُّ قَلوصى فى مَعَــدٍّ وإنمـا ... تُلاقى الربيعَ فى ديار بَنِى ثُعَــلْ

وأبقَى الليالى مِنْ عدىّ بن حاتِمٍ ... حُسَامًا كلَوْنِ الملحِ[(٢)] سُلَّ مِنَ الخِلَلْ

أبوكَ جَـوادٌ ما يُشَـقُّ غُبارُهُ ... وأنتَ جوادٌ لستَ تَعذِرُ بالعِلَلْ

فإن تفعلوا شرًّا فمثلكم آتقى ... وإن تفعلوا خيرًا فمثلكُمْ فَعَــلْ

فقال : أَمسِكْ عليك ، لا يبلغ مالى أكثرَ من هذا ، وشاطره ماله .

جاء رجل الى مَعْنٍ فاستحمله عيرًا فقال معنٌ : ياغلامُ أعطه عيرًا وبغلا وبِرْذَونًا وفرسا وبعيرًا وجارية ، ولو عرفتُ مركوبا غير هــذا لأعطيتُكَه . وكان يقال : حدِّثْ عن البحر ولا حرجَ وعن بنى إسرائيل ولا حرجَ وعن معنٍ ولا حرجَ . قال رجل من كَلْب للحكم بن عَوَانة وهو على السِّند : إنما أنت عبدٌ ، فقال الحكم : والله لأُعطينّك عطيةً

(١) فى العقد الفريد ، ج ١ ص ١١٧ زيادة «وثلاث إماء» .

(٢) رواية العقد الفريد ، ج ١ ص ١١٧ «كنصل السيف» .

لا يُعطيها العبدُ فأعطاه مائةَ رأس من السَّبْى . وقرأت فى بعض كتب العجم أن جاماتِ كسرى التى كان يأكل فيها كانت من ذهب ، فسرَق رجلٌ من أصحابه جاما وكسرى يَنظُر إليه ؛ فلما رُفعت الموائدُ آفتقدَ الطبّاخُ الجامَ فرجع يطلبها ، فقال له كسرى : لا تَتعَنّ فقد أخذَها مَنْ لا يردّها ورآه مَنْ لا يُفْشِى عليه ، ثم دخل عليه الرجلُ بعد ذلك وقد حَلّى سيفَه ومِنْطَقَته ذهبا ، فقال له كسرى بالفارسية : يافلان هذا ، يعنى السيفَ ، مِنْ ذاك قال : نعم وهذا ، وأشار الى مِنطَقَته . قالوا : لم يكن لخالد بن بَرْمَك أخٌ إلا بنى له دارا على قدر كفايته ووقف على أولاد الإخوان ما يُعيشُهُمْ أبدا ولم يكن لإخوانه ولدٌ إلا من جارية هو وهبها له .

بلغ آبنَ المقفع أن جارا له يبيع دارا له لدينٍ ركبه وكان يجلس فى ظلّ داره ، فقال : ما قمتُ إذًا بحرمة ظلّ داره إن باعها مُعْدِمًا وبِتُّ واجدًا ، فحمل اليه ثمنَ الدار وقال : لا تَبِعْ . قال أبو اليقظان : باع نَهِيكُ بن مالك بن معاوية إبلَهُ وآنطلق بثمنها الى مِنًى فجعل يَنْهَبُهُ ، والناسُ يقولون : مجنونٌ . فقال : لستُ بمجنونٍ ولكنّى سَمِعْتُ أنهيكم مالى اذا عزّ الفتح . قال : وأتى عبدَ الله بنَ جعفر قَهْرَمانُه بحسابه فكان فى أوّله حبلٌ بخمسين درهما . فقال عبد الله : لقد غلتِ الحبالُ ، فقال القَهْرَمانُ : إنه أبرقُ ، فقال عبد الله : إن كان أبرقَ فأنا أُجيزُه ، فهو الآن مثلٌ مضروب بالمدينة . كان أبو سفيان اذا نزل به جار قال له : يا هذا ، إنك قد اخترتنى جارا فجنايةُ يدِكَ علىّ دونك ، وإن جَنَتْ عليك يدٌ فاحتكِمْ علىّ حُكمَ الصبىّ على أهله . وقال بعض الشعراء — يُثنى على قوم بحسن الجوار —

هُمُ خلطونى بالنفـوس ودافعوا ∴ ورائى بركنٍ ذى مَناكبَ مِدْفَعِ
وقالوا تَعلَّمْ أن مالكَ إن يُصَبْ ∴ يَعُدْكَ وإن تُحبَسْ يَرِدْكَ ويَشْفَعِ

وروى عبد الله بن بكر السَّهْمى عن حاتم بن أبى صَغيرةَ عن حبيب بن أبى ثابت أن الحارثَ بنَ هشام وعِكْرِمةَ بن أبى جَهْل وعَيَّاشَ بن أبى ربيعة خرجوا يوم اليَرْمُوك

حتى آنبتّوا، فدعا الحارثُ بنُ هشام بماء ليشربه، فنظر إليه عكرمةُ فقال: ادفعه الى عكرمة فنظر اليه عيّاش فقال عكرمةُ: ادفعه الى عيّاش، فما وصل إلى عيّاش حتى مات ولا عاد اليهم حتى ماتوا، فسُمّى هذا حديثَ الكرام. وهذا الحديث عندى موضوع لأن أهل السِّيرة يذكرون أن عكرمةَ قُتِل يومَ أَجْنَادِينَ وعَيّاشٌ مات بمكة. والحارثُ مات بالشأم فى طاعون عَمْوَاس[1].

أعطى رجلٌ[2] آمرأةً سألته مالا عظيما، فلاموه وقالوا: إنها لا تَعرِفُكَ وإنما كان يُرضيها اليسيرُ. فقال: إن كانت تَرضى باليسير فانّى لا أرضى إلا بالكثير وإن كانت لا تَعرِفُنِى فأنا أعرِفُ نفسى.

قال بعض الشعراء

وما خيرُ مالٍ لا يَقِى الذمَّ ربَّهُ * ونفسِ آمرئٍ فى حَقّها لا يُهِينُها

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

أَرَى نَفْسِى تَتُوقُ الى أمورٍ * ويَقْصُرُ دون مَبْلَغِهِنّ حالى[3]
فنفسِى لا تُطاوِعُنى ببخلٍ * ومالى لا يُبَلِّغُنِى[4] فَعَالى

وقال أيضا

ولا أقولُ نَعَمْ يوماً فأُتبِعُها * مَنْعاً ولو ذَهَبَتْ بالمال والولدِ
ولا آؤْتُمِنْتُ على سِرٍّ فَبُحْتُ به * ولا مَدَدتُ الى غيرِ الجميل يَدِى

وقال كعب بن سعد الغَنَوِىّ

وذى نَدَبٍ دَامِى الأَظَلِّ[5] قَسمتُه * محافظةً بنى وبين زميلى

(١) هكذا بفتح أوله وسكون ثانيه كما فى التاج وكما نقل هو عن الروض الأنُف للسهيلى. ثم نقل أن أصحاب الحديث يحركون الميم وأن البَكْرىّ فى معجمه ضبطها كذلك. (٢) هو عبد الله بن جعفر كما فى العقد الفريد ج ١ ص ١١٢ (٣) الذى فى ديوان الحماسة ج ٣ ص ١٠٢ مع شرح التبريزى «مالى». (٤) فى الأصول «ليس يبلغه» وهو غير متفق مع المعنى المراد والتصويب عن ديوان الحماسة مع شرح التبريزى ج ٣ ص ١٠٢ (٥) الأظلّ بطن الأصبع من الانسان، ومن الإبل باطن المنسم.

وزادٍ رفعتُ الكفَّ عنه تجمُّلا * لأُوثِرَ فى زادى علىَّ أكيلى
وما أنا للشىء الذى ليس نافِعِى * ويَغضَبُ منه صاحبى بِقَؤُول

وقال زهير

وأبيضَ فيّاضٍ يَدَاه غمامةٌ * على مُعتفيه ما تُغِبُّ نَوافِلُهْ
غَدوتُ عليه غَدوةً فوجدتُه * قُعودًا لديه بالصَّرِيم عَواذِلُهْ
فأعرضْنَ منه عن كريم مُرَزَّإٍ * جَمُوعٍ على الأمر الذى هو فاعِلُهْ
أخى ثقةٍ لا تُذْهِبُ الخمْرُ[1] مالَه * ولكنه قد يُذْهِبُ المالَ نائلُهْ
تراه اذا ما جِئتَه مُتهلِّلا * كأنكَ تُعطيه الذى أنتَ سائلُهْ

المدائنىّ قال : أضلّ فيروزُ بنُ حصين سوطَه يوما . فأعطاه رجلٌ سوطا فأمر له بألف درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : مَن أنتَ ؟ قال : صاحبُ السوط فأمر له بألف درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : مَن أنتَ ؟ قال : صاحبُ السوط ، قال : أعطوه ألفَ درهم ومائةَ سوط فانقطع عنه . قال الشاعر

إنّى حَمِدْتُ بَنِى شَيْبانَ اذ خَمَدَتْ * نيرانُ قومى فشَبَّتْ فيهم النارُ
ومن تكرُّمِهم فى المَحْلِ أنهمُ * لا يَحْسَبُ الجارُ فيهم أنه جارُ

وقال آخر

نزلتُ على آل المهلّب شاتيًا * بعيدًا قَصِىَّ الدار فى زمنٍ مَحْلِ
فما زالَ بى إلطافُهُمْ وافتقادُهمْ * وإكرامُهُمْ حتى حَسِبْتُهُمُ أهلى

وقال آخر

إذا كان لى شيئانِ يا أمَّ مالكٍ * فإنّ لجارى منهما ما تخيَّرا

---

(١) فى الأصل «لا يذهب الحمد» وهو تحريف ، والتصويب عن الديوان والشعر والشعراء لابن قتيبة .

وقال عمرو بن الأهتم

ذَرِينِي فإنّ الشُّـحَّ[1] يا أمَّ هيثمٍ * لِصالحِ أخـلاقِ الرجالِ سَرُوقُ
ذَرِينِي وحُطِّى[2] فى هَـوايَ فإنّنى * على الحَسَبِ العالى الرَّفيع[3] شَفيقُ
ومُستَنْبِحٍ بعـد الهُدوءِ دعوتُه * وقد كان مِنْ سَارِي الشتاءِ طُرُوقُ
فقلتُ له أهلًا وسهلًا ومرحبًا * فهـذا مَبِيتٌ صالحٌ وصَـديقُ
أضَفْتُ فلم أُفْحِشْ عليه ولم أقُلْ * لِأحْرِمَهُ إنّ الفِناءَ مَضِيقُ
لَعَـمْرُكَ ما ضاقت بلادٌ بأهلها * ولكنّ أخلاقَ الرجال تَضِيقُ

كان يقال : للعباس بن عبد المطلب ثوبٌ لِعَارى بنى هاشم، وجَفْنةٌ لجاره ومِقْطَرَةٌ[4] لجاهلهم. قال بكر بن النَّطّاح

ولو خَذَلَتْ أموالَه جودَ كفِّه * لَقَاسَمَ مَنْ يرجوه بعضَ حياتِه
ولو لم يجِـد فى العُمْر قسمًا لزائرٍ * لَجادَ له بالشَّـطْرِ مِنْ حسناتِه

وقال الفرزدق

إنّ المهالبةَ الكرامَ تحمَّـلوا * دفعَ المكاره عن ذوى المكروه
زانوا قديمَهُمْ بحسـن حديثهم * وكريمَ أخـلاقٍ بحسن وجوه

كان يقال : الشَّرفُ فى السَّرفِ . قال عامر بن الطُّفيل

اذا نزلَتْ بالناس يومًا مُلِمّـــةٌ * تَسوقُ من الأيام داهـيةً إدًّا

---

(١) فى الأصل «الشيخ» وهو تحريف والتصويب عن شرح ديوان الحماسة للتبريزى ج ٤ ص ٩٤
(٢) فى الأصل : حظّى بالظاء المعجمة ، والتصحيح عن شرح ديوان الحماسة للتبريزى ج ٤ ص ٩٤ وتاج العروس فى مادة «حطّ» ويقال كما فى أساس البلاغة : «حطّ فى هواه وانحطّ فيه» أى اندفع فيه والمراد منه فى البيت مساعدته على الجود . (٣) الذى فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى ج ٤ ص ٩٤ «الزاكى» . (٤) هى خشبة فيها خروق كل خرق على قدر سعة الساق يُدْخَل فيها أرجلُ المحبوسين .

دَلَفْنا لها حتى نُقَوِّمَ مَيْلَهَا * ولم نَهْدَ عنها بالأسنّة أو تَهْدَا
وكم مُظْهِرٍ بَغْضاءنا وَدَّ أننا * اذا ما التقينا كان أَخْفَى الذى أبدى
مَطَاعِيمُ فى اللأْواء مَطَاعِينُ فى الوغى * شمائلُنا تَنْكِي وأيمانُنا تَنْدَى

وقال حاتِم طيّئ

أَكُفُّ يدى من أن تَنَالَ أَكُفَّهُم (١) * اذا ما مَدَدناها وحاجتُنَا معا
وإنى لَأستَحْيِي رَفِيقِي أن يَرَى * مكانَ يدى مِنْ جانب الزاد أَقرَعَا

وقال جابر بن حبّان (٢)

فإن يَقتَسِمْ مالى بَنِيَّ ونِسوَتِي (٣) * فلن يَقْسِمُوا خُلُقِي الكريمَ ولا فعْلِي
وما وجدَ الأضيافُ فيما يَنُوبُهُمْ * لهم عند عِلَّاتِ النفوس (٤) أَبًا مِثلِي
أُهِينُ لهم مالى وأعْلَمُ أنّنى * سَأُورِثُه الأحياءَ سِيرةَ مَنْ قَبلى

كان سعيد بنُ عمرو مُؤاخيا ليزيدَ بن المهلب. فلما حبسَ عمرُ بن عبدالعزيز يزيدَ ومَنِعَ من الدخول عليه، أتاه سعيدٌ فقال: يا أميرَ المؤمنين، لى على يزيدَ خمسون ألف درهم وقد حُلْتَ بينى وبينه، فان رأيت أن تأذَنَ لى فأَقْتَضِيَه؟ فأذن له فدخل عليه فسُرَّ به يزيدُ. وقال: كيف وصلتَ الىّ؟ فأخبره. فقال يزيد: والله لا تخرج إلا وهى معك فامتنع سعيدٌ فحلف يزيدُ ليقبضَنّها، فقال عَدِىّ بن الرِّقَاع

---

(١) كذا فى الأصل . ورواية الحماسة مع شرح التبريزى ج ٤ ص ١١٨

أَكُفّ يدى من أن ينال التّناصب * أكفّ صحابى حين حاجتنا معا

(٢) هكذا فى الأصول «حبّان» بالباء الموحدة . والذى فى ديوان الحماسة مع شرح الخطيب التبريزى ج ٤ ص ١١٦ «حيّان» بالياء المثناة . (٣) فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى ج ٤ ص ١١٦ «وزوجتى» . (٤) الذى فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى ج ٤ ص ١١٧ «عِلّات الزمان» .

لم أر محبوسا من الناس واحدًا * حبَا زائرا فى السجن غيرَ يزيد
سـعيدُ بنَ عمرو إذ أتاه أجازه * بخمسـين ألفا عُجِّلَتْ لِسَـعيد

وقال بعضُ الشعراء

وإنّى لحَـلَّالٌ بِىَ ٱلحقُّ، أتّقِى * إذا نزلَ الأضيافُ أن أتجهَّمَا
إذا لم تَذُدْ ألبانُها عن لحُـومها * حَلبنَا لهم منهـا بأسـيافنا دَمَا

دخل شاعر على المهدىّ فامتدحه، فأمر له بمال فلما قبضه فرّقه على مَنْ حضر وقال

لمستُ بكفِّى كفَّه أبتَـغِى الغِنَى * وما خِلْتُ أنّ الجودَ مِنْ كفِّه يُعْدِى
فلا أنا منـه ما أفادَ ذَوُو الغِنَى * أفدْتُ وأعْدَانى فبدّدتُ ماعندى

أخبرنى أبو الحسن على بن هارون الهاشمىّ قال، أخبرنى وكيع قال حدّثنى أبو العَيْناء قال: كان بالبصرة لنا صديقٌ يهودىّ وكان ذا مالٍ وقد تأدّبَ وقال الشعرَ وعرفَ شيئا من العلوم وكان له وَلَدٌ ذكورٌ، فلما حضرته الوفاةُ جمعَ مالَه وفرّقه على أهل العلم والأدب ولم يترك لولده ميراثا فعُوتِبَ على ذلك فقال

رأيتُ مالى أبرَّ من وَلَدِى * فاليومَ لا نِحْـلةٌ ولا صَدَقَهْ
مَنْ كان منهـم لها فأبعـده الله ومَنْ كان صالحا رَزَقَهْ

وحدّثنى الأخفشُ بهذا الخبرِ عن المبرّد عن الرِّياشىّ والله أعلم

تجز الجزء الثالث وبه ينتهى المجلد الأوّل ويتلوه فى أوّل المجلد الثانى
الجزء الرابع وبه كتّاب الطبائع

EGYPTIAN NATIONAL LIBRARY

ʿUYŪN AL-AḪBĀR

BY

IBN QUTAYBA

Abū Muhammad ʿAbdullāh b. Muslim al-Dinawarī

(d. 276 H.)

Vol. I

[2nd EDITION]

NATIONAL LIBRARY PRESS

CAIRO

1996

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٤٠١ / ١٩٩٦
I. S. B. N. 977 - 18 - 0028 - 0

ʿUYŪN AL-AḪBĀR

عيون الأخبار

رقم الإبداع بدار الكتب ٣٤٠١ / ١٩٩٦
I. S. B. N. 977 - 18 - 0028 - 0

دار الكتب المصرية

كتاب
عيون الأخبار

تأليف

أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِى

المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الثانى

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة — كتاب العلم والبيان — كتاب الزهد

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٩٩٦

فهرس

المجلد الثانى من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة

كتاب العلم والبيان

كتاب الزهد

مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

باب من المواعظ

كتاب

الطبائع والأخلاق المذمومة

تشابه الناس في الطبائع وذمّهم

حدّثني محمد بن عُبيد قال حدّثنا يحيى بن هاشم الغسّانيّ عن إسماعيل بن أبي خالد عن مُصْعَب بن سعد قال، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الناسُ بأزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم . قال وحدّثني حسين بن الحسن المروزيّ قال، حدّثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان قال قال أبو الدَّرْداء : «وجدتُ الناسَ اُخْبُرْ تَقْلِهْ(1)» .

قال حدّثني محمد بن عُبيد قال حدّثنا شُرَيحُ بن النعمان عن المُعَافَى بن عمر أن عمرَ ابن الخطاب رضي الله عنه مرّ بقوم يتّبعُون رجلا قد أُخِذَ في رِيبة فقال : لا مرحبا بهذهِ الوجوهِ التي لا تُرَى إلا في الشرّ .

قال وحدّثني محمد بن داود قال، حدّثنا الصَّلْتُ بن مسعود قال حدّثنا عثّامُ ابن عليّ عن الأعمش عن أبي إسحاق عن عَبِيدَةَ أن الوليد السُّوائيّ قال : لَغَطَ قومٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل : يارسولَ الله لو نَهيتَهم! فقال: "لو نَهيتُهم أن يأْتوا الحَجُونَ لأتاه بعضُهم ولو لم تَكُنْ له حاجةٌ" .

---

(1) القلى البغض وهو من باب نصر ورمى ورضى والهاء فيه للسكت اذ أصله اخبر الناس تقلهم فحذف الضمير وحل محله الهاء وقد روى برفع الناس على الحكاية كقوله * سمعت الناسُ ينتجعون غيثا * البيت . ومعناه وجدت : الناسُ مقول فيهم ذلك . وروى أيضا بنصبه، وتقديره وجدت : الناسَ اخبر تَقْلَه أى وجدت الأمر كذلك، وعلى كل حال فلفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر، يريد أنك اذا خبرتهم قليتهم، وهو مثل يضرب في ذم الناس وسوء معاشرتهم .

قال وحُدِّثنا عن عفّانَ عن مهدىّ بن ميمون عن غَيلانَ بن جرير قال قال مطرّف: هم الناس وهم النَّسْنَاس وناسٌ غُمِسُوا فى ماءِ الناس .

قال يونس بن عُبيد : لو أُمِرْنَا بالجزَع لَصَبَرْنَا .

وكان يقال : لو نُهِى الناسُ عن فَتّ البَعْر لَفَتُّوه، وقالوا : ما نُهِينَا عنه إلا وفيه شىءٌ . وقال الشاعر

ولما أن أتيتُ بنى جُوَينٍ ، جلوسًا ليس بينهُـمُ جَليسُ
يَئستُ مِنَ التى أقبلتُ أبغى * لديهم ، إنّنى رجلٌ يَئُوسُ
إذا ما قلتُ أيهُـمُ لأىٍّ * تَشابَهَتِ المناكبُ والرءوسُ

ويقال : "لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما تباينُوا فإذا تساوَوْا هَلَكُوا"(١) .

وقال آخر

النَّاسُ أَسْوَاءٌ(٢) وشَتَّى فى الشِّيَمْ * وكُلُّهُـمْ يَجمعُهُمْ بيتُ الأَدَمْ

وقال آخر — يذكر قوما —

سَوَاءٌ(٣) كأسنانِ الحمارِ ولا تَرَى(٤) * لِذِى شَيبةٍ منهم على نَاشِئٍ فضلا

وقال آخر «سَوَاسِيَةٌ كأسنانِ الحمار»(٥)

وكان يقال «المرءُ تَوَاقٌ الى مالم يَنَـلْ»(٥)

والعجم تقول : كلُّ عزٍّ دخل تحت القدرةِ فهو ذليل .

(١) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال بلفظ «لن يزال الناس» الخ وساقه ابن الأثير فى النهاية والمرتضى فى تاج العروس على أنه حديث وأورداه بلفظ "لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا" الخ .

(٢) رواه فى اللسان : الناس أخياف الخ ، والأخياف الضروب المختلفة فى الأخلاق والأشكال .

(٣) كذا بالأصل . وفى اللسان «سواس» والبيت منسوب فيه لكثير .

(٤) كذا بالأصول . وفى اللسان «فما» . وفى مجمع الأمثال «فلا» ، ولا يخفى أنّ الفاء هنا أحسن موقعا من الواو وأنسب للسياق .

(٥) كلاهما مثل كما فى مجمع الأمثال ولسان العرب .

وقالوا : كلُّ مقدورٍ عليه مملولٌ محقورٌ .

وقال الشاعر

وزاده كَلَفًا بالحُبِّ أن مَنَعَتْ * أَحَبُّ(١) شىءٍ إلى الإنسان ما مُنِعَا

وقال آخر

تَرَى النّاسَ أسواءً إذا جلسوا معًا * وفى الناس زَيفٌ مثلُ زَيفِ الدّراهم

ويقالُ : النّاسُ سيلٌ وأسرابُ طيرٍ يتبعُ بعضُها بعضًا .

وقال طَرَفَةُ

كلُّ خليلٍ كنتُ خالَلْتُهُ * لا تَرَكَ اللهُ له واضِحَهْ
كلُّهُمُ أَرْوَغُ منْ ثعلبٍ * ما أشْبَهَ اللّيلةَ بالبارِحَهْ

وقال آخر

فإنكَ لا يَضُرُّكَ بعد حَوْلٍ * أظبىٌ كان أُمَّكَ أم حِمارُ
فقد لَحِقَ الأسافلُ بالأعالِى * وماجَ اللُّؤمُ واختلطَ النِّجارُ
وعاد العبدُ(٢) مثلَ أبى قُبَيسٍ * وسِيقَ معَ المُعَلْهَجَةِ(٣) العِشارُ

يقول : سِيقتِ الإبلُ الحوامِلُ فى مهرِ اللئيمة .

---

(١) كذا بالأصول . وفى لسان العرب فى مادة «حبّ»

* وحَبَّ شيئًا الى الانسان ما مُنِعَا *

وأصله حَبُبَ بضم الباء ثم أسكنت وأدغمت فى الثانية ، وما فى قوله ما مُنِعَ فى موضع الرفع بحَبَّ .

(٢) وفى رواية حكاها صاحب خزانة الأدب فى ج ٣ ص ٢٣١ «الفند» بكسر الفاء وسكون النون بدل العبد ، وفسره بأنه قطعة من الجبل طولا ، وقيل الجبل العظيم . وأبو قبيس جبل بمكة والمراد به الرجل الشريف كما يراد بالفند الرجل الوضيع .

(٣) المعلهجة : المرأة اللئيمة الأصل الفاسدة النسب . ورواه سيبويه فى كتابه عن خداش بن زهير ج ١ ص ٢٢ * وصار مع المعلهجة العشار *

قال أبو محمد: بلغني عن إسماعيل بن محمد بن جُحَادَةَ عن أبيه، قال: كنت عند الحسن فقال: أسمعُ حَسيسا ولا أرَى أنِيسا، صبيانٌ حَيارَى مَا لَهُم تَفَاقَدُوا [عُقُولهم][1] وفَرَاشُ نار وذِبَّانُ طَمَع.

وقال أبو حاتم عن الأصمعيّ: لو قَسمتَ في النـاس مائةَ ألفِ درهم كان أكثرَ للآئِمِي مِن لو أخَذتُها[2] منهم.

ونحوه قولُ محمد بن الجهم: مَنْعُ الجميع أرْضَى للجميع.

وقال ابن بشير

سَـــوْءَةٌ للناس كُلِّهِـــمُ * أنَا في هـــذا مِنَ أوّلِهِمْ
لستَ تَدْرِي حين تَنْسُبُهُمْ * أينَ أدناهم مِنَ أفضَـلِهِمْ

وقال نهارُ بن تَوْسِعَةَ

عَتِبتُ على سَـــلْم فلمّـا فَقَدْتُه * وجَرّبتُ أقواماً بكيتُ على سَلْمْ

وهذا مِثل قولهم: ما بكيتُ من زمان إلا بكيتُ عليه.

وقال الأحنف بن قيس

وما مَرَّ يومٌ أرتَجِي فيـــه راحةً * فأُخْبِرَهُ إلا بَكَيتُ على أمسِ

وقال آخر

ونَعْتِبُ أحيانا عليـه ولو مضى * لكُنّا على الباقي مِنَ الناس أعْتَبا

وقال آخر

سَـبَكْنَاهُ ونَحْسَـــبُهُ لُجَيْنـاً * فأبْدَى الكِيرُ عن خَبَثِ الحديدِ

قال، وحدّثني أبو حاتم، قال حدّثني الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّناد عن أبيه قال: لَا يزالُ في الناس بَقِيّةٌ ما تُعُجِّبَ مِنَ العَجَب.

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٧ (٢) في النسخة الفتوغرافية «أن» بدل من.

رجوعُ المتخلِّق الى طبعه

بلغنى أن أعرابيا رَبَّى جَرْوَ ذئب حتى شَبَّ وظنّ أنه يكون أغْنَى عنه مِنَ الكلب وأقوى على الذبِّ عن الماشية فلما قَوِىَ وَثَبَ على شاةٍ فقتلها وأكل منها فقال الأعرابىّ

أَكَلْتَ شُوَيْهَتِى ورَبِيتَ فينا * فما أدراكَ أَنّ أباكَ ذيبُ

ويُرْوَى

* وُلِدتَ بِقَفْرَةٍ ونَشَأْتَ عندى *

إذا كان الطِّباعُ طِباعَ سُوءٍ * فليس بِنافعٍ أدبُ الأديبِ[1]

وقال الخُرَيمىّ

يُلَامُ أبو الفضل فى جُودِه * وهل يملك البحرُ ألّا يَفِيضا

وقال أبو الأَسَد

ولائمةٍ لامَتكَ يا فَيضُ فى النَّدَى * فقلتُ لها هل يَقْدَحُ اللّومُ فى البحرِ
أرادَتْ لِتَثْنِى الفَيضَ عن عادةِ الندى * ومَنْ ذا الّذى يَثْنِى السَّحابَ عن القَطْرِ
مَواقِعُ جُودِ الفَيضِ فى كُلِّ بلدةٍ * مَوَاقِعُ ماءِ المُزْنِ فى البَلَدِ القَفْرِ

وقال كُثَيِّر

ومَنْ يَبْتَدِعْ ماليس مِنْ سُوسِ نفسِه[2] * يَدَعْهُ ويَغْلِبْهُ على النفس خِيمُها

وقال زهير

ومَهما تَكُنْ عند آمرئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ * وإن خالَها تَخْفَى على الناس تُعْلَمِ

---

(١) كذا فى الأصول، وعليه يكون فى البيت إقواء، وروى فى حياة الحيوان ج ١ ص ٣١٢
* فليس بنافع فيها الأديب * وبهذا يكون البيت سالما من هذا العيب .

(٢) الذى فى اللسان : «مِن خِيمِ» والخيم الطبيعة والأصل كالسوس .

وأنشدنى ٱبن الأعرابىّ لذى الإصبع العَدْوانىّ

كلّ ٱمرئ راجعٌ يومًا لشيمَتِه * وإن تخلّق أخلاقًا الى حين

وقال آخر

إرْجِع الى خُلُقِكَ المعروفِ دَيدَنُه * إنّ التخلّق يأبى دونَه الخُـلُقُ

وقال كُثيِّر فى خِلاف هذا

وفى الحلم والإسلامِ للمرءِ وازِعٌ * وفى تركِ أهواء الفؤادِ المتيّمِ

بصائرُ رُشْدٍ للفتى مُستبينةٌ * وأخلاقُ صِدقٍ علمُها بالتعلّمِ

ونحوه للتلمس

تجاوَزْ[1] عن الأدْنَيْنَ وٱستبقِ وُدَّهُمْ * ولَنْ تَستطيعَ الحِـلْمَ حتّى تَحَلَّمَا

وقال الطائىّ

لَبِسَ الشَّجَاعَةَ إنهـا كانت له * قِدْمًا نَشُوعًا فى الصِّبا ولَدُودَا

بَأْسًا قَبِيليًّا وبأسَ تَكَرُّمٍ * فينا[2] وبأسَ قريحـةٍ مَوْلُودَا

وقال أبو جعفر الشِّطْرَنجىّ مولى المهدىّ فى سَوداء

أشْبَهَكِ المسكُ وأَشْبَهْتِه * قائمةً فى لَونِهِ قاعِـدَهْ

لا شَكَّ إذْ لَونُكُما واحدٌ * أنّكما من طينـةٍ واحِدَهْ

وقال أبو نُوَاس

تَلْقَ النَّدَى فى غيره عَرَضًا * وتَراه فيـــه طَبيعةً أصْـلَا

واذا قَرنْتَ بِعَـاقِلٍ أَمَلًا * كانت نَتِيجَـةُ قَولِهِ فِعْـلَا

وأنشدنا الرِّيَاشىّ

لا تَصْحَبَنَّ ٱمرءًا على حَسَبٍ * إنّى رأيتُ الأحسابَ قد دَخَلَتْ

(١) الذى فى اللسان فى مادّة «حلم» وكتاب سيبويه ج ٢ ص ٢٤٠ «تحلّم» .

(٢) الذى فى الديوان «بَجِّرٌ» بدل «فينا» .

مالَكَ مِنْ أن يُقَالَ إنّ له * أباً كريما فى أُمّةٍ سَلَفَتْ
بل آصْحَبْتَهُ على طبائعه * فكلّ نَفْسٍ تَجْرِى كما طُبِعَتْ

وقال العباس بن مرداس

إنكَ لم تكُ كآبن الشَّريد * ولكنْ أبوكَ أبو سالِم
حَمَلْتَ المِئِينَ وأثقالَها * على أُذُنَىْ قُنْفُذٍ رازِمِ
وأَشْبَهْتَ جَدَّكَ شرَّ الجُدُو * دِ والعِرقُ يَسْرِى إلى النائِم

وقال بعض العبْديين

وما يَستوِى المرْءانِ هذا آبنُ حُرّةٍ * وهذا آبنُ أخرى ظَهْرُها مُتَشَرَّكُ
وأدرَكَهُ خالاتُه فخَذَلْنَهُ * ألا إن عِرقَ السُّوءِ لا بدّ يُدْرِكُ

باب الشيء يُفْرِطُ فيَنتَقِلُ الى غير طبعه

قرأت فى كتاب للهند : لا ينبغى اللَّجاجُ فى إسقاط ذى الهمّة والرأى وإذالته فانه إمّا شَرِسُ الطبع كالحية إن وُطِئتْ فلم تَلسَعْ لم يُغترّ بها فيعادَ لوطئها ، وإما سُجُحُ الطبع كالصندل البارد إن أُفرِطَ فى حكّه عاد حارّا مؤذيا . وقال أبو نواس

قُلْ لزهيرٍ إذا حَدا وشَدا * أَقْلِلْ وأكثِرْ فأنتَ مِهْذارُ
سَخُنْتَ مِنْ شدّةِ البرودة حتّى صِرتَ عندى كأنك النارُ
لا يَعْجَبِ السامعونَ مِنْ صفتى * كذلك الثَّلجُ باردٌ حارُ

ويقال : إنما مَلُحَ القِردُ عند الناس لإفراط قبحه . قال الطائىّ

أخرجتموه بِكُرْهٍ مِنْ سَجِيّتِه * والنار قد تُنْتَضَى[1] من ناضر السَّلَمِ

(١) فى الأصل «تقتضى» والتصويب عن الديوان .

أَمِنْ عَمًى نزل الناسُ الرُّبَى فنجوْا ⁂ وأنتمُ نُصْبَ سيلِ الفتنةِ العَرِمِ
أم ذاكَ مِن همَمٍ جاشتْ فكمْ ضَعَةٍ ⁂ حدا اليهِ غلوُّ القومِ فى الهِمَمِ

وكان يقال : مِن التوقِّى تركُ الإفراط فى التوقّى

باب الحسـد

قال حدّثنا اسحاق بن راهُوَيْهِ قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أمية قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاثةٌ لَا يسلمُ منهنّ أحدٌ الطِّيَرَةُ والظَّنُّ والحسد" قيل : فما المخرجُ منهنّ يارسول الله؟ قال : "اذا تَطَيَّرتَ فلا ترجعْ واذا ظَنَنتَ فلا تُحَقِّقْ وإذا حَسدتَ فلا تَبْغِ" . وقال بكر بن عبدالله : حِصَّتُكَ من الباغى حسنُ المُكَاشَرَة، وذنبُكَ الى الحاسد دوامُ النعم من الله عليك . وقال رَوْحُ بن زِنْبَاعٍ الجُذَامىُّ : كنتُ أرى قوما دُونِى فى المنزلة عند السلطان يدخلونَ مَداخلَ لا أدخلها فلما أذهبتُ عنّى الحسدَ دخلتُ حيثُ دخلوا . وقال آبن حُمَام

تمنَّى لِىَ الموتَ المعجَّلَ خالدٌ ⁂ ولاخيرَ فِيمَنْ ليس يعرفُ حاسدَهْ

وقال الطائىّ

واذا أراد اللهُ نشرَ فضيلةٍ ⁂ طُوِيَتْ أتاحَ لها لسانَ حَسُودِ
لولا آشتعالُ النارِ فيما جاورتْ ⁂ ما كانَ يُعرفُ طيبُ عَرْفِ العُودِ
لولا التَّخوُّفُ للعواقبِ لم تَزلْ ⁂ للحاسدِ النُّعْمَى على المحسودِ

وقال عبد الملك للحجاج : إنه ليس من أحد إلا وهو يعرفُ عيبَ نفسه فَعِبْ نفسَكَ قال : أَعْفِنِى ياأميرالمؤمنين . قال : لتَفعلنّ . قال : أنا لَجوجٌ حقودٌ حسود . قال عبد الملك : مافى الشيطان شرٌّ مما ذكرتَ . قال بعض الحكماء : الحسدُ مِن تَعَادِى الطبائع واختلاف التركيب وفساد مِزَاجِ البِنْيَة وضَعْفِ عَقْد العقل والحاسدُ طويلُ الحَسَرات .

قال ابن المقفع : أقلّ ما لتارك الحسد فى تركه أن يَصْرِف عن نفسه عذابا ليس بمُدرِكٍ به حظًّا ولا غائظ به عدوًّا، فإنا لم نَرَ ظالمًا أشبهَ بمظلومٍ من الحاسد، طولُ أسَفٍ ومحالفةُ كآبةٍ وشِدّةُ تحرُّقٍ، ولا يبرَحُ زارياً على نعمة الله ولا يجدُ لها مزالًا ويُكدِّرُ على نفسه ما به من النعمة فلا يجدُ لها طَعْمًا ولا يزالُ ساخطا على مَنْ لا يترضّاه ومُتَسخِّطًا لِمَا لَنْ ينالَ فوقه، فهو مُنغَّصُ المعيشة دائمُ السَّخْطَةِ محرومُ الطَّلِبَةِ، لا بما قُسِمَ له يَقْنَعُ ولا على ما لم يُقْسَمْ له يَغْلِبُ ، والمحسود يتقلّبُ فى فضل الله مُباشِرًا للسرور مُنتفِعًا به مُمَهَّلًا فيه الى مدّة ولا يَقدِرُ الناس لها على قَطْعٍ وانتقاصٍ .

قيل للحسن البصرى : أيَحْسُدُ المؤمنُ أخاه ؟ قال : لا أبا لَكَ ، أنسيتَ إخوةَ يوسُفَ . وكان يقال : إذا أردتَ أن تَسْلَمَ من الحاسد فَعَمِّ عليه أُمورَكَ . ويقال : إذا أراد الله أن يُسَلِّطَ على عبده عدوًّا لا يرحَمُه سلّطَ عليه حاسدا . وقال العُتْبى — وذكر ولده الذين ماتوا —

وحتّى بَكى لِيَ حُسّادُهُمْ * وقد أقرَحُوا[1] بالدموعِ العُيونَا
وحسبُكَ من حادثٍ بامرئٍ * يَرى حاسِدِيه له راحِمينَا

قيل لسفيان بن معاوية : ما أسرَعَ حَسَدَ الناس الى قومك! فقال

إنّ العَرانِينَ تلقاها مُحَسَّدةً * ولا تَرى لِلِئامِ الناس حُسّادَا

وقال آخر

وتَرى اللبيبَ مُحَسَّدًا لم يَجْتَرِمْ * شَتْمَ الرجال وعِرْضُه مشتُومُ
حسَدُوا الفتَى إذ لم ينالُوا سعيَهُ * فالقومُ أعداءٌ له وخُصُومُ
كضرائرِ الحسناءِ قُلْنَ لوجهِها * حَسَدًا وظُلمًا إنه لذَمِيمُ[2]

---

(١) فى النسخة الألمانية «أترعوا» . (٢) هكذا فى النسختين بالذال المعجمة وهى رواية ثعلب، قال صاحب اللسان : وقد رُدَّ ذلك عليه . والأصح رواية «إنه لدميم» بالدال المهملة .

وقال يحيى بن خالد : الحاسد عدوّ مَهِينٌ لا يُدرِك وِتْره إلا بالتمنّى . قيل لبعضهم: أىُّ الأعداء لاتُحبّ أن يعودَ لك صديقا ؟ قال : مَنْ سَببُ عَدَاوته النعمةُ . وقال الأحنف : لا صَـديقَ لِمَلُولٍ ولا وَفاءَ لِكَذُوبٍ ولا راحةَ لحسُودٍ ولا مُرُوءةَ لبخيلٍ ولا سُؤدُدَ لسيّئ الخلق . وقال معاوية : كلّ الناس أستطيعُ أن أُرضِيَه إلا حاسِدَ نعمةٍ فانه لا يُرضِيه إلا زَوالُها . وقال الشاعر

كُلُّ العَـداوةِ قـد تُرْجَى إماتَتُهَا * إلا عداوةَ مَنْ عاداكَ مِنْ حَسَدِ

وفى بعض الكتب يقول الله : الحاسدُ عدوٌّ لنعمَتى مُتَسخِّطٌ لقضائى غيرُ راضٍ بِقَسْمِى بين عبادى . وكان يقال : قد طلبكَ مَنْ لا يُقصِّرُ دون الظَّفَرِ وحسَدَكَ مَنْ لاينامُ دون الشِّفَاءِ . وخطب الحجاج يوما بِرُسْتُقُبَاذَ بقول سُويد بن أبى كاهل

كيف يَرْجُونَ سِقَاطِى بعد ما * جَلَّلَ الرأسَ بيـاضٌ وصَـلَعْ
رُبَّ مَنْ أنضَجْتُ غَيظًا صَدْرَهُ * قـد تمنَّى لِيَ مَوْتًا لم يُطَـعْ
ويرانى كالشَّـجَا فى حَلْقِـه * عَسِرًا مَخْرَجُـهُ ما يُنْـتَزَعْ
مُزْبِدًا يَخْطِـرُ مَا لَمْ يَرَنى * فاذا أَسْمعتُه صَوْتى ٱنقَمَـعْ
لم يَضِرْنى غيرَ أَنْ يَحْسُـدَنى * فهو يَزْقُو مثلَ مايَزْقُو الضُّوَعْ (١)
ويُحَيِّيـنى إذا لاقيتُـهُ * وإذا يَخْـلُوله لَحْمِى رَتَـعْ
قد كَفَانِى اللهُ ما فى نفسه * وإذا مَا يَكْفِ شيئًا لا يُضَعْ (٢)

وقال آخر

إن تَحْسُـدُونى فإنّى لا أَلُومُـكُمُ * قبْلِى مِنَ الناسِ أَهلُ الفضلِ قد حُسِدُوا

(١) الضوع : طائر ليلىّ .
(٢) كذا بالأصول . وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة * ومتى ما يَكْفِ شيئا لم يُضَعْ *

فدامَ لِي ولَكُمْ ما بِي وما بِكُمُ * وماتَ أكثرُنا غيظًا بما يجِدُ
أنا ٱلذى تَجِدونِي فى حُلوقِكُمْ * لا أرتقِي صُعُدًا فيها ولا أرِدُ

وقال بعضهم : الحسدُ أوّلُ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ به فى السماء، يعنى حسدَ إبليسَ آدمَ، وأوّل ذنب عُصِي اللهُ به فى الأرض، يعنى حسد ٱبن آدم أخاه حتى قتله . وأنشدنى شيخٌ لنا عن أبى زيد الأعرابيّ

لا تقبلُ الرشدَ ولا ترْعوِى * تانِيَ رأسٍ كٱبنِ عـوّاءِ
حَسَدْتَنِي حين أفدْتُ الغنى * ما كنتَ إلا كٱبن حـوّاءِ
عادَى أخاه مُحـرِمًا مُسلِمًا * بطعنـةٍ فى الصُّلب نجْـلاءِ
وأنتَ تَقْلِينِي ولا ذنبَ لِي * لكنَّنِي حَمّـالُ أعبـاءِ
مَنْ يأخذِ النارَ بأطرافِه * يَنْضَحْ على النـارِ مِنَ المـاءِ

مرَّ قيسُ بن زُهير ببلاد غَطَفَانَ فرأى ثَرْوَةً وجماعاتٍ وعددًا فَكَرِه ذلك، فقال له الربيع بن زياد : إنه يَسوءُكَ ما يسُرُّ الناسَ! فقال له : يا أخى إنكَ لا تدْرِى، إنّ مع الثروةِ والنعمة التحاسدَ والتخاذلَ، وإنّ مع القِلّةِ التحاشُدَ والتناصُرَ.

قال الأصمعيّ : رأيت أعرابيـا قد أتتْ له مائةٌ وعشرون سـنةً ، فقلت له : ما أطْوَلَ[1] عمرَكَ! فقال : تركت الحسدَ فبقيتُ . وقال زيد بن الحكم الثقفيّ

تَمَلأْتَ مِنْ غيظٍ علَيّ فلم يَزَلْ * بكَ الغيظُ حتى كدتَ بالغيظ تَنْشَوِى
وما بَرِحَتْ نفسُ حَسُـودٍ حُشِيتَها * تُذِيبُكَ حتى قيل هل أنتَ مُكْتَوِى
وقال النّطاسيُّون إنكَ مُشْـعَرٌ * سُلَالًا ألا بل أنت من حَسَدٍ جَوِى[2]

(١) فى النسخة الألمانية : ما طوّل .

(٢) فى الأصل «ذَوِى» والتصويب عن خزانة الأدب للبغداديّ ج ١ ص ٤٩٧ و «جوِى» من الجَوَى وهو السلّ وداء فى الصدر .

بدا منك غِشٌّ طَالَمَا قد كَتَمتَه * كما كَتمَتْ داءَ ٱبنِها أُمُّ مُـدْوِى
جَمَعْتَ وفُحْشًا غِيبـــةً ونميـمةً * خِلالًا ثلاثًا لستَ عَنها بِمُرْعَوِى

وكان يقال : ستَّةٌ لا يَخْلُونَ مِنَ الكَآبة : رجلٌ ٱفتقرَ بعد غِنًى، وغَنِىٌّ يخاف على ماله التَّوَى، وحَقودٌ، وحسودٌ، وطالبُ مَرتَبةٍ لا يبلغُها قَدرُه، ومُخالِطُ(١) الأُدبَاءِ بغير أدبٍ.

باب الغِيبة والعُيوب

قال حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنا عبد الأعلى عن داود بن عطاء(٢) عن ابن خُثَيْم عن شَهرِ بنِ حَوْشَب عن أسماءَ بنتِ يزيدَ أنّ رسولَ الله صلى الله عليــه وسلم قال : «ألا أُخبِرُكُم بِشِرَارِكُم» قالوا: بلى. قال: "مِنْ شِرارِكم المَشّاءُونَ بالنّميمةِ المُفسِدُون بينَ الأحبّةِ الباغُونَ البُرآءَ العَنَتَ".

قال وحدّثنى حُسينُ بن الحسن المروزىّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا الأجلحُ عن الشّعبىّ قال : سمعتُ النعمانَ بن بَشِيرٍ يقول على المنبر : يأيُّها الناسُ خُذُوا على أيدى سُفَهائكم، فإنّى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنّ قومًا رَكِبُوا البحرَ فى سَفِينة، وٱقتَسَمُوها فأصابَ كُلُّ واحد منهم مَكَانًا، فأخذَ رجلٌ منهمُ الفأسَ فنقرَ مَكانَه، فقالوا : ما تَصنعُ ؟ فقال : مَكانِى أَصنعُ به ما شِئتُ، فإن أخَذُوا على يديه نَجَا ونَجَوْا، وإن تَركوه غَرِقوا وغَرِقَ".

بلغنى عن حمّاد بن زيد عن ابن عَوْن قال، قال أبو الدرداء : ليس من يوم أُصبِحُ فيــه لا يَرمِينِى الناسُ بداهية إلا كان نعمةً من الله علىَّ. وقال حسان : قلتُ شِعرًا لم أقلْ مثلَه

وإن ٱمرَءًا أَمسَى وأَصبحَ سالمًا * من الناس إلا ما جنَى لَسَـعِيدُ

(١) فى النسخة الفتوغرافية «ومُخَالَطَةً».

(٢) فى الأصل : «العطاء» بالتعريف والتصويب عن تهذيب التهذيب.

وبلغني عن ابن عيينة قال، قال مِسْعَرٌ : ما نصحتُ أحدًا قطُّ إلّا وجدتُه يُفَتِّشُ عن عيوبي. وقال بعضهم : مَنْ عابَ سَفِلَةً(١) فقد رفعه، ومَنْ عاب شريفا فقد وضَعَ نفسَه. وقال عمر بن الخطاب : أحبُّ الناس إليَّ مَنْ أهدَى إليَّ عُيوبي

أحمد بن يونُسَ عن الفُضَيل أنه سمعه يقول : إن الفاحشة لتَشيعُ في الذين آمنوا حتى إذا صارت إلى الصالحين صاروا لها خُزّانًا . قال وسمعته يقول أيضا : حسناتُكَ مِنْ عَدوّكَ أكثرُ منها مِنْ صَديقِكَ . لأن عدوّكَ إذا ذُكرتَ عنده يَغتابُكَ وإنما يَدفَع إليكَ المِسكينُ حسناتِه

محمد بن عبد الله الأنصاريّ قال حدثنا ابن عون قال: مرّ ابنُ سيرينَ بقوم فقام إليه رجل فقال : يا أبا بكرٍ إنا قد نِلنَا منك فحَلِّلْنَا. فقال: إني لا أُحِلُّ لك ما حرّم اللهُ عليك، فأما ما كان إليّ فهو لكَ .

محمد بن مسلم الطائفيّ(٢) قال: جاء رجل إلى ابن سيرين فقال: بلغني أنك نِلتَ منّي، فقال : نفسي أعزُّ عليّ من ذلك .

الوليدُ بن مسلم عن الأوزاعيّ عن بلال بن سعد قال : أخٌ لك كلّما لقيكَ أخبرك بعيبٍ فيكَ خيرٌ لك مِنْ أخٍ لك كلّما لقيك وَضَع في كفِّك دينارا .

شَريكٌ عن عَقيلٍ قال، قال الحسن: لا غِيبةَ إلا لثلاثة، فاسقٍ مجاهِرٍ بالفِسق، وذِي بدعةٍ، وإمامٍ جائرٍ . وكان يُقَالُ : [مَنْ اغتَابَ(٣)] خَرَقَ ومَنِ استغفرَ اللهَ رَفَأَ .

(١) كذا في الأصل، وفي اللسان نقلا عن الجوهري: يقال: هو من السِّفلة ولا يقال: هو سَفِلَةٌ لأنه جمع والعامة تقول: رجل سَفِلَةٌ من قوم سَفِلٍ . قال ابن الأثير: وليس بعربيّ. ثم أورد صاحب اللسان حكاية وقال: ظاهر هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال للواحد سَفِلَةٌ .

(٢) في الأصول «سالم» والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٢٧ ويؤيده أن الموجود في كتب التراجم «محمد بن مسلم الطائفي» ولم يوجد فيمن يسمى «محمد بن سالم» منسوب إلى الطائف .

(٣) الزيادة عن لسان العرب في مادة «رفأ» .

وفى بعض الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا عَابَ أحَدُكم أخاه فَلْيَستغفِرِ اللهَ" . كان يقال : إياكَ وما يُصِمُّ الأذنَ . العتبى قال : قال الوليد بن عتبة بن أبى سفيان : كنت أُسَايِرُ أبى ورجلٌ يقع فى رجل ، فالتفت الىّ أبى فقال : يا بُنىَّ نَزِّهْ سمعَكَ عن استماع الخنا كما تُنَزِّهُ لسانَكَ عن الكلام به ، فإن المستمِعَ شريكُ القائل ، ولقد نظر إلى أخبثِ ما فى وِعَائه فأفرغه فى وِعَائك ، ولو رُدَّتْ كلمةُ جاهل فى فِيهِ لَسَعِدَ رَادُّها كما شَقِىَ قائلُها .

فُضَيلُ بن عِياض قال حدّثنا عبد الله بن رجاء عن موسى بن عُبيدَةَ عن محمد بن كعب قال : إذا أراد اللهُ بعبد خيرا زهّده فى الدنيا وفقّهه فى الدّين وبصّره عيوبَهُ . قال فضيل : وربما قال الرجلُ : لا إله إلا الله ، أو سبحان الله فأخشَى عليه النارَ ، قيل : وكيف ذاك ؟ ، قال : يُغتَابُ بين يديه ويُعْجِبه ذلك فيقول : لا إله إلا الله ، وليس هذا موضعَه ، إنّما موضعُ هذا أن يَنصَحَ له فى نفسه ويقول له : اتّقِ اللهَ .

فى الحديث المرفوع أن آمرأتين صامتا على عهد النبىّ عليه السلام وجعَلتا تَغتَابانِ الناسَ ، فأُخبِرَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : "صَامَتَا عمّا أُحِلَّ لهما وأَفْطَرَتا على ما حَرّمَ اللهُ عليهما" . وقال حمّادُ بنُ سلمةَ : ما كنتَ تقوله للرجل وهو حاضرٌ فقلتَه مِنْ خَلْفِه فليسَ بغِيبةٍ .

عاب رجلٌ رجلًا عند بعض الأشراف فقال له : قد آستدلَلْتُ على كثرة عُيوبِكَ بمـا تُكثِرُ[(١)] من عيب الناس ، لأنّ الطالبَ للعيوب إنّما يطلبُها بقدر ما فيه منها . قال بعض الشعراء

وأَجْرأُ مَنْ رأيتُ بِظَهْـرِ غَيْبٍ ❊ على عَيبِ الرجالِ ذَوو العُيُوبِ

(١) فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ «عيوب» .

وأنشد ابن الأعرابى

اسكُتْ ولا تَنْطِقْ فأنتَ خَيَّابْ[1] * كُلُّكَ ذو عَيبٍ وأنتَ عَيَّابْ

وأنشدنى أيضا

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحِ ٱلجَيْبِ * وٱبنِ أَبٍ مُتَّهَمِ ٱلغَيْبِ
وكُلُّ عَيَّابٍ له مَنْظَرٌ * مُشْتَمِلُ الثَّوبِ على العَيْبِ

وكان عتبة بن عبد الرحمن يغتابُ الناسَ ولا يَصبِرُ، ثم تَرَكَ ذلك، فقيل له : أتركتَها؟ قال : نعم، على أنّى والله أُحِبُّ أن أسمَعَها .

أَتَى رجلٌ عمرو بنَ مَرْثَدٍ فسأله أن يُكلِّمَ له أميرَ المؤمنين، فوعده أن يفعلَ، فلما قام قال بعضُ مَنْ حضر : إنه ليس مُستحِقًّا لِما وعدتَه، فقال عمرو : إن كنتَ صَدقتَ فى وصْفِك إياه فقد كذبتَ فى ٱدّعائك مَودّتَنا، لأنه إن كان مُستحِقًّا كانت اليدُ موضعَها، وإن لم يكن مُستحِقًّا فما زِدتَ على أنْ أعلمتَنا أنّ لنا بمغيبنا عنك مثلَ الذى حضرتَ به مَنْ غاب مِنْ إخواننا .

وفى الحديث : "إنَّ الغيبةَ أشدُّ من الزنا" . قيل : كيف ذلك ؟ قال : "لأنّ الرجلَ يزنِى فيتوبُ، فيتوبُ الله عليه، وصاحبُ الغِيبة لا يُغفَرُ له حتَّى يَغفِرَله صَاحِبُها"[2] .

قال رجل للحسن : يا أبا سعيد إنّى اغتبتُ رجلا وأُريدُ أن أَستَحِلَّه، فقال له : لم يَكْفِكَ أَنِ ٱغتبْتَه حتى أَرَدتَ أن تَبهَتَه . اغتابَ رجلٌ رجلًا عند قتيبةَ بن مسلم فقال له قتيبةُ : أَمسِكْ أيها الرجلُ، فواللهِ لقد تَلمَّظْتَ بِمُضغَةٍ طَالَمَا لَفظَهَا الكِرامُ .

(١) فى النسخ التى بأيدينا «حباب» بالحاء المهملة والباء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان فانه ذكر هذا البيت فى مادتى «خاب» و«ساب» وقال فى تفسير «خَيَّاب» — بعد أن ذكر أن الخياب القِدْحُ الذى لا يُورِى — : يجوز أن يكون فعّالا من الخيبة ويجوز أن يُعنَى به أنه مثل هذا القدح الذى لا يورى . (٢) فى الإحياء ج ٣ ص ٩٩ «صاحبه» .

مرّ رجلٌ بجارَيْنِ له ومعه رِيبةٌ، فقال أحدُهما لصاحبه : أَفَهِمتَ ما معه منَ الرِّيبة؟ فقال الآخَرُ : غُلامِى حُرٌّ لوجه الله شكرًا له إذ لم يَعرِّفْنِى مِنَ الشرِّ ما عرَّفكَ .

شعبةُ عن يحيى بن الحصين[1] عن طارق قال : دارَ بين سعدِ بن أبى وقّاصٍ و بينَ خالدِ بن الوليد كلامٌ ، فذهب رجلٌ لِيَقَعَ فى خالدٍ عند سعدٍ. فقال سعدٌ : مَهْ إن مَا بيننا لم يَبلُغْ دينَنا ، أى عداوةٌ وشرٌّ . وقال الشاعر

ولستُ بِذِى نَيْرَبٍ فى الكِرام[2] * ومَنَّاعَ خَــيرٍ وسَــبَّابَهَا
ولا مَنْ إذا كان فى جانب * أَضَاعَ العَشِــيرَةَ وٱغْتَابَهَا
ولكن أُطاوِعُ سَادَاتِهَا * ولا أَتَعَــلَّمُ أَلقَابَهَــا

وقال آخرُ

لا يَأْمُلِ الجارُ خيرًا مِنْ جوارِهِمُ * ولا مَحَالَةَ مِنْ هُزْءٍ وألْقَابِ

وقال الفرزدقُ

تَصَرَّمَ مِنِّى وُدُّ بكرِ بنِ وائلٍ * وما خِلتُ عَنِّى وُدَّهُــمْ يَتَصَرَّمُ
قَــوَارِصُ تأتِينِى ويَحتقِرُونَهَــا * وقد يَملأُ القطرُ الإناءَ فَيَفْعُــمُ

أنشد أبو سعيد الضرير لبعض الضَّبِّيين

ألا رُبَّ مَنْ يَغتَــابُنِى وَدَّ أنّنِى * أبوه الذى يُدْعَى إليه ويُنْسَبُ
على رِشْدَةٍ مِن أُمه أو لِغَيَّةٍ * فَيَغلِبُهَا فَحْلٌ على النسل مُنْجِبُ
فَبِالخيرِ لا بِالشرِّ فاطلُبْ مودّتِى * وأىَّ آمرِئٍ يَغتَالُ منه التَّرَهُّبُ

(١) فى الأصول «حصين» بدون أل . والتصويب عن كتب التراجم .

(٢) كذا فى الأصول . وفى اللسان «فى الصديق» . ثم قال قال ابن برى : وصواب انشاده

ولست بذى نيرب فى الكلام * ومنّاع قومى وسبّابها

وانظر اللسان فى مادة «نيرب» .

وقال آخرُ في نحوه :

ولما عَصَيتُ العاذلين ولم أُبَلْ * مَلاَمَتَهُم ألقَوْا على غاربي حبلى(١)

وهازِئةٍ مِنّى تَوَدُّ لو آبنُهَا * على شيمَتِى أو أن قِيَمَها مِثْلِى

قيل لبُزُرْجمهْر : هل من أحدٍ ليس فيه عيبٌ؟ قال : لا، إن الذى لا عيب فيه لا ينبغى أن يموتَ . وقال فى مثل هذا مُوسَى شَهَوَات :

ليس فيما بدا لنا منكَ عيبٌ * عابه الناسُ غيرَ أنكَ فَانِى

أنتَ خيرُ المتاع لو كنتَ تَبقَى * غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ

وقال أبو الاسود الدؤلىّ :

وتَرَى الشَّقِىَّ إذا تكاملَ عيبُه * يُرْمَى ويُقْرَفُ(٢) بالذى لم يَفْعَلِ

لَقِىَ بكرُ بنُ عبد الله أخًا له فقال : إذا أردتَ أن تَلْقَى مَن النعمةُ عليكَ أعظمُ منها عليه وهو أشكرُ للنعمةِ لقيتَه، وإذا شئتَ أن تلقَى مَنْ أنتَ أعظمُ منه جُرْمًا وهو أخوفُ لله منكَ لقيتَه . أرأيتَ لو صحِبكَ رجلانِ: أحدُهما مَهتوكٌ لك سِترُه ولا يُذْنِبُ ذنبًا إلا رأيتَه ولا يقول هُجْرًا إلا سمعتَه فأنتَ تُحبّه على ذلك وتُوافقه وتكرهُ أن تُفارقَه، والآخر مَستورٌ عنك أمرُه غيرَ أنك تَظُنّ به السوءَ فأنتَ تُبغِضُه، أعَدَلتَ بينهما؟ قال: لا؛ قال: فهل مَثَلِى ومَثَلُكَ ومَثَلُ مَنْ أنتَ راءٍ مِنَ الناس إلا كذلك ؟ إنا نعرفُ الحقَّ فى الغيب مِنْ أنفسنا فنحبها على ذلك، ونتظَنَّنُ الظُّنُونَ على غيرِنا فنُبغِضُهمْ على ذلك. ثم قال : أنزِلِ الناسَ منك ثلاثَ مَنازِلَ، فاجعل مَنْ هو أكبرُ منكَ سِنًّا بمنزلة أبيكَ، ومَنْ هو تِرْبُكَ بمنزلة أخيكَ، ومَنْ هو دونكَ بمنزلة ولدكَ، ثم آنظر أىُّ هؤلاء تُحِبُّ أن تَهتِكَ له سِترًا أو تُبدِىَ له عَوْرَةً !

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفى النسخة الفتوغرافية «رحلى» . (٢) يقرف، أى يُعابُ ويُتّهم .

سعيدُ بن واقد ٱلْمُزَنِىّ قال حدّثنا صالح بن الصَّــقْر عن عبد الله بن زُهَير قال : وفَدَ العلاءُ بنُ الحَضْرمِىّ على النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : "أتقرأ من القرآن شيئا"؟ فقرأ "عَبَسَ" وزاد فيها من عنده : وهو الذى أخرجَ من ٱلْحُبْلَى ، نَسَمَةً تَسْعَى ، مِنْ بين شَراسيفَ وحَشَّى ؛ فصاح به النبىّ صلى الله عليه وسلم وقال له : "كُفَّ فإنّ السورة كَافِيَةٌ" . ثم قال : "هل تَرْوِى مِنَ الشّعر شيئا"؟ فأنشده :

حَىِّ ذَوِى ٱلأَضْغان تَسْبِ قلوبَهُمْ * تَحِيَّتَكَ القُربَى فقــد تُرْقَعُ النَّعَــلُ
وإن دَحَسُوا(١) بالكُرْهِ(٢) فٱعْفُ تَكَرُّمًا * وإن خَنَسُوا(٣) عنكَ ٱلحديثَ فلا تَسَلْ
فإنّ ٱلذى يُؤْذِيكَ منـــه سَمَــاعُه * وإنّ ٱلذى قالوا وراءكَ لم يُقَــلْ

فقال النبى عليه السلام : "إنّ مِن الشِّعرِ حِكمًا وإنّ مِنَ البيان سِحْرًا" .

وحدّثنى أبو حاتم عن ٱلأصمعىّ قال : قال رجل لبكر بن محمد بن عَلْقَمة : بلغنى أنك تَقَعُ فىّ ؛ [قال](٤) : أنتَ إذًا أكرمُ علىّ مِنْ نفسى ! . وقال بعض الشعراء :

لا تَلْتمِسْ(٥) مِن مَسَاوِى الناس ماستَروا * فَيَكْشِفَ اللهُ سِـتْرًا عن مَسَاوِيكَا
وٱذكر مَحاسِنَ ما فيهم إذا ذُكِروا * ولا تَعِبْ أحدًا منهــم بمــا فيكَا

وقال أبو ٱلدرداء : لا يُحْرِزُ ٱلإنسانَ مِنْ شِرار الناس إلا قبرُه .

قال عمر بن عبــد العزيز لمُزَاحِم مولاه : إن الوُلاةَ جَعلوا العيونَ على العوامّ وأنا أجعلُكَ عينِى على نفسى ، فإن سمعتَ مِنّى كلمةً تَرْبَأُ بِى عنها أو فَعَالًا لا تُحِبّه فعِظْنِى عنده وٱنْهَنِى عنه .

العُتْبِىّ قال : تَنَقَّصَ ٱبنٌ لعامر بن عبد الله بن ٱلزبير عليَّ بنَ أبى طالب عليه السلام ؛ فقال له أبوه : لا تَتَنَقَّصْه يا بُنَىَّ ، فإن بَنِى مَروانَ ما زالوا يَشْتُمونه ستّين سنةً فلم

(١) دحس بين القوم : أفسد بينهم . (٢) هكذا بالأصل . وفى اللسان فى مادّة دحس «بالشرّ» .
(٣) خنسوا : أخفوا . (٤) زيادة من العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ يتوقف عليها سياق الكلام .
(٥) فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ «لا تهتكن» ، وفيه أيضا : «فيهتك» بدل «فيكشف» .

يَزِده الله إلا رفعةً، وإن الدِّينَ لم يَبْنِ شيئا فهدَمَته الدنيا ، وإن الدنيا لم تَبْنِ شيئا إلا عادت على ما بَنَتْ فهدمته . وقال بعض الشعراء :

ابدَأْ بنفسك فانهها عن غَيِّهَا * فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ
فهناكَ تُعذرُ إن وَعَظْتَ ويُقتدَى * بالقول منك ويُقبَل التعليمُ
لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتِيَ مثلَه * عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

وقال آخر :

ويأخُذُ عيبَ الناس مِنْ عَيْبِ نفسِه * مُرَادٌ لَعَمْرِى ما أراد قريبُ

وقال آخر :

لَكَ الخيرُ، لُمْ نفسًا عليك ذُنوبُها * ودَعْ لَوْمَ نَفْسٍ ما عليك تُلِيمُ[1]
وكيف تَرَى فى عين صاحبك القَذَى * ويَخْفَى قَذَى عينيك وهو عظيمُ

كان رجلٌ مِنَ المُتَزَمِّتِينَ[2] لا يزالُ يَعيبُ النبيذَ وشَرَابَه فاذا وَجَدَه سِرًّا شَرِبَهُ، فقال فيه بعضُ جيرانه :

وعَيَّابَةٍ للشُّرْبِ لو أَنَّ أُمَّه * تبولُ نبيذًا لم يزل يَسْتَبِيلُهَا

قال رجل لعمرو بن عُبَيد : إنى لأَرْحَمُك مما تقولُ الناسُ فيك، قال: أفتسمَعُنى أقولُ فيهم شيئا؟ قال : لا، قال : إيّاهُم فارحَمْ .

قال أعرابىّ لامرأته :

وإمّا هَلَكْتُ فلا تَنْكِحِى * ظَلُومَ العَشِيرةِ حَسَّادَهَا
يَرَى مَجْدَه ثَلْبَ أعراضِها * لديه ويُبْغِضُ مَنْ سَادَهَا

(١) تليم : من ألام الرجلُ اذا أتى ذنبا يلام عليه .

(٢) مِن تَزَمَّتَ اذا توقّر فى مجلسه ، ومنه الزِّمِّيت كأمير، أى الوقور الساكن القليل الكلام، والزِّمِّيت كسِكِّين أوقر منه .

باب السّعاية

روى وكيع عن أبيه عن عَطاء بن السائب قال : قَدِمت مِنْ مكة فلقيني الشعبيُّ فقال : يا أبا زيد أَطْرِفْنَا مما سمعتَ ؛ قلتُ : سمعتُ عبدَ الرحمن بنَ عبد الله بن سَابِط يقول : لا يَسْكُنُ مكّةَ سافِكُ دمٍ ، ولا آكلُ رِبًا ، ولا مَشَّاءٌ بنميم ؛ فعجبتُ منه حين عَدَلَ النميمةَ بِسَفْكِ الدماء وأَكْلِ الرِّبا ؛ فقال الشعبيّ : وما يُعجِبُك مِنْ هذا ! وهل تُسفَكُ الدِّماءُ وتُرْكَبُ العظائمُ إلا بالنميمة !

عاتب مُصْعَب بن الزبير الأحنفَ بن قَيس على شيءٍ بلغه عنه ، فاعتذر إليه الأحنفُ مِن ذلك ودَفَعه ؛ فقال مُصعَبٌ : أَخبرني بذلك الثِّقةُ ؛ فقال الأحنفُ : كلّا أيها الأميرُ ، إن الثقةَ لا يُبلِّغُ . قال الأعشى :

وَمَنْ يُطِعِ الواشِينَ لا يتركُوا له * صَديقًا وإن كانَ الحبيبَ المقرَّبَا

وذُكِرَ السُّعاةُ عند المأمون فقال رجلٌ ممن حضر : يا أميرَ المؤمنين ، لو لم يَكُنْ مِنْ عيبهم إلّا أَنّهم[1] أصدقَ ما يكونونُ أبغضُ ما يكونون إلى الله لَكَفَاهُمْ[2] .

سَعَى رجلٌ إلى بلالِ بن أبي بُرْدَةَ برجل ؛ فقال له : انصرِفْ حتى أسألَ عمّا ذَكَرْتَ ، وبعث في المسألة عن السّاعى فإذا هو لغير أبيه الذى يُدْعَى له ، فقال بلالٌ : أخبرنا أبو عمرو قال حدّثنى أبى قال : قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم : "السّاعِى بالناس لغيرِ رِشْدَةٍ"[3] . وقال الشاعر :

إذا الوَاشِي نَعَى يومًا صديقًا * فلا تَدَعِ الصَّديقَ لِقَوْلِ وَاشِى

---

(١) هاتان الكلمتان (إلا أنهم) ليستا بالأصل ، وقد نقلناهما عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ .

(٢) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ ، وفى الأصل «الى الناس» .

(٣) يقال : هـذا ولد رِشْـدة اذا كان لزواج صحيح ، وجاء هـذا الحديث فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ ولسان العرب فى مادة «رشد» بلفظ «الساعى لغير رشدة» .

أَتَى رجلٌ الوليدَ بنَ عبد الملك وهو على دِمَشْقَ لابيه ، فقال : للأمير عندى نصيحةٌ ؛ فقال : إن كانت لنا فأَظْهِرْها ، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها ؛ قال : جارٌ لى عَصَى [وفَرَّ] من بَعْثِه (١) ؛ قال : أمّا أنتَ فتخبر أنكَ جارُ سوء ، فإن شئتَ أرسَلْنا معك ، فإن كنتَ صادقا أقْصيناكَ ، وإن كنتَ كاذبا عاقبناك ، وإن شئتَ تاركْناكَ ؛ قال : بل تارِكْنِي .

وقال عَبْدَةُ بنُ الطّبيب :

وٱعصُوا ٱلّذى يُسْدِى ٱلنميمةَ (٢) بينكم * مُتَنَصِّحًا وهـو السِّمامُ (٣) ٱلمُنْقَـعُ
يُزْجِى عقَـارِبَهُ لِيبعثَ بينـكم * حَرْبًا كما بَعَثَ العُـرُوقَ ٱلأخدَعُ (٤)
حرّانَ لا يَشْـفِى غَليـلَ فُؤَادِهِ * عَسَـلٌ بمـاءٍ فى ٱلإناءِ مُشَعْشَعُ (٥)
لا تأمَنُوا قـوما يَشِبُّ صَبِيُّهـم * بين القبائل بالعَـدَاوة يُنْسَـعُ (٦)
إن ٱلّذيـن تُرَوْنَهـم خُلّانَكم * يَشْفِى صُدَاعَ رُءوسِهم أن تُصْرَعُوا (٧)
فَضَلَتْ عَدَاوتُهـم على أحلامهم * وأبَتْ ضِبَابُ (٨) صدورِهم لا تَنْزِعُ
قومٌ إذا دَمَسَ (٩) الظـلامُ عليهمُ * حَـدَجُوا قَنافِذَ (١٠) بالنميمة تَمْـزَعُ (١١)

---

(١) فى النسخة الفتوغرافيـة «من يعنه» وفى الألمـانيـة «من يعيّه» . وماوضعناه والزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ (٢) رواه صاحب المفضّليّات : يزجى النمائم ، أى يسوقها . (٣) رواه صاحب المفضليات : ذاك السِّمام . (٤) الأخدع : عرق فى العنق فى موضع الحجامة . (٥) مشعشع : ممزوج . (٦) ينسع : يؤذى جيرانه ، وروى الشطر الأخير من هـذا البيت فى المفضليات هكذا : * بين القوابل بالعداوة ينشع * ويُنْشَع من نُشِع فلانٌ بكذا : أُولع به . (٧) كذا فى الأصل . وروى فى المفضليّات وشواهد "المسند اليه" من تلخيص المفتاح :

إنّ الذين ترونهم إخوانكم * يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

(٨) الضباب جمع ضَبٍّ ، والمراد به : الغل الممعن فى الصدر إمعان الضب فى جحره . (٩) دمس : اشـتدّت ظلمته . (١٠) حدجوا قنافذ : رحلوا ، أراد أنهم يسهرون بالنميمة والاحتيال فى الشر كما يسهر القنفذ ، لأنه يسير ولا ينـام ليله أجمع . كذا فى شرح المفضليات . (١١) تمزع : تسرع .

وقال أبو دَهْبَل الجُمَحِىُّ :

وقـد قَطَعَ الواشونَ ما كان بيننا * ونحن إلى أن يُوصَلَ الحبلُ أحوجُ
رَأَوْا عورةً فاستقبلوها بِأَلْبِهِـمْ (١) * فَراحُوا على ما لا نُحِبُّ وأَدْلَجُـوا
وكانوا أُناسًا كنتُ آمَنُ غَيْبَهم * فـلم ينهَهُمْ حِلمٌ ولم يتحـرَّجُوا

وقال بَشّارٌ :

تَشتَهِى قُربَكَ الرَّبابُ وتَخْشَى * عينَ واشٍ وتَتَّقِى أسمَاعَهْ
أنتَ مِنْ قلبها مَحَـلُّ شَرَابٍ * تَشتَهِى شُربَهُ وتخشى صُدَاعَهْ

وقال أبو نُوَاس :

كنتُ من الحبّ فى ذُرَى نِيقِ (٢) * أَرُودُ منـــه (٣) مَرَادَ مَوْمُـوقِ
حتى تَشَانَى عنــه تَخَلُّقُ وا * شٍ كَذْبَةً لَفَّهَـا بتزويقِ
جُبْتُ قَفَا ما نَمَتْــه مُعتــذِرًا * منه وقد فُزتُ بعــد تخريقِ (٤)
كقول كسرى فيما تَمَثَّـــله * مِنْ فُرَصِ اللِّصِّ ضَجّةُ السُّوقِ

وقرأت فى كتاب للهند : قلَّما يُمنَعُ القلبُ من القول إذا تَرَدَّدَ عليه ، فإن الماءَ ألينُ من القول والحجرَ أصلب من القلب ، وإذا انحدَر عليه وطال ذلك أثَّر فيه ، وقد تُقطعُ الشجرةُ بالفؤوس فتنبُتُ ويُقطعُ اللحمُ بالسيوف فيندَمِلُ واللسانُ لا يندملُ جُرحُه ، والنُّصُولُ تَغيبُ فى الجوف فتُنْزَعُ والقولُ إذا وصل إلى القلب لم يُنْزَعْ ، ولكلّ حريقٍ مُطفِئٌ : للنار الماءُ ، وللسمّ الدواءُ ، وللحزن الصبرُ ، وللعشق الفُرقةُ ، ونارُ الحِقد لا تَخْبُو .

(١) بألبهم : بجمعهم . (٢) نيق : مرتفع .
(٣) فى النسخة الفتوغرافية «فيه» .
(٤) فى الأصلين ونسختى الديوان المطبوعة والمخطوطة * وقد فزت منه بعد تخريق * وما أثبتناه رواية فى هامش النسخة الألمانية . وبها يستقيم الوزن .

وقال طَرَفَةُ بن العبد :

وتَصُدُّ[(١)] عنك مَخِيلَةَ الرجُلِ الـ ـعِرِّيضِ مُوضِحَةٌ عن العَظْمِ

بِحُسَامِ سيفكَ أو لسانِكَ والـ ـكَلْمُ الأصيلُ كأوسَعِ الكَلْمِ

ونحوه قوله :

* والقولُ يَنْفُذُ ما لا تَنْفُذُ الإبَرُ *

وقال آمرؤ القيس :

* وجُرْحُ اللّسانِ كجُرْحِ اليدِ *

سأل رجلٌ عبدَ الملك بن مروان الخَلْوَةَ، فقال لأصحابه : إذا شئتم [تنحّوا][(٢)]، فلما تهيّأ الرجلُ للكلام قال له : إياكَ وأن تمدَحَنى فإنى أعرَفُ بنفسى منكَ، أو تكذِبَنى فإنه لا رأيَ لكذُوبٍ، أو تَسعَى بأحدٍ إلىّ، وإن شئتَ أن أُقيلَكَ أقلتُكَ، قال : أقِلْنى.

وقال ذو الرياستين : قبولُ السِّعايةِ شرٌّ من السِّعايةِ ، لأن السعايةَ دِلالةٌ والقبولَ إجازةٌ، وليس مَنْ دلّ على شيءٍ كمن قَبِلَ وأجازَ، فامقُتِ الساعيَ على سِعايته وإن كان صادقا لِلُؤْمِه فى هَتْكِ العورةِ وإضاعةِ الحُرمةِ، وعاقِبْهُ إن كان كاذبا لجمعه بين هَتْكِ العورة وإضاعةِ الحرمةِ مُبارزةً للهِ بقول البهتان والزور.

وقال بعضُ المُحْدَثين لعبد الصمد بن المعذَّل :

لَعَمْرُكَ ما سَبَّ الأميرَ عدُوُّه * ولكنّما سَبَّ الأميرَ المبلِّغُ

وقال رجلٌ للوليد بن عبد الملك : إنّ فلانًا شَتَمَكَ، فأكبّ ثم قال : أُرَاهُ شتَمَكَ.

وأتى رجلٌ ابنَ عمرَ فقال له : إن فلانا شتمكَ، فقال له : إنّى وأخى عاصمًا لا نُسابُّ أحدًا.

عَوانةُ قال : كان بين حاتم طيئٍ وبين أوسِ بن حارثةَ ألطفُ ما يكون بين اثنين، فقال النعمانُ بنُ المنذر لجلسائه : والله لأُفسِدَنّ ما بينهما، قالوا : لا تقدِرُ على ذلك،

(١) فى كتاب الشعر والشعراء : «وترد»، والعِرِّيض : الرجل الذى يتعرض الناس بالشرّ.

(٢) زيادة فى النسخة الألمانية.

قال : بلى فقلّما جَرت الرجالُ فى شىء إلا بَلَغْتَه ؛ فدخل عليه أوسٌ ؛ فقال : يا أوسُ ما الذى يقولُ حاتمٌ ؟ قال : وما يقولُ ؟ قال : يقول إنه أفضلُ منك وأشرفُ ؛ قال : أبيتَ اللّعنَ ، صَدَقَ ! واللهِ لو كنتُ أنا وأهلى وولدى لحاتم لَأَنْهَبَنَا فى مجلسٍ واحدٍ ، ثم خرج وهو يقولُ :

يقولُ لِيَ النعمانُ لا مِنْ نصيحةٍ * أرى حاتمـا فى قوله مُتَـطَاوِلَا
له فَوقَنَا باعٌ كما قال حاتمٌ * وما النُّصْحَ فيما بيننا كان حَاوَلَا

ثم دخل عليه حاتم فقال له مثلَ مقالته لأوسٍ ؛ قال : صَدَقَ ، أين عسى أن أقعَ مِن أوس ! له عشرةُ ذكورٍ أَخَسُّهم أفضلُ مِنّى ، ثم خرج وهو يقول :

يُسائِلُنِي النعمانُ كى يَسْتَزِلَّنِى * وهَيهاتَ لى أن أستَضامَ فَأُصْرَعَا
كَفَانِيَ نقصًا أن أَضِيمَ عَشِيرَتِى * بقولٍ أَرَى فى غيره مُتَوَسَّـــعا

فقال النعمانُ : ما سمِعتُ بأكرمَ من هذَينِ الرجلين .

ذكر يعقوبُ بن داود أيامَ كان مع المهدىّ أنه وافاه فى يوم واحدٍ ثمـانون رُقعةً كلّها سعايةٌ ، منها ستون لأهل البَصْرة ، وعشرون لسائر البلاد .

وَشَى وَاشٍ برجلٍ إلى الإسكندر ؛ فقـال له : أتُحِبُّ أن أقبلَ منك ما قُلتَ فيـه على أن نَقبلَ منه ما قال فيك ؟ قال : لا ؛ قال : فَكُفَّ عن الشرِّ يَكُفَّ عنك الشرُّ .

كتب بعضُ إخواننا من الكُتَّاب إلى عاملٍ وكان سُعِىَ به إليه : لستُ أنفكُّ فيما بينى وبينك من إحدى أربع : إما كنتَ مُحسِنا وإنك لكذلك فاربُبْ ، أو مُسيئًا ولستَ به فأبقِ ، أو أكونُ ذا ذنبٍ ولم أتعمَّدْ فتغمَّدْ ، أو مقروفا وقد تلحَقُ به حِيَلُ الأشرار فتثبَّتْ (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ)

باب الكذب والقِحَة

حدّثني أحمد بن الخليل قال حدّثنا سليمان بن داود عن مَسْلَمَةَ بنِ علقمة عن داود بن أبي هندٍ عن شَهْرِ بن حَوْشَبٍ عن الزِّبرِقان عن النَّوّاسِ بنِ سَمْعانَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يَصلُحُ الكذبُ إلا في ثلاثةِ مواضعَ(١) الحربِ فإنها خُدْعةٌ والرجلِ يُصلِحُ بين آثنين والرجلِ يُرْضى آمرأته" .

حدّثني محمد بن عبيد قال حدّثنا بَرْبَرُ بنُ(٢) هارونَ قال أخبرنا سفيانُ بنُ حسينٍ عن الزهريّ عن حُميدِ بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم "لم يَكْذِبْ مَنْ قال خيرًا وأصلَحَ بين آثنين" .

قال : حدّثني عَبْدَةُ بن عبد الله قال حدّثنا أبو داود عن عِمران عن قتادة قال : قال أبو الأسود الدؤليّ : إذا سَرَّكَ أن تُكْذِبَ صاحبَك فَلَقِّنْه .

حدّثني محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن مالك عن صفوان بن سليم قال : قيل للنبيّ صلى الله عليه وسلم : أيكُونُ المؤمن جبانًا ؟ قال : "نعم" قال : أفيكون بخيلا ؟ قال : "نعم" قال : أفيكون كذّابا؟ قال : "لا" . قال حدّثني سهل بن محمد عن الأصمعيّ قال : عاتب إنسانٌ كذّابا على الكذب، فقال : يابن أخي لو تَغرغرتَ(٣) به ما صَبَرْتَ عنه . قال : وقيل لكذوب : أصدقتَ قطُّ؟ قال : أكره أن أقول لا فأُصْدُقَ . وقال آبن عبّاس : الحدثُ حَدَثانِ : حدثٌ من فيكَ وحدثٌ من فرجكَ . وقال مدينيّ : مَنْ ثَقُلَ على صديقه خَفَّ على عدوّه ، ومَنْ أسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون . ومثلُه قول الشاعر :

(١) وفي رواية : «مواطن» . (٢) كذا في الأصول ولم نقف في كتب التراجم على من يسمى بربر ابن هارون ، ولعله يزيد بن هارون ، وهو أحد الرواة عن سفيان بن حسين كما في تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٠٨

(٣) تغرغرت به : ردّدته في حلقك .

ومَنْ دَعا النـاسَ الى ذَمِّهِ * ذَمُّوه بالحــقِّ وبالباطلِ
مَقَـالَةُ السّوءِ إلى أهلهـا * أسرعُ مِن مُنحَدِرٍ سـائلِ

بلغنى عن وكيع عن أبيه عن منصور قال: قال مجاهد: [كُلّ][1] ما أصابَ الصائمُ شَوًى[2] ما خلا الغِيبةَ والكذبَ. وقال سليمان بن سعد: لو صحبنى رجلٌ فقال: آشترطْ خَصلةً واحدة لا يزيد عليها، لقلتُ لا تَكْذِبنى. كان آبن عبّاس يقول: الكذبُ فُجُور، والنميمة سِحرٌ، فمن كذب فقد فَجَر، ومن نَمّ فقد سحَر. وكان يقال: أسْرِعْ الاستماعَ وأبطئ التحقيقَ. قال الأحنف: ما خان شريفٌ ولا كذَب عاقلٌ ولا آغتاب مُؤمِنٌ. وكانوا يحلفون فيحنَثون ويقولون فلا يكذِبون. ذمّ رجل رجلا فقال: اجتمع فيه ثلاثة: طبيعةُ العَقْعَق[3] يعنى السَّرِق، ورَوَغانُ الثعلب يعنى الخِبّ، ولمَعانُ البرق يعنى الكذبَ. ويقال الأذِلّاء أربعة: النمّـامُ والكذّاب والمدين والفقير. قال آبن المقفّع: لا تَهاوَنَنّ بإرسال الكِذبة فى الهَزْل فإنها تُسرِعُ فى إبطال الحقّ. وقال الأحنف: آثنان لا يجتمعان أبدا: الكذبُ والمروءةُ. وقالوا: مِن شرفِ الصِّدق أن صاحبَه يُصَدَّق على عدوّه. وقال الأحنف لأبنه: يا بُنيّ آتّخِذ الكذبَ كَنْزاً، أى لا تُخرِجه. وقيـل لأعرابيّ كان يُسهِبُ فى حديثـه: أمَا لحديثك هـذا آخِرٌ؟ فقال: إذا آنقطع وصلتُه. وقال آبن عمر: "زعموا" زامِلةُ[4] الكذب. كان يقال: عِلّة الكَذوب أقبحُ عِلّة، وزَلّة المتوقِّى أشـدُّ زَلّة. كان المهلّب كذّابا وكان يقال له: راحَ يَكذِب. وفيـه يقول الشاعر

(١) الزيادة عن اللسان فى مادة «شوى». (٢) أى: شيء يسير هيّن. وأصل الشوى الأطراف ومعنى الحـديث أن كل شيء أصابه الصائم هين لأنه بمنزلة الأطراف التى هى ليست مقاتل، ما عدا الغيبة والكذب فإنهما فى تأثيرهما على الصوم بمنزلة المقاتل من الإنسان. (٣) العقعق: طائر على قدر الحمامة وهو على شكل الغراب ويقال له: القعقع، والعرب تتشاءم به وتضرب به المثـل فى السرقة والخيانة والخبث. (٤) الزاملة: الدابّة التى يحمـل عليها، يريد أن لفظ «زعموا» مطيّة الكذب ومركبه.

تبدّلتِ المنابرُ من قُريش [1] * مَزُونيًّا بقَفْحته الصــليبُ
فأصــبح قا فلّا كرمٌ وجــودٌ * وأصــبح قادمًا كذبٌ وحُوبُ

قال رجل لأبى حنيفة : ما كذبتُ كِذْبةً قطّ ، قال : أمّا هذه فواحدةٌ يُشهَدُ بها عليك . قال ميمون بن ميمون : مَنْ عُرِف بالصدق جاز كذبهُ ، ومَنْ عُرِف بالكذب لم يَجُز صدقُه . قال أبو حَيّة النُّمَيْرِىّ — وكان كذّابا — : عنّ لى ظَبىٌ فرميتُه فراغ عن سهمى فعارضه واللهِ السهمُ ، فراغ فراوغَه السهمُ حتى صرعه ببعض الخَبَارات [2] . وقال أيضا : رميتُ ظبيةً فلمّا نفذ السهمُ ذكرتُ بالظبية حبيبةً لى فشــددتُ وراء السهم حتى قبضتُ على قُذَذِه [3] . وصَفَ أعرابىّ امرأة فقيل : ما بلغ من شِدّة حُبّك لها ؟ قال : إنى لأذكُرها وبينى وبينها عقبةُ الطائف فأجِدُ من ذكرها ريحَ المسك .

أنشد الفرزدقُ سليمانَ بن عبد الملك :

ثلاثٌ وآثنتانِ فهنّ خمسٌ * وسَادســةٌ تميلُ الى شمَــامِ
فبِتْنَ بجانِبَىّ مُصَرَّعاتٍ * وبِتُّ أَفُضُّ أغلاقَ الخِتَــامِ
كأنّ مَفَــالِقَ الرُّمّانِ فيــه * وجَمْرَ غَضًا قَعَدْنَ عليه حَامِى

فقال له سليمان : ويحك يا فرزدقُ ، أحْلَلتَ بنفسك العقوبةَ ، أقررتَ عندى بالزنا وأنا إمامٌ ولا بدّ لى من أن أحُدَّكَ ، فقال الفرزدقُ : بأىّ شىء أوجبتَ علىّ ذلك ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن كتابَ الله هو الذى يَدْرأُ عنّى الحدَّ ، قال : وأين ؟ قال : فى قوله : ﴿وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ فأنا قلتُ يا أمير المؤمنين ما لم أفعل ، وقول الشاعر :

وإنما الشاعرُ مجنونٌ كَلِبْ * أكثرُ ما يأتى على فيــه الكذبْ

---

(١) كذا فى لسان العرب فى مادة «مزن» والذى فى الأصل «المازل» .

(٢) فى الأصل «الحيارات» وفى الأغانى «الجبانات» وفى البيان والتبيين «الجنارات» والتصويب عن الشعر والشعراء لابن قتيبة . والخبارات جمع خَبَارة وهى ما لان وآسترخى من الأرض وساخت فيها القوائم وفى المثل «من تجنّب الخَبَارَ أمِنَ العِثَار» .

(٣) القذذ جمع قُذّة : ريش السهم .

وقال الشاعر :

حَسْبُ الكَذُوبِ من البليّة بعضُ ما يُحكى عليه

مهما سمِعتَ بِكَذْبَةٍ * مِنْ غيره نُسِبَتْ إليه

وقال بشّار :

ورَضيتُ من طُوبِ العَناءِ بيأسه * واليأسُ أيسرُ مِنْ عِدَاتِ الكاذب

والعرب تقول : «أَكْذَبُ مِنْ سَالِئَةٍ»[(١)] وهى تكذب مخافةَ العين على سَمْنها . و«أكذبُ مِن مُجَرِّب» لأنه يخاف أن يُطلَبَ من هِنائه[(٢)] . و«أكذبُ مِنْ يَلْمَعٍ» وهو السراب . منصور ابن سَلَمة الخُزَاعىّ قال حدّثنا شبيبُ بن شيبة أبو مَعْمَر الخطيب قال : سمعت ابن سيرين يقول : الكلامُ أوسعُ من أن يكذبَ ظريفٌ . وقال فى قول الله عزّ وجلّ : (لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) لم ينس ولكنها من معاريض الكلام . وقال القينىّ : أَصْدُقُ فى صِغار ما يضرّنى لِأُصَدَّقَ فى كِبار ما ينفعُنى . وكان يقول : أنا رجل لا أبالى ما ٱستقبلتُ به الأحرارَ . نافرَ رجل من جَرْم رجلا من الأنصار الى رجل من قريش، فقال للجَرْمىّ : أبالجاهليةَ تُفاخره أم بالإسلام؟ فقال : بالإسلام، فقال : كيف تُفاخره وهم آوَوْا رسولَ الله ونصروه حتى أظهر الله الإسلامَ؟ قال الجرمىّ : فكيف تكون قِلّةُ الحياء . وقال آخر : إنما قَوِيتُ على خصومى بأنّى لم أستتر قطّ بشىء من القبيح . وذكر أعرابىّ رجلا فقال : لو دُقَّ وجهُه بالحجارة لرضّها، ولو خلا بأستار الكعبة لسَرَقَها . قيل لرجل من بنى أسد : بأىّ شىء غلبتَ الناسَ؟ قال : أَبْهَتُ الأحياءَ وأستشهِدُ الموتى . وقال طُرَيْحٌ الثقفىّ يذمّ قوما :

إنْ يَعلَمُوا الخيرَ يُخْفوه وإنْ عَلِمُوا * شَرًّا أُذِيعَ وإن لم يَعلَمُوا كَذَبُوا

---

(١) فى مجمع الامثال "السالئة" بالتعريف، وهى التى تسلأ السمن أو تطبخه وتعالجه، قال الميدانى فى مجمع الأمثال : وكذبها أنها تقول : قد ارتجن، قد احترق . والارتجان ألا يخلص سمنها .

(٢) الهناء : القطران .

وكان يقال : آثنان لا يتّفقان أبدًا : القناعةُ والحسدُ، وآثنان لا يفترقان أبدا : الحِرص والقِحة، وقال الشاعر :

إن يَبْخَلُوا أو يَغْدِرُوا ✻ أو يَفْجَرُوا لا يَحْفِلُوا
يَغْدُوا عليك مُرَجَّلِيـ[1] ✻ ـنَ كأنّهم لم يَفْعَلُوا
كأبى بَرَاقِش[2] كُلَّ لو ✻ نٍ لَوْنُه يَتَخَيَّلُ

هجا أبو الهول الحميرىّ الفضلَ بنَ يحيى ثم أتاه راغبا إليه ؛ فقال له الفضل : ويلك بأىّ وجه تلقانى ! قال : بالوجه الذى ألقى به ربّى وذنوبى اليه أكثر؛ فضحك ووصله .

ومن أمثال العرب فى الوَقاح «رَمَتْنِى بدائها وآنسلّت» . وقال الشاعر :

أَكُولٌ لأرزاقِ العباد إذا شَتَا ✻ صَبُورٌ على سُوءِ الثَّنَاءِ[3] وَقَاحُ

قال رجلٌ لقوم يغتابونَ ويكذِبونَ : توضَّئُوا فإنّ ما تقولون شرٌّ من الحَدَث . وبلغنى عن حمّاد بن زيد عن هشام عن محمد قال : قلتُ لعَبِيدَةَ : ما يوجبُ الوضوءَ؟ قال : الحدَثُ وأذَى المسلم . روى الصَّلْتُ بنُ دينار عن عُقْبةَ عن أَنَس بن مالك قال : بعثنى أبو موسى الأشعرىّ من البصرة الى عمرَ؛ فسألنى عن أحوال الناس ثم قال : كيف يَصلُحُ أهلُ بلدٍ جُلُّ أهلِه هذانِ الحيّانِ : بكرُ بن وائل وبنو تميم ، كَذَبَ بكرٌ وبَخِلَ تميمٌ . ذكر بعضُ الحكماء أعاجيبَ البحر وتزيُّدَ البحريِّينَ فقال : البحرُ كثيرُ العجائب ، وأهلُه أصحابُ تزيُّد ، فأفسدُوا بقليل الكذب كثيرَ الصِّدق ، وأدخلوا ما يكونُ فيما يكادُ لا يكونُ ، وجعلوا تصديقَ الناس لهم فى غريب الأحاديث سُلَّمًا الى آدّعاءِ المُحَال .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : كان يقال : الصِّدقُ أحيانا مُحَرَّمٌ .

---

(١) بجزم « يعدوا » لأنه بدل من «لا يحفلوا» فان غدوّهم مرجّلين هو فى معنى أنهم لم يحفلوا . كذا يؤخذ من اللسان . والترجيل : مشط الشعر وإرساله . (٢) أبو براقش : طائر يتلون ألوانا شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فاذا انتفش تغيّر لونه ألوانا شتّى . كذا فى اللسان .

(٣) كما يستعمل الثناء فى ذكر المرء بالخير يستعمل فى ذكره بالشر .

حدّثنى شيخٌ لنا عن أبى معاويةَ قال حدثنا أبو حنيفةَ عن معن بنِ عبد الرحمن عن أبيه قال : قال عبدُ الله بن مسعود : ما كَذبتُ على عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم إلا كَذْبةً واحدةً، كُنتُ أُرَحِّلُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجلٌ من الطائف فقلت : هذا يَغْلِبُنِى على الرِّحال ، فقال : أىُّ الرِّحال أحبُّ الى رسول الله؟ فقلت : الطائفيّةُ المكيّةُ ، فرحّل بها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ رَحَّلَ لَنا هَذا" فقالوا : الطائفىّ ؛ فقال : "مُرُوا عبدَ الله فليُرَحِّلْ لَنَا" فعُدتُ الى الرِّحال .

باب سوء الخُلُق وسوء الجوار والسِّبَابِ والشّر

حدّثنى زياد بن يحيى قال حدّثنا أبو داود عن صدقة بن موسى عن مالك بن دينار عن عبدالله بن غالب عن أبى سعيد الخُدرىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خَصْلَتَان لاتجتَمِعانِ فى مُؤْمنٍ سُوءُ الخُلُقِ والبُخلُ" .

قال وحدّثنى أحمد بن الخليل عن أزهر بن جميل عن إسماعيل بن حكيم عن الفضل ابن عيسى عن محمد بن المنكدر عن جابر [قال](١) : قيل : يارسولَ الله ما الشُّؤمُ ؟ قال : "سُوءُ الخُلُقِ" .

قال وحدّثنى أبو الخطّاب قال حدّثنا بِشر بن المفضّل قال حدّثنا يونس عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المُسْتَبَّانِ ماقالا فَعَلَى البادئ منهما مالَمْ يعتَدِ(٢) المظلومُ» .

قال وحدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعىّ قال : حدّثنى شيخ بِمِنًى قال : صَحِبَ أيوبَ رجلٌ فى طريق مكة فآذاه الرجلُ بسوء خُلقه ، فقال أيوبُ : إنّى لأرحمُه لسوء خلقه .

---

(١) زيادة فى النسخة الألمانية . (٢) فى الإحياء «حتى يعتدى ...» .

قال وحدّثنى عبدالرحمن عن الأصمعىّ قال : قال أبو الأسود : لو أطعنا المساكينَ فى أموالنا كُنّا أسوأَ حالًا منهم . وأوصىَ بنيه فقال : لاتُجاودوا الله فإنه أمجدُ وأجودُ، ولو شاء أن يُوسِّعَ على الناس كُلّهم حتى لايكونَ محتاجٌ لفعلَ، ولا تجهدُوا أنفُسَكم فى التوسُّع فتَهلِكوا هُزْلًا . قال: وسمع رجلا يقول: مَن يُعَشّى الجائعَ؟ فقال: علىّ به، فعَشّاه ثم ذهب ليخرجَ؛ فقال : أين تريد؟ ؛ قال : أُريدُ أهلى ؛ قال : هيهاتَ ، عَلَىَّ ألّا تُؤذِىَ المسلمينَ اللّيلةَ ، ووضعَ فى رجلِه الأدهمَ حتى أصبحَ. قال: وأكل أعرابىّ معـه تمرا فسقطتْ من يدِ الأعرابىّ تمرةٌ فأخذها وقال : لا أدعُها للشيطان؛ فقال أبو الأسود : لا واللهِ ولا لجبريلَ . نظر ٱبنُ الزبير يوما الى رجل وقد دَقَّ فى صدور أهل الشأم ثلاثةَ أرماحٍ فقال : ٱعتزلْ حَرْبنا فإنّ بيتَ المـال لا يقومُ لهذا . وذكر أبو عبيدة أنه[1] كان يأكل فى كلّ سـبعة أيام أَكْلَةً ويقول فى خطبته : إنمـا بطنِى شبرٌ فى شبرٍ وما عسى أن يكفيَنِى . وقال أبو وَجْزة مولى آل الزبير :

لو كان بطنُكَ شبرًا قد شَبِعْتَ وقد * أَفْضَلْتَ فضـلا كثيرًا للمساكينِ
فإن تُصِبْكَ مِنَ ٱلأيّام جائحةٌ * لاَنَبْكِ منـكَ على دُنيـا ولا دِينِ

وفيها يقول :

مازِلْتَ فى سُورة الأعرافِ تَدْرُسُها * حتّى فُؤادُكَ[2] مِثْـلُ الخَزِّ فى اللّينِ

وفيها يقول :

إنّ ٱمرأً كنتُ مولاهُ فضيَّعنِى * يَرجُو الفلاحَ لَعِندى حَقٌّ مَغْبُونِ

وفيه يقول آخر :

رأيتُ أبا بكرٍ — وربُّك غالبٌ * على أمره — يبْغِى ٱلخلافةَ بالتَّمْرِ

(١) أى ٱبن الزبير كما فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٢٢

(٢) كذا فى النسخة الألمانية ، وفى النسخة الفتوغرافية والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٢٢ «فؤادى» .

هذا حين قال : أكلتم تمرى وعصيتم أمرى . وقال بعض الشعراء :

مِنْ دون سَيبِكَ[1] لونُ ليلٍ مُظلِمٍ * وحَفيفُ نافجةٍ[2] وكلبٌ مُوسَدُ[3]
وأخوكَ مُحتمِلٌ عليك ضَغينةً * ومُسيِّفُ[4] قومِكَ لائمٌ لا يَحْمَدُ
والضَّيفُ عندكَ مثلُ أَسْودَ سالخٍ[5] * لا بل أحبُّهما اليكَ الأَسْوَدُ

ومَدَحَ أعرابىٌّ سعيدَ بن سَلْم فقال :

أيا سارِياً بالليل لا تَخْشَ ضِلَّةً * سَعيدُ بْنُ سَلْمٍ ضَوءُ كُلِّ بِلادِ
لنا سَيِّدٌ أَرْبَى على كلِّ سيِّدٍ * جَوادٌ حَثا[6] فى وجه كلّ جواد

فلم يُعْطِه شيئا ، فقال يهجوه :

لِكلِّ أخى مدحٍ ثوابٌ يُعِدُّه * وليس لِمدحِ الباهلىِّ ثَوابُ
مَدَحتُ ٱبنَ سَلْمٍ والمديحُ مَهَزَّةٌ * فكان كَصفْوانٍ عليه ترابُ

وقال فيهم المُمَزِّق الحَضْرَمىّ :

اذا وَلَدتْ حليلةُ باهلىٍّ * غلاماً زِيدَ فى عَدَدِ اللِّئامِ
وعِرْضُ الباهلىِّ وإن تَوَقَّى * عليه مِثلُ منديلِ الطَّعامِ
ولو كان الخليفةُ باهِليّاً * لقَصَّرَ عن مُساماةِ الكِرامِ

ودخل قُدامةُ بنُ جَعْدة على قُتَيبةَ بنِ مسلم فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ، بالباب أَلأَمُ العرب ؛ قال : ومن ذاك؟ قال : سَلُولىٌّ رسولُ مُحاربىٍّ الى باهلىٍّ ؛ فضَحِك قتيبةُ . وقال آخر

---

(١) السيب : العطاء ، وفى النسختين الفتوغرافية والألمانية : «شيبك» بالشين المعجمة وهو تحريف .

(٢) النافجة بالجيم (كما فى الألمانية) وبالحاء (كما فى الفتوغرافية) : الريح الشديدة فكلتاهما صحيحة .

(٣) موسد من أوسد الكلب بالصيد : أغراه به . (٤) المسيف : من هلك ماله فافتقر .

(٥) الأسود السالخ : الأفعى ، ووصف بالسالخ لأنه ينسلخ جلده كل عام . (٦) فى النسخة الألمانية «جثى» والفتوغرافية « حثى » وكلاهما تحريف والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ١٠٧

قومٌ اذا أكلوا أخفَوا كلامَهُمُ * وآستوثقوا من رِتاجِ الباب والدّارِ
لا يقبِسُ الجارُ منهم فضلَ نارِهِمُ * ولا تُكَفُّ يدٌ عن حُرمةِ الجارِ

وقال عمر بن عبد العزيز الطائىّ من أهل حِمْص :

سُمْتُ المديحَ رجالًا دون قدرِهِمُ * صَدٌّ قبيحٌ ولفظٌ ليس بالحسَنِ
فلم أفُزْ منهمُ إلا بما حَمَلَتْ * رِجْلُ البعوضةِ من فخّارةِ اللَّبِنِ

وقال آخر :

أُلامُ وأُعطِى والبخيلُ مُجاوِرى * الى جَنبِ بيتى لا يُلامُ ولا يُعطِى

ونحو هذا قولهم : مَنْعُ الجميع أرضَى للجميع . وقال بشّار :

أعطَى البخيلُ فما آنتفعتُ به * وكذاك مَنْ يُعطيكَ مِنْ كَدَرِهْ

قيل لخالد بن صَفْوان : ما لك لا تُنفق فإنّ مالَكَ عَرِيضٌ؟ قال : الدهرُ أعرضُ منه ؛ قيل له : كأنك تأمُلُ أن تعيشَ الدهرَ كلَّه ؛ قال : ولا أخافُ أن أموتَ فى أوّله .

قال الجاحظ : قلتُ مرّةً للحِزامىّ : قد رضيتَ بقول الناس : عبدُ الله بخيل ؛ قال : لا أعدَمَنِي اللهُ هذا الاسمَ ؛ قلت : كيف؟ قال : لأنه لا يقال فلانٌ بخيلٌ إلا وهو ذو مال . فَسَلِّمْ لى المالَ وآدعُنى بأىّ آسم شئتَ ؛ قلت : ولا يقال سخىّ إلا وهو ذو مال ، فقد جمعَ هذا الاسمُ المالَ والحمدَ وجمعَ هذا الاسمُ المالَ والذمّ ؛ قال : بينهما فرقٌ ؛ قلتُ : هاته ؛ قال : فى قولهم بخيلٌ تثبيتٌ لإقامة المال فى ملكِه ، وفى قولهم سخىّ إخبارٌ عن خروج المال عن ملكه ؛ وآسم البخل آسم فيه حزم وذمّ ، وآسم السخاء آسم فيه تضييعٌ وحمد ، والمال راهنٌ[1] نافع ومُكرِمٌ لأهله مُعِزٌّ ؛ والحمدُ ريحٌ وسُخريةٌ وآستماعهُ

(١) أى دائم باق .

ضَعفٌ وفُسولةٌ[1]، وما أقلَّ واللهِ غَنَاءَ الحمـد عنه اذا جاعَ بطنُه وعَرِىَ جِلدُه وضاعَ عيالُه وشَمِتَ عَدُوُّه[2]!.

وكان محمد بن الجَهْم يقول : مِنْ شأنِ مَن ٱستغنَى عنـكَ ألّا يُقيمَ عليكَ، ومَن ٱحتاج اليك ألّا يَذهَبَ عنك، فمن ضنّ بصديقه[3] وأحبَّ الاستكثار منـه وأحبَّ التمتعَ به ٱحتال فى دوام رغبته بأن يُقيمَ له ما يقوته ويَمْنَعَه ما يُغنيه عنه. فإنّ من الزهد فيه أن تُغنيَه عنك ومن الرغبة فيه أن تُحوِجَه اليك؛ وإبقاؤك مع الضنّ به أكرمُ من إغنائكَ له مع الزهد فيه؛ وقيل فى مثلٍ: «أَجِع كلبَكَ يَتبعْكَ». فمَنْ أغنَى صديقَه فقد أعانه على الغدر وقطع أسبابه من الشكر؛ والمعينُ على الغدر شريكُ الغادرِ، كما أن مُزَيِّنَ الفجور شريكُ الفاجر. قال: وأوصى عند موته وقال فى وصيّته: يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الثلث، والثلث كثير"؛ وأنا أزعمُ أن ثلثَ الثلثِ كثيرٌ، والمساكينُ حقوقُهم فى بيت المـال، إن طلبوا طلبَ الرجالِ أخذوه، وإن جلسوا جلوسَ النساء مُنِعُوه، فلا يُرغِمُ اللهُ إلا أنفَهُم ولا يَرحَمُ اللهُ مَنْ يرحَمُهُم.

تقدّم رجلان من قريش الى سَوّارٍ أحدهما يُنازِعُ مولًى له فى حدّ أرض أقطعها أبوه مولاه؛ فقال سوّار: أتُنازع مولاكَ فى حدّ أرض أقطعها أبوك إياه!؛ فقال: الشَّحيحُ أعذَرُ من الظالم؛ فرفع سوّار يده ثم قال: اللّهم ٱرددْ على قريش أخْطَارَها[4].

---

(١) كذا فى النسخة الألمانية، والفسولة: النذالة وقلة المروءة، وفى الفتوغرافية "فشولة" وهو تحريف.

(٢) كتب بهامش الأصل الفتوغرافى بمناسبة الدفاع عن البخل ما نصـه : «سبحان الله! ما رأيت أنهض جانبا للبخل والبخلاء وأبين كلاما وأصدق حجة وأبعـد من المقدّمات الواهية والقضايا المردودة من هذا الرجل ولولا [أن] السخاء سجية من السجايا الراسخة فى أنفس الأسخياء كاد والله يهـدم ركنه ويميل عماده ويكدر مورده بل ويمنع السحاب من المطر والبحر من رشح القطر وإن هذا لمن إحدى الكبر» اهـ.

(٣) فى النسختين «تصديقه» وظاهر أنه محرّف عما أثبتناه. (٤) الأخطار جمع خَطَر وهو الشرف، وبهامش الأصل الفتوغرافى هذه الجملة : «إنما قال ذلك حتى لا يغلهوا الناس لقلة ما بيدهم».

وقال الخَزْرَجىّ :

إنَّ جُودَ المكّىّ جُودٌ حِجَازِىٌّ وَجُود الحجاز فيـه اقتصادُ

كيف ترجو النوالَ من كفِّ مُعطٍ * قـد غذّته الأقراصُ والأمدادُ

نظر سليمان بنُ مُزَاحِم الى درهم فقال : فى شِقٍّ «لا إله الا الله محمدٌ رسول الله» وفى وجه آخر «اللهُ لا إله إلا هُو الحىُّ القيُّومُ» [1] ، ما ينبغى أن يكون هـذا إلا مَعَاذَةً وقذفَه فى الصُّـندوق . أنشدَنا عبـدُ الرحمن بن هانئ صاحب الأخفش عن الأخفش للخليل :

كفّاه لم تُخْلَقَا [2] للنّـدى * ولم يَكُ بخلُهـما بِدْعَهْ

فكفٌّ عن الخير مقبوضَةٌ * كما نَقَصت مِائةٌ [3] تِسْـعَهْ

وكفٌّ ثلاثةُ آلافِهَا * وتِسْعُمِئِيهَا لهـا شِرْعَـهْ [4]

---

(١) فى الأصلين بعد قوله القيّوم كلمة «فقال» والسياق يأبى وجودها ، وقد وردت هذه الحكاية فى نهاية الأرب ج ٣ ص ٣٠٣ طبع دار الكتب المصرية ولم تذكر بها هذه الكلمة . (٢) كذا فى اللسان مادة شرع . وفى الاصلين «يخلقا» والكف مؤنث لا مذكر . وفى المصباح مادة كفف : «قال ابن الانبارى» : وزعم من لا يوثق به أن الكف مذكر ولا يعرف تذكيرها من يوثق بعلمه .

(٣) فى تاج العروس واللسان مادة شرع : «كما حطّ عن مائة سبعه» وقد قيل : إن للعرب حسابا خاصا غير ما هو معهود اليوم وهو حساب عقود الأصابع ، وقد وضعوا كلًّا منها بإزاء عدد مخصوص ثم رتّبوا لأوضاع الأصابع آحادا وعشرات ومئات وألوفا ، فيشار عن الواحد مثلا بقبض الخنصر وعن الاثنين بقبض البنصر وهكذا ، فالعدد الذى أراده الشاعر وهو ثلاثة وتسعون تقضى قواعدهم فى هذا الحساب بأن تقبض الخنصر والبنصر والوسطى من اليد اليمنى لتدل على عدد ثلاثة وتجعل السبّابة حلقة غير مجوّفة لتدل على عدد تسعين ، وهذا نرجح رواية اللسان على رواية الاصل . وكذلك تقضى قواعدهم فى عد الآلاف بأن تقبض من اليد اليسرى الخنصر والبنصر والوسطى دلالة على عدد ثلاثة آلاف وتجعل سبابة اليسرى حلقة غير مجوفة لتدل على عدد تسعمائة . انظر «بلوغ الارب فى أحوال العرب» ج ٣ ص ٣٩٦ - ٣٩٩

(٤) يقال : هذا شِرعة ذلك أى مثاله ؛ عن اللسان .

قال أبو علىّ الضرير :

لعمرُ أبيك ما نُسِب المُعَلَّى * إلى كرم وفى الدنيا كريمُ
ولكنّ البلادَ اذا اقشعرّتْ * وصَوَّحَ نبتُها رُعِىَ الهشيمُ

وقال آخر :

أَمِنْ خوفِ فقرٍ، تعجّلته * وأخّرتَ إنفاقَ ما تجمَعُ
فصِرْتَ الفقيرَ وأنتَ الغَنِيُّ * وهل كنتَ تعدُو الذى تَصنعُ

خوّف رجلٌ رجلا جوادا الفقرَ وأمره بالإبقاء على نفسه، فكتب إليه : إنى أكره أن أتركَ أمرًا قد وقع، لأمر لعله لا يَقَعُ. وقال أبو الشَّمَقْمق :

رأيتُ الخبزَ[1] عزَّ لديكَ حتى * حَسِبتُ الخبزَ فى جوِّ السحابِ
وما رَوّحتَنا لِتَذُبَّ عنّا * ولكن خِفتَ مَرْزِئَةَ الذُّبابِ

وقال دِعْبِلٌ :

صَدَّقْ أَلِيّتَه إذ قال مُجتهِدًا * لا والرغيفِ، فذاك البِرُّ من قَسَمهْ
قد كان يُعجِبُنِى لو أنّ غَيرتَه * على جَرَاذِقِهِ[2] كانت على حَرَمهْ
فإن هَمَمْتَ به فَافْتِكْ بِخُبزتِه * فإنّ مَوْقِعَها مِنْ لَحْمِه ودَمِهْ

وقال الشاعر :

أُرفُقْ بحفصٍ حين تأ * كُلُ يامُعَاوِىَ من طَعامِهْ
الموتُ أيسرُ عنده * من مَضْغِ ضيفٍ والْتِقامِهْ
وتراهُ مِن خوفِ النّزِيـ * ـلِ به يُرَوَّعُ فى منامِهْ
سِيّان كَسْرُ رغيفه * أو كسرُ عَظمٍ من عِظامِهْ

(١) كذا فى النسخة الألمانية، وفى الفتوغرافية "الخير" بدل "الخبز".

(٢) جمع جَرْذَق أوجرذقة، وهو الرغيف، وفى النسخة الالمانية «جرادقه» وهو اللغة الأصلية فيه.

لا تكسِرَنْ رغيفَه * إن كنتَ ترغَبُ فى كلامِهْ
وإذا مَرَرتَ ببابه * فاحفَظْ رَغيفَكَ من غُلامِهْ

وقال أبو نُوَاس :

خُبزُ إسماعيلَ كالوشـيِ إذا ما انشقّ يُرْفَا
عجبًا من أثرِ الصّنـعَة فيه كيف يَخْفَى
إنّ رَفّاءَكَ هـذا * أحذَقُ الأمة كَفًّا[1]
فإذا قابـلَ بالنّصْـف من الجَرْدَق نصفَا
أحكمَ الصّنعةَ حتّى * لا ترَى موضع إشفَى[2][3]
مِثلَ ما جاء من التّنـور ما غادر حَرفَا
وله فى الماءِ أيضًا * عملٌ أبدعُ ظَرفَا
مَزجُه العذبَ بماء الـبئرِ كَىْ يَزدادَ ضَعفَا
فهو لا يشرَبُ منه[4] * مثلَ ما يشرَبُ صِرفَا

باب الحُمْق

قال الشعبيّ لرجل استجهله : ما أحوجَكَ إلى مُحَدْرَجٍ[5] شديدِ الفَتْلِ جيّدِ الجِلَازِ عظيمِ الثَّمرةِ[6] لَدْنِ المَهَزّةِ يأخذُ منكَ فيما بين عَجْبِ[7] الذَّنَب ومَغرِزِ العُنُقِ فتكثرُ له رَقَصاتُكَ من غير جَذَلٍ؛ فقال : وما هذا ؟ فقال : بعضُ الأمرِ .

(١) فى النسخة الفتوغرافية : «أرفق» . (٢) فى ديوان أبى نواس "مغرز" .
(٣) الإشفى : المثقب (٤) فى ديوان أبى نواس : "لا يسقيك" ، وفى هامش النسخة الفتوغرافية ما يوضح الرواية التى هنا ، وهو أن يقدر معمول الفعل الثانى هو "البئر" ويصير المعنى : لا يشرب من الممزوج مثل ما يشرب من ماء البئر ، لأن فى الممزوج من العذب ما يحمله على الحرص والتقتير .
(٥) فى هامش النسخة الفتوغرافية "المحدرج : السوط ، والجلاز : جودة الفتل ، ولدن ، أى لين" .
(٦) ثمرة السوط : عقد أطرافه . (٧) عجب الذنب : العظم الذى فى أسفل الصلب عند العجز .

قال حدّثني القُومَسيّ عن محمد بن الصَّلْت الأسَدىّ عن أحمدَ بن بَشِير عن الأعمش عن سَلَمةَ بن كُهَيل عن عَطاء عن جابر قال : كان فى بنى إسرائيل رجل له حمارٌ، فقال : يا ربِّ لو كان لك حمارٌ لعلفتُه مع حمارى هذا ، فهمّ به نبىٌّ ، فأوحى الله إليه : إنما أُثيبُ كلَّ إنسان على قَدرِ عقله .

حدّثنى محمد بن خالد بن خِداش عن أبيه عن حمّاد بن زيد عن هِشام بن حسّان عن محمد بن سيرين أن رجلا رأى فى المنام أن له غنمًا وكأنه يُعطَى بها ثمانيةً ثمانيةً ، ففتح عينَه فلم يرَ شيئا ، فغمّض عينَه ومدَّ يدَه وقال : هاتوا أربعةً أربعةً .

مرّ رجل من العُبّاد وعلى عنقه عصا فى طرفيها زَبِيلان(٤) قد كادا يحطِمانه ، فى أحدهما بُرٌّ وفى الآخر ترابٌ ، فقيل له : ما هذا ؟ قال : عدلتُ البرّ بهذا التراب ، لأنه كان قد أمالَنى فى أحد جانبىّ فأخذ رجلٌ زبيلَ التراب فقلَبه وجعل البرّ نصفين فى الزبيلين وقال له : آحمِلِ الآن ، فحمله ، فلما رآه خفيفا قال : ما أعقلكَ مِن شيخ ! حفر أعرابىّ لقوم قبرًا فى أيام الطاعون بدرهمين ، فلما أعطَوْه الدرهمين قال : بِأبى دَعُوهما عندكم حتى يجتمعَ لى ثمنُ ثوب . كانت أمُّ عمرو بنت جُنْدَب بن عمرو بن حُمَمة السَّدُوسىّ عند عثمانَ بن عفّان ، وكانت حمقاءَ تجعلُ الخُنْفُساءَ فى فيها ثم تقول : حاجَيْتُكَ مافِى فَمِى؟ وهى أمّ عمرو وأبان آبنىْ عثمانَ

إبراهيم بن آلمنذر قال حدّثنا زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جدّه قال : رأيتُ طارقًا وهو والٍ لبعض آلخلفاء من بنى أميّةَ على المدينة يدعو بالغداءِ فيتغدّى على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و يكون فيه العظمُ المُخّ فينكُته على رُمّانة آلمنبر فيأكله .

(٤) الزبيل كأمير وسكّين وقنديل : القفّة .

قالت أمّ غَزْوَانَ الرَّقَاشيّ لابنها — ورأته يقرأ فى المصحف — : ياغزوانُ، أما تجدُ فيه بعيرا لنا ضلّ فى الجاهليّة ؟ فما كَهَرها[١] وقال : يا أمّهْ، أجدُ والله فيه وعدًا حسنا ووعيدا شديدًا .

سفيان بن عُيينة عن أيوبَ بن موسى قال: قال ٱبن أبى عَتيق لرجل : ما ٱسمُكَ ؟ قال : وثَّابٌ، قال : فما كان ٱسم كلبك؟ قال : عمرو، قال : واخِلَافاه !

قال أبو الدَّرْداء : علامــةُ الجاهل ثلاثٌ : العُجْبُ، وكثرةُ المنطق فيما لا يَعْنِيه، وأن يَنْهَى عن شيء ويأتيَه . أُغْمِىَ على رجل من الأَزْد فصاحَ النساءُ وٱجتمعَ ٱلجيرانُ وبعثَ أخوه إلى غاســل الموتى فجاء فوجده حيّا بعدُ، فقال أخوه : ٱغسله فإنك لا تَفْرُغُ مِن غَسلِه حتى يَقْضِيَ . وقال أَرْدَشِيرُ : بِحَسْبِكُمْ دلالةً على عيب ٱلجهل أن كلّ إنسان يَنتفِى منــه ويَغضَبُ إذا نُسِبَ إليه . وكان يقال : لا يَغُرَّنَّكَ من ٱلجاهل قرابةٌ ولا أخوة ولا إلفٌ فإن أحقَّ الناسِ بتحريقِ النار أقربُهم منها .

قال عمر بن عبد العزيز : خَصْلَتان لَا تَعْدَمَانكَ[٢] من الجاهل : كثرةُ الالتفات وسرعةُ الجواب . وقال عمر بن الخطاب : إيّاكَ ومؤاخاةَ الأحمق فإنه يريدُ أن ينفعَك فيضرَّكَ . وقال بعضُهم : لَأَنْ أُزاوِلَ أحمقَ أحبُّ إلىّ من أن أُزاوِلَ نصفَ أحمقَ، يعنى الأحمقَ المتعاقلَ . وقال هشام بن عبد الملك : يُعرفُ حمقُ الرجلِ بأربعةٍ : بطول لِحيته، وبِشناعةِ كُنيته، ونقشِ خاتمه، وإفراطِ شهوته، فدخل عليه ذاتَ يوم شيخٌ طويلُ العُثْنُون، فقال هشام : أمّا هذا فقد جاء بواحدة، فانظروا أينَ هو من الثلاث، فقيل له : ما كُنيتُك ؟ فقال : أبو الياقوت، وقالوا : ما نقشُ خاتَمِك ؟ قال : ﴿ وجَاءُوا عَلَى

---

(١) كهركنع : انتهر . (٢) فى النسخة الألمانية : "لاتعد مابك"، وفى الفتوغرافية "لا يعد مابك" ولعل ما أثبتناه أقرب الى الصواب .

قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) . وفى حكاية أخرى (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ) ؛ فقيل له : أىّ الطعام تَشْتَهِى ؟ فقال : جَلَنْجَبِين[1] ، وفى حكاية أخرى مصاصة[2] .

سمع عمر بن عبد العزيز رجلا ينادى رجلا : يا أبا العُمَرين ، فقال : لو كان له عقلٌ كفاه أحدُهما . وقال أبو العاج يوما لجلسائه — وكان يلى واسطَ — : إنّ الطويلَ لا يخلو من أن يكونَ فيه إحدى ثلاث : أن يُفَرِّق الكلابَ ، أو يكونَ فى رِجلِه قُرحةٌ ، أو يكونَ أحمقَ ، وما زلتُ وأنا صغيرٌ فى رِجلى قُرحةٌ ، وما فَرِق الكلابَ أحدٌ فَرَقى ، وأما الحمقُ فأنتم أعلمُ بوَالِيكم . ويقال : الأحمقُ أعلمُ بشأنه من العاقل بشأن غيره[3] . وقال بشّار :

خليلىَّ إن العسرَ سوف يُفِيقُ * وإنّ يَسارًا فى غد لَخَلِيقُ

وما كنتُ إلا كالزمان إذا صحا * صَحَوتُ وإن ماقَ الزمانُ أَمُوقُ

ذَرِينِي أُشَبْ همّى براح فإنّني * أرَى الدهرَ فيه كُربةٌ ومَضيقُ

وقال رجل : فلانٌ إلى مَنْ يُداوِى عقلَه أحوجُ منه الى مَنْ يُدَاوِى بدنَه . قيل لبعض الحكماء : مَتى يكون الأدبُ شرّا من عدمه ؟ قال : إذا كَثُر الأدبُ ونقص العقلُ .

وقرأت فى كتاب للهند : مِنَ ٱلحمقِ ٱلتماسُ الرجلِ الإخوانَ بغيرِ وفاءٍ ، والأجرَ بالرياءِ ، ومودّةَ النساءِ بالغِلْظَة ، ونفعَ نفسه بضرّ غيره ، والعلمَ والفضلَ بالدّعة والخَفْض . وفيه : ثلاثةٌ يُهزَأُ بهم : مدّعى الحربِ ولقاءِ الزُّحوف وشدّة النِّكاية فى الأعداء وَبَدنُه سليمٌ لا أثرَ به ، ومُنتَحِلُ علمِ الدِّين والاجتهادِ فى العبادة وهو غليظُ

(١) فى مفردات ابن البيطار ج ١ ص ١٦٦ أنه الورد مربّى بالعسل أو بالسكر . وفى أقرب الموارد أنه معجون يعمل من الورد والعسل ، فارسى معرّب عن «كل» ومعناه ورد و«انكبين» ومعناه عسل .

(٢) لعلها محرّفة عن مصوص بفتح الميم وضم الصاد وهو كما فى القاموس طعام من لحم يطبخ وينقع فى الخلّ أو يكون من لحم الطير خاصة .

(٣) هكذا وردت هذه الجملة بالأصل ، ولعلها : «العاقل بشأن غيره أعلم من الأحمق بشأنه» لأن الكلام فى ذم الحمق .

الرقبة أسمنُ من الأَئمة، والمرأةُ الخَليّةُ تَعيبُ ذاتَ الزوج . وفيه : مَنْ يَعمَلْ بجهلٍ خمسةٌ : مُستعمِلُ الرّمادِ فى جَنّتِه بدلًا من الزِّبل، ومُظهِرُ مَستُورِ عورته، والرجلُ يَتَزَيّا بِزِىّ المرأة والمرأةُ تَتزيّا بزىّ الرجل، والمتملِّكُ فى بيت مُضيفِه، والمتكلّمُ بما لا يَعنيه ولايُسألُ عنه . وفيه : الأدبُ يُذهِبُ عن العاقل السّكرَ ويَزيدُ الأحمقَ سُكرًا، كما أن النهارَ يزيدُ كلَّ ذى بَصَر بصرًا ويزيدُ الخفافيشَ سُوءَ بصر . وكانوا يكرهون أن يَزيدَ منطقُ الرجلِ على عقله .

قال الشاعر فى جاهل :

مالِى أرَى الناسَ يأخذونَ ويُعْـطُونَ ويَستَمتِعونَ بالنَّشَبِ
وأنتَ مِثـلُ الحمارِ أبَسـمُ لا » تَشكُو جِراحاتِ ألسُنِ العـرَبِ

سمع الأحنف رجلا يقـول : ما أُبالى أَمُدِحتُ أم هُجِيت ، فقـال الأحنف : آسترحتَ مِنْ حيثُ تعبَ الكرامُ .

كان عامرُ بن كُرَيز أبو عبد الله بن عامر من حَمْقَى قريش، نظر إلى آبنه عبد الله وهو يخطُبُ فأقبل على رجل إلى جانبه وقال : إنه والله خرجَ مِنْ هذا وأشار إلى ذَكره .

ومن حَمْقَى قريش العاصُ بن هشـام أخو أبى جَهْـل وكانَ أبو لَهَب قَامَره فقمَره ماله ثم دارَه ثم قليلَه وكثيرَه وأهلَه ونفسَه فآتخذه عبدًا وأسلمه قَينًا[1]، فلما كان يومُ بدر بعث به عن نفسه فقُتِلَ ببدر كافرا، قتله عمر بن الخطاب .وكان خالَ عمرَ . ومن حمقى قريش الأحوصُ بن جعفر بن عمرو بن حُرَيث ، قال له يوما مُجالِسُوه : ما بالُ وجهك أصفرَ! أتشتكى شيئا؟ وأعادوا عليه ذلك، فرجع إلى أهله يلومهم ويقول لهم : أنا شاكٍ ولا تُعلِمُونى! أَلقُوا علىّ الثيابَ وآبعثوا إلى الطبيب . وتَمارَضَ مرةً فعاده أصحابُه وجعل لا يتكلمُ، فدخل شُرَاعةُ بن عبيد الله بن الزِّنْدَبُوذ وكان أملحَ

(١) عبارة الأغانى «وأسلمه قينا وكان يأخذ منه ضريبة» ج ٤ ص ١٩

أهل الكوفة ، فعرَف أنه متمارضٌ فقال : يا فلانُ كنا أمس بالحِيرة فأخذنا الخمرَ ثلاثينَ قِنِّينة بدرهم ، والخمرُ يومئذ ثلاثُ قنانِيّ بدرهم ، فرفع الأحوصُ رأسَه وقال : كذا منى فى كذا من أمّ الكاذب ، وآستوى جالسا ، فنثر أهلُه على شُراعة السكَّرَ ؛ فقال له شراعة : آجلس لا جلستَ وهاتِ شرابَك ، فشربا يومَهما .

ومن حمق قريش بكّارُ بن عبد الملك بن مروان ، وكان أبوه ينهاه أن يجالسَ خالدَ بن يزيدَ بن معاوية لِمَا يعرفُ من حُمقِ آبنه ، فجلس يوما إلى خالد ، فقال بكّار : أنا والله كما قال الأوّل :

* مُرَدَّدٌ فى بنى الحَمْقاء تَرْدِيدَا *

وكان له بَازٍ فقال لصاحب الشُّرْطة : أغلق أبواب المدينة لئلا يخرجَ البازِى .

ومن حمق قريش معاويةُ بن مروان أخو عبد الملك بن مروان . بينا هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طَحَّان نظر إلى حمار الطّحان يُدَوِّرُ الرحا وفى عنقه جُلْجلٌ ، فقال للطحان : لِمَ جعلتَ فى عنق الحمار جُلجلاً؟ فقال : ربما أدركتنى سآمةٌ أو نَعْسةٌ فإذا لم أسمع صوتَ الجلجلِ علمتُ أنه قام فَصِحْتُ به ، فقال معاويةُ : أرأيتَ إن قام وحرّك رأسَه ما عِلْمُكَ أنّه قائم؟ قال الطحان : ومَنْ لحمارى بمثل عقل الأمير! .

وقال معاوية هذا لأبى آمرأته : مَلَأَتْنا آبنتُك البارحةَ بالدم؛ فقال : إنها مِن نسوة يَخْبأنَ ذلك لأزواجهن . وقال له أيضا يوما آخر : لقد نكحتُ آبنتَكَ بِعَصَبة ما رأتْ مثلَها قطّ؛ قال : لو كنتَ عِنّينًا ما زوجناكَ .

ومن حمق قريش سليمانُ بن يزيد بن عبد الملك ، قال يوما : لعن اللهُ الوليدَ أخى فإنه كان فاجرا ، والله لقد أرادنى على أن يفعلَ بى ؛ فقال له قائل : آسكُتْ فوالله لئن كان همّ لقد فعلَ .

خطبَ سعيدُ بن العاص عائشة بنت عثمان على أخيه ، فقالت : هو أحمق لا أتزوّجه أبدا : له بِرْذَوْنان أشهبان فهو يحتمل مَئُونةَ آثنين وهما عند الناس واحدٌ .

وأخبرني رجل أنه كان له صديق له برذونان في شِيَةٍ واحدة فكنّا لا نظنّ إلا أنّ له برذونا واحدا ، وغلامان يُسَمَّيان جميعًا بفَتْح ، وكان إذا دعا واحدا قال : يافتحُ الكبيرُ ، وإذا دعا الآخَرَ قال : يا فتحُ الصغيرُ .

قال أبوعُبَيدة : أرسل آبنٌ لِعجْل بن لُجَيم فرسًا له في حَلْبَة فجاء سابقا ، فقال لأبيه : يا أَبتِ ، بأىّ شيء أُسَمّيه؟ فقال : آفقأْ إحدى عينيه وسَمّه الأعورَ . وقال الشاعر:

رَمَتْني بنو عِجْــلٍ بداء أبيهِــمُ * وأىُّ عِباد الله أَنْوكُ مِنْ عِجْــلِ!
أليسَ أبوهُمْ عارَ عينَــ جَوادِه * فأضحتْ به الأمثالُ تُضربُ في الجهلِ

ومِن عِجْل "دُغَةُ" التى يُضربُ بها المثلُ في الجهل[1]، فيقال : هى دُغَةُ بنتُ مَغْنَج ، ويقال : دُغَةُ لقبٌ ، وآسمها مارِيَةُ بنتُ رَمْعَةَ . قال أبو اليقظان : ومن عِجْلٍ حَيّانُ آبن غَضْبان ورِثَ نصفَ دار أبيه فقال : أُريدُ أن أبيعَ حِصَّتي من الدار وأَشْتَرِيَ النصفَ الباقِيَ فتصيرَ كُلُّها لى .

ومن القبائل المشهورِ فيها الحمقُ "الأَزْدُ" . قال رجلٌ منهم في المهلَّب بن أبي صُفْرَةَ :

نِعمَ أمــيرُ الرُّفقــةِ المهلَّبْ ،، أبيضُ وضَّاحٌ كتَيْسِ الحُلَّبْ[2]
* يَنْقَضُّ بالقومِ آنقِضاضَ الكوكَبْ *

---

(١) يقال : "أحمق من دغة" أورده الميداني في مجمع الأمثال وقال في شرحه : إنها مارية بنت معنج بالعين المهملة ورواه صاحب اللسان في مواد «غنج ودغا وجعر» بالغين المعجمة ، وفي شرح القاموس مادة جعر نقلا عن البكري في شرح أمالي القالي أن المفضّل بن سلمة قال : من أعجم العين فتح الميم ومن أهملها كسر الميم . ولها قصة مشهورة أوردها الميداني في مجمع الأمثال طبع بولاق ج ٢ ص ١٩٣

(٢) يقال تيسٌ حُلَّبٌ وتيس ذو حُلَّب . والحلّب بقلة جعدة غبراء في خضرة تنبسط على الأرض يسيل منها اللبن اذا قطع منها شيء ، وهى تنبت في القيظ بالقِيعان وشُطْآن الأودية .

فلما أنشده المهلّبَ، قال : حسبُك رحمك الله! .

ومن أشعارهم :

يارُبَّ جاريةٍ فى الحىّ حاليــة * كأنهــا عُومَةٌ[(١)] فى جوف رَاقودِ

وقال آخر منهم :

زيادُ بنُ عمرٍو عينُه تحت حاجِبهْ * وأســنانُه بيضٌ وقد طَرَّ شــاربُهْ

وقال عمر بن لَجَأٍ[(٢)] يصف إبلا :

تَصْطَكُّ أَلْحِيهاَ[(٣)] على دِلاَئِهَــا * تَلاطُمَ الأزدِ على عَطائِهَــا

وقال أبو حَيَّةَ النُّميرىّ :

وكأنّ غَلْىَ دِنانِهِــمْ فى دُورهم * لَغَطُ العَتِيكِ[(٤)] على خِوانِ زيادِ

كتب مَسْلَمةُ بنُ عبد الملك الى يزيدَ بن المهلّب : والله ما أنتَ بصاحب هــذا الأمر، صاحبُ هذا الأمر مَغْمورٌ مَوْتورٌ وأنتَ مشهورٌ غيرُ مَوْتورٍ؛ فقام إليه رجل من الأَزْد فقال : قَدِّم ٱبنَكَ مخلدًا حتى يُقتلَ فتصيرَ مَوْتورًا .

قام رجل من الأزد إلى عُبيد الله بن زياد فقال : أصلح اللهُ الأميرَ، إن ٱمرأتى هَلَكتْ وأردتُ أن أتزوّجَ أمَّها وأُزوِّجَ ٱبنى ٱبنتَها وهذا عَرِيفى[(٥)]، فأَعِنّى فى الصَّداق؛ فقال : فى كم أنتَ من العطاء؟ قال : فى سَبعمائةٍ؛ قال : حُطَّا عنه أربَعمائةٍ، يَكْفيكَ ثلثمائةٍ .

---

(١) دُوَيْبَّة تسبح فى الماء . (٢) ورد بالأصلين «عمرو» والتصويب عن الكامل للمبرد ص ٣٢٤، ٥٦٣ طبع ليبسج وأمالى القالى ج ١ ص ٢٤٩، ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق واللسان مادة «لجأ» . (٣) ألحيها جمع لَحْى على أفعُل، وكسرت الحاء لمناسبة الياء، واللحى : منبت اللحية .

(٤) العَتيك بالألف واللام : بَطْن من الأزد والنسبة اليها عَتَكِىّ .

(٥) العريف : القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلى أمورهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم .

ومن حمق الأزد قَبِيصَةُ بن المهلّب ، رأى جرادا يطير فقال : لا يَهُولَنَّكُم ما تَرَوْنَ فإنّ عامّتها موتى . وقال يوما : رأيتُ غُرْفَةً فوقَ بَيت . وقال لغلامه : اذهب إلى بيّاضِ المُلاءِ .

ومن حمق العرب كلابُ بن صَعصَعةَ : خرج إخوتُه يَشترُون خيلًا وخرج معهم كلابٌ فجاء بِعِجْل يقودُه ؛ فقال له إخوتُه : ماهذا؟ قال : فرسٌ اشتريتُه ؛ قالوا : يا مائقُ ، هذه بقرةٌ أمَا ترى قرنَيْها ! فرجع إلى بيته فقطع قرنَيها ، فأولادُه يُدْعَوْنَ « بني فارس البقرة » . قال الكُمَيْتُ :

ولولا أميرُ المؤمنين وذَنْبُهُ * بَخَيْل عن العِجلِ المبرقَعِ[1] ماصَهَل

وكان شَذْرَةُ بنُ الزِّبْرِقَان من الحمقى ، دخل يوم الجمعة المسجدَ فأخذ بعِضَادَتَي[2] الباب ثم قال : السلامُ عليكم ، أَيَلِجُ شَذْرَةُ؟ فقالوا له : هذا يومٌ لا يُستَأذنُ فيه ؛ قال : أفَيَلِجُ مثلي على جماعة مثلِ هؤلاءِ ولا يُعرفُ مكانُه!

عَوانةُ قال : استعمل معاويةُ رجلا من كَلْب ؛ فذكر المجوسَ يوما فقال : لعن اللهُ المجوسَ يَنكِحُون أُمهاتِهم ، والله لو أُعْطِيتُ عَشرةَ آلاف ما نَكَحْتُ أُمّي ؛ فبلغ ذلك معاويةَ ، فقال : قَبَّحَهُ اللهُ! أتُرَوْنَهُ لو زادُوه فعلَ! وعزَله .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : سأل القومُ الحارثَ بنَ جِرّان أن يُعِينَهم في تأسيس مسجد ، فقال : قَيِّرُوه وعليّ الوَدَعُ .

خطب والى اليمامة فقال : إن الله لا يُقَارُّ على المعاصى عبادَه ، وقد أهلكَ أُمّةً عظيمةً في ناقة ما كانت تُساوِي مائتي درهم ، فسُمّي مُقَوِّمَ الناقة .

شَرَدَ بعيرٌ لهَبَنَّقَةَ ، واسمه يزيد بنُ ثَرْوانَ ، فقال : مَنْ وجدَ بعيري فهو له ؛ فقيل له : وما يَنفعُكَ من هذا؟ قال : إنكم لا تدرُونَ ما حلاوةُ الوِجْدانِ .

(١) المبرقع : الذى أحذت غرته جبع وجهه . (٢) عضادتا الباب : الخشبتان المنصوبتان من يمين الداخل منه وشماله .

وقال المنصور للرّبيع : كيف تَعرِفُ الريحَ؟ قال : أَنظرُ إلى خاتَمى فإن كان سَلِسًا فهى شَمالٌ وإلّا فهى جَنُوبٌ؛ فسأل القاسمَ بنَ محمد الطَّلْحىّ عن ذلك، فقال : أَضربُ بيدى إلى خُصْيَتَىَّ فإن كانتا قد قَلَصتا فهى شَمالٌ وإن كانتا مُتَدَلِّيتين فهى جَنُوبٌ .

قال أبو كعب القاصُّ فى قَصَصِه : إن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال فى كَبِدِ حمزةَ ما قد علمتُم فادعوا الله أن يُطعِمَنا من كَبِدِ حمزةَ . وكان يقول فى قَصَصِه : ليس فىّ خيرٌ ولا فيكم، فتبلّغُوا بى حتى تجدوا خيرًا منّى . وقال هو أو غيره فى قصصه : كان آسم الذئب الذى أكل يوسفَ كذا وكذا؛ قالوا : فإن يوسفَ لم يأكله الذئبُ؛ قال : فهذا آسم الذئب الذى لم يأكل يوسفَ .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن عمّه قال : كان قاصٌّ يَقُصُّ فى المسجد فيقول : مَثَلُ الكافر مَثَلُ قَصْرِ الإسكاف خارجُه حَسَنٌ وداخلُه خَرْأَةٌ، ومَثَلُ المؤمن مَثَلُ قَصْرِ زَرْبِىٍّ(١) جدارُه كالحٌ وداخلُه زَهَرَةٌ . ويقول : وما الدنيا! أخزى الله الدنيا ! إنما مَثَلُها مَثَلُ أَيْرِ حمارٍ، بينا هو قد أَنعظ إذ طَفِىَ . وقال : المؤمنُ غِذاؤه فِلْقَةٌ وسَمَكتُه شِلْقَةٌ ودواؤه عُلْقَةٌ ومَرَقتُه سِلْقَةٌ(٢) .

أصابت داودَ المصابَ مُصيبةٌ فاغتمّ، فقال له صاحبٌ له : لا تَتَّهِم الله فى قضائه؛ فقال داود : أَقُولُ لك شيئا وتكتُمُه ؟ قال : نعم؛ قال : والله ما صاحبى غيرُه .

وآستشاره رجل فى حمل أمّه إلى البصرة ، وقال : إن حملتُها فى البرّ خفتُ عليها اللُّصوصَ، وإن حملتُها فى الماء خِفتُ عليها الغرَق؛ فقال : خُذْ بها سُفْتَجةً(٣) .

---

(١) قصر بالبصرة فى سكة المِرْبد لمسلم بن عمرو بن الحُصَين بن قتيبة بن مسلم، وكان يليه غلام يقال له : زربىّ . (٢) الفلقة : الكِسرة . والشُّلْق : شىء من خِلْقة السمكة صغير له رجلان عند ذنبه كرجل الضفدع لا يَدَيْن له يكون فى أنهار البصرة وليست بعربية . كذا فى اللسان . والعلقة : شجر يبقى فى الشتاء تتبلّغ به الإبل حتى تُدرك الربيع . والسلقة : الجرادة، لعله يريد أنه يجترئ من المرق بالقليل منه حتى إنه ليكفيه مرق جرادة واحدة . (٣) السفتجة : أن تعطى مالا لرجل له مال فى بلد تريد أن تسافر إليه فتأخذ منه خطًّا لمن عنده المال فى ذلك البلد أن يعطيك مثل مالك الذى دفعته إليه قبل سفرك، وهو معرب سفته بالفارسية ومعناها الشىء المحكم، سمّى به هذا القرض لإحكام أمره .

دعا بعضُ السلاطينِ مجنونين ليضحك منهما، فأسمعاه فغَضِبَ فدعا بالسّيف؛ فقال أحدُهما للآخر: كنّا آثنين وقد صرنا ثلاثةً. قال رجل لابن سَيّابة مولى بنى أسد: ما أراكَ تعرِفُ الله؛ قال: أتُراني لا أعرِفُ مَن أجاعَني وأعراني وأخزاني.

قيل لأعرابيّ: كيف برُّكَ بأمّكَ؟ قال: ما قرعتُها سوطًا قطّ. وقيل لآخر وهو يضربُ أمّه: ويحَكَ! تضربُ أمّك! فقال: أحبُّ أن تنشأ على أدبى. وقال بعض الشعراء:

جُنونُكَ مجنونٌ ولستَ بواجدٍ * طبيبًا يُداوِى من جُنونِ جُنونِ

وقال آخر:

وكيف يُفيقُ الدهرَ كعبُ بنُ ناشبٍ * وشيطانُهُ بينَ الأهلّةِ يصْرَعُ

وقال أعرابىّ وذكر الله عزّ وجلّ:

خلقَ السماءَ وأهلَها فى جمعةٍ * وأبوكَ يَمْدُرُ (١) حوضَه فى عامِ

كان أبو العاجِ والِىَ واسطَ، وأتاه صاحبُ شرطته بقوّادةٍ فقال: أصلح اللهُ الأميرَ، هذه قوّادةٌ؛ قال: وأىَّ شىء تصنعُ؟ قال: تجمعُ بين الرجال والنساء؛ قال: لماذا؟ قال: للزنا؛ قال: وإنما أتيتنى بها لتُعرّفَها منزلى! خَلِّ عنها لعنكَ الله. وأتاه يومًا بمُخَنَّث؛ فقال له: ما هذا؟ قال: مُخَنّثٌ؛ قال: وما يصنعُ؟ قال: يُنكَحُ كما تُنكَحُ المرأةُ؛ قال: يَبْذُلُ هذا آسته وأحظُرُ أنا عليه! آذهبْ يابنَ أخى فارتَدْ لها (٢).

خطبَ وكيعُ بنُ أبى سُودٍ بخُراسانَ فقال: إن اللهَ خلقَ السمواتِ والأرضَ فى ستة أشهرٍ؛ فقيل له: إنها ستّةُ أيام؛ فقال: والله لقد قلتُها وأنا أستقلُّها.

---

(١) مدرت الحوض أمدره، أى أصلحته بالمَدَر وهو قطع الطين اليابس.

(٢) كذا فى الأصل الفتوغرافى، وفى النسخة الألمانية: «فارتد بها».

تغدّى رجلٌ عند سليمانَ بن عبد الملك وهو يومئذ ولىُّ عهدٍ وقُدّامَه جدْى ، فقال له سليمان : كُلْ من كُلْيته فإنها تزيد فى الدّماغ ؛ فقال : لو كان هــذا هكذا كان رأسُ الأمير مثلَ رأسِ البغل .

أبو عبيدة : أُجْرِيَتِ الخيلُ فطلعَ منها فرسٌ سابقٌ فجعــل رجل من النَّظّارَة يُكبِّر ويَثِبُ من الفرح ؛ فقال له رجلٌ إلى جانبه : يا فَتَى ، هذا الفرسُ فرسُكَ؟ قال : لا ولكنّ اللِّجامَ لى . دخل أبو عتّاب على عمــرو بن هدّاب[1] وقد كُفَّ بصرُه والناسُ يُعزُّونه ، فقال : يا أبا زيد ، لا يَسُوءَنَّكَ ذَهَابُهما ، فإنك لو رأيتَ ثوابَهما فى ميزانكَ تمنّيتَ أنّ الله قطعَ يديكَ ورجليكَ ودقَّ ظهركَ . كان رجلٌ يقودُ أعمى بِكِرَاءٍ ، فكان الأعمى ربما عثَر فيقول : اللهم أَبدِلْنِي به قائدًا خيرًا منه ؛ ويقول القائد : اللّهم أبدلنى أعمى خيرًا منه .

ٱدَّعَى أبو بكر الشَّيبانىّ إلى العرب ذاتَ ليلة فأصبح من الغد على الشمس فقعدَ فيها فثارتْ به مِرّةٌ ، فجعل يَحُكُّ جسدَه بأظفاره خَمْشًا ويقول : إنما نحن إبل ؛ فقال له قائل : والله إنك تُشبهُ العربَ ؛ فغضبَ وقال : أيقال لى هــذا ! أنا والله حِرْباءُ تَنْضُبةٍ[2] ، يَشهدُ لى سوادُ لونِى وغُـؤُورُ عَيْنَىّ وحُبِّى للشمس .

قيل لأبى السَّفّاح عند موته : أوصِهْ ؛ فقال : إنّا لَكِرَامٌ قومٍ طِخْفَةَ[3] ؛ قالوا : قل خيرًا يا أبا السفّاح ؛ فقال : إن أحبّت ٱمرأتى فأَعْطُوها بعيرا ؛ قالوا : قل خيرًا ؛

(١) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٠٩ وفى الأصلين «عمر بن هلزاب» وهو تحريف .

(٢) فى الأصلين «مُنْضِبَةٍ» والتصحيح عن لسان العرب فى مادة «نضب» وحياة الحيوان ج ١ ص ٢٠١ والتَّنْضُبَةُ واحدة التَّنْضُب وهو شجر له شوك قصار تألفه الحرابى .

(٣) طخفة بالكسر والفتح : جبل أحمر طويل حذاءه آبار ومنهل . ومنه يوم طخفة لبنى يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء .

قال : إذا مات غلامى فهو حرّ. وقيل لرجل عند موته : قل لا إله إلا الله، فأعرض، فأعادوا عليه مرارا. فقال : أخبرونى عن أبى طالب أقالها عند موته ؟ قالوا : وما أنتَ وأبو طالب ! قال : لا أرغبُ بنفسى عنه. ولما احْتُضِرَ العُجَيرُ السَّلُولىّ قال لقوم عنده : أنا فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، والله لئن وجدتُ لى عند الله موضعا لأكلمنه فيكم. وقيل لأَوْس بن حارثة عند موته : قل لا إله إلا الله. فقال : لم يأنِ لها بعدُ. وقيل لآخر عند موته : ألا توصى ؟ قال : أنا مغفورٌ لى. قالوا : قل إن شاء اللهُ، قال : قد شاء الله ذلكَ، قالوا : لا تَدَع الوصيّة، فقال لبنى أخيه :

بَنِى حُرَيثٍ ارفعا وِسَادِى * وَاحْتَفِظَا بالجِلّةِ الجِلَادِ

* فإنما حولكُما الأعادِى *

قال سَهْل بن هارون : ثلاثةٌ من المجانين وإن كانوا عقلاءَ : الغضبانُ والغَيْرانُ والسكرانُ. قالوا : فما تقول فى المُنعِظ ؟ فَضحِكَ وقال :

وما شرُّ الثلاثةِ أُمَّ عمرٍو * بصاحبِكِ الذى لا تَصْبَحِينا

قال الوليد : أَلَا إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : إن الحجّاج جِلدةُ ما بين عينىَّ. ألا وإن الحجاج جلدةُ وجهى كُلِّه.

خطب عَتَّابُ بنُ وَرْقاءَ فحثَّ على الجهاد وقال : هذا كما قال الله تعالى :

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا * وعلى الغانياتِ جَرُّ الذُّيُولِ

وقال آخرُ فى الرَّبيع والى اليمامة :

شهدتُ بأنّ اللهَ حَقٌّ لِقاؤُهُ * وأنّ الربيعَ العامرىّ رَقيعُ[1]

أقادَ لنا كلباً بكلب ولم يَدَعْ * دماءَ كلابِ المسلمين تَضيعُ

(١) كذا بنسخة الألمانية وهو الموافق لما فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٢ والبيان والتبيين للجاحظ ص ١٧ طبع المطبعة العلمية سنة ١٣١١ هـ. وفى الأصل الفتوغرافى : «رفيع» بالفاء، وهو تحريف.

دخل شابٌّ على المنصور فسأله عن وفاة أبيه، فقال : مات رحمه اللهُ يوم كذا وكذا ، وكان مرضُــه رضى الله عنه كذا وكذا، وترك عفا اللهُ عنه من المـال كذا وكذا؛ فانتهره الربيع وقال : أبينَ يدَىْ أميرِ المؤمنين تُوالى الدعاءَ لأبيك! فقال الشابّ: لا ألومُك، إنك لم تَعرِف حلاوةَ الآباء؛ فما عُلِم أن المنصورَ ضَحِكَ مِثلَ ضَحِكِه يومَئذٍ . وكان الربيعُ لقيطًا .

دخل رجلٌ من بنى هاشم على المنصور فاستَجلسَه ودعا بغَدَائه فقال للفتى : آدنُهْ ؛ فقال : قد تَغَدَّيتُ؛ فلما خرج آستخفَّ به الربيعُ ودفع فى قَفَاه، وقال : هذا كان يُسلِّمُ من بعيدٍ ويَنصَرِفُ، فلمّا آستدناه أميرُ المؤمنين وأمره بالجلوس ودعاه الى طعامه تبَذَّلَ(١) بين يديه فبلغ من جهله بفضيلة المنزلة التى صَــيَّره فيها أن قال : قد تَغدّيتُ، وإذًا ليس عنــده لِمَنْ تَغدَّى مع أمير المؤمنين إلا سَدُّ خَلَّةِ الجُوع .

يونسُ الهَجَرِىُّ قال : مات رجلٌ من جُنْــدِ أهل الشأم فحضر الحجّاجُ جَنازَتَه، وكان عظيمَ القَدْرِ، فصلّى وجلس على قبره وقال : لِيَنْزِلْ قبرَه بعضُ إخوانه ؛ فنزل نفرٌ منهم، فقال أحدُهم وهو يُسَوِّى عليه : رحمكَ اللهُ أبا فلانٍ! إن كنتَ ما علمتُك لَتُجِيــدُ الغِناءَ وتُسرِعُ رَبَّ الكأسِ، ولقد وقعتَ فى موقع سُــوءٍ لا تخرج منه الى الدَّكّة؛ فما تمالكَ الحجّاجُ أن ضَحِكَ فأكثر، وكان لا يُكثِرُ الضحكَ فى جِدٍّ ولا هَزْلٍ، ثم قال له : لا أمَّ لكَ! هذاموضعُ هذا! قال : أصلح الله الأميرَ، فرسى حَبِيسٌ لو سَمِعه يتغنّى: * يالُبَيْنَى أَوْقِدِى النارَا * لانتشرَ الأميرُ على سَعْنَةَ، وكان الميّت يلقّبُ سَعْنَةَ، وكان من أوحَشِ خلق الله صورةً وأَدَمِّهم؛ فقال الحجاج : إنا لله ! أَخرِجُوه عن القبر، ثم قال : ما أبينَ حُجّةَ أهل العراق فى جَهلِكم يا أهلَ الشأم . ولم يَبْقَ أحدٌ حضر القبرَ إلا آستفرغ ضَحِكًا .

---

(١) فى الأصلين : «وتبذل» والسياق يقتضى حذف الواو .

تبع داودُ بنُ المُعْتَمِر آمرأةً ظنّ أنها من الفواسد، فقال لها : لولا ما رأيتُ عليك مِنْ سِيما الخيرِ لم أتْبَعْكِ، فضحكت المرأةُ وأسندتْ ظهرها إلى الحائط ثم قالت : إنما يَعتَصِمُ مِثلى مِن مثلِكَ بِسِيمَا الخير، فإذا صار سِيما الخير هو الدالَّ لمثلك على مِثلى فالله المستعانُ . كان بهلولٌ المجنونُ يتغنّى بقيراطٍ(١) ولا يسكتُ إلا بدانِقٍ . وكان رجل يَهْوَى جاريةً تختلفُ فى حوائج أهلها، وكانت إذا خرجتْ الى السوق ولم يَعْلَم بخروجها ثم رجعتْ فرآها قال وهو يُسْمِعُهَا : (لو كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ)، وإن وعدتْه شيئا فأخلفتْ قال : (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ)، فإن تَغضّبتْ لشيءٍ بلغها عنه قال : (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) .

مرّ بعضُ الحمْقَى بآمرأةٍ قاعدةٍ على قبرٍ وهى تبكى، فرقّ لها وقال: مَنْ هذا الميّتُ؟ قالت : زوجى؛ قال : فما كان عَمَلُهُ ؟ قالت : يَحفِرُ القبورَ؛ قال : أبعدَه اللهُ أَمَا علم أن مَنْ حَفَرَ حُفرةً وقع فيها ! أحدثَ رجلٌ من الحمْقَى ليلةً على بابِ رجلٍ، فلما خرج الرجلُ زَلِقَ ووقع على ذراعه فانكسرتْ، وآجتمعَ الجيرانُ وجعلوا يختصمون ويُوقِعُونَ الظنونَ وهو ناحيةً يَسمعُ كلامَهم، فلما أكثروا قال :

رأيتُ الحربَ يَجْنِيهَا رجالٌ ... ويَصْلَى حَرَّهَا قومٌ بُرَاءُ

فأخذوه وقالوا : أنتَ صاحبُنَا . قال داود المصاب : رأيتُ رؤيا نِصْفُها حقٌّ ونصفُها باطلٌ، رأيتُ كأنّ على عنقِ بَدْرَةً(٢) من ثقلها أحْدَثْتُ فاستيقظْتُ فرأيتُ الحدَثَ ولم أر البَدْرَةَ . رُئِىَ أعرابىّ يبكى بكاءً شديدا، فسُئل عن سبب بُكائه فقال : بلغنى أنّ جالُوتَ قُتِلَ مظلومًا . رأى رجلٌ أحمقُ شيخا فى الحمّام أعْكَنَ(٣)

---

(١) القيراط : نصف الدانق، والدانق سدس الدينار . (٢) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار . لسان العرب . (٣) عكَن البطن، أى فى بطنه عُكَن وهى ثناياها .

البطن، فقال له : يا عمّ إنى أشتهى أن أضَعَ هـذا — يَعنِى ذَكَرَه — فى سُرَّتِكَ؛ فقال له الشيخ : يابن أخى فأين يكونُ ٱستُكَ حينئذ. نزل يهودىّ على أعرابىّ فمات عنده، فقام الأعرابىُّ يُصلّى عليه فقال : اللّهـم إنه ضَيفٌ وحَقُّ الضيف ما قد علمتَ، فأَمْهِلْنَا إلى أن نَقضِىَ ذِمَامَه ثم شأْنَكَ والكلبَ .

وحدّثنى عبدُ الرحمن عن الأصمعىّ قال : كان بين ٱثنين عبدٌ فقام أحدُهما فجعلَ يَضرِبُه؛ فقال له الآخرُ شريكُه : ما تَصْنَعُ! قال: إنما أضرِبُ حِصَّتِى . قال أعرابىّ لرجل: ما ٱسمُكَ؟ قال: عبدالله، قال : ٱبنُ مَنْ؟ قال : ٱبن عُبيد الله، قال: أبُو مَنْ؟ قال : أبو عبد الرحمن، قال : أَشهدُ إنك لتَلُوذُ باللهِ لِوَاذَ يَتيمٍ جَبانٍ . قال بعضهم : رأيتُ رجلين بالبصرة على باب مُوَيْس(١) يتنازعانِ فى العِنب النيروزىّ والرازقىّ : أيّهما أطيبُ، فجرى بينهما كلامٌ إلى أن تواثبا، فقطع الكوفىُّ إصبعَ البصرىِّ وفَقأَ البصرىُّ عينَ الكوفىِّ، ثم لم ألبَثْ إلا يسيرًا حتى رأيتُهما مُتَصافِيَينِ مُتَنَادِمَين .

قال: وقال ثُمَامةُ : مررتُ فى غِبِّ سماءٍ والأرضُ نَدِيَّةٌ والسّماء مُتَغَيِّمةٌ والريح شَمَالٌ وإذا شيخٌ أصفَرُ كأنه جرادةٌ، وقد قعد على قارعةِ الطريق وحَجّامٌ يَحْجُمُهُ على كاهله وأَخْدَعيه بمحاجِمَ كأنها قِعابٌ وقد مَصَّ دمَه حتى كادَ يَستفرِغُه؛ فوقفتُ وقلتُ : ياشيخُ لِمَ تحتَجِمُ؟ قال: لمكان الصَّفَار الذى بى . أتى الطَّمَحَانُ قومًا يعودُ عليلًا لهم فعزَّاهُم به؛ قالوا : إنه لم يَمُتْ، فرجع وهو يقول : يموتُ إن شاء اللهُ، يموت إن شاء اللهُ.

أبو حاتم عن الأصمعىّ عن نافع قال : كان الغَاضِرِىُّ مِنْ أحمقِ الناس؛ فقيل له : ما حُمْقُه ؟ فجعل يتربَّثُ(٢)، فلما أُكثِرَ عليه قال : قال لى مرّةً : البحرُ مَنْ حَفَره ؟ وها حُفِرَ فأينَ نبيثَتُه(٣) ؟ أَتُرَى أميرَ المؤمنينَ يَقدِرُ على أن يَحْفِرَ مثلَه فى ثلاثةِ أيام ؟

(١) فى النسخة الألمانية «مونس» . (٢) يتربّث : يتلبّث .
(٣) النبيثة : تراب البئر والنهر .

دخل رجلٌ من الحَمْقَى من الشعراء على رجل من الأشراف يُقالُ فى نسبه، فقال: إنى قد امتدحتُكَ بشعرٍ لم تُمْدَحْ قطُّ بأنفعَ لكَ منه؛ قال: ما أحْوجَنِى إلى المنفعة فهاتِهِ؛ فقال:

سألتُ عن أصلكَ فيما مضى * أبناءَ سبعينَ وقد نَيَّفُوا
فَكُلُّهم يُخبِرُنى أنّهُ * مُهَذَّبٌ جَوهَرُه يُعرَفُ

فقـال له: قُمْ فى لعنة الله وفى سُخْطِه! لعنك اللهُ ولعنَ مَنْ سألتَ ومَنْ أجابكَ.

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: جاء رجلٌ من الأعراب إلى عمّه فقال: ياعمّ، إن وَلَدَ جاريةِ آلِ فلانٍ مِنّى فافتَدِه، ففعل؛ ثم جاءه مرّةً أخرى فقال له مثل ذلك؛ فقال له عمّه: او عَزَلْتَ! قال: بلغنى أن العَزْلَ مكروهٌ.

قال: وحدّثنا الأصمعيّ قال: بَلَغَنِى عن شيخٍ جَزِعَ على ميتٍ جَزَعًا شديدًا، فقيلَ له فى ذلك، فقال: نحن قومٌ لم نتعوّد الموتَ.

أبوالحسن الجعفريّ قال: قيل لكَرْدَم السَّدُوسيّ: كُلْ؛ قال: ما أُرِيدُ؛ قيل: ولِمَ؟ قال: أكلتُ قليلَ أَرْزٍ فأكثرتُ منه. ضلّ بعيرٌ لأعرابىّ فجعل يَنْشُدُه الى أن دخل الإمارةَ فأخذَ منها بعيرا، فقيـل له: إنّ بعيركَ كان أعرابيًّا؛ قال: إنه لمـا أَكَلَ من مالِ الإمارة تَبَخَّتَ[1].

الهيثم عن ابن عباس قال: لـما وَلِيَ مَروانُ وجّهَ جيشَ ابن دُلْجَةَ القَيْنِيّ إلى المدينة وكان يصعَدُ المنبرَ ومعه الكُتْلَةُ من التمر فيأكلُها ثم يُلْقِى النّوى على وجوه أهل المدينة يمينًا وشمالًا، ثم يقول: يا أهلَ المدينة، إنى لأعلمُ أنّ هذا المكان فى حرمته وموضعه

(١) تبخّت صار بُختيًا جمعه بخاتى وهى الإبل الخراسانية .

ليس موضعَ أكلٍ ولا شربٍ، ولكني أحبُّ أن أريكم هوانكم على الله . قيل لمعلّم بن معلّم : مالك أحمق ؟ قال : لو لم أكن أحمق كنتُ ولَدَ زِنًا . قال بعض الشعراء :

فإن كنتُ قد بايعتُ مروانَ طائعًا * فصرتُ إذًا بعد المشيب مُعَلِّمَا

وقال آخر :

وكيف تُرَجّى العقلَ والرأيَ عندَ مَنْ * يَروحُ على أنثى ويغدو على طِفلِ

ابن المدائنيّ قال : تحوّل أبو عبد الله الكَرْخيّ إلى الخُرَيبة(١) فادّعى الفقهَ وظنّ أن ذلك يجوز لمكان لحيته وسَمْتِه، فأتى على باب دار البوارِي(٢) وجلس فجلس إليه قومٌ فقال له رجلٌ منهم : يا أبا عبد الله، رجلٌ في الصلاة أدخل إصبعه في أنفه فخرج عليها دمٌ، أيّ شيءٍ يصنعُ ؟ قال : يحتجمُ رحمك الله، فقال له السائلُ : ظننتُ أنك فقيهٌ ولم أدرِ أنك طبيبٌ . قال رجلٌ للشَّعْبي : إنى أجدُ في قفايَ حِكّةً فترى لي أن أحتجمَ ؟ فقال الشعبيّ : الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الحِجامة . وقال له آخر : رجلٌ استمنى في يومٍ من شهر رمضان هل يُؤجَرُ ؟ قال : أوَمَا يرضى أن يُفلِتَ رأسًا برأسٍ . نازع التيميّ رجلٌ من بني عمّه في حائطٍ بينهما فبعث إلى قومٍ يُشْهِدُهم، فأتاه جماعةٌ من القبائل، فوقف بهم على ذلك الحائط وقال : أُشْهِدُكم جميعا أنّ نصفَ هذا الحائطِ لي . وقدّم آخرُ رجلًا إلى القاضي في شيءٍ يدّعيه عليه، فأنكر الرجلُ، فقال : أيها القاضي اكتُب إنكارَه، فقال القاضي : الإنكارُ في يدك متى شئتَ .

قال مَسعدةُ بن طارق الذَّرّاع(٣) : إنّا لوقوفٌ على حدود دارٍ نقسمها ونحن في خصومة، إذ أقبلَ سيّدُ بني تميم ومُوسِرُهم والمصلّي على جنائزهم، فأمسكنا عن الكلام، فقال :

(١) الخريبة : موضع بالبصرة . (٢) البوارى جمع بارية : الحصير المنسوج .

(٣) في الأصل : الزارع . ولعل الصواب ما أثبتناه هنا نقلا عن العقد الفريد فإنه منسوب إلى الذرع وهو القياس بالذراع .

حَدّثونى عن هذه الدارِ هل ضَمّ (1) منها بعضُنا إلى بعضٍ أحدا ؟ قال مسعدةُ : فأنا منذ ستين سنةً أُفكِّرُ فى كلامه فما أدرى ما عَنَى . أتت جاريةٌ أبا ضَمْضَمٍ فقالت : إنّ هذا قبَّلَنى ؛ فقال : يافتى : أَذْعِنْ لها بحقّها ، قبِّلْه عافاكِ الله كما قبَّلكِ ، فإن الله يقول : (وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ) .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : أُلْقِيَتْ على رجلٍ فريضةٌ فاشتدّتْ عليه فجعل يَحْسُبُ غيرَها ؛ فقالوا له فى ذلك ؛ فقال : عسى أن يكونَ تَرَكَ غيرَ ما ذَكَرُوا .

حدّثنى محمد بن عمر عن ابن كُنَاسَةَ قال : قال بعضُ الطالبيّين لأَشْعَبَ : لو رَوَيتَ الحديثَ وتركتَ النوادرَ كان أنبلَ لكَ ؛ قال : والله قد سمعتُ الحديثَ ورويتُه ؛ قال : فحدِّثْنا ؛ قال : حدّثنى نافعٌ عن ابن عمرَ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : خَلّتَان مَنْ كانتا فيه كان مِنْ خالصةِ الله ؛ قال : هذا حديثٌ حسن فما هُما ؟ قال : نَسِيَ نافعٌ واحدةً ونسيتُ أنا الأخرى . وكان بالبَصْرة ثلاثةُ إخوة مِن ولدِ عَتّاب بن أَسِيد كان أحدُهم يَحُجُّ عن حَمْزَةَ ويقول : استُشْهِد قبل أن يحجّ ، وكان الآخر يُضَحّى عن أبى بكرٍ وعمرٍ ويقول : أخطآ السنّةَ فى تركِ الأُضحيةِ ، وكان الآخر يُفطِرُ عن عائشةَ أيامَ التّشريقِ ويقول : غلِطَتْ فى صومِها أيامَ العيد ، فمَنْ صامَ عن أبيه وأمّه فأنا أُفْطِرُ عن أمّى عائشةَ .

قال ثُمامةُ : كنّا فى منزل رجل من الدّهاقينِ (2) وفينا شيخٌ منهم ، فأتى رَبُّ البيت بدُهْنٍ طيبٍ فدهَنَ بعضُنا رأسَه وبعضُنا لحيتَه ومَسَحَ بعضُنا شاربَه وبعضُنا يديه ، فقال أحدُهم : ادْهُنُوا أستاهكم تأمنُوا الحَزَازَ (3) ، وأمِرّوها على وجوهكم ؛ فأخذ شيخٌ

(1) فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٣ : هل ضمّ منها بعضها الى بعض أحدا .

(2) الدهاقين جمع دِهْقان : رئيس الإقليم .

(3) الحزاز : هِبْرِيَة فى الرأس كأنه نُخالة ، واحدته حزازة .

منهم بطَرَف إصبعه فأدخله فى أنفه ومسحَ حاجبيه، فعَمَدَ الشيخُ إلى بقية الدّهن فصبّه فى أذنه؛ فقلنا له : ويحك! هل رأيتَ أحدا أُتِىَ بدهنٍ طيب فصبّه فى أذنه؟ قال: إنه مع هذا يضرُّنى .

قال عبد الله بن المبارك : كان عندنا رجل يُكْنَى أبا خارجةَ، فقلتُ له : لِمَ كَنَوْكَ أبا خارجةَ؟ قال: لأنى وُلِدتُ يوم دخل سليمانُ بن علىّ البَصرةَ . قال عمرو بن بَحْر: ذَكَر لى ذاكرٌ عن شيخٍ من الإباضِيّة أنه جَرى ذِكْرُ الشيعة عنده فأنكر ذلك واشتدّ غضبُه؛ فقلتُ له : ما أنكرتَ؟ قال : أُنكِرُ مكانَ الشّين فى أوّل الكلمة(١) لأنى لم أجدها قطّ إلا فى مَسخوطٍ عليه مثل شُؤم وشَرٍّ وشيطانٍ وشُحٍّ وشَغْبٍ وشَيبٍ وشَكٍّ وشِرْك وشَتْم وشِيعَــةٍ وشِطْرَنْج وشَاكٍ وشانئٍ وشجيج(٢) وشَوْصَة وشابشتى وشَكوى؛ فقلت: ما تقوم بهؤلاء قائمةٌ أبدا(٣). قال : وسمعتُ رجلا يقول : عجبتُ لمن يأخذه النومُ وهو لا يزعم أن الاستطاعةَ مع الفعل؛ فقلت له : ما الدليلُ على ذلك؟ فقال : سبحان الله! الأشعارُ الصِّحاحُ؛ قلت : مثل ماذا؟ قال : مثلُ قول رُؤْبةَ :

* ما إنْ يَقَعْنَ الأرضَ إلا وَفْقَا *

وقـــوله : * يَهْوِينَ شَتَّى ويَقَعْن وَفْقَا *

وقـــوله : * مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معًا *

وقولهم فى المثل : "وَقَعَا كَعِكْمَىْ عَيْرٍ(٤)" ثم قال : هل فى هذا مَقْنَع؟ قلتُ : بلى وفى دُونِ هذا .

(١) فى الأصلين : "فى أوّل كلمة" بالتنكير وظاهر أن السياق يأباه؛ فلعلّ الصواب ما ذكرناه أو أن فى الكلام حذفا . (٢) كذا بالأصلين ولم نجده فى مادة «شجج» فى اللسان والقاموس مصدرا أو غيره . ولعله محرّف عن «شَجيج» وهو أثر الشجّة فى الجبين .

(٣) كذا فى النسخة الألمانية، وفى الأصل الفتوغرافى «بعدها» بدل «أبدا» .

(٤) كذا بالأصلين، وفى اللسان فى مادة عكم : «هما كَعِكْمَىِ العَيْر» والعِكْم : العِدْل مادام فيه المتاع .

وعَد رجلٌ رجلا من الحمق أن يُهْـدِىَ له من مكة نعلاً، فطال عليه الانتظارُ، فأخذ قارورةً فبال فيها ثم أتى بها الطبيبَ ثم قال: انظر فى هذا المـاء هل يُهدى لى بعضُ إخوانى نعلاً حضْرَميةً؟ . وقال الزّيادى: مرّ أشعبُ برجلٍ يعمَلُ طَبَقًا وقال له: زد فيه طوقًا؛ قال: ولِمَ؟ قال: لعلّه يُهْدَى لى فيه شىءٌ.

أبو حاتم عن الأصمعى قال حدثنا إبراهيمُ بن القَعْقَاع قال: رأيتُ أشعبَ بسوق المدينة معه قطيفةٌ قد ذهب خَمْلُها وهو يقول: مَنْ يَشترى منّى الرِّمدَةَ؟(١) فأتاه رجلٌ فساومَه؛ قال: أبرأ إليكَ من عيبٍ فيها؛ قال: وما هو؟ قال: تَحترِقُ إن أنتَ لبِسْتَها.

سقط أعرابىّ من بعيرٍ له، فانكسرت ضِلَعٌ من أضلاعه فأتى الجابرَ يستوصفُه؛ فقال: خُذْ تمرًا جيّدا فانْزِعْ أقمـاعَه ونواه واعجِنه بسمنٍ ثم اضمِدْه عليه؛ قال: أى بِأَبى أنتَ مِن داخلٍ أم(٢) من خارجٍ؟ قال: مِنْ خارجٍ؛ قال: لا أبا لشانِئِكَ هو من داخلٍ أنفعُ لى؛ قال: ضَعْه حيثُ تعلمُ أنّه أنفعُ.

مات ابْنٌ صغيرٌ لأعرابىّ، فقيل له: نَرجُو أن يكونَ لك شفيعًا؛ فقال: لا وَكَلَنا اللهُ إلى شفاعته، حَسْبُه المسكينَ أن يقومَ بأمرِ نفسه.

جاء أعرابىّ إلى المسجد والإمامُ يخطبُ، فقال لبعض القوم: ما هذا؟ قال: يدعونَ النـاسَ إلى الطعام؛ قال: فما يقول صاحبُ المنبر؟ قال: يقول ما يَرضَى الأعرابُ أن يأكلوا حتى يحملُوا معهم؛ فتخطّى الأعرابىّ الناسَ حتى دنا من الوالى فقال: يا هذا، إن الذين يفعلون ما تقول سفهاؤُنا.

أخذ الحجاجُ لِصًّا أعرابيًّـا فضربه سبعَمائةِ سوط فكلّما قرعه بسوطٍ قال: اللّهم شكرا؛ فأتاه ابنُ عمٍّ له فقال: والله ما دعا الحجّاج إلى التمـادى فى ضربك إلا كثرةُ

(١) كذا فى النسخة الألمانية وفى الأصل الفتوغرافى: «الومدة» والرمدة: الكدرة التى صارت كلون الرماد.
(٢) فى الأصلين «أو» وسياق الكلام يقتضى «أم».

شكرك، لأن الله يقول: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)؛ فقال: إنّ هـذا فى كتاب الله؟ فقال: اللهمّ نعم؛ فأنشأ الأعرابىّ يقول:

يا ربِّ لا شُكْرَ فَلَا تَزِدْنِى * أسرفتُ فى شكرك فاعفُ عنّى

باعِدْ ثوابَ الشاكرين منّى

فبلغ الحجاجَ فخلّى سبيلَه. جاء أعرابىّ إلى صَيْرَفىّ بدرهم؛ قال: هذا سُتُّوقٌ، فقال الأعرابىّ: وما هو السُّتُّوق بأبى أنت؟ قال: داخلُه نُحَاسٌ وخارجُه فضّة؛ قال: ليس كذلك؛ قال: أكسِرُه فإن كان كذلك فأنا منه برىء؟ قال: نعم؛ فكسره فلما رأى النحاسَ قال: بأبى أنتَ، متى أموتُ؟ فأنا أشهدُ أنك تعلم الغيبَ.

لمـا حضرت الحُطَيئةَ الوفاةُ قال: احملونى على حمار فإنه لم يَمُتْ عليـه كريمٌ قطّ فلعلّى أن أبقَى، ثم تمثّل:

لِكلِّ جـــديدٍ لَذَّةٌ غيرَ أنّنى * رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لَذيذِ

المدائنىّ قال: دعا رجلٌ بمكة لأمّه؛ فقال له قائل: فما بالُ أبيكَ؟ قال: هو رجلٌ يحتالُ لنفسه. قيـل لأشعبَ: أرأيتَ أحدًا قطّ أطمعَ منـك؟ قال: نعم خرجتُ إلى الشأم فنزلتُ أنا ورفيقٌ لى بدَيْرٍ فيه راهبٌ، فتلاحينا فى أمرٍ فقلتُ: الكاذبُ منّا كذا من الراهب فى كذا مِن أمّه، فأتى الراهبُ وقد أنعظ وهو يقول: بأبى مَن الكاذبُ منكما؟. مرّ إسحاقُ بنُ سليمانَ بن علىّ الهاشمىّ بِقَاصٍّ وهو يقرأ: (يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ)، فتنفّس ثم قال: اللهم اجعلنا ممن يَتَجرّعه ويُسيغه.

الأصمعىّ عن أبيه: قلتُ لأعرابىّ: أفيكم زِنًا؟ قال: بالحرائر؟ ذاكَ عند الله عظيمٌ، ولكن مُسَاعاةٌ بهذه الإماءِ. موسى بن طلحةَ قال: جاءنا علىّ بن أبى طالب رحمه الله ونحن فى المسجد شَـبَابٌ من شَبَابِ قريش، فتنحّينا له عن الأسطوانة

وقلنا : هاهنا يا عمّ، فقال : يا بنى أخى ، أنتم لشيوخكم خيرٌ من مَهْرة(١) فإنه إذا كبِرَ الشيخُ فيهم شَدُّوه عِقالًا ثم يُقال له : ثِبْ فيه ، فإن وَثَبَ خَلَّوا سبيلَه وقالوا : فيه بقيّةٌ من عُلالةٍ ، وإن لم يَثِبْ قدّموه فضربوا عِلاوَته(٢) وقالوا : لا يُصيبُكَ عندنا بلاءٌ.

قيل لبحر بن الأحنف : ما يمنعكَ أن تكون مثلَ أبيك؟ قال : الكسلُ . وقال يومًا لزَبْراءَ جاريةِ أبيه : يا زانيةُ، فقالتْ : لو كنتُ كذلك جئتُ أباكَ بمثلكَ .

أبو الحسن قال : جاء قومٌ إلى رجل من الوجوه فقالوا له : مات جارُكَ فلانٌ فَمُرْ لنا بكفنٍ، فقال : ما عندنا اليومَ شيءٌ ولكن تَعودونَ ، قالوا : أفتُمْهِلُنا إلى أن يتيسَّرَ عندك شيءٌ! . وأتى رجل رجلا فقال له : أصلحكَ اللهُ تُعيرُنا ثوبا نُكفِّنُ فيه ميتا؟ . قال قاسمٌ التمّارُ فى كلام له : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض . وقال أيضا : رأيتُ إيوانَ كسرى فإذا هو كأنما رُفِعت اليدُ عنه أوّلَ مِنْ أمسِ .

كان عبد الملك بن هلال الهينابىّ(٣) له زَبيلٌ مملوء حصًا للتسبيح ، فكان يُسبِّحُ بواحدةٍ واحدةٍ ، فإذا مَلَّ طرح ثِنتين ثِنتين ثم ثلاثا ثلاثا ، فإذا زاد مَلالُه طرحه قَبضةً قَبضةً وقال : سبحان الله عدَدَكَ ، فإذا ضَجِرَ أخذ بعُرَى الزَّبيل وقال : الحمد لله بعددِ هذا كلِّه . دخل قومٌ منزلَ الرَّستمىّ لأمرٍ وقع ، فحضر وقتُ صلاة الظهر فقالوا : كيف القبلَةُ فى داركَ هذه؟ فقال : إنما نزلناها منذُ شهرٍ .

المدائنىّ عن علىّ بن مجاهد عن حميد بن أبى البَخْتَرِىّ(٤) أن الشعبىّ قال : مَرِضتُ فلقيت ٱبنَ الحُرّ فأمرنى أن أمشى كل يوم إلى الثَّوِيّة ، فكنت أغدو كلّ يوم إليها ،

(١) مهرة : حى من العرب وإليهم تنسب الإبل المهرية .

(٢) العلاوة : أعلى الرأس والعنق .

(٣) كذا بالأصلين ولم نجد هذه النسبة أصلا فى أسماء الأشخاص والقبائل والبلدان وغيرها .

(٤) كذا فى الأصل الفتوغرافى وتؤيده كتب اللغة والأنساب ، وفى الألمانية «البحترى» بالحاء المهملة .

فانصرفت ذات يوم فلمّا كنت فى جُهَينة الظاهرة(١) إذا شيخٌ منهم قاعد على طنفسة مُتّكئٌ على وِسادة، فسلّمت ثم ألقيت نفسى على الرمل، فقال: لقد جلستَ جِلسة عاجز أو ضعيف، قلت: قد جمعتُهما، قال: أدام الله لك ذلك. ثم قال: إن أهلى كانوا يتخوّفون علىّ ثلاثا: نقصان البصر وترك النساء والقِطاف فى المشى، فوالله إنهم ليرون الشخص واحدا وأراه آثنين، ولقد تركت النساء فما لى فيهن من حاجة، وإنى لأمشى فأُهَمْلِج، قلت: أدام الله لك ذلك.

قال المدائنىّ: ركب يزيد بن نَهْشَل النهشلىّ بعيرا وقال: اللّهم إنك قلت (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) وإنى لبعيرى هـذا لمُقْرِن. فنفَر به فطرحه، وبقيتْ رجله فى الغَرْز، فجعل يضرب برأسه كل حجَر ومَدَر حتى مات.

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: آختصمت الطُّفَاوة وبنو راسب(٢) فى رجل يدّعيه الفريقان إلى آبن عِرْباض. فقال: الحكم بينكم أبينُ من ذلك، يُلقَى فى النهر فإن طفا فهو لطُفاوة، وإن رسَب فهو لبنى راسب.

المدائنىّ قال: لما حضَرت الحُطَيْئةَ الوفاةُ قيل له: أوص، قال: بم أوصى! مالى للذكور دون الإناث، فقالوا: إن الله لم يأمر بهذا، فقال: لكنى آمُر به. ثم قال: ويلٌ للشعر من راوية الشعر، فقيل له: أوص يا أبا مُلَيكة للمساكين بشىء، قال: أُوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبورَ. قيل: أعتق عبدَك يَسَارًا، قال: آشهدوا أنه عبد ما بقى، قيل: فلانٌ اليتيم ماتُوصى فيه؟ قال: أُوصى أن تأكلوا ماله وتَنيكوا أمّه، قالوا: ليس إلا هذا! قال: آحملونى على حمار فإنه لم يمت عليه كريم لعلّى أنجو، ومات مكانه.

(١) كذا فى النسخة الألمانية، وفى الأصل الفتوغرافى: «الطاهرة».

(٢) الطفاوة وبنو راسب: حيّان من العرب.

لمّا حضرت سعدَ بن زيد الوفاة جمع ولده وقال : يا بَنِىّ أوصيكم بالناس شرّا . كلّموهم نَزْرا ، وانظروا اليهم شَزْرا ، ولا تقبلوا لهم عُذْرا ، قصّروا الأعنّة ، واشحذوا الأسنّة ، تأكلوا القريب ، ويرهبكم البعيد . ولمّا حضرت وكيعًا الوفاةُ دعا بنيه فقال : يا بَنِىّ إنّى لأعلم أن قوما سيأتونكم قد أقرحوا جباههم وعرّضوا لحاهم يدّعون أن لهم على أبيكم دَينا فلا تَقضوهم ، فإنّ أباكم قد حمل من الذّنوب ما إن غفر الله له لم تضرّره . وإلّا فهى مع ما تقدّم .

تقدّم رجل من بنى العَنْبر الى سَوّار فقال : إن أبى مات وتركنى وأخًا لى ، وخطّ خطّين ناحيةً ، ثم قال : وهجينًا لنا ، ثم خط خطّا آخر ناحيةً ، ثم قال : كيف يقتسم المـال بيننا ؟ فقال : المـال بينكم أثلاثا إن لم يكن وارثٌ غيركم ؛ فقال له : لا أحسبك فهمت ، إنه تركنى وأخى وهجينًا لنا ؛ فقال سوّار : المـال بينكم سواء ، فقال الأعرابىّ أيأخذ الهجينُ كما آخذ ويأخذ أخى ؟ قال أجَلْ ! فغضب الأعرابىّ وقال : تعلمَ والله أنك قليلُ الخالات بالدَّهْناء ؛ فقال سوّار : إذًا لا يضرّنى [ذلك] (١) عند الله شيئا .

قال بعض العُمّال لأعرابىّ : ما أحسبُك تدرى كم تصلّى فى كلّ يوم وليلة ؛ فقال : أرأيتَ إن أنبأتُك بذلك تجعلُ لى عليك مسألة ؟ قال : نعم ؛ قال الأعرابىّ :

إن الصّلاة أربعٌ وأربعُ ، ثم ثلاثٌ بعدهنّ أربعُ
، ثم صلاةُ الفجر لا تُضَيَّعُ

قال : قد صدقتَ ، فسَلْ ، قال : كم فَقَارُ ظهرك ؟ قال : لا أدرى ؛ قال : أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك !

أخبرنى رجل حضر مجلس محمد بن الجَهْم البرمكىّ أنه دخل عليه رجل يكتب فى حوائج له ، فقرأها ووعده قضاءها ، فنهض وهو يدعو له وقال : أبقاك الله وحفظك وأتمّ نعمتَه عليك ؛ فقال له محمد بن الجهم : كتابى اليك وأنا فى عافية .

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٩٢

طبـائع الإنسان

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وَهْب بن مُنَبّه أنه وجد فى التّوْراة: إنّى حين خلقتُ آدم ركّبت جسده من أربعة أشـياء ثم جعلتها وِراثة فى وَلَده تنمى فى أجسادهم ويَنْمُون عليها الى يوم القيامة: رطْب و يابس وسُخْن وبارد، وذلك لأنى خلقته من ترابٍ وماء ثم جعلت فيه نفسا و رُوحا، فيُبوسةُ كلّ جسدٍ من قِبَل التراب، ورُطوبتُه من قبل المـاء، وحرارته من قبل النفس، وبرودته من قِبل الروح، ثم خلقت الجسد بعد هذا الخَلْق الأوّل أربعةَ أنواعٍ من الخَلْق الآخر وهى مِلَاكُ الجسد بإذنى وقِوامُه، لا يقوم الجسد إلا بهنّ ولا تقوم واحدة إلا بهن، المِرّة الصفراء والمِرّة السوداء والدّم والبَلْغَم، ثم أسكنتُ بعضَ هذه الخَلْق فى بعضٍ فجعلت مَسْكَن اليبوسة فى المِرّة السوداء ومسكنَ الرطوبة فى الدم ومسكنَ البرودة فى البلغم ومسكنَ الحرارة فى المِرّة الصفراء، فأيّما جسدٍ آعتدلت فيه هذه الفِطَرُ الأربعُ فكانت كلّ واحدةٍ منهنّ رُبُعا لا يزيد ولا ينقص كملت صحّته وآعتدل بُنيانه، وإن زادت واحدة منهنّ غلبتْهن وقهرتْهن ومالت بهن ودخل على أخواتها السُّقم من ناحيتها بقدر ما زادت وإذا كانت ناقصةً تقـلّ عنهنّ مِلن بها وعلَونها وأدخلن عليها السّقم من نواحيهنّ لقلّتها عنهن حتى تضعُف عن طاقتهن وتعجِزَ عن مُقاومتهن (١) (٢)؛ قال وهب: وجعل عقله فى دماغه وشَرَهه (٣) فى كُلْيته، وغضبَه فى كَبِده، وصَرامتَه فى قلبه، ورُعبه فى رِئته، وضَحِكه فى طِحاله، وحزنَه وفرحَه فى وجهه، وجعل فيه ثلثمائةٍ وستين مَفصِلا.

(١) فى الألمـانية: «وإذا كانت ناقصة تقلن عنها وملن ...».

(٢) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ وفى الأصلين: «عن مقاربتهن» والفعلان فيهما (تضعف وتعجز) بالياء والسياق يقتضى تاء التأنيث كما وضعنا.

(٣) فى الأصلين وسرّه. وما ذكرناه عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١

قال : حدّثني زيد بن أخزم(١) قال : حدّثنا بِشر بن عمر عن أبي الزّناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال "كلّ ابنِ آدم تأكل الأرضُ إلا عَجْبَ الذنب منه خُلِق وفيه يُركَّب" . وقالت الحكماء: الخَنَث يعترى الأعراب والأكراد والزّنج والمجانين وكلّ صنف إلا الخِصْيان فإنه لا يكون خَصِىٌّ مُخنَّث. وقالوا : كلّ ذى ريح مُنتنة وذفَر كالتيس وما أشبهه ، إذا خُصِى نقص نَتْنُه وذهب صُنانه غير الإنسان فإنّ نتنه يشتدّ وصُنانه يحدّ وعرقه يخبُث وريحه(٢) . وكلّ شيء من الحيوان يُخصَى فإنّ عَظْمه يدقّ، فاذا دقّ عظمُه ٱسترخى لحمه وتبرأ من عظمه خلا الإنسانَ فإنه إذا خُصِى طال عظمُه وعرُض . وقالوا : الخصىّ والمرأة لا يَصْلَعان، والخصىّ تطول قدمه وتعظُم . وبلغنى أنه كان لمحمد بن الجهم برذَونٌ رقيق الحافر فخصَاه فجاد حافره . ٱعتبر ذلك بالإنسان إذا خُصِى عظُمت رجله . قالوا : والخصىّ يشتدّ وقعُ رجله لأن معاقد عَصَبه تسترخى، ويعتريه الاعوجاج والفَدَع فى أصابعه، وتُسرع دَمعته، ويتخدّد جلده، ويُسرع غضبُه ورضاه، ويضيق صدره عن كتمان السرّ . ويزعم قوم أنّ أعمارهم تطول لترك الجماع، قالوا : وتلك عِلّةُ طول عمر البغل . وقالوا : علّةُ قِصَرِ عمرِ العُصْفُور كثرةُ سِفَاده . قالوا : وشأن الغريق إذا كان رجلا ثم ظهر على الماء أن يظهر على قَفَاه، وإن كان ٱمرأةً أن تظهر على وجهها . والرجل إذا ضُرِبت عنقُه سقط على وجهه ثم يقلبه ذكَرُه إذا ٱنتفخ . قالوا : وفى الغلمان من لا يحتلم أبدا، وفى النساء من لا تحيض أبدا، وذلك عيب . وفى الناس من لا يسقط ثَغْره ولا يستبدل منه . منهم عبد الصَّمَد بن علىّ ذكروا أنه دخل قبرَه برواضعه .

---

(١) فى الأصل : أحرم . والتصويب عن كتب التراجم .

(٢) كذا فى النسخة الفتوغرافية . وفى النسخة الألمانية أربعة أصفار بعد قوله وريحه ، وكتب فى التعليق عليه باللغة الألمانية : سقطت كلمة . وفى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ : وخبث عرقه وريحه .

والضَّبّ لا تسقط له سنّ . وكذلك الخنزير لا يُلقى شيئا من أسنانه[1] . ولذلك تقول العرب فى مَثَلٍ لها: "لا آتيك سِنّ الحِسْل"[2] يريدون لا آتيك أبدا . وتقول الأطبّاء : إنه ليس شىء من الحيوان يستطيع أن ينظر الى أديم السماء إلا الإنسان؛ وذلك لكرامته على الله . ويقول بعضهم: إن الجنين يغتذى دمَ الحيض يسيل اليه من السُّرّة بغذائه؛ وقالوا : لذلك لا تحيض الحوامل . وقد رأينـا من الحوامل من تحيض . والعرب تقول : حملت فلانة سهوا، إذا حاضت على الحمل . قال الهُذَلىّ[3] يمدح رجلا :

ومُبَرَّأً من كلّ غُبَّر حَيْضــةٍ . ورَضاعِ مُغْيِلةٍ وداءٍ مُعْضِل[4]

فأعلمك أنهـا لم تر عليـه دم حيض فى حملها، ودلّ على أنه قد يكون . قالوا : فإذا خرج الجنين من الرَّحِم دفعت الطبيعة ذلك الدمَ الذى كان يغتذيه الى الثَّدْيين، وهما عُضوان تَهدان[5] عصبيّان فنيرّاه وجعلاه لَبَنا . يقول الله عزّ وجلّ: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ). قالوا: والإنسان يعيش حيث تحيا النار ويتلف حيث لاتبقى النار . وأصحاب المعادن والحفائر إذا هجموا على نَفَق فى بطن الأرض أو مَغارة قدموا شمعة فى طَرَف قناة فإن ثبتت النار وعاشت دخلوا فى طلب ما يريدون وإلّا أمسكوا . والعرب تتشاءم بِبِكْر ولد الرجل إذا كان ذكرا . وكان قيس بن زهير أزرق بِكْرًا بين بكرين .

(١) فى الأصلين : «وكذلك ...» وظاهر أن ما ذكرناه هو الأنسب بالسياق . (٢) الحسل ولد الضبّ . (٣) هو تأبّط شرّا . (٤) كذا فى الأصل، وفى اللسان فى مادة «غبر» والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ وشرح الحماسة للتبريزى ج ١ ص ٣٤ :

* وفساد مرضعة وداء مغيل *

وقد أورده صاحب اللسان شاهدا مجرورا، قال هو معطوف على قوله :

* ولقد سريت على الظلام بمغشم *

وهو صدر بيت متقدم فى القصيدة . وفى شرح الحماسة للتبريزى : يروى مبرأ بالنصب ومبرإ بالجر، فالنصب على قوله «سهدا هبلا» والجر عطف على قوله جلد من الفتيان . والغبّر بقايا الحيض . المغيلة : الحبلى أو التى تُغْشَى وهى ترضع؛ ولكن الذى ورد فى اللسان والقاموس : أغيلت المرأة فهى مغيل . (٥) كذا فى الألمانية، وفى التيمورية «بادات» .

حدّثني محمد بن عائشة عن حمّاد عن قتادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : بِكْر البِكرين شيطان مخلّد لا يموت الى يوم القيامة، يعنى من الشياطين. قالوا : وابن المذكّرة من النساء والمؤنّث من الرجال أخبثُ ما يكون، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه وخصال أُمّه . والعرب تذكُر أن الغَيْرَى لا تُنجِب . قال عمرو بن مَعْدِيكَرِب

ألستَ تصيرُ[1] اذا ما نُسِبْـــتَ * بين المُغَـارة[2] والأحمقِ

وقال بعض الحكماء : كلّ امرأة أو دابّة تُبطئ عن الحَبَل . إذا واقَعها الفحلُ فى الأيام التى يجرى المـاء فى العود فإنها تحمل بإذن الله . قال عُبيد الله بن الحسن : إذا أردت أن تُذْكِر المرأةُ فأَغضِبْها ثم قَعْ عليها . وقال الحارث بن كَلَدة : اذا أردت أن تحبَل المرأة فمَشّها فى عَرْصة الدار عشرةَ أشـواط فإنّ رَحِمها ينزل فلا تكاد تُخلِف . والعـرب تقول : إن المرأة اذا لقِحت فى قُبُل الطُّهر[3] فى أول الشهر عند تبلّج الفجر ثم أذْكَرت جاءت به لا يطاق . قال الشاعر وجمع هذه المعانى :

لَقِحت فى الهلال عن قُبُل الطُّهـــر * وقـــد لاح للصباح بشـــيرُ

ويقولون : إذا أكره الرجلُ المرأةَ وهى مذعورة ثم أذْكَرت أنجبت . قال أبو كبير الهذلىّ :

حمَلتْ به فى ليــلة مزءودةٍ * كَرْها وعَقْدُ نِطاقها لم يُحلَلِ[4]

فأتت به حُوشَ الجَنان مُبطَّنًا * سُهُدًا اذا ما نام ليلُ الهَوجلِ[5]

ومُبَرَّإٍ من كلّ غُبَّر حيضةٍ * ورَضَاعِ مُغْيِلةٍ وداءٍ مُعضِل

---

(١) فى الأصل : تصيا ، والتصويب عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ (٢) المغارة : من أغارها زوجها بتزوّجه عليها . (٣) قبل الطهر : أوّله . (٤) مزءودة : مذعورة ، وفى تعليقات الشيخ الشنقيطى على أشعار الهذليين المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ ادب ش : كان أبو عبيدة ينصب مزءودة والأصمعىّ يجرّها بجعل الزُّؤْد لليلة . وساق هذا البيت صاحب مغنى اللبيب فى أواخر الكتاب وقال : يروى بالجر صفة لليلة وبالنصب حالا من الضمير فى حملت . وضعف هذا الوجه بأن ذكر الليلة حينئذ لا كبير فائدة فيه . (٥) حوش الجنان : حديده . ومبطن : ضامر البطن خميصه . وسهد : قليل النوم . والهوجل : المعنى الثقيل . وقد روى فى الأصل الفتوغرافى : . اذا ما قام ليل الهوجل * وهو تحريف والتصويب عن النسخة الألمانية ولسان العرب فى مادة «حوش» .

يقول : لم ترعليه فى حملها دما باقيا من حيضة ولا حملته وهى تُرضع ولا أرضعته وهى حامل ؛ فكانت العرب تكره ذلك وتسبّ به . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد هممتُ أن أنْهى عن الغيلة (١) ثم ذكرتُ أن فارس والرومَ يفعلونه فلا يضرّهم" وفى حديث آخر: "إنه ليُدرك الفارسَ فيُدَعْثِره" أى يطرحه .

حدّثنى إسحاق بن راهْوَيه قال : أخبرنا يحيى بن آدم عن الحسن قال : رأيت جَدّةً ابنةَ إحدى وعشرين سنة . قال : وأوّلُ أوقاتِ حمل المرأة تسعُ سنين ، وهو أوّل وقت الوطء . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وهى بنت تسع . وقال عبد الله ابن صالح : حدّثنى اللّيث عن ابن عَجْلان أن امرأته حملت له مرّة وأقامت خمس سنين حاملا ثم ولدت له ، وحملت له مرّة أخرى ثلاث سنين ثم ولدت . قال اللّيث : وحملت مولاة لعمر بن عبد العزيز ثلاثَ سنين حتى خافت أن يكون فى جوفها داء ثم ولدت غلاما ، قال الليث : ورأيت أنا ذلك الغلام وكانت أمه تأتى أهلنا . وفى بعض الحديث أن عيسى بن مريم عليه السلام ولدته أُمه لثمانية أشهر ، ولذلك لا يولَد مولود لثمانية أشهر فيعيش . وروى زيد بن الحُبَاب عن ابن سِنَان قال : حدّثنى ثابت بن جابان العِجْلىّ أن الضّحّاك بن مُزاحم وُلد وهو ابن ستة عشر شهرا . فأما يزيد بن هارون فإنه رَوَى عن جُوَيْبر أن الضحّاك وُلد لسنتين . ووُلد شُعْبة لسنتين . حدّثنا الرياشىّ أو رجل عنه قال حدّثنا أبو عاصم عن عبد الله بن مُؤمّل عن ابن أبى مُلَيكة أن عمر رحمه الله قال : يا بنى السائب ، إنكم قد أضْويتُم (٢) فانْكِحوا فى النّزائع (٣) . قال : وقال

---

(١) ورد هذا الحديث فى طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٧٧ طبع مدينة ليدن وفيه مخالفة غير جوهرية لرواية الأصل ، وفيها : "قال مالك بن أنس : الغيلة أن يمس الرجل امرأته وهى ترضع" .

(٢) أضوى الرجل : ولد له غلام ضاوىّ ، والضاوىّ : الضعيف . (٣) النزائع جمع نزيعة وهى المرأة التى تُزَوّج فى غير عشيرتها .

الأصمعىّ قال رجل : بنات العمّ أصبر، والغرائب أنجب، وما ضرب رءوسَ الأبطال كابن عجميّة . والعرب تقول : اغتربوا لا تُضْوُوا[1] ، أى انكحُوا فى الغرائب فإن القرائب يُضوين الأولادَ . قال الشاعر :

إنّ بلالًا لم تَشِنه أمّه * لم يتناسب خالهُ وعمّه

وقال آخر :

تنجّبتُها للنسل وهى غريبةٌ * فجاءت به كالبدر خِرْقًا[2] مُعمّما
فلو شاتم الفتيانَ فى الحىّ ظالمًا * لما وجدوا غير التكذّب مَشْتَمَا

وكان يقال : أنجبُ النساءِ الفَرُوك[3]، لأن الرجل يغلبها على الشّبه لزهدها فى الرجال .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ أن المُنجبة التى تَنزِعُ بولدها الى أكرم الجَدّين .

أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: حدّثنا حَرْب بن قَطَن قال: يقال : إن الرجل يستفرغ ولد امرأتين، يُولد له وهو ابن تسعين سنة . وقالت عائشة: لا تلد امرأةٌ بعد خمسين سنة . قالت الحكماء : الزّنج شِرارُ الخلق وأردؤهم تركيبا لأن بلادهم سخُنت فأحرقتهم الأرحامُ، وكذلك من بَرَدت بلاده فلم تَطبُخه الأرحام، وإنما فَضَل أهلُ بابلَ لعلّة الاعتدال؛ قالوا : والشمسُ شيّطت شعورَهم فقبّضتها؛ والشعَرُ اذا أدنيته الى النار تجعّد، فإن زدته تفلْفل، فإن زدته احترق. وقالوا : أطيب الأُمم أفواها الزّنج وإن لم تستنّ[4]؛ وكل إنسان رطْب الفم كثير الريق فهو طيّب الفم، وخُلوفُ فم الصائم يكون لخُثورة[5] الريق؛ وكذلك الخُلوف فى آخر الليل. وقالت الحكماء : كلّ الحيوان اذا أُلقِىَ فى الماء سبَح إلا الإنسانَ والقِردَ والفرسَ الأعسرَ[6]، فإن هذه تغرَق ولا تسبَح إلا أن

(١) كذا بالأصلين، وأورده صاحب النهاية واللسان على أنه حديث . (٢) الخرق : الفتى الحسن الكريم الخليقة . (٣) الفروك : المرأة تبغض زوجها . (٤) تستن : تستاك .
(٥) الخثورة ضدّ الرقّة . (٦) الأعسر : الذى يعمل بالشمال دون اليمين .

يتعلّم الإنسان السّباحة . قالوا : والرجل اذا ضُربتْ عنقُه فأُلقِيَ فى المـاء قام فى وسَط المـاء وآنتصب ولم يلزم القعر جاريا كان المـاء أو ساكنا، حتى اذا جيِّف آنقلب وظَهر بدنُه كلّه مُستلقيا إلا المرأة فإنها تظهر مُنْكَبَّةً على وجهها . وقالوا : كل مَن قُطِعت يداه لم يُجِد العدْوَ، وكذلك الطائر إذا قُطعت رجلاه لم يُجِد الطيَران . قالوا : وليس فى الأرض هارب من حرب أو غيرها يَستعمِل الحُضْرَ[1] إلّا أَخَـذ عن يساره إلا أن يترك عزمه أو سَوْمَ طبيعته . ولذلك قالوا : بِخاءك على وَحْشِيِّه[2]، وأنحى على شُؤْمَى يديه[3] . وقالوا : كلّ ذى عين من ذوات الأربع من السباع والبهائم الوحشيّة والإنسية فإنمـا الأشفارُ لِجَفْنه الأعلى إلا الإنسانَ فإن الأشفار — نعنى الهُدْبَ — لجفنيه : الأعلى والأسفل . قالوا : ليس فى الأرض إنسان إلا وهو يطرِّب من صوت نفسه ويعتريه الغلط فى شعره وولده . قال الطائىّ :

ويُسِىء بالإحسانِ ظَنًّا لاكمَنْ[4] * هو بآبنـــه وبشِــعره مفتونُ

وقالوا : كلّ ذى جِلْد فإن جلده ينسلخ إلا جلدَ الإنسان، فإنه لا ينسلخ كما تنسلخ جلود الأنعام ولكن اللحم يتبَعه .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن آبن أبى طرَفة الهُذَلىّ عن جُنْدُب بن شُعَيب قال : إذا رأيتَ المولودَ قبل أن يغتذىَ من لبن أُمّه فعلى وجهه مصباحٌ من البيان[5]، يريد أن ألبان النساء تُغيّره، ولذلك قولهم : اللبن يُشتَبَه عليه، يراد أنه يَنْزِعُ بالمولود فى شبه الظِّئْر . قال الشاعر :

لم أرضَعِ الدهرَ إلّا ثَدْىَ واحدةٍ * لِواضِحِ الوجه يحمِى ساحةَ الدارِ

(١) الحضر: ارتفاع الفرس فى عدوه . (٢) وحشىّ كل شىء شقه الأيسر وفى الأصلين «وحشة» وما وضعناه هو الذى يناسب السياق . (٣) أنحى على شؤمى يديه : اعتمد عليها ، وشؤمى اليدين هى اليسرى . وفى الأصلين «أحى» بدل «أنحى» . (٤) فى الأصل «كل من» والتصويب عن الديوان . (٥) المراد من البيان هنا الصفاء والإشراق .

وحدّثني الزيادىّ قال : حدّثنا عبد الوارث عن يونس عن الحسن أن عُمر أُتى بآمرأة ولدت لستة أشهر فهمّ بها ؛ فقال له علىّ : قد يكون هذا ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ وقال : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ .

أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : آختصم رجلان فى غلامٍ كلاهما يدّعيه ، فسأل عمرُ أُمّه ، فقالت : غَشِيَنى أحدُهما ثم هَرَقْتُ دما ، ثم غشِيَنى الآخر ، فدعا عمرُ قائفين(1) فسألهما ؛ فقال أحدهما : أَعلِنُ أم أُسِرّ ؟ قال : أَسِرّ ؛ قال : آشتركا فيه ؛ فضربه عمر حتى آضطجع ثم سأل الآخر ، فقال مثل قوله ؛ فقال : ما كنتُ أرى أن مثل هذا يكون . وقد علمتُ أن الكَلْبة يسفَدها الكلابُ فتؤدّى الى كلّ فحل نجلَه . ورُكَب الناس فى أرجلهم ورُكَب ذوات الأربع فى أيديها ، وكل طائر كُفّه(2) فى رجليه .

ما نَقَص خَلْقُه من الحيوان

حدّثنى أبو حاتم عن أبى عُبيدة قال : الفَرَس لا طِحَال له ، والبعيرُ لا مَرَارة له ، والظَّليمُ(3) لا مُخّ لعَظْمه . قال زهير :

كأن الرَّحلَ منها فوق صَعْلٍ(4) ❊ من الظُّلْمان جُؤجؤُه(5) هواءُ

وكذلك طير الماء وحيتان البحر لا ألسنة لها ولا أدْمغة . وصَفَن(6) البعير لا بَيضة فيه . والسَّمَكة لا رِئة لها ولذلك لا تَتنفّس ، وكل ذى رِئة يتنفّس .

(١) القائف : الذى يتتبع الآثار و يعرفها و يعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه .

(٢) كذا فى النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لما فى العقد الفريد . وفى الألمانية : ركبه .

(٣) الظليم : الذكر من النعام .

(٤) الصعل : الطويل . وفى الفتوغرافية «صقل» .

(٥) الجؤجؤ : الصدر .

(٦) الصفن : وعاء الخصية .

المشتَرَكاتُ من الحيوان

ٱلراعى[1] بين الوَرَشان[2] والحمامة[3] . والبَخَاتىّ[4] من الإبل بين العِرَاب[5] والفَوَالج[6] . والحمير الأَخْدَرِيّة من الأَخْدَر وهو فرس كان لأردشير توحّش فحَمَى عانَاتٍ[7] من الحمير فضرب فيها، وأعمارُها كأعمار الخيل . والزَّرَافة بين الناقة من نُوق الوحوش وبين البقرة الوحشيّة وبين الضِّبْعان[8]؛ وٱسمها اشْتُرْكَاوْ پَلَنْك[9] أى بين الجمل والكركند[10]؛ وذلك أن الضِّبعان ببلاد الحبشة يسفِد الناقة فتجىء بولد خَلْقُه بين الناقة والضَّبُع، فإن كان ولدُ الناقة ذَكَرًا عَرَض للمَهَاة[11] فألقحها زَرَافة . وسُمِّيت زرافة لأنها جماعة وهى واحدة كأنها جمل وبقرة وضَبُع؛ والزَّرافة فى كلام العرب الجماعة . وقال صاحب المنطق: الكلاب تسفِدها الذِّئاب فى أرض سَلُوقية[12] فيكون منها[13] الكلاب السَّلُوقيّة .

---

(١) الراعى : طائر متولد بين الورشان والحمام كثير النسل يعيش طويلا . (٢) الورشان : ذكر القمارى كما فى حياة الحيوان . (٣) فى الأصل «اليمامة» وما أثبتناه عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٣ وحياة الحيوان ج ١ ص ٤٥٥ (٤) البخاتى جمع بختى وهى الابل الخراسانية . (٥) العراب : إبل خلاف البخاتى كما فى اللسان . (٦) جمع فالج وهو جمل ضخم ذو سنامين يحمل من السند للفحلة . (٧) جمع عانة وهى القطيع من حُمُر الوحش . (٨) هو الذكر من الضبع وهو مفرد . (٩) كلمة فارسية كما فى القاموس والصحاح مركبة من أشتر أى البعير وكاو أى البقر و پلنك أى النمر وفى حياة الحيوان ج ٢ ص ٥ و پلنك الضبع؛ والأوّل هو المعروف فى الفارسية . (١٠) فى النسخة الألمانية «الكركن» وهو قريب مما أثبتناه وفى النسخة الفتوغرافية «الكركى» وهو طائر كبير معروف . والكركند كما فى حياة الحيوان حيوان طوله مائة ذراع فأكثر ويسميه الجاحظ الكركدن ، ومعادنه بلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس و يقال إنه متولد بين الفرس والفيل . وتفسير المؤلف لكلمة (أشتركاو پلنك) يخالف بعض المخالفة تفسير القاموس ، وتفسير صاحب حياة الحيوان . (١١) المهاة : البقرة الوحشية ، وفى الأصلين : "المهرة" والسياق يحتم ما وضعنا . فلعل ما فى الأصل تحريف من الناسخ . (١٢) نسبة الى سَلُوق وهى قرية باليمن تنسب اليها الدروع والكلاب . (١٣) فى الاصل «بينها» وما أثبتناه عن العقد الفريد .

المتعـاديات

بين البُوم والغُراب عـداوة . وبين الفأرة والعـقرب عداوة . وبيـن الغراب وآبن عِرْس عداوة . وبين الحِدَأة والغُدَاف[1] عداوة . وبين العنكبوت وبين العَظَاءة[2] عداوة . وبين الحيّـة وبين آبن عِرس عداوة . وبين آبن آوى[3] والدّجاج عداوة . وبين السِّنّور والحَمام عداوة . وبين البُوم وبين جميع الطير عداوة ، لأن البُومة رديّة البصر ذليلة بالنهار فإذا كان الليل لم يقْوَ عليها شىء ، والطير تعرف ذلك من حالها فهى بالنهار تضربها وتنتف ريشها ، ولحرصها على ذلك صار الصائد ينصبها للطير . وبين الحمار وبين عُصفور الشوك عداوة ، ومتى نَهَق الحمار سقط بَيض عصفور الشوك . وبين الحمـار وبين الغراب عداوة . وبين الحيّة والخنزير عداوة . والغراب مصادق للثعلب . والثعلب مصادق للحيّة . والجمل يكره قُرب الفرس أبدا ويقاتله . وبين الأسد وبين الفيل عداوة . ويقال : إن الأسد والنَّمِر مختلفان ، والأسد والبَبْر[4] متّفقان .

الأمثال المضروبة بالطبائع

يقال : فلان «أسمعُ من قُراد»[2] ، والقِردان تكون عند المـاء فإن قَرُبت الإبل منها تحرّكت وآنتعشت . فيستدلّون بذلك على إقبال الإبل . و«أسمعُ من فرس» . و«أحزم من فرخ العُقاب» ، وذلك أنه يكون فى عُرْض الجبل فلا يتحرك فيسقط . و«أحلم من

(١) الغداف : الغراب وخص بعضهم به غراب القيظ الضخم الوافر الجناحين . لسان العرب .

(٢) هذه لغة أهل العالية . ولغة بنى تميم «العظاية» بالياء ، قال صاحب حياة الحيوان نقلا عن الأزهرىّ : هى دويبّة ملساء تعدو وتتردّد كثيرا تشبه سامّ أبرص إلا أنها أحسن منه ولا تؤذى ، وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل .

(٣) ابن آوى : حيوان طويل المخالب والأظفار ، يأكل الطيور ، وخوف الدجاج منه أشد من خوفها من الثعلب ، ويذكر الدّميرى أن ابن آوى اذا مر تحت الدجاج وهى على الشجرة أو الجدار تساقطت وإن كانت عددا كثيرا .

(٤) الببر مضبوط فى اللسان والقاموس بفتح الباء الأولى وسكون الثانية وصرح فى حياة الحيوان أنه بفتح الأولى وكسر الثانية : نوع من السباع شبيه بآبن آوى .

(٥) القراد بالضم واحدته قرادة وهى دويبّة تتعلق بالبعير ونحوه .

حيّة» . و«أهدى من قَطَاةٍ وحَمامة» . و«أخَفّ رأسا من الذئب» . و«أنوم من فَهْد» . و « أظلم من حيّة» ، وذلك لأنها تدخل بحَجَرَة الحَشَرات وتُخرجها . و « أحذرُ من غراب» . و«أصنع من تَنَوُّط» ، وهو طائر يصنع عُشًّا مُدَلًّى من الشجر . و«أصنع من سُرْفَة» ، وهي دُوَيبّة تعمل بيتا من قطَع العيدان . و «أسرق من زَبَابة» ، وهي فأرة بَرّيّة . و«أسرق من كُنْدُش» وهو العقْعَق ؛ ويقال أيضا : «أحمق من عَقْعَقٍ» لأنه من الطير الذي يُضيّع فِراخَه . و « أخرقُ من حمامةٍ » ، وذلك لأنها لا تُجيد عمل العُشّ فربما وقع البيض فانكسر . قال عَبِيدُ بن الأبرص :

عَيُّوا بأمرهمُ كما ... عَيَّتْ ببَيضتها الحَمامهْ
جعلَتْ لها عُودَين من ... نَشَمٍ وآخرَ من ثُمامهْ (١)

يقول : قَرَنت النَّشَمَ بالثُّمام وهو ضعيف فتكسّر ووقع البيض فانكسر . وفي الإنجيل أنّ المسيح عليه السلام قال للحَواريّين : كونوا حُلَماء كالحيّات وبُلْهًا كالحمام . و«أعقّ من ضَبّ» ، لأنه يأكل ولده من الجوع . و«أبرّ من هِرّة» ، وهي تأكل ولدها من شدّة محبّته . و «أروغُ من ثعلب» . و«أمْوَقُ من رَخَمةٍ» (٢) . و «أزهَى من ذُبابٍ» لأنه يقع على أنف الملك وتاجه . و «أصنعُ من الدَّبْر» ، وهي النّحل . و «أسمحُ من لافظةٍ» ، ويقال : هي العَنْز تسمحُ بالحَلَب ، ويقال : الرَّحا ، لأنها تلفظ ما تطحَنه لا تحبس منه شيئا . و «أصْرَدُ من عين حِرْباء» (٣) . و «ألحّ من الخُنْفَساء» . و «أخْيلُ من مُذَالةٍ» ، وهي الأَمَة تُهان وهي تَتبختر . و «أحلم من فرخ الطائر» . و «أكيسُ من قِشّةٍ» ، وهي القِرْدة . و«أجبن من صافِرٍ» ، وهو ماصفَر من الطير ، ويقال : هو

(١) النشم بالتحريك : شجر جبليّ تتخذ منه القسيّ ، والثمامة واحدة الثمام : نبت ضعيف .

(٢) أموق : أحمق ، من المُوق وهو الحمق . (٣) في مجمع الأمثال للميداني : الحرباء ، بالتعريف ، وعلله بأن الحرباء تستقبل الشمس أبدا بعينها تستجلب إليها الدفء . وورد فيه بعض هذه الأمثال بالتعريف أيضا .

الصّافر بالمراة للريبة [١] . و «أنمّ من صُبح» . و «أبعد من بَيض الأَنُوق» ، والأَنوق : الرَّخمة تبيض فى أعالى الجبال والشواهق حيث لا يبلغه سَبُع ولا طائر . و «أشجع من لَيث عِفرِّين» [٢] ، قال بعضهم : هو الأسد ، كأنه قال : أشجع من ليث لُيوث تعفر من نازعها وتصرّعه ، وقال الأصمعىّ : هو دابّة مثل الحِرْباء يتحدّى الراكبَ ويضربه بذَنَبه . و «أحنُّ من شارِفٍ» ، وهى الناقة المُسِنّة . و «أسرع من عَدْوَى الثُّؤَباء» . و «أروَى من النَّقَّاقة» ، وهى الضَّفادع . و «أزنَى من قِرْدٍ» ، ويقول بعضهم : إنه رجل من هُذَيْل كان كثير الزنا . و «أخدعُ من ضَبّ» . و «أشأم من الزَّرْقاء» [٣] وهى ناقة .

الأنعـــام

حدّثنى يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهلىّ عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جدّه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما خلَق الله دابّةً أكرم عليه من النَّعْجة" وذلك أنه ستر عورتها ولم يستر عورة غيرها .

وقال : حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن إهَاب بن عُمَيْر قال : كان لنا جمل يعرف كَشْحَ الحامل من غير أن يَشَمَّها [٤] . قيل لابنة الخُسّ [٥] : ما تقولين فى مائة من المَعَز ؟

---

(١) وفى النسخة الألمانية : «بالمرأة المريبة» وعبارة الأساس «هو الذى يصفر لريبه فهو وَحِل أن يُطَهَّر عليه» ، وقيل : هو طائر يكس رأسه ليلا ويتعلق برجليه وهو يصفر خيفة أن ينام فيؤخذ » .

(٢) فى الأصلين « تعقر » والسياق يقتضى ما وضعنا إذ سيق الفعل لبيان الاشتقاق . (٣) فى مجمع الأمثال للميدانى : «أشأم من ورقاء» وقال : يعنون الناقة وهى مشئومة وذلك أنها ربما نفرت فذهبت فى الأرض . وما فى الأصل حكاه الميدانى عن أبى الندى وقال : الزرقاء ناقة نفرت براكبها فذهبت فى الأرض . (٤) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٣ وقد وردت هذه الكلمة فى الأصل الفتوغرافى هكذا «يسما» وفى النسخة الألمانية «يسمى» . (٥) ابنة الخس : امرأة من إياد جاءت عنها الأمثال واسمها هند وكانت معروفة بالفصاحة .

قالت : قِنَّى ؛ قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غِنًى ؛ قيل : فمائة من الإبل ؟ قالت : مُنًى . والعرب تضرب المثل فى الصَّرَد[(١)] بالمِعْزَى فتقول : « أصْرَدُ من عَنْزٍ جَرْباء » . وسئل دَغْفَلٌ عن بنى مخزوم ، فقال : مِعْزَى مَطِيرة ، عليها قُشَعْرِيرة ، إلا بنى المُغيرة ، فإنّ فيهم تشادُقَ الكلام، ومُصاهَرةَ الكِرام .

وقالت العرب فيما تقول على ألسـنة البهائم : قالت المِعْزَى : الاَسْتُ جَهْوَى[(٢)]، والذنَبُ ألْوَى ، والجلدُ رُقاق ، والشعَر دُقاق . قالوا : والضأن تضع مرّة فى السنة وتُفرِد ولا تُتْئِمُ ، والماعز قد تلد مرتين فى السنة ، تضع الثلاثة وأكثر وأقل ، والنَّماء والبَرَكة والعدد فى الضّأن ، وكذلك الخنازير تضع الأنثى منها عشرين خِنَّوْصًا ولا نَماء فيها . ويقال : الجَوَاميس ضأنُ البقر ، والبُخْت ضأن الإبل ، والبراذين ضأنُ الخيل ، والجرذان ضأنُ الفأر ، والدُّلْدُل ضأنُ القنافذ ، والنمل ضأن الذّر . ويقول الأطبّاء فى لحم الماعز : إنّه يورث الهمّ ويحرك السَّوداء ويُورث النِّسيانَ ويُخَبِّل الأولادَ ويُفسد الدّم ، ولحمُ الضأن يضرّ بمن يُصْرَع من المِرّة إضرارا شديدا حتى يصرعَهم فى غير أوان الصَّرْع . وأوانُ الصرع الأهِلّةُ وأنصافُ الشهور ، وهذان الوقتان هما وقت مدّ البحر وزيادة الماء والدم . ولزيادة القمر الى أن يصير بدرا أثرٌ فى زيادة الدّم والدماغ وجميع الرُّطوبات ، قال الشاعر :

كأنّ القوم عُشُّوا لحمَ ضأنٍ * فهم بَعِجُونَ[(٣)] قدمالت طُلَاهُمْ

وفى الماعزة : إنها ترتضع من خِلْفِها[(٤)] وهى مُحَفَّلة[(٥)] حتى تأتىَ على كلّ ما فيه ، قال ابن أحمرَ

---

(١) الصرد : البرد ، لأن المعزى لا تدفأ لقلة شعرها . (٢) جهوى : مكشوفة (٣) الرجل البعج : الضعيف المشى كأنه مبعوج البطن ، وفى النسخة الألمانية : « فهم يعجون » بالياء المثناة وهو تحريف . (٤) الخلف بالكسر : حلمة الضرع . (٥) المحفّلة : التى تُرك حلبها أياما ليجتمع اللبن فى ضرعها .

إنى وجدتُ بنى أَعْيا(١) وجاملَهم(٢) * كالعَنز تعطِفُ رَوْقيها(٣) فترتضعُ

وإذا رعت الضائنةُ والماعزة فى قصير نبتٍ لم ينبُت ما تأكله الماعزة لأن الضائنة تقرِضه بأسنانها والماعزة تقتلعه وتجذبه فتنثره من أصله . وإذا حمل على الماعزة فحملتْ أنزلت اللّبن فى أول الحمل الى الضَّرْع ، والضائنة لا تُنزل اللبنَ إلا عند الوِلاد ، ولذلك تقول العرب «رَمَّدَتِ(٤) المِعْزَى فرَنِّقْ رَنِّق» و«رمَّدت الضأنُ فربِّقْ(٥) رَبِّق»

وذكورُ كلّ شيء أحسنُ من إناثه إلا التُّيوسَ فإنها أقبح من الصَّفَايا . وأصوات الذكور من كلّ شيء أجهرُ وأغلظ إلا إناثَ البقر فإنها أجهر أصواتا من ذكورها .

قيل لأعرابىّ : بأىّ شيء تعرف حَمْل شاتِك؟ قال : إذا ورِم حَيَاؤها ورجَّتْ شِعْرتُها وٱستفاضت خاصرتها .

قال الأصمعىّ : لبنى عقيل ماعزة لا ترِد ، تجترئُ بالرُّطب . وقرأت فى كتاب من كتب الروم : إن أردت أن تعرف ما لونُ جنينِ النعجة فانظر إلى لسانها فإنّ الجنين يكون على لونه . وقرأت فيه أنّ الإبل تَتحامَى أمّهاتِها وأخواتِها فلا تسفِدها .

قالوا : وكلّ ثور أفطسُ(٦) ، وكلّ بعير أعلمُ(٧) ، وكل ذُباب أقرح(٨) . وقالوا : البعير إذا صعُب وخافه الناس ٱستعانوا عليه حتى يُبْرَكَ ويُعْقَل ثم يركبَه فحْلٌ آخر فيذِلّ . والعرب تعرف

---

(١) كذا فى الأصل والصحاح والذى فى اللسان فى مادة «رضع» : * إنى رأيت بنى سهم وعزهم * و«أعيا» أبو بطن من أسد كما فى اللسان . (٢) الجامل قطيع من الإبل معها رعيانها وأربابها .

(٣) الروق : القرن ، يريد أنهم لا يحتلبون نياقهم وإنما يرتضعونها خشية أن يسمع العافون صوت الحلب ويطلبون اللبن منهم . (٤) الترميد : أن تعظم الضروع . والترنيق : الانتظار . والمعنى أن عِظم ضرع الماعزة لا يدل على قرب ولادتها . (٥) أى هيّ ء لأولادها الأرباق (جمع ربق بالكسر وهو حبل فيه مدة عُرى، يُشد به البَهم . كل عروة ربقة بالكسر والفتح) يعنى أن عِظم ضروع الضأن يدل على قرب ولادتها ، وهو مثل يضرب لما لا ينتظر وقوعه انتظارا طويلا على عكس المثل الأوّل .

(٦) الافطس : الذى تطامنت قصبة أنفه وٱنتشرت أو ٱنشرم أنفه فى وجهه . (٧) الأعلم : المشقوق المشفر الأعلى . (٨) الاقرح : الذى بوجهه قرحة تظهر كالغرة .

البعير المُغِدّ[1] بسقوط الذباب عليه. ويقولون: بعير مَذْبوب إذا عَرَض له داء يدعو الذباب الى السقوط عليه. وقال بعض القُصّاص: مما فضّل الله به الكَبْش أن جعله مستور العَورة من قُبُل ومن دُبُر، ومما أهان به التَّيس أن جعله مهتوكَ السِّتر مكشوف القبل والدبر.

حدّثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أُميّة عن وَهْب بن مُنَبِّه أنه قال: كان في مناجاة عُزَيْر[2]: اللّهم إنك آخترت من الأنعام الضائنة، ومن الطير الحمامة، ومن النبات الحُبْلة[3]، ومن البيوت بكّة[4] وإيلياء، ومن إيلياءَ بيت المَقدِس. وفي الحديث أنّ آمرأة أتت النبي عليه السلام فقالت: يا رسول الله، صلى الله عليك، إني آتخذتُ غنما أَبتغي نَسلها ورِسْلها[5] وإنها لا تنمو؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما ألوانها"؛ قالت: سُود، فقال: "عفّري"[6]، وبعث الى الرُّعيان "من كانت له غَنَمٌ سُود فليخلِطْها بعُفْر فإنّ دم عَفْراء أزكى من دم سَوداوَيْن". وقال: "الغنم اذا أقبلت أقبلت واذا أدبرت أقبلت. والإبل اذا أدبرت أدبرت وإذا أقبلت أدبرت ولا يأتي نفعها إلا من جانبها الأشأم[7]". والأقْط قد يكون من المِعْزَى؛ قال آمرؤ القيس:

لنا غَنَمٌ نُسَوِّقها غِزارٌ * كأنّ قُرونَ جِلّتِها عِصِيُّ
فتملأُ بيتنا أَقِطًا وسمنًا * وحسبُكَ من غِنًى شِبَعٌ ورِيُّ

وقالوا: شِقْشِقة البعير: لَهاتُه يُخرجها. ومن أحسن ما قيل في الغنم قول مُخارق آبن شِهاب في تَيْس غنمه:

---

(١) أغدّ البعير: أصيب بالغدّة، وهي طاعون الإبل. (٢) في النسخة الالمانية "في مناجاة عزيز الله إنك..." وظاهر أنه تحريف. (٣) الحبلة تطلق على بقلة طيبة من ذكور البقل وعلى الكرم وعلى شجر العضاه. (٤) بكة: مكة. وإيلياء: اسم مدينة بيت المقدس. (٥) الرِّسل: اللبن. (٦) عفرى: من العفر وهو البياض. (٧) الأشأم: الشمال.

وراحت أُصَيلانا كأنّ ضروعَها * دِلاء وفيها واتدُ[1] القَرن لَبْلَبُ[2]
له رعثاتٌ[3] كالشُّنوف[4] وغُرّةٌ * شَديخٌ[5] ولونٌ كالوَذيلة[6] مُذهَبُ
وعينا أحمّ المقلتين وعُصْمةٌ[7] * يواصلها دانٍ من الظِلف[8] مُكْنبُ[9]
إذا دَوحةٌ من مُخْرِف[10] الضال أذبلت * عطاها[11] كما يعطو ذُرى الضال قَرهبُ[12]
أبو الحُور والغُرّ اللواتي كأنّها * من الحسن فى الأعناق جَزْع[13] مُثقَّبُ
ترى ضَيفها فيها يبيت بغِبطةٍ * وضيفُ ٱبن قيس جائعٌ يتحوّبُ[14]

فوفَدَ ٱبن قيس هذا على النُّعمان فقال: كيف المُخارق فيكم؟ قال: سيّدٌ كريمٌ من رجل[15] يمدح تَيسه ويهجو ٱبن عمّه. قال العجّاج فى وصف شاة: حمراء المُقدَّم شعراء المؤخَّر اذا أقبلت حسبتَها نافرا، وإذا أدبرت حسبتها ناثرا، أى كأنها تعطِس، يريد من أىّ أقطارها رأيتَها وجدتها مُشرقة .

---

(١) واتد القرن : منتصبه . (٢) قال صاحب اللسان : أراد باللبلب شفقته على المعزى التى أُرسل فيها فهو ذو لبلبة عليها أى ذو شفقة . (٣) رعثتا الشاة : زنمتاها تحت الأذنين . وفى الأصل الفتوغرافى : عرثات وهو تحريف . (٤) جمع شنف وهو القرط، وفى الأصل الفتوغرافى كالسيوف وهو تحريف . (٥) غرة شادخة وشديخ : غشت الوجه من الناصية الى الأنف . (٦) المرآة أو قطعة من الفضة مجلوّة . (٧) العصمة : البياض فى ذراعى الظبى أو الوعل .

(٨) الظلف : ظفر كل ما ٱجترّ، وهو ظلف البقرة والشاة والظبى وما أشبهها .

(٩) مكنب : غليظ، من الكنب وهو غلظ يد الرجل والخف والحافر واليد .

(١٠) المخرف : الذى حان خرافه أى ٱقتطاف ثمره .

(١١) من العطو وهو التناول . (١٢) القرهب من الثيران : المسنّ الضخم .

(١٣) الجزع بالفتح و يكسر : الخرز اليمانى الصينى فيه سواد و بياض .

(١٤) يتحوّب : يتوجّع . كذلك وردت فى كتاب الحيوان ج ٥ ص ١٤٤ وفى الفتوغرافية : «يتخوب» ولم نجد هذا الفعل وإنما ورد الخوبة : المجاعة .

(١٥) هكذا بالأصول، والذى فى كتاب الحيوان للجاحظ ج ٥ ص ١٤٠ « سيد شريف يمدح » الخ بدون من رجل .

قال الأصمعيّ: قال أعرابيّ يهزأ بصاحبه: اشترِ لى شاة فقماء[(١)] كأنها تضحك، مُندلِقة[(٢)] خاصِرتاها، لها ضِرْع أرقط كأنّه جَيْب؛ قال: فكيف العَطَل؟ قال: أنّى لهذه عَطَل! العطل: العُنق. يقول: من سِمَنها يُحسب أنه لا عُنق لها.

ومما تقوله العرب على ألسنة البهائم. قالت الضائنة: أولَّد رُخَالا[(٣)] وأُجَزّ جُفَالا وأُحلَب كُثَبًا ثِقالا ولم تَرمِثْلى مالا حُفَالًا[(٤)]. تقول: أُجَزّ مرّة وذلك أن الضائنة اذا جُزّت لم يسقط من صوفها شىء الى الأرض حتى يُؤتى عليه؛ والكُثَب جمع كُثْبة وهى الدُّفعةُ من اللبن، تقول: أُحْلَبُ دُفَعًا ثقالا من اللبن، وذلك لأن لبنها أدسَم وأخثَر من لبن المعز فهو أثقل.

السباع وما شاكلها

يقال: إنه ليس شىء من السِّباع أطيبَ أفواها من الكلاب[(٥)]، ولا فى الوحوش أطيب أفواها من الظِّباء. ويقال: ليس شىء أشدّ بَخَرا من أسد وصَقْر، ولا فى السباع اسبح من كلب. وليس فى الأرض فَحْلٌ من جميع أجناس الحيوان لذَكَره حَجْم ظاهر إلا الإنسان والكلب. والأسد لا يأكل الحارّ ولا يدنو من النار ولا يأكل الحامض[(٦)] وكذلك أكثر السباع. وتقول الرُّوم: إن الأسد يُذْعَر بصوت الدِّيك[(٧)] ولا يدنو من المرأة الطامِث[(٨)]. والأسدُ اذا بال شغر[(٩)] كما يشغَر الكلب؛ وهو قليل الشرب للماء، ونَجْوُه

(١) الفقم: تقدّم الثنايا العليا. (٢) فى الأصل الفتوغرافى مندلقة بالذال المعجمة والفاء، وفى الألمانية «منذلقة» بالذال المعجمة والقاف. ولعل الصواب ما أثبتناه؛ والاندلاق: الأسترخاء. (٣) الرخال: جمع رخل بالكسر وبهاء، وككتف: الأنثى من ولد الضأن. (٤) الحفال كغراب: العظيم. (٥) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٦ وهى أنسب بالسياق. وفى الأصلين: «الكلب». (٦) كذا فى العقد الفريد وفى الأصلين: «الحموضة». (٧) كذا فى النسخة الألمانية، وفى الفتوغرافية: من صوت «الذئب». وعبارة الدميرى «يفزع من صوت الديك ونقر الطست». (٨) من الطمث وهو الحيض، وعبارة الدميرى «ولا يدنو من المرأة الحائض ولو بلغ الجهد». (٩) شغر الكلب: رفع إحدى رجليه بال أو لم يبل.

يشبه نجو الكلب، ودواء عَضّته دواء عضّة الكَلْب الكَلِب . وقالوا : العيونُ التى تضىء بالليل عيونُ الأُسْد والنُّمور والسّنانير والأَفاعىّ . والعرب تقول هو «أحمقُ من جَهيزَة» وهى الذِّئبة لأنها تدع ولدها وتُرضع ولد الضَّبُع . ويقولون : الضَّبُعُ إذا صِيدت أو قُتلت عالَ الذئبُ أولادها وأتاها باللحم ؛ قال الكُمَيْت :

كما خامَرَتْ فى بيتها أمُّ عامرٍ (١) * لدى الحَبْل (٢) حتى عالَ أَوْسٌ (٣) عِيالها

أوسٌ : الذئب .

وقالوا : ثلاثة من الحيوان ترجع فى قَيْئها : الأسدُ والكلب والسِّنَّوْر ، ويقال : الضَّبّ أيضا . وأمراض الكلاب ثلاثة : الكَلَب وهو جنون، والذُّبْحة والنِّقْرِس . والعرب تقول : دماء الملوك شِفاء من عَضّة الكَلْب الكَلِب والجنونِ والخَبَل ؛ قال الفرزدق :

من الدارميّين الذين دِماؤهم * شفاء من الداءِ المَجَنَّة والخَبْل

وبلغنى عن الخليل بن أحمد أنه قال : دواء عضّة الكَلْب الكَلِب الذَّراريحُ (٤) والعدَس والشراب العتيق يُصنع ؛ وقد ذكر كيف صَنْعته وكم يُشرَب منه وكيف يُتعالَج به ؛ والكَلْبُ الكَلِبُ اذا عضّ إنسانا فربما أحاله نبّاحا مثله ثم أحبله وألقحه بأجْرٍ (٥) صغار تراها علقا فى صُوَرِ الكلاب .

(١) أم عامر : كنية الضبع .

(٢) الحبل على هذه الرواية حبل الرمل ، وروى «لذى الحبل» والمراد بذى الحبل الصائد الذى يعلق الحبل فى عرقوب الضبع .

(٣) كذا فى الأصلين وفى لسان العرب فى مادة عال . وأورده صاحب اللسان أيضا فى مادة أوس : غال أوس بالغين المعجمة وقال فى تفسيرها : يعنى أكل جراءها .

(٤) الذراريح جمع ذَرُّوح وهى دويبة حمراء منقطة بسواد أعظم من الذباب شيئا .

(٥) جمع جرو .

قال أبو اليَقْظان : كان الأســود بن أوس بن الحُمَّرة أتى النجاشيّ فعلّمـه دواء الكَلَب، فهو فى ولده الى اليوم. فمن ولده المُحِلّ. وقد داوى المُحِلّ عُتَيبةَ بن مِرداس فأخرج منه مثل جِرَاء الكلاب عَلَقًا، قال آبن فَسْوةَ (١) حين برأ :

ولولا دواء آبن المُحِلّ وعلمُـه ... هررتُ اذا ما الناسُ هرّ كَلِيبُها
وأخرجَ بعدَ الله أولادَ زارِعٍ (٢) ... مُوَلَّعةً (٣) أكتافُها (٤) وجُنوبُهـا

الكَلِيب : جمع كلب على غير قياس مثل عبد وعبيد .

وعضّ رجلا من بنى العنبر كلبٌ كَلِبٌ فبال علقا فى صُوَر الكلاب، فقالت آمرأته :

أبَالَكَ أدْرَاصًا (٥) وأولادَ زارعٍ ... وتلك لَعَمْرِى نُهْيةُ المتعجّبِ

ويزعمون أنّه يطلب المـاء أشدّ طلب، فاذا أتوه به صاح عند معاينته : لا أريد لا أريد، أو شيئا فى معنى ذلك . قالوا : وتمام (٦) حَمل الكلْبة ستّون يوما، فإن وضَعت فى أقلّ من ذلك لم تكد أولادها تعيش. وإناث الكلاب تحيض فى كل سبعة أيام؛ وعلامة ذلك أن يَرِمَ ثَفْر (٧) الكلبة ولا تُريد السِّفادَ فى ذلك الوقت . وذُكُورُ السَّلُوقيّة تعيش عشرين سنة، والإناثُ تعيش آثنتى عشرةَ سنة . وليس يُلقِى الكلب شيئا من أسنانه سوى النابَين .

قالوا : وعلامةُ سرعةِ الكلب أن يطولَ ما بين يديه ورجليه ويكونَ قصيرَ الظهر، ويوصف الكلب بصغر الرأس وطول العُنُق وغِلظها وإفراط الغَضَف (٨) وزَرَق العينين

---

(١) آبن فسوة كنية عتيبة بن مرداس، وظاهر ما فى الأصل أن البيتين لعتيبة نفسه ولكن المؤلف فى كتابه الشعر والشعراء قال : فقال فيه الشاعر، ثم ساق البيتين . (٢) زارع : اسم كلب، ومنه قيل للكلاب أولاد زارع . (٣) التوليع أن يكون فى الدابة ضروب من الألوان . (٤) فى النسخة الألمانية : «أكتافها» . (٥) جمع درص — بالفتح ويكسر — وهو ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها . (٦) فى النسخة الفتوغرافيــة «وأيام» . (٧) الثفر — بالفتح ويضم — للباع والمخالب كالحياء للناقة . (٨) الغضف : استرخاء الأذن .

وعظم المقلتين وطول الخَطْم مع اللطافة وسَعة الشِّدقين ونُتوء الحَدقة ونتوء الجَبْهة وعِرَضها، وأن يكون الشَّعر الذى تحت حَنَكه طاقةً طاقةً ويكونَ غليظا، وكذلك شعر خَدّيه . ويكونَ قصيرَ اليدين طويل الرجلين عريض الظهر طويل الصدر، فى ركبته انْحناء . ويكره للذكور طول الأذناب . ومن علامةِ الفَراهة التى لا تكاد تَخَلَّف أن يكون على ساقيه أو على أحدهما أو على رأس الذنب مِخْلَبٌ . وينبغى أن يُقطَع من الساقين . وسودُ الكلاب أعقرُها ، ولذلك أُمِر بقتلها .

قالوا : وإذا هَرِم الكلبُ أُطعِمَ السَّمْنَ مِرارا فإنه يعود كالشابّ ، وإذا حفى دُهِنت آسته وأُجِمَّ[1] ومُسِح على يديه ورجليه القَطِرانُ . وإذا بلغ أن يَشْغَر فقد بلغ الإلقاحَ . والكلب من الحيوان الذى يحتلم . قالوا[2] فى الكلبة : إنه يسفدها كلب أسود وكلب أبيض وكلب أصفر فتؤدّى الى كلّ سافدٍ شكلَه وشَبَهه .

قعد جماعة من أصحابنا يعدّون ماجاء فى الكلب من الأمثال فحفظت منه : «ألأمُ من كلبٍ على عَرْق[3]» و«أجِعْ كلبك يتبعْك» و «نَعيم كلبٍ فى بُؤس أهله» و« أسمِنْ كلبك يأ كلْك» و «أحرصُ من كلبٍ على عِقْى[4] صبيّ» و « أجوعُ من كلبةِ حَوْملَ » و «أبْولُ من كلبٍ» و «جلس فلان مَزْجَرَ الكلب» و « الكلابَ على [البقر[5]] » و «الكلبُ أحبُّ أهلِه اليه الظاعن » و« هو كالكلب فى الأذى لا يعتلف ولا يدع الدابّة تعتلف » .

(١) كذا فى الأصل الفتوغرافى ، وفى النسخة الألمانية : «أورحم» . وأُجِمّ : تُرِك ليستعيد قوّته .

(٢) فى الأصلين : «قالوا وفى الكلبة» وظاهر أن الواو زائدة .

(٣) العرق : العظم أُكل لحمه ، أو العظم بلحم .

(٤) العِقْى : أوّل حدث الصبي .

(٥) الزيادة من مجمع الأمثال ، وهو مثل يضرب عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة .

الذئب

الذئب إذا سفَد الذئبة فالتحم القَرْجان وهجم عليهما هاجمٌ قتلهما كيف شاء، إلا أنهما لا يكادان يوجدان كذلك، لأن الذئب إذا أراد السِّفاد توخّى موضعا لا يَطَؤه أنيس خوفا على نفسه . وتقول الروم: إن الذئب إذا نَهَش شاة ثم أَفْلَتَتْ منه طاب لحمها وخفّ وسلِمت من القِرْدان . قالوا : والذئب إذا رأى إنسانا قبل أن يراه الإنسان أبَحّ الذئبُ صوتَ ذلك الإنسان. وقالوا : فى طبع الذئب محبّة الدّم، ويبلغ به طبعُه أنّه يرى الذئب مثلَه قد دَمِى فيثب عليه فيُمَزّقه؛ قال الشاعر(1) :

وكنتَ كذئب السوء لمّـا رأى دَمًا * بصاحبـه يوما أحال(2) على الدّم

قالوا : والفرس إذا وطِئ أثرَ الذئب ثقُلت قائمته التى وطِئ بها . وفى كتاب علىّ رضى الله عنه إلى ٱبن عبّاس : لمّـا رأيتَ العدوّ على ٱبن عمّك قد حَرِب، والزمانَ قد كلِب، قَلبت لٱبن عمّك ظهرَ المِجَنّ بفراقه مع المفارقين، وخِذْلانه مع الخاذلين، وٱختطفْتَ ما قدَرتَ عليه من الأموال ٱختطافَ الذئب الأزَلّ(3) داميةَ المِعْزَى . ويقولون : إنّ الذئب ربمـا نام بإحدى عينيه وفتح الأخرى؛ وقال حُمَيْد بن ثَوْر :

ينام بإحدى مُقلتيــه ويتّقى * بأخرى المنايا فهو يَقْظانُ هاجعُ(4)

والذئب أشـدُّ السِّباع مطالبة، وإذا عجز عَوَى عُوَاءَ ٱستغاثة فتسامعت الذئاب فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان فتأكله؛ وليس شىء من السِّباع يفعل ذلك .

---

(1) هو الفرزدق (راجع ص ٢٦ من ديوانه طبع باريس سنة ١٨٧٠) .

(2) أحال على الدم : أقبل عليه .

(3) الذئب الأزلّ : الأرسح (الخفيف الوركين) يتولّد بين الضبع والذئب .

(4) فى العقد الفريد وغيره :

* بأخرى الأعادى فهو يقظان نائم *

الفيـــل

قالوا: لِسان الفيل مقلوبٌ طَرَفُه إلى داخل. والهند تقول: لولا أن لسانه مقلوبٌ لتكلَّم. والفيل إذا ساء خُلُقه وصَعُب[1] عَصَبوا رجليه فسكَن. وليس فى جميع الحيوان شىء لذكوره ثَدى فى صدره إلا الإنسانُ والفيلُ. والفيل المغتلِم إن سمع صوت خِنَّوص من الخنازير ٱرتاع ونفر. والفيل يفزَع من السِّنَّور. وتزعم الهنـد أن نابَىْ الفيل هما قَرْناه يخرُجان مستبطنين حتى يخرقا الحَنَك ويخرُجا أعْقَفين. وقال صاحب المنطق : ظهر فيل عاش أربعمائة سـنة . وقال حدّثنى شيخ لنا قال : رأيت فيلا أيام أبى جعفر قيـل : إنه سجد لسابور ذى الأكتاف ولأبى جعفر، والفِيلة تضعُ فى سبع سنين .

الفَهْـــد

قالوا: السِّباع تشتهى رائحةَ الفَهْد، فإذا سمِن الفهد عرَف أنّه مطلوب وأن حركته قد ثقُلت فأخفى نفسه حتى ينقضىَ الزمان الذى تسمَن فيه الفُهود. ويعترى الفهدَ داء يقال له خانقــةُ الفهود، فإذا ٱعتراه أكل العَذِرة فبرأ . والوحشىّ المُسِنّ منها فى الصيد أنفع من الجَرْو المُرَبَّب[2] .

الأرنَب

قالوا : الأرنب تحيض ولا تسمَن إلا بزيادةِ اللحم . وقَضيب الذَّكَر من الأرانب ربما كان من عَظْم، وكذلك قضيب الثعلَب . والأرنب تنامُ مفتوحةَ العين . وإنْفَحة الأرنب إذا شربتها المرأةُ من بعد أن تطهُر من المحيض مُنِعت من الحَبَل . والكَلَف[3] إن طُلِى بدم الأرنب أذهبه .

---

(١) بالأصلين : « وصعف » وظاهر أن ما أثبتناه هو الذى يلائم السياق . (٢) المربّب : الذى يربّونه لأن الجرو يخرج حبّا ويخرج المسن على التأديب صبورا غير حب . كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٦٠) . (٣) الكلف بالتحريك : شىء يعلو الوجه كالسمسم ويعرف بالنمش .

القِرْد والدُّبّ

قال : حدّثنى محمد بن خالد بن خِدَاش قال : حدّثنى سَلْم بن قُتَيبة عن هشام عن حُصَـين وأبى بَلْج عن عمرو بن ميمون قال: زَنَتْ قِرْدَةٌ فى الجاهليّة فرجَمها القرود ورجمتُها معهم . قالوا : وليس شىء يجتمع فيه الزواج والغَيرة إلا الإنسانُ والقِردُ؛ قالوا : والدِّيْسَم جِرْو الدُّبّ تضعه أمّه وهو كَفِدْرَة لحم فتهرُب به فى المواضع العالية من النَّز والنّمل حتى تشتدّ أعضاؤُه .

مصايد السباع العادية

السباع العاديّة: تُصطاد بالزُّبَى والمُغَوَّيات[1] وهى آبار تُحفر فى أنْشَاز[2] الأرض، فلذلك يقال : قد «بلغ السيلُ الزُّبَى»[3]، قال صاحب الفِلَاحة: ومما تُصاد به السباعُ العادية أن يؤخذ سَمَك من سمـك البحر البِكار السِّمان فتقطع قِطعا ثم تُشرَّح ثم تُكَتَّل كُتَلا ثم تؤجَّج نار فى غائط[4] من الأرض يقرب فيــه السباع ثم تقذف تلك الكُتَل فى النار واحدةً بعد واحدةٍ حتى ينتشر دخان تلك النار وقُتَار[5] تلك الكتل فى تلك الأرض ثم تُطرح حولَ تلك النار قطعٌ من لحم قد جعــل فيها الخَرْبَق[6] الأسود والأَفْيُون وتكون تلك النار فى موضع لا تُرَى فيه حتى تُقبِل السباع لريح القُتار وهى آمنة فتأ كل من قطع اللحم ويُغشَى عليها فيصيدها الكامنون لها كيف شاءوا .

(١) المغوّيات بفتح الواو مشدّدة : جمع المغواة وهى حفرة كالزبية تحتفر للأسد .
(٢) أنشاز جمع نشز وهو المكان المرتفع .
(٣) الزبى جمع زبية وهى الرابية لا يعلوها ماء ، وهى كذلك حفرة للأسد .
(٤) الغائط : المطمئن الواسع من الأرض .
(٥) القتـار : ريح الشواء .
(٦) الخربق بجعفر : نبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله .

النَّعَام

قالوا في الظَّليم : إن الصيف إذا أقبل وآبتدأ البُسر في الحمرة آبتـدأ لون وَظيفيه[1] بالحمرة ولا يزالان يتلوّنان و يزدادان حمرة إلى أن تنتهى حمرة البسر، ولذلك قيل له : خاضب . وفى الظليم : إنّ كل ذى رجلين إذا آنكسرت إحدى رجليه قام على الأخرى وتحامل على ظَلَعٍ غيرَه فإنه إذا آنكسرت إحدى رجليـه جَثَم ، ولذلك قال الشاعر فى نفسه وأخيه :

فإنّى وإيّاه كرِجْلَىْ نَعامــةٍ * على ما بِنا من ذى غِنًى وفقير

يقول : لا غنى بواحد منّا عن الآخر . وقال آخر :

إذا آنكسرت رجل النعامة لم تجد * على أختها نهضا[2] ولا باستها حَبْوا[3]

قالوا : وعلة ذلك أنه لا مُخّ له فى ساقيه ، وكلّ عظم فهو ينجبر إلا عظما لا مخّ فيه ؛ وزَمانِرُ[4] الشاء لا تنجبر ؛ قال الشاعر :

أَجِدَّكَ لم تَظلَعْ برِجل نعـامةٍ * ولستَ بنهّاضٍ وعظمُكَ زُمخُـرُ

أى أجوف لا مخّ فيه . والظليم يغتذى المَرْوَ والصَّخْرَ فتُذيبه قانِصتُه[5] بطبعها حتى يصيرَ كالمـاء ؛ قال ذو الرّمّة يذكره :

---

(١) الوظيف : مستدقّ الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرهما والجمع أوظفة ووُظُف .

(٢) فى العقد الفريد : ولا دونها صبرا .

(٣) كذا فى حياة الحيوان (ج ٢ ص ٤٢٠) وفى الأصل : «حبرا» .

(٤) الزمامر جمع زُمْخُرَة وهى كلّ عظم أجوف لا مخّ فيه .

(٥) القوانص للطير كالمصارين لغيرها .

ألهـاه آءٌ (١) وتَنُّـــومٌ (٢) وعُقْبَتُـــه (٣) * من لائح المَرْو والمَرْعَى له عُقَبُ

قال أبو النجم :

والمروُ يُلْقِيــه الى أمعائه * فى سَرْطَمٍ (٤) هادٍ على آلتوائه

والظليم يبتلع الجمرة وربما أُلقِى الحجَرَ فى النار حتى إذا صار كأنّه جمرة قُذِفَ به بين يديه فيبتلعه وربمـا آبتلع أوزانَ الحديد . وفى النعامة إنها أخذت من البعير المَنْسِم والوظيفَ والعُنُقَ والخِزَامةَ ؛ ومن الطائر الرِّيشَ والجناحين والمنقارَ فهو لا بعير ولا طائر ؛ وقال أوس بن حَجَر :

وتَنْهَى ذوى الأحلام عنّى حُلومُهم * وأرفـعُ صـــوتى للنَّعام المخـــزَّم

جعله مخزَّما للخَرْقين اللذين فى عَرْض أنفـه فى موضع الخِزَامة من البعير . قال يحيى بن نَوْفَل :

ومثـــل نعامةٍ تُدعَى بعــيرًا * تُعَاصِينا (٥) إذا ما قيــلَ طيرى

فإن قيـــل آحمِلى قالت فإنى * من الطير المُرِبّة (٦) فى الوُكُور

وتقول العرب فى المثل : هذا «أمْوَقُ من نعامةٍ» وذلك أنها ربما خرجت لطلب الطُّعْم فمرّت ببَيض نعامة أخرى فحضنته وتركت بيضها ؛ ولذلك قال الشاعر وهو آبن هَرْمةَ :

(١) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . (٢) قال آبن سيده : التنوم : شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع ، ويتفلّق عن حب يأكله أهل البادية ؛ وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق ، وواحدته تنومة . (٣) قال فى اللسان : وعُقبة الماشية فى المرعى أن ترعى الخُلّة عُقْبة ثم تحوّل الى الحَمْض ، فالحمض عُقْبتها ، وكذلك اذا حوّلت من الحمض الى الخلة ، فالخلة عقبتها . (٤) لسرطم : البلعوم . (٥) كذا فى حياة الحيوان للدميرى . وفى الاصل «تعاظمنا» . (٦) المربّة : المقيمة ؛ وفى حياة الحيوان (ج ٢ ص ٤١٨) «المرفّه» .

وإنى وتركى ندى الأكرمين * وقـدْحى بكفّى زندا شَحَاحا
كتاركةٍ بيضَها بالعـراء * ومُلْبِسةٍ بيضَ أخرى جَناحا

وقال سَهْم بن حَنْظَلة :

إذا ما لقيتَ بنى عامرٍ * رأيتَ جفـاء ونُوكًا(١) كبيرا
نعـامٌ تمُـدُّ بأعنـاقها * ويمنعُها نُوكُها أن تَطِـيرا

ويُضربُ بها المثل فى الشِّراد والنِّفار، قال بِشر بن أبى خازم :

وأما بنو عامرٍ بالنِّسار(٢) * فكانوا غَداةَ لَقُونا نَعاما

يُريد: مرّوا منهزمين . وربمـا حضنت النعامةُ أربعين بيضة أو نحوها وأخرجت ثلاثين رألا ؛ قال ذو الرمّة :

كأنه(٣) خاضب بالسِّىِّ(٤) مَرتَعُه * أبو ثلاثين أمسَى وهو مُنقلِب

والبواقى من بيضها الذى لا تَنْقُفه(٥) يقال لها : التَّرائكُ . وأشدُّ ما يكون الظليم عدْوا إذا آستقبل الريح لأنه يضع عُنقه على ظهره ثم يَخْرِق الريح وإذا آستدبرها كبَّته من خلفه . والنعامة تضع بيضها طولا ثم تغطّيها كلَّ بيضةٍ بمـا يصيبها من الحضن ؛ قال آبن أحمر :

* وُضِعنَ وكُلُّهنّ على غِرارِ *

وقال آخر :

* على غِرارٍ كآستواء المِطْمَر *

(١) النوك : الحمق . (٢) النسار : موضع ، وقيل : هو ماء لبنى عامر ، ومنه يوم النسار لبنى أسد وذبيان على جشم بن معاوية . (٣) كذا فى الأصل الفتوغرافى . وفى لسان العرب فى مادة «خضب» «أذاك أم خاضب ... الخ» وهى رواية الديوان ، يعنى : أذاك الثور الذى وصفته يشبه ناقتى فى سرعتها أم ظليم هذه صفته . (٤) السىّ : الفلاة . (٥) نقفت النعامة البيضة : ثقبتها وآستخرجت مافيها .

والمِطمَر خيط البَنّاء، إلا أن ثعلبة بن صُعَير خالف ذلك فقال يذكر الظليم والنعامة :

فتذكّرا ثَقَلًا[١] رَثيدا بعـد ما * ألقت ذُكاءُ يمينَها فى كافر[٢]

والرثيد : المنضود بعضه على بعض . قالوا : الوَحش فى الفلَوات ما لم تَعرف الإنسانَ ولم تره لا تَنفِرُ منه إذا رأته خلا النعامَ فإنه شارد أبدا؛ قال ذو الرمّة :

وكلّ أحَـمّ[٣] المقلتين كأنّه * أخو الإنس من طُول الخلاء المغفَّل[٤]

يريد : أنه لا ينفِرُ من الناس لأنه فى خَلاء ولم يرأحدًا قبل ذلك . وقال الأحيمر السعدىّ : كنتُ حين خلعنى قومى وأطلّ السلطان دَمى وهرَبتُ وترددتُ فى البوادى ظننتُ أنى قد جُزت نُخل وَبار أو قريب منها، وذلك أنى كنت أرى النَّوى فى رَجْع الذئاب وكنت أغشَى الظباءَ وغيرَها من بهائم الوَحش فلا تنفِرُ منّى؛ لأنها لم تر أحدا قبلى وكنت أمشِى الى الظبى السَّمين فآخذُه، وعلى ذلك رأيتُ جميعَ تلك الوحوش إلا النعامَ فإنه لم أره قطّ إلا نافِرًا فَزِعا .

الطـــير

قال حدّثنى زياد بن يحيى قال حدّثنا أبو عَتّاب قال حدّثنا طلحة بن يزيد الشامىّ عن بقِيّة بن الوليد عن عبد الله بن أبى كبشة عن أبيه قال : كان النبىّ عليه السلام يُعجبه أن ينظر الى الأُترُجّ والى الحَمام الأحمر .

حدّثنى الرياشىّ قال : ليس شىء يغيبُ أذناه إلا وهو يبيض؛ وليس شىء يظهر أذناه إلا وهو يلِد، وروى ذلك عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

---

(١) الثقل بالتحريك : متاع المسافر وحشمه . (٢) ذكاء : هى الشمس، والكافر هو الليل، من الكفر وهو الستر والتغطية؛ يريد أنهما تذكرا متاعهما بعد الغروب . (٣) أحم : أسود . (٤) المغفّل : المجهول، وفى الأصلين «المعقل» والتصويب عن الديوان .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن جريج قال ابن شهاب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أربع لا يُقتَلن النملةُ والنحلةُ والهُدهُد والصُّرَد"[1] . بلغني عن مكحول قال : كان من دعاء داود النبيّ عليه السلام : يا رازقَ النَّعّاب في عُشّه . وذلك أن الغراب اذا فَقَص عن فِراخه خرجت بيضا فإذا رآها كذلك نَفَر عنها فتفتحُ أفواهَها ويُرسلُ الله لها ذُبابا فيدخُلُ في أجوافها فيكون غِذاءَها حتى تسوَدّ ، وإذا اسودّت عاد الغراب فغَذّاها ويرفعُ اللهُ عنها الذبابَ .

قال حدّثني أحمد بن الخليل عن محمد بن عباد عن الوليد بن كثير عن عبد الملك ابن يحيي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تَطرُقوا الطيرَ في أوكارها فإنّ الليلَ أمانُ الله" .

حدّثني أبو سفيان الغَنَويُّ عن معاويةَ بن عمرو عن طلحةَ بن زيد عن الأحوص ابن حكيم عن خالد بن مَعْدانَ عن رجل من الأنصار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الدِّيك الأبيضُ صَديقي وصديقُ صَـديقي وعدوّ عدوّ الله يحرُسُ دارَ صاحبه وسبعَ أَدْوُرٍ"[2] . وكان النبيّ عليه السلام يُبيته معه في البيت .

قالوا : الطير ثلاثة أضرب ، بهائمُ الطير وهو ما لقط الحبوبَ والبزورَ؛ وسباعُ الطير وهي التي تغتذي اللحمَ؛ والمشتركُ وهو مثلُ العصفور يشارك بهائمَ الطير في أنه ليس بذي مِخْلَب ولا مِنْسر وإذا سقط على عود قدّمَ أصابعه الثلاث وأخّر الدّابرة . وسـباعُ الطير تُقدّم إصبعين وتُؤخّر إصبعين ويشارك سـباعَ الطير بأنه يُلْقِمُ فراخَه ولا يَزُقّ وأنه يأكل اللحمَ ويصطاد الجرادَ والنملَ .

(١) الصرد : طائر أبقع أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار له مخلب يصطاد العصافير وصغار الطير ويكنى بأبي كثير . (٢) هـذا الحديث موضوع وقد نبّه عليه ابن الجوزي وملّا على القـاري في موضوعاتهما (راجع موضوعات ملّا على القاري ضمن مجموعة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٤ حديث) .

قالوا: والعصفورُ شديدُ الوطء، والفيلُ خفيفُ الوطء، والورَشَانُ يَصرَعُ فى كلّ شهرٍ مرةً. قالوا: وأسوأ الطيرِ هدايةً[1] الأسودُ، والأبيضُ لا يجيء من الغاية لضعف قوّته وأجودُها هدايةً الغُبْر والنُّمْر.

قال صاحب الفِلاحة: الحَمَام يُعجَبُ بالكمّون ويألفُ الموضعَ الذى يكون فيه الكمّونُ، وكذلك العدَسُ ولاسيما اذا أُنقِعَا فى عصيرٍ حلو. ومما يَصلُحن عليه ويكثُرنَ أن تدخّنَ بيوتُهن بالمِلْك، وأسلم مواضعها وأصلحُها أن يُبنَى لها بيتٌ على أساطين خشَب ويُجعلَ فيه ثلاثُ كُوًى: كُوّةٍ فى سَمْك البيت وكُوّة من قِبل المشرِق وكوّة من قِبل المغرِب، وبابانِ من قِبل مَهبّ الجَنوب. قال: والسَّذَاب[2] اذا أُلقِىَ فى البرج تحامتْه السَّنانيرُ البرّيّة.

حدّثنى ٱبن أبى سَعد عن علىّ بن الصَّبّاح عن أبى المنذر هشام بن محمد قال: حدّثنى الكلبىّ أن أسماءَ كَنائنِ[3] نوح إذا كُتبن فى زوايا بيت حَمَام نَمت الفروخُ وسلمت من الآفات. قال هشام: قد جرَّبته أنا وغيرى فوجدته كما قال أبى. قال[4]: وٱسم امرأة سام بن نوح «مَحْلَثْ مَحْو»، واسم ٱمرأة حام «أَذْنَف نشا»، وٱسم ٱمرأة يافث «زَدْقَت نبث».

قالوا: وأمراض الحمام أربعة: الكُبَادُ[5] والخُنَانُ[6] والسّلّ والقُمّلُ، فدواء الكُبَاد الزعفرانُ والسكّر الطَّبَرْزَذُ[7] وماء الهِندَباء[8] يجعلُ فى سُكُرّجةٍ[9] ثم يُمَجّ فى حَلْقه قبل أن يلتقِطَ شيئا.

(١) فى الأصلين: الغابة، والتصويب عن كتاب الحيوان للجاحظ. والغاية الموضع الذى يرسل اليه الحمام المدرّب على إبلاغ الرسائل. (٢) السذاب: اسم نبات له خواص وطبائع ذكرها ٱبن البيطار فى مفرداته (راجع ج ٣ ص ٥). (٣) الكنائن: جمع كنة بالفتح، وهو جمع نادرة كأنهم توهّموا فيه فعيلة ونحوها مما يكسر على فعائل. والكنة امرأة الأبن أو الأخ. (٤) عبارة العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٥) وٱسم ٱمرأة سام بن نوح «محلت محم» وٱسم ٱمرأة حام «نفس نشا» وٱسم ٱمرأة يافث «فالى». (٥) الكباد كغراب: وجع الكبد. (٦) الخنان: داء يأخذ الطير فى حلوقها. (٧) الطبرزذ: السكر الأبيض الصلب. (٨) الهندباء: بقل معروف يؤكل، له مضار ومنافع ذكرها ٱبن البيطار فى مفرداته، وداود الأنطاكى فى تذكرته. (٩) السكرّجة: الصحفة.

ودواءُ الخُنَانِ أن يُلَيِّن لسانُه يوما أو آثنين بِدُهْنِ البَنَفْسَجِ ثم بالرّماد والملح و يُدلكَ بهما حتى تَنْسَلِخَ الجلدةُ العليا التى غَشِيَت لسانَه ثم يُطْلَى بعسلٍ ودهنِ ورد حتى يبرأ . ودواء السِّلِّ أن يُطعمَ المَاشَ(1) المقشورَ ويُمَجّ فى حلقه لبنٌ حليبٌ ويُقطعَ من وظيفيه عرقان ظاهرانِ فى أسفل ذلك مما يلى المَفصل . ودواء القُمَّلِ أن تُطلَى أصولُ ريشه بالزَّنبق(2) المخلوط بدهن البنفسَج، يُفعلُ به ذلك مرارا حتى يسقط قملُه ؛ ويُكنسُ مكانُه الذى يكون فيه كنسا نظيفا .

قالوا : والطيرُ الذى يخرجُ من وكره بالليل البومةُ والصّدَى والهامةُ والضُّوَعُ(3) والوَطواطُ والخُفَّاشُ وغرابُ الليل . قالوا : إذا خرج فرخُ الحمامةِ نفخ أبواه فى حَلقه الريحَ لتتسعَ الحَوْصَلَة من بعد آلتحامها وتَنبثِقَ ، فإذا آتسعت زَقّاه عند ذلك اللُّعابَ ثم زقّاه سورج(4) أصول الحيطانِ ليدبُغَا به الحوصلةَ ، ثم زقّاه بعدُ الحبَّ .

قال المُثَنَّى بن زهير : لم أر شيئا قطّ فى رجل وآمرأة إلا وقد رأيتــه فى الحمام ، رأيت حمامةً لا تريد إلا ذكرها ، ورأيت حمامة لا تمنع شيئا من الذكور ، ورأيت حمامةً لا تَزِيفُ(5) إلا بعد شدّة طلب ، ورأيت حمامة تَزيفُ للذكر ساعةَ يطلبُها ، ورأيت حمامة وهى تُمكّن آخَرَ ما تعــدُوه ، ورأيت حمامة تَقمُطُ حمامةً ، ورأيت حمامة تقمِط الذكرَ ، ورأيت ذكرا يَقمطُ الذكرَ ، ورأيت الذكر يقمطُ مالقِىَ ولا يُزاوِجُ ، ورأيت ذكرا له أنثيان يحضُنُ مع هذه وهذه و يزُقّ [مع](6) هذه وهذه .

---

(1) الماش : حبّ مدوّر أصغر من الحمص أسمر اللون يميل إلى الخضرة يؤكل مطبوخا وأجوده الهندىّ ثم اليمنىّ وأردؤه الشامىّ . (2) الزنبق بالنون : دهن الياسمين . وفى النسخة الالمانية «الزيبق» بالياء . (3) الضوع : طائر من طير الليل ، قيل هو الكروان ، وقيل هو ذكر البوم . (4) كذا بالأصلين ، ولعله «الصاروج» وهو الكلس تبنى وتطلى به حيطان البيت . وفى «كتاب الحيوان» للجاحظ (ج ٣ ص ٤٧) « فيأكلان من صروح الحيطان وهى شىء بين الملح والحمض وبين التراب الخالص فيزقّان الفرخ... الخ » . (5) فى اللسان : الحمامة تزيف بين يدى الحمام الذكر، أى تمشى مدلة . (6) الزيادة عن «كتاب الحيوان للجاحظ» .

البيض

قالوا : والبيض يكونُ من أربعة أشياءَ : منه ما يكونُ من السفاد، ومنه ما يكون من التراب، ومنه ما يكون من نسيم الريح يصل إلى أرحامها، ومنه شيء يعترى الحَجَل(١) وما شاكله فى الطبيعة، فإن الأنثى منه ربما كانت على سُفَالةِ الريح التى تَهُبُّ من شِقِّ الذكر فى بعض الزمان فتحتشى من ذلك بيضا، وكذلك النخلة تكون بجنب الفُحّال(٢) وتحت ريحه فتلقحُ بتلك الريحةِ وتكتفى بذلك، والدّجاجةُ اذا هَرِمَت لم يكن لبيضها مُحٌّ، وإذا لم يكن للبيضة مُحٌّ لم يُخلَق فيها فرخٌ، لأنه لا يكون له طُعْم يغذوه؛ والفرخ والفرّوج يُخلَقان من البياض وغذاؤهما الصُّفرة، وإذا باضت الدجاجةُ بيضتين فى اليوم كان ذلك من علامات موتها، والطائر إذا نُتف ريشُه آحتبس بيضُه وإذا سَمِع صوتَ الرعدِ الشديد .

الخُفَّاش

قالوا : عجائبُ الخُفَّاش(٣) أنه لا يُبصر فى الضوء الشديد ولا فى الظلمة الشديدة وتَحبَلُ وتَلِد وتَحيضُ وتُرضِعُ وتَطيرُ بلا ريش، وتحملُ الأنثى ولدَها تحت جناحها وربما قبضتْ عليه بفيها خوفا عليه، وربما ولدت وهى تطير. ولها أذنانِ وأسنانٌ وجناحان متصلان برجليها، وأبصارُها تصحّ على طول العمر، وإنما يظهر فى القمر منها المسنّاتُ، وقال بعض الحكماء : الخفّاش فأر يطير .

---

(١) الحَجَل بالتحريك : طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البرّ . (راجع حياة الحيوان للدميرى ج ١ ص ٢٨٤) .

(٢) الفحال : ذكر النخل خاصة .

(٣) الخفاش مشتق من الخفش وهو ضعف فى البصر، وضيق فى العين، وقيل : هو فساد فى جفن العين وآحمرار تضيق له العيون من غير وجع ولا قرح .

الخُطَّـافُ والزُّرزُورُ

قالوا : الخُطَّافُ[١] والزُّرزُورُ[٢] يتبعُ الربيعَ حيث كان . قالوا : وتُقلَعُ إحدى عينيه فترجعُ . والزُّرزورُ لا يَمشى ومتى وقع بالأرض لم يَستقلَّ[٣] وأُخِذ ، وإنما يُعشِّشُ فى الأماكن المرتفعة فإذا أراد الطيرانَ رمى بنفسه فى الهواء فطار ، وإذا أراد أن يشربَ الماءَ انقضَّ عليه فشرب منه اختلاسًا من غير أن يَسقُطَ بالأرض .

العُقَابُ والحِدَأةُ

قالوا : العُقابُ تبيض ثلاثَ بيضات فى أكثر حالاتها فإذا فرّخت غَذَّت اثنين وباعدت عنها واحدا فيتعهدُ فرخَها طائرٌ يقال له : كاسرُ العظام[٤] ، ويغذُوه حتى يَكبَرَ ويَقوَى . وقال صاحب الفلاحة : العُقابُ والحِدَأةُ يتبدَّلانِ فتصيرُ العقابُ حِدَأةً والحِدَأةُ عقابا ، قال : وكذلك الأرانبُ تتبدَّل[٥] فيصيرُ الذكر منها أنثى وتصيرُ الأنثى ذكرا . قال صاحب المنطق : العُقاب إذا اشتكت كَبِدَها مِن رفعها الثعلبَ والأرنبَ فى الهواء وحَطِّها لذلك وأشباهه تعالَجَتْ بأكل الأكباد حتى تبرأَ .

---

(١) الخطاف : العصفور الأسود . وهو الذى تدعوه العامة عصفور الجنة .

(٢) الزرزور بضم الزاى : طائر من نوع العصفور سمى بذلك لزرزرته أى تصويته .

(٣) أى لم ينهض .

(٤) كاسر العظام : طائر يسمى « المكلفة » لأن العقاب لما كانت سيئة الخلق تبيض ثلاث بيضات فتخرج فراخها وتلقى واحدا منها فيأخذه هذا الطائر الذى يتكلف به . (راجع حياة الحيوان للدميرى ج ٢ ص ٢٨٧) .

(٥) فى الأصلين « يتدلان » .

الغـــراب

الغِربانُ لا تقربُ النخلَ المواقيرَ(١) وإنمـا تسقطُ على النخل المصرومة(٢) فتلقُط ما يسقط من التمر فى القِلَبة(٣) وأُصول الكَرَب(٤). وعلى إناث الغربان الحَضْنُ وعلى الذكور أن تأتىَ الإناثَ بالطُّعْم * والإوَزَّةُ دون الذكر(٥) * والغربانُ أكتم شىء للسِّفاد .

القَطَـا

قالوا : والقطا لا تضعُ بيضَها أبدا إلا أفرادا ؛ قال أبو وَجْزَةَ :

وهُنَّ يَنْسُبْنَ وَهْنًا(٦) كلَّ صادقة * باتت تُباشِرُ عُرْمًا(٧) غيرَ أزواجِ

الحيوانُ الذى لا يصلُحُ شأنه إلا برئيس أو رقيب : الناسُ، والغرانيقُ(٨)، والكَراكِى والنحل؛ فأما الإبلُ والبقر والحمير فتتخذُ رئيسا من غير رقيب .

باب مَصَـايد الطير

قال صاحب الفـلاحة : مَنْ أراد أن يحتالَ للطير والدّجاج حتى يتحيّرنَ ويُغْشَى عليهنّ حتى يَصِيدَهنَّ عَمَد إلى الحِلتيت(٩) فداقَه بالمـاء ثم جعل فى ذلك المـاءِ شيئا من عَسل ثم أَنقعَ فيه بُرًّا يوما وليلة ثم ألقى ذلك البرَّ للطير فإنهـا إذا التقطته تحيّرت

(١) النخل المواقير: الكثيرة الحمل . (٢) المصرومة من صرم النخل إذا جزّه وقطعه . (٣) القِلَبة جمع قُلْب وهو شحمة النخل ولبه أو أجود خوصه . وفى التهذيب : القلب بالضم : السعف (جريد النخل أو ورقه) الذى يطلع من القلب (راجع شرح القاموس مادة «قلب») . (٤) الكرب بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض . (٥) وردت هذه الجملة فى الأصلين هكذا ولا علاقة لها بالسياق . ولعلها زائدة من الناسخ . (٦) كذا فى الأصلين ؛ وفى اللسان فى مادة «عرم» وفى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ١٦٦) : ما زلن . (٧) العرم : بيض القطا . (٨) الغرانيق : الذكور من طيور المـاء سود وقيل بيض وهى فى قدر البط . (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢١٥) . (٩) الحلتيت : صمغ الأنجذان بفتح الهمزة وضم الجيم وهو نبات أسود وأبيض وأصله أغلظ من الإصبع يتفرّع كثيرا وله قرون كقرون اللوبياء فيها بذر كالعدس أسود حارّ وأبيض لطيف .

وغُشِيَ عليها فلم تقدر على الطيران إلا أن تُسقَى لبنا خالطه سمنٌ. قال : وإن عُمِد إلى طَحين بُرٍّ غير منخول فعُجِنَ بخمر ثم طُرِحَ للطير والحَجَل فأكلن منه تحيرن. وإن جُعِل خمرٌ فى إناء وجُعِلَ فيه بَنْجٌ فشربنَ منه غُشِيَ عليهن. قال : ومما يُصادُ به الكراكى وغيرها من الطير أن يُوضَعَ لهن فى مواقعهن إناءٌ فيه خمر وقد جُعِلَ فيه خَرْبَقٌ أسودُ وأُنقِع فيه شعيرٌ فإذا أكلنَ منه أخذهنّ الصائدُ كيف شاء .

قال غيره : ومما تُصادُ به العصافيرُ بأسهلِ حيلةٍ أن تُؤخذَ شبكةٌ(١) فى صورة المحبرة اليهودية المنكوسة ويُجعلَ فى جوفها عصفورٌ فتنقضّ عليه العصافيرُ ويدخلن عليه وما دخل منها لم يقدر على الخروج فيصيدُ الرجلُ فى اليوم الواحد مائتين وهو وادعٌ. قال : ويُصادُ طيرُ الماء بالقَرْعَة وذلك أن تُؤخذَ قَرْعَةٌ يابسةٌ صحيحةٌ فيُرمَى بها فى الماء فإنها تتحرّك فإذا أبصرها الطيرُ تتحرّك فَزِعَ فإذا كثُر ذلك عليه أَنِسَ حتى لربما سقط عليها، ثم تُؤخذَ قَرعةٌ فيُقطعَ رأسُها ويُخرقَ فيها موضعُ عينين ثم يُدخِلَ الصائدُ رأسَه فيها ويَدخُلَ الماءَ فيَمشى إليها مشيا رُويدًا فكلّما دنا من طائر أدخَلَ يده فى الماء فقبضَ على رجليه ثم غمسه فى الماء ثم دَقّ جناحَه وخلّاه فيبقى طافيا فوق الماء يَسبَحُ برجله ولا يُطيقُ الطيرانَ، وسائرُ الطير لا يُمكنُ انغماسُه فإذا فرَغ من صيد ما يُريد رَمَى بالقَرعةَ ثم يلتقطُها ويحملُها .

الحَشَــــرات

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا عبد الله بن الربيع قال : أخبرنا هشام بن عبد الله عن قتادة عن عبد الله بن عمرو أنه قال : الفأرةُ يهوديةٌ ولو سقيتَها ألبانَ الإبل ما شَرِبتْها، والفأر أصناف : منهن الزِّباب(٢) وهو أصمّ؛ قال الحارثُ بنُ حِلِّزةَ :

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٨) وفى الأصلين : «تؤخذ سَلّة فى صدرها المحبرة» وفى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ٧٦) «يعملون لها مصيدة ويجعلون لها بنية فى صورة المحبرة التى يقال لها اليهودية المنكوسة الأنبوبة» . (٢) جمع زبابة وهى كما قال الدميرى فى حياة الحيوان : فأرة برية تسرق ما تحتاج اليه وما تستغنى عنه .

وهُمُ زَبَابٌ حائِـرٌ * لاتسمعُ الآذانُ رعدًا[1]

والخُلْدُ وهو أعمى؛ وتقول العرب : هو «أسرقُ من زَبَابَة» ، وفارةُ البِيش ، والبيش سمٌّ قاتل؛ ويقال: هو قرونُ السُّنبل، وله فأرة تغتذيه لاتأكل غيره، ومن غير هذا فأرةُ المسك وفارةُ الإبل[2][فاحت][3] أرواحُها إذا عَرِقت . قالوا : ومن الحيات مايقتُل ولايخطئ : الثُّعبانُ والأفعى والهِنديَّةُ؛ فأما سِوى هذه فإنما يقتُل بما يمُدّه من الفزع ، لأنه إذا فَزِع تفتّحت مَنافسه فوَغَل السّم الى مواضع الصَّميم وعُمقِ البدن . فإن نَهَشت النائمَ والمُغمَى عليه والطِّفلَ الصغيرَ والمجنونَ الذى لا يَعقِلُ لم تَقتل .

وأذناب الأفاعى تُقطَع فتَنبتُ ونابها يُقطعُ بالعُكّاز[4] فينبُتُ حتى يعود فى ثلاث ليال؛ والحيّة إن نُفِث فى فيها حُمّاض الأُتْرُجّ وأُطبِق لَحْيُها الأعلى على الأسفل لم تَقتُلْ بعضّتها أياما صالحة . ومن الناس من يبصُق فى فم الحيـة فيقتلُها بريقه، والحيّات تكره ريحَ السَّذَابِ والشِّيح، وتُعجَبُ باللُّفّاح[5] والبِطِّيخ والحُرُف[6] والخَردل المُوَخف[7] واللبن والخمر، وليس فى الأرض حيوانٌ أصبرُ على جوع من حيةٍ؛ ثم الضَّبُّ بعدها ، فإذا هرِمت صغُرت فى بدنها وأقنعَها النسيم ولم تشته الطعامَ، ولذلك قال الراجز :

* حاريةٌ[8] قد صَغُرت من الكِبر *

---

(١) أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد . (٢) اختلف فى فارة الإبل وفارة المسك؛ هل يهمزان أو لايهمزان؟ فذكر صاحب القاموس فأرة المسك فى «ف أ ر» وقال : أو الصواب إيرادها فى «ف و ر» لفوران رائحتها . وفارة الإبل فى «ف و ر» وعلله الصاغانى بأن فارة الإبل من الفوران قطعا؛ وأورد المرتضى فارة الإبل فى « ف أ ر» مستدركا به على صاحب القاموس . (٣) زيادة فى النسخة الألمانية، وهى ساقطة فى الأصل الفتوغرافىّ، ولعلها «فَوّح»، ففى القاموس والّلسان مادة «فور» : «وفارة الإبل فَوْح جلودها اذا نَدِيَتْ بعد الوِرْد» أى فاحت منها رائحة طيبة . (٤) العكاز : عصا ذات زُجّ . (٥) اللفاح : نبات يقطينىّ أصفر شبيه بالباذنجان طيّب الرائحة . (٦) الحرف بالضمّ : حب الرشاد . (٧) الموخف : المعجون . (٨) فى الأصل جارية، والتصويب عن المخصص (ج ٨ ص ١٠٩) والحارية اسم للأفعى، لأن جسمها قد حَرَى أى نقص من طول العُمُر .

وقال صاحب الفلاحة : إن الحية إن ضربتَها بقَصَبة مرة أوهَنتْها القَصبةُ فى تلك الضربة وحيرتْها ، فإن ألححتَ عليها بالضرب آنسابت ولم تكترث . قال : ومن جيّد ما يُعالَجُ به الملســوعُ أن يُشَقّ بطنُ الضّفدَع ثم يُرفَد به موضِعُ لسعة العقرب . والضّفدَع لا يَصيحُ حتى يُدخِلَ حنكه الأسفلَ فى المـاء ، فإذا صار فى فِيه بعضُ المـاء صاح ، ولذلك لا تَسمع للضفادع نقيقا إذا خرجن من المـاء ، قال الراجز :

يُدخِلُ فى الأشداق ماءً يَنْصِفُهْ (١) * حتى يَنِقّ والنقيقُ يُتلِفُهْ

يريد أن النقيقَ يدلّ عليه حيةَ البحر ، كما قال الآخر :

ضَفادعُ فى ظلماءِ ليلٍ تجاوبتْ * فدلّ عليها صوتُها حيّةَ البحر

وقال فى السَّبخ : إنه إن آنخرق فيه خرق بمقدار منخر الثور حتى تدخلَه الريحُ آستحال ذلك السبخ ضفادعَ . والضّفادع لا عِظام لها ، ويُضرب بها المثلُ فى الرَّسَح (٢) ، فيقال : «أرسحُ من ضِفدَع» و«أجحظُ عينًا من ضِفدِع» .

قالوا : وكل شىء يأكل فهو يحرّك فَكَّه الأسفل إلا التمساحَ فإنه يُحرّكُ فكه الأعلى . وبمصر سمكٌ يقال له الرَّعّادُ ، مَنْ صاد منه سمكةً لم تزل يده تَرعَدُ وتنتفضُ ما دام فى شبكته أو شِصّه (٣) . والجُعَلُ (٤) إذا دفنتَه فى الوَرد سَكنتْ حركتُه حتى يَتوهّم مَن رآه أنه قد مات ؛ فإذا أعدتَه الى الروث تحرّك ورجع فى حِسّه . والبعيرُ إذا آبتلع

(١) فى الأصلين "ينصفه" والتصويب عن حياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ١٠٢) قال : وليس المراد هنا العدل بل المراد حتى يبلغ نصف فكه الأعلى . (٢) الرَّسَحُ : خفّة لحم العَجُز والفخذين . (٣) الشص بالكسر والفتح : حديدة عقفاء يصاد بها السمك | وهى المعروفة بالصنارة | . (٤) الجعل كصرد ، والناس يسمونه « أبا جعران » وهو دويبّة تعض البهائم فى فروجها فتهرب ، وهو أكبر من الخنفساء ، شديد السواد ، فى بطنه لون حمرة ، يوجد كثيرا فى مَراح البقر والجواميس ومواضع الروث ، ويتولد غالبا من أخثاء البقر ، ومن شأنه جمع النجاسة وآدّخارها . ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب فإذا أعيد الى الروث عاش (راجع حياة الحيوان ج ١ ص ٢٤٤) .

فى علّفه خنفساءَ قتلته إن وصلت الى جوفه حيةً . وأطولُ شىء ذَمَاءً[١][٢] الخنفساءُ فإنها يُسرج[٣] على ظهرها فتصبرُ وتمشى .

والضبُّ يُذْبَحُ فيمكث ليلةً ثم يُقرَّبُ من النار فيتحرّك . والأفعى إذا ذُبحت تبقى أياما تتحرّك وإن وطئها واطئٌ نهشته ، ويُقطعُ ثلثُها الأسفلُ فتعيشُ وينبتُ ذلك المقطوعُ . والكلبُ والخنزيرُ يُجرَحانِ الجرحَ القاتلَ فيعيشانِ .

قالوا : وللضبّ ذكرانِ وللضبّة حِرانِ ، خبّرنى بذلك سهل عن الأصمعىّ أو غيره . قال : ويقال لذكره نِزْكٌ وأنشد :

سِبَحْلٌ[٤] له نِزْكانِ كانا فضيلةً * على كلّ حافٍ فى البلاد[٥] وناعلِ

وكذلك الحِرذَونُ[٦] . والذِّبّانُ[٧] لا تقربُ قِدرا فيها كَمْأةٌ[٨] . وسَامٌّ أبرصَ لا يدخل بيتا فيه زعفرانٌ . ومَنْ عضّه الكلبُ الكَلِبُ احتاج الى أن يستر وجهه من الذّباب لئلا يسقطَ عليه . وخُرطومُ الذباب يده ، ومنه يُغَنّى ، وفيه يُجرِى الصوتَ كما يُجرِى الزامرُ الصوتَ فى القصبةِ بالنفخ .

---

(١) وعبارة الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ١٦٠) : «وقال لى الفضل العنبرى : يقولون للضب أطول شىء ذماء ، والخنافس أطول منه ذماء ؛ وذلك أنه يعرز فى ظهرها شوكة ثاقبة وفيها ذبالة تستوقد وتصبح لأهل الدار وهى تدبّ بها وتجول» . (٢) الذماء ممدود : بقيّة النّفْس . (٣) يسرج : يوقد .

(٤) السبحل كقمطر : الضخم . (٥) فى اللسان مادة نزك «فى الأنام» . وذكر هـذا البيت ضمن أبيات قالها حُمرانُ ذو الغُصّة يصف بها ضِبابا أهداها لخالد بن عبد الله القسرى .

(٦) الحرذون بكسر الحاء و بالذال المعجمة : دويبّة شبيهة بالضب ، وقيل هو ذكر الضب ، لأن له ذكرين مثله وهو من ذوات السموم له كف ككف الإنسان مقسومة الأصابع الى الأنامل (راجع حياة الحيوان) .

(٧) جمع الذباب . (٨) الكمْأة : نبات يقال له شحم الأرض ، والعرب تسميه : «جدرىّ الأرض» وقيل هو أصل مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه الى الحمرة ، يوجد فى الربيع تحت الأرض وهو عديم الطعم ، وأنواعه كثيرة ، يؤكل نيئه ومطبوخه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٧٨) .

قالوا : ليس شيء يَدَّخِرُ إلا الإنسانُ والنملةُ والفأرةُ . والذَّرّةُ[1] تدّخرُ فى الصيف للشتاء فإذا خافت العَفَنَ على الحبوب أخرجتها الى ظاهرِ الأرض فشَرَّرتْها[2] ، وأكثرُ ما تفعلُ ذلك ليلا فى القمر. فإن خافت أن ينبتَ الحبُّ نقرت وسطَ الحبة لئلا تنبتَ . والسُّلَحْفاةُ اذا أكلت أفعى أكلت سَعْتَرًا[3] جَبَليا . وٱبنُ عِرْسٍ إذا قاتل الحيةَ أكل السَّذَابَ . والكلابُ إذا كان[4] فى أجوافها دود أكلت سُنبلَ القمح . والأيِّلُ[5] اذا نهشته الحيةُ أكل السَّراطينَ[6] . قال ٱبن ماسويه : فلذلك يُظَنّ أن السراطينَ صالحة لمن نُهِشَ من الناس. والوَزَغ[7] يُزاقُّ الحيّاتِ ويُقارِبُها[8]، ويَكرع فى اللبن والمَرَق ثم يمجّ فى الإناء. وأهلُ السِّجْنِ[9] يعملون من الوزغ سمًّا أنفذَ من[سم][10] البِيشِ ومن ريق الأفاعى ، وذلك أنهم يُدخلون الوزغةَ قارورةً ثم يَصُبُّون فيها من الزيت ما يغمُرها ويضعونها فى الشمس أربعينَ يومًا[11] حتى تتهرّأَ[12] فى الزيت ، فإن مُسِحَتْ على اللُّقمةِ منه مَسحةٌ وأكله آكل مات من يومه .

(١) الذرة واحدة الذر وهى صغار النمل . (٢) شررتها : نشرتها فى الشمس لتجف .

(٣) السعتر نبات طيب الرائحة حريف ، زهره أبيض الى الغبرة . ويقال له الصعتر بالصاد ، وهى اللغة الجيدة ، والعامة تبدل السين زايا . (٤) فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « داء » .

(٥) الأيل بتشديد الياء المكسورة : ذكر الأوعال وهى التيوس الجبلية . (٦) جمع سرطان وهو حيوان مائىّ ويعيش فى البر أيضا ، وهو جيد المشى سريع العدو ذو فكين ومخالب وأظفار حداد (راجع حياة الحيوان) . (٧) الوزغ جمع وزغة بالتحريك : حشرة من جنس "سام أبرص" .

(٨) فى الأصل الفتوغرافى « ويغارها » وما أثبتناه عن النسخة الألمانية والحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ٩٧) . (٩) كذا فى الأصل ، وفى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ «وبعض الناس» وفى الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٩٧ « وأهل السحر» . (١٠) الزيادة عن الحيوان (ج ٤ ص ٩٧) والبيش بالكسر نبات كالزنجبيل رطبا ويابسا وربما نبت فيه سم قتال لكل حيوان .

(١١) كذا فى الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٩٧ وفى الأصلين : « ليلة » . (١٢) من تهرّأ اللحم إذا طبخ حتى ينفسخ .

والجرادُ اذا طَلع فعُمِدَ الى التُّرْمُس والحَنظَل فطُبِخا بماء ثم نُضِحَ ذلك الماءُ على زرعٍ تنكّبه الجرادُ . واذا زُرِع خَرْدَلٌ فى نواحى زرعٍ نجا من الدَّبَى[1] . واذا أُخذ المُرْدَاسَنْجُ[2] فعُجِن بعجين ثم طُرِح للفأر فأكلته مُوِّتن عنه ، وكذلك بُرايةُ الحديد . وإذا أُخذ الأَفْيونُ والشُّونيز[3] والبارزَذ[4] وقرنُ الأُيَّل وبابُونَج وظِلْفٌ من أظلاف المعز تخلَط ذلك جميعا ثم دُقّ وعُجِن بخلّ عتيق ثم قُطِعَ قطعا[5] فدُخِّن بقطعة منه نفرت لذلك الحيّاتُ والهوامُّ والنملُ والعقاربُ ، وإن أُحرِق منه شىء ودُخِّن به هرب ما وجَدَ منها تلك الريحَ . والنملُ تهرُبُ من دُخَانِ أصول الحَنظَل . وإن عُمِدَ إلى كبريت وسَذَاب[6] ونَخْرَبِق فدُقَّ ذلك جميعا وطُرِحَ فى قرية النمل قتلها ومنعها ظهورهن من ذلك الموضع ذهبن[7] . والبعوضُ تهرُب من دخان القَلْقَدِيس[8] إذا دُخِّن به ومعه حبُّ السوس[9] ، وتهرُب من دخان الكبريت والعِلْك .

وقالت الأطباء : لحمُ ابن عِرس نافعٌ من الصَّرْع . ولحمُ القُنفذ نافع من الجُذام والسِّلّ والتشنّج ووجع الكُلَى ، يُجفَّف ويُشرب ويُطعَمه العليلُ مطبوخا ومشويًّا ويُضمدُ به المتشنّج[10] . والعقرب إذا شُقّ بطنُها ثم شُدّ على موضع اللسعة نفعت . وقد

---

(١) كذا فى النسخة الألمانية ، والدبى : أصغر الجراد والنمل . وفى الأصل الفتوغرافى (الوبا) .

(٢) كذا بالأصل ، ومفردات ابن البيطار (ج ٤ ص ١٥٠) وقال هو المرتك وفى القاموس : المردارسنج معروف وقد تسقط الراء معرب مردارسنك ومعناه الحجر الخبيث .

(٣) الشونيز : الحبة السوداء .

(٤) البارزذ فى القاموس : « بيرزد » بكسر الباء الفارسية : صمغ نبات يشبه القنا فى شكله ، وينبت فى أرض سورية ، وهو من النباتات النافعة لأمراض عدّة . وقد ذكر خواصه ومنافعه ابن البيطار فى مفرداته (راجع ج ٤ ص ٣٧) .

(٥) فى الأصل الفتوغرافى : نقيف ، وفى النسخة الألمانية ثقيف ، والتصويب عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٧) .

(٦) السذاب : اسم نبات .

(٧) كذا فى الأصل ، والمراد من العبارة ظاهر .

(٨) القلقديس كلمة يونانية معرّبة معناها فى الكيمياء الحديثة : كبريتات الحديد ؛ وقيل معناها : الصبغة السوداء لصانعى الأحذية .

(٩) السوس : شجر فى عروقه حلاوة وفى فروعه مرارة .

(١٠) كذا فى النسخة الألمانية . وفى الأصل الفتوغرافى «التشنج» .

تجعل فى جوف فخّار مشدود الرأس مُطيّن الجوانب ثم يوضع الفخّارُ فى تنّور، فإذا صارت العقربُ رمادًا سُقِىَ منْ ذلك الرمادِ مَن به الحصاة مقدارَ نصف دانق وأكثر فيُفتّت الحصاةَ من غير أن يضرّ بشىء من سائر الأعضاء والأخلاط[1]. وقد تلسعُ العقربُ مَنْ به حُمّى عتيقةٌ فتقلعُ. وتلسعُ المفلوجَ فيذهبُ عنه الفالج، وتُلْقَى فى الدُّهن وتُترك فيه حتى يأخذَ الدُّهنُ منها ويجتذبَ قُواها فيكون ذلك الدُّهْنُ مُفرِّقًا للأورام الغليظة.

ومن طبع العقرب أنك إن ألقيتها فى ماء غَمْرٍ بقيت فى وسط الماء لا تطفو ولا ترسُبُ؛ وهى من الحيوان الذى لا يَسبَحُ. وعينُ الجرادة وعينُ الأفعى لا تدوران. وإنما تَنسُجُ من العناكب الأنثى، والذكر هو الخَدَرْنَقُ. وولد العنكبوت يَنسُجُ ساعةَ يولدُ. والقَمْلُ يُخلق فى الرءوس على لون الشعر إن كان أسودَ أو أبيضَ أو مخضوبا بالحنّاء. الحُلُكاءُ[2] دُوَيْبَّة تغوص فى الرمل كما يغوص طائرُ الماء فى الماء، وبناتُ النّقا كذلك، وهى التى يُقال لها: شحمةُ الأرض. وأُمُّ حُبَيْنٍ[3] لا تُقيمُ بمكان تكون فيه السُّرْفَةُ[4]، والسُّرفةُ دويبّة يُضربُ بها المثلُ فى الصّنعة فيقال: "أصنَعُ مِنْ سُرْفَة".

ومن أحسنِ ما قيل فى الأفعى قول امرأة[5] من الأعراب:

---

(١) أخلاط الإنسان عند الأطباء: الدم والبلغم والصفراء والسوداء.

(٢) الحلكاء: دويبة تسكن الرمل كأنها سمكة، ملساء فيها بياض وحمرة؛ والعرب تسميها: «بنات النقا».

(٣) أم حبين: دويبة على خلقة الحرباء عريضة الصدر عظيمة البطن؛ وقيل: هى دويبة على قدر الخنفساء يلعب بها الصبيان.

(٤) السرفة بالضم: دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان على مثل الناووس بعضها الى بعض بلعابها وتدخله فتموت فيه (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢٤).

(٥) فى اللسان مادة «فرطح» أن القائل لهذه الأبيات أحد شعراء العرب، ونص على ذلك بقوله: «وأنشد لرجل من بلحارث بن كعب يصف حية ذكرا وهو ابن أحمر البجلى ليس الباهلى:

خلقت لهازمه عزين ورأسه ٭ كالقرص فرطح من طحين شعير»

خُلِقَتْ لَهَازِمُه(١) عِزِينَ(٢) ورأسُهُ * كالقُرْصِ فُرْطِحَ(٣) من دقيقِ شعيرِ
وكأنَّ مَلْقَاهُ بكلِّ تَنُوفَةٍ(٤) * مَلْقَاكَ كِفَّةَ مِنْجَلٍ(٥) مأطور(٦)
ويُدِيرُ عينًا للوِقاع(٧) كأنها * سمراءُ طاحت من نَفِيضِ(٨) بَرِيرِ(٩)

قيل لماسرجويه : نجدُ ملسوعَ العقرب يُعالَجُ بالاسفيوش(١٠) فينفعه ، وآخر يُعالج بالبندق فينفعه ، وآخر يَشربُ الأنقاس(١١) فتنفعه ، وآخر يأكل التفاحَ الحامضَ فينفعهُ ، وآخر يَطليه بالقِلْيِ(١٢) والخلّ فيحمَدُه ، وآخر يَنْصِبُ عليه الثومَ الحارَّ المطبوخَ ، وآخر يُدخِلُ يدَه في مِرْجَلٍ حارٍّ لا ماء فيه فيحمَدُه ، وآخر يعالجه بالنُّخَالة الحارّة فيحمَدها ، وآخر يَحجُم ذلك الموضعَ فيحمَده ، ثم رأيناه يتعالج بعدُ بذلك الشيءِ للسعة أخرى فلا يحمده !

---

(١) اللهازم : أصول الحنكين واحدتها لهزمة بالكسر ؛ وقيل إنها عظمان ناتئان في اللحيين تحت الأذنين .

(٢) عزين : متفرّقة . (٣) وردت هـذه الكلمة في اللسان في مادة « فرطح » بالراء، وفي مادة «فلطح» باللام ، وأستشهد بالبيت في المادتين ، وجاء فيه : «وكل شيء عرّضته فقد فلطحته وفرطحته» ووردت في الأصل الفتوغرافي «قطع» وفي النسخة الألمانية «أقطع» وفي كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ٦٠) «أفطح» . (٤) التنوفة : الأرض الواسعة البعيدة الأطراف . (٥) المنجل بالكسر : آلة حديد معوجة يقطع بها الزرع وغيره ، وفي الأصل الفتوغرافي « منخل » وماأثبتناه عن النسخة الألمانية والحيوان للجاحظ . (٦) مأطور من الأطر وهو عطف الشيء تقبض على أحد طرفيه فتعوّجه .

(٧) كذا في الأصل الفتوغرافي وفي اللسان "للوداع" ، وفي النسخة الألمانية وكتاب الحيوان للجاحظ : "للوقاح" . (٨) النفيض فعيل من النفض وهو التحريك ، ورواية اللسان في مادة «فرطح» نقيص بالقاف والصاد . (٩) البرير : ثمر الأراك عامة . وفي اللسان بعد هـذا البيت :

وكأن شدقيه اذا استقبلته * شدقا عجوز مضمضت لطهور

(١٠) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل الفتوغرافي « بالاسفيون » بالنون ولعله محرّف ، لأن هذا الاسم ورد في مفردات ابن البيطار هكذا «الاسفيوس» بالسين المهملة في آخره ، وورد في تذكرة داود «الاسفيوش» بالشين المعجمة في آخره ، وهي كلمة فارسية معناها «بزرقطونا» . (١١) الأنقاس : الحوامض وفي النسخة الألمانية «الأنفاس» بالفاء . (١٢) القلي بالكسر : شب العصفر وله منافع كمنافع الملح إلا أنه أحدّ منه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٣١) .

فقال : لمـا آختلفت السّمومُ فى أنفسها بالجنس والقدر والزمان، وباختلاف ما لاقاه آختلفَ الذى يوافقه على حسب آختلافه . قالوا : وأشدّ ما تكون لسعتُها إذا خرج الإنسانُ من الحمّام، لتفتّح المنافس وسَعَة المجارى وسُخُونة البدن .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : قال أبو بكر البحـرىّ (١) : ما من شىء يضرّ إلا وفيه منفعة . وقيل لبعض الأطباء : إن قائلا قال : أنا مثلُ العقرب أَضُرّ ولا أنفعُ . فقال : ما أقلّ علمَه بها، (٢) "إنها لتنفع إذا شُقّ بطنُها ثم شُدّت على موضع" "اللّسعة، وقد تُجعل فى جوف فخّار مشدودِ الرأس مُطيّنِ الجوانب ثم يُوضعُ الفخّار" "فى تنّور فإذا صارت العقربُ رمادا سُقِىَ من ذلك الرمادِ مقدارَ نصف دانق أو أكثر" "قليلا مَنْ به الحصاةُ ففتّها من غير أن يضرّ بشىء من سائر الأعضاء والأخلاط ." "وقد تَلسعُ العقربُ مَن به الحُمّى العتيقةُ فتُقلِعُ عنه. ولَسعتِ العقرب رجلا مفلوجا" "فذهب عنه الفالج . وقد تُلقَى العقربُ فى الدهن وتترك فيه حتى يأخذَ الدهنُ منها" "ويجتذبَ قواها فيكون ذلك الدّهنُ مُفرّقًا للأورام الغليظة" .

قال أبو عبيدة : ولَسعت أعرابيا عقرب بالبصرة، وخِيفَ عليه فاشتدّ جزَعُه، فقال بعضُ الناس له : ليس شىء خيرا مِنْ أن تُغْسَل له خُصيةُ زِنجىّ عَرِقَ ففعلوا، وكان ذلك فى ليلةٍ وَمِدَةٍ (٣)، فلما سَقَوْه قَطَّب؛ فقيل له : طعمَ ماذا تجدُ؟ قال : أجدُ طعمَ قِرْبَةٍ جديدةٍ .

قال المأمون : قال لى بَخْتيشُوع وسلمويه وآبن ماسويه : إن الذباب إذا دُلِكَ على موضع لسعة الزُّنبور هَدَأ وسكن الألمُ . فلسعنى زُنبورٌ فحككتُ على موضعه أكثر

---

(١) كذا بالأصلين، وفى العقـد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٨) : « المهجرى » ولم نجد هاتين النسبتين فى كتب الأنساب التى تحت أيدينا . (٢) السطور المحصورة بين هذه " " مكررة لأنها تقدّمت فى ص ٩٥ من هـذا الجزء بكلماتها وألفاظها مع آختلاف بسيط وقد أبقيناها هنا لورودها فى الأصلين، وآكتفينا بهذه الإشارة تنبيها للقارئ . (٣) ليلة ومدة : شديدة الحر .

من عشرين ذبابة فما سكن الألمُ إلا فى قدر الزمان الذى كان يسكن فيه من غير علاج، فلم يبقَ فى يدى منهم إلا أن يقولوا : كان هذا الزنبورُ حتفًا قاضيًا، ولولا ذلك العلاجُ قتلكَ . قالوا : ومما ينفع من اللسعة أن يُصبِروا على موضعها قطعةَ رَصاصٍ رقيقةً وتُشدّ عليه أياما . وقد يُمَوِّهُ بهذا قوم فيجعلونه خاتَمًا فيدفعونه إلى الملسوع إذا نُهِش فى إصبعه .

قال محمد بن الجَهْم : لا تهاونوا بكثير مما تَرَوْن من علاج العجائز، فإن كثيرا منه وقع اليهن من قدماء الأطباء، كالذبّان يلقَى فى الإثمِد فيسحقُ معه، فيزيدُ ذلك فى نور البصر ونفاذِ النظر وتشديدِ مراكز الشعر فى حافات الجفون . قال : وفى أُمّة من الأمم قومٌ يأكلون الذِّبّانَ فلا يرمَدون، وليس لذلك يأكلونه، ولكن كما يأكل غيرُهم فِراخَ الزنابير.

وقال ابن ماسويه : المجرَّبُ للسع العقرب أن يُسقَى من الزَّراوَند[١] المدحرج ويُشربَ عليه ماء بارد، ويُمضغَ ويوضعَ على اللسعة . قال : وللسع الأفاعى والحيّات ورقُ الآس[٢] الرطب يُعصَرُ ويُسقَى من مائه قدرَ نصف رطل، وكذلك ماء المَرْزَنجُوش[٣] وماء ورق التفاح المدقوق والمعصور مع المطبوخ، ويُضمد الموضعُ بورق التفاح المدقوق . وللأدوية والسموم القاتلة البندق والتين والسذاب[٤] يُطعم ذلك العليلُ . قال والثُّوم والملح وبَعْر

---

(١) الزراوند المدحرج وهو أردأ أنواعه : نبت غصونه دقيقة عريض الأوراق يحيط بشيء أحمر قليل الرائحة، وهو كثير بأرض الشام، كما فى تذكرة داود؛ وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار فى مفرداته .

(٢) الآس : نبات يزرع كثيرا بأرض العرب بالسهل والجبل، وخضرته دائمة، ويسمو حتى يكون شجرا عظيما وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمرة سوداء إذا أينعت تحلو وفيها مع ذلك علقمة .

(٣) المرزنجوش ويقال له مرزيجوس ومردقوس : فارسىّ، والعرب تسميه : السمسق (الياسمين) وهو نبات كثير الأغصان ينبطّ فى نباته، وله ورق مستدير، وهو طيب الرائحة جدا . له منافع وخواص ذكرها ابن البيطار فى مفرداته .

(٤) فى النسخة الألمانية «البيش» .

الغنم نافع جدًا إذا وُضِعَ على موضع لسعة الحيّة إلا أن تكون أَصَلَةً، فإن الأَصَلَةَ[1] تُوضَعُ على لسعها الكُلْيتان جميعا بالزيت والعسل . والخِطْمِيُّ[2] إذا أُخِذَ ورقُه فدُقّ ثم وُضِع على لسع قَمْلة النَّسر[3] كان دواء له . وإن طَلَى أحد به يديه أوجسدَه لم يَلدغ ذلك الموضعَ منه زُنْبورٌ . وإن لَدَغ أحدًا زنبورٌ فآذاه فشرب من مائه نفعه . والبشكول[4] وهو الطرشّقوقُ إن دُقّ فضُمد به لسعةُ العقرب نفع إذا أُغلى أو شُرِب من عصيره . قالوا : وإن أَخَذَ مَنْ حَذِر على نفسه السُّمومَ القاتلةَ التينَ مع الشُّونيز على الريق وَقاه .

النبـات

حدّثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدّثنا قريشُ بن أنس عن كُلَيب أبي وائل رجل من المُطَّوِعة قال : رأيتُ ببلاد الهند شجرا له ورد أحمر مكتوب فيه ببياض "محمد رسول الله". والعرب تقول في مثل هذا هو: "أشكَر من البَرْوَقَة"[5]، وهو نبت ضعيف ينبت بالغيم . ويزعم قوم أن النارجيلَ هو نخل المُقْل قلبه طِباعُ البلد . وقال صاحب الفلاحة : بين الكُرُنْب وبين الكَرْم عداوةٌ، فإذا زُرِعَ الكرنبُ بحضرة الكَرْم ذَبَلَ أحدهما وتشنّج، ولذلك يُبطِئ السُّكْرُ عمن أكل منه ورقات على ريق النفس ثم شرب . وقُضبان الرمّان إذا ضُرِبَ بها ظَهرُ رجل آشتدّ عليه الألم . قالوا :

(١) الأصلة بفتح الهمزة والصاد واللام : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم تثب على الفارس فتقتله ؛ كذا في حياة الحيوان للدميرى نقلا عن آبن الأنبارى . (٢) الخطمىّ بالكسر ويفتح : نبات محلل ملين نافع لعسر البول والحصى ، وهو مع الخل مفيد لوجع الأسنان مضمضة ونهش الهوام .

(٣) قملة النسر : دويبة أعظم من القمل وإذا عضت قتلت ؛ وتكون في بلاد الجبل (مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم) وسميت قملة النسر، لأنها تخرج منه .

(٤) كذا في الأصلين . وفي مفردات آبن البيطار (ج ٤ ص ٢٠٠) : «البلخشكوك» ، وخاصيته النفع من لسع الهوام اذا أكل أو شرب ماؤه . (٥) في مجمع الأمثال والقاموس واللسان «بروقة» وهي كما قال الميداني : شجرة تخضر من غير مطر بل تنبت بالسحاب إذا نشأ فما يقال ،

وكلّ زَهرٍ ونَورٍ فإنه يحرِفُ مع الشمس ويُتحـوّل إليها وجهَه ، ولذلك يقال : هو يُضاحكُ الشمسَ . قال الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحَزْنِ[1] مُعشبةٌ * خضراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ[2] هَطِلُ[3]
يُضاحكُ الشمسَ منها كوكبٌ[4] شرِقٌ * مؤزَّرٌ[5] بعميمِ النبتِ مُكتَهِلُ[6]

وقال آخر :

* تُنوارُه[7] مِيلٌ إلى الشمس زاهِرُه[8] *

والخُبّازَى[9] يَنضمّ ورقُه بالليـل ويَنفتحُ بالنهار . والنَّيلوفَر[10] يَنبتُ في الماء فيغيب الليلَ كلّه ويظهرُ إذا طلعتِ الشمسُ . وقالوا في الطُّحلُب[11] : إن أُخذ بجُفوف

(١) الحزن : ما ارتفع من الأرض . (٢) مسبل : ممطر، من السبل بفتحتين وهو المطر . (٣) هطل ، من الهطل بالسكون وهو تتابع المطر المتفرق العظيم القطر . (٤) الكوكب : ما طال من النبات ، والشرق : الريان . (٥) مؤزر : ملتف . (٦) مكتهل : تام الطول . (٧) النوار : واحدته نوارة بالضمة ، وهى الزهرة المشرقة . (٨) عجز بيت للحطيئة ، وصدره :

* بمستأسد القريان حو تلاعه *

وقبله

عفا مسحلان من سليمى فحامر * تمشى به ظلمانه وجآذره

(راجع ص ٦٢ من ديوان الحطيئة طبع ليبسك سنة ١٨٩٣ م) . ونسب الجاحظ فى كتاب الحيوان البيت (بمستأسد ... الخ) الى قطران العبسى (راجع ج ٥ ص ٣٥) .

(٩) الخبازى ويقال : الخبيرى : اسم لكل نبت يدور مع الشمس حيث دارت ، ويطلق فى العرف الشائع على نبت برىّ مستدير الورق فى وسط أوراقه شىء مجوف دقيق ، له زهر الى الصفرة ويبرد الى السواد مع طعم ، كذا قال داود الأنطاكى فى تذكرته . (١٠) النيلوفر : نبات هندىّ سمى بلغتهم ما كثر ماينبت فى مستنقعات المياه ورواكدها والآجام ، ولا ينبت إلا فى الماء العذب القائم فى أرض طيبة تربة سليمة من كل الفساد . ومن عادته أنه يحوّل وجهه الى الشمس اذا طلعت وأرتفعت ، فإذا وقع شعاعها عليه أول يقع انفتحت وردته كلها ، ولا يزال تفتيحه يزيد بزيادة الشمس الى أن تقرب من أول العصر وتطلب الغروب فينثنى يضم على ذلك الترتيب الذى كان تفتح حتى تغرب الشمس فيضم فى كرة ويبقى مضموما الليل كله الى الصباح . راجع الجزء الأول من كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية ص ٣٢ من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ زراعة) . (١١) الطحلب : الخضرة التى تعلو الماء الراكد ، وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار فى مفرداته .

فى الظلّ ثم سقطَ فى النار لم يَحترق . وذكروا أن قَسًّا راهنَ على صليب فى عنقه من خشب أنه لا يَحترق، وقال : هو من العود الذى صُلِبَ عليــه المسيحُ، فكاد يَفتنُ بذلك خَلقًا حتى فَطِنَ له بعضُ أهل النظر فأتاهم بقطعة عُود تكون بكِرمانَ فكان أبقى على النار من صليبه . والطَّلْقُ(١) كذلك لا يصير جمرًا . وطِلَاءُ النفّاطين(٢) طَلَقٌ وخِطْمِىٌّ ومَغْرَةٌ . وقالوا : إذا أُخذَ بِزرُ السَّذاب البرىّ وزُرِع وطال به ذلك تحوّل حرملا، والنَّمّامُ(٣) إذا أَعتَقَ تحوّل حَبَقًا(٤) . قالوا : والقُسْطُ(٥) إنما هو جَزَرٌ بحرىّ . قالوا : بالسند نبتٌ من الحشيش يُسمّى تَرِيَّة، إذا أخذ فطُبِخ ثم صُفِّى ماؤه فجُعِلَ فى وِعاء لم يلبث إلا يسيرا حتى يشتدّ ويُسكِر شاربَه إسكارَ الخمر .

قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يضرّ بمَبْقَلَة عَمَد إلى شىء من خُرء البطّ فخلط به مثلَه من ملح ثم طَرحَا فى ماءٍ فديفًا فيه فيُنضَحُ ذلك الماءُ على البقل فإنه يفسُدُ . قال : ومن أراد إفسادَ الرمّان الكثير ألقى فى أضعافه نوَى التمر والملح والجريش . ومَن أراد قتلَ السمك فى الماء القائم عَمَد إلى نبت يسمى "مَا هِى زهره"(٦) فدُقّ وطُرِحَ فى الماء فإنه يموت سمكُ ذلك الماء؛ والمازريون(٧) يفعل ذلك. قال : ومما يَجِفُّ له الشجر أن يُعمَد إلى مِسمار من حديد فيُحمَى بالنار حتى تشتدّ حُمرته ثم يُدَقّ فى أصل الشجرة، وأن يُعمَد الى وتد من طَرْفاءَ فيُثقَبَ أصل الشجرة بِمثقَب حديد

(١) الطلق : حجر برّاق يتخذ منه مضاوى لحمامات بدلا عن الزجاج . (٢) النفاطون : الرماة بالنفط وهو القطران . (٣) النمام : نبت ورقه كالسذاب، له بزر كالريحان عطرىّ قوىّ الرائحة سمى بذلك لسطوع رائحته، الواحدة نمامة . (٤) الحبق : نبات يشبه النمام، ويكثر نباته على الماء، ويسمى بالفارسية الفودنج . (٥) القسط : عقار من عقاقير البحر، والعقار : العشبة .

(٦) لفظ فارسىّ وتعريبه سمّ السمك . (٧) المازريون : نبت له أغصان طولها شبر، وورقه شبيه بورق الزيتون إلا أنه أدق منه، وهو من يلذع اللسان؛ له فوائد ومنافع ذكرها ابن البيطار فى مفرداته .

ثم يُعَلّق ذلك العودُ على قدر الثُقْب[1] فى المِثْقَب فتجف الشجرةُ إن كان غِلظُ العُود على قــدر الثُّقب .

قيــل لماسرجويه : ما بالُ الأَكَرَة[2] وسُكّانِ البساتين مع أكلهم الكُرّاثَ والتمــر وشُربهم المــاءَ الحارّ على السّمك المــالح أقلُّ عُمياناً وعوراناً وعُمْشاناً؟ قال : فكّرتُ فى ذلك فلم أجدْ عِلّةً إلا طولَ وُقوعِ أبصارهم على الخضرة

الحجــارة

قال أرسطاطاليس : حَجَرٌ[3] سنقيلا إذا رُبط على بطن صاحب الاستسقاء نَشّف منه المــاءَ ، والدليل على ذلك أنه يوزن بعد أن كان على بطنه فيوجدُ قد زاد فى وزنه ؛ وذاكرتُ بهذا رجلاً من علماء الأطبّاء فعرفه ، وقال : هذا الحجر مذكور فى التوراة ، وحجر المغناطيس يجذبُ الحديدَ من بُعْد[و]إذا وُضِعَ عليه عَلِقَه ، فإن دُلِكَ بالثوم بطَلَ عملُه . قالوا : والزمادُ والفِيلُ يدُرّان فيستحيلان حجارةً سُوداً تَصلُح للأرحاء . ومن الحجــارة حصاةٌ فى صورة النواة تَسبَحُ فى الخلّ كأنها سمكةٌ . ومنها خَرَزَةُ العُقْر[4] إن كانت فى حِقْوِ[5] المرأة فلا تَحْبَــلُ . وحجر يُوضَع على حرف التنّور فيتساقط خبزُ التنّور كلّه . وبمصر حجر مَنْ قَبَضَ عليه بجميع كَفّيه قاء كل شيء فى جوفه فإن هو لم ينبذه من كفه حِيفَ عليه . ومن الحجارة النَّشَفُ[6] ، ليس شيء من الحجارة يطفُو على المــاء غيره وفيه حُفَرٌ صِغارٌ .

---

(١) كذا بالنسخة الألمانية ؛ وفى الأصل الفتوغرافى : « على تقدير الثقب » .

(٢) الأكرة جمــع أكار وهو الحرّاث لحفرة الأرض ، كأنه جمع آكر فى التقــدير . (٣) كذا بالأصلين ؛ ولم نجد ذكر هــذا الحجر ضمن الأحجار المذكورة فى مفردات ابن البيطار ، ولا فى تذكرة داود ، ولا فى عجائب المخلوقات للقزوينى . (٤) العُقر : العقم ، وهو استعقام رحم المرأة فلا تحمــل .

(٥) الحقو : الخصر . (٦) النشف : حجارة سود كأنها محترقة ، وهى التى ينق بها الوسخ فى الحمامات .

قالوا : الرصاص قد يدبَّر فيستحيل مُرْدَاسَنْجًا . وإقليمياء[1] النّحاس يدبَّر فيصير تُوتِياء ، وحجر البازَهْر[2] يُفرِّقُ الأورامَ . وباليمن جبل يقطر منه ماء ، فإذا صار إلى الأرض ويَبِسَ آستحال وصار شبًّا ، وهو هذا الشبّ اليمانى .

حدّثنا الرياشىّ عن الأصمعىّ قال : أربعةُ أشياءَ قد ملأتِ الدنيا لا تكون إلا باليمن : الوَرْسُ[3] والكُنْدُرُ[4] والخِطْرُ[5] والعَصْبُ[6] . وبمصر حجر تُحرّكه فتسمعُ فى جوفه شيئا يتقلقلُ كالنواة .

حدّثنى شيخ لنا عن علىّ بن عاصم عن خالد الحَذّاء عن محمد بن سيرين قال : آختصمَ رجلان إلى شُرَيْح ، فقال أحدُهما : إنّى آستودعتُ هذا وديعةً فأبى أن يردّها علىّ ، فقال له شريح : رُدَّ على هذا الرجل وديعتَه ، قال : يا أبا أُمَيّةَ ، إنه حجرٌ إذا رأته الحُبْلَى ألقتْ ولدَها ، وإذا وقَع فى الخلّ غَلَى ، وإذا وُضِع فى التنُّور بَرَدَ ، فسكتَ شُرَيحٌ ولم يَقُلْ شيئا حتى قاما .

الجنّ

قالوا : الشياطينُ مَرَدَةُ الجنّ ، والجانّ ضَعَفَةُ الجنّ . وبلغنى عن يحيى بن آدم عن شَرِيك عن لَيْث عن مُجاهد قال قال — يعنى إبليس عليه لعنة الله — : أُعطِينَا أنّا نَرَى ولا نُرَى ، وأنّا ندخُل تحت الثَّرَى ، وأنّ شيخنا يُرَدّ فتًى .

(١) الإقليمياء بالكسر : ثُفْل يعلو السبك أو دخان . (٢) البازهر معرّب بادزهر : حجر تنسب اليه قوى غريبة فى مقاومة السموم ، فارسىّ مركب من باد ومعناه : روح أو ضد ، وزهر ومعناه : سم ؛ وله منافع وخواص ذكرها آبن البيطار فى مفرداته . (٣) نبات الورس — كما فى مفردات آبن البيطار — كنبات السمسم ، فاذا جف عند إدراكه تفتقت سنفته (وعاء ثمرته) فينتفض منه الورس ، ينبت كل سنة ويثمر ، وأجوده حديثه . وهو أنواع : بعضه يخرج صبغه أصفر خالص الصفرة ، وبعضه فى صبغته حمرة .
(٤) الكندر كلمة فارسية معناها : اللبان . (٥) الخطر بالكسر : نبات يختضب به .
(٦) العصب : صبغ لا ينبت إلا باليمن . وكتب بهامش الأصل الفتوغرافى مانصه : «قلت : وعصرنا زاد خامسا وهو القهوة» .

حدّثنا عبد الرحمن عن عمّه قال : حدّثني يَعْلَى بن عُقْبة — شيخ من أهل المدينة مولًى لآل الزُّبَير — : أن عبد الله بن الزبير باتَ بالقَفْر، فقام ليَرْحَل فوجدَ رجلا طُوله شِبران عظيمَ اللحية على الوَلِيّة(١)، فنَفَضَها فوقع ثم وضَعَها على الراحلة، وجاء وهو بيْن الشَّرْخَين(٢)، فنفضَ الرحلَ ثم شدّه، وأخذ السوطَ ثم أتاه، فقال : مَنْ أنتَ؟ قال : أنا أَزَبُّ قال : وما أَزَبُّ؟ قال : رجلٌ من الجنّ؛ قال : ٱفتح فاك أنظر؛ ففتح فاه؛ قال : أهكذا حُلوقُكُم! لقد شُوِّه حُلوقُكم! ثم قلَبَ السوطَ فوضعه في رأس أزَبّ حتى شقّه.

حدّثني خالد بن محمد الأزديّ قال حدّثنا عمر بن يونس قال حدّثنا عِكرِمة ٱبن عمّار قال حدّثنا إسحاق بن أبي طلحة الأنصاريّ قال حدّثني أنس بن مالك قال : كانت بنتُ عوف بن عفراء، مُضطجِعَةً في بيتها قائلةً إذ ٱستيقظَتْ وزنجيٌّ على صدرها آخذًا بحلقها، قالت : فأمسكني ما شاء الله وأنا حينئذ قد حَرُمَتْ عليّ الصلاةُ، فبينا أنا كذلك نظرتُ إلى سقف البيت يَنْفَرِج، حتى نظرتُ إلى السماء فإذا صحيفةٌ صفراء تَهوِي بين السماء والأرض حتى وقعَتْ على صدري، فنشرها وأرسل حَلقي فقرأها، فإذا فيها : من رَبّ لُكَيز إلى لُكَيز، اِجتنب ٱبنةَ العبد الصالح إنه لا سبيل لك عليها، ثم ضرب بيده على ركبتي وقال : لولا هذه الصحيفةُ لكان دمٌ، أي لذبحتُك؛ فاسودّتْ ركبتي حتى صارت مثلَ رأس الشاة، فأتيت عائشة، فذكرت لها ذلك؛ فقالت لي(٣) : يا بنــة أختي، إذا حِضتِ فالزمي عليك ثيابك فإنه لا سبيل له عليك إن شاء الله . فحفظها الله بأبيها وكان ٱستُشهِدَ يوم بدر .

أبو يعقوب الثقفيّ عن عبد الملك بن عُمير عن الشَّعْبيّ عن زياد بن النضر أن عجوزا سألت جِنّيًّا فقالت : إن بنتي عَروسٌ وقد تمرّط(٤) شَعَرُها من حُمّى رِبْعٍ بها، فهل

(١) في الأصل الفتوغرافي «الوية» وفي النسخة الألمانية «الوئية» والتصويب عن لسان العرب، والولية : البرذعة . (٢) شرخا الرحل : حرفاه وجانباه، وقيل : خشبتاه من وراء ومقدّم .
(٣) في الأصلين : «لها» والسياق يقتضي ما أثبتناه . (٤) تمرّط الشعر : تساقط وتحات .

عندكَ دواء؟ فقال: آعْمِدى إلى ذُباب الماء الطويل القوائم الذى يكون بأفواه الأنهار فاجعليه فى سبعة ألوان من العِهْنِ[1]: أصفرَ وأحمرَ وأخضرَ وأزرقَ وأبيضَ وأسودَ وأغبرَ، ثم آجعليه فى وسطه وآفتليه[2] بأصبعك هكذا ثم آعقديه على عَضُدها اليسرى؛ ففعلتُ فكأنّما أُنشِطَتْ من عِقَالٍ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: أخبرنى محمد بن مسلم الطائفىّ فى حديث ذكره أن الشياطين لا تستطيعُ أن تُغيّرَ خَلْقَها ولكنها تُسَحَّرُ .

وقال الأصمعىّ: حدّثنا أبو عمرو بن العلاء قال حدّثنا النَّهّاس[3] بن قَهْم[4] قال: دخلتُ مِرْبَدًا لنا فإذا فيه شىء كالعِجَّوْلِ[5] له قرنان وله رِيشٌ ينظرُ إلىّ كأنه شيطانٌ.

حدّثنا عبد الرحمن بن عبدالله عن عمه قال: سَمِعَ رجلٌ بأرض ليس بها أحدٌ قائلا من تحته يقول: مَنْ يحرّك شُعَيراتى؟ ذاك مَقيلى، وظِلّ مَظَلّى[6]، حاشا الغزيل وعبد الملك وجمعِ الأُدْمِ؛ وكانوا يَرَوْن أنّ الأصمعىّ سمع هذا، وذلك أنه كان فى آخر عمره وقد أصابه مَسٌّ ثم ذهب عنه .

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعىّ قال أخبرنا عمر بن الهيثم عن عُمَير بن ضُبَيْعة قال: بينا أنا أسيرُ فى فلاةٍ أنا وآبنُ ظبيانَ — أو رفيقٌ له آخر ذكره — عَرَضتْ لنا عجوزٌ — كذا سمعته يقول، إن شاء الله — أو شيخ — ورأيتُ فى كتاب محمد آبنه — وصبىٌّ يبكى؛ فقال: إنى مُنْقَطَعٌ بى فى هذه الفلاة فلو تحمّلتمانى! فقال صاحبُ عمير: لو أردفته! فحمله خلفَه؛ فمكثنا ساعة فنظر فى وجه عمير وتنفّس فخرج مِنْ فِيهِ نارٌ

---

(١) العهن: الصوف أو المصبوغ ألوانا . (٢) كذا بالأصل الفتوغرافى . وفى النسخة الألمانية «اقتليه» بالقاف . (٣) فى النسخة الألمانية «المناسب» وهو تحريف .

(٤) فى الأصلين: فهم بالفاء، وهو تحريف، والتصويب عن تقريب التهذيب وشرح القاموس .

(٥) العجّول: العل . (٦) كذا فى الأصل الفتوغرافى . وفى النسخة الألمانية: «الغزّيد» .

مثـلُ نار الأَتُّون فأخذ له عميرٌ السيفَ، فبكى وقال : ما تُرِيدُ منّى ؟ فكفّ عنه ولم يُعْلِم صاحبَه بما رأى؛ فمكث هُنيهةً ثم عاد، فأخذ له السيفَ، فبكى وقال : ماتريد منى؟ وبكى، فتركه ولم يُعْلِم صاحبَه، ثم عاد الثالثةَ ففغر فى وجهه(١)، فحمل عليه بالسيف، فلما رأى الجِدَّ وثَب وقال : قاتلكَ اللهُ ماأشدَّ قلبَك! مافعلتُه قطّ فى وجه رجل إلا ذهب عقلُه .

بلغنى عن محمد بن عبد الله الأسدىّ عن سفيان عن ابن أبى ليلى عن أخيه عن عبدالرحمن عن أبى أيوب الأنصارىّ أنه كان فى سَهْوَةٍ له وكانت الغولُ تجىء، فشكاها الى النبىّ صلى الله عليه وسلم؛ فقال : «إذا رأيتَها فقُل باسم اللهِ أجيبى رسولَ اللهِ» ، فجاءت فقال لها ذلك، فأخذها فقالت : لا أعود، فأرسلها، فقال له النبىّ عليه السلام : « ما فَعل أسيرُكَ » ؟ فأخبره، فقال : « إنها عائدة »، ففعلتْ ذلك مرتين أو ثلاثا، وقالت فى آخرها : أرسِلْنى وأعلّمك شيئا تقوله فلا يضرّك شىء : آيةَ الكرسىّ، فأتى النبىّ عليه السلام فأخبره، فقال : « صَدَقَتْ وهى كَذُوبٌ» .

حدّثنى زيدُ بن أخزمَ قال: حدّثنا عبد الصمد عن همّام عن يحيى بن أبى كثير أن عاملَ عُمَانَ كتب الى عمرَ بن عبدالعزيز: إنّا أُتِينا بساحرة فألقيناها فى الماء فطَفَتْ، فكتب اليه عمرُ : لسْنَا من الماءِ فى شىء، إن قامتِ البينةُ وإلا فخَلِّ عنها .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنا أبو عاصم قال حدّثنا ابن جُرَيج عن ابن أبى الحسين المكىّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نِعمَتِ الدُّخْنةُ اللُّبانُ واللُّبانُ دُخْنةُ الأنبياءِ ولن يَدخُلَ بيتا دُخِّنَ فيه بِلُبَانٍ ساحرٌ ولا كاهنٌ" .

حدّثنى عبد الله بن أبى سعيد قال حدّثنى عبد الله بن مروان بن معاوية من ولد أسماء بن خارجةَ قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعتُ أعرابيةً تقول : من

(١) فغر فى وجهه : فتح له فاه .

يشترى منّى الحَزَأ؟ فقلتُ: وما الحزأ؟ قالت: يشتريه أكايسُ النساء للطَّشّة والخافية والإقلاتِ؛ قال عبد الله : سألتُ ابنَ مُنَاذرٍ فقال : الطَّشّةُ: شيء يُصيبُ الصبيانَ كالزُّكام . والخافيـةُ : الجنّ . والإقلاتُ : قِلةُ الولد . يريد أن المرأةَ إذا ولدت يموتُ أولادُها فلا يبقى لها ولد؛ يقال : امرأة مِقْلَاتٌ .

بلغنى عن شيخ من بنى نُمير أنه قال : أَضْلَلْتُ أباعر لى بالشَّرَيف[1] فخرجتُ فى بُغَائها فَدَأَبْتُ أياما فأمسيتُ عشيّةً بوادٍ مُوحِشٍ وقد كَدَدْتُ راحلتى فاختليتُ[2] لها من الشجر وأصبتُ لها من المـاء ثم قيّدتُها واضطجعتُ مغموما ، فلما جَرى وَسَنُ النوم فى عينى إذ هَمس قدمٌ قريبا منّى، فانتبهتُ فَزِعًا وإذا شيخ يتنحنح وهو يقول: لا رَبْعَةَ[3] عليك! ثم سلّم وجلس، ثم جاء آخر وآخر حتى تألّفوا أربعة فقالوا: ما بك أيها المسلم ؟ فقلت : أضللتُ أباعرَ لى وأنا فى طلبها منذ أيام ؛ فقال لى الأوّل منهم : كُنّ لك ماكنّ ، وقد وذعنَ فبِنّ، وصِرنَ حيث صِرنَ، فلا تَتعنَّيَنّ؛ فاجترأت على المسئلة فقلت : أمِن الخافيةِ أنتم نشدتكم بإلهكم؟ قالوا : نعم وإلهنا وإلهكم واحد ؛ فقلت : علّمونى ممـا علّمكم الله شـيئا أنتفع به ؛ قالوا : إذا أردتَ حفظَ مالكَ فاقرأ عليه : (إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ) إلى آخر ثلاث الآيات، وآية الكرسى"، وإذا أمسيتَ فى خَلَاءٍ وحدَك فاقرأ المعوّذتين، وإن أحببتَ ألّا يعبَثَ بك ولا بأهلك وولدك عابثٌ منّا فعليك بالديك الأبيض، واجعل فى حجور صبيانك بَرِيمًا، يعنى خيطا من صوف أبيض وأسود، واحتشُوا بالإذخر[4] يُنشر فى الصوف، فحـدّثونى كحديثنا تلك الليلةَ، فلما أصبحت رجعتُ .

(١) الشريف : اسم ماء لبنى نمير . (٢) اختليت من الاختلاء، وهو اجتزاز الخلى وهو الحشيش تعلف به الدواب . (٣) لا ربعة : لا فزع، من راع يريع إذا فزع . (٤) الإذخر بالكسر : نبات مزهر طيب الرائحة .

قال المدائنىّ : كانت وفاةُ زِياد بالعَرَفَة[١] ظهرتْ فى إصبعه ، واشتدّ عليه الوجع فجمع الأطبّاء فشاورهم فى قطع إصبعه ، فأشار عليه بعضهم بذلك ، وقال له رجل منهم : أتجد الوجعَ فى الإصبع أم تجده فى قلبك والإصبع ؟ قال : فى قلبى وفى إصبعى ؛ قال : عِش سليما ومُتْ سليما ، وأمره أن يَغمِسها فى الخلّ ، فكان ذلك يُخفّف عنه بعضَ الوجع ، فمكث بذلك سبعة عشر يوما ثم مات ؛ وسَمِع أهلُ الحبس ليلةَ مات قائلا يقول : أنا النقّادُ ذو الرُّقَيَة قد كفيتُكم الرجلَ . والعرب تدعو الطاعونَ رماحَ الجنّ . وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم «إنه وَخْزٌ من الجنّ» يعنى الطاعونَ . والله أعلم .

(١) العرفة : قُرحة تخرج فى بياض الكفّ .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية
التى نقل عنها الأصل الفتوغرافى]

تمّ كتاب الطبائع وهو الكتاب الرابع من عيون الأخبار لابن قتيبة ويتلوه فى الكتاب الخامس كتاب العلم . والحمـد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبى وآله وصحابته وأهل بيته أجمعين .

وكتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرى ؛ وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية .

الى هنا ينتهى آخر القسم المطبوع من هذا الكتاب بمدينة جوتنجن سنة ١٨٩٩م . وسنعتمد فى مراجعة الجزء الخامس الى آخر الكتاب على الأصـل الفتوغرافى وعلى المصادر التى يعوّل عليها فى تصحيح الكتاب .

[جاء بعد خاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية التى نقل عنها الأصل الفتوغرافىّ ما يأتى :]

كان سُدَيف مولى بنى هاشم يقول : اللهم إنه قد صار فَيْئنا دُولةً بعد القِسْمة ، وإمارتُنا غلبةً بعد المشورة ، وعهدُنا ميراثًا بعد الاختيار للأمة ، واشْتُرِيت الملاهى والمعازف بسهم اليتيم والأرْمَلَة ، وحَكَمَ فى ابشار(١) المسلمين أهلُ الذِّمة وتولّى القيام بأمورهم فاسقُ كلّ محلّة . اللهم وقد استحْصَدَ زرعُ الباطل ، وبلغ نُهْيَته ، واستجمعَ طريدُه ، اللهم فافتح له من الحق يدًا حاصدةً تُبدِّد شملَه ، وتُفرِّق نامَّته(٢) ، ليظهر الحقُّ فى أحسن صوره ، وأتمّ نُوره . والسلام .

وقيل : كانوا يتوقّون ظُلمَ السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا هـذا الدعاء : «باسم الله ، إنى أعوذ بالرحمن منـك إن كنتَ تقيًّا . اخْسَئُوا فيها ولا تُكلِّمون . أخذت سمعك وبَصرَك بسمع الله وبصره ، وأخذتُ قوتَك بقوّة الله ، بينى وبينك سِتْرُ النبوة الذى(٣) كانت الأنبياء تَسـتتر به من سَطَوات الفراعنة ، جبريلُ عن يمينك ، وميكائيلُ عن شِمالك ، ومحمدٌ أمامك ، والله مطلّ عليك يَحجزك منى ويمنعنى منك . والسلام» .

وكتب عُمر بنُ عبد العزيز الى بعض عُمّاله : «أما بعد ، فإذا دعتْك قدرتُك على الناس الى ظلمهم ، فاذكُرْ قدرةَ الله عليك ونَفَادَ ما تأتى اليهم ، وبقاءَ ما يأتون اليك . والسلام» .

---

(١) أبشار : جمع بَشَر ، والبشر : الخلق والشخص يطلق على الأنثى والذكر والاثنين والجمع وقد يثنى على بشرين ويجمع على أبشار (اللسان) . (٢) النامّة والنأمة : الحسّ والحركة وحياة النفس .

(٣) فى الأصل «التى» والسياق يقتضى ما أثبتناه .

وقَدِم رجلٌ من بعض النواحى فقيل له : كيف تركتَ الناس ؟ قال : مظلوما لا يَنْتَصِر، وظالمـا لا يُنْتَهَر . والسلام .

فى الحبس :

ما يدخُلُ السجنَ إنسانٌ فتسألُه * ما بالُ سجنِك إلّا قال مظلومُ

وقال بعض المُحْدَثين :

إن الليالى التى شُغِفتُ بها * غَيَّبهـا الدهرُ فى تقلُّبـه
لله أمرى ما ملتُ قطُّ إلى * شىء بقَلْبى إلا فُجِعتُ به
عرفتُ حظّى من الزمان فلا * أَلُوم خَلْقًا على تجنُّبـه
وكل سَهْم أعددتُه وقفتْ * به الليـالى حتى رُميتُ به

وحكى أن عبد الملك بن مروان أَتَوْهُ برجل من الخوارج فأراد قتله ، فأُدخل على عبـد الملك ٱبن له صغير وهو يبكى ؛ فقال الخارجىّ : دعه يا عبدَ الملك ، فإن ذلك أرحب لشدقه ، وأصح لدماغه ، وأذهب لصوته ، وأحرى أَلّا تأبى عليه عينه اذا حَفَزَتْه طاعةُ الله فاستدعى عَبْرتها ؛ فأُعجب عبدُ الملك بقوله وقال له متعجّبا : أَمَا يشغلك ما أنت فيه عن هذا ؟ فقال : ما ينبغى أن يَشْغَل المؤمنَ عن قول الحق شىءٌ؛ فأمر عبدُ الملك بحبسه ، وصَفَح عن قتله .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العلم والبيان

العلم

حدّثني الزيادىّ قال حدّثنا عيسى بن يُونس عن الأوزاعىّ عن عبد الله بن سعد عن الصُّنَابِحِىّ[1] عن معاوية بن أبى سفيان قال : نَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الأُغْلُوطات[2]، قال الأوزاعىّ : يعنى صِعَاب المسائل .

حدّثنى سُهَيل بن محمّد عن الأصمعىّ قال سمعت عِمْران بن حُدَير يُحدّث عن رجل من أهل الشام قد سمّاه، قال : قال كعب الأحبار لقوم من أهل الشام : كيف رأيكم فى أبى مُسلم الخَوْلانىّ[3]؟ فقالوا : ما أحْسَنَ رأْيَنا فيه وأَخْذَنا عنه ! فقال : إنّ

---

(١) فى الأصل «الصنايجى» (بياء مثناة وجيم بعد الألف) وهو تحريف، إذ هو عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحى (بباء موحدة وحاء بعد الألف)، نسبة الى صنابح من حمير، كما ذكر المؤلف فى كتابه (المعارف) (ص ٣١٥) طبع جوتنجن سنة ١٨٥٠ م والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) وتهذيب التهذيب (ج ٥ ص ٢٣٥) .

(٢) هذا التفسير لا يتناسب مع الحديث، لأنه لا معنى لأن ينهى النبى عن صعاب المسائل، والأوجه ما فسرها به الزمخشرىّ إذ قال فى الأساس : «وهى المسائل التى يغالط بها»؛ ويؤيد هذا التفسير ما جاء بالعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) : «وكان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة قال للسائل : أمسكها حتى تسأل عنها أخاك «إبليس» .

(٣) هو عبد الله بن ثوب بضم المثلثة وفتح الواو بعدها موحدة وقيل باشباع وقيل ابن أثوب وزن أحمر : عابد رحل الى النبىّ صلى الله عليه وسلم فلم يدركه، وعاش الى زمن يزيد بن معاوية (تقريب التهذيب) .

أَزْهَدَ الناسِ فى الحاكِمِ أَهْلُه ، وإنّ مثل ذلك مثل الجامّة[1] تكونُ فى القوم فيَرغَبُ فيها الغُرَباء، ويَزْهَـدُ فيها القُرَباء، فبينا ذلك غارَ ماؤُها، وأصاب هؤلاءِ مَنْفَعَتُها، وبَقِىَ هؤلاءِ يتفكّنُون، أى يتندّمون .

وفى الإنجيل أن عيسى صلّى الله عليه لمّـا أراهم العجائب، وضرب لهم الأمثال والحكمة، وأظْهَرَ لهم هذه الآياتِ، قالوا : أليس هذا ٱبنَ النّجّار ! أوَ ليْست[2] أمُّه مَرْيَمَ وأخُوه يعقوبَ ويوسفَ وشمعونَ ويَهُوذا وأخواته كلّهنّ عنـدنا ! فقال لهم عيسى : إنّه لا يُسَبّ النبىّ ولا يُحَقَّر إلّا فى مدينته وبيْئته[3] .

حدّثنـا الرياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ قال : قيل لدَغْفَل النّسّابة : بم أدركتَ ما أدركتَ من العلم؟ فقال : بلسانٍ سَؤُول وقلبٍ عَقُول، وكنتُ إذا لقيتُ عالمـا أخذتُ منه وأعطيتُه .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ قال حدّثنا العَلاء بن أسلم عن رؤبة بن العجّاج قال : أتيت النّسّـابة البكرىّ فقال لى : مَن أنت ؟ فقلت أنا ٱبن العجاج ، قال : قصّرت وعرّفت، لعلك من قوم إن سكتُّ عنهم لم يسألونى، وإن تكلّمتَ لم يَعُوا عنّى، قلت : أرجو ألا أكونَ كذلك، قال : ما أعداءُ المُرُوءة؟ قلت : تُخبرنى، قال : بنو عَمّ السوء إن رَأَوْا حسنا ستَرُوه، وإن رَأَوْا سيّئا أذاعوه، ثم قال : إن للعلم آفةً وهُجنةً ونَكَدًا، فآفتُه نسيانُه، ونكده الكذبُ فيه، وهُجنته نشره عند غير أهله .

كان يقال : لا يَزَالُ المرءُ عالمـا ما طَلَبَ العِلْمَ فإذا ظَنّ أنْ قد عَلِمَ فقد جَهِلَ .

---

(١) لعلها الجمّة قال فى اللسان : والجَموم : البئر الكثيرة الماء، وبئر جَمّة وجَموم : كثيرة الماء .

(٢) فى الأصل «ليس» بغير تاء التأنيث .

(٣) فى هامش الأصل الفتوغرافى عن نسخة أخرى : بيته .

حدّثنى شيخٌ لنا عن محمّد بن عُبيد عن الصّلْت بن مِهْران عن رجل عن الشعبيّ عن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من تعلّم العِلْمَ لأربعة دخل النار لِيُباهِيَ به العلماءَ أو يُمارِيَ به السفهاءَ أو يُمِيلَ به وجوهَ النـاس أو يأخُذَ به من الأمراء» .

وحدّثنى عن أبى معاوية عن حجّاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : «ما من عبد يُخْلِص العبادة لله أربعين يوما إلّا ظهرت ينابيعُ الحِكْمة من قلبه على لسانه» . وقرأت فى حِكَم لُقمان أنه قال لابنه : يا بُنَيَّ ، اغْدُ عالمـا أو متعلّما أو مُستمِعا أو مُحِبًّا ، ولا تكن الخامِسَ فتهلك .

حدّثنى محمد بن داود عن سُوَيد بن سعيد عن إسماعيل عن ابن عيّاش عن مُعَاذ ابن رِفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : «يحمل هذا العِـلْمَ من كلّ خَلَف عُدُولُه يَنْفُون عنه تحريفَ الغالين[1] وانتحالَ المُبْطِلين[2] وتأويلَ الجاهلين» .

وروى أبو خالد بن الأحمر عن عمرو بن قيس عن أبى إسحاق قال قال علىّ عليه السلام : كلماتٌ لو رحّلتم المَطِيَّ فيهنّ لا تُصيبونهنّ قبل أن تُدركوا مثلَهن[3] : لا يَرْجُوَنّ عبد إلا ربّه ، ولا يخافنّ إلا ذنبَه ، ولا يَسْتَحيِي من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحيِي إذا سُئِل عمّا لا يَعْلَم أن يقول : الله أعلمُ . واعلموا أن منزلة الصبر من الإيمـان كمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأسُ ذهب الجسد ، و إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان . وكان يقول : من حقّ العالم عليك إذا أتيته أن تُسلِّم على القوم عامّةً وتَخُصَّه بالتحية ، وأن

(١) كذا فى أدب الدنيا والدين (ص ٢٧) طبع بولاق . وفى الأصل «به» . (٢) كذا فى الأصل ومثله فى أدب الدنيا والدين . وفى العقد الفريد (ح ١ ص ٢٠١) «تحريف القائلين» .

(٣) فى أدب الدنيا والدين (ص ٦٧) ما نصه : «وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : خمس خذوهن عنى ، فلو ركبتم الفلك ما وجدتموهنّ إلا عندى : ألا لا يرجونّ أحد إلا ربه ... الخ» .

تَجْلِسَ قُدَّامَهُ ولا تُشِيرَ بيــدك ، ولا تَغْمِزَ بعينك ، ولا تقولَ قال فلان خلافا لقوله[1] ، ولا تَغتابَ عنده أحدا ، ولا تُسَارَّ في مجلسه ، ولا تأخُذَ بثوبه ، ولا تُلِحَّ عليــه إذا كَسِل ، ولا تَعْرَضَ[2] من صحبته لك ؛ فإنمــا هو بمنزلة النخلة لا يزال يسقط عليك منها شيء . وفيما قال عليّ عليه السلام : يا كُمَيْل[3] ، العلم خير من المــال ، لأنّ العلم يَحْرُسُك وأنت تحرُس المــال ، والمــال تَنْقُصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق . وقال : قيمةُ كلِّ آمرئٍ ما يُحسن . ويقال إذا أرذل[4] اللهُ عبدًا حَظَر عليه العِلمَ . وقال الشاعر :

يُعَدُّ رفيعَ القومِ مَن كان عالِمًا[5] * وإن لم يكن في قومه بحسيبِ
وإنْ حلَّ أرضا عاش فيها بعلمه * وما عالِمٌ في بلدةٍ بغــريبِ

قال بُزُرْجِمِهْر : ما ورَّثت الآباءُ الأبناءَ شيئا أفضلَ من الأدب ، لأنها تكتسب المــال بالأدب وبالجهل تُتْلفه فتقعُد عُدْما منهما . قال رجل لخالد بن صفوان : مالى إذا رأيتُكم تتذاكرون الأخبار ، وتتدارسون الآثار ، وتتناشدون الأشعار ، وَقَعَ عَلَيَّ النومُ ؟ قال : لأنك حِمارٌ في مسلاخ[6] إنسان .

خرج الوليدُ بن يزيد حاجّا ومعه عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فكانا ببعض الطريق يَلْعَبان بالشِّطْرَنْج فاستأذن عليــه رجلٌ من ثَقِيف فأذِنَ له وسَتَرَ

---

(١) عبارة العقد الفريد «لاختلاف قولك» . (٢) لا تعرض : لا تضجر . وفي الأصل «تفرض» بالفاء وهو تحريف . وعبارة العقد «ولا تُلِحَّ عليــه في السؤال ، فإنما هو بمنزلة النخلة المرطبة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء» . (٣) في الأصل : « تكميل العلم خير من المــال » وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه ، فقد جاء في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٠) ما نصه «عن كميل النخعي قال : أخذ بيدى عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه فخرج بي الى ناحية الجبانة فلمــا أصحر تنفّس الصعداء ثم قال : يا كميل ، إن هــذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ عني ما أقول لك ... الخ» وكذلك وردت العبارة في الإحياء (ج ١ ص ٧) طبعة بولاق . (٤) أرذله الله : لم يرض عنه . (٥) في العقد الفريد «عاقلا» . (٦) المسلاخ : الجلد .

الشِّطْرَنْج بمنديل، فلما دخل سلمٌ فسأله حاجَتَه، فقال له الوليد : أقرأتَ القرآن ؟ قال : لا، يا أمير المؤمنين ! شغلتنى عنه أمورٌ وهَنَات، قال : أفتعرف الفقْه ؟ قال : لا ، قال : أفرَوَيْت من الشِّعر شيئا ؟ قال : لا، قال : أفعلمتَ من أيام العرب شيئا ؟ قال : لا، قال : فكَشَفَ المنديل عن الشِّطْرَنْج وقال : شاهك، فقال له عبد الله بن معاوية : يا أمير المؤمنين ! قال : اسْكُت فما معنا أحد .

وفى كتاب للهند : العالِمُ إذا آغترب فمعه من عِلْمه كافٍ ، كالأسد معه قوّته التى يَعيش بها حيثُ تَوَجّه . وكان يقال : العلم أشرفُ الأحساب ، والمودّةُ أشدُّ الاسباب، قال الشاعر :

الحِلْمُ والعِـلْمُ خَلَّتا كَرَم * للمرءِ زَيْنٌ إذا هما آجتمعا
صِنْوانِ لا يَسْتَتِمّ حسنُهما * إلا بجمع لذا وذاك معا
كم من وضيعٍ سَما به العِلْمُ والـ * ـحِلمُ فنال العَلاءَ وآرتفعا
ومن رفيعِ البِنا اضاعَهُما * أخمله ما أضاع فاتّضعا

قال الأحنف : كادَ العلماءُ أن يكونوا أرْبابا ، وكلُّ عزٍّ لم يُؤَكَّد[1] بعلم فإلى ذُلّ ما يصير . وقال آبن المُقَفَّع : إذا أكرمك الناس لمالٍ أو سُلْطانٍ فلا يُعْجِبَنَّك ذلك، فإنّ زوال الكرامة بزوالها، ولكنْ ليُعْجِبك إن أكرموك لِدِين أو أدب . وفى بعض الحديث المرفوع : «مَثَلُ العلماء فى الأرض مَثَل النجوم فى السماء» . وكان يقال : استُدِلّ على فضل العلم أنه ليس أحدٌ يُحِبّ أن له بحظه منه خَطَرًا . قال يونس بن حبيب : عِلْمُك من رُوحك، ومالُك من بَدَنك . قال أبو الأسود : الملوك حُكّامٌ على الناس، والعلماء حُكّامٌ على الملوك .

(١) فى العقد (ج ١ ص ٢٠١) «يكسب» .

قيل لبُزُرْجِمِهْر : العلماءُ أفضلُ أم الأغنياء؟ فقال : العلماء، فقيل له : فما بالُ العلماء بأبواب الأغنياء أكْثَرُ من الأغنياء بأبواب العلماء؟ فقال: لمعرفة العلماء بفضل الغِنَى وجَهْلِ الأغنياء بفضل العلم . وفى الحديث : «ليس المَلَقُ من أخلاق المؤمن إلّا فى طالب العِلْم» . قال ٱبن عبّاس : ذَلَلْتُ طالبا، فعزَزْتُ مطلوبا ، وكان يقول: وجدتُ عامّة عِلْمِ رسول الله صلى الله عليــه وسلم عند هــذا الحيّ من الأنصار، إنْ كنتُ لأَقِيل بباب أحدهم ولو شئتُ أُذِن لى ، ولكن أبتغى بذلك طِيب نفسه . وكان يقال : أوّلُ العلم الصمتُ والثانى الٱستماعُ ، والثالث الحفْظُ ، والرابع العقل ، والخامس نشرُه . ويقال : إذا جالستَ العلماءَ فكن على أن تَسْمَعَ أحرصَ منــك على أن تقول . قال الحسن : مَن أحسنَ عِبادةَ الله فى شبيبته لقاه الله الحكمة فى سِــنّه ، وذلك قولُه : ﴿وَلَمَّــا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَٱسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال بعض الحكماء من الصحابة : تقول الحكمةُ : مَن ٱلتمسنى فلم يجِــدْنِى فلْيَفْعَلْ بأحسنِ ما يعْلم ، وليترُكْ أقبحَ ما يَعْلم ، فإذا فَعَلَ ذلك فأنا معه وإن لم يعرِفْنى . وكان يقال : لا يكون الرجلُ عالمــا حتّى يكونَ فيه ثلاثٌ : لا يَحْقِرُ مَن دونه فى العلم ، ولا يَحسُد من فوقه ، ولا يأخُذ على علمه ثَمَنا . وقال ٱبن عُيينة : يُستَحَبّ للعالم إذا عَلَّم ألّا يُعنِّف ، وإذا عُلِّمَ ألّا يأْنَف . وفى كلام ٱبن غَيْلان . لا تكن كعلماء زمن الهَرْج[(١)] إن عُلِّموا أَنِفوا وإن عَلَّموا عنفُوا . وفى حكمة لُقْمان : إن العالمَ الحكيمَ يدعو الناسَ إلى علمه بالصَّمْت والوَقار ، وإن العــالِم الأَخْرَق يَطْرُد النــاس عن علمــه بالهَذَر والإكثار . قال إبراهيم بن المنصور : سَلْ مسئلةَ الحَمْقَى وٱحفَظْ حِفظَ الأكياس . وأنشد ٱبن الأعرابىّ :

---

(١) الهرج : الفتنة .

ما أقربَ الأشياءَ حينَ يَسُوقُها * قَدَرٌ وأبعدَها إذا لم تُقْدَرِ
فسلِ الفقيهَ تكُنْ فقيها مثلَهُ * مَن يَسْعَ فى عمل بفقهٍ يَمْهَرِ
وتدبّر الأمرَ الذى تُعْنى به * لاخيرَ فى عملٍ بغير تدبُّرِ
فلقد يَجِدُّ المرءُ وهو مُقَصِّر * ويَخِيبُ جِدُّ المرء غيرَ مُقَصِّرِ
ذهب الرجالُ المُقْتَدَى بفَعالهم * والمنكِرون لكلِّ أمرٍ مُنْكَرِ
وبقيت فى خَلَفٍ يُزَيِّنُ بعضُهم * بعضا ليَدْفَعَ مُعْوِرٌ(١) عن مُعْوِرِ

وقال الشاعر(٢) :

شِفَاءُ العمى طولُ السؤال وإنّما * تمامُ العمى طولُ السكوتِ على الجَهْلِ

وقال بعضهم : خيرُ خصال المرء السؤالُ . ويقال : إذا جلست إلى عالم فسل تفقُّها ولا تَسَلْ تَعَنُّتًا . قال الحسن : مَن استتر عن الطلب بالحَيَاء لَبِسَ للجهل سِرْبالَه ، فقطِّعوا سَرَابيلَ الحياء ، فإنّه مَن رَقّ وجهُه رقّ علمُه ؛ وقال : إنّى وجدتُ العلمَ بين الحياء والسترْ . وقال الخليل : منزلة الجهل بين الحياء والأَنَفة . وقال علىّ بن أبى طالب عليه السلام : قُرِنت الهيبَةُ بالخَيْبة ، والحياءُ بالحِرْمان ، والحكمةُ ضالّةُ المؤمن فليطلُبْها ولو فى يَدَىْ أهلِ الشِّرك . وقال عُرْوةُ بن الزُّبَيْر لبنيه : تعلّموا العلم فإنْ تكونوا صِغارَ قومٍ فعسى أنْ تكونوا كِبارَ قومٍ آخَرين ، فياسَوْءَتَا ماذا أُقبحَ من جهلٍ بشيخ ! وكان يقال : عَلِّمْ عِلْمَكَ مَنْ يَجْهَل ، وتَعَلَّمْ ممّن يَعْلَم ، فإنّك إذا فعلتَ ذلكَ عَلِمتَ ما جَهِلتَ وحَفِظْتَ ما عَلِمت .

قيل لبُزُرْجِمِهْر : بِمَ أدركتَ ما أدركتَ من العلم؟ فقال : ببُكُورٍ كبُكُور الغُرَاب ، وحِرْصٍ كحرص الخنزير ، وصَبْرٍ كصبر الحِمَار . وقال الحسن : طلبُ العلم

(١) معور من أعور الشىء ، اذا بدت عورته . (٢) هو بشار بن برد كما فى أدب الدنيا والدين (ص ٤٩ طبعة بولاق) وبعد البيت :

فكن سائلا عما عناك فإنما * دعيت أخا عقل لتبحث بالعقل

فى الصِّغر كالنَّقش فى الحجَر، وطلبُ العلم فى الكِبَر كالنقش على المـاء. ويقال: التفقُّه على غير علم كحِمار الطاحونة يدور ولا يَبْرَح. وفى الحديث المرفوع «ارحموا عزيزا ذَلّ ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالمـا ضاع بين جُهّال» ويقال: أحقّ الناس بالرحمة عالمٌ يجوز عليه حُكْمُ جاهل.

قال المسيح عليه السلام: يابَنِى إسرائيلَ لا تُلْقُوا اللؤلُؤَ إلى الخنازير، فإنّهـا لا تَصْنع به شيئا، ولا تُعْطُوا الحِكْمَةَ مَن لا يُريدها، فإنّ الحكمَة أفضلُ من اللؤلؤ، ومن لا يريدها شَرٌّ من الخنازير. قال ديمقراط: عالمٌ معاندٌ خيرٌ من مُنْصف جاهل. وقال آخر: الجاهل لا يكون مُنصِفا، وقد يكون العالم معاندا. قال سُفْيان: تَعَوّذُوا بالله من فتنة العابد الجاهل[1]، وفتنة العالم الفاجر. قيل للحسن: الحِرْفَةُ فى أهل العلم، ولغيرهم الثَّرْوة، فقال: إنّك طلبت قليلا فى قليل فأعجزك: طلبت المـال وهو قليل فى الناس، فى أهل العلم وهم قليل فى الناس. وقال الخُرَيْمِىّ:

لا تَنْظُرَنّ إلى عَقْـلٍ ولا أدب * إنّ الجُـدودَ قريناتُ الحماقات

وقال آخر:

ما ٱزْددتُ من أدبى حَرْفا أُسَرُّ به * إلّا تَزَيّدْتُ حَرْفا تحته شُـومُ
إن المُقَـدّم فى حِذْقٍ بصَنْعته * أنّى توجّه منهـا فهـو محـرومُ

وقال الطائىّ لمحمد بن عبد الملك:

أبا جَعْفرٍ إنّ الجَهالةَ أُمُّها * وَلُودٌ وأُمُّ العلم جَدّاءُ[2] حائلُ[3]

---

(١) فى الأصل: «العالم» وظاهر أنه تحريف.

(٢) جداء: من الجذ وهو القطع، والمراد أنها مقطوعة النسل.

(٣) الحائل: كل أنثى لا تحمل.

قال الثّورىّ : مَن طلب الرّياسة بالعلم سريعا فاته علمٌ كثيرٌ، وقال : يهتف[1] العلم بالعمل فإن أجابه وإلّا ٱرتحل. قال بعض أهل العلم : يُغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يُغفَر للعالم ذنب واحد . قال بلال بن أبى بُرْدَة : لا يَمنعنَّكم سوءُ ما تعلمون منا أن تَقْبلوا أحسنَ ما تسمعون . وقال الخليل بن أحمد :

إعمَلْ[2] بعلمى ولا تَنظُر إلى عملى * يَنفَعْك قولى ولا يَضْرُرْك تقصيرى

كتب رجل إلى أخ له : إنّك قد أوتيتَ علما فلا تُطفِئَنّ نورَ علمك بظُلْمة الذنوب فتَبْقَى فى الظلمة يومَ يسعى أهلُ العلم بنور علمهم .

وقال بعض الحكماء : لولا العلمُ لم يُطلَب العمل، ولولا العملُ لم يُطلب العلم، ولأن أَدَعَ الحقَّ جهلا به أحبّ إلىّ من أن أَدَعَه زُهْدا فيه . وقال مالك بنُ دينار: إن العالِمَ إذا لم يَعْمَل بعلمه زَلّت موعظتُه عن القلوب كما يَزِلّ القَطْرُ عن الصَّفا[3] .

ونحوه قولُ زياد : إذا خرج الكلامُ من القلب وَقَعَ فى القلب، وإذا خرج من اللسان لم يُجاوِز الآذان .

ويقال : العلماءُ إذا عَلِمُوا عَمِلوا، فإذا عَمِلوا شُغِلوا، فإذا شُغِلوا فُقِدوا، فإذا فُقِدوا طُلِبُوا فإذا طُلِبوا هَرَبُوا . قال الحسن : ما أحسنَ الرجلَ ناطقا عالما ومُستَمِعا واعيًا وواعيا عاملا . وقال ٱبن مسعود : إنى لَأحسَب الرّجل يَنْسَى العلمَ بالخطيئة يَعْمَلُها . وقال ٱبن عبّاس : إذا تَرَك العالمُ قولَ لا أدرى أُصيبت مقاتلُه . وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك :

إذا ما تحدّثتُ فى مَجْلِسٍ * تناهى حديثى إلى ما علمتُ

ولم أَعْدُ علمى إلى غيره * وكان اذا ما تناهى قَصَرْتُ

(١) كذا فى أدب الدنيا والدين (ص ٦٩ طبعة بولاق) وفى الأصل : "نهيف" وظاهر أنه تحريف . (٢) ورواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢١١) «اعمل بعلمى وإن قصرت فى عملى» وفى أدب الدنيا والدين «اعمل بقولى ...» . (٣) الصَّفا جمع صَفَاة، وهى الحجر الصلد الضخم لا ينبت .

وقال آخر[1]:

إذا ما انتهى علمى تناهيتُ عنده * أطـال فأملى أم تنـاهى فأقصرا
ويُخـبرُنى عن غائب المرءِ فعـلُه * كفى الفعلُ عما غيّب المرءُ مُخْبِرا

قال عمرُ بن الخطّاب: لا أدركتُ لاأنا ولا أنت زمانا يتغايرُ الناس فيه على العِلْمِ كما يتغايرون على الأزواج . قال سَلْمان : علمٌ لا يقـال به ككنز لا يُنْفَق منـه . وفى الحديث المرفوع : «العلم علمان علمٌ فى القلب فذلك العلم النافع وعلمٌ على اللسان فذلك حُجَّةُ الله على ابن آدم» قال عمرُ بن عبد العزيز : ماقُرِن شىءٌ إلى شىء أحسن من حِلْم الى علم ومن عَفْو إلى قُدْرة . قال أبو الدَّرْداء : مَن يَزْدَدْ علمـا يَزْدَدْ وَجَعـا .

قال أفلاطون : لولا أن فى قولِ لا أعلم سبَبًا لأنّى أعلم لقلتُ إنّى لا أعْلَمُ. وقال آخر : ليس معى من فضيلة العلم إلا علمى بأنّى لستُ أعلم .

قال الخليل بنُ أحمد : الرجال أربعة : رجلٌ يَدْرِى ويَدْرى أنّه يَدْرِى فَسَلُوه، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يَدْرِى فذاك ناسٍ فذكّروه، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فعلّموه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفُضوه .

كتب كِسْرى الى بُزُرْجِمْهر وهو فى الحبس : كانت ثمرةُ علمك أن صِرْتَ بها أهلا للحبس والقتل، فكتب إليه بُزُرجمهر : أما ما كان معى الجَدّ فقد كنتُ أنتفعُ بثمرة العلم فالآن إذ لا جَدَّ فقد صِرتُ أنتفع بثمرة الصبر مع أنى إن كنتُ فقدْت كثيرَ الخير فقد استرحت من كثير الشرّ .

(١) هو زيادة بن زيد كما فى أدب الدنيا والدين (ص ٦٦) .

قال بُزُرْجِمِهْر : من صلح له العُمُرُ صلح له التعلُّمُ . وقيل لبعض الحكماء : أيحسُن بالرجل أن يتعلَّم ؟ فقال : إن كانت الجَهَالَةُ تَقْبُح به فإنّ العلم يَحْسُنُ به . ويقال : التودُّد زَيْنُ العلم .

قال عمرُ بن الخطّاب : ما من غاشية أدْوَم أرَذًّا[1] ، وأبطأ شِبَعًا من عالم . قال مالك بن دينار : مَن طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفى ، ومن طلبه للناس فحوائجُ الناس كثيرةٌ .

قال إبُّقْرَاطُ : العلم كثير، والعُمر قصير، والصنعةُ طويلةٌ ، والزمان جَديد ، والتجربة خطأ .

قال المسيح عليه السلام : إلى متى تَصِفُون الطريقَ للمُدْلجين، وأنتم مُقيمون مع المتحيِّرين ؟ إنما ينبغى من العلم القليلُ ، ومن العمل الكثير. قال سَلْمان : لو حدَّثتُ الناسَ بكلّ ما أَعْلَمُ لقالوا رَحِمَ الله قاتِلَ سَلْمان . كان يقال : لا تقل فيما لا تعلم فتُتَّهَم فيما تعلَم . وكان يقال : العلم قائد، والعمل سائق، والنَّفْس حَرُون[2] ، فإذا كان قائدٌ بلا سائق بَلُدَتْ وإذا كان سائقٌ بلا قائد عَدَلَتْ يمينا وشِمَالا ، فإذا آجتمعا أنابت طَوْعا وكَرْها . قال أيُّوب : لا يَعرِف الرجلُ خطأَ مُعلِّمه حتّى يعرِفَ الاختلاف . ويقال : غَريزة العقل أُنثى وما يُستفاد من العلم ذَكَرٌ ولن يصلُحَا إلاّ معا .

قال المسيح عليه السلام : إن أَبْغَضَ العلماء الى الله رجلٌ يُحِبُّ الذِّكْرَ بالمَغِيب ، ويُوَسَّع له فى المجالس ، ويُدْعى الى الطعام ، وتُفْرَغ له المَزَاوِد[3] ، بحقٍّ أقولُ لكم : إن أولئك قد أخذوا أُجورَهم فى الدنيا ، وإن الله يُضاعِف لهم العذابَ يومَ القيامة .

---

(١) الغاشية : السُّؤَّال الذين يَغشَون يرجون فضلك ومعروفك . (٢) وفى العقد الفريد (ج ١ ص ١٩٨) : «وقد قالت الحكماء : العلم قائد والعقل سائق والنفس ذود، فإن كان قائد بلا سائق هلكت ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا واذا آجتمعا أنابت طوعا أو كرها» .

(٣) المزاود جمع مِزْود كمنبر وهو وعاء الزاد .

لمـا دُلِّيَ زيد بن ثابت فى قبره قال ٱبن عبّاس : من سَرَّه أن يَرَى كيف ذهب العِلْمُ فهكذا ذَهَابُ العلم .

ويقال : إذا أردتَ المحبـة من الله فكن عالمـا كجاهل . وقال بعضُ الشعراء فى تَلَاقِى العلماء :

إذا تَلَاقَى الفُيُـولُ (١) وٱزْدحمتْ * فكيف حالُ البَعُوضِ فى الوَسَطِ

وقال ٱبن الرِّقاع :

ولقد أصبتُ من المعيشةِ لَذَّةً * ولَقِيتُ من شَظَفِ الخُطوبِ شِدَادَها

وعلمتُ حتّى لستُ أسألُ عالِمًا * عن حَرْفِ واحدةٍ لكى أزدادَها

ويقال : أربعٌ لا يَأْنَف منهنّ الشريفُ : قيامُه عن مجلســه لأبيه ، وخدمتُه لضيفه ، وقيامُه على فَرَسه وإن كان له مائةُ عبدٍ ، وخدمته العالِمَ ليأخذَ من علمه .

قيل لعطاء بن مُصْعَب : كيف غَلَبْتَ على البرامكة وعندهم مَن هو آدب منك؟ قال : ليس للقُرَباء ظَرَافةُ الغُرَباء ، كنتُ بعيدَ الدار ، غريبَ الأسم ، عظيمَ الكِبْر ، صغيرَ الجِرْم ، كثيرَ الآلتواء ، شحيحا بالإملاء ؛ فقرّبنى اليهم تَباعُدى منهم ، ورغَّبهم فىَّ رغبتى عنهم .

قال أبو يعقوب الخُرَيْمِىّ (٢) : تلقّانى سعيد بن وَهْب مع طلوع الشمس فقلت : أين تُريد؟ قال : أدُورُ لعلّى أسمع حديثا حَسَنًا ، ثم تلقّانى أنَس بن أبى شيخ فقلت : أين تُريد ؟ قال : عندى حديثٌ حَسَنٌ فأنا أطلُب له إنسانا حَسَنَ الفهم حَسَنَ الاستماع ، قلت : حدِّثنى به قال : أنت حَسَنُ الفهم سَيِّئُ الاستماع ، وما أرى لهذا الحديث إلا إسماعيلَ بن غَزْوَان . وقال الطائىّ فى نحو هذا :

(١) جمع فيل . (٢) هو إسحاق بن حسّان و يكنى أبا يعقوب الخُرَيمىّ [بالراء المهملة] كما ذكره المؤلف فى كتابه : «الشعر والشعراء» (ص ٥٤٢) طبع مدينة «ليدن» سنة ١٩١٢ م .

وكُنْتُ أَعَزَّ عِزًّا من قنُوعٍ * تعوّضـه صَفُوحٌ من مَلُول[1]
فصِرْتُ أَذَلَّ من معنًى دَقيقٍ * به فَقْـرٌ إلى فَهْمٍ جَليـلِ

كان يقال : إذا أردتَ أن تكون عالمـا فاقصد لفنّ من العلم، وإذا أردت أن تكون أديبا فخذ من كل شيء أحسَنَه . قال إبراهيم بن المهدىّ :

قد يُرْزَقُ المـرءُ لم تَتْعب رواحِلُهُ * ويُحْرَمُ الرِّزقَ مَن لم يُؤْتَ من تَعَبِ
معْ أننى واجِدٌ فى النـاس واحِدَةً * الرزقُ أرْوغُ شيء عن ذوى الأَدَبِ
وخَلَّةٌ ليس فيها مَن يُخالفنى * الرزق والنَّوْك مَقرونانِ فى سَبَبِ[2]
يا ثابتَ العقل كم عاينتَ ذا حُمُقٍ * الرزقُ أغرى به من لازم الجَرَبِ

قال أنوشِرْوان للمُوبَذ[3] : ما رأسُ الأشياء؟ قال : الطبيعة النقيّة تكتفى من الأدب برائحته، ومن العلم بالإشارة إليه، وكما يذهب البَذْر فى السِّباخ ضائعا، كذلك الحكمة تموت بموت الطبيعة، وكما تَغلِب السِّباخُ[4] طيِّبَ البَـذْر إلى العَفَن، كذلك الحكمة تَفْسُد عند غير أهلها؛ قال كسرى : قد صدقتَ وبحق قلَّدناك ما قلَّدناك .

قال بعضُ السلف[5] : يكون فى آخر الزمان علماء يُزَهِّدون فى الدنيا ولا يَزْهَدُون، ويُرَغِّبون فى الآخرة ولا يَرْغبون، يَنْهَوْن عن غِشْـيان الوُلَاة ولا ينتهون، يُقرِّبون

---

(١) كذا فى الأصل الفتوغرافى ، وفى نسخة ديوان أبى تمام الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٦ أدب ص ٢٣٤ وفى ديوانه المطبوع : «عن جهول» .

(٢) كذا فى المحاسن والأضداد للجاحظ : (ص ١٣٤ طبع مدينة ليدن) والسبب : الحبل . وفى الأصل الفتوغرافى : «نسب» .

(٣) الموبذ بضم الميم وفتح الباء ومثله الموبذان : فقيه الفرس وحاكم المجوس .

(٤) السِّباخ جمع سبخة محرّكة ومسكنة وهى الأرض ذات النَّزّ والملح .

(٥) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٥ طبع بولاق) «قال عيسى بن مريم عليه السلام سيكون...الخ» .

الأغنياء ويُباعدون الفقراء[١]، ويَنْقبِضون عند الحُقَرَاء، وينبسطون عنـد الكُبَراء[٢] : أولئك الجبَّارون أعداءُ الرحمن[٣] .

نافع عن ٱبن عُمَر قال : العلم ثلاثة : كتاب ناطق، وسنةٌ ماضية، ولا أدرى .

الكُتُب والحفظ

حدّثنى إسحاق بن إبراهيم قال حدّثنى قريش بن أَنَس قال سمعت الخليل بن أحمد يقول : اِسْلَمْ من الوَحْدة. فقيل له : قد جاء فى الوَحْدة ما جاء، فقال : ما أفسدَها للجاهل ! . قال بعض الشعراء فى قوم يَجْمَعون الكُتُب ولا يَعْلَمون :

زَوامِلُ[٤] للأسفارِ لا عِلْمَ عندهم ⁂ بجيِّـدها إلا كعِلْمِ الأباعِرِ
لعمرُك ما يَدْرِى المَطِىُّ إذا غدا ⁂ بأحمالهـا أوراحَ ما فى الغَرائِرِ[٥]

قال يحيى بن خالد : النـاسُ يكتُبون أحسنَ ما يَسمعون، ويحفظون أحسنَ ما يكتُبون ، ويتحـدّثون بأحسنِ ما يَحفظون . قال الشَّعبىّ : لو أن رجلا حفِظ ما نَسيتُ كان عالمـا . ووصف رجل رجلا فقال : كان يَغْلَطُ فى علمه من وجُوهٍ أربعـةٍ : يَسمع غيرَ ما يُقال له ، ويَحفَظ غيرَ ما يَسمع، ويكتُب غيرَ ما يحفَظ، ويُحدِّث بغيرِ ما يكتُب .

قيل لأبى نُوَاس : قد بَعَثُوا إلى أبى عُبَيدة والأصمعىّ ليُجْمَعَ بينهما، فقـال : أمّا أبو عُبَيدة فإن أمْكَنوه من سُفْرِه[٦] قرأ عليهم أسَاطيرَ الأوّلين، وأما الأصمعىّ فبُلْبُلٌ فى قَفَص يُطرِبهم بنَغَماته .

---

(١) فى العقد الفريد «ويبعدون» . (٢) فى العقد الفريد «ويتبسطون للكبراء وينقبضون عن الحقراء» . (٣) فى العقد الفريد «أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن» . (٤) زوامل جمع زاملة وهى التى يحمل عليها من الإبل وغيرها . (٥) الغرائر جمع غرارة بالكسر وهى ما يحمل فيه التبن ونحوه . (٦) الشقر كصرد : الكذب . وفى المثل : «جاء بالشُّقَر والبُقَر» أى جاء بالكلام المغيّر عن وجه الصدق .

القـــرآن

حدّثنى الزّيادىّ قال : حدّثنا عبدُ الوارث بن سعيد عن الجُرَيْرِىّ عن عبد الله آبن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكْرَهون بَيْعَ المصاحِف ويَرَوْنه عظيما، وكانوا يكْرهون أن يَأخُذَ المعلّمُ على تعليم الغِلْمان شيئا .

حدّثنى محمد بن عبد العزيز عن خالد الكاهلىّ عن أبى إسحاق عن الحارث عن علىّ عليه السلام قال : مَثَلُ المؤمن الذى يقرأ القرآن مَثَل الأُتْرُجّة رِيحُها طَيّب وطعمُها طيّب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التَّمْرة طعمُها طيّب ولا رِيحَ لهـا ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن مثل الرَّيْحَانة ريحها طيب وطعمها مُرٌّ ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن مثل الحَنْظَلة طعمها مُرٌّ ولا رِيحَ لها .

وحدّثنى محمد بن عُبَيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق[1] عن إسماعيل بن أمية ولَيْث بن أبى سُلَيم عن نافع عن آبن عُمَر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تُسَافروا بالقرآن الى أرض العدُوّ فإنى أخاف أن ينَالَه العدُوّ" .

حدّثنى أبو سفيان الغَنَوِىّ قال حدّثنا عُمَيْر بن عِمْران العَلّاف قال : حدّثنا خُزَيمة آبن أسد المُرّى قال : كان سعيدُ بن المُسيَّب يَستفتح القراءة بِ(بسم آللهِ آلرحمنِ آلرحيم) ويقول : إنهـا أوّلُ شيء كُتِب فى المصحف ، وأوّل الكُتُب ، وأوّل ما كَتَبَ به سُليمانُ بن داود الى المرأة[2] .

(١) ورد فى الأصل «أبيه» وهو تحريف لأن إسماعيل بن أمية المذكور ممن روى عنه «أبو اسحاق الفزارى» ومعاوية المذكور هو آبن عمرو بن المهلب الذى روى عن أبى اسحاق الفزارى أيضا فيتعين ما ورد فى الأصـل أن « أبا اسحاق » هو المقصود فى هـذه الرواية راجع تهذيب التهذيب (ج ١ ص ٢٨٣ ، ج ١٠ ص ٢١٥) .

(٢) هى بلقيس بكسر الباء والقاف : ملكة سبأ وقصتها معروفة .

وحدّثنى أبو حاتم قال: حدّثنا الأصمعىّ قال: حدّثنا رجل عن عِمْران بن حُدَيْر قال: قرأت على أعرابىّ آخرَ سُورة «براءة» فقال: كان هـذا من آخر ما نَزَل. قالوا: كيف؟ قال: أرى أشياء تُقْضَى وعُهودًا تُنْبَذ. قال: وقرأتُ عليه سُورة الأحزاب فقال: كأنّها ليست بتامّة.

حدّثنى محمدُ بن عُبيد قال: حدّثنا سفيانُ بن عُيَيْنة عن آبن أبى نَجِيح عن مجاهد قال: قال آبن مسعود: (حم) دِيباج القرآن. قال: وزاد فيه مِسْعَر[(١)]، قال عبد الله: اذا وقعتُ[(٢)] فى آل (حم) وقعتُ فى رَوْضات دَمِثات[(٣)] أتأنّق فيهنّ.

حدّثنى شيخٌ لنا عن المُحارِبىّ قال: حدّثنا بكر بن خُنَيْس[(٤)] عن ضِرَار بن عَمْرو عن الحسن قال: قُرّاءُ القرآن ثلاثةٌ: رجلٌ آتّخذه بِضاعةً ينقُلُه من مصر الى مصر، يطلُب به ما عند الناس؛ وقومٌ حَفِظوا حروفَه، وضيَّعوا حُدودَه، وآستدرُّوا به الوُلاة، وآستطالوا به على أهل بلادهم — وقد كَثَّر الله هـذا الضَّرْبَ فى حَمَلة القرآن لا كثَّرهم الله — ورجلٌ قرأ القرآن فَبَدَأ بمـا يَعلَم من دَواء القرآن فوَضَعه على دَاء قلبه، فسَهِر ليـلَه وهَمَلَت عيناه، تَسَرْبَلوا[(٥)] الخُشوعَ، وآرْتَدَوْا بالحُزْن، ورَكَدُوا فى محاريبهم، وحَنَوْا[(٦)] فى بَرَانِسهم[(٧)]، فبهم يَسْقى الله الغَيْثَ، ويُنْزِل النَّصر، ويَرْفَعُ البَلاءَ، والله لَهَذا الضَّرْبُ

(١) هو مسعر بن كِدَام بن ظهير الهلالىّ العامرىّ الرُّؤاسى، أحد الأعلام (راجع تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١١٣).   (٢) فى النهاية لابن الأثير مادة «دمث»: إذا قرأت «آل حم الخ». وفى مادة «أنق»: اذا وقعت «فى آل حم الخ».   (٣) دمثات: سهلة لينة.   (٤) بالمعجمة والنون آخره سين مهملة مصغرا كذا فى تهذيب التهذيب والتقريب والخلاصة. وفى الأصل «خنيش» بالمعجمة فى آخره وظاهر أنه تحريف.   (٥) كذا فى الأصل بواو الجماعة والمقام يقتضى الإفراد لقوله: «ورجل قرأ القرآن... الخ» ويؤيد هذا ما ورد فى العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠ طبعة بولاق) ونصه: «...ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه فسهر ليله وهملت عيناه وتسربل الخشوع وآرتدى الوقار واستشعر الحزن ووالله ... الخ».   (٦) فى الأصل: خثوا.   (٧) البرانس جمع برنس بالضم وهو قلنسوة طويلة كانت تلبس فى صدر الإسلام، وكل ثوب رأسه ملتزق به.

فى حَمَلَة القرآن أقلُّ من الكِبْريت الأحمر . رَوَى الحارثُ الأَعْوَرُ عن علىّ عليه السلام عن النبىّ صلى الله عليــه وسلم أنه قال : "كتاب الله فيه خَبَرُ ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحُكْمُ ما بينكم هو الفصلُ ليس بالهَزْل هو الذى لا تُزِيغُ به الأهواء ولا تَشْبَعَ منــه العلماء ولا يَخْلُق عن[1] كثرة الرّدّ ولا تَنْقَضِى عجائبُه هو الذى مَن تركه من جَبَّارٍ قَصَمه الله ومن ٱبتغى الهُدَى فى غيره أضلَّه الله هو حَبْلُ الله المتين والذِّكر الحكيم والصراط المستقيم" ، خذها إليك يا أعور .

المُحَارِبىّ قال : حدّثنا مالكُ بن مِغْول[2] عمّن أخبره عن المُسَيِّب بن رافع عن عبدالله ٱبن مســعود قال : ينبغى لحامل القرآن أن يُعْرَف بليله إذ الناسُ نائمون ، وبحُزْنه إذ الناس يَفْرَحون ، وببكائه إذ الناس يَضْحَكُون ؛ وينبغى لحاملِ القرآن أن يكون عليما حكيما ليّنا مُستَكِينا[3] .

وكيع عن أبى مَعْشر المَدِينى عن طلحة بنِ عبيد الله بن كَرِيز[4] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن من تعظيم جَلَال الله إكرَامَ ذى الشَّيْبة فى الإسلام وإكرامَ الإمام العادل وإكرامَ حامل القرآن" . قال بعضُ المفسرين فى قول الله عزّ وجلّ : (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) أحرِمُهم فَهْم القرآن .

---

(١) رواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٩ طبعة بولاق) «على» . (٢) ورد فى الأصل «معول» بالعين المهملة وهو تحريف . وصوابه بالمعجمة كما فى الخلاصة وتهذيب التهذيب .

(٣) فى الأصل «سكينا» وما أثبتناه عن الإحياء (ج ١ ص ٢٦٠) طبعة بولاق ، وعبارة الإحياء عن ابن مسعود « ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره اذا الناس يفرطون ، وبحزنه اذا الناس يفرحون ، وببكائه اذا الناس يضحكون ، وبصمته اذا الناس يخوضون ، وبخشوعه اذا الناس يختالون ، وينبغى لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ، ولا ينبغى له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا» . (٤) ذكره ٱبن حبان فى الثقات وقال : كل ما يجىء فى الأخبار «كُرَيز» يعنى بضم الكاف إلا هذا اه تهذيب .

سَمِع أعرابىّ ٱبن عباسٍ وهو يقرأ (وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا) فقال : واللهِ ما أنقذهم منها وهو يُريد أن يُدخِلَهم فيها ؛ فقال ٱبن عباس : خُذْها من غير فقيـــه .

الحـــديث

حدّثنى إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بن حبيب بن الشَّهيد قال : حدّثنا محمد بن فُضَيْل عن الأعمش قال : كان إسماعيلُ بن رَجَاء يجمع صِبْيانَ الكُتَّاب فيُحدِّثهم كيلا يَنْسَى حَديثَه . وحدّثنى إسحاق الشَّهيدىّ[1] قال : حدّثنا أبو بكر بن عيّاش عن الأعمش قال : قال لى حبيب بن أبى ثابت : لو أنّ رجلا حدَّثنى عنك بحـديثٍ ما باليْتُ أن أرْوِيه عنك .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن نافع عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال : أَلْفٌ عن أَلْفٍ خيرٌ من واحدٍ عن واحدٍ إن فلانا عن فلانٍ يَنْتزِع السُّنةَ من أيديكم .

حدّثنى الرياشىّ قال : رُوِى عن محمد بن إسماعيل عن مُعْتَمِر قال : حدّثنى مُنْقذٌ عن أيّوب عن الحسن قال : وَيْحٌ : رَحْمة .

حدّثنا الرياشىّ قال : رَوى ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن سُهَيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هُرَيرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قَضَى باليمين مع الشاهد ؛ قال ربيعة : ثم ذاكرتُ سُهَيْلا بهذا الحديثِ فلم يَحفظه ، فكان بعد ذلك يَرْوِيه عنّى عن نفسه عن أبيه عن أبى هُرَيرة .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن شُعْبة قال : كان قَتَادةُ إذا حدّث بالحديث الجيِّد ثم ذهب يجىء بالثانى غُدْوَةً .

(١) هو إسحاق بن ابراهيم بن حبيب المذكور قبله .

بلغني عن ابن مَهْدِيٍّ قال: سئل شُعْبَةُ : مَن الذى يُتْرَكُ حديثُه؟ فقال : الذى يُتَّهم بالكَذِب، ومن تكثَّر بالغَلَط ، ومن يُخطِئ فى حديث مُجْمَع عليه فلا يَتَّهِمُ نفسَه ويُقيم على غَلَطِه، ورجلٌ رَوَى عن المعروفين ما لا يَعْرفه المعروفون .

وعن مالك أنه قال : لا يُؤخَذُ العلمُ من أربعة : سفيهٍ معلِن بالسفه، وصاحبِ هَوًى، ورجلٍ يَكذِب فى أحاديثِ الناس وإن كنتَ لا تتَّهمه فى الحديث، ورجل له فضل وتعفّف وصلاح لا يعرِف ما يُحدّث .

حدّثني عبدُ الرحمن عن الأصمعيّ أنه رَثَى سفيانَ بن عُيينة[1] فقال :

فَلْيَبْكِ سُفْيانَ باغى سُنَّةٍ دَرَستْ * ومُسْتَبِيتٌ[2] أثاراتٍ[3] وآثارِ[4]
ومُبْتَغِي قُرْبِ إسنادٍ وموعظةٍ * وأَفَقِيُّون[5] من طَارٍ ومن طارِ
أمستْ مجالِسُه وَحْشًا مُعطَّلةً * من قاطنين و حُجّاجٍ وعُمّارِ
مَن للحديث عن الزُّهرىّ[6] حين ثَوَى * أو للأحاديث عَن عَمْرِو بن دينارِ[7]
لو يَسمَعُوا بعده مَن قال حدّثنا الـ زهرىّ من أهل بَدْوٍ أو بإحضارِ
لا يَهنأُ الشامِتَ المسرورَ مَصْرَعُهُ * من مارقين ومن جُحّاد أقدار

---

(١) قال ابن خلكان : كان إماما عالما ثَبْتًا زاهدا ورعا مجمعا على صحة حديثه وروايته ؛ توفى آخر يوم من جمادى الآخرة سنة ١٩٨هـ (٢) المستبيت : الفقير، والمراد به هنا الطالب . (٣) جمع أثارة وهى البقية من العلم تؤثر . (٤) جمع أثر وهو الخبر . (٥) أَفَقيون جمع أُفُقِى أو أَفَقِى (نسبة الى الآفاق أو الى الأفق) . (٦) هو أبو بكر محمد بن مسلم أحد الفقهاء والمحدّثين والأعلام التابعين بالمدينة رأى عشرة من الصحابة وروى عنه جماعة من الأئمة . منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثورى . توفى سنة ١٢٤هـ لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان (راجع ابن خلكان) . (٧) هو عمرو بن دينار المكىّ . كان من أشدّ الناس إتقانا للحديث روى عن ابن عباس وابن الزبير وأبى هريرة ؛ توفى سنة ١٢٥هـ أو ١٢٦هـ .

ومن زَنادِقةٍ ، جَهْمٌ(١) يَقُودهم * قَوْدا إلى غَضَبِ الرحمنِ والنارِ
ومُلْحِدين ومُرتابين قد خَلَطُوا * بِسُــنَّة الله أهتــارا بأهتــارِ(٢)

وقال آخر فى مالك بن أنس الفقيه :

يأبَى الجَوابَ فما يُراجَعُ هَيْبَةً * والسائلون نَواكِسُ الأَذْقانِ
هَدْىُ التقىّ وعِزُّ سلطانِ التُّقَى * فهو المُطاع وليس ذا سُلْطانِ

حدّثنا أبو الخَطّاب قال حدّثنا محمد بن سَوّار قال حدّثنا هِشام بن حَسّان قال : كان الحسن يُحدِّثنا اليومَ بالحديث ويردُّه الغَدَ ويزيد فيه وينقُص إلا أنــ المعنى واحــد .

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا ميمون قال حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال حُذَيْفَةُ بن اليمَــان : إنّا قومٌ عَرَب فنقــدِّم ونؤخّر ونَزيد وننْقُص ، ولا نُريد بذلك كَذِبا .

أبو معاوية قال : قال أبو إسحاق الشامىّ : لو كان هذا الحديث من الخُبْز نقص .

أبو أُسامة قال : قال مِسعر : من أبغضنى بجعله الله محدّثا . أبو معاوية قال : سمعت الأعمش يقول : والله لأنْ أتصدّق بِكسْرة أحبُّ إلىّ من أن أُحدِّث بستين حديثا .

أبو أُسامة قال : سمعت سُفيانَ يقول : لوددْتُ أنها قُطِعتْ من هامتى ، وأَوْمَأ الى المَنْكِب ، وأنى لم أسْمع منه شيئا .

(١) هو جهم بن صفوان صاحب الجهمية وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم ابن أحوز المازنى بمرو فى آخر ملك بنى أمية ووافق المعتزلة فى نفى الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء ذكرها الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل (ص ٦٠) .

(٢) جمع هِتْر وهو السَّقَط .

قال ٱبن عُيَينة : ما أُحِبّ لمن أُحبّ أن يكون أَحفَظَ الناس للحديث . قال بعضهم : إنّى لَأَسْمع الحديثَ عُطلا فأُشَنِّفه وأُقرِّطه وأُقلّده فيَحسُن ، وما زدتُ فيه معنى ، ولا نقصتُ منه معنى .

أبو أُسامة قال : سأَل حَفْص بن غِيَاثٍ الأَعمشَ عن إسناد حديثٍ فأخذ بِحَلْقه وأسنده الى الحائط وقال : هذا إسناده .

وحدّث ٱبن السَّمّاك بحديثٍ فقال له رجلٌ : ما إسنادُه ؟ فقال : هو من المُرْسَلاتِ عُرْفا . وحدّث الحسن بحديث فقال له رجلٌ : يا أبا سعيد ، عمّن قال وما يصنع بعمّن ؟ أمّا أنت فقد نالتْك موعظتُه ، وقامت عليك حُجّتُه .

يَعْلَى قال : قال الأعمش : إذا رأيتُ الشيخ لم يطلب الفقهَ أحببتُ أن أَصْفَعَه .

ٱبن عُيينة قال : قال الأعمش : لولا تَعَلُّم هذه الأحاديث كنتُ كبعض بقّالى الكُوفة .

ازدحم الناس يومًا على باب ٱبن عيينة أيام المَوْسِم و بالقُرب منه رجلٌ من حاجّ خُراسَان قد حطّ بَحمِله قَديس وكُسِرَ ما كان معه وٱنتُهِب كَعْكُه وسَوِيقُه : فقام يسيرُ إلى سفيانَ ويدعو ويقول : إنى لا أُحِلُّ لك ما صنعتَ ؛ فقال سفيان : ما يقول ؟ فقال بعضهم : يقول لك : زدنا فى السَّماع رحمك الله .

أنشدنى أبو حاتم عن الأصمعىّ للعَلاء بن المِنْهَال الغَنَوِىّ فى شَرِيك[1] :

(١) هو أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبى شريك النخعى . تولى القضاء بالكوفة أيام المهدىّ ثم عزله موسى الهادى ، وكان عالما فقيها فهما ذكيا فطنا . توفى سنة ١٧٧ هـ (ابن خلكان ج ١ ص ٣١٧ طبعة باريس سنة ١٨٣٨) . وقد ورد هذان البيتان مع أبيات أخرى للنهال قالها فى شريك أيضا فى المجلد الأوّل من هذا الكتاب (ص ٦٧ و ٦٨) .

ليت أبا شَرِيكٍ كان حيًّا (١) * فيُقْصِرَ حين يُبصِرُه شَرِيكُ
ويَتْرُكَ من تَدَرُّيه (٢) علينا * إذا قلنا له هـذا أبوكا

وقال آخر :

تحرّز سُفيانٌ وفرّ بدينـه * وأمسى شريكٌ مُرْصَدًا للدراهم

وقال آخر فى شَهْر بن حَوْشَب :

لقد باع شهرٌ دينَـه بخَرِيطةٍ * فمن يأمن القُرّاءَ بعدك ياشهرُ

وذلك أنه كان دخل بيت المـال فسَرَق خَرِيطةً، ورافق رجلا من أهل الشام فسرق عَيْبَتَه . وقال آبن مُناذِر (٣) :

---

(١) هكذا وردت فى الأصل، وفى اللسان (ج ١ ص ٦٦) و(ج ٢٠ ص ٧١) ووردت فى المجلد الأول من هذا الكتاب (ص ٦٨) : «فليت» .

(٢) فى الأصـل : « تذرّبه » بالذال المعجمة والباء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان (ج ١ ص ٦٦ وج ٢٠ ص ٧١ و ٧٢) وجاء فى اللسان (ج ١ ص ٦٦) « قال آبن سيده : إنما أراد من تدرّئه (أى من تطاوله وتكبره) فأبدل الهمزة إبدالا صحيحا حتى جعلها كأنّ موضوعها الياء وكسر الراء المجاورة هذه الياء المبدلة كما كان يكسرها لو أنها فى موضوعها حرف علة كقولك : تقضيها وتخليها، ولو قال : من تدرئه لكان صحيحا، لأن قوله : تدرئه مفاعلتن ؛ قال : ولا أدرى لمـا فعل العلاء هـذا مع تمام الوزن وخلوص تدرئه من هـذا البدل الذى لا يجوز مثله إلا فى الشعر، اللهم إلا أن يكون العلاء هـذا لغته البدل » .

(٣) فى شرح القاموس مادة « نذر » مانصه : «وآبن مناذر بالفتح ممنوع من الصرف و يضم فيصرف قال الجوهرىّ : هو محمد بن مناذر شاعر بصرىّ فمن فتح الميم منه لم يصرفه و يقول إنه جمع منذر لأنه محمد ابن المنذر بن المنذر بن المنذر ومن ضمه صرفه » اهـ . وقد ورد ما يؤكد أنه بالضم لاغير فقـد جاء فى معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينـة «ليدن») ما نصه : « ذكر المبرد أن محمد بن مناذر الشاعر كان اذا قيل ابن مناذر بفتح الميم يغضب و يقول أمناذر الكبرى أم مناذر الصغرى وهى كورتان من كور الأهواز، إنما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر يناذر فهو مناذر مثل ضارب فهو مضارب» وقد ورد فى المشتبة فى أسماء الرجال للذهبىّ (ص ٥٠٧ طبع مدينة ليدن) بالضم أيضا .

ومن يبغِ الوَصَاةَ فإنّ عِندى * وَصاةً للكُهُول وللشَّباب
خُذُوا عن مالكٍ وعن ابنِ عَوْنٍ * ولا تَرْوُوا أحاديثَ ابنِ دَاب (١)

عبد العزيز بن أبَان عن سُفيان عن حبيب بن أبى ثابت قال : طلبنا هذا الأمر وما لنا فيه نيّة ، ثم إنّ النيّة جاءت بعدُ ؛ فقال سفيان : قال زيد بن أسْلَم : رأيتم رجلا مدّ رِجله فقال : اقطعوها سوف أجْبُرها . قيل لرَقَبة : ما أكثر شكّك ! فقال : محاماة عن اليقين . وقال بعضهم : سأل شُعْبَةُ أيُّوب السَّخْتِيَانىّ عن حديث فقال : أنا أشُكُّ ، فيه فقال : شَكُّكَ أحبّ إلىّ من يقينِ سبعة .

حدّثنى زيد بن أخزم قال : سمعت عبد الله بن داود يقول : رأيت الأعمش يَضُمّ كفّيه ثم يَضرِب بهما صَدْرَه ويقول : اسكُنْ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : حدّثنى بعضُ الرُّواة قال : قلت للشَّرقِىّ (٢) بن قُطَامىّ : ما كانتِ العربُ تقول فى صلاتها على موتاها ؟ فقال : لا أدرى ، فأكْذِب له ؛ فقلت : كانوا يقولون :

ما كنتَ (٣) وَكْوَاكًا ولا بِزَوَنَّكِ * رُوَيْدَكَ حتّى يَبْعَثَ الخَلْقَ باعِثُهْ

وَكْوَاك : غليظ ، وزونّك : قصير ؛ قال : فإذا أنا به يُحدّث به فى المقصورة يومَ الجمعة ؛ قال أبو نُوَاس :

---

(١) ابن داب الذى يقصده الشاعر هو عيسى بن يزيد كان يضع الحديث بالمدينة كما فى تهذيب التهذيب (ج ٩ ص ١٥٣) طبع الهند واستشهد بالبيت .

(٢) فى الأصل «للشرق بن القطامى» وما أثبتناه عن المشتبه للذهبىّ وشرح القاموس والخلاصة .

(٣) ورد هذا البيت فى لسان العرب فى مادة «زنك» هكذا :

ولست بوكواك ولا بزونك * مكانك حتى يبعث الخلق باعثه

حدّثنى الأزرقُ المحدّثُ عن * عَمْرو بن شِمْر عن آبن مسعودِ (١)
لا يُخلِفُ الوعدَ غـيرُ كافرِه (٢) * وكافرٍ فى الجحيم مَصـــفُودِ

حدّثنى مِهْيَار قال : حدّثنى هُدْبَة بن عبد الوهاب عن شَقيق البَلْخىّ أنه أطرى يوما أبا حنيفة رحمه الله بمَرْو فقال له علىّ بن إسحاق : لا تُطْرِه بمَرْو فإنهم لا يحتملون ذلك ؛ فقال شَقِيق : قد مَدَحه مُساورٌ الشاعر فقال :

إذا ما الناسُ يوما قايَسُونا * بآبِدَةٍ من الفُتْيَا طَرِيفَهْ
أتيناهُمْ بمقيـاسٍ صحيحٍ * تِلادٍ من طِرَاز أبى حنيفه
إذا سَمِـع الفقيهُ بها وعاها * وأثبتهـا بحِـبْرٍ فى صحيفه

فقال له : قد أجابه بعض أصحابنا :

إذا ذُو الرأْيِ خاصمَ فى قِياسٍ * وجاء بِبدْعَةٍ هَنَـةٍ سخيفـه
أتينـاهم بقول الله فيهـا * وآثارٍ مـبرَّزة شريفـــه
فكم من فَرْجِ مُحْصَنَةٍ عَفِيفٍ * أُحِلَّ حرامُه بأبى حنيفـــه
أقال أبو حنيفة بنت صُلْبٍ * تكون من الزنا عُرْسًا صحيحه

سَمِع رجلٌ مناديا يُنادِى : من يَدلُّنا على شيخ ضلّ ؟ فقال : ما سمعتُ كاليوم شيخٌ يُنادَى عليه ؛ ثم جاء به الى بِشْر المَرِيسِىّ فقال : هـذا شيخ ضالٌّ فخُذْ بيده ؛ وكان بِشْرٌ يقول بخَلْق القرآن .

الأهواء والكلام فى الدِّين

قال المأمونُ يوما لعلىّ بن موسى الرِّضى عليهما السلام : بِم تدّعون هذا الأمر ؟ قال : بقرابة علىّ من النبى صلّى الله عليه وسلم ، وبقرابة فاطمة رضى الله عنها ؛ فقال

(١) لم نجد هذين البيتين فى ديوانه المطبوع بمصر سنة ١٨٩٨ م . (٢) كذا فى الأصل بمعنى «جاحده» ولعلها «خافره» لأن الخَفْر معناه نقض العهد والغدر به وهو يتفق والسياق .

المأمون : إن لم يكن هاهنا شيء إلا القرابة ففى خَلْف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته مَنْ هو أقربُ إليه من علىّ، ومَنْ هو فى القرابة مثلُه ، وإن كان بقرابة فاطمةَ من رسول الله ، فإنّ الحقّ بعد فاطمةَ للحَسَن والحُسَين وليس لعلىّ فى هذا الأمر حقّ وهما حَيّان ، وإذا كان الأمر على ذلك ، فإن عليًّا قد ابتزّهما جميعا وهما حَيّانِ صحيحان ، واستولى علىّ على مالا يَجِبُ له ؛ فما أحارَ(١) علىّ بن موسى نطقا .

حدثنا الرِّياشىّ قال سمعت الأصمعىّ ينشد :

وإنّى لأغْنَى الناسِ عن مُتكلِّمٍ * يَرَى الناسَ ضُلّالًا وليس بمُهتدى

وأنشدنى أيضا الرِّياشىّ :

وعاجزُ الرأْى مِضْيَاعٌ لفُرْصَتِه * حتى إذا فات أمْرٌ عاتَبَ القَدَرا

وقال آخر :

إذا عُيِّرُوا قالوا مقاديرُ قُدِّرَتْ * وما العـارُ إلّا ماتَجُرُّ المَقادِرُ

وأنشدنى سَهْلٌ عن الأصمعىّ :

يأيها المُضْمِرُ هَمًّا لا تَهُمّْ * إنّك إن تُقدَرْ لك الحُمَّى تُحَمّْ

ولو غَدَوْتَ شاهِقًا من العَلَمْ(٢) * كيف تَوَقِّيك وقد جَفَّ القَلَمْ

وأنشدنى غيرُه :

هِىَ المقـاديرُ فلُمْـنِى أو فَـذَرْ * إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَر

قال أبو يوسف : مَن طَلَب الدِّين بالكلام تَزَنْدَق ، ومَن طلب المـال بالكيمْياء أفْلَس ، ومَن طَلَب غرائبَ الحديث كَذَب كان مُسْلِمُ بنُ أبى مَرْيم — وهو

(١) ما أحار نطقا : ما ردّ جوابا .

(٢) العلم : الجبل ، والشاهق : ما ارتفع منه .

مَوْلًى لبعض أهل المدينة وقد حُمِل عنه الحديثُ ــ شديدا[1] على القَدَرِيّة[2]، عائبا لهم ولكلامهم، فانكسرت رِجلُه فتركها ولم يَجْبُرْها، فكُلِّمَ فى ذلك فقال: يَكْسِرها هو وأَجْبُرُها أنا! لقد عاندته إذًا. قال رجل لهِشَام بن الحَكَم: أترى اللهَ عزّ وجلّ فى فضله وكرمه وعَدْله كَلَّفَنَا ما لا نُطيق ثم يُعَذِّبنا؟ فقال هِشام: قد واللهِ فعَل، ولكننا لانستطيع أن نتكلّم.

حدّثنى رجلٌ من أصحابنا قال: صاحَبَ رجلٌ من القَدَرِيّة مجُوسيًّا فى سَفَر فقال له القَدَرِىّ: يا مجوسىّ، مالك لا تُسْلِم؟ قال: حتى يَشَاء[3] الله! قال: قد شاء اللهُ ذلك، ولكنّ الشيطانَ لايَدَعُك، قال المجوسىّ: فأنا مع أقواهما.

اجتمع أبو عَمْرو بن العَلَاء وعمرو بن عُبَيد فقال عمرو: إن الله وَعَدَ وَعْدا وأَوْعَدَ إيعادا وإنه مُنجِزٌ وعْدَه ووعيدَه. فقال له أبو عَمْرو: أنت أعْجَم! لا أقولُ إنك أعْجَمُ اللسان، ولكنك أعجم القَلْب! أما تعلم، وَيْحَكَ! أن العرب تَعُدُّ إنجاز الوَعْد مَكْرُمة، وتَرْكَ إيقاع الوعيد مَكْرُمة؟ ثم أنشده:

وإنِّى وَإنْ أَوْعدْتُه أو وعَدْتُه * لَمُخْلِفُ إيعادى ومُنْجِزُ مَوْعدى[4]

---

(١) فى الأصل: «تشديدا». (٢) القدرية ــ محرّكة ــ جاحدو القدر، وهى كلمة مولّدة. قال بعض متكلميهم: لا يلزمنا هـذا اللقب لأننا ننفى القدر عن الله عزّ وجلّ ومن أثبته فهو أولى به. قال الأزهرى: وهذا تمويه منهم لأنهم يثبتون القـدر لأنفسهم، ولذلك سموا قدرية (راجع شرح القاموس). (٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) «إن أذن الله فى ذلك كان» وقد وردت هـذه المسألة فى حديث جرى بين عمرو بن عبيد وبين مجوسى ركب معه سفينة بصيغة تخالف بعض المخالفة ما هنا وما فى العقد الفريد (راجع ص ٥١ من المجموعة رقم ٣٥٢ توحيد بدار الكتب المصرية).

(٤) عبارة كتاب المنيـة والأمل فى شرح كتاب الملل والنحل (ص ٧٤ طبـعة دائرة المعارف النظاميـة بحيـدرآباد) وروى أن أبا على [الجبّائى] ناظر بعضهم فى الإرجاء وأبو حنيفة والزبير حاضران فقال أبو حنيفة: إنّ أبا عمرو بن العلاء لقى عمرو بن عبيد فقال له: يا أبا عثمان، إنك أعجمىّ، ولست بأعجمى اللسان، ولكنك أعجمىّ الفهم، إن العرب اذا وعدت أنجزت وإذا أوعدت أخلفت؛ وأنشد = :

حبيب بن الشهيد قال : قال إياسُ بن معاوية[1] : ما كلّمتُ أحدًا بعقلي كلّه إلا صاحبَ القَدَر[2] ، قلت : ما الظلمُ في كلام العرب ؟ قال : هو أن يأخُذ الرجلُ ما ليس له ، قلت : فإن الله له كلّ شيء .

وفي كتاب للهند : اليقينُ بالقَدَر لا يمنعُ الحازمَ توقِّيَ المهالك ، وليس على أحد النّظرُ في القَدَر المُغيَّب ، ولكن عليه العمل بالحَزْم ، ونحنُ نجمَع تصديقا بالقدَر وأخذًا بالحَـزْم .

حدّثني خالد بن محمد الأزْديّ قال حدّثنا شَبَابَةُ بنُ سَوّار قال : سَمِعتُ رجلا من الرافضة[3] يقول : رحِمَ الله أبا لُؤْلُؤةَ ! فقلت : تترَحّم على رَجُلٍ مَجُوسيّ قتل عُمَرَ ابنَ الخطّاب رضي الله عنه ! فقال : كانت طعنتُه لعُمَر إسلامَه .

= وإني وإن أوعدته الخ البيت ، فقال أبو علي : إن أبا عثمان أجابه بالمسكت ، قال له : إن الشاعر قد يكذب و يصدق ، ولكن حدّثني عن قول الله تعالى عز وجل : (لأَملأَنّ جهنّمَ من الجِنّة والناس أجمعين) إن ملأَها أتقول صدق ؟ قال : نعم ، قال : فإن لم يملأْها أفتقول صدق ؟ فسكت أبو حنيفة . (١) هو الذي يُضرب به المثل في الذكاء ، توفي رحمه الله سنة ١٢٢ هـ . (٢) عبارة العقد الفريد : « كلّمت الفِرَق كلها ببعض عقلي ، وكلّمت القَدَريّ بعقلي كلّه ، فقلت له : دخولك فيما ليس لك ظلم منا . قال : نعم ، قلت : فان الأمر كله لله »

(٣) الرافضة : فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن عليّ ثم قالوا له : تبرّأْ من الشيخين ، فأبى وقال : كانا وزيرَيْ جدّي ، فتركوه ورفضوه ؛ قال عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ في كتابه «الفرق بين الفرق» (ص ٢٥ طبع مطبعة المعارف بالقاهرة) ما نصه : « كان زيد بن عليّ قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والي العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقين ، فلما استحرّ القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له : إنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدّك عليّ بن أبي طالب ، فقال زيد : إني لا أقول فيهما إلا خيرا ، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا ، وإنما خرجت على بني أمية الذين قاتلوا جدي الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار ، ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم : رفضتموني ، ومن يومئذ سموا رافضة » .

حدّثنى أحمـدُ بن الخليـل قال حدّثنـا الأصمعىّ قال أخبرنى عاصم بن محمـد العُمَرىّ قال: كنتُ جالسًا عند أميرٍ من أُمراء المدينة فأُتِىَ برجلٍ شَتَمَ أبا بكر وعُمَرَ فأسلمه حَجّاما حتى حَذِق .

وقال بعضُ شعراء الرافضة[(١)] فى محمد بن الحَنَفِيّة[(٢)] :

ألا قُلْ للوَصِىّ فَدَتْك نفسى * أطلْتَ بذلك الجَبَـلِ[(٣)] المُقاما
أَضَرّ بمَعْشرٍ وَالَوْكَ[(٤)] منّـا * وسَمَّـوْك الخَلِيفـةَ والإمَامَا
وعَادَوْا فيك أهلَ الأَرْض طُرًّا * مُقامك عنهـمُ ستيـن عاما
وما ذاق ٱبنُ خَوْلَةَ طَعْمَ موتٍ * ولا وَارتْ له أرضٌ عِظَـاما
لقد أمسى بمُورِق[(٥)] شِعْبِ رَضْوى * تُراجعـه المـلائكةُ الـكلاما[(٦)]

وقال كُثَيِّرُ عَزّة فيه وكان رافِضيًّا يقول بالرَّجْعة :

أَلَا إن الأَئِمّـة من قُرَيشٍ * وُلَاةُ الحَقّ أربعةٌ سَـواءُ
علىٌّ والثلاثةُ من بَنِيــهِ * هُمُ الأسباطُ ليس بهم خَفَاءُ
فسِـبْطٌ سِبطُ إيمـانٍ وبِرٍّ * وسِـبْطٌ غَيّبَتْه كَرْبَلَاءُ

---

(١) هو السيد الحِمْيَرِىّ ، كما ذكر صاحب الأغانى (راجع ج ٨ ص ٣٢ طبعة بولاق) . (٢) هو أبو القاسم محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، والحنفية أمه ، وهى خولة بنت جعفر بن قيس ، وقيل بل كانت من سبى اليمامة وصارت الى علىّ ، وقيـل بل كانت سندية سوداء وكانت أمة لبنى حنيفة ولم تكن منهم ، الى آخر ما ذكر ابن خلكان ؛ توفى رحمـه الله فى أوّل المحرّم سـنة ١٨١ هـ وقيل ١٨٣ هـ ودفن بالبقيع ، وقيل دفن ببلاد أَيْلَة . (٣) هو جبل رضوى ، وكان قوم من القائلين بإمامة محمد بن الحنفية يزعمون أنه حىّ لم يمت وأنه فى جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من عسل يأخذ منهما رزقه ، وعن يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائه الى وقت خروجه (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٧) .

(٤) كذا فى الأغانى (ج ٨ ص ٣٢) والفرق بين الفرق (ص ٣٠) . وفى الأصل : «وارِوك» .

(٥) كذا فى الأصل ، ومثله فى الأغانى (ج ٨ ص ٣٢) وفى الفرق بين الفرق : « بمجرى » .

(٦) فى الأصل «الكراما» وما أثبتناه عن الأغانى .

وسِبْطٌ لايَذُوق الموتَ حتّى * يَقُودَ الخيلَ يَقْدُمها اللّواءُ
تغيّب لايُرَى عنهم زمانا * بِرَضْوَى عنده عَسَلٌ وماءُ

وهم يذكرون أنه دخل شِعْبا باليمن فى أربعين من أصحابه فلم يُرَ لهم أثر.

قال طلحة بن مُصرِّف لرجل : لولا أنى على وُضوءٍ لأخبرتُك بما تقول الشّيعة .

قال هارون بن سعد العِجْلىّ وكان رأس الزّيدية :

ألم تَرَ أن الرافِضِين تَفرّقوا * فكُلُّهُمُ فى جَعْفرٍ قال مُنْكَرَا
فطائفةٌ قالوا إلٰهٌ[1] ومنهمُ * طوائفُ سمّتْه النبيَّ المُطَهَّرَا
فإن كان يَرْضَى ما يقولون جعفرٌ * فإنّى إلى رَبّى أُفارِق جَعْفَرَا
ومن عَجَبٍ لم أَقْضِه جِلْدُ جَفْرِهم[2] * بَرِئتُ الى الرحمن ممن تَجَفَّرا
بَرِئت الى الرحمن من كل رافضٍ * بَصيرٍ بباب الكُفْرِ فى الدين أعورا
إذا كَفَّ أهلُ الحق عن بِدْعة مَضَى * عليها وإن يَمْضُوا على الحق قَصّرا
ولو قال إنّ الفيلَ ضَبٌّ لصدّقوا * ولو قال زِنْجِىٌّ تحوّل أحْمَرَا
وأخْلَفُ من بَوْلِ[3] البَعِيرِ فإنّه * إذا هو للإقبال وُجِّه أَدْبَرا
فقُبِّحَ أقوامٌ رَمَوْه بفِرْيةٍ[4] * كما قال فى عيسى الفِرَى من تَنَصّرا

(١) فى الأصل «إمام» وما أثبتناه عن كتاب «الفرق بين الفرق» ويستأنس له بما جاء فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى (ص ١٣٦) طبع ليبسج سنة ١٩٢٣ م : «زعم أبو الخطاب (محمد بن أبى زينب الأجدع) أن الأئمة أنبياء ثم آلهة وقال بآلهية جعفر بن محمد وآلهية آبائه وهم أبناء الله وأحباؤه» .

(٢) فى كتاب «الفرق بين الفرق» (ص ٢٣٩) «ومن أعجب الأشياء أن الخطابية زعمت أن جعفرا الصادق قد أودعهم جلدا فيه علم كل ما يحتاجون إليه من الغيب وسموا ذلك الجلد جفرا، وزعموا أنه لا يقرأ ما فيه إلا من كان منهم» اه .

(٣) فى الأصل «قول» ولعله تحريف من الناسخ .

(٤) وفى الأصل «بقرية» وهو تحريف .

سمعت بعضَ أهل الأدب[1] يقول : ما أشبهَ تأويل الرافضة للقرآن بتأويل رجل للشِّعْر، فإنه قال يوما : ما سمعتُ بأكذَبَ من بنى تميم ! زعموا أن قولَ القائل :

بَيْتٌ، زُرَارةُ مُحْتَبٍ[2] بِفِنَـائه * ومُجَاشِعٌ وأبو الفوارِس نَهْشَلُ

إنما هو فى رجال منهم ؛ قيل له : ما تقول أنت ؟ قال : البيت بيت الله ، وزُرارة الحَجر[3]؛ قيل له : فمجاشع ؟ قال : زمزم جَشِعت بالمـاء؛ قيل له : فأبو الفوارس؟ قال : أبو قُبَيْس؛ قيل : فنهشل ؟ قال : نهشل أشـدّ ، وفكَّر ساعةً ثم قال : نعم ، نهشل ! مِصباح الكعبة طويلٌ أسودُ فذاك نهشل ! .

قال أعشى هَمْدَان يذكُر قتلَ الرافضةِ الناسَ :

إذا سِرْتَ فى عِجْل فسِرْ فى صحابة * وكِنْدَة فاحذرْها حِذَارك لِلْخَسْفِ

وفى شـيعة الأَعْمى زِيادٌ[4] وغِيلَةٌ[5] * ولَسْبٌ وإعمـال لجندلة القَذْف

الأعمى هو المُغيرة . وزياد يعنى الخَنْق . واللَّسْب : السمّ؛ وإعمال لجَنْدلة القذف: يريد رَضْخهم رءوسَ الناس بالحجارة . ثم قال :

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠) وردت هذه العبارة باختلاف فى كثير من الألفاظ نثبتها هنا لوضوحها ، ونصها : «قال الشعبىّ : ما شبهت تأويل الروافض فى القرآن إلا بتأويل رجل مضعوف من بنى مخزوم من أهل مكة وجدته قاعدا بفناء الكعبة ، فقال للشعبى : ما عندك فى تأويل هذا البيت ؟ فإن بنى تميم يغلطون فيه يزعمون أنه مما قيل فى رجل منهم وهو قول الشاعر (ورواه هكذا) :

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

(وظاهر تحريفه) فقلت له : وما عندك أنت ؟ قال : البيت هو هـذا البيت ، وأشار بيده الى الكعبة . وزرارة : الحجر زرّر حول البيت ؛ فقلت له : فمجاشع ؟ قال : زمزم جشعت بالماء . قلت : فأبو الفوارس؟ قال : هو أبو قبيس جبل مكة . قلت : فنهشل ؟ ففكر فيه طويلا ثم قال : أصبته ، هو مصباح الكعبة طويل أسود وهو النهشل» . (٢) الاحتباء هو أن يضم الإنسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشدّه عليها . (٣) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصل « الحجى » وهو تحريف . (٤) فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٢٩) «خناق» . (٥) يقال : قتله غيلة إذا خدعه فذهب به الى موضع فقتله .

وكُلُّهُــمُ شَرٌّ على أَنَّ رَأْسَهم[1] * حَمِيدَةُ[2] والمَيْلاءُ[3] حاضِنَةُ الكِسْفِ

والكِسْفُ هذا هو أبو منصور[4]، سُمِّى بذلك لأنه قال لأصحابه: فىَّ نَزَلَ: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ وكان يَدِين بخَنْق الناس وقتلِهم . ثم قال :

مَتَى كُنتَ فى حَيٍّ بَجِيلَةَ فاسْتَمِعْ * فإنّ لهم قَصْفا يَدُلُّ على حَتْفِ

كان المغيرة بَجَلِيًّا مولًى لهم

إذا ٱعتَزَمُوا[5] يوما على قَتْلِ زائرٍ * تَدَاعَوْا عليه بالنُّبَاحِ وبالعَزْفِ

وكان ٱبن عُيينة يُنشِد :

إذا مَا سَرَّكَ العَيْشُ * فَلا تأخُذْ[6] على كِنْدَهْ

يريد أن الخَنّاقين من المنصورية أكثرُهم بالكوفة من كِنْــدَة، منهم أبو قُطْبة[7] الخَنّــاق .

---

(١) فى الأصل «رأس» وما أثبتناه عن كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٣٠) . (٢) حميدة كانت من أصحاب ليلى الناعطية ولها رياسة فى الغالية (الفرقة الرابعــة من مذهب الشيعة) والغالية هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهيــة . (راجع الملل والنحل ص ١٣٢ طبع ليبسج، والحيوان ج ٦ ص ١٣٠ ؛ ومفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٣٠ طبع أوربا) .

(٣) الميلاء حاضنة أبى منصور العجلىّ صاحب المنصورية الذين استحلوا خنق مُخالفيهم . (٤) هو أبو منصور العجلىّ أحد الذين آدّعوا الإمامة، وزعم أنه عرج به الى السماء ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال له : يا بنىّ، انزل فبلّغ عنى ؛ ثم أهبطه الى الأرض، فهو الكسف الساقط من السماء . وقد وقف يوسف بن عمر الثقفى والى العراق فى أيام هشام بن عبد الملك على قصته وخبث دعوته فأخذه وصلبه (راجع الملل والنحل ص ١٣٦) . (٥) قال صاحب كتاب الحيوان : (ج ٦ ص ١٣٠) : «وذلك أن الخناقين لا يسيرون إلا معا ولا يقيمون فى الأمصار إلا كذلك ؛ فإذا عزم أهل دار على خنق إنسان كانت العلامة بينهم الضرب على دُفّ أو طبل على ما يكون فى دور الناس، وعندهم كلاب مرتبطة، فإذا تجاوبوا بالعزف ليختفى الصوت ضربوا تلك الكلاب فنبحت، وربما كان منهم معلِّمٌ يُؤدِّب فى الدرب، فإذا سمع تلك الأصوات أمر الصبيان برفع الهجاء والقراءة والحساب» اهـ . (٦) فى كتاب الحيوان «تمرر» .

(٧) كانت دار أبى قطبة الخَنّاق بالكوفة فى كندة وقد قتل وصلب (راجع الحيوان ج ٦ ص ١٢٩) .

حدثنى أبو حاتم قال حدثنا الأصمعىّ عن آبن أبى زائدة قال: قال هِشام بنُ القاسم: أخذ خالد بنُ[١] عبد الله المُغِيرةَ فقتله وصَلَبَه بوَاسِط[٢] عند مَنْظَرة[٣] العاشر، فقال الشاعر:

طال التَّجاوُرُ من بَيــانٍ[٤] واقفًا * ومن المُغِيرة[٥] عنــد جِذْعِ العَاشِرِ
ياليتــه قد شال جِذْعا نَخْـــلَةٍ * بأبى حنيفة وآبن قَيْس الناصرِ

وبيان هذا هو بيان التَّبّان[٦] وكان يقول: إلىّ أشار اللهُ إذ يقول: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ وهو أوّل من قال بخَلْق القرآن.

---

(١) فى الأصل «خلف» وظاهر أنه تحريف (راجع الطبرى ص ١٦١٩ — ١٦٢١ ج ٦ من القسم الثانى طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٩ م، والكامل لآبن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م، والكامل للمبرّد ج ١ ص ٢٠ طبع ليبسج سنة ١٨٦٤ م).

(٢) واسط: اسم مدينة بالعراق اختطها الحجاج بن يوسف فى سنتين.

(٣) المنظرة: الموضع الذى ينظر منه وقد يغلب هذا على المواضع العالية التى يشرف منها على الطريق وغيره؛ اتخذها الحجاج بن يوسف بين قزوين وواسط، وكان اذا دخّن أهل قزوين دخّنت المناظر إن كان نهارا وإن كان ليلا أشعلوا نيرانا (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٨٦ طبع ليبسج).

(٤) هو بيان بن سمعان التميمىّ الذى زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان فى أعضائه وأنه يَفْنَى كلّه إلا وجهه، وتأوّل على زعمه قوله تعالى: (كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) وقوله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ) وكان يزعم أنه يعرف الأسم الأعظم، وأنه يهزم به العساكر، وأنه يدعو به الزُّهَرة فتجيبه؛ رُفع خبره الى خالد بن عبد الله القسرىّ فى زمان ولايتــه فى العراق فآحتال عليــه حتى ظفر به وصلبه سنة ١١٩ هـ وقال له: ان كنت تهزم الجيوش بالأسم الذى تعرفه فآهزم به أعوانى عنك (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ — ٢٢٨ والكامل لآبن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م).

(٥) هو المغيرة بن سعيد العجلىّ زعم أنه هو المهدىّ المنتظر، وزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة، وأن أعضاءه على صور حروف الهجاء؛ سمع خالد بن عبــد الله القسرىّ بخبره وضلالاته فطلبه وقتله سنة ١١٩ هـ (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٣١ والملل والنحل ص ١٣٤ والكامل لآبن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م).

(٦) التبّان: بائع التبن.

وأما المغيرة فكان مَوْلًى لبَجِيلَة وكان سَبَائِيًّا(١) وصاحب نِيْرَنْجَات(٢) . قال الأعمش : قلت للمغيرة : هل كان علىٌّ يُحْيِي المَوْتَى؟ فقال : لو شاء لَأَحْيَا عاداً وثَمُودَ وقُروناً بين ذلك [كثيرا](٣) .

بَلَغَنِي عن أبى عاصم عن إسماعيلَ بن مُسْلِم المَكِّيّ قال : كنتُ بالكُوفة فإذا قوم من جِيرَانى يُكْثِرُون الدخولَ على رجل ، فقلت مَن هذا الذى تدخُلون عليه؟ فقالوا : هذا علىّ بن أبى طالب ، فقلت : أَدْخِلُونى معكم فمضيتُ معهم وخَبأْتُ معى سَوْطًا تحتَ ثيابى فدخلتُ فإذا شيخٌ أَصْلَعُ بَطِين ، فقلت له : أنت علىّ بن أبى طالب ؟ فأَوْمَأَ برأسه : أى نعم ، فأخرجتُ السَّوْطَ فما زلت أُقَنِّعُه(٤) وهو يقول : لتاوى لتاوى ، فقلتُ لهم : يا فَسَقَة ! علىُّ بن أبى طالبٍ نَبَطِىٌّ(٥) ! ثم قلتُ له : وَيْلَك ! ما قِصَّتُك ؟

---

(١) فى الأصل « سبابيا » [بياءين موحدتين بينهما ألف] وفى مفاتيح العلوم للخوارزمى (ص ٣١ طبع أوربا) «السبائية» وكذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧) وشرح القاموس مادة «سبأ» وهم أتباع عبد الله بن سبأ (صاحب السبائية) الذى غلا فى علىّ رضى الله عنه ، وزعم أنه كان نبيا ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا الى ذلك قوما من غواة الكوفة ، وذهب بعضهم فى علىّ مذهب النصارى فى المسيح ؛ وفيهم يقول السَّيِّدُ الحِمْيَرِىّ :

قوم غلَوْا فى علىّ لا أبالهمُ * وأجشموا أنفسا فى حبه تعبا
قالوا هو الإله جل الله خالقنا * من أن يكون له ابن أو يكونَ أبا

رُفع خبرهم الى علىّ رضى الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم فى حُفْرتين حتى قال بعض الشعراء فى ذلك :

لترم بى الحوادث حيث شاءتْ * إذا لم ترم بى فى الحفرتين

ثم إن عليا رضى الله عنه خاف من إحراق الباقين منهم شماتة أهل الشام وخاف اختلاف أصحابه عليه فنفى ابن سبأ الى سباط المدائن (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ والملل والنحل ص ١٣٢ والعقد الفريد ج ١ ص ٢٦٧) .

(٢) النيرنجات : [illegible] ليست بحقيقته إنما هى تشبيه وتلبيس (معرّبة) .

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧)

(٤) يقال : قنّع رأسه بالسوط : علاه به .

(٥) النَّبَطِىّ نسبة الى النبط وهم قوم من الأعاجم ينزلون سواد العراق .

قال : جُعِلْتُ فِدَاك، أنا رجلٌ من أهل السَّوَاد(١) أخذنى هؤلاء فقالوا : أنت علىّ ابن أبى طالب .

حدّثنى رجل من أصحاب الكلام قال : دخل هِشامُ بن الحَكَم(٢) على بعض [الولاة](٣) العباسيين فقال رجل للعباسىّ : أنا أُقرِّر هِشاما بأنّ عَليًّا كان ظالما ، فقال له : إن فعلتَ ذلك فلك كذا ؛ فقال له : يا أبا محمد ، أما علمتَ أن عَليًّا نازع العبَّاسَ الى أبى بكر؟ قال : نعم، قال : فأيُّهما كان الظالم لصاحبه ؟ فتوقَّف هِشامٌ وقال : إن قلتُ العباسَ خِفتُ العباسىّ(٤) ، وإن قلت عَليًّا ناقضتُ قولى، ثم قال : لم يَكُن فيهما ظالمٌ، قال : فيختصم آثنان فى أمر وهما مُحِقَّان جميعا ؟ قال : نعم، آختصم المَلَكان(٥) الى دَاوُدَ وليس فيهما ظالمٌ إنّما أرادا أن يُنَبِّهاه على ظُلْمه ، كذلك آختصم هذان الى أبى بكر ليُعَرِّفاه ظُلْمَه [فأسكتَ الرجلَ وأمرَ الخليفةُ لهشام بِصِلَة](٦) .

قال حسّان بن ثابت فى النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما :

ثَـلاثةٌ بَرَّزُوا بِسَبْقِهِمُ * نَضَّرهم ربهم(٧) إذا نُشِروا(٨)
عَاشُوا بلا فُرْقَةٍ حياتَهُمُ * وآجتمعوا فى المات إذْ قُبِروا
فليس مِن مُسْلِم له بَصَرٌ * يُنكِرُ من فَضْلهم إذا ذُكِروا

(١) السواد : قرى العراق . (٢) ورد هذا الخبر فى العقد الفريد بآختلاف فى بعض الكلمات لا يخرجه عن المعنى المراد هنا (راجع ج ١ ص ٢٧٠) . (٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٠). (٤) فى العقد الفريد « الخليفة » . (٥) الملكان هما اللذان بعثهما الله تعالى الى داود عليه السلام فى صورة إنسانين ؛ وهـذه القصة وردت فى القرآن الكريم فى سورة «ص» فى قوله تعالى : (إنَّ هَذَا أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً . الآية) وشرحها المفسرون . (٦) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٠) . (٧) نضّرهم ربهم : نعّمهم وحسّنهم . (٨) هذه الأبيات لم ترد فى ديوانه المطبوع بمدينة ليدن سنة ١٩١٠ م ولا فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ أدب ش ولا فى ترجمته بالأغانى (ج ٤ ص ٢ — ١٧ طبع بولاق) ولا فى كتب الأدب التى تحت أيدينا .

وقال أعرابيٌّ لعَبْد الله بن عُمر :

إليكَ ابنَ خيرِ الناسِ إلّا محمّدًا * وإلّا أبا بكرٍ نَرُوحُ ونَغْتَدِى

وقال أبو طالب فى سُهَيل بن بيضاء، وكان أُسِرَ فأطلقه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بغيرِ فِدَاء، لأنه كان مُسْلما مُكرَهًا على الخروج :

وهم رَجعُوا سَهْلَ بنَ بَيْضاءَ راضياً * وسُرَّ أبو بَكْرٍ بها ومُحمّــدُ

وقال عُبَيد الله بن عمر :

أنا عُبيــدُ الله يَنْمِينِى عُمَــرْ * خيرُ قُرَيْشٍ مَن مَضَى ومَنْ غَبَرْ
بعدَ رسُولِ الله والشَّيْخِ الأَغَرّ * مَهْلًا عُبيــدَ الله فى ذاكَ نَظَرْ

وقال حَسّان بن ثابت يَرْثِى أبا بَكْرٍ رَضِىَ الله عنه :

إذا تَذَكَّرتَ شَجْوًا من أَخِى ثِقَةٍ * فاذْكُرْ أخاكَ أبا بَكْرٍ بمــا فَعَلا
خــيرَ البَرِيّةِ أتْقاها وأَعْــدَلَها * بعــدَ النَّبِىِّ وأوفاها بمــا حَمَــلا
والثانِىَ الصادِقَ المحمودَ مَشْهَدُه (١) * واوّلَ الناس منهم صَدّقَ الرُّسُلَا
وكانَ حِبَّ رسولِ الله قد عَلِمُوا * مِن البريةِ لم يَعدِل به رَجُلا (٢)

حدّثنى مِهْيَار الرازىّ قال : قال جريرُ بنُ ثَعْلَبة : حَضَرْتُ شيطانا مَرّةً فقال : ارْفُقْ بِى فإنِّى من الشِّيعة ، فقلتُ : فمَن تَعْرِف من الشــيعة ؟ قال : الأعمش ، فخلَّيتُ سَبِيلَه . قال أبو هريرة العِجْلىّ لمحمد بنِ علىّ بنِ الحُسَين عليهم السلام :

أبا جَــعْفَرٍ أنت الوَلِىُّ أُحِبــه * وأَرضى بمــا تَرْضَى به وأُتابِــعُ
أتَتْنا رِجالٌ يَحْمِلون عليــكُمُ * أحاديثَ قد ضاقتْ بهنَّ الأضَالِـعُ
أحاديثَ أفشاها المُغِـيرَةُ فيهــمُ * وشَرُّ الأُمورِ المُحْدَثاتُ البَــدائِـعُ

(١) ورد فى الأصل «الثانى التالى ... الخ» وما أثبتناه عن ديوانه المطبوع وكذا المخطوط .

(٢) لم يرد هذا البيت فى ديوانه المطبوع ولا المخطوط وورد فيهما بدله هذا البيت :

عاش حميــدا لأمر الله متبعا * بهدى صاحبه الماضى وما انتقلا

حدّثنى هارونُ بنُ موسى عن الحسن بن موسى الأشْيَب عن حَمّاد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال عُمَرُ بن عبد العزيز : مَن جَعَل دِينَــه غَرَضًا للخُصومات أكثَرَ التنقُّل . قال :

ماضَرَّ مَن أصبح المأمونُ سائِسَهُ * إن لم يَسُسْه أبو بكرٍ ولا عُمَــرُ

الردّ على المُلحِدين

قال بعض المُلْحدين لبعض أصحاب الكلام : هل من دَليلٍ على حُدُوث العَالَم؟[1] [قال : الحركة والسكون][2] فقال : الحَرَكَةُ والسُّكون من العَالَم ، فكأنّك إذًا قلتَ : الدليلُ على حُدُوث العَالَم العَالَمُ ؛ فقال له : وسُؤالُك إيّاىَ من العَــالَمِ ، فإذا جئتَ بمسئلة من غير العالم جئتُك بدليل من غير العالم .

قال المأمونُ لثَنَوِيٍّ[3] يُناظر عنده : أسألُك عن حرفين قطْ[4] ، خبِّرْنى : هل نَدِمَ مُسيءٌ قَطُّ على إساءته ؟ قال : بَلَى ؛ قال : فالنَّدَمُ على الإساءة إساءةٌ أو إحسانٌ ؟ قال : بل إحسان ؛ قال : فالذى نَدِم هو الذى أساء أو غيرُه ؟ قال : بل هو الذى أساء ؛ قال : فأرى صاحبَ الخير هو صاحبَ الشرّ ، وقد بطل قولُكم ، إنّ الذى ينْظُر نَظَر الوعيــد هو الذى ينظُر نَظَر الرحمة ؛ قال : فإنى أزعم أنّ الذى أساء غيرُ الذى نَدِم ؛ قال : فَنَدِمَ على شىء كان من غيره أو على شىء كان منه؟ فأَسْكَتَه .

---

(١) فى الأصل «حدث» . (٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) الثنوىّ واحد الثنوية وهم أصحاب الاثنين الأزليين . يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه ؛ وهؤلاء قالوا بتساويهما فى القدم واختلافهما فى الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح (راجع الملل والنحل ص ١٨٨) .

(٤) كذا فى الأصــل . وفى الحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ١٤١) «فقط» وعبارة العقــد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) «عن حرفين لا أزيد عليهما» .

دخل المُوبَذُ(1) على هِشام بن الحَكَم(2) فقال له : يا هِشام ، حولَ الدنيـا شىءٌ ؟ قال : لا ، قال : فإن أخرجتُ يدى فثَمَّ شىءٌ يردُّها ؟ قال هِشام : ليس ثَمَّ شىءٌ يَرُدُّك ، ولا شىء تُخْرِج يدك فيه ، قال : فكيف أعرِف هذا ؟ قال له : يا مُوبَذُ ، أنا وأنت على طَرَف الدنيـا فقلتُ لك يا مُوبَذُ : إنى لا أرى شيئا ، فقلتَ لى : ولم لا ترَى ، فقلتُ لك : ليس هاهنا ظلامٌ يمنعُنى ، قلتَ لى أنت : يا هشام إنى لا أرى شـيئا ، فقلتُ لك : ولِم لا ترى ؟ قلتَ : ليس ضِياءٌ أنظر به ، فهل تكافأت المِلَّتـان فى التناقض ؟ قال : نعم ، قال : فإذا تَكَافَأتا فى التناقض لم تَتَكَافآ فى الإبطال أنْ ليس شىءٌ ؟ فأشار المُوبَذُ بيده أن أَصبتَ . ودخل عليـه يوما آخَرَ فقال : هما فى القُوّة سَواء؟ قال : نعم ، قال : فجَوْهَرُهما واحد؟ قال المُوبَذُ لنفسه — ومَن حضرَ يَسْمعُ — إن قلتُ : إنّ جَوْهَرَهُما واحد عادا فى نَعْتٍ واحد ، وإن قلتُ : مُختلِفٌ آختلفا أيضـا فى الهمَم والإرادات ولم يَتفقا فى الخَلْق ، فإن أراد هذا قصيرا أراد هذا طويلا ، قال هِشام : فكيف لا تُسْلِمُ !قال : هَيْهاتَ ! .

---

(١) المُوبَذُ : فقيهُ الفُرْس وحاكمُ المَجُوس كقاضى القضاة للسلمين . (٢) فى الأصل : « هشام بن عبـد الحكم » بزيادة « عبـد » وهو خطأ . وهشام بن الحكم صاحب « الهشامية » كان من مشايخ الرافضة . زعم أن معبوده جسم ذو حدّ ونهاية ، وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه مثل عمقه ، ولم يُثبت طولا غير الطويل ولا عرضا غير العريض ، وقال : ليس ذهابه فى جهة الطول أزيد على ذهابه فى جهة العرض . وزعم أيضا أنه نور ساطع يتلألأ كالسبيكة الصافية من الفضة وكاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ، وزعم أيضا أنه ذو لون وطعم ورائحة ومجسّة ، وأن لونه هو طعمه ، وطعمه هو رائحتـه ، ورائحته هى مجسّته . ثم قال : قد كان الله ولا مكان ثم خلق المكان بأن تحرّك فحـدث مكانه بحركته فصار فيـه ، ومكانه هو العرش . (انظر : الفرق بين الفرق ص ٤٨ — ٥١ والملل والنحل ص ١٤١ — ١٤٢ وكتاب الانتصار فى الرد على ابن الروندى للخياط المعتزلى ص ٦ ، ٤٠ — ٤١ ، ٦٠ طبع مطبعة دار الكتب المصرية ، ومفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٢٧) .

وجاءه رجلٌ مُلْحِد فقال له : أنا أقول بالاثنين وقد عرفتُ إنصافك فلستُ أخاف مُشاغبتَك ؛ فقال هشامٌ وهو مشغول بثوب ينشُره ولم يُقْبِل عليه : حفظك الله ، هل يقدِر أحدُهما أن يخلُق شيئا لا يستعين بصاحبه عليه ؟ قال : نعم ؛ قال هشام : فما ترجو من اثنين! واحدٌ خلَق كلّ شيء أصحّ لك! فقال : لم يكلّمنى بهذا أحدٌ قبلك.(١)

قال المأمون لمرتدٍّ(٢) إلى النصرانية : خبّرنا عن الشيء الذى أوحشك من ديننا بعد أُنسك به واستيحاشك مما كنتَ عليه ؛ فإن وجدتَ عندنا دواءَ دائك تعالجتَ به ، وإن أخطأ بك الشفاءُ ونبا عن دائك الدواءُ كنتَ قد أعذرتَ ولم ترجِع على نفسك بلائمة ، وإن قتلناك قتلناك بحكم الشريعة ، وترجِع أنت فى نفسك إلى الاستبصار والثقة وتعلم أنك لم تُقصِّر فى اجتهاد ولم تُفرِّط فى الدخول من باب الحزم ؛ قال المرتدّ : أوحشنى ما رأيتُ من كثرة الاختلاف فيكم ؛ قال المأمون : لنا اختلافان : أحدُهما كالاختلاف فى الأذان ، والتكبير فى الجنائز ، والتشهّد ، وصلاة الاعياد ، وتكبير التشريق ، ووُجوه القراءات ، ووجوه الفُتيا ، وهذا ليس باختلاف ، إنما هو تخيُّرٌ وسعةٌ وتخفيفٌ من المحنة(٣) ، فمن أذّن مثنى وأقام مثنى لم يُخطِّئ من أذّن مثنى وأقام فُرادَى ، ولا يتعايرون بذلك ولا يتعايبون ، والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا فى تأويل الآية من كتابنا ، وتأويل الحديث مع اجتماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر ، فإن كان الذى أوحشك هذا حتى أنكرتَ هذا الكتابَ ، فقد ينبغى أن يكونَ اللفظُ بجميع التوراة والإنجيل مُتّفقا على تأويله كما يكون متّفقا على تنزيله ، ولا يكون

---

(١) ورد فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٢٥) أن هذه القصة وقعت مع المأمون لا مع هشام بن الحكم.

(٢) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) «قال المأمون للمرتد الخراسانىّ الذى أسلم على يديه وحمله معه الى العراق فارتدّ عن الإسلام : أخبرنى... الخ » وقد ورد فيه هذا الخبر بزيادة عن الأصل مع اختلاف فى العبارة .

(٣) كذا فى الأصل . وفى العقد الفريد : «السنة» .

بين جميع اليهود والنصارى آختلافٌ فى شىءٍ من التأويلات؛ وينبغى لك ألّا ترجع إلا إلى لُغَةٍ لا آختلافَ فى تأويل ألفاظها ؛ ولو شاء اللهُ أن يُنْزِلَ كُتُبَه ويجعلَ كلامَ أنبيائِه وورثةِ رُسلِه لا يحتاج إلى تفسيرٍ لفَعَل، ولكنّا لم نَرَ شيئا من الدِّين والدُّنيا دُفِع إلينا على الكفاية ، ولو كان الأمرُ كذلك لسقَطَت البَلْوَى والمِحْنةُ ، وذهبت المسابقةُ والمنافسة ولم يكن تفاضلٌ ، وليس على هذا بَنَى اللهُ الدنيا . قال المرتدّ : أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأن المَسِيحَ عَبْدٌ، وأنّ محمدا صادِقٌ، وأنك أميرُ المؤمنين حقًّا .

الإعراب واللحن

حدّثنى أبو حاتم عن الأَصْمَعِىّ قال : سمعتُ مَوْلًى لآلِ عُمَرَ بنِ الخطّاب يقول : أَخَذَ عبدُ الملك بنُ مَرْوانَ رَجلا كان يَرَى رَأى الخوارج رأى شَبِيب ، فقال له : ألستَ القائل :

ومِنّا سُوَيْدٌ والبَطِينُ وقَعْنَبٌ * ومِنّا أميرُ المؤمنين شَبِيبُ (١)

فقال : إنما قلتُ : « ومنا أميرَ المؤمنين شبيبُ » بالنصب، أى يا أميرَ المؤمنين فأمر بتخلية سبيله .

---

(١) هو شبيب بن يزيد الخارجىّ صاحب الشبيبية ، كان من أصحاب صالح بن مسرّح التميمىّ ثم تولى الأمر بعده على جنده وبايعه أتباعه الى أن خالف صالحا فى شىء واحد وهو أنه مع أتباعه أجازوا إمامة المرأة منهم إذا قامت بأمورهم وخرجت على مخالفيهم . وزعموا أن غزالة أمّ شبيب كانت الإمام بعد قتل شبيب الى أن قتلت ؛ وآستدلوا على ذلك بأن شبيبا لما دخل الكوفة سنة ست وسبعين هجرية أقام أمّه على منبر الكوفة حتى خطبت .

كان من أهل القوّة البالغة والبأس الشديد والمعرفة التامة بأمور الحروب ؛ انتصر على جيوش الحجاج الكثيفة وكبار قوّادها بحسن تدبيره ؛ وكان يصيح فى جنبات الجيش فلا يلوى أحد على أحد . وفيه يقول الشاعر :

إن صاح يوما حسبت الصخر منحدرا * والريح عاصفة والموج يلتطم =

حدّثنى عبدُ الله بن حيّان قال : كتب رَفيع[1] بن سَلَمَة المعروف بدَمَاذ إلى أبى عُثْمانَ النّحوىّ :

تَفكّرْتُ فى النحو حتّى مَلِلْـتُ * وأتعبتُ نفسى به والبَدَنْ
وأتعبتُ بَكْرًا[2] وأصحابَهُ * بطولِ المسائلِ فى كلّ فَنّ
[فمن علمه ظاهرٌ بيّنٌ * ومن علمه غامضٌ قد بَطَن][3]
فكنتُ بظاهره عالمًا * وكنتُ بباطنه ذا فِطَنْ
خلا أنّ بابًا عليه العَفَا * ءُ للفاء ياليتَه لم يَكُنْ
وللواوِ بابٌ إلى جَنْبِه * من المَقْت أحْسبُه قد لُعِنْ
إذا قلتُ هاتوا لماذا يُقَـال لستُ بآتيك أو تأتِيَنْ[4]
أجيبُوا لما قيل هذا كذا * على النصب قالوا لإضمار أنْ[5]

= وسويد بن سليم ، والبطين بن قعنب ، وقعنب بن سويد ، كانوا من رؤساء جيش شبيب وقادة جنده وأهل الرأى فيهم ، ينزلون الى الهيجاء فى شجاعة الأسد ، و بأس الحديد ، ومضاء السيف ، ومروق السهم ، وانقضاض النسر ، والتهاب النار ، مع سعة العلم بتدبير الحروب والتمرّن على أعمالها ، وتمام الخبرة بحيلها ومكايدها . (راجع أخبار شبيب والخوارج فى الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣١٧ — ٣٥٠ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٦٩ والعقد الفريد ج ١ ص ٤٤ والفرق بين الفرق ص ٨٩ — ٩٢ وتاريخ الطبرى ج ٣ ر ٤ ص ٨٨١ — ٩٧٥ من القسم الثانى طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٥ وملخص تاريخ الخوارج للرحوم الأستاذ الشيخ محمد شريف سليم طبع مصر سنة ١٩٢٤م) .

(١) فى الأصـل : «غسان بن رفيع» وما أثبتناه عن أمالى القالى (ج ٣ ص ١٨٦) طبع مطبعة دار الكتب المصرية . والكامل للبرد (ج ١ ص ٢١٤) طبع ليبسيج سنة ١٨٦٤م وكنيته «أبو غسان» كما فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .

(٢) فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١٨٦) : «يعنى ببكر أبا عثمان المازنىّ» فبلغ ذلك المازنى فقال : والله ما أحسب أنه سألنى قط فكيف أتعبنى» . (٣) الزيادة عن أمالى القالى (ج ٣ ص ١٨٦) .

(٤) رواية القالى فى أماليه : اذا قلت هاتوا لما قيل ذا * فلست بآتيك أو تأتين

(٥) رواية القالى فى أماليه : بما نصبوه أبينوه لى * فقالوا جميعا بإضمار أن

[وما إن رأيتُ لها مَوْضعا * فأعرِفَ ما قيل إلا بِظَنّْ
فقد خِفْتُ يابَكْرُ من طُولِ ما * أُفكِّرُ فى أَمْرِ «أَنْ» أن أُجَنّْ](١)

قال ٱبنُ سيرِين : ما رأيتُ على رجل أحْسن من فَصَاحة، ولا على آمرأة أحسن من شَحْم .

وقال ٱبن شُبْرُمة : إذا سَرَّك أن تَعْظُمَ فى عَيْن مَن كنتَ فى عينه صغيرا، ويَصْغُرَ فى عينكَ من كان فى عينك عظيما فتعلَّم العربيَّة ، فإنها تُجْريك على المَنْطق وتُدْنيك من السُّلْطان . ويقال : النحو فى العِلْم بمنزلة المِلْح فى القِدْر والرَّامِك(٢) فى الطِّيب . ويقال : الإعرابُ حِلْيَةُ الكلام ووَشْيُه(٣) . وقال بعضُ الشعراء :

النحوُ يَبْسُطُ من لسانِ الألْكَنِ * والمرءُ تُكْرِمُه إذا لم يَلْحَنِ
وإذا طلبتَ من العلومِ أَجَلَّها * فأَجَلُّها منها مُقيمُ الألْسُنِ

قال رجل لأعرابيّ : كيف أهلِك بكسر اللام ؟ — يُريد كيف أهلُك — فقال الأعرابيّ : صَلْبًا(٤)، ظنّ أنه سأله عن هَلَكَته كيف تكون .

وقيل لأعرابيّ : أتَهْمِز إسرائيلَ؟ قال : إنى إذًا لرجلُ سُوءٍ(٥)، قيل له : أتَجُرّ فِلَسْطِين ؟ قال : إنى إذًا لقَوِيّ . وقيل لآخر: أتَهْمِز الفارةَ ؟ فقال : الهِرَّةُ تَهْمِزُها .

وقيل : كان بِشْر المَرِّيسيّ يقول لأصحابه : قضى الله لكم الحوائجَ على أحسنِ الوجوه وأهنؤُها، فقال قاسم التّمّار : هذا كما قال الشاعر :

(١) الزيادة عن أمالى القالى .

(٢) الرامك : شىء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٣) هو إسحاق بن خلف البهرانيّ كما فى الكامل للبرّد (ج ١ ص ٢٣٩) . (٤) الصلب : قتلة معروفة وهى أن يشدّ الرجل من يديه ورجليه على جذع . (٥) «قالوا : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضغط والعصر» . كذا فى كتاب الصاحبى لابن فارس ص ٨ طبعة القاهرة .

إنّ سُلَيْمَى واللهُ يَكْلَؤُهـا * ضَنَّتْ بشيءٍ ما كان يَرْزَؤُها[١]

سمِـعَ أعرابىٌّ مُؤَذِّنا يقول : أَشهَدُ أنّ محمدا رسولَ الله بنصب رسول ، فقال : وَيْحَك ! يفعل ماذا ؟ .

قال مَسْلَمَةُ بن عبدِ الملك : اللحنُ فى الكلام أقبحُ من الجُدَرِىّ فى الوجه . وقال عبدُ الملك : اللحن فى الكلام أقبحُ من التفتيق[٢] فى الثوب النفيس . قال أبو الأَسْوَد : إنى لأجِدُ للّحْن غَمْزًا كغَمْزِ اللحم .

قال الخليل بن أحمد : أَنْشَدَنى أعرابىّ :

وإنّ كِلابًا هذه عَشْرُ أَبْطُنٍ * وأنتَ برىءٌ من قبائلها العَشْرِ[٣]

فجعلتُ أَعْجَبُ من قوله : عَشْرُ أَبْطُن حين أَنَّثَ لأنه عَنَى القَبِيلة ، فلما رأى عَجَبى من ذلك ، قال : أليس هكذا قول الآخر[٤] :

فكان مِجَنِّى دون من كنتُ أَتَّقِى * ثلاثُ شُخُوصٍ كاعِبانِ ومُعْصِرُ[٥]

(١) كذا فى العقـد الفريد (ج ١ ص ٢٩٦) وفى المحاسن والأضداد ص ٩ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٩٨ م وفى البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠ طبع مصر سـنة ١٣٣٢ هـ) . ورواية الأصل : ظنت . وجاء فى العقد بعد هـذا البيت : "وبشر المريسى رأس فى الرأى ، وقاسم التمار متقدم فى أصحاب الكلام واحتجاجه لبشر أعجب من لحن بشر" . وعبارة المحاسن والأضداد والبيان والتبيين : «فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر» ذلك بأن كلامه كان مضحكا لخلو البيت من الشاهد المراد . (٢) كذا بالعقد الفريد ، والذى بالأصل : «النقش» . (٣) قائل البيت رجل من بنى كلاب يسمى «النواح» كما فى خزانة الأدب (ج ٤ ص ٤٨٤) . (٤) قائل البيت هو عمر بن أبى ربيعة من قصيدة طويلة منها :

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وأنْوُرُ

(راجع الكامل للمبرد ص ٣٨١ — ٣٨٥) .

(٥) المجن : الترس . والمراد فى هذا البيت قوله «ثلاث شخوص» حيث أنث لأنه يريد بالشخص النفس وكاعبان مثنى كاعب وهى التى يبدو ثديها للنهود ، وكاعبان مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هنّ كاعبان ومعصر ، والمعصر هى التى دخلت عصر شبابها و بلغته . (راجع شرح العينى بهامش خزانة الأدب للبغدادى ج ٤ ص ٤٨٣) .

قال رجل من الصالحين : لئن أعربنا فى كلامنا حتى ما نلحن لقد لحنّا فى أعمالنا حتى ما نُعرِب[١] .

دخل أعرابيٌّ السُّوقَ فسمعهم يَلحَنُون، فقال : سبحانَ الله! يلحنُون ويَربحُون ونحن لا نَلحن ولا نَربَح ! .

دخل رجل على زيادٍ فقال له : إنّ أبينَا هلَكَ ، وإن أخينا غَصَبنا على ميراثنا من أبانا ؛ فقال زياد : ما ضيَّعتَ من نفسك أكثرُ مما ضاع من مالك[٢] .

قال الرِّياشيّ عن محمد بن سلّام عن يونُس قال قال بلالٌ لشَبيب بن شَيْبَةَ وهو يَستَعْدِى على عَبْدِ الأعلى بن عبـد الله بنِ عامرٍ قال : أَحْضِرْنيه ، قال : قد دعوتُه لكُلُّ ذلك يأبى ؛ برفع كلّ ؛ قال بلال : فالذنبُ لكلّ . قال بعض الشعراء :

إمّا تَرَيْنى وأثوابى مُقَـاربةٌ[٣] * ليستْ بخَزٍّ ولا من نَسْجِ كَتّانِ
فإنّ فى المَجْدِ هِمَّاتِى وفى لُغَتى * عُلْوِيَّةٌ ولسانى غيرُ لحّـانِ

وقال فِيلٌ مَوْلَى زيادٍ[٤] لزيادٍ : أَهْدَوا لنا هِمارَ وَهْشٍ[٥] ، فقال : ماتقول؟ وَيْلَكَ ! فقال : أَهْدَوا لنا أَيْراً[٦] ، فقال زياد : الأوّلُ خَير .

---

(١) رواية البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٤) : «وقال بعض النساك : أعربنا فى كلامنا فالحنُ حرفا ولحنا فى أعمالنا فما نعرب حرفا » .   (٢) عبارة البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٥ طبع القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) «الذى أضعت من لسانك أضر عليك مما أضعت من مالك» .   (٣) مقاربة بكسر الراء ، أى ليست بنفيسة .   (٤) هو زياد بن أبى سفيان ، كما فى القاموس .   (٥) فى الأصل « أهدوا لنا همار جهش » وما أثبتناه عن البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠) ونهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ٣٩٢ طبع دار الكتب المصرية) يريد «أهدوا لنا حمار وحش» وفى نهاية الأرب «احدوا» بابدال الهاء حاء ، وهذا الإبدال يعرف باللكنة وهى عجمة فى اللسان وعىّ .   (٦) يريد عيرا وهو الحمار أيا كان أهليا أو وحشيا وقد غلب على الوحشىّ .

سَمِع أعرابىٌّ واليًا يَخْطُب فلَحن مرّةً أو آثنتين، فقال: أشْهَدُ أنك مَلَكتَ بقَدَر. وسَمِع أعرابىٌّ إمامًا يقرأ ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [بفتح تاء تنكحوا] فقال: سبحانَ الله! هذا قبلَ الإسلام قبيحٌ فكيف بَعْدَه! فقيل له: إنه لحَن، والقراءةُ ﴿وَلَا تُنْكِحُوا﴾ فقال: قبّحه اللهُ، لا تجعلوه بعدها إماما فإنّه يُحِلُّ ما حَرّمَ اللهُ. قال الشاعر فى جارية له:

أوّلُ[1] ما أَسْمَعُ منهـا فى السَّحَرْ ＊ تذكيرُها الأُنْثَى وتأنيثُ الذَّكَرْ
＊ والسَّوْءَةُ السوءاءُ[2] فى ذِكْرِ القَمَرْ[3] ＊

قال الحجّاج لرجل من العَجَم نَخّاسٍ[4]: أتبيعُ الدّوابَّ المَعِيبة من [جُند][5] السلطان؟ فقال: «شَرِيكاتنا فى هوازها وشَرِيكاتنا فى مداينها[6] وكما تجىء تكون» فقال الحجّاج: ما تقول؟ ففسَّروا[7] له ذلك؛ فضَحِك وكان لا يضحَك.

أَمَّ الحجّاجُ قوما فقرأ ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ وقرأ فى آخرها ﴿أَنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ بنصب أنّ، ثمّ تنبّه على اللام فى الخبير وأنّ «إنّ» قبلها لا تكون إلا مكسورة فحذَف اللّامَ من الخبير، فقرأ ﴿أَنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ﴾.

قال أبو زيد: قلتُ للخليل بن أحمد: لِمَ قالوا فى تصغير واصل أُوَيْصل ولم يقولوا وُوَيْصل؟ فقال: كَرِهوا أن يُشَبَّهَ كلامُهم بنبح الكلاب.

(١) رواية البيان والتبيين ونهاية الأرب «أكثر». (٢) السوءة السوءاء: الخلة القبيحة. (٣) لأنها كانت إذا أرادت أن تقول: «القمر» قالت: «الكَمَر» والكمر جمع كمرة وهى حشفة الذكر؛ وهذا الإبدال يعرف باللثغة وهى أن تعدل الحرف الى حرف غيره. (٤) هو أبو الجهير الخراسانىّ النخاس كما فى البيان والتبيين والنخاس: بياع الدّواب والرقيق. (٥) الزيادة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠). (٦) كذا فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠)؛ وفى الأصل: «شريكاتنا فى هواز ومدابنها وكما تجى يكون» وقد أثبتنا عبارة البيان والتبيين لوضوحها. (٧) جاء فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠) «فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك. يقول شركاؤنا بالأهواز والمدائن يبعثون إلينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها».

التشادُق والغَريب

حدّثنى سهلٌ عن الأصمعىّ قال : كان عيسى بنُ عُمَر لا يَدَعُ الإعرابَ لشىء. وخاصم إلى بلال بن أبى بُرْدَةَ فى جاريةٍ اشتراها مُصَابةٌ ، فقال : لَأَن يذهبَ بعضُ حَقّى هذا أحبّ إليه من أن يَلْحَنَ ؛ فقال له : ومَن يعلم ما تقول؟ فقال : ابن طرنوبة [1] . وضربه عمرُ بنُ هُبَيْرة ضربا كثيرا فى وَديعة أودعها إياه إنسانٌ فطلبها ، فما كان يزيد على أن يقول : والله إن كانت إلا أُثَيَّابًا [2] فى أُسَيفاط [3] قَبَضَها عشّارُوك [4] .

تبِعَ أبو خالد النُّميرى صاحبُ الغَريب جاريةً مُتَنَقِّبة فكلّمها فلم تكلِّمْه ، فقال : يا خريدةُ [5] ، لقد كنت عندى عَرُوبًا [6] أَنْمَقُك [7] وتَشْنَئينا !

وقال سهلُ بنُ هارونَ لجارية له رُوميّة أعجميّة : إن أقلّ ما يَنْطوِى عليه ضميرى من رَسيس [8] حُبّك لأجلُّ من كلّ جليلٍ ، وأكثرُ من كلّ كثير .

وقال مالك بنُ أسماء فى جارية له :

أَمُغَطًّى منّى على بَصَرى للـ ـحبّ أم أنتِ أكملُ الناس حُسنا [9] ؟

---

(١) كذا فى الأصل ولم نوفّق الى معرفة هذا الأسم فى الكتب التى بين أيدينا . (٢) أُثَيَّاب : جمع ثوب مع تصغير لفظ الجمع . (٣) الأسيفاط : جمع سَفَط بالتحريك وهو الذى يعبّى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . (٤) عشّاروك : جمع عشّار وهو آخذ العشر وجابيه وملتزمه . (٥) الخريدة : الحيية . (٦) العروب : الحسنة التبعل . وقيل المرأة المتحببة الى زوجها . (٧) نمقك : نحبك . وتشنئينا : تبغضينا . وفى الأصل «ولشنيتا» وهو تحريف . والتصويب عن الكامل للمبرد (ص ١٨ ؛ طبعة ليبسج) وقد وردت هذه العبارة فيه هكذا : «لقد كنت أحسبك عروبا ؛ فما بالنا نمقك وتشنئينا ! فقالت : يا بن الخبيثة أتجشنى ! » . أى أتغازلنى وتلاعبنى . (٨) رسيس الحب : بقيته وأثره . (٩) كذا فى خطبة هذا الكتاب فى المجلد الأوّل من هـذه الطبعة ، والبيان والتبيين (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) . وفى الأصل هنا :

أيغطى منى على بصرى بالـ * ـحب أم أنت أكرم الناس حسنا

وحَـــدِيثٍ أَلَذُّهُ هـــو مِمّـا ٭ يَشْتَهِى النـاعتون يُوزنُ وَزْنا[(١)]
مَنْطِقٌ صَائبٌ وتَلْحَنُ أحيا ٭ نًا وأحْلَى الحديثِ ما كان لَحْنـا

قال ٱبن دُرَيْد : استثقل منها الإعرابَ .

دخل أبو عَلْقَمةَ على أَعْيَن الطبيب فقال له : أَمْتَعَ اللهُ بك، إنّى أكلت من لحوم هــذه الجَوَازِلِ[(٢)] فطَسِئْتُ طَسْأَةً[(٣)]، فأصابنى وَجَعٌ ما بين الوَابِلَة[(٤)] إلى دَأْيَةِ[(٥)] العُنُقِ فلم يزل يَرْبُو ويَنْمِى حتى خالط الخِلْبَ[(٦)] والشَّراسِيفَ[(٧)]، فهل عندك دَوَاءٌ ؟ فقال أَعْيَن : نعم، خذ خَرْبَقًا[(٨)] وشلفقا[(٩)] وشِبْرِقًا[(١٠)] فزَهْزِقْهُ وزَقْزِقه وٱغْسِلْه بمـاء رَوْثٍ وٱشربْه ؛ فقـال أبو عَلْقمة : لم أَفهمْ عنك ؛ فقال أَعْيَن : أفهمتُك كما أفهمتَنِى . وقال له يوما آخَرَ : إنى أجد مَعْمَعةً فى بطنى وقَرْقَرةً ؛ فقال له : أما المعمعةُ فلا أَعرِفها ، وأما القرقرةُ فهى ضُرَاطٌ لم يَنْضَج .

(١) كذا بالأصل هنا وفى المقدمة ، وفى أمالى القالى : «تشتهيه النفوس» وفى البيان والتبيين (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) : «ينعت الناعتون» . (٢) كذا فى الأصل والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩). وفى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ١٤ طبعة ليدن) والمحاسن والمساوى للبيهق (ج ٣ ص ٤٧٠ طبعة ليبسج) : «الجوازئ» . والجوازل : فراخ الحمام ، وقيل يعم الجوزل نوع الفراخ . (٣) طسئ : اتخم من الطعام . (٤) الوابلة : طرف العضد فى الكتف . (٥) الدأية : فقرة العنق . (٦) الخلب : حجاب بين القلب وسواد البطن . (٧) الشراسيف : جمع شُرسوف وهو رأس الضلع مما يلى البطن . (٨) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) وفى الأصل : «نخرنقا» بالنون والخربق كجعفر : ضرب من الأدوية ونبت كالسم يعشى على آكله ولا يقتله ؛ وقيل : نبات كلسان الحمل أبيض وأسود ينفع الصرع والجنون والبهق والفالج . (٩) هكذا وردت فى الأصل «شلفقا» بالشين والفاء والقاف بعد اللام ولم نقف لها على معنى . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) والمحاسن والمساوى للبيهق «سلفقا» وفى البيان والتبيين : «سفلقا» . (١٠) كذا فى الأصل والعقد الفريد . والشبرق كزبرج : نبت من جنس الشوك إذا كان رطبا فهو شبرق فإذا يبس فهو الضريع . فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٤٢) : «جرفقا» وفى المحاسن والأضداد للجاحظ «سربقا» .

أتى رجلٌ الهيثمَ بنَ العُرْيان بغَرِيم له قد مطّله حقّه فقال : أصلح الله الأميرَ، إنّ لى على هذا حقًّا قد غلبنى عليه، فقال له الآخرُ : أصلحك الله، إن هذا باعنى عَنْجَدًا (١) وآستنسأته (٢) حَوْلا وشرطتُ عليه أن أُعطيَه مُشاهرةً (٣) فهو لا يلقانى فى لَقَمٍ (٤) إلا آقتضانى؛ فقال له الهيثمُ : أمن بنى أميّة أنت؟ قال : لا، قال : فمن بنى هاشم؟ قال : لا ؛ قال : فمن أكفائهم من العرب؟ قال : لا، قال : وَيْلى عليك! انْزَعْ ثيابَه يا جِلْوازُ (٥)، فلما أرادوا نَزْعَ ثيابِه قال : أصلحك الله، إنّ إزارى مُرَعْبَلٌ (٦)، قال : دعوه، فلو تَرَكَ الغريبَ فى وقتٍ لتركه فى هذا الوقت .

ومرّ أبو علقمة ببعض الطُّرُق (٧) بالبصرة فهاجت به مِرّةٌ فسقط ووثب عليه قومٌ فأقبلوا يَعْصِرون (٨) إبهامَه ويُؤذِّنون فى أُذُنه، فأُفْلِتَ من أيديهم وقال : ما لكم تَتَكأكَئُون (٩) علىّ كما تَتَكأكَئُون على ذى جِنّة! افْرَنْقِعُوا عَنّى؛ فقال رجلٌ منهم : دَعُوه فإنّ شيطانَه هنديٌّ، أمَا تسمعونه يتكلّم بالهنديّة . وقال لحجّام يحجُمه : أنظُرْ ما آمرُك به فاصنَعْه، ولا تكن كمن أُمِرَ بأمرٍ فضيّعه، أَنْقِ غسلَ المَحاجِم وآشدُدْ قُضُبَ المَلازِم (١٠)

(١) العنجد بجعفر وقنفذ وجندب : الزبيب .

(٢) استنسأه : سأله أن ينسئه ديه، أى يؤخره . (٣) فى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ١٥) والمحاسن والمساوئ للبيهقى (ج ٣ ص ٤٧٠) : « مياومة » .

(٤) اللقم محرّكة وكصرد : الطريق أو وسطه .

(٥) الجلواز : الشرطىّ .

(٦) مرعبل : ممزق .

(٧) كذا فى المحاسن والمساوئ للبيهقى والمحاسن والأضداد للجاحظ . وفى الأصل : «الطريق» .

(٨) فى المحاسن والأضداد، والمحاسن والمساوئ «يعضون» .

(٩) تتكأكئون : تجمعون . افرنقعوا : تفرقوا .

(١٠) الملازم جمع ملزم بكسر الميم : خشبتان مشدود أوساطهما بحديدة تجعل فى طرفها قُبّة (مفتاح معوجّ طويل) فتلزم ما فيها لزوما شديدا، تكون مع الصياقلة والأبّارين ومجلّدى الكتب وغيرهم .

وأرهِف (١) ظُبَات (٢) المَشارِط وأسرِع الوَضْعَ (٣) وعجِّل النَّزْعَ، وليكن شرطُك وَخْزًا، ومصُّك نَهْزًا، ولا تُكرِهنّ آبيا، ولا تَرُدَّنّ آتيا؛ فوضع الحجّامُ محاجمه فى جُونته (٤) ومضى .

سَمِع أعرابىّ أبا المكنون النحوىّ فى حَلْقته وهو يقول فى دعاء الاستسقاء : اللهم ربّنا وإلهَنا ومولانا صلّ على محمد نبيِّنا ؛ اللهم ومَن أراد بنا سوءًا فأحِطْ ذلك السوءَ به كإحاطة القلائد على ترائب (٥) الولائد، ثم أرْسِخه على هامته كرُسوخ السِّجِّيل (٦) على هام أصحاب الفيل؛ اللهم اسْقِنا غيثًا مُغيثا مَرِيئًا مَريعا مُجَلْجِلا (٧) مُسْحَنْفِرًا (٨) هَزِجًا (٩) سحًّا سفُوحا طَبَقًا (١٠) غَدَقًا (١١) مُثْعَنْجِرًا (١٢)؛ فقال الأعرابىّ : ياخليفةَ نوح [هذا] (١٣) الطوفان وربِّ الكعبة، دَعْنى آوِى إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنى من الماء .

أبو الحسن قال : كان غلامٌ يُقعِّر (١٤) فى كلامه، فأتى أبا الأسود الدُّؤلىّ يلتمس ماعنده؛ فقال له أبو الأسود : ما فعل أبوك (١٥) ؟ قال : أخذته الحُمّى فطبَخَتْه طَبْخا وفضَخَتْه (١٦)

---

(١) أرهِف : حدِّد (٢) ظبات جمع ظبة كثبة، وهى حدّ السيف أو السنان ونحوه .

(٣) فى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ١٥) والمحاسن والمساوئ للبيهقىّ (ح ٣ ص ٤٧١) : «وخفّف» . (٤) الجونة بضم الجيم : سليلة مغشاة أدما تكون مع العطّارين . (٥) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : «بأعناق» . (٦) السجّيل : حجارة كالمدر، وقيل هو حجر من طين، دخيل معرّب من «سنك وكل» أى حجارة وطين . (٧) المجلجل من السحاب : الذى فيه صوت الرعد . (٨) قال أبو حنيفة : المسحنفر : الكثير الصب الواسع . (٩) الهزج من الهزَج وهو صوت الرعد . (١٠) طبق : عام واسع . (١١) الغدق : المطر الكثير . (١٢) المثعنجر : السيل الكثير . وفى الأصل «متعجرا» . (١٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) . (١٤) يقعر فى كلامه : يتشدّق ويتكلّم بأقصى حلقه . (١٥) كذا فى الأصل والبيان والتبيين (ج ١ ص ٢٠١) . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : «وقال أبو الأسود الدؤلى لأبى علقمة : ماحال ابنك ... الخ» . (١٦) فضخته : دقته .

فَضْخًا وفَنَخْتُه فَنْخا فتركته فَرْخا[١][٢]؛ قال أبو الأسود: فما فعلت آمرأته التى كانت تُجارُّه[٣] وتُشارُّه وتُزارُّه وتُهارُّه؛ قال: طلقها فتزوجت غيره فرَضِيت وحَظِيت وبَظِيت، قال أبو الأسود: قد عرفنا حظيت[٤]، فما بظيت[٥]؟ قال: حرف من الغريب لم يبلغك؛ قال أبو الأسود: يآبن أخى، كل حرف من الغريب لم يبلغ عمك فآستره كما تستر السِّنَّوْر خُرْأها.

قال زيد بن كثيرة: أتيتُ بابَ كبير دارٍ وهناك حَدَّادٌ[٦]، فأردتُ أن أَلِج الدارَ فدَلَظَني[٧] دَلْظةً وادرس الناس عليهم فوالله إن زِلْنا[٨] نَظَارِ نَظَارِ[٩] حتى عَقَل الظِّلُّ[١٠]. وقال أيضا: أتيتُ بابَ كبيرٍ وإذا الرجالُ صَتِيتانِ[١١] وإذا أَرْمِدَاءُ[١٢] كثيرةٌ وطُهاةٌ لا أُحْصِيهم وجِمَامٌ كأنها آكامٌ. وقال الطائى:

أيوسفُ[١٣] جئتَ بالعَجَب العجيب * تركتَ الناسَ فى شكٍّ مُرِيب
سمعتُ بكل داهيةٍ نآدٍ[١٤] * ولم أسمع بسرَّاج أديب

---

(١) كذا فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٢٠١) وفنخته: أوهنته وأضعفته. وفى الأصل: «فتخته» بالتاء المثناة، ولم نجد لهذه الكلمة فى كتب اللغة معنى يناسب المقام. (٢) الفرخ: الضعيف المنهوك. (٣) تُجارُّه: تطاوله. وتُشارُّه: تخاصمه. وتُزارُّه: تعضه. وتُهارُّه: تهرّ فى وجهه كما يهرّ الكلب (٤) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٢٠٢): «وقد علمنا رضيت وحظيت فما بظيت...». (٥) أتى باللفظ «بظيت» إتباعا لحظيت مثل حسن بسن، لأنه ليس فى كلامهم «بظى» أنظر اللسان مادة «بظا». (٦) الحداد: البوّاب. (٧) دلظه: دفعه فى صدره. (٨) هذه العبارة واردة فى الأصل هكذا ولم نوفق الى تحقيقها. (٩) نظار مثل قطام: اسم فعل أمر بمعنى انتظر والمعنى: فما زلنا يقال لنا نظار نظار الخ. (١٠) عقل الظل: قام قائم الظهيرة. (١١) صتيتان: فرقتان. (١٢) الأرمداء جمع رماد. (١٣) هو يوسف السراج الشاعر المصرى كما فى ديوان أبى تمام طبع محمد جمال بتعليق محيي الدين الخياط. (١٤) النآد: نعت للداهية أو بدل منها والمراد داهية شديدة.

أمَا لَوْ أنّ جهلَك كان علمًا ❋ إذًا لنفذْتَ[1] فى عِـــلم الغُيوبِ
فـالَكَ بالغَريب يدٌ ولكنْ ❋ تَعاطِيكَ الغـريبَ من الغَـريبِ

قال رؤبة بن العجّاج : خرجت مع أبى، نُريد[2] سليمانَ بنَ عبد الملك، فلمّا صِرْنا فى الطريق أُهْـدِىَ لنا جَنْبٌ من لَحْمٍ عليـه كَرَافِئُ[3] الشَّحْم وخريطةٌ[4] من كَمْأَةٍ ووطْبٌ[5] من لَبَنٍ فطبَخْنا هذا بهذا، فما زال ذِفْرَيَاىَ[6] تَنْتحَانِ[7] منـه الى أن رجعتُ . (الكَرَافِئُ : الطبقات، وكذلك كَرافِئُ السحاب) .

وصايا المعلّمين

قال عُتبة بن أبى سُفيان لعبد الصمد مؤدِّب ولده[8] : ليكن إصلاحُك بَنِىّ إصلاحَك نفسك، فإن عُيوبَهم معقودةٌ بعَيْبك، فالحسنُ عنـدهم ما آستحسنتَ، والقبيحُ ما آستقبحت، وعلِّمهم سِيَرَ الحكماء، وأخلاقَ الأدباء، وتهدَّدْهم بى وأدِّبْهم دونى، وكن لهم كالطبيب الذى لا يَعْجَل بالدواء حتى يَعْرِف الداء، ولا تَتَّكِلَنَّ على عُذْر منّى، فإنى قد آتّكلتُ على كفاية منك .

قال الحجّاج لمؤدِّب بنيه : علِّمهم السِّباحة قبل الكتابة، فإنهم يَجِدُون مَنْ يكتُبُ عنهم، ولا يَجِدُون مَن يَسْبَحُ عنهم .

---

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : «لرسخت» . (٢) كذا فى الكامل للمبرد (ص ١٤٠ طبعة ليبسج سنة ١٨٦٤) وفى الأصـل : «يزيد» . (٣) الخريطة : وعاء من أدم وغيره . (٤) الكمأة : نبات لا ساق له ولا عرق، لونه الى الغبرة، يوجد فى الربيع تحت الأرض، وهو عديم الطعم يؤكل نيئه ومطبوخه . (٥) الوطب : سقاء اللبن . (٦) ذفريا تثنية ذِفْرَى، وهو العظم الشاخص خلف الأذن . (٧) كذا فى الكامل للمـبرد (ص ١٤٠) وتنتحان : ترشحان بالعرق . وفى الأصل «يشبحان» . (٨) وردت هذه العبارة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٥ طبعة القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) بزيادة عما هنا واختلاف يسير فى بعض التراكيب لا يخرجها عن المعنى المراد؛ إلا أنها تنسب فى العقد الفريد لعمرو بن عتبة .

وقال عبد الملك لمؤدّب ولده : علّمهم الصدق كما تُعلّمهم القرآن ، وجنّبهم السّفلة فإنّهم أسوأ الناس رِعةً[1] وأقلُّهم أدبا ، وجنّبهم الحَشَم فإنّهم لهم مَفْسدة ، وأَحْفِ[2] شُعُورَهم تغلُظْ رِقابُهم ، وأطعِمْهم اللحمَ يقْوَوْا ، علّمهم الشّعرَ يَمجُدُوا ويَنجُدُوا ، ومُرْهم أن يَستاكوا عَرْضًا ويَمُصُّوا الماء مَصًّا ولا يَعُبُّوه عَبًّا ؛ وإذا احتجتَ الى أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك فى سِتْر لا يعلَمُ به أحدٌ من الغاشية فيَهُونُوا عليه .

وقال آخر لمؤدّب ولده : لا تُخرجهم من عِلْم الى عِلْم حتى يُحكِمُوه ، فإن اصطكاكَ العلم فى السمع وازدحامَه فى الوَهم مَضَلّةٌ للفهم .

وكان لشُرَيح ابن يلعَب بالكلاب ، فكتب شُرَيحٌ إلى مُعلّمه :

تَرَكَ الصلاةَ[3] لأَكْلُبٍ يَسعى بها * طلبَ[4] الهِرَاش مع الغُوَاةِ الرُّجّسِ
فإذا خَلَوْتَ[5] فعَضّه بمَلامةٍ * وعِظَنْه وَعْظَكَ للأَريب الكَيِّسِ
وإذا همَمْتَ بضَرْبِه فبِدِرّةٍ * وإذا بلغتَ بها ثلاثًا فاحبِسِ
واعْلَمْ بأنّك ما فعلتَ فنفسُه * مع ما يُجَرّعُني أعزُّ الأنفُسِ

وقال آخر لرجل يلعب بالكلاب :

أيها المُبتَلَى بحبّ الكلابِ * لا يُحِبّ الكلابَ إلا الكلاب
لو تَعَرّيتَ وسطها كنتَ منها * إنما فَرْقها بلُبْس الثّياب[6]

(١) يقال : فلان سيئ الرعة اذا كان قليل الورع .

(٢) أحفى الرجل رأسه أو شاربه : بالغ فى قصه .

(٣) فى المحاسن والمساوئ للبيهقى (ج ٣ ص ٦٢١) : « الرواح » .

(٤) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « يبغى » .

(٥) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « أتاك » .

(٦) كذا فى الأصل ، وفيه الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروى فى الإعراب . ولو ورد هكذا : لا يحب الكلاب غير الكلاب ، لخلا من هذا العيب .

وقال آخر :

لتبْكِ أبا أحمدٍ قِرْدَةٌ * وكَلْبُ هِرَاشٍ ودِيكٌ صَدُوحُ
وطيرٌ زِجَالٌ وقُمْرِيَّةٌ (١) * هَتُوفُ العَشِيِّ وكَبْشٌ نَطُوحُ

بلغني عن أبي الحسن العُكْلِيّ عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المُزَنِيّ قال : سمعت أبي يقول قال لقمان : ضربُ الوالدِ وَلَدَه كالسَّماد للزرع .

حدّثني محمد بن عُبَيد عن معاويةَ بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن المبارك عن أُسامة بن زيد عن مكحول قال : كتب عمر الى أهل الشام : عَلِّموا أولادَكم السِّبَاحةَ والرَّمْيَ والفُرُوسيّة .

وكانت العرب تُسَمِّي الرجل ، إذا كان يكتُب ويُحسِن الرَّمْيَ ويُحسِن العَوْم وهي السِّباحة ويقول الشِّعْر ، الكاملَ .

البيان

حدّثني عَبْدةُ بن عبد الله قال حدّثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأعمش عن عِمارة بن عُمَيْر عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن من البيان سِحْرًا (٢)" فأطيلوا الصلاةَ وأقْصِرُوا الخُطَبَ . وقال العبّاس : يا رسولَ الله ، فيم الجَمَالُ؟ قال : "في اللسان" .

وكان يقال : عَقْلُ الرجل مدفونٌ تحت لسانه .

وقال يزيد بن المُهلَّب : أَكْرَهُ أن يكون عقلُ الرجل على طَرَفِ لسانه ، يريد أنه لا يكون عقلُه إلا في الكلام . وقال الشاعر :

---

(١) القمرية : ضرب من الحمام . (٢) بعض الروايات : «لسحرا» باللام .

كَفَى بالمرءِ عَيْبًا أن تراهُ * له وَجْهٌ وليس له لسانُ

وما حُسْنُ الرجالِ لهم بِزَيْنٍ[1] * إذا لم يُسعِد الحسنَ البيانُ

وقال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك، فإنه كان يَقْرِى العَيْنَ جَمالًا، والأُذُنَ بيانا . وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب :

أَعِذْنِى رَبِّ من حَصَرٍ وعِىٍّ * ومن نفس أُعالِجُها عِلَاجا

ومن حاجاتِ نَفسِى فَاعْصِمَنِّى * فإن لمُضْمَراتِ النفس حَاجا

وصف أعرابىّ رجلا يتكلّم فيُحسِن فقال :

* يَضَعُ الهِناءَ مواضِعَ النُّقْبِ[2] *

ومثلُه قولهم : فلانٌ يُجِيد الحَزّ، ويُصيب المَفْصِل؛ وربما قالوا : يُقِلُّ[3] الحزّ .

وقال معاوية فى عبد الله بن عبّاس :

إذا قال لم يَتْرُكْ مقالًا ولم يَقِفْ * لِعِىٍّ ولم يَثْنِ اللسانَ على هُجْرِ

يُصَرِّفُ بالقول اللسانَ إذا انتحى * ويَنْظُرُ فى أعطافه نَظَرَ الصَّقْرِ

وقال حسّان فيه :

إذا قال لم يَتْرُكْ مقالًا لقائلٍ * بملتقَطاتٍ لا تَرَى بينها فَصْلا

---

(١) كذا فى أدب الدنيا والدين (ص ٢٧٥ طبعة بولاق) . وفى الأصل : «لها» .

(٢) الهِناء : القطران . والنقب : جمع نقبة وهى أوّل مايبدو من الجرب . أى أنه لا يتكلم إلا فيما يجب فيه الكلام، مثل الطالى الرفيق الذى يضع الهناء مواضع النقب (راجع العقد الفريد ج ١ ص ٢١٤) .

(٣) هذا وما قبله من الأمثال التى تضرب فى البلاغة ، وذلك أنهم شبهوا البليغ الموجز الذى يقلّ الكلام ويصيب المعانى ، بالجزار الرفيق يقلّ حزّ اللحم ويصيب مفاصله (راجع العقد الفريد ج ١ ص ٢١٤) .

شَفَى وكَفَى ما فى النفوس فلم يَدَعْ * لذى إِرْبَةٍ فى القول جِدًّا ولا هَزْلا
سَموتَ إلى العليَا بغــير مَشــقّةٍ * فنِلْتَ ذُرَاهَــا لَا دَنِيًّــا ولَا وَغْلا (١)

ويقال : الصمتُ مَنَامٌ والكلام يَقَظَةٌ . ويقال : خير الكلام مالم يُحْتَج بعده إلى الكلام .

ذكر العباس بن الحسن الطالبيّ رجلا فقال : ألفاظُه قوالِبُ معانيه . ومدح أعرابىّ رجلا فقال : كلامه الوَبْلُ (٢) على المَحْلِ (٣)، والعَذْبُ البارِدُ على الظَّمَأ .

وقال الحُطَيئة :

وأخذتُ أقطارَ الكلام فلم أَدَعْ * ذَمًّا يضُرُّ ولا مَــدِيحًا يَنْفَعُ

وكان الحطيئة يقول : إنما شِعْرى حَسَبٌ موضوع ، فسَمِع ذلك عمرُو بن عُبَيْد فقال : كَذَبَ، تَرَّحه (٤) الله، إنما ذلك التقوى .

قيل لعمرو بن عُبيد : ما البلاغة؟ فقال : ما بلّغك الجَنّة، وعَدَل بك عن النار، [قال السائل (٥) : ليس هذا أُريد، قال : فـ]ـما بَصّرك مواقِـعَ رُشْدك، وعواقِبَ غَيِّك؛ قال السائل : ليس هـذا أُريد، قال : من لم يُحْسِن الاستماع لم يُحْسِن القول؛ قال : ليس هذا أريد، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "إنّا مَعْشَر الأنبياء بِكَاءٌ (٦)"، وكانوا يكرهون أن يَزِيدَ مَنْطِق الرجل على عقله؛ قال : ليس هذا أريد، قال : كانوا يخافون (٧) من فتنة القول [ومن سَقَطات الكلام مالا يخافون من

(١) فى الأصل : «وعلا» بالعين . وما أثبتناه عن ديوان حسان (ص : ٧ طبعة ليدن سنة ١٩١٠ م) وهو الأنسب للمقام؛ والوغل : الضعيف النذل الساقط المقصر فى الأشياء . (٢) الوبل : المطر الشديد . (٣) المحل : الجدب . (٤) ترّحه الله : أحزنه ونغّصه . (٥) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٣) . وفى الأصل : «وما بصرك ...» بالواو عطفا على ما قبله . (٦) بِكَاء جمع بَكِىّ، وهو ما قلّ كلامه خلقة . (٧) كذا فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٣) . وفى الأصل : «يكرهون» .

فتنة السكوت[1]] ومن سَقَطات الصَّمْت، قال : ليس هـذا أريد، قال : فكأنَّك إنما تريد تخيّر اللفظ فى حسن إفهام [قال : نعم، قال[1]] : إنك إن أردت تقرير حُجَّة الله فى عقول المكلّفين، وتخفيف المئُونة[2] على المُستمعين، وتزيين تلك المعانى فى قلوب المُرِيدين، بالألفاظ المُسْتَحْسَنة فى الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبةً فى سُرْعة آستجابتهم، ونفْى الشواغل عن قلوبهم، بالمَوْعِظَة الحسنة من الكتاب والسُّنة، كنت قد أُوتيتَ فصلَ الخطاب، وآستوجبتَ على الله جزيلَ الثواب .

قال بعضهم : ما رأيت زيادًا كاسراً إحْدَى عَيْنيه واضعا إحدى رِجليه على الأخرى يُخاطب رَجُلا إلا رحمتُ المُخاطَب . وقال آخر : ما رأيتُ أحدا يتكلّم فيُحسن إلّا أحببْتُ أن يَصْمُتَ خوفا من أن يُسىءَ إلّا زيادًا فإنّه كلّما زاد زاد حُسْناً، وقال[3] :

وقبلَك ما أعييتُ[4] كاسرَ عَينِه ٭ زيادًا فلم تَقْدِرْ[5] علىَّ حَبَائلُهْ

قال محمد بن سلّام : كان عمرُ بن الخطّاب إذا رأى رجلا يُلَجْلِج فى كلامه قال : خالق هذا وخالق عَمْرو بن العاص واحد ! .

وتكلّم عمرو بن سعيد الأَشْدَق، فقال عبد الملك : لقد رجوتُ عثْرَتَه لمّا تكلّم، فأحسن حتَّى خَشِيت عَثْرَته إن سكت .

---

(١) التكلة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٣) والعقد الفريد . (٢) فى البيان والتبيين والعقد الفريد : « المتكلمين » . (٣) قائل هذا البيت الفرزدق ، قاله لجرير من قصيدة تقع فى ثلاثة وتسعين بيتا مثبتة فى كتاب النقائض (طبع مدينة « ليدن » سنة ١٩٠٨ م ص ٦٠٠ — ٦٢٩) وبعـد البيت :

فأقسمتُ لا آتيه سبعين حِجّةً ٭ ولو نشرت عينُ القُباع وكاهلُهْ

والقُباع : لقب الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى وكان أميرا على البصرة لقبه أهلها به ، وذلك أنه مرّ بقوم يكيلون بقفيز فقـال : إن قفيزكم لقباع . أى كبير واسع (راجع النقائض ص ٦٠٧) . (٤) لعل « ما » هنا مصدرية أو زائدة . (٥) كذا فى النقائض والبيان والتبيين (ج ١ ص ١١٠) . وفى الأصل : « تعلق » .

أبو الحسن قال: قال معاوية لصُحَار العَبْدىّ: ما هذه البلاغةُ التى فيكم؟ فقال: شىءٌ تَجِيشُ به صدُورُنا ثم تَقْذِفُه على ألسنتنا؛ فقال رجلٌ من القوم: هؤلاء بالبُسْر[1] أبصرُ؛ فقال صُحَار: أَجَل، والله إنّا لنعلم أنّ الرِّيحَ تُلقحه وأنّ البرد يُعقده[2] وأنّ القَمَر يَصْبغه وأنّ الحرّ يُنْضِجُه؛ فقال معاوية: ما تَعُدُّون البلاغةَ فيكم؟ قال: الإيجاز؛ قال: وما الإيجاز؟ قال: أن تُجيب فلا تُبطئ، وتقولَ فلا تُخطئ[3]. ثم قال: يا أمير المؤمنين، حسن الإيجاز ألّا تُبْطِئَ ولا تُخْطِئَ.

أبو الحسن قال: وَفَد الحسن بن علىّ على معاوية الشأمَ، فقال عمرو بن العاص: إنَّ الحسنَ رَجُلٌ أَفَهُّ[4] فلو حملته على المِنْبَر فتكلّم فسَمِع الناسُ من كلامه عابُوه، فأمره فَصعِد المِنْبَر فتكلّم فأحسن؛ وكان فى كلامه أنْ قال: أيّها الناس، لو طلبتُمْ ابنا لنبيِّكم ما بين جَابَرْس[5] الى جَابَلْق[6] لم تَجِدُوه غيرى وغيرَ أخى وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. فساء ذلك عَمْرا وأراد أن يَقْطع كلامه، فقال: يا أبا محمّد، هل تَنْعَت الرُّطَبَ؟ فقال: أجل، تُلْقِحُه الشَّمال وتُخْـرِجه الجَنوب ويُنْضِجه بَرْدُ الليل بحرّ النهار؛ قال: يا أبا محمّد، هل تَنْعَتُ الخِرَاءَةَ[7]؟ قال: نعم، تُبعِد المَمْشَى فى الأرض الصَّحْصح[8] حتّى

(١) كلمة «البسر» مطموسة فى الأصل واستعنا على معرفتها بما فى البيان والتبيين الذى وردت فيه العبارة هكذا: «فقال له رجل من عرض القوم: يا أمير المؤمنين، بالبسر والرطب أبصر منهم بالخطب... الخ». والبسر: التمر قبل إرطابه وذلك اذا لوّن ولم ينضج. (٢) يعقده: يغلظه.

(٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٤) بعد قوله فلا تبطئْ ولا تخطئْ: «أقلنى يا أمير المؤمنين؛ قال: قد أقلتك، قال: لا تبطئْ ولا تخطئْ. قال أبو حاتم: استطال الكلام الأوّل فاستقال وتكلم بأوجزمنه».

(٤) كذا فى الأصل والعقد الفريد. والأوصاف الخلقية الظاهرة أكثر ما تجىء على «أفعل» والذى فى كتب اللغة أن الوصف من الفهاهة (وهى العىّ فى المنطق): فهّ كضخم وفهيه وفهفه. (٥) جابرس: مدينة بأقصى المشرق. (٦) جابلق: مدينة بأقصى المغرب. (٧) الخراءة بالكسر: التخلى والقعود للحاجة. (٨) الصحصح بصادين مهملتين: ما استوى من الأرض مع الاتساع. وفى الأصل: «الضحضح» بضادين معجمتين.

نتوارى من القوم، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها، ولا تستنجى بالروثة ولا العظم، ولا تبول فى الماء الراكد، وأخذ فى كلامه .

وكان يقال : كلّ شىء ثنيته يقصر ما خلا الكلام، فإنك كلما ثنيته طال . قال الحسن : الرجال ثلاثة : رجلٌ بنفسه، ورجلٌ بلسانه، ورجلٌ بماله .

تكلّم صعصعة بن صوحان عند معاوية فعرق ؛ فقال معاوية : بهرك القولُ ! فقال صعصعة : إنّ الجياد نضّاحة للماء .

ويقال : أبلغُ الكلام ما سابق معناه لفظه .

وفى كتاب للهند : أوّلُ البلاغة اجتماعُ آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيبُ رابطَ الجأش[1]، ساكنَ الجوارح قليلَ اللحظ متخيّرا للفظ، لا يكلّم سيّدَ الأمّة بكلام الأمة، ولا الملوكَ بكلام السوقة، ويكون فى قواه فضلٌ للتصرّف فى كلّ طبقة، ولا يدقّق المعانىَ كلّ التدقيق، ولا ينقّح الألفاظَ كلّ التنقيح ولا يصفّيها كلّ التصفية [ولا يهذّبها غايةَ التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادفَ حكيما أو فيلسوفا عليما][2] ويكون قد تعوّد[3] حذفَ فضول الكلام وإسقاطَ مشتركاتِ الألفاظ، قد نظر فى صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة لا على جهة الاعتراض والتصفّح .

ونحو هذا قول جعفر بن يحيى البرمكىّ وقيل له : ما البيان ؟ فقال : أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويحكى[4] عن مغزاك، وتخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بالفكر، والذى لابدّ[5] له منه أن يكونَ سليما من التكلّف، بعيدا من الصنعة، بريئا من التعقّد، غنيًّا عن التأويل .

(١) الجأش : رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع . (٢) الزيادة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٥٢) . (٣) عبارة البيان والتبيين : «ومن قد تعوّد ... الخ» . (٤) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٥٨) : «يجلى» . (٥) هكذا فى الأصل . وفى البيان والتبيين : «والذى لابدّ منه ... الخ» .

قال الأصمعىّ : البليغ مَن طبّق المَفصِل وأغناك عن المفسَّر .

قال المدائنى : كتب قُتَيبةُ بن مُسلم الى الحجّاج يشكو قِلّةَ مَرْزِئَتِه(١) من الطعام وقلّة غِشْيانه النساء وحَصَره على المِنْبر ، فكتب إليه : اِستكْثر من الألوان لتُصِيبَ من كلّ صَحْفة شيئا ، وآستَكْثِر من الطُّرُوقة(٢) تجِدْ بذلك قُوّةً على ما تُريد ، وأَنْزِل الناس بمَنْزِلة رجل واحد من أهل بيتـك وخاصّتك ، وآرْمِ ببصرك أَمَامَك تبلُغْ حاجتك .

قال بعض الشعراء :

إن كان فى العِىِّ آفاتٌ مُقَدَّرَةٌ * ففى البلاغة آفاتٌ تُساوِيها

تكلّم رجل عند معاوية فَهَذَرَ(٣) ، فلمّا أطال قال : أأسكتُ يا أميرَ المؤمنين؟ قال : وهل تكلّمتَ !

ويقال : أعيا العِىّ(٤) بلاغةٌ بِىّ ، وأقبحُ اللَّحْن لَحْنٌ بإعراب .

وقال أعرابىّ : الحَظُّ للمرء فى أُذُنه(٥) ، والحظّ لغيره فى لسانه .

ويقال : ربّ كلمة تقول دَعْنى .

ويقال : الصمتُ أبلغُ من عِىٍّ ببلاغة . ونحوه قول الشاعر :

أرى الصَّمتَ أدْنى لبعض الصَّوَابِ * وبعض التَّكَلُّم أدنى لِعِىّ

وقال جعفر البَرْمَكىّ : إذا كان الإكثارُ أبلغَ كان الإيجازُ تقصيرًا ، وإذا كان الإيجازُ كافِيًا كان الإكثارُ عِيًّا .

---

(١) المرزئة من الطعام : الإصابة منه . (٢) الطروقة : زوجة الرجل ، وأنثى الفحل .

(٣) هذر فى كلامه : خلط وتكلم بما لا ينبغى . (٤) فى الأصل : « أعيا الغى بلاغة بق » .

(٥) يريد أن حظ الرجل فى أذنه لنفسه لأنه بها يسمع ما يقال ، والحظ فى لسانه لغيره لأنه اذا تكلم فإنما الحظ والفائدة فيه لغيره .

قال ابن السماك : العرب تقول : العَيِيُّ الناطق أعيا من العَيِيّ الصامت .

قال أنو شِروان لبزرجمهر : متى يكون العَيِيُّ بليغا ؟ فقال : إذا وَصَف حبيبا .

قال يونُس بن حبيب : ليس لعَيِيٍّ مُرُوءةٌ ، ولا لمنقوص البيان بَهاءٌ ، ولو بلَغ يأفوخُه(١) أعنانَ(٢) السماء . قال بعضُ الشعراء :

عَجِبتُ لإدلال العَيِيِّ بنفسه ٭ وصمتِ الذى قد كان بالحقّ أعلما
وفى الصمت سَتْرٌ للعَيِيّ وإنما ٭ صحيفةُ لُبِّ المرءِ أن يتكلّما

قال سعيدُ بن العاص : مَوطِنان لا أستَحيى من العِيّ فيهما : إذا أنا خاطبتُ جاهلا ، وإذا أنا سألتُ حاجةً لنفسى .

ذكر أعرابىّ رجلا يَعْيا فقال : رأيتُ عَوراتِ الناس بين أرجُلهم ، وعَورةَ فلانٍ بين فكَّيْه .

وعابَ آخرُ رجلا فقال : ذاك من يتامَى المجلس ، أبلغُ ما يكون فى نفسه أعيا ما يكون عند جُلسائه .

قال ربيعة الرأى : الساكتُ بين النائم والأخرس .

تذاكر قومٌ فضلَ الكلام على الصمت وفضلَ الصمت على الكلام ، فقال أبو مُسْهِر: كلّا ! إنّ النَّجْمَ ليس كالقَمَر ، إنك تَصِف الصمتَ بالكلام ، ولا تَصِفُ الكلامَ بالصمت .

---

(١) اليأفوخ : هو الموضع الذى يتلقى فيه عظم مقدّم الرأس مع عظم مؤخره . (٢) أعنان السماء : نواحيها .

وذمّ قومٌ فى مجلس سليمانَ بنِ عبد الملك الكلامَ، فقال سليمان: اللهمّ غَفْرًا، إنّ من تكلّم فأَحْسَن قدَر أن يَصْمُت فيُحْسِن، وليس مَن صَمَت فأَحْسن قادراً على أن يتكلّم فيُحْسِن .

قال بكرُ بن عبد الله: طولُ الصمتِ حُبْسَةٌ[(١)]، ونحوه قول عُمَر بنِ الخطّاب: تَرْكُ الحركةِ عُقْلة .

وكان نَوْفل بن مُساحِق إذا دخل على آمرأته صَمَتَ، وإذا خرج من عندها تكلّم؛ فقالت له: أمّا عندى فتُطْرِق، وأمّا عند الناس فتَنْطِق! فقال: أُدِقُّ[(٢)] عن جَليلكِ وتَجِلّين عن دقيقى .

وفى حكمة لقمان: يا بُنَىّ، قد نَدِمتُ على الكلام ولم أَنْدَم على السكوت .

قال آبن إسحاق: النَّسْنَاسُ[(٣)] خَلْقٌ باليَمن لأحدهم عَيْنٌ ويَدٌ ورِجْلٌ يَقْفِزُ[(٤)] بها، وأهلُ اليمن يصطادونهم، فخرج قومٌ فى صيدهم فرَأَوْا ثلاثةَ نَفَر منهم فأَدْرَكوا واحدًا فعَقَرُوه وذَبحُوه وتَوَارَى آثنان فى الشَّجَر، فقال الذى ذَبَحه: إنّه لسَمِينٌ، فقال أحدُ الآثنين: إنه أَكَلَ ضِرْوًا، فأخذوه فذَبحُوه، فقال الذى ذَبَحه: ما أنفعَ الصمتَ! قال الثالث: فهأنا الصَّمِّيتُ فأخذوه وذبحوه . (الضِّرْوُ[(٥)]: حَبّة الخضراء) .

كان يقال: إذا فاتك الأدب فألزم الصَّمتَ .

---

(١) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٥٠) والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤): «خرسة». والحُبْسة بالضم: اسم من الاحتباس وهو تعذر الكلام عند إرادته . (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٦): «قال: إنى أجل عن دقيقك، وتدقين عن جليلى» . (٣) وردت هـذه الحكاية فى كتاب الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ٤١٥) باختلاف يسير فى بعض ألفاظها لا يخرجها عن المعنى المراد . (٤) كذا فى حياة الحيوان . وفى الأصل: «ينقر» .

وقال بعضهم : لا يَجْتَرِئُ على الكلام إلا فَائِقٌ أو مَائِقٌ[1] .

وقال الشاعر يمدح رجلا :

صَمُوتٌ إذا ما الصمتُ زَيَّنَ أهلَه * وفَتَّاقُ أَبْكَارِ الكلامِ المُخَتَّمِ[2]

قال أبو الدرداء : أَنْصِفْ أُذُنَيْكَ مِن فِيكَ ، فإنّما جُعِلَ لك أُذُنَانِ [اثنتان][3] وفَمٌ واحدٌ ، لتَسْمَعَ أكثرَ ممّا تقول .

حَضَرَ قُشَيْرِيٌّ مجلسا من مجالس العرب فأطال الصمتَ ، فقال له بعضهم : بحقٍّ سُمِّيتم خُرْسَ العرب ، فقال القُشَيْرِيّ : يا أخى ، إنّ حظّ الرجل فى أُذُنه لنفسه ، وحظَّه فى لسانه لغيره .

وقال بعضُ الحكماء : أَكثِرِ الصمتَ ما لم تكن مسئولا فإنّ فَوْتَ الصواب أيسرُ من خَطَلِ القول ؛ وإذا نازعَتْكَ نَفْسُكَ الى مراتب القائلين المُصِيبين ، فاذْكُرْ ما دون الصواب من وَجَلِ الخطأ وفضائحِ المُقَصِّرين .

تكلّم رجلٌ فى مجلس الهَيْثَم بن صالح بخطأ ، فقال له الهيثمُ : يا هـذا ، بكلام مثلك رُزِقَ أهلُ الصمت المحبة . وقال أبو نُوَاس :

خَـلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامِ * وَامْضِ عَنْـهُ بِسَلَامِ
مُتْ بداءِ الصمتِ خَيْرٌ * لك من داءِ الكَلَامِ
إنّمـا السـالمُ[4] من ألْـجَمَ فاه بِلِجَـامِ

(١) الفائق : الأديب العالم . والمائق : الهالك حمقا وغباوة .

(٢) فى الأصل «المحبّر» وهو تحريف ، لأن القافية ميمية ؛ وهذا البيت لعبد الله بن المبارك صاحب الرقائق يرثى مالك بن أنس المدنى كما فى العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ١ ص ٢٩٣) وبعده :

وعى ما وعى القرآن من كل حكمة * ونيطت له الآداب باللحم والدم

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٣) . (٤) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٤٩) : «المسلم» .

وقال آخر :

رأيتُ اللسانَ على أهله * إذا ساسه الجهلُ لَيْثاً مُغيرا

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا صاحبٌ لنا عن مالك بن دينار أنه قال : لوكانت الصحُف من عندنا لأَقللنا الكلام .

وقال الأصمعىّ : إذا تظرّف العربىّ كَثُرَ كلامه ، وإذا تظرّف الفارسىّ كثر سكوته .

قال حاتم طيىء : إذا كان الشيءُ يَكْفيكَهُ التَّرْكُ فاتركه .

قال عبد الله بن الحسن لابنه : استعن على الكلام بطول الفِكْر فى المَوَاطن التى تدعوك فيها نفسُكَ إلى القول ، فإنّ للقول ساعاتٍ يضُرّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب .

وقال إياس بن قَتَادة :

تُعَاقِبُ[١] أيدينا ويَحْلُم رأينا * ونَشْتُمُ بالأفعال لا بالتكلُّمِ

تكلم ابنُ السَّمَّاك يوما وجاريةٌ له تسمع كلامه ، فلما دخل إليها قال : كيف رأيتِ كلامى ؟ قالت : ما أحسَنَه لولا أنّك تُكثر تَرْدادَه ! قال : أُرَدِّده حتّى يَفْهَمَه مَن لم يَفْهَمْه ؛ قالت : إلى أن يَفْهَمه من لم يَفْهَمْه قد مَلَّه مَنْ فَهِمه ! .

قال عيسى بنُ مَرْيم : مَن كان مَنْطِقُه فى غير ذكرٍ فقد لغا ، ومَن كان نظرُه فى غير اعتبار فقد سَهَا ، ومن كان صَمْتُه فى غير فكرٍ فقد لها .

(١) فى نهاية الأرب (ج ٦ ص ٦) وحماسة أبى تمام شرح التبريزى (طبع مدينة بُن) : «وتجهل أيدينا ... الخ» ونسب البيت فيهما الى معبد بن علقمة . ونسب فى أدب الدنيا والدين (ص ٢٥٣) الى إياس بن قتادة، كما فى الأصل هنا .

كان العباس بن زُفَر لا يُكلّم أحدا حتى تَنْبسطَ الشمسُ، فإذا آنفتَل[١] عن صلاته ضَرَب الأعناقَ وقَطَع الأيدى والأرْجل. وكان جَرير لا يتكلّم حتى تبزُغَ الشمس، فإذا بَزَغت قَذَف المُحصَنَات.

قال قَتَادة: مكتوب فى التوراة: لا يُعاد الحديث مرتين.

قال الزُّهرىّ: إعادة الحديث أشدّ من وَقْع الصَّخْر.

وفى كتب العجم: أنّ أربعةً من الملوك آجتمعوا فقالوا كلُّهم كلمةً واحدةً كأنّها رميةٌ بسهم: ملك فارس، وملك الهند، وملك الروم، وملك الصين. قال أحدهم: إذا تكلمتُ بالكلمة مَلَكَتْنى ولم أمْلِكها. وقال آخر: قد نَدِمتُ على ماقلتُ ولم أنْدَم على مالم أَقُل. وقال آخر: أنا على ردّ مالم أقل أقدرُ منّى على ردّ ماقلتُ. وقال آخر: ما حاجتى إلى أن أتكلّم بكلمة، إن وقعتْ علىّ ضرّتنى، وإن لم تقع علىّ لم تنفعنى.

قال زُبَيْد اليامىّ[٢]: أسكتتنى كلمةُ آبن مسعود عشرين سنة: مَنْ كان كلامه لا يوافق فعلَه فإنّما يُوَبِّخ نفسه.

وفى كتاب كليلة ودمنة: ثلاثةٌ يؤمرون بالسكوت: الراقى فى جبل طويل، وآكل السمك، والمُرَوِّى[٣] فى الأمر الجسيم. قال بعض الشعراء[٤]:

قــد أفلح السالمُ الصَّمُوتُ ∴ كلامُ راعى الكلام قوتُ

(١) انفتل عن صلاته: انصرف عنها. (٢) كذا فى الأنساب للسمعانىّ؛ وتهذيب التهذيب؛ وتاج العروس. وهو زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن كعب اليامىّ نسبة الى يام بطن من همدان. وفى الأصل «زبيد النامى» بالنون وهو تحريف. (٣) المروّى: من روّى فى الأمر ويقال روّأ (بالهمزة) اذا نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بجواب. (٤) هو محمد بن أبى العتاهية كما فى الأغانى (ج ٣ ص ١٧٠ طبع بولاق) وهو مذكور أيضا فى ديوان والده أبى العتاهية (ص ١٤ طبع بيروت).

ما كلّ نُطقٍ لهُ جوابٌ * جوابُ ما يُكرَهُ السكوتُ
يا عجبًا لامرئٍ ظَلُومٍ * مُستيقنٍ أنّه يموتُ

بلغنى عن أبى أُسامة عن ٱبن عَوْن عن الحسن قال : جلسوا عند معاوية فتكلّموا وصَمَتَ الأحنفُ ، فقال معاوية : ياأبا بَحْر، مالك لاتتكلّم ؟ قال : أَخافُكم إنْ صَدَقْتُكم، وأخاف الله إن كَذَبت .

حدّثنى محمد بنُ داود قال حدّثنا الحُمَيدىّ قال حدّثنا أبو الحَكَم مَرْوان بن عبد الواحد عن موسى بن أبى درهم عن وهب بن منبِّه قال قال ٱبن عبّاس : كفى بك ظالمًا ألّا تزالَ مُخاصِما ، وكفى بك آثمًا ألّا تزال مُماريا ، وكفى بك كاذبا ألّاتزال مُحدِّثا بغيرذكر الله تعالى .

وقال بعضهم :

يَمُوتُ الفتى من عَثْرةٍ بلسانِهِ * وليس يموتُ المرءُ من عَثْرة الرِّجْلِ[1]
فعثرتُه من فيه تَرْمِى برأسه * وعثرتُه بالرِّجْل تَبْرا على مَهْلِ

سُئل بعضُ الحكماء عن البلاغة، فقال : من أخذ معانىَ كثيرةً فأدّاها بألفاظ قليلة، أو أخذ معانىَ قليلةً فولّد فيها ألفاظا كثيرة .

بلغنى عن أبى إسحاق الفَزَارىّ قال : كان إبراهيمُ يُطيل السّكوتَ ، فإذا تكلّم ٱنبسط، فقلت له ذاتَ يوم : لو تكلّمتَ! فقال : الكلام على أربعة وُجُوه. فمنه كلامٌ ترجو منفعتَه وتَخْشى عاقبتَه، فالفضلُ منه السلامةُ، ومنه كلامٌ لاترجو منفعتَه ولا تخشى عاقبتَه ، فأقلُّ مالَكَ فى تركه خِفة المُؤُونة على بَدَنك ولسانك ، ومنه كلامٌ

(١) هذان البيتان لجعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، كما فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٣) .

لا ترجو منفعتَه وتخشى عاقبته، وهـذا هو الدَّاءُ العُضال ؛ ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأْمَنُ عاقبته، فهذا الذى يجب عليك نَشْرُهُ؛ قال : فإذًا هو قد أسقط ثلاثةَ أرباع الكلام .

الاستدلال بالعين والإشارة والنُّصبة (١)

يقال : رُبَّ طَرْفٍ أفصح من لسان . قال أعرابىّ :

إنْ كاتَمُونا القِلَى نَمَّت عيونُهُـمُ * والعينُ تُظْهِرُ ما فى القلب أو تَصِفُ

وقال آخر :

إذا قلوبٌ أظْهرتْ غيرَ مَا * تُضْمِره أنبَتْكَ عنها العُيُونُ

آخر :

أمَا تُبْصِر فى عيْـنَىَّ عُنوانَ الذى أُبدِى

وقال ذو الرُّمَّة :

نَعَمْ هاجت الأطلالُ شَوْقًا كَفَى به * من الشَّـوقِ إلا أنَّهُ غيرُ ظاهرِ

فما زِلْتُ أطْوِى النفسَ حتّى كأنَّها * بِذِى الرِّمْثِ (٢) لم تَخْطُرْ على بالِ ذَاكِرِ

حَيَاءً وإشْفاقا من الرَّكْبِ أن يَرَوْا * دليـلًا على مُسْـتَوْدَعاتِ الضمائرِ

وقال الحارثىّ يذكُر ميتا :

أتيناه زُوَّارًا فأمجَـدَنا (٣) قِرى * من البَثِّ (٤) والدَّاءِ الدَّخيلِ المُخَامِرِ

وأوسَـعَنا عِلْمًا بردِّ جوابِنا * فأعْجِبْ به من ناطقٍ لم يُحَاوِرِ

---

(١) النصبة بالضمّ : هى الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد (عن البيان والتبيين ج ١ ص ٤٥).

(٢) أطوى النفس : أضمرها على شىء من حبّ ميّة . وذو الرِّمث : اسم واد لبنى أسد .

(٣) أمجدنا : أشبعنا . (٤) البث : الغم والحزن، وقيل أشدّه .

ومثل هذا قولُ القائل[1] : سَلِ الأرضَ فقل لها : من شَقّ أنهارَكِ ، وغَرَس أشجارَكِ ، وجَنَى ثِمارَكِ ، فإن لم تُجِبك حِوارًا[2] ، أجابتك ٱعتبارا . قال أبو العَتاهِيَة[3] :

وللقَلْب على القلبِ * دليــلٌ حين يَلْقاهُ
وللناس من النـاس * مقاييسٌ وأشـباهُ
يُقاسُ المـرءُ بالمـرءِ * إذا ما هو ماشـاهُ
وفى العين غِنًى للعـيْـنِ[4] أن تَنـطِق أفواهُ

الشـــعر

يقال : خيرُ الشِّعْر ما رَوّاك نفسَهُ . ويقال : خيرُ الشعر الحَوْلِىّ المُنقَّح المُحكَّك .

سَمِع أعرابىٌّ رجلا يُنْشِد شِعْرا لنفسه ، فقال : كيف تَرَى ؟ قال : سُكَّر لا حَلاوةَ له . قيل لبعض علماء اللغة : أرأيتَ الشاعرين يجتمعان على المعنى الواحد فى لفظ واحد ؟ فقال : عُقول رجالٍ تَوافت على ألسنتها .

قال بَشّار يَصِف نفسَه :

زَوْرُ[5] مُلوكٍ عليــه أُبَّهَــةٌ * يُعرفُ من شِعره ومن خُطَبِهْ
لله ما راح فى جَوانِحــهِ * من لُؤلُؤ لا يُنام عن طَلَبِهْ
يَخْرُجْن[6] من فيه فى النَّدِىّ[7] كما * يَخْرج ضوءُ السِّراج من لَهَبِهْ

(١) القائل هو الرقاشىّ كما فى الصناعتين لأبى هلال العسكرىّ (ص ١١ طبعة الآستانة سنة ١٣١٩ هـ) .
(٢) الحوار بكسر الحاء : من حاوره إذا جاءه به وراجعه فى الكلام .
(٣) لم نجد هذه الأبيات فى ديوان أبى العتاهية المطبوع فى بيروت سنة ١٨٨٨ م .
(٤) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٤ ؛ طبعة القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) : «للمرء» .
(٥) الزور : الزائر .
(٦) كذا فى الأصل ، وفى ديوان بشار (ص ١٠٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥ م) : «يخرج ... للندىّ ... الخ» .

تَرْنُو إليه الحُدَّاثُ غادِيةً * ولا تَمَلُّ الحديثَ من عَجَبِهْ
تِلْعابةٌ[1] تَعْكُفُ الملوكُ به * تأخذ من جِدّه ومن لَعِبِهْ
يَزْدحِمُ الناس كلَّ شارقةٍ * ببابه مُسرِعِينَ فى أدبِهْ

وقال الطائىّ يذكر الشعر :

إنّ القوافِىَ والمَسَاعِىَ لم تَزَلْ * مِثلَ النِّظَامِ[2] إذا أصابَ فَرِيدا
هى جَوْهَرٌ نَثْرٌ فإن أَلَّفْتَهُ * بالشعر صار قلائدًا وعُقُودا
من أجل ذلك كانت العربُ الأُلَى * يَدْعُون هذا سُؤْدُدًا مَجْدُودا[3]
وتَنِدُّ عندهمُ العُلَا إلّا عُلًا * جُعِلت لها مِرَرُ[4] القَرِيض قُيُودا

وقال أيضا :

ولم أَرَ كالمعروف تُدْعَى حُقوقُه * مَغارِمَ فى الأقوامِ وهى مَغانِمُ
وإنّ العُلَا[5] ما لم تَرَ الشعرَ بينها * لكالأرض غُفْلًا[6] ليس فيها مَعالِمُ
وما هو إلا القولُ يَسْرِى فيَغْتَدِى * له غُرَرٌ فى أوجهٍ ومَواسِمُ
يُرَى[7] حِكْمَةً ما فيه وهو فُكاهةٌ * ويُقْضَى بما يَقْضِى به وهو ظالمُ
ولولا خِلالٌ سَنَّها الشعرُ ما دَرَى * بُغاةُ العُلَا من أينَ تُؤْتَى المكارمُ

---

(١) رجل تِلْعابة بكسر التاء : كثير المزح والمداعبة .

(٢) فى ديوان أبى تمام المطبوع (ص ٩٠) : «الجُمَان» .

(٣) فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٦ أدب (ص ٨٤) وديوانه المطبوع أيضا (ص ٩٠) : «محدودا» بالحاء المهملة .

(٤) المِرَر جمع مِرّة ، والأصل فى المِرّة طاقة الحبل .

(٥) رواية الديوان (ص ٢٨٦) : «ولا كالعلا ما لم يرَ ... فكالأرض ... الخ» .

(٦) الغُفْل من الأرض : ما لا علامة فيه .

(٧) كذا فى ديوانه . وفى الأصل «ترى» .

وقال عُمر بن لَجَإ لبعض الشعراء : أنا أشعرُ منك ؛ قال : ولِمَ ذاكَ ؟ قال : لأنّى أقولُ البيتَ وأخاه، ولأنك تقول البيتَ وآبنَ عمّه .

قيل لعَقِيل بن عُلَّفة : ألا تُطيل الهجّاء (١) ؟ فقال : يكفيك من القِلادة ما أحاط بالعُنُـــق .

وقال بعضُهم : خيرُ الشّعر المُطْمِع .

قيـــل لكُثَيّر : يا أبا صَخْر، كيف تصنع إذا عَسُر عليك قولُ الشــعر ؟ قال : أطوف بالرِّباع المُخْلِيَة (٢) والرِّياض المُعشِبة، فيسهُل علىّ أرْصَنُه ويُسرِع الىّ أحسنُه .

ويقال : إنه لم يُستَدْعَ (٣) شارِدُ الشــعر بمثل المــاء الجارى، والشَّرَف العــالى، والمكان الخَضِر الخالى (٤) أو الحالى .

وقال عبدُ الملك بن مَرْوان لأَرْطَاةَ بن سُهَيّة : هل تقول الآن شعرا ؟ قال (٥) : ما أشرَب (٦)، ولا أَطْرَب، ولا أَغْضَب؛ وإنمــا يكون الشــعر بواحدة من هذه .

---

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : «مالك لا تطيل ... الخ» .

(٢) كذا فى كتاب الشعر والشعراء للؤلف (ص ١٨ طبعة ليدن ســنة ١٩٠٢) والمُخْلِية : الخاليــة من السكان؛ يقال : حلت الدار وأخلت . وفى العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) : «بالرباع المحيلة» وهى التى أتت عليها أحوال فغيّرتها . وفى الأصل : المخيلة بالخاء المعجمة .

(٣) كذا فى الشعر والشعراء (ص ١٨) والعقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٢) وفى الأصل : «لم يُسرع» .

(٤) الخالى هو الخالى من الضوضاء . وقد وردت هــذه العبارة فى العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) بدون الكلمة «الحالى» ثم قال صاحب العقد : "تأوّل بعضهم «الخالى» يريد الخالى من النوار يعنى الرياض وهو توجيه حسن" . وأما «الحالى» بالمهملة فهو المتحلى بالنوار، ومنه قول أبى بكر بن عبد الرحمن الزهرى (ج ٢ ص ٨٩ من ديوان الحماسة لأبى تمام طبعة مصر سنة ١٣٢٢هـ) :

ولما نزلنا منزلا طلّه النَّـــدَى * أنيقًا وبُستانا من النَّوْر حاليا

(٥) فى الشعر والشعراء (ص ١٨) : «قال كيف أقول وأنا ما أشرب ... الخ» .

وقيل لكُثَيِّر[1] : ما بَقِىَ من شعرِك ؟ فقال : ماتت عَزَّة فما أطرب ، وذهب الشَّبَابُ فما أُعْجَب ، ومات ٱبْنُ لَيْلَى فما أرغَب — يعنى عبدَ العزيز بن مَرْوان — وإنما الشعر بهذه الخِلَال .

وقيل لبعضهم : من أشعرُ الناس[2]؟ فقال : آمرؤُ القيس إذا رَكِب ، والنابغة إذا رَهِب ، وزهير إذا رَغِب ، والأعشى إذا طَرِب .

وقيل للعجّاج : إنك لا تُحسِن الهجاء ، فقال : إن لنا أحلاماً تمنعُنا من أن نَظْلِمَ ، وأحساباً تمنعُنا من أن نُظْلَمَ ، وهل رأيتَ بانيًا لا يُحسِن أن يَهْدِم ! .

وقلتُ فى وصف الشِّعر : الشعر مَعْدِنُ عِلْمِ العرب ، وسِفْرُ حِكمَتِها ، وديوانُ أخبارها ، ومستَوْدَعُ أيامها ، والسُّورُ المضروبُ على مآثرها ، والخَنْدَقُ المحجوزُ على مفاخرها ، والشاهدُ العَدْلُ يومَ النِّفار ، والحُجّةُ القاطعةُ عند الخِصَام ؛ ومن لم يقم عندهم على شَرَفه وما يدعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفَعَال الحميد بيتٌ منه ، شَذَّت مَساعيه وإن كانت مشهورة ، ودَرَسَت على مُرورِ الأيَّام وإن كانت جِساما ؛ ومن قَيَّدها بقوافى الشعر ، وأوثقها بأوزانه ، وأشهرها بالبيت النادر ، والمَثَل السائر ، والمعنى اللطيف ، أخلدها على الدهر ، وأخلصها من الجَحْد ، ورفع عنها كَيْدَ العدوّ وغَضّ عينَ الحسود .

وما جاء فى الشعر كثير . وقد أفردتُ للشعراء كتابا ، وللشعر بابا طويلا فى كتاب العرب ، وذكرت هذه النُّتْفَةَ فى هذا الكتاب كراهِيَةَ أن أُخْلِيَه من فَنٍّ من الفنون .

(١) رواية الأمالى (ج ١ ص ٣٠ طبع مطبعة دار الكتب المصرية) : «قيل لكثير : مالك لا تقول الشعر ! أجبلت ؟ قال : والله ما كان ذلك ، ولكن فقدت الشباب فما أطرب ، ورزئت عَزّة فما أنسب ، ومات ... الخ » وفسّر أبو علىّ القالى : «أجبلت» بقوله : « أجبلت ، أى انقطعت عن قول الشعر ، أخذه من قولهم : أجبل الحافر إذا آنتهى إلى جبل فلم يمكنه الحفر » . (٢) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) : «وقالوا : أشعر الناس ، النابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، وجرير إذا غضب» .

حُسن التشبيه فى الشّعر

من ذلك قولُ آبنِ الزَّبِيرِ الأَسَدىّ فى الثُّرَيّا :

وقد لاح فى الغَوْر الثُّرَيّا كأنّمــا (١) * به رايةٌ بيضاءُ تُخْفَقُ للطَّعْنِ

شبّه الثُّرَيّا حين تدلّت للمَغيب براية بيضاء خَفَقت للطعن .

ومن ذلك قولُ عنترةَ فى الذُّبَاب :

وخَلَا (٢) الذُّبابُ بها (٣) فليس ببَارِحٍ * هَزِجًا (٤) كفِعْلِ الشارِبِ المُتَرَنِّمِ
غَرِدًا (٥) يَحُـــكُّ ذِرَاعَه بذِرَاعِهِ * فِعْلَ المُكِبِّ (٦) على الزِّنَاد الأَجْذَمِ (٧)

شبّه حكّه يَدَه بيده برَجُل مقطوع الكفَّين يَقْدَح النار بعُودَيْنِ .

ومن ذلك قولُ أعرابى فى العِنَب :

يَحْمِلْنَ أوعيَةَ السُّلافِ كأنّمــا * يَحْمِلْنها بأَكَارِعِ النِّغْرانِ (٨)

أوعية السُّلاف : العنب، جعله ظرفا للخمر ؛ وشبّه شُعَب العناقيد التى تحمِل الحبَّ بأرجُل النِّغْران . (والنُّغَر : طائر مثل العصفور أحمر المِنْقار) .

(١) كذا فى معاهد التنصيص ص ١٨٩ طبع مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ هـ ، ونسخة خطية من الأغانى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ م فى أخبار أبى قيس بن الأسلت . وفى نسخة خطية أخرى من الأغانى رقم ١٢٦١ : «تخفض» بدل «تخفق» وفى طبعة بولاق منه (ج ١٥ ص ١٦٦) «وقد لاح فى القور ...» بالقاف . وفى الأصل هنا :

وقــد حرم الغور الثريا كأنها * له راية بيضاء تخفض للطعن

وفيــه أيضا «خفضت» فى تفســير المؤلف للبيت بدل خفقت التى أثبتناها ، تبعا للرواية التى آثرناها فى البيت . (٢) يروى هــذا البيت فى شرح المعلقات للزوزنى (طبع القاهرة ســنة ١٣٠٤ هـ) : «...فليس ببارح . غردا» ويروى البيت الذى بعده «هزجا يحك ... ... قدح المكب» .

(٣) الضمير فى «بها» يعود على الروضة التى تصدّى عنترة لوصفها فى معلقته . (٤) هزِج كَكَتِف : مصوّت . (٥) غَرِدٌ : من غَرِدَ الطائرُ إذا رفع صوته فى غنائه وطرب . (٦) المكبّ : من أكبّ على الشىء : أقبل عليه ولزمه . (٧) الأجذم : المقطوع اليد ؛ وقيل الذاهب الأنامل .

(٨) فى اللسان مادة «نغر» : «يحملن أزقاق المــدام ... بأظافر... الخ» .

وقال الآخر، وكان غَشِيَ عَيْنَيْه بياضٌ أو نَزَل فيهما ماءٌ، :

يقولون مَاءٌ طَيِّبٌ خان عينَهُ * وما ماءُ سُوءٍ خان عَيْنِي بطيِّبِ
ولكنّه أزمانَ أنظُرُ طيِّبٌ * بعَيْنَيْ غُدَافِيٍّ(١) علا فوق مَرْقَبِ
كأنّ ابنَ جَحْلٍ(٢) مَدَّ فضلَ جَناحِه * على ماء إنسانَيْهما المُتَغيِّبِ

شبّه ما علا الحَدَقة بجَناح فَرْخ من فِراخ الزنابير قد مُدَّ على ناظره .

ومن ذلك قولُ امرئ القيس وذكر العُقاب :

كأنّ قلوبَ الطّير رَطْبًا ويابسًا * لَدَى وَكْرِها العُنَّابُ(٣) والحَشَفُ(٤) البالى

شبّه الرَّطب بالعُنّاب، واليابس بالحَشَف . وشبّه شيئين بشيئين فى بيت واحد .

ومن ذلك قولُ أَوْس بن حَجَر وذَكَر السيف :

كأنّ مَدَبّ النمل يتّبِعُ الرُّبَى * ومَدْرَجَ ذَرٍّ(٥) خاف بَرْدًا فأسهلا

شبّه فِرِنْدَ(٦) السيف بمدرج الذّرّ ومدبّ النمل .

ومن ذلك قولُ أبى نُوَاس فى البازى :

ومَنْسِرٌ أَكْلَفُ فيه شَغًا(٧) * كأنّه عَقْدُ ثمانينا(٨)

(١) الغداقىّ : الشديد السواد، نسبة إلى الغداف وهو الغراب وفى الأصل : «بعينى غدافيا» .

(٢) الجحل بتقديم الجيم على الحاء : اليعسوب العظيم، وهو فى خلق الجرادة إذا سقط لا يضم جناحه، والجمع بحول وبحلان .

(٣) العناب كرمّان : شجر معروف، حبه كحب الزيتون فى شكله .

(٤) الحشف : ما يبس من التمر، ولم يكن له طعم ولا نوى .

(٥) الذر : صغار النمل، واحدته ذرّة .

(٦) فرند السيف بكسر الفاء والراء : جوهره ووشيه وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل .

(٧) الشّغا : زيادة فى المنقار الأعلى على الأسفل مع تعقّف وانعطاف، ولذا سميت العقاب بالشغواء .

(٨) شبه منسر البازى الذى فيه الشغا بعقد ثمانين على طريقة حساب العرب أيام جاهليتهم ؛ وصفة عقد الثمانين : أن يجعل رأس السبابة على ظفر الإبهام . (راجع بلوغ الأرب للآلوسى طبعة بغداد ج ٣ ص ٣٩٩) .

ومن ذلك قولُ أعرابيٍّ في آمرأة :

قامت تَصَدَّى له عَمْدًا لتقتُلَه * فلم يَرَ الناسُ وَجْدا مثلَ ما وَجَدا

بجيـــدِ آدَمَ[1] لم تُعقَـــد قلائدُه * وناهدٍ مثلِ قَلْبِ الظَّبْيِ ما نَهَدا

فظلَّ كالحائِمِ[2] الهَيْمانِ[3] ليس له * صَبْرٌ ولا يأمَنُ الأعداءَ إن وَرَدا

شبَّه ثَدْيَها في نُهوده بقلب الظبي في صلابته ، ولا نعلم أحدا شبه الثَّدْي بقلب الظَّبْي غيرَه .

ومن ذلك قولُ جَحْدر العُكْلِيّ في آمرأة :

على قَدَمٍ مكنونةِ اللونِ رَخْصَةٍ * وكَعْبٍ كَذِفْرَى[4] جُؤْذُرِ الرَّمْلِ أَدْرَما[5]

شبَّه كعبها بأصل أُذُن الجُؤْذُر، وهو الصغير من أولاد البقر .

ومن ذلك قول حُمَيد بن ثَوْر يصف فَرْخ القطاة :

كأنَّ على أشـــداقِهِ نَوْرَ حَنْوةٍ[6] * إذا هو مَدَّ الجيـــدَ منـــه ليَطْعَمَا

ومن ذلك قول دِعْبِل[7] يهجو آمرأة :

كأنّ الثآليـــلَ[8] في وجهِهـــا * إذا سَفَرَتْ بِدَدُ[9] الكِشْمِش[10]

لهـــا شَـــعَرٌ قَرِدٌ إذا آزَّيَنَتْ[11] * ووجهٌ كبَيْضِ القَطَا الأَبْرَشِ[12]

---

(١) يقال : ظبي آدم إذا أُشرب لونه بياضا . (٢) الحائم : العطشان الذي يحوم حول الماء .

(٣) الهيمان : العطشان . (٤) الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . (٥) كعب أدرم : مستوٍ . (٦) كذا رواه المؤلف في كتابه « الشعر والشعراء » (ص ٢٣٠) . والحنوة بالفتح : نبات سهليّ طيب الريح . وفي الأصل « خنوة » بالخاء وهو تحريف . (٧) في شرح حماسة أبي تمام للتبريزي (ص ٨٢١ طبع مدينة بن سنة ١٨٢٨) : « أن أبا عبيدة أنشد هذا الشعر لأبي الغَطَمَّش الحنفي » . (٨) الثآليل جمع ثُؤلول وهو الحبة تظهر في الجلد كالحمصة فما دونها . (٩) البِدَدُ جمع بِدّة وهي القطعة . (١٠) الكشمش بكسر الكاف والميم : العنب الصغير .

(١١) كذا في ديوان الحماسة ، وفي الأصل : « إذا زينت » . (١٢) الأبرش : ما به بَرَش ، والبَرَش كالبرص وزنا ومعنى .

ومن ذلك قولُ أبى نُوَاس فى وصف البطّ :

* كأنّمــا يَصفِرْنَ من مَلَاعِق [1] *

ومن ذلك قولُ بعض الرُّجّاز فى جارية سوداء :

كأنّها والكُحْلُ فى مِرْوَدِها * تَكْحُلُ عينيها ببعض جِلْدِها

ومن ذلك قولُ الجَعْدِىّ [2] فى فرس :

خِيــطَ على زَفْرَةٍ [3] فَتَمّ ولم * يَرْجِعْ إلى دِقّةٍ ولا هَضَمِ [4]

يقول هو منتفخ الجَنْبَيْن، فكأنّه زَفَر فانتفخ جنباه ثم خِيطَ على ذلك .

ومن ذلك قول الطِّرِمّاح يصف الثَّوْر :

يَبْــدُو وتُضمِره البــلادُ كأنّهُ * سيفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ [5]

ومن ذلك قول النابغة للنُّعمان :

فإنّك كالليــل الذى هو مُدْرِكى * وإنْ خِلتُ [6] أن المُنْتأَى عنك واسعُ

ومن ذلك قولُه فى المرأة [7] :

نَظَرتْ اليك بحاجةٍ لم تَقْضِها * نَظَرَ المريض الى وُجوه العُوَّدِ

يقول : نظرتْ اليك ولم تَقدِر أن تتكلّم، كما ينظُر المريضُ الى وُجوه عُوّاده ولا يَقْدِر أن يُكلّمهم .

---

(١) عجزه كما فى الشعر والشعراء ص ٥٢٠ :

* صرصرة الأقلام فى المهارق *

(٢) كذا فى اللسان مادتى «زفر» و «هضم» وفى الأصل «الجعفرىّ» . (٣) زفرة الفرس : وسطه؛ يقال للفرس إنه لعظيم الزفرة، أى عظيم الجوف . (٤) كذا فى اللسان . وفى الأصل «ولا هرم» والهضم : استقامة الضلوع ودخول أعاليها، وهى من عيوب الخيــل التى تكون خلقة . (٥) كذا فى «الشعر والشعراء» ص ٨٠ وفى الأصل «ويعضد» . (٦) كذا فى ديوان النابغة طبع باريس واللسان مادة «نأى» وفى الأصل «قلت» . (٧) يريد بالمرأة المتجرّدة زوج النعمان .

ومن ذلك قولُ طَرَفَة :

لعمرُكَ إنّ الموتَ ما أخطأَ الفتَى * لَكَالطِّوَلِ(١) المرْخَى وثِنْيَاهُ باليَـــدِ

ومن ذلك قولُ بعضِ الضَّبِّيين(٢) يصف أباريق الشَّراب :

كأنّ أباريقَ الشَّمُول عَشِيـــةً * إوَزٌّ بأعْلَى الطَّفِّ(٣) عُوجُ الحناجر(٤)

ونحوه قولُ أبى الهندىّ(٥) :

سَيُغْنِى أبَا الهِندىّ عن وَطْبِ سالِمٍ * أباريقُ لم يَعْـلَقْ بها وَضَرُ(٦) الزُّبْدِ
مُفَـــدَّمَةٌ(٧) قَـــزًّا كأنَّ رِقَابَهـــا * رِقابُ بَناتِ الماءِ(٨) تَفْـــزَعُ للرَّعْدِ

ومن ذلك قولُ نُصَيب فى عبد العزيز بن مَرْوان :

وكلبُك آنَسُ بالمُعْتفِين * من الأُمِّ بأبنتِها الزائِرهْ

ومن ذلك قولُ عَدِىّ بن الرِّقاع فى الظبية :

تُزْجِى(٩) أغَنَّ(١٠) كأنّ إبْرَةَ رَوْقِه(١١) * قلمٌ أصابَ من الدَّواة مِدَادَها

ومن ذلك قولُ بشّار :

كأنّ مُثَارَ النَّقْعِ فوقَ رءوسِهم(١٢) * وأسيافَنَا ليـلٌ تَهَاوَى كواكِبُهْ

---

(١) الطِّوَل : الحبل الطويل تشدّ به قائمة الدابة و يمسك صاحبها بطرفه و يتركها ترعى .

(٢) القائل لهذا البيت هو شبرمة الضبىّ كما فى اللسان مادة « برق » . (٣) الطفّ : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق . (٤) كذا فى اللسان وهو المناسب ، لأن المراد عوج الرقاب . وفى الأصل : «المناخر» بالخاء المعجمة . ولعلها «المناحر» بالحاء المهملة ، جمع منحر وهو موضع النحر من الحلق . (٥) هو عبد المؤمن بن عبد القدّوس كما فى اللسان مادّة «وضر» .

(٦) الوضر : وسخ الدسم واللبن . (٧) المفدّم : الإبريق الذى على فمه فدام وهو خرقة من قزّ أو غيره . (٨) يريد بنات الماء الإوزّ و ما يشابهها من طيور الماء . (٩) تزجى : تسوق . (١٠) الأغن من الظباء : ما فى صوته غُنّة . (١١) الرَّوق : القرن .

(١٢) كذا فى الأصل والشعر والشعراء . وفى التلخيص للقزوينى «فوق رءوسنا» وهى الرواية المشهورة .

ومن ذلك قولُه :

جَفَتْ عيني عن التَّغْميض حتّى * كأنّ جُفونَها عنها قِصارُ

ومن ذلك قولُ الآخر :

ومولًى كأنّ الشمسَ بيني وبينه * إذا ما التقينا ليس ممن أُعاتِبُهْ

يقول : لا أَقدِرُ على النظر اليه من بُغْضه، فكأنّ الشمس بيني وبينه .

ومن ذلك قولُ الآخر :

كأن نيرانَهم فى كلّ مَنْزِلةٍ * مُصَبَّغاتٌ[1] على أَرسانِ[2] قَصّارِ[3]

الناس يَستحسنون هذا، وأنا أرَى أن أقول : الأَولى أن يُشَبَّه المُصبَّغات بالنيران، لا النيران بالمصبَّغات .

الأبيات التى لا مِثْلَ لها

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا مُعْتَمِر عن لَيْث عن طاوس عن ابن عبّاس قال : إنّها كلمة نَبِىّ :

سَتُبْدِى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلًا * ويأتيكَ بالأخبار من لم تُزَوِّدِ

حدّثنى الرياشىّ عن الأصمعىّ قال : أَبرعُ بيت قالته العرب قولُ أبى ذُؤَيب :

والنفسُ راغبةٌ إذا رغّبتَها * وإذا تُرَدُّ إلى قليل تَقْنَعُ

وأحسن ما قيل فى الكِبَر قولُ حُمَيْد بن ثَوْر الهلالىّ :

أرَى بَصرى قد رابَنى بعد صِحّةٍ * وحسبُك داءً أن تَصِحّ وتَسْلَما

---

(١) المصبَّغات : الثياب التى صُبِغت ولُوّنت بالصِّبغ .

(٢) الأرسان جمع رَسَن بالتحريك وهو الحبل .

(٣) القصّار : الذى يُحَوِّر الثياب ويدُقّها بالقَصَرة، وهى قطعة من الخشب .

وأحسن مَن آبتدأ مرثية أوس بن حَجَر في قوله[1] :

أيَّتُهـا النفسُ أجْمِلِي جزَعًا * إن الذي تَكْرَهِين[2] قد وَقَعا

وأغرب مَن آبتدأ قصيدة النابغةُ في قوله :

كِلِينِي لِهَمٍّ يا أُمَيمــةَ ناصِبِ * وليلٍ أُقاسيهِ بَطِيءِ الكواكبِ

حدّثني الخَثْعَميّ الشــاعر قال : أحسنُ بيتٍ قيل في الجُبْنِ قولُ نَهْشَــل ابن حَرِّيّ[3] :

فلو كان لي نفسان كنتُ مُقاتلًا * بإحداهما حتى تموتَ وأَســلما

قال : وبيت المُخَبَّل في قَساوة القلب :

يُبْكَى علينا ولا نَبْكِي على أحدٍ * لنحنُ أغلظُ أكبادًا من الإبلِ

قال : وبيت عَبِيد في الآستعفاف :

مَنْ يسالِ الناسَ يحْرِمُوه : وسَــائِلُ اللهِ لا يَخِيبُ

قال : وبيت مَنْجوف بن مُرّة السلمي في الآحتفاظ بالمــال :

وأَدفعُ عن مالي الحقوقَ وإنّهُ * لجمٌّ فإنّ الدهرَ جَمٌّ مصائبُهْ

قال : وبيت الحُطَيئة في إكرام النفس :

وأُكرِمُ نفسي اليومَ عن سُوءِ طِعْمَةٍ * ويَقْنَى الحياءَ المرءُ والرمحُ شاجِرُهْ[4]

---

(١) في الأصل : «وأحسن من ابتدا مرثيــة قول أوس بن حجر» . (٢) في الشعر والشعراء (ص ٧) «تحذرين» . (٣) في الأصل : جرى بالجيم . وما أثبتناه عن الأغاني (ج ٨ ص ١٥٩) وطبقات الشعراء للجمحيّ ص ١٣٠ طبعة ليدن سنة ١٩١٣ م . (٤) في الأصل : «شاجر» وما أثبتناه عن ديوان الحطيئة (طبع ليبسج سنة ١٨٩٣ ص ٦٤) ورواية الديوان : وأ كرمت نفسي ... ... الخ . قنى الحياء (وزان فرح) : لزمه . والبيت من قصيدة يذكر فيها الزبرقان ويمدح آل شماس مطلعها :

عفا مسحلان من سليمى فحامره * تمشّى به ظلمانه وجــآذره

قال : وقول كعب (١) فى الإقدام :

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بخَطْوِنَا * قُدُمًا ونُلْحِـقُها إذا لم تَلْحَـقِ

قال : وبيت عمرو بن الإطنابة فى الصبر :

وقَوْلِى كُلّما جَشَأَتْ وجاشت * مكانَكِ تُحْمَدِى أو تَسْـتَرِيحِى

وأحسن من هذا عندى قول قَطَرِىّ :

وقَوْلى كلمـا جَشَأَتْ لنفسى (٢) * من الأبطال وَيْحَكِ لا تُرَاعِى

فإنكِ لو سألتِ بقـاء يومٍ * على الأَجَلِ (٣) الذى لكِ لم تُطَاعِى

قال : وبيت مِسكين الدارمىّ (٤) فى الجُود :

طَعَامى طَعَامُ الضَّيفِ والرَّحْلُ رَحْلُهُ * ولم يُلْهِنِى عنـه الغـزالُ المُقَـنَّعُ

قال : وفى حسن الجِوَار قوله :

نارى ونارُ الجارِ واحدةٌ * وإليه قبلى تُنْزَلُ القِـدْرُ

ما ضرَّ جارا لى أُجاوِرُه * ألّا يكونَ لبابه سِـتْرُ

قال : وممن رضى بالقليل جَمِيلٌ، قال :

أُقلِّب طَرْفِى فى السماء لعـلَّهُ * يُوافِقُ طَرْفِى طرفَها حين تَنْظُرُ

---

(١) هو كعب بن مالك ، كما فى الكامل للمبرد طبع أوربا (ص ٦٦) والأغانى (ج ١٥ ص ٣٠) وورد فيه «يوما» بدل «قدما» . (٢) روى هذا المصراع فى حماسة أبى تمام هكذا :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ... الخ

(٣) كذا فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٢٧) وحماسة أبى تمام . وفى الأصل : « ...حياة ... من الأجل ... الخ » وفى العقد الفريد : « ... حياة ... سوى الأجل ... » (٤) فى شرح حماسة أبى تمام للتبريزى : « قال عتبة بن بجير ، وقيل إنه لمسكين الدارمى » . وروى البيت فيه هكذا :

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهنى عنه غزال مقنع .

وقول الآخر[1] :

أليس الليلُ يُلْبِسُ أمَّ عَمْرو * وإيّانا فــذاك بنـا تَدَانِى

تَرَى وَضَحَ النهــار كما أراهُ * ويعــلوها النهــارُ كما علانى

قال : و بيت عمرو بن كُلْثُوم فى الجهل :

أَلَا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينــا * فنَجْهَلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

قال : و بيت النابغة فى ترك الإلحاح :

فَٱستبْقِ وُدَّكَ للصديق ولا تكن * قَتَبًا[2] يَعَضُّ بغَــارِبٍ مِلْحَاحا

قال : وفى إدراك الثأر قول مُهَلْهِل :

لقــد قتلتُ[3] بنى بَكْرٍ بربِّهِــمُ * حتى بكيتُ وما يَبْكِى لهم أحدُ

قال : و بيت عُرْوة بن الوَرْد فى تبليغ العذر فى الطلب :

لِتُبْلِــغَ عُذْرًا أو تُفيــدَ غنيمةً[4] * ومُبلِــغُ نفسٍ عُذْرَها مثلُ مُنْجِحِ

قال : و بيت جميل فى إنفاق المـال والتوكل على الله تعالى :

كُلُوا اليومَ من رزق الإله وأَبْشِرُوا * فإنّ على الرحمــن رِزْقَكُمُ غدا

قال : وفى الشجاعة قول العباس بن مِرْدَاس :

أَشُدُّ على الكَتِيبة لا أُبالِى * أَحَتْفِى كان فيها أم سِــواها

---

(١) هو الملطوط كما فى كتاب الشعر والشعراء للؤلف (ص ٢٦٧) و يروى فيه صدر البيت الثانى هكذا :
* بلى وترى السماء كما أراها *

(٢) القَتَب : رحل صغير على قدر السنام . وفى أساس البلاغة : «ومن المجاز رِلهم للّحّ : هو قتب يَعضّ بالغارب ، وقتب مِلْحاح» ثم ساق بيت النابغة مستشهدا به على ذلك . (٣) فى خزانة الأدب للبغدادى (ج ١ ص ٢٠٣) : «أكثرت قتل ... الخ » . (٤) رواية ديوان عروة بن الورد طبع المطبعة الأهلية ببيروت (ص ٨) : «...أو تصيب رغيبة ... الخ » .

قال : وبيت المتلمّس[1] فى المال وتثميره :

قليلُ المالِ تُصلحه فيَبْقَى * ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ

وأخبرنا دِعْبِل بن علىّ الشاعر قال : أهجى بيتٍ قيل قولُ الطِّرِمّاح فى تميم :

تميمٌ بطُرْقِ اللُّؤْمِ أهدَى من القَطَا * ولو سَلَكتْ طُرْقَ المكارمِ ضَلَّتِ

قال : وكذلك قولُ الأخْطَل :

قومٌ إذا آستنْبَحَ الأضيافُ كَلْبَهُمُ * قالوا لأُمِّهِـمُ بُولِى على النـارِ

قال : وكذلك قولُ الحُطَيْئة للزِّبْرِقَان فى قِصَر الهِمّة :

دَعِ المكارِمَ لا تَرْحَـلْ لِبُغْيَتِها * وآقعُدْ فإنّك أنت الطاعِمُ الكاسِى

قال غيره : وقولُ الطِّرِمّاح فى القِلّة والخُمول :

لو كان يَخْفَى على الرَّحْمٰن خافيةٌ * من خَلْقِه خَفِيَتْ عنهُ بَنُو أَسَدِ

ونحوه قولُ الآخر :

وأنت مَلِيخٌ[2] كلحمِ الحُـوَا * رِ لا أنت حُلْوٌ ولا أنت مُرٌّ

وكذلك قولُ جَرِيرٍ[3] فى التَّيْم :

(١) كذا فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٠٩ طبعة ليدن سنة ١٣٠٥ ﻫ) والشعر والشعراء للؤلف (ص ٨٨) ، ونهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ٦٤) . ويروى صدر البيت فى الأغانى والشعر والشعراء : «وإصلاح القليل يزيد فيه ... الخ» . ويروى فى نهاية الأرب : «... مع الفساد» . وفى الأصل نسب البيت «لعبيد» .
(٢) مليخ : لا طعم له ، وخصه بعضهم بلحم الحوار الذى يجر حين يقع من بطن أمه فلا يوجد له طعم .
(٣) وقد ورد البيتان فى ديوان جرير المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ ش أدب ، ضمن قصيدة طويلة مطلعها :

ألا زارتْ وأهلُ مِنًى هجودُ * وليت خيالَها بِمِنًى يعود

ويروى فى الديوان : «... او لقيت... أيهم ... الخ» ويروى : «... ...ولا يستأمرون... الخ» . وقد عزا صاحب الأمالى «ج ٧ ص ١٧٧ طبعة بولاق» البيت الأول مع بيت آخر من القصيدة إلى الأخطل .

وإنّك لو رأيتَ عبيــد تَيْم * وتَيْمًا قلتَ أيُّهما العبيــدُ
ويُقْضَى الأمرُ حين تَغيبُ تيمٌ . ولا يُسْــتَأْذَنُون وهم شُهُودُ

وأحسن ما قيل فى الهيبة :

يُغْضِى حَيَاءً ويُغْضَى من مَهَابته * فما يُكَلَّمُ إلّا حين يبتسِمُ

وأغرب ما قيل فى مصلوبٍ قولُ محمد بن أبى حَمْزة مَوْلَى الأنصار :

لَعَمْرِى لئن أصبحتَ فوقَ مُشَذَّبٍ (١) * طَوِيلٍ تُعَفِّيكَ الرياحُ مع القَطْرِ
لقد عِشْتَ مبسوطَ اليدين مُرَزَّأً (٢) * وعُوفِيتَ عند الموت من ضَغْطة القبر
وأُفْلِتَّ من ضِيق التُّراب وغَمّه * ولم تَفْقِدِ الدنيا فهل لك من شكر

وأغرب ما قيل فى مجوسىٍّ قول أعرابىّ :

شَهِدْتُ عليك بطِيبِ المُشَاش (٣) * وأنّك بحرٌ جَــوادٌ خِضَمّْ
وأنّك ســيّدُ أهلِ الجحيم * اذا ما تَرَدَّيْتَ فيمن ظَلَمْ

ومن أغرب ما قيل فى دَعِىٍّ قولُ إبراهيم بن إسماعيل البنوى (٤) :

لو أنّ مَوْتَى تميم كلّهــا نُشِرُوا * وأثبتوك لقيل الأمرُ مصنوعُ
مثل الحديد اذا مازِيدَ فى خَلَقٍ (٥) * تَبَيَّن الناسُ أن الثوبَ مرقوعُ

ونحوه قولُ الآخر :

أجارتَنا بَانَ الخَلِيطُ (٦) فأبْشِرِى * فما العَيْشُ إلا أن يَبِين خليطُ
أُعاتبُــه فى عِرْضِــه ليصونَه * ولا عِلْمَ لى أنّ الأمــيرَ لَقِيطُ

(١) جذع مشذب : مقشر مما عليه من الشوك . (٢) مرزأ : كريم يصيب الناس خيره .

(٣) فى أساس البلاغة للزمخشرى : «ومن المجاز : فلان طيب المشاش ، وإنه لكريم المشاش إذا كان بريا» . (٤) كذا بالأصل ، وفى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرىّ المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب : «النبوىّ» بتقديم النون على الباء ولم نوفق فى المظانّ التى بين أيدينا الى استثباته . (٥) فى ديوان المعانى : «إنّ الجــديد ... الخ» . (٦) الخليط : القوم الذين أمرهم واحد .

ونحوه قولُ دِعْبِل فى مالك بن طَوْق :

النــاسُ كلُّهُمُ يسعَى لِحَاجتــه * ما بين ذِى فَرَجٍ منهم ومَهْمومِ
ومالكٌ ظَــلّ مشغولًا بِنِسْبته * يَرُمّ(١) منها خَرَابًا غــيرَ مَرْمومِ
يبنى بيــوتًا خرابًا لا أنيسَ بها * ما بين طَوْقٍ الى عَمْرو بن كُلْثومِ

التلطُّف فى الكلام والجواب وحسن التعريض

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : ترك عَقِيلٌ عليًا وذهب الى مُعاوية ؛ فقال معاوية : يا أهل الشأم ، ماظنُّكم برجلٍ لم يصلُحْ لأخيه؟ فقال عَقِيل : يا أهل الشأم ، إن أخى خيرٌ لنفسه وشرٌّ لى ، وإن مُعاوية شرٌّ لنفسه وخيرٌ لى . قال : وقال مُعاوية يوما : يا أهل الشأم ، إن عمّ هذا أبو لَهَب ؛ فقال عَقيل : يا أهل الشأم ، إن عمة هذا حَمَّالة الحَطَب ؛ وكانت أمّ جميل آمرأة أبى لهب وهى بنت حَرْب .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا أبو هِلَال عن قَتَادة قال قال عُبَيد الله آبن زِيَاد لقَيْس بن عَبّاد : ما تقول فىّ وفى الحســين؟ فقال : أَعْفِنى أعفاك الله ! فقال : لَتقُولَن ؛ قال : يجىء أبوه يوم القيامة فيشفَعُ له ، ويجىء أبوك فيشفَع لك ؛ قال : قد علمتُ غِشّك وخُبْثك ، لئن فارقتنى يوما لأضَعَنّ بالأرض أكثرك شَعْرا .

قيل لمَيْمُون بن مِهْرَان : كيف رِضَاك عن عبد الأعلى(٢)؟ قال : نِعْمَ المرءُ عمرُو آبن ميمون .

مرّ عمر بن الخطّاب بالصبيان وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففرّوا ووقف ؛ فقال له عمر : ما لك لم تفرّ مع أصحابك ؟ فقال : ياأمير المؤمنــين ، لم أُجْرِم فأخافَك ، ولم يكن بالطريق ضِيقٌ فأُوسعَ لك .

---

(١) رمّ الحائط وغيره : أصلحه . (٢) عبد الأعلى هذا هو ابن ميمون أخو عمرو .

حدّثني الفضلُ بن محمد بن منصور بن زِياد كاتب البرامكة قال : قال عبد الله ابن طاهر ذاتَ يوم لرجل أمره بعمل : اِحذر أن تُخطئ فأُعاقبَـك بكذا (لأمر عظيم) قلت له : أيها الأمير، من كانت هذه عقوبتَه على الخطأ فما ثوابهُ على الإصابة ! .

رأى رجل من قريش رجلًا له هيئةٌ رَثّة، فسأل عنه، فقالوا : مِنْ تَغْلِب، فوقف له وهو يطوف بالبيت، فقــال له : أرى رِجْلين قلّما وطئتا البطحاء ؛ فقال له : البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة[1]، وهي لى دونك؛ وبطحاء ذى قار[2]، وأنا أحقّ بها منك؛ وهذه البطحاء[3] وسواءٌ العاكفُ فيه والبادِى .

حدّثني سَهْل عن الأصمعىّ عن أبى عَمْرو بن العلاء أو غيره : أنّ مُعاوية عَرَض فرسًا على عبد الرحمن بن حَسّان فقال : كيف تراه ؟ قال : أراه أجَشّ هَزِيمًا[4] . يريد قول النجاشىّ[5] :

وَنَجّى ٱبْنَ حَرْبٍ[6] سابحٌ ذُو عُلالةٍ[7] ... أجشُّ هَزيمٌ والرماحُ دَوَانِى

حدّثني محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا أبو سَلَمة عن حَمّاد بن سلمة قال أخبرنا داود بن أبى هنــد عن محمد بن عَبّاد المخزومىّ أن قريشًا قالت : قَيِّضُوا[8] لأبى بكر

---

(١) الجزيرة هى التى بين دجلة والفرات . (٢) بطحاء ذى قار : موضع قريب من ذى قار الذى كانت فيه الوقعة المشهورة بين العجم والعرب وانتصرت فيه العرب (راجع ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه) . (٣) يريد بطحاء مكة . (٤) يقال : فرس أجش إذا كان غليظ الصهيل ، وهو مما يحمد فى الخيــل . والهزيم من الخيل : الشــديد الصوت . (٥) هو قيس ابن عمرو بن مالك من بنى الحارث بن كعب . (٦) لمـا بلغ معاوية أن النجاشىّ قال فيه هذا البيت رفع ثندوتيه (تثنية ثندوة وهى للرجل بمنزلة الثدى للمرأة) وقال : لقد علم الناس أن الخيــل لا تجرى بمثلى فكيف قال هــذا ! راجع الشعر والشعراء للمؤلف (ص ١٨٩) . (٧) العلالة بضم العين : بقية جرى الفرس . (٨) قيضوا : هيئوا وأتيحوا له .

رجلا يأخذه، فقيّضوا له طَلْحَة بن عُبيد الله ؛ فأتاه وهو فى القوم فقال : يا أبا بكر قم إلىّ ؛ قال : إلاَمَ تدعونى؟ قال : أدعوك إلى عبادة اللّات والعُزّى ؛ قال أبو بكر: من اللّات؟ قال بناتُ الله ، قال : فمن أمّهم؟ فسكت طلحة وقال لأصحابه : أجيبوا صاحبَكم ، فسكتوا ؛ فقال طلحة : قم يا أبا بكر، فإنى أشْهد أن لا إلهَ إلا الله وأشهد أنّ محمّدا رسولُ الله ؛ فأخذ أبو بكر بيده فأتى به النبىَّ صلى الله عليه وسلم فأسلم .

حدّثنى محمد بن عُبَيد عن مُعاوية عن أبى إسحاق عن عُبيد الله بن عمر أنّ عمر قال: من يُخبرنا عن قَنْدَابِيل؟ (١) فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، ماؤها وَشَل (٢) ، وتمرُها دَقَل (٣) ، ولِصّها بَطَل ؛ إن كان بها الكثيرُ جاعوا ، وإن كان بها القليلُ ضاعوا ؛ قال عمر : لا يسألنى الله عن أحدٍ بعثتُه إليها أبدا .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ قال : مَرِض زيادٌ فدخل عليه شُرَيْح ، فلما خرج بعث إليه مسروقُ [بن الأجدع يسأله] (٤) كيف تركتَ الأمير؟ قال : تركته يأمر وينْهى ، فقال [مسروق] (٤) : إن شُرَيحًا صاحبُ تعريض (٥) فسَلُوه [فسألوه] (٤) ؛ قال: تركته يأمر بالوصيّة وينهى عن البكاء . ومات ٱبنٌ لشُرَيح ولم يشعرْ به أحدٌ ، فغدا عليه قوم يسألون به ، وقالوا : كيف أصبح مَن تَعِل يا أبا أميّة؟ فقال : الآن سكن عَلَزُه (٦) ورجاه أهلُه .

(١) كذا فى معجم ياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى ؛ هى مدينة بالسند . وفى الأصل : «فندابيل» بالفاء .

(٢) الوشل بالتحريك : الماء القليل والكثير ضدّ . والمراد هنا الماء القليل .

(٣) الدقل بالتحريك : أردأ التمر .

(٤) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) .

(٥) كذا فى العقد الفريد وفى الأصل : « ... صاحب عويص الخ» .

(٦) العلز بالتحريك : القلق والكرب عند الموت .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنى بعض الأعراب قال : هَوِىَ رجلٌ امرأةً ثم تزوّجها، فأهدَى إليها ثلاثين شاةً وزِقًّا من خَمْر، فشرِب الرسولُ فى الطريق بعضَ الخمر وذبح شاةً، فقالت للرسول لمّا أراد الآنصراف : إقرأ على مولاك السلام، وقل له إنّ شهرنا نَقَص يوماً ، وإن سُحَيْماً راعِى شائنا أتانا مرثوما(١) . فلما أتى مولاه فأخبره ضربه حتى أقرّ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال : خَطَب أعرابى إلى قوم، فقالوا : ما تبذل من الصَّدَاق؟ وآرتفع السُّجْف(٢) فرأى شيئاً كَرِهَه، فقال والله ما عندى نَقْد ، وإنى لأكره أن يكون علىّ دَيْن .

حدّثنى عبد الرحمن عن الأصمعى قال: قال سَلْم بن قُتَيبة للشَّعْبىّ : ما تشتهى ؟ قال : أعزّ مفقود ، وأهون موجود ؛ قال : يا غلام آسقه ماء .

المـدائنى قال : كان لآبن عَوْن آبنُ عمٍّ يُؤذيه، ولَاحَاه(٣) يومًا فقال له آبن عون، لمّا بلغ منه : لتسكتُنّ أولأشتِمنّ مُسَيلِمَة . فشهد بعد ذلك عند عُبيد الله بن الحسن، فردّ شهادتَه .

المدائنى قال : قال المغيرة بن شُعْبة : ما خَدَعنى أحدٌ قطُّ غير غلام من بلحارث بن كعب، فإنى ذكرت آمرأة منهم ، فقال : أيها الأمير ! لا خير لك فيها، إنى رأيت رجلا قد خلا بها يقبّلها، ثم بلغنى بعدُ أنه تزوّجها، فأرسلت إليه فقلت : ألم تعلمنى أنك رأيت رجلا يقبلها؟ فقال : بلى ! رأيت أباها يقبّلها .

---

(١) مرثوم : مكسور، يقال : رُثِم أنف فلان أو فوه إذا كسر حتى تقطر بالدم .

(٢) السجف بفتح السين وكسرها : الستر .

(٣) لاحاه : نازعه .

قال المدائني : أتى شُريحا القاضيَ قومٌ برجل، فقالوا : إن هذا خَطَب إلينا : فسألناه عن حرفته فقال : أبيع الدوابّ، فلما زوّجناه، فإذا هو يبيع السنانير؛ قال : أفلا قلتم أيّ الدوابّ تبيع ! وأجاز ذلك .

المدائني قال : دخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابن شُبْرُمَة، فقال له : أتعرفه؟ [وكان رُمِي عنده بريبة](١) قال : نعم، إنّ له بيتاً وشَرَفاً وقَدَماً ، [فخلّى سبيله](١) فلما خرج قال له أصحابه : أعَرَفته ؟ قال : لا، ولكني أعلم أن له بيتا يأوى إليه، وشرفه أذناه ومَنْكِباه، وقَدمه هي قدمه التي يمشي عليها .

المدائني قال: سُئل الشعبيّ عن رجل، فقال : إنه لنافذ الطَّعْنة، رَكين القعْدة(٢)، يعنى أنه خَيّاط [فأتوه فقالوا : غَرَرتنا ؛ فقال : ما فعلت! وإنه لَكَما وصفت](٣) .

المدائني قال: أُتِيَ العُرْيانُ بن الهيثم بشابٍّ سكران، فقال له : من أنت؟ فقال :

أنا ابنُ الذى لا ينزلُ الدهرَ قِدْرُهُ(٤) * وإن نزلتْ يوماً فسوف تعودُ
ترى النّاسَ أفواجًا إلى ضَوْء ناره * فمنهم قِيامٌ حولَها وقُعودُ

فظنّ أنه من بعض أشراف الكوفة فخلّاه ، ثم ندم على ألّا يكون سأله مَنْ هو ، فقال لبعض الشُّرَط : سَلْ عن هذا، فسأل، فقالوا : هو ابن بَيّاع الباقِلّى .

دخل حارثةُ بن بدر الغُدَانيّ على زياد، وكان حارثة صاحب شراب وبوجهه أثر؛ فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك؟ فقال حارثة(٥) : أصلح الله الأمير، ركبت فرسا

---

(١) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) . (٢) فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ١٥٨) : « ركين الجلسة » . وفى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٨٣) : « رزين المجلس » .
(٣) الزيادة عن نهاية الأرب . (٤) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠) : «الأرض» .
(٥) فى الأصل : «فقال زياد» وهو سهو من الناسخ .

لى أشقر فحملنى حتى صدم بى الحائط؛ فقـال زياد : أمّا إنك لو ركبت الأشهب لم يُصبك مكروه . عَنَى زيادٌ اللبنَ، وعنى حارثةُ النبيذَ .

قعد قوم على نبيذ فسَقَط ذُباب فى قَدَح أحدهم(١)، فقال رجل منهم: غُطَّ التميمىّ، فقال آخر : غُطَّه فإن كان تميميًّا رَسَبَ، وإن كان أزديًّا طَفَا ؛ قال ربّ المـنزل : ما يسرّنى أنه كان[قال](٢) بعضكم(٣) حرفا . وإنما عنى أن أَزْدَ عُمَان مَلّاحون .

المدائنى قال : رأى رجل فى يد آمرأة كانت تأتيه خاتمَ ذهبٍ، فقال لهـا : ادفعى إلىّ خاتمك أذكرك به ؛ فقالت : إنه ذَهَب، وأخاف أن تذهب ، ولكن خذ هذا العود لعلك تعود .

حدّثنى الزيادىّ قال حدّثنا عبـد الوارث بن سعيد عن عبد العزيز بن صُهَيْب عن أَنَس قال : أقبل النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة مُردِفًا أبا بكر شيخًا يُعْرَف، ورسـول الله شابٌّ لا يُعرف، فيَلْقَى الرجلُ أبا بكر فيقول : يا أبا بكر، مَن هذا [الرجل الذى](٤) بين يديك ؟ فيقـول : [هـذا الرجل](٤) يهدينى السبيل ؛ فيحسب السامع أنه يهديه الطريق، وإنمـا يعنى سبيلَ الخير .

كان سِنَان بن مُكَمِّل النميرىّ(٥) يُساير آبنَ هُبَيْرَةَ يوما وهو على بغلة، فقال له عمر بن هبيرة : غُضَّ(٦) من بغلتك؛ قال : كلا ! إنها مكتوبة . أراد آبن هبيرة قول الشاعر:

(١) ورد هـذا الخبر فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ٩٧ طبع الساسى) بتفصيل عما هنا . وملخصه أن القوم كانوا من الأزد ومعهم رجل عَدَوِلىّ يتعصب لأصحابه من تميم . فلمـا رأى القوم يهينون تميما عرّض بأنهـم ملّاحون تعييرا لهم . (٢) زيادة من كتاب الحيوان للجاحظ . (٣) فى الأصل : «نقصكم» وهو تحريف . وفى كتاب الحيوان : «ببعضهم» . (٤) الزيادة من صحيح البخارى فى باب الهجرة . (٥) كذا فى الأصل والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) . وفى نهـاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ١٦١) : «قال عمر بن هبيرة الفزارىّ لأيوب بن ظبيان النميرىّ ... الخ» . وفى كتاب الكنايات للثعالبى (ص ٢٠٧) المطبوع بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ هـ : «ساير شريك بن محمد النميرىّ عمر بن هبيرة الفزارى على بغلة فجازت البغلةُ عمر فقال له : أغضض بغلتك ؛ فقال شريك : إنها مكتوبة ... الخ» . (٦) هو جرير .

فغُضَّ الطَّرفَ إنّك من نُمَـيْرٍ * فلا كَعْبًا بلغتَ ولا كِلَابَا

وأراد سنان قولَ الآخَر (١) :

لا تأمَنَنّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ به * على قَلُوصك وٱكْتُبْهَا بأَسْـيارِ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: قال معاوية للأحنف: يا أحنف، ما الشىء الملفّف فى البِجَاد؟ فقال: هو السَّخِينة (٢) يا أمير المؤمنين. أراد معاوية قول الشاعر:

إذا ما مات مَيْتٌ من تميم * فسَرَّكَ أن يعيش فجئْ بزادِ

بخُبْزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ * أو الشىء الملفَّفِ فى البِجَادِ (٣)

وأراد الأحنف أن قريشا تُعَيَّر بأكل السخينة.

المدائنى قال: سأل الحَرَسِىّ أبا يوسف القاضى عن السواد؛ فقال: النور فى السواد. يعنى نور العينين فى سواد الناظر.

المدائنى قال: لقى شيطانَ الطَّاق (٤) خارجىٌّ فقال: ما أُفارقك أو تبرأ من علىّ، فقال: أنا من علىّ ومن عثمان برىء. يريد أنه من علىّ، وبرىء من عثمان.

سمع عمر بن الخطّاب امرأةً فى الطَّوَاف تقول:

فمنهنّ من تُسْقَى بعَـذْبٍ مُبَرَّدٍ * نُقَاخٍ (٥) فتلكم عنـد ذلك قَرَّتِ

ومنهن من تُسْقَى بأخضَرَ آجنٍ (٦) * أُجَاجٍ (٧) ولولا خَشْيَةُ الله فَرَّتِ

(١) هو سالم بن دارة كما فى الشعر والشعراء للمؤلف (ص ٢٣٧ والكامل للمبرد ص ٤٨١) وخزانة الأدب للبغدادى (ج ١ ص ٥٥٨ ونهاية الأرب (ج ٣ ص ١٦٢). (٢) السخينة: طعام يتخذ من دقيق وسمن وكانت قريش تكثر من أكلها فعيّرت بها حتى سُمّوا سخينة. (٣) البجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب. (٤) الطاق: حصن بطبرستان سكن به محمد بن النعمان أبو جعفر الأحول الملقب بشيطان الطاق؛ وإليه تنسب الطائفة النعمانية من غلاة الشيعة. (٥) النقاخ: الماء البارد العذب الصافى. (٦) الآجن: الماء المتغير الطعم واللون. (٧) ماء أجاج: شديد الملوحة والمرارة.

فعلم ما تشكو، فبعث الى زوجها فوجده متغيِّر الفم، فخيَّره بين خمسمائة درهم أو جاريةٍ من الفَىْء على أن يطلِّقها، فاختار خمسمائة، فأعطاه وطلَّقها.

حدّثنى أحمد بن محمد أبو نصر الكاتب قال: كنت واقفا بهذا المكان، وأقبلت آمرأة من هذه الناحية، وغلامٌ من الناحية الأخرى أبيضُ الوجه رائعه، ونظرت إليه المرأة، فلما ٱلتقيا قالت له: ما ٱسمك يافتى؟ قال: محمد، قالت: ابن من؟ قال: ٱبن زانة، وتبسّم عن ثغر أفلج (١) مختلف قبيح، فقالت: واحَرَبَاهُ على ما قال! فقلت لها: قد وقعتُ لك عليها، قالت: من أين؟ قلت: من كنية أبى الخير النصرانىّ كاتب سعيد الحاجب. أراد أن الياء إذا نُقلت عن أبى الخير الى زانة، صار هذا أبا الخر، وصار هذا ٱبن زانية.

مر ٱبن أبى عَلْقَمة بمجلس بنى ناجية (٢) فكبَا حمارُه لوجهه فضحكوا، فقال: ما يضحككم! إنه رَأى وجوه قُرَيش فسَجَد.

قال عمرو بن بحر (٣) قال أبو الهذيل لمحمد بن الجَهْم وأنا عنده: ياأبا جعفر، إنى رجلٌ مُنخرِق الكفّ لا أُلِيق (٤) درهما، ويدى هذه صَنَاعٌ فى الكَسْب ولكنها فى الإنفاق خَرْقاء، كم من مائة ألف درهم قسَمتها على الإخوان فى مجلس وأبو عثمان يعلم ذلك! أسألك بالله ياأبا عثمان، هل تعلم ذلك؟ قال: يا أبا الهذيل ما أشك فيما تقول، قال: فلم يرضَ أن حَضَرتُ حتى ٱستشهدنى، ولم يرض إذ ٱستشهدنى حتى ٱستحلفنى.

---

(١) أفلج: متباعد ما بين الأسنان.

(٢) ناجية: قبيلة، وهم بنو ناجية بن سامة بن لؤىّ بن غالب بن فهر بن مالك. (ياقوت).

(٣) هو الجاحظ وقد ورد هذا الخبر فى كتابه «البخلاء» (ص ١٤٨ طبع مدينة «ليدن» سنة ١٩٠٠ م).

(٤) يقال: فلان ما يليق درهما: أى ما يمسك.

قال المدائنيّ : بعث يزيد بن قَيْس الأرحَبيّ ـ وكان واليا لعليّ ـ إلى الحسن والحسين رضى الله عنهم بهدايا بعـد ٱنصرافه من الولاية وتَرَكَ ٱبن الحَنَفيّة ، فضرب عليّ ـ عليه السلام ـ على جنب ٱبن الحنفيّة وقال :

وما شَرُّ الثَّـلاثةِ أمَّ عمرٍو ٭ بصاحِبِكِ الّذى لا تَصْبَحينا (١)

فرجع يزيد إلى منزله وبعث إلى ابن الحنفيّة بهديّة سنية .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال حدّثنى موسى بن محمد قاضى المدينة ، قال : مرّ رجل بأعرابى يوقد فى أصل مِيل ، فقال : كم على الميل؟ فقال : لستُ أقرأ ، ولكنّ كتابه فيه ؛ قال : وما كتابه؟ قال : مِحجَنٌ (٢) وحَلْقَة سِمْط وثلاثة أَطْباء وحَلْقَة مُذَنَّبة (يعنى صورة خمسة) .

قال أبو اليقظان (٣) : إن عمرو بن مالك بن ضُبَيْعة هو الذى قيل فيه :

لذى الحِلْم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصا ٭ وما عُلِّمَ الإنسانُ إلّا لِيَعْلَما

وذلك أن سعد بن مالك كان عند بعض الملوك (٤) ، فأراد الملك أن يبعث رائدًا يرتاد له منزلًا ينزله ، فبعث بعمرو فأبطأ عليه ، فآلى الملك لئن جاء ذامًّا أو حامدًا ليقتلنّه ؛ فلما جاء عمرو وسَعْدٌ عنده ، قال سعد للملك : أتأذَنُ لى فأكلّمه؟ قال : إذًا أقطع لسانك ؛ قال : فأشير إليه ؛ قال : إذًا أقطع يدك ؛ قال : فأُومئ إليه ؛ قال : أقطع حِنْوَ (٥) عينك ؛ قال : فأقرَعُ له العصا ؛ قال : اقرَعْ . فأخذ العصا فضرب بها

---

(١) كذا فى معلقة عمرو بن كلثوم ؛ وفى الأصل « لا تصحبينا » ومعنى لا تصبحينا : لا تسقيه الصبوح .   (٢) يريد بالمحجن : رأس الخاء ؛ وبحلقة سمط : الميم ؛ وبثلاثة أطباء : السين ؛ وبحلقة مذنبة : الهاء . والأطباء جمع طبي بكسر الطاء وتضم : حلمات الضرع التى فيها اللبن من ذوات الحافر والسباع .   (٣) ورد هذا الخبر فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٠٤ – ٢٠٧) مع اختلاف فى الألفاظ .   (٤) هو النعمان الأكبر كما فى الأغانى .   (٥) حنو العين : حجاجها وهو العظم الذى ينبت عليه الحاجب .

عن يمينه ثم ضرب بهـا عن شماله ثم هزَّها بين يديه، فلَقِنَ[1] عمـرو، فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ! أتيتـك من أرض زائرها واقف، وساكنُها خائف، والشَّبْعَى بهـا نائمة، والمهزولةُ ساهرةٌ جائعة، ولم أرَ خِصْبًا محلا، ولا جدبا مزلا[2] .

لـا حُكِّم أبو موسى وقَدِمَ ليحكم، دَسّ معـاويةُ الى عمرو رجلًا ليعلم علمَه وينظر كيف رأيه؛ فأتاه الرجل فكلَّمه بمـا أمره به؛ فعَضّ عمرو على إبهامـه ولم يُجبـه؛ فنَهَض الرجل فأتى مُعاويةَ فأخبره؛ فقال : قاتله الله! أراد أن يُعلمنى أنى فُرِرْتُ قارحًا[3] .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنى الأصمـعى قال حدّثنـا عيسى بن عمر قال : سأل الحجاج جبر بن حبيب عن رجل، وكره أن يعاقبه إن دلّ عليه، فقال : تركته والله جسدا يُحَرِّك رأسَه يُصَبُّ فى حلقه المـاء، والله لئن حُمِـلَ على سرير ليكوننّ عليـه عورةً؛ قال : فتركه .

حدّثنى القاسم بن الحسن عن خالد بن خِدَاش عن حَمّاد عن مُجالد عن عُمَيْر ابن روذى[4] قال : خَطَبَنا علىٌّ عليه السـلام فقال : لئن لم يدخل الجنـة إلا من قتل عثمان لا أدخلها[5] ولئن لم يدخل النـار إلا من قتـل عثمان لا أدخلها[5]؛ فقيـل له :

(١) لقن كفرح : فهم .
(٢) كذا فى الأصـل . وورد الخبر فى مجمع الأمثال للميدانى (ج ١ ص ٣٢ طبعة بولاق) : « ... فأقبل عمرو حتى قام بين يدى الملك فقال له : أخبرنى، هل حمدت خصبا أو ذممت جدبا؟ فقال عمرو : لم أذمم هزلا، ولم أحمد بقلا؛ الأرض مشكلة، لا خصبها يعرف، ولا جدبها يوصف. رائدها واقف، ومنكرها عارف، وآمنها خائف؛ قال الملك : أولى لك » . وورد هذا الخبر فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٠٥ طبع مدينة ليدن) كما ورد فى مجمع الأمثال وفيه «لم أذمم جدبا» بدل «لم أذمم هزلا» .
(٣) فرّ الدابة فرّا وفرارا : كشف عن أسنانها ليعرف ما سنها . والقارح من ذى الحافر : الذى طلع نابه وهو بمنزلة البازل من الإبل . والمراد هنـا أنه اختبر محنكا .
(٤) كذا فى الأصل . ولم نعثر على هذا الاسم .
(٥) فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٠) : «لا دخلتها أبدا» .

ما صنعتَ! فرّقتَ الناس! فخطبهم فقال: إنكم قد أكثرتم فى قتـل عثمان، ألَا وإن الله قتله وأنا معه؛ قال: فحدّثنا خالد عن حمّاد عن حبيب بن الشّهيد عن محمد بن سيرين قال: كلمةٌ عربيّة لها وجهان. أى وسيقتلنى معه.

سأل زيادٌ رجلا بالبصرة: أين منزلك؟ فقال: وَاسط، قال: مالك[1] من الولد؟ قال: تسعة. فلما قام، قيل لزياد: كَذَبك فى كل ما سألته، ما له إلا ابنٌ واحد، وإن منزله بالبصرة. فلما عاد إليـه، قال: ذكرتَ أن لك تسـعة من الولد، وأن منزلك بواسـط؟ قال: نعم؛ قال: خُبِّرتُ بغير ذلك؛ قال: صَدَقتُ وصَدَقوك، دفنتُ تسعةَ[2] بنين فهم لى، ولى اليوم ابن واحد ولست أدرى أيكون لى أم لا؛ وأما منزلى فالى جانب الجَبّان[3] بين أهل الدنيـا وأهل الآخرة، فأىّ منزلٍ أوسط منـه! قال: صدقت.

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن عيسى بن عمر قال قال المختار لجنده: ياشُرْطة الله، لَيخرُجَنّ الى قريبٍ على الكعبة الحرام دابّةٌ[4] له ستُّ قوائمَ وله رأسٌ بلا عُنُق، ثم آلتفت الى رجل الى جانبـه فقال: أعنى اليَعسوب.

كان إبراهيم اذا لم يُعجبه الرجل قال: ما هو بأعجب الناس الىّ.

بلغنى عن معاوية بن حيّان عن المبارك بن فَضَالة عن عبـد الله بن مسـلم بن يَسَار، قال: كان أبى اذا غَضِب على البهيمة، قال: أكلتِ سمًّا قاضيا.

---

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠): «كم لك من الولد».

(٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠): «... لى تسعة من الولد قدمت منهم ثمانية فهم لى وبقى معى واحد، فلا أدرى ألى يكون أم علىّ».

(٣) الجبان والجبانة بالتشديد: المقبرة.

(٤) تقع الدابة على المذكر والمؤنث؛ فيقال هذا دابة وهذه دابة.

حدّثنى زيد بن أخزم[١] قال حدّثنا أبو قُتَيبة قال حدّثنا أبو المنهال البَكْرَاوىّ[٢] قال: كان الحسن اذا أُخِذَ من لحيته شىء، قال : لا يكن بك السوءُ .

وقيل للحسن : أتى رجلٌ صاحبًا له فى منزله وكان يصلى، فقال : أدخل ؟ فقال فى صلاته : (أُدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ) ؛ فقال : لا بأس .

كان محمد بن علىّ اذا رأى مُبتَلًى أخفى الاستعاذة . وكان لا يسمع من داره ياسائل بورك فيك، ولا يا سائل خذ هـذا ؛ ويقول : سَمُّوهم بالحسن الجميل عباد الله، فتقولون : ياعبد الله بُورِك فيك .

قيـل لعلىّ بن أبى طالب عليه السـلام : كم بين السماء والأرض؟ قال : دعوة[٣] مستجابة . قيل : فكم بين المشرق والمغرب؟ قال : مسيرة يوم (يعنى للشمس) .

كان رَشْمُ[٤] عمر بن مِهْران الذى يرشم به على طعامه : اللهم احفظه ممن يَخْطَفه .

خرج رجل من بنى أَسَد بإبل له يسقيها، ومعه ابنة له جميلة عاقلة ، حتى دفع إلى ماء لبنى فَزَارة، فسألهم أن يأذنوا له فى سقى إبله ؛ فقالوا : على ألا تجأْجِئَ[٥] بها ؛ قال : فإذًا لا تشربُ شُرْبَ خير ؛ قالوا : إن رَضِيتَ وإلا فانْصَرِفْ . فقالت له الجارية : اشْرُطْ لهم ما طلبوا وأنا أكفيك ؛ فأخذ الدلوَ ، وجعلت الجارية ترتجز وتقول :

---

(١) هو بمعجمتين كما فى تهذيب التهذيب ، وفى الأصل «أحزم» بالحاء المهملة وهو تحريف .

(٢) البكراوى بفتح الباء وسكون الكاف بعدها الراء المهملة منسوب الى أبى بكر الثقفى وهو من الصحابة الذين نزلوا البصرة رضى الله عنهم كما فى كتاب الأنساب للسمعانى .

(٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : « مسيرة ساعة لدعوة مستجابة » .

(٤) الرشم : ختم الحنطة بالروشم ، والروشم لوح منقوش تختم به البيادر .

(٥) جأجأ بالإبل : دعاها لورود الماء لتشرب بقوله : جىء جىء .

جاريةٌ شَبَّتْ شبابَ العُسْلُجِ * ذاتُ وِشاحينِ وذاتُ دُملُجِ(١)
وذاتُ ثَغْــرٍ أشنبٍ مُفلَّجِ * وذاتُ خَلْقٍ مُستتِبٍّ مُــدْمَجِ(٢)

فى أبيات كثيرة، فشربت الإبل حتى رَوِيتْ من غير أن جاءَ بها .

وتبايع أعرابيان على أن يشرب أحدهما لبنا حازرا(٣) ولا يتنحنح ، فلمــا شربه [و](٤)تقطّع فى حلقه، قال: كَبْشٌ أملح، فقال صاحبه : فَعلَهَا وربِّ الكعبة ! فقال : مَن فعلها فلا أفلح . وكان ما تبايعا عليه كبشا .

قال الأصمعى : قلت لأعرابى معه شاءٌ : لمن هذه الشاء ؟ فقال: هى لله عندى .

حدّثنى أبو الخطّاب قال حدّثنا أبو داود عن عمارة بن زاذان قال حدّثنا أبو الصهباء قال : قال الحجّاج لسَعِيد بن جُبَيْر : اِخْتَرْ أىَّ قِتْلةٍ شئتَ ؛ فقال له : بل آختر أنت لنفسك، فإن القِصاص أمامك .

وَلِيَ هَرْثَمةُ الحرَسَ مكان جعفر بن يحيى، فقال له جعفر : ما آنتقلت عنى نعمةٌ صارت إليك .

أمر الحجّاجُ آبنَ القِرِّيّة(٥) أن يأتى هنـدَ بنت أسمـاء فيطلقها بكلمتين، ويُمتّعها بعشرة آلاف درهم . فأتاها فقال لها : إن الحجّاج يقول لك : كنتِ فبِنْتِ ، وهذه عشرة آلاف مُتْعةٌ لك ؛ فقالت : قل له : كنّا فمـا حَمِدْنا، وبِنّا فمـا نَدِمْنا؛ وهذه العشرة الآلاف لك ببشارتك إياى بطلاقى .

(١) العسلج : الغصن الناعم . والدملج : ما يشدّ على العضد من الحلى .

(٢) الثغر الأشنب : ما فيه رقة وصفاء . ومستتب : مستقيم . ومدمج : مكتنز غير مسترخ .

(٣) اللبن الحـازر : الحامض .

(٤) زيادة يقتضيها الكلام .

(٥) ورد هذا الخبر فى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ٢٤٠) بتبسط عما هنا .

سئل سُفيان بن عُيَيْنة عن قول طاوُس فى ذَكَاة السمك أو الجراد؟ فقال آبنه عنه : ذَكَاتُه صيدُه .

اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة ؛ فقام رجل من عُذْرَة يقال له يزيد بن المقنّع، وآخترط من سيفه شبرا (١) ؛ ثم قال : أميرُ المؤمنين هذا، وأشار الى مُعاوية ، فإن يَهْلِكْ فهذا ، وأشار الى يزيد، فمن أبى فهذا، وأشار الى سيفه . فقال معاوية : أنت سيِّد الخطباء .

قال رجل من أهل الحجاز لآبن شُبْرُمَة : مِنْ عندنا خَرَجَ العلمُ؛ قال آبن شبرمة : ثم لم يَعُدْ إليكم .

قال المدائنىّ قال معاويةُ لآبن عبّـاس (٢) : أنتم يابنى هاشم تُصابون فى أبصاركم؛ فقال آبن عباس : وأنتم يابنى أمية تصابون فى بصائركم . وقال له معاوية : ما أبينَ الشَّبَق فى رجالكم! فقال : هو فى نسائكم أَبْين .

أبو اليقظان قال : قال آبن ظَبْيان التَّيْمىّ لزُرْعة بن ضَمْرَة : اتمد طلبتــك يوم الأهواز ولو ظَفِرتُ بك لقطعت منك طابَقًا سُخْنا ؛ قال : أفلا أدلُّك على طابق هو أسخن وأحوج إلى القطع ؟ قال : بلى ! قال : بَظْرُ بينَ إسْكَتَىْ أمّك .

أبواليقظان قال : بعث الحجّاج إلى الفُضَيْل بن بَزْوَان العَدْوانى، وكان خيّرا من أهل الكوفة ، فقال : إنى أريد أن أولّيك، قال : أوَ يُعفينى الأمير ؟ فأبى وكتب عهدَه، فأخذه وخرج من عنده فرمى بالعهد وهَرَب، فأُخِذَ وأُتِىَ به الحجّاجُ، فقال : يا عدوّ الله؛ فقال : لستُ لله ولا للأمير بعدوّ؛ قال : ألم أكرمك ! قال : بل أردتَ أن تُهينَنى ؛ قال : ألم أستعملك ! قال : بل أردت أن تستعبدنى ؛ قال :

(١) أى استله من غمده بمقدار شبر . (٢) فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٣٣) «عقيل» مكان «ابن عباس» .

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) الآية؛ قال : ما استوجبتُ واحدةً منهن؛ قال : كل ذلك قد استوجبت بخلافك. وأمر رجلا من أهل الشأم أن يضرب عُنقه .

سليمان بن أبى شيخ قال حدّثنى حجر بن عبد الجبّار عن عبد الملك بن عُمَير قال : كان[1] فى مجلس زياد، الذى يجلس فيه للناس بالكوفة، فى أربع زواياه كتاب بقلم جليل : "الوالى شديد فى غير عنف، ليّن فى غير ضعف؛ الأُعْطِية لإبّانها، والأرزاقُ لأوقاتها؛ البُعُوث لا تُجمَّر[2]؛ المحسن يُجْزَى بإحسانه، والمسيء يُؤْخذ على يديه" كلما رفع رأسه إلى زاوية قرأ ما فيها .

قال سليمان وحدّثنا أبو سفيان الحميرىّ قال : أُتِىَ أبو جَهْم بن كِنَانة يوم الراوية، فقال له الحجاج : من أنت ؟ قال : أنا أبو جهم بن كنانة، قال له الحجاج : قد زدناك فى آسمك ألفا ولاما فأنت أبو الجهم، وزدنا فى عطائك ألفا .

العباس بن بكّار عن عُبَيد الله بن عمر الغَسّانىّ عن الشعبىّ قال : قال مُعاوية لشدّاد بن أوس : ياشدّاد، أنا أفضل أم علىّ؟ وأينا أحبُّ اليك ؟ فقال : علىٌّ أقدمُ هِجْرةً، وأكثرُ مع رسول الله إلى الخير سابقةً، وأشجعُ منك قلبا، وأسلمُ منك نَفْسًا؛ وأما الحبّ فقد مضى علىّ، فأنت اليوم عند الناس أرجى منه .

قال الأحنفُ لمعاوية فى كلام : أنت أعلمنا بيزيد فى ليله ونهاره، وسرّه وعَلَانِيَته، فلا تُلقمه الدنيا وأنت تذهب الى الآخرة .

---

(١) ورد هذا الخبر فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٤) هكذا : «كان فى مجلس زياد مكتوب : الشدّة فى غير عنف، واللين فى غير ضعف؛ المحسن يجازى بإحسانه، والمسىء يعاقب بإساءته؛ الأعطيات فى أيامها؛ لا آحتجاب عن طارق ليل، ولا صاحب ثغر» .

(٢) تجمير البعوث : جمعهم فى الثغور وحبسهم عن العود الى أهليهم . ومنه حديث الهرمزان : إن كسرى جمّر بعوث فارس . وروى الربيع أن الشافعىّ أنشده :

وجمرتنا تجمير كسرى جنوده ؛؛ ومنيتنا حتى نسينا الأمانيا

خطب الحجّـاجُ فشكا سوءَ طاعة أهل العراق، فقال جامعٌ المحاربيّ : أمَا إنهم لو أحبُّوك لأطاعوك، على أنهم ما شنئوك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك(١)، فدع مايباعدهم منك الى ما يقرّبهم إليك، والتمس العافيةَ فيمن دونك تُعْطَها ممن فوقك، وليكن إيقاعُك بعد وعيدك، ووعيدُك بعد وعدك، فقال الحجاج : والله ما أُراني أردّ بنى اللُّكيعة الى طاعتى إلا بالسـيف، فقال : أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار، قال الحجّاج : الخِيَار يومئذ لله، قال: أجل ! ولـكنّك لا تدرى لمن يجعله الله، فقال : ياهَنَاه(٢)، إنك من مُحارب! فقال جامع :

وللحــرب سُمّينا وكنّا مُحـاربًا ✽ اذا ماالقَنَا أمسى من الطعن أحمرا

فقـال الحجاج : والله لقــد هَمَمتُ أن أخلع لسانك فأضربَ به وجهك، فقال له يا حجّاج : إن صَدَقْناك أغضبناك ، وإن كَذَبناك أغضبنا الله، فَغَضَبُ الأمير أهونُ علينا من غضب الله .

قال الأصمعيّ أخبرنا شيخ من قُضَاعة، قال : ضَلَلْنا مرةً الطريقَ فاسـترشدنا عجوزًا، فقالت : استبطِن الواديَ وكن سيلاً حتى تبلُغَ .

ابن الكلبيّ قال : كتب معاوية(٣) الى قيس بن سعد(٤): أما بعد، فإنما أنت يهوديٌّ ابن يهوديّ، إن ظَفِرَ أحبُّ الفريقين اليك عَزَلك واستبدل بك، و إن ظفر أبغضُهما إليك قتلك ونكّل بك، وقد كان أبوك وَتَرَ قوسَه ورمى غَرَضَه، فأكثر الحَزّ وأخطأ

---

(١) فى الأصل «لنفسك» وقد أثبتنا ما فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٨) لمنع التكرار مع قوله «لذات نفسك» . (٢) هن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان، فاذا ناديت مذكرا بغير التصريح باسمه قلت : يا هن أقبل . وقد تزاد الألف والهاء فيقال للرجل : ياهناه أقبل ، بضم الهاء على تقدير أنها آخر الاسم، وبكسرها لاجتماع الساكنين . (انظر اللسان مادة هنا) . (٣) وردت هذه الحكاية بكتاب الكامل للبرد ص ٢٩٨ طبع مدينة ليبسيج وكتب عليها بأسفل الصحيفة ما نصه «هذه حكاية غير صحيحة» .

(٤) فى الكامل : «الى قيس بن سعد وهو والى مصر لعلى بن أبى طالب» .

المَفْصِل، فخذله قومُه، وأدركه يومُه، ثم مات طريدًا بحَوْران، والسلام . فكتب إليه قيس بن سعد : أما بعـد ، فإنما أنت وثنٌ ابن وثن[1]، دخلت فى الإسلام كرها وخرجت منـه طوعا، لم يقدُم إيمانك ولم يحدُث نِفاقك، وقد كان أبى وتر قوسـه ورمى غرضه ، وشَغَّب[2] عليه من لم يبلُغ كعبه ولم يشُق غُباره، ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه، وأعداءُ الدين الذى خرجت اليه، والسلام .

قال يحيى بن سَعِيد الأُمَوِىّ : سمعت الأعمش يقول لخالد بن صَفْوان : شَعَرت أن منزلك لايُعرف إلا بى حتى يقال عنـد منزل الأعمش، فقال خالد : صدقتَ، مثل حمام عنترة، ويقال وردان وبيطار (حيان) .

قال الربيع لشَريك بين يدى المهـدىّ : بلغنى أنك خُنْت أمير المؤمنين، فقال شَرِيك : لو فعلنا ذلك لأتاك نصيبُك .

قال رجل من العرب: أُرِيتُ البارحةَ فى منامى كأنى دخلت الجنةَ فرأيت جميع ما فيها من القصور، فقلت : لمن هـذه ؟ فقيل : للعرب، فقال رجل عنده من الموالى : أصعِدتَ الغرف ؟ قال : لا ، قال : فتلك لنا .

وكتب قُتَيبة بن مسلم الى عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان : أما بعد، فإن عشمشم أعشى الشجر[3] . فكتب اليه ابن ظَبْيان : من ذلك الشجر كان بَرْبَطُ[4] أبيك . يعنى مسلم بن عمرو، وكان مغنيًّا ليزيد بن معاوية .

---

(١) كذا بالأصل والبيان والتبيين (ج٢ ص ٣٤ طبع مطبعة الفتوح الأدبية بالقاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) والكامل للمبرد (ص ٢٩٨) ولعلها : وثنى ابن وثنى، نسبة الى الوثن وهو الصنم . (٢) شغب عليه (بالتشديد) : هيج عليه الشر . (٣) كذا بالأصل، ولم نوفق الى تحقيقه أو فهم التعريض منه . (٤) البربط كجعفر : العود من آلات الموسيقى ، وقيل هو معرّب «بربط» بكسر الراء، كما هو مضبوط فى الأصل هنا، ومعنى بربط بالفارسية : صدر الإوز، أطلق على العود لشبهه به .

قال بَحْر بن الأحنف لجارية أبيه زَبْرَاء : يافاعلة؛ فقالت : لو كنتُ كما تقول أتيتُ أباك بمثلك .

وقال رجل لابنـه : يابن الفاعلة ؛ فقال : والله لئن كنتَ صدقتَ ما فعلَتْ حتى وجدَتْك فحلَ سَوْء .

أتت ابنةُ الخُسّ عُكَاظ، فأتاها رجل يمتحن عقلَها ويمتحن جوابَها، فقال لها : إنى أريد أن أسألكِ؛ قالت : هاتِ. قال : كاد ؛ فقالت : المتَّعِل يكون راكبا. قال : كاد؛ قالت : الفقر يكون كُفْرا. قال : كاد؛ قالت : العَرُوس تكون مَلِكا. قال : كاد؛ قالت : النَّعامة تكون طائرا . قال : كاد؛ قالت : السِّرار يكون سِحْرا. ثم قالت للرجل : أسألك ؟ قال : هاتى ؛ قالت : عجبت ؛ قال : للسِّباخ لا ينبت كلؤُها ولا يجف ثراها . قالت : عجبت ؛ قال : للحجارة لا يكبَرُ صغيرُها ولا يَهْرَم كبيرُها . قالت : عجبت؛ قال : لشُفْرِك لا يُدْرَك قعرُه ولا يُملأ حفرُه .

المدائنىّ قال : كان عُرام[1] بن شُتَيْر عند عمر بن هُبَيْرة، فألقى إليه ابنُ هبيرة خاتَمه وفصُّه أخضر؛ فعقد عرام فى الخاتم سَيْرًا . أراد عمر قول الشاعر :

لقد زَرِقَتْ عيناك يابن مُكَعْبَرٍ ... كما كُلُّ[2] ضَبِّىٍّ من اللُّؤمِ أزرقُ

وأراد عُرام :

لا تأمنَنّ فَزَارِيًّا خلوتَ به ... على قَلُوصك واكْتُبْها بأسـيارِ

قال جرير للأخطـل : أرّقتُ نومَك ، واستهضمتُ قومَك ؛ قال الأخطل : قد أرّقت نومى، ولو نمتُ كان خيرا لك .

---

(١) كذا فى الطبرى (طبع أوروبا ص ١٢٠٣ — ١٢٠٤ من القسم الثانى) . وفى الأصل : "عذام" بالذال المعجمة . (٢) كذا فى اللسان مادة "زرق" والأغانى (ج ١٩ ص ٩ ؛ طبع بولاق) وفيه ينسب الشعر الى سويد بن أبى كاهل . وفى الأصل : « كما ظل ظبى ... » وهو تحريف .

أراد معاويةُ أن يخطُب بصِفِّينَ فقال له عمرو بن العاص : دعنى أتكلّم ، فإن أتيتُ على ماتريد وإلّا كنتَ من وراء ذلك ، فأذِنَ له ؛ فتكلّم بكلمات ؛ قال : قدّموا المُسْتَلْئِمَة[1] وأخّروا الحُسَّر ، كونوا مِقَصَّ الشارب ، أعيرونا أيديَكم ساعةً ، قد بلغ الحقّ مَفْصِلَه ، إنما هو ظالم أو مظلوم .

حدّثنى ابن أبى سعد عن محمد بن الحسن التميمى عن عبد الله بن أحمد بن الوَضّاح ، قال : دخل أعرابىّ على عبد الملك بن[2] مروان ، فقال له : يا أعرابىّ صف الخمر فقال :

شمولٌ إذا شُجَّت وفى الكأس مُزَّةٌ * لها فى عِظام الشاربين دَبيبُ
تُريك القَذَى من دونها وهى دونَه * لوجهِ أخيها فى الإناء قُطُوبُ

فقال : ويحك يا أعرابىّ ! لقد اتّهمك عندى حسنُ صفتك لها ؛ قال : يا أمير المؤمنين واتّهمك عندى معرفتُك بحسن صفتى لها .

مقطّعات ألفاظ تقع فى الكِتاب والكلام

لو أخطأتُ سبيلَ إرشادك ، لما أخطأتُ سبيلَ حسن النية فيما بينى وبينك .

لو خطر ذلك ببالى من فعلك ، ما عرّضتُ سترَ الإخاء للهَتْك بينى وبينك .

قد أحسنت فى كذا قديما . وفعلُك كذا إحدى الحُسْنَيَيْن بل ألطفهما موقعا .

أنت رجلٌ لسانُك فوق عقلك وذكاؤك فوق حزمك . فقَدِّم[3] على نفسك مَنْ قدّمك على نفسه . الله يعلم أنك ما خطرتَ ببالى فى وقتٍ من الأوقات إلا مَثَّلَ الذكْرُ منك لى محاسنَ تزيدنى صبابةً إليك وضَنًّا بك واغتباطا بإخائك . لعل الأيام

(١) المستلئمة : الطائفة التى عليها اللأم وهى الدروع .

(٢) الذى فى الأغانى (ج ٦ ص ١٢٧ طبع بولاق) : «دخل ابن الأقرع على الوليد بن يزيد...» . وورد فيه الشطر الأوّل من البيت الأوّل هكذا : «كميت اذا شجت وفى الكأس وردة» .

(٣) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤١) . وفى الأصل : «اتهم على نفسك ...» .

أن تُسهِّل لأخيك السبيلَ الى ما تقتضيه نفسُـك من برِّك ومُعَاوضتك(١) ببعض ما سَلَفَ لك .

ما هـذا الغَبَا العجيب الذى الى جانبه فِطنـةٌ لطيفة . حكمُ الفَلَتات خِلافُ حكم الإصرار .

من أخطأ فى ظاهر دنيـاه وفيما يُؤخذ(٢) بالعـين، كان حَرِياً أن يُخطئ فى باطن دينه وفيما يؤخذ بالعقل .

ومن أوّل ما أُحبّ أن أُوثِرَك به وأَقضىَ فيه واجبَ حقّك، تنبيهُكَ على عظيم ما لله عندك ، وحثُّك على الآزدياد ممـا يَزيدك .

من كان بمثـل موضعك يجْمعَ له حمدُ إخوانه ورضا مُعامليه والاستقصاءُ مع ذلك لمن استكفاه، فقد عَظُمت النعمةُ عليه، ولا أعلم بما أسمع فيك إلا أنك كذلك والحمد لله .

ما أغنى الفقيرَ عن الحمد، وأحوجَه الى ما يجد به طعمَ الحمد !

قد حَسَدك من لا ينام دون الشِّفاء(٣)، وطلبك من لا يُقصِّر دون الظفر، [فآشدُد حَيَازيمَك وكن على حَذَر(٤)] .

أنت تتَجَنَّى على مالك لتُتلفه بأسـباب العِلَل، كما يدفع عن ماله البخيلُ بوجوه الاعتلال . أنت طالبُ مَغْنَم، وأنا دافع مَغْرَم ، فإن كنتَ شاكرا لما مَضَى، فاعذِرْ فيما بَقِى . مكرُك حاضر، ووفاؤك متأخِّر. أنا راضٍ بعفوك، باذلٌ لمجهودى .

نوائبُ الأيام رمَتْ به ناحيتك، واذا رأيتَه أنبأك ظاهرُه عن باطنه ودعاك الى محبّته قبولُه، وهو فى الأدب بحيث المستغنِي عن النسب(٥) .

---

(١) فى الأصل ""ومعارضتك"" . (٢) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصل : ""وفيما توجد..."" .
(٣) فى الاصل : ""السفا"" . (٤) زيادة عن العقد الفريد . (٥) فى الأصل : ""السبب"" .

قد آن أن تَدَع ما تسمع لمـا تعلم وإلّا يكون غيرُك فيما يُبلغك أوثقَ من نفسك فيما تعرفه .

هذا فلان قد أتاك على رِقّةٍ من حاله وبُعْـدٍ من شُقّته ، فنَشَدْتُك الله أن تقدّم شيئا على تصديق ظنّه وسَدّ خَلّته وبَلّ ما يَبِسَت هذه النكبةُ من أديمه ، فإنه غَذِىُّ نعمةٍ وخدينُ مُروءة .

أنا أسأل الله أن يُنجز لى ما لم تزل الفِراسة تَعِدُنيـه فيك . الحُرّيّةُ نسبٌ . فهمتُ ما اعتذرتَ به فى تأخُّرك ، وغضضتَ به منى طَرْفًا طامحا إليك ونفسًا تَوّاقةً الى قُرْبك .

وصل كتابك فكان موقعـه مَوْقِعَ الرُّوح من البَـدَن . فإن أمير المؤمنين يحب ألا يَدَع سبيلا من سُـبُل البر وإن عَفَا ودَثَر إلا أناره وأوضح مَحَجّته ، ولا خَلّة من خلال الخير لا أوّل لها إلا اهتبل الفرصة فى إنشائها[1] ، واختيار مَكرمة ابتدائها ، لتجب له مساهمةُ الفارط[2] فى أجره ، ويكونَ أُسوةَ الغابر فى ثوابه .

لولا وجوبُ تقديم العذر لصاحب السلطان ، فى الذهول عن مواصلة من يجب عليه مواصلته ، بمـا يستولى عليه من الشغل بعمله ، إذًا لكَثُرَ العَتْبُ .

إنك لكل حسن أبليته ، ومعروف أسديتَـه . وجميل أتيتَه ، وبَلاء كان لك ربيتَه ، أهلٌ فى الدين والحَسَب القديم .

لك — أعزّك الله — عنـدى أيادٍ تشفَعُ لى الى محبّتك ، ومعروفٌ يُوجب عليك الرَّبّ[3] والإتمـام .

---

(١) اهتبل الفرصة : اغتنمها . (٢) الفارط : السابق . (٣) الرب : الزيادة . وفى العقد الفريد «الود والإتمـام» .

أفعال الأمير مختارةٌ كالأمانى، متّصلةٌ عنــدنا كالأيام؛ ونحن نختار الشكر لكريم فعله، ونُواصل الدعاء والذكر مواصلةَ برّه .

أبدأ بذكر يدك التى أجارتنى على صرف الزمان، ووقتنى نوائب الأيام، وثمّرت لى بقية النعمة، وصانت وجهى عن آستعباد مِنَن الرجال، وبَسَطتْ لى الأملَ فى بلوغ ما ناله بك مَنْ رفعت خسيسَتَه ونوهتَ بذكره، وأعانتنى على آتبــاع مذهب المــاضين من سلفى فى الوفاء لكم، وحماية النعمة عليهم بكم عن أيدى غيركم، حتى خَلَصتْ لهم منكم فعزُّوا، ولم يشغَلوا شكرَهم بغيركم حين شكروا، ولم يحتملوا صنيعة لسواكم لمــا آعتدّوا، ولم تَنشعّبهم الدنيا عنكم اذ آضطُرُّوا .

إنّ الله أحلك[1] منا أهلَ البيت محلًّا نراك به عِوَضًا من الغائب، وخَلَفًا من الهالك، ونجدك مخصوصا بضرّائنا اذ كنت ولىّ سرّائنا، وكنّا لك كالجوارح نألَمُ لكل ما أَلِمَ منها .

نحن نعوذ بالله من سَخَطك، ونستجير به من غَضَبك، ونسألك النظر فيما كتبنا به صادقين، كما سمعتَ قَصَص الكاذبين، فإنا على سلامة ممــا رقّوه[2] .

كتبى — أعزك الله — تأتيك، فى الوقت بعد الوقت، على حسب الدواعى، وإن كان حقّك يُلزمنى ألّا تُغبّك، لولا ما أتذكر من زيادتها فى شُغلك .

أنت الحامل لكل إخوانه، الناهضُ بأعباء أهــل مودّته، الصابرُ على ما ناب من حقوقهم .

كنتُ أمس — أكرمك الله — عليــلا، وركبتُ اليوم على ظَلَع[3] ظاهر ورقّة شــديدة، فلما آنصرفتُ أمرتُ بإغلاق الباب للتودّع، ووافق ذلك من سوء نيتك وإرصادك صديقك بما يستدعى عَتْبَك عليه وعتبَه عليك ما وافق .

(١) فى الأصل : «أهلك ...» .   (٢) أى رفعوه اليك من الأخبار الكاذبة .
(٣) فى الأصل : "ضلع" .

لا أزال — أبقاك الله — أسأل الكِتابَ اليك فى الحاجة (١)، فأتوقف أحيانا توقف المبقِى عليك من المؤونة (٢)، وأكتب أحيانا كتاب الراجع منك الى الثقة والمعتمد منك على المقة؛ لا أعدمنا الله دوام عزك، ولا سلب الدنيا بهجتها بك، ولا أخلانا من الصنع [لله] (٣) على يدك وفى كنفك، فإنا لا نعرف إلا نعمتك، ولا نجد للحياة طعما وندى إلا فى ظلك.

إن كان هذا مما ترضاه لى، فلست ألتمس أكثر منه، وقوفا بنفسى عند الحظ الذى رضيته لى.

أنا والله أراك فى رتبة المنعم إجلالا، وبمحل الشقيق من القلب محبة وإخلاصا.

أما شكرى فمقصورٌ على سالف أياديك، وبه قصور عنه فكيف يتسع لما جددته!.

لله عندك نِعَمٌ جِسامٌ تتقاضاك الشكر. وقاك الله شرّ نفسك، فإنها أقرب أعدائك إليك.

ولم أزل وجِلًا من حادثة كذا عليك، إذ كان ما ينالك — لا أنالك الله سوءا — متصلا بى ومُدخلا الضرر علىّ فى رُكْنٍ منك أعتمد عليه، وكَنَفٍ لك أستذرى به.

وصل الىّ كتاب منك. فما رأيت كتاباً أسهلَ فنونا، ولا أملس متونا، ولا أكثر عيونا، ولا أحسن مقاطعَ ومطالع، ولا أشدّ على كل مَفْصِلٍ حزّاً منه؛ أنجزت فيه عِدَةَ الرأى وبشرى الفراسة، وعاد الظنّ بك يقينا، والأملُ فيك مبلوغا.

لا غيّبك الله عن مواطن العز والصنع، وأشهدك إياها بعلو يدك، وهُبوب ريحك، وآستقادة جميع أهلها بزمام طاعتك.

(١) كذا وردت هذه الجملة من هذا الفصل فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٨) وفى الأصل: « لا أزال قد سئلت الكتاب ... الخ » وهو غير مستقيم. (٢) فى العقد الفريد: « المخفف عنك ... ». (٣) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد.

قد رميتَ غَرَضَ الحق بسهم الباطل وحلات عِقال الشر[1] .

كنتُ[2] سالما إن سَلِمتُ من عَتْبك .

أنا أتوسل اليك بحسن ظنّى بك ، وأسألك بحق صبرى على ظُلمك لَمّا أسعفتَ بما سألتُك .

ليس ينبغى لك أن تستبطئ فهمى وقد أسأتَ إفهامى .

مَنْ أبعدُ من البُرْءِ من مريضٍ لا يُؤْتَى فى دائه إلا من جهة دوائه ، ولا فى علّته إلا من قِبَل حِمْيَته ! .

لستُ فى حالٍ يقيم عليها حرٌّ أو يرضَى[3] بها كريم ، وليس يرضَى بهذا الأمر إلا من لا ينبغى لك أن ترضَى به .

قد شِخْتُ فى ذَرَاك وهَرِمت فى ظلّك ، فإمّا رددتَ علىّ شبابى وأعدتَ الىّ قوّتى ، وإما دفعتَ إلىّ ما ينوبُ عن الشباب ويجبُرُ الضعف ، ولا بدّ من أحدهما ، فاخترْ لنفسك وأخْرِج إلينا من هـذا الدَّين ؛ فقد أمسكنا عن التقاضى ماأمكن ، وصَبَرنا على المواعيد ما صَلَح ؛ ودَعْنا من الحَوَالة فإنّ الصنيعةَ لا تتمّ بالحَوالة ؛ وإن جاز أنْ تقيم لنا زعيمًا بالنعمة ، جاز أن نقيم لك زعيما بالشكر ؛ وإن جاز أن تُؤمّلك ويحقّق آمالَنا غيرك ، جاز أن نشكر غيرَ المُنعم ونأمُل غيرَ المصطنع .

ما أستعظم أن تَسبِق الى حَسَنٍ بل أستعظم أن تُسبَق إليه وتُغلَبَ عليه .

لئن[4] كنتَ جاوزتَ بى قَدْرى عندك لَمّا بلغتُ بك أملى فيك .

لا يَقبضك عن الأُنس بى تقصيرُك فى البِرّ .

(١) كذا وردت هذه الجملة فى الأصل . وظاهر أن فيها تبديلا ونقصا . ولعل صوابها : قد رميت غرض الباطل بسهم الحق ، وحللت عقال الشر بيد الخير .

(٢) فى الأصل : "كنبت ..." .

(٣) فى الأصل : «ولا يرضى بها ...» وهو غير مستقيم .

(٤) فى الأصل «إن كنت ...» .

بلغتني عِلّتك فنالني من ألمها ، وغالني ممـا مسّك فيها حسبُ حقّك وما يخُصّني من كل حالٍ تصرّفتْ بك .

أعتذر إليك من تأخر كتبي عنك بترامى النُّقلة وتقاذُف الغُرْبة وعدمِ الطمأنينة ، فإنى منذ فارقتُك كما قال القائل :

وكنتُ قذاة الأرض والأرض عينُها * تُلَجْلج شخصى جانباً بعـد جانب

إنى[1] — أعزك الله — على تشوّقك متزيد ، فما أُحاشي بك أحدا ، ولا أقف لك على حسنةٍ يومًا إلا أَنْسَتْنيها لك فَضْلةُ غده .

الحمد لله الذى جعل الأمير معقودَ النيّة بطاعته ، مطويّ القلب على مُناصحته ، مشحوذَ السيفِ على عدوّه ، ثم وَهَب له الظفرَ ، ودوّخ له البلاد ، وشرّد به العدوّ ، وخصّه بشَرَف الفتوح العِظام شرقًا وغربا ، وبرّا وبحرا .

إلى الله أشكو شدّة الوحشة لغَيْبتك ، وفَرْطَ الجَزَع من فِراقك ، وظلمةَ الأيام بعدَك ، وأقول كما قال حبيب بن أَوْس :

بَيَّنَ البَيْنُ فقـدَها ، قلّما تعـرِفُ فقـدًا للشمس حتّى تَغيبا

ورد كتابُك ، فياله وارِدًا بالرِّىِّ على ذى ظَمَا ! ما أنقعه للغليل ، وأعدَلَ شهادته لك بكرم العقد ، وصِدْق الودّ ، وحُسن المغيب ، ورعاية حق التحَرُّم ، وبُعدِالشيمة من شِيَم أهل الزمان إلا من عَصم الله ، وقليلٌ ماهم ، ولله أبواك لقد أوجداك .

قدأجلّ الله خَطَرَك عن الاعتدار ، وأغناك فى القول عن الاعتلال ، وأوجب علينا أن نقنَعَ بما فعلتَ ، ونرضَى بما أتيت وَصَلْتَ أو قَطَعت . إذ وَثِقنا بحُسن نيّتك ونقاء طويّتك ، وأُلزِمنا أن نأخذ أنفسَنا لك بما لانُحمّلك مثله ، ولا نلتمس منك مقابلةً به .

---

(١) فى الأصل : إنك .

ما أخّركتبى عنك إلا ما أنا عليه من إيثار التخفيف بقطع الكتب، إلا عنـد حقٍّ يقع فأقضيه، أو نعمةٍ تحدث فأهنّئ بها، والقصـدِ للزيادة فى البرّ بالزيارة فى الغِبّ، وٱستدعاءِ دوام الوِداد بانتهاز فُرَص الوصل .

وكتبتُ إلى محمد بن عبـد الله بن طاهر :

أمّا شـكرى للأمير على سالف معروفه فقـد غارَ وأنجد . وأمّا ٱبتهالى إلى الله فى جزائه عنّى بالحُسْنَى فبإخلاص النيّة عنـد مَظَانّ القبـول . وأمّا أملى فأحياه على بُعـد العهد بلاؤه عندى، إذ كان ما تقدّم منه شافعا فى المزيد، وفسحةُ وعدِه إياى عند مفارقتى له، إذ كان مؤذنا بالإنجاز . وأما زللى فى التأخّر عما أوجب الله علىّ له، فمقرونٌ بالعقوبة فيما حُرِمتُه من عزّ رِياسته، ونَباهة صُحبته، وعلوّ الدرجة به، وإن كنتُ سائرَ أيام ٱنقطاعى عنه مُعتلقا بسبب لا خيارَ معه . مكاتبتُك — أعزّك الله — وأنا مُجاورُك ببلدٍ دون السعى اليك مُجِلًّا لقدرك مما أُكْبِر . لاقيك بكتابى هذا فلان، وله علىّ حقّان : حقٌّ عمّ المسلمين فلزمنى بلزومه لهم، وحق خصّنى بالحُرْمة والعِشرة، فرأيَك فى كذا إن سَهُل السبيلُ الى ذلك ورَحُب، وإن يَعُقْ عائق فلستَ على جميلِ رأيٍ عندى بمُتَّهَم .

' للتفضّل أن يخُصّ بفضـله من يشاء، ولله الحمدُ ثم له فيما أعطى، ولا حجةَ عليه فيما منع .

مُستعفِى السلطانِ أحدُ ثلاثة : رجلٌ آثرَالله وما عنـده، وأسأل الله توفيقَه ، ورجلٌ عَجَز عن عمله فخاف بعجزه[1] عواقبَ تقصيره، وأستعينُ الله ، ورجلٌ سَمَتْ به نفسه عن قليل هو فيه الى كثيرٍ أمّله . وأعوذُ بالله من أن أُدَنِّس نعمةَ الله بك علىّ

(١) فى الأصل : « تعجزه ... » .

وعلى سَلَفى قبلى بالتصدِّى لمن لا يُشبه دهرُه يومَك، ولا أكثرُ جهدِه فى المعروف أقلَّ عَفْوِك.

كن كيف شئت، فإنّى واحدُ أمرى خالصةٌ سَرِيرتى، أرى ببقائك بقاء سُرورى، وبتمام النعمة عليك تمامها عندى، فإنه ليس من نعمة يُجدِّدها الله لأمير المؤمنين فى نفسه خاصّةً إلا اتصلتْ برعيّته عامّة، وشَمِلتْ المسلمين كافّة، وعَظُمَ بلاءُ الله عندهم فيها، ووجب [عليهم](١) شكره عليها؛ لأن الله جعل بنعمته تمامَ نعمتهم، وبسلامته هدوءَهم واستقامتَهم، وبتدبيره صلاحَ أمورهم وأمنهم، وبذبه عن دينهم حفظ حريمهم(٢)، وبحياطته حَقْن دمائهم وأَمْنَ سُبُلهم، وبرِعَيته اتّساقَهم وانتظامَهم؛ فأطال الله بقاء أمير المؤمنين مُؤيَّدا بالنصر، مُعَزًّا بالتمكين، موصولَ الطلب بالظفر، ومدّةِ البقاء بالنعيم المقيم.

فهمتُ كتابك ولم تَعْدُ فى وعدك ووعيدك سبيلَ الراغبِ فى رَبِّ عارفته، المحامى على سالف بَلَائه، المُؤْثِر لاستتمام صَنيعته. وإنى لأرجو أن أكون على غاية ما عليه ذُو نيةٍ حسنةٍ فى شكر مُصطنعه، وعناية(٣) بأداء ما يلزمه لولىّ نعمته، ومراقبةٍ لرئيسه فى سرّ أمره وعَلَانيته، وإيثارٍ للقليل من جميل رأيه على كثير المنافع مع سَخَطه. وليس مذهبى فيما أشرحه من العذر وأُطيل بذكره الكتب، مذهبَ من يموّه بالاحتجاج ويَحتالُ فى الاعتذار، ومَنْ تُطمعه نفسه فى سلامة النعمة مع فساد النيّة، وفى محمود العاقبة مع شَرَهِ النفس، وفى زيادة الحال مع التفريط فى العمل. ولو كنتُ ممن سوّلتْ له نفسه ذلك سائرَ دهره، لقد(٤) وجب إلى أن يَضطرّنى إلى

(١) زيادة عن العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٢). (٢) فى الأصل: «وبذبه عن دينهم وحفظ ...» بزيادة الواو، وقد وردت هذه العبارة فى العقد الفريد بحذفها. (٣) فى الأصل: «وغنايه ...». (٤) فى الأصل: «ولقد وجب ...» ولا معنى لذكر الواو مع اعتبار هذه الجملة جوابا للو، كما هو ظاهر السياق، على أن فى جعل «لقد» جوابا "للو" نظرا.

النزوع عنه تأديبُك وتقويمك . وإنى لمجتهدٌ أن [يكون](١) أثرُ فعلى هو المخبر عنى دون قولى، وأن يكون ما أمُتّ به اليك ظاهرَ كفايتى دون ذِمّامى .

لولا ما أنا بسبيله من العمل، وما فى الإخلال به من تعريضه للانتشار ودخول الخَلَل، وعلمى بأن طاعةَ السلطان مقرونةٌ بطاعة الأمير، وأنه لا فرقَ عنده بين الجانى على السلطان وعليه، لكنتُ الجوابَ راجلًا معظِّمًا لأمره، مُكبِرًا لسُخْطه؛ وإن كان الله قد جعل عنــد الأمير من إيثار الحق والعمل به، وتقديم الرويّة قبل الإيقاع، والاستثناء(٢) بمن وَضَح ذنبــه وظهر جُرمه دون من وقعتْ الشبهةُ فى أمره، ما أمّننى بادرةَ غَضَبه ونازلَ سَطْوته .

لم أكن أحسَبنى أُحَلّ عندك محلَّ مَنْ جَهِل حظَّه، وعَدِم تمييزَه، وغَبِى عمّا عليه وعمّا له، إذ توهّمتَ علىّ أنّى أبيع خطيراً من رضاك، ونفيسا من رأيك، وشرفا باقيا على الأيام بطاعتك، وعُدّةً للنوائب أستظهر بهــا من نصرتك، بالثمن البخس الحقير من كذا، أو أن أستبدلَ بمــا أنا ذو فاقة إليــه من عزّ كَنَفك ومنيع ذَرَاك، ما قد وهب الله الغِنَى عنه بحمده .

كان ورودُك وشخوصُك فى وقتين انطويا عنى، وكان مُقامك فى حالِ شغلٍ منك ومنى، ولذلك فقدْتنى فى القاضين لحقك والمثابرين على لقائك .

ورد كتابك مضمَّنا من برّك وتَطَوُّلك ما حسّن شكرى، وأثقل ظهرى، وأُرْتِجَ عن مضاهاتك بمثله قولى؛ فذكرت به — إذ تحيّرت دون تأمّله، وضَعُفتُ عن تحمّله، وعَجَزتُ عن الشكر عليه عند تمحّله — قولَ القائل(٣) :

---

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) الاستثناء : الانتظار . (٣) هو أبو نواس . وقد ورد فى ديوانه (المطبوع بالمطبعة العمومية بمصر ســنة ١٨٩٨ ، ص ٧١) : "جللتنى" بدلا من "أوليتنى" و "لا تسدين" بدلا من "لا تحدثن" .

أنت آمرؤ أوليتنى نِعــمًا * أوهَتْ قُوَى شكرى فقد ضعُفا
لا تُحْـدِثَنّ الىّ عارفةً * حتّى أقوم بشكر ما سَلَفا

ألفاظ تقع فى كتب الأمان

هـذا كتاب من فلان لفلان : إنى أمّنتُك على دمك ومالك وموَاليك وأتباعك ، لك ولهم ذمّةُ الله المُوفَى بها ، وعهدُه المسكونُ اليه ، ثم ذمّةُ الأنبياء الذين أرسلهم برسالته وأكرمهم بوحيه ، ثم ذِمَمُ النجباء من خلائفه : بحقن دمك ومَنْ دخل آسمُهُ معك فى هـذا الكتاب ، وسلامةِ مالك وأموالهم وكذا وكذا ؛ فآقبلوا معروضه ، وآسكنوا الى أمانه ، وتعلّقوا بحبل ذمته ، فإنه ليس بعد ما وكّد من ذلك مُتَوَثّق لداخلٍ فى أمان إلا وقد آعتلقتم بأوثق عُرَاه ، ولجأتم الى أحرز كهوفه ، والسلام .

وفى كتاب آخر :

هذا كتاب من فلان : إن أمير المؤمنين ، لمّا جعل الله عليه نيّته فى إقالة العاثر وآستصلاح الفاسد ، رأى[1] أن يتلافاك بعفوه ، ويتغمد زَلّاتك برُحْمه ، ويبسُط لك الأمانَ على ما خرجتَ اليه من الخلاف والمعصية : على دمك وشعرك وبَشَرك وأهلك وولدك ومالك وعقارك ؛ فإن أنت أتيتَ وسَمِعت وأطعتَ ، فأنت آمن بأمان الله على ما أمّنك عليه أمير المؤمنين ، ولك بذلك ذمّةُ الله وذمّة رسوله ، إلا ما كان من حق قائم بعينه لمسلم أو معاهد ، والله بذلك راع وكفيل ، وكفى بالله وكيلا .

---

(١) فى الأصل «ورأى ...» بزيادة الواو . ولعله سهو من الناسخ .

وفى كتاب آخر :

إن فلانا آستوهب أميرَ المؤمنين ذنبَك، وسأله أن يَقبل توبتَك وإنابتك، ويؤمّنك على دمك وشعرك وبشرك وأهلك وولدك ومالك وعَقاراتك، على أن تسمع وتُطيع وتُشايع، وتُوالى أولياءه، وتُعادى أعداءه؛ فأجابه أمير المؤمنين الى ذلك، لرأيه فى العفو والصفح وما يحتسب فى ذلك من الثواب والأجر، فأنت آمن بأمان الله على كذا لاتُؤخذ بشيء مما سلف من أحداثك، ولاتُتبع فيه بمكروه ما أقمتَ على الوفاء ولم تُحدِث حَدَثًا تفسَخ به أمانَك وتجعل به سبيلًا على نفسك، والله لك بذلك راعٍ كفيل، وكفى به شهيدا .

ألفاظ تقع فى كتب العهود

أمَرَه بتقوى الله فيما أَسنَدَ اليه وجعله بسبيله، وأن يُؤْثِرَ الله وطاعتَه آخذًا ومُعطيا، وأعلمه أنّ الله سائلُه عمّا عَمِل به ومجازيه عليه، وأنّه خارجٌ من دُنيـاه خُروجَه من بطن أمّه إمّا مَغْبوطا محمودا، وإمّا مذموما مسلوبا . فليعتبر بمَنْ كان قبلَه من الوُلَاة الذين وَلُوا مثلَ ما وَلِى، أين صار بهم مَرُّ الليل والنهار، وما آنقلبوا به من أعمالهم الى قبورهم ! وليتزوّد لنفسه الزادَ النافعَ الباقى (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) .

وفى فصل آخر :

وقد ولّاك أميرُ المؤمنين ما ولّاك من أمور رعيّته، وأشركك فيما أشركك فيه من أمانته، ثِقةً بك، ورجاءً لمتابعتك وإيثارك الحقَّ وأهلَه، ورفضك الباطلَ وأهلَه؛ وعَهِدَ إليك فى ذلك بما إن أخذتَ به أعانك الله وسدّدك، وإن خالفتَه خذَلك وعاقبك .

وفى الحـــج :

فإن أمير المؤمنين قد اختارك من إقامة الحج[(١)] لوفد الله وزوّار بيته، للأمر العظيم قدرُه، الشريف منزلتُه؛ فعليك بتقوى الله، وإيثار مراقبته، ولزوم الهُدَى المحمود والطريقة المُثلى والسّيرة الجميلة التى تُشبه حالك .

فصل — فإن الله نزّه[(٢)] الإســلام عن كل قبيحة ، وأكرمه عن كل رذيلة ، ورفعه عن كل دنيّة، وشرّفه بكل فضيلة، وجعل سيماء أهله الوقارَ والسكينةَ .

فصل — وإن أحقّ النــاس بالازدياد فى طاعتــه ومناصحته وأداء الأمانة فى عمله مَنْ عَظُم حقُّ الأمير عليه فى الخاصّــة بفضل الصنيعة من الأمير عنده، مع حق الله عليه فى العامّة بحقّ الولاية .

فصل — وكنتَ سيفًا من سيوف الله، ونكّالًا من أنكاله لأهل الشقاق ، وشجًى لمن ابتغى غير سبيل المؤمنين ، قد أحكمتك التجاربُ وضرّستك الأمور، وفُرْزتَ عن الذكاء وحلبتَ الدهرَ أشطُرَه .

فصل — أنت ابن الحرّية والمروءة، ومن لا يلحقه عارُ أُبوة ولا بُنُوّة .

فصل — قد التمستُ مواجهتــك بشكرك ووصف ما أُجِنّ لك وأُخلص من ودّك وأُجلّ من قدرك وأعتدّ[(٣)] من إحسانك، فلقّنى عن ذلك تعذُّر الخلوة مع انقباض وحشمة .

---

(١) كذا فى الأصل واختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور (النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٦٠ أدب ص ٣٣٣) ولعلها : «فى الحج» .

(٢) فى الأصل : «فان الله بحمده الإسلام ...» .

(٣) فى الأصل : «واعتيد ...» .

فصل — قد أغنى الله بكرمك عن ذَريعةٍ اليـك ؛ وما تُنازِعنى نفسى إلى آستعانةٍ عليك إلا أبى ذلك حسنُ الظنّ بالله فيـك ، وتأميلُ نُجحِ الرغبةِ إليك دون الشفعاء عندك .

فصل — مثلك تقرّب الى الله بالتواضُع لنعمته ، والإغاثة لمستغيثه ، والعائدةِ(١) على راجيه بفضله .

فصل — تبًّا لمن يأتى(٢) رأيك ! وقبحا لعُزُوب عقلك ، وأَفَن(٣) تدبيرك ! ما أبعدَ مذهبَك فى الخطأ ، وأسوأ أثرَك على السلطان ، وأقصرَ باعَك عن النهوض ! جزالة(٤) تعقدك ، ومَهَانةٌ تُضْرِعك ، وزَهْوٌ يعلُوك ، ونَخْوةٌ يشمَخ لها عِرْنينك . لقد آنصرف رأىُ أمير المؤمنين عنك ، ودعوتَ له عَتْبَك ، وكشفتَ له عن قِناع سترك ، واجتررتَ اليك سَخْطته وعَطَفْتَ نحوك مَوْجِدَته ، وكنتَ على نصيبك منه والضنّ بمنزلتك عنده أولى تقدُّما وأقربَ رُشْدا . والله الغنىّ الحميد .

أصحاب السلطان ثلاثة : رجلٌ يجعـل الدنيا نُصْبَ عينه ، ينصِب فيها للخاصّة مكَايده ، ويرفَع عن مصلحة العامّة هِمّته ، يُذهله عن التقوى الهوى ، وتُنسيه أيامُ القدرة العثرةَ ، حتى تنصرِم مدّتُه وتنقضىَ دولتُه ، لم يرتهن بدنياه شُكرا ولا قدّم بها الى مَعَاده ذُخرا . ورجلٌ لا يَحْفِل(٥) مع صَلاح الخاصّة مادخل من الخلل فى أمور العامّة ، ولا مع وفور حظه(٦) ما أدخل النقص فى حظ رعيته . ورجلٌ حاول فى ولايته إرضاءَ من وَلِى له وعليه ، وأعانته النيّة وخذَلته الكفاية . وقد جمع الله لك الثقة والرضا ممن فوقك ،

(١) العائدة : اسم من عاده بمعروفه اذا أقبـل . (٢) كذا فى الأصل وفيها ضعف لعدم اتساقها فى السياق مع ما بعدها . (٣) الأفن : بالتحريك : ضعف الرأى والتدبير .
(٤) كذا فى الاصل . (٥) فى الأصل «لايجعل ...» وهو تحريف . وحفله وبه : بالاه .
(٦) فى الأصل : «مع وفور خطر ...» .

والانقيادَ والمحبة ممن دونك ، وأعاد الى النـاس بك عهدَ السلف المـاضى وعَمَّر بك آثارهم ، حتى كأنهم بك أحياء لم تَخْترمهم منيّة ، وجميعٌ لم تتصدعْ بينهم فُرْقة ، فليَهْنِئْك أنّ مَنْ تقدّمك من أهل الفضل فى السِّيرة غيرُ متقدّم لك ، ومن معك مُقَصِّر عنك ، ومن دونك مُقتفٍ لأثرك . فلا زالت الأيام لك ، ولا زالت النعمُ عنك ، ولا انتقلت عُرَى الأمور وأزِمّتها(١) عن يدك .

فصل — أبَى طبعُ الزمان أن يسمَحَ لنا بك ، كما أبى ذلك فى مثلك ، فلم يزل حتى اعْتَرَض بمكروهه دونك ، وكم من نعمةٍ ذهلتْ عنها النفس حين أدبرت بخيرك ، فإنّ تَعَلُّق القلب بك على قَدْرك فى مواهب الله وقدرِها عندك .

فصل — ولم تأت(٢) فى جميع ما عددتُ من أياديك شيئا ، وإن كان متناهيا إلى الغاية ، مختارًا كالأمنيّة ، متجاوزًا للاستحقاق ، إلا وأنت فوقه والمأمولُ للزيادة فيه .

وفى كتاب — إن كان ما خبّرنى به فلان عن هَزْلٍ فقد أحوجنا هزلُك إلى الجدّ ، ووَقّفنا موقف المعتذرين من غير ذنب ، وإن كان عن حقيقة فقد ظهر لنا من ظُلمك وتحريفك ما دلّ على زُهْدك منا فى مثل الذى رَغِبنا منك فيه .

فصل فى كتاب العيد — كتابى إلى الأمير يوم كذا بعد خروجى فيه ومَنْ قِبَلى من المسلمين إلى المُصَلَّى وقضائنا ما أوجب الله علينا من صلاة العيد ، ونحن بخير حالٍ اجتمع علينا فريقٌ من المسلمين فى عيدٍ من أعيادهم وتَجمُّعٍ من مجامعهم ، وكان مَخْرَجُنا إلى المصلَّى أفضلَ مَخْرجٍ ، ومُنْصَرَفُنا عنه أفضل مُنصرَف ،

(١) فى الأصل : « وأزمتك ... » . (٢) فى الأصل « ولم يأت » .

بمـا وهب الله من سكون العامّة وهدوئها وأُلفتها، واحتشاد الجند والشاكريّة(١) بأحسنِ الزّىّ والهيئة، وأظهرِ السلاح والعُدّة . فالحمد لله على كذا، وهنّأ الله الأمير كذا .

فصل — القلب قرينٌ ولِهٍ حليفُ حَيْرة، أنظرُ بعينٍ كليلةٍ(٢) وأحضُر بقلبٍ غائب : إلى ورود كتابك بما تعترمه(٣) . فأما النوم فلو مثّل لعينى لنفرتْ إلفًا للسُّهاد .

فصل فى كتاب بَيْعة — فبايِعُوا لأمير المؤمنين ولفلانٍ بعده على اسم الله وبركته وصُنع الله وحُسن قضائه لدينه وعِباده، بيعةً منبسطةً لها أكفُّكم، منشرحةً بها صدورُكم، سليمةً فيها أهواؤكم، شاكرين لله على ما وفّق له أمير المؤمنين .

عدّد معاويةُ على الأحنف ذنوبًا، فقال الأحنف : يا أمير المؤمنين ! لِمَ تردُّ الأمورَ على أعقابها ! أما والله إنّ القلوبَ التى أبغضناك بها لبين جوانحنا، وإن السيوفَ التى قاتلناك بها لعلى عَوَاتقنا؛ ولئن مَدَدْتَ [لنـا](٤) بشبرٍ من غدرٍ، لنمدّنّ اليك باعًا من خَتْرٍ(٥)، ولئن شئت لتستصفِيَنّ كَدَرَ قلوبنا بصفو حلمك؛ قال معاوية : فإنّى أفعل .

تقدّم رجل إلى سَوّار، وكان سوّار له مُبغضا، فقال سوّار فى بعض ما يكلّمه به : يآبن اللَّخناء ! فقال : ذاك خَصْمى؛ فقال له الخصم : أَعدِنى عليه(٦)، فقال له الرجل : خذ له بحقه وخذ لى بحقى؛ ففهم، وسأله أن يغفر له ما فَرَط منه إليه، ففعل .

الأوزاعىّ قال : دخل خُرَيْم بن فاتك على معاوية، فنظر إلى ساقَيْه فقال : أىّ ساقين، لو كانتا على جاريةٍ عاتقٍ(٧) ! فقال له خُرَيم : فى مثل عَجيزتك يا أمير المؤمنين .

(١) الشاكرية : المستخدمون . (٢) فى الأصل «بعين جليلة ...» . (٣) فى الأصل «يعتزم ...» . (٤) زيادة من لسان العرب (مادة ختر) . (٥) الختر (بالفتح) : الخديعة والغدر . (٦) أعدنى عليه : انصرنى عليه وقوّنى . (٧) العاتق : الجارية أول إدراكها؛ وقيل هى التى لم تتزوّج .

الخطب

تتبعتُ خُطَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدتُ أوائلَ أكثرها: «الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِه الله فلا مُضِلَّ له ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له». ووجدت في بعضها: «أُوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثُّكم على طاعته». ووجدت في خطبة له بعد حمد الله والثناء عليه: "أيها الناس إن لكم مَعَالِمَ فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهايةً فانتهوا الى نهايتكم؛ إن المؤمنَ بين مخافتين: بين أجلٍ قد مضى لا يدرى ما الله صانعٌ به، وبين أجلٍ قد بَقِيَ لا يدرى ما الله قاضٍ فيه؛ فليأخُذِ العبدُ لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكِبَرِ، ومن الحياة قبل الموت؛ والذى نفس محمد بيده ما بعد الموت مُسْتَعْتَبٌ ولا بعدالدنيا دارٌ إلا الجنة أو النار". ووجدتُ كلَّ خطبة مفتاحها الحمدُ إلا خطبة العيد فإن مفتاحها التكبير. وتكبيرِ الإمام قبل أن يَنزِل عن المِنْبر أربع عشرة تكبيرة.

خطبة لأبى بكر الصدّيق رضى الله عنه

حدثنى أبو سَهْل قال حدثنى الطَّنَافسيّ عن محمد بن فُضَيْل قال حدثنا عبد الرحمن ابن إسحاق عن عبد الله القرشيّ عن عبد الله بن عُكَيْم(١) قال: خطبنا أبو بكر رضى الله عنه فقال:

---

(١) فى الأصل «عبد الله بن عظيم» بالظاء المعجمة بدل الكاف وبالبحث فى كتب التراجم ورواة الحديث لم نجد «عبد الله بن عظيم» فلعل ما فى الأصل تحريف عما أثبتنا: قال فى التهذيب: «عبد الله بن عكيم الجهنى أبو محمد معبد الكوفى. قال: قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأرض جهينة. وروى عن أبى بكر وعمر وحذيفة بن اليمان وعائشة ... الخ» وفى الخلاصة: «عبد الله ابن عكيم بضم أوله وفتح الكاف ... الخ». وإذا كان عبد الله بن عكيم ممن رووا عن أبى بكر رضى الله عنه ترجح لدينا أن ما فى الأصل محرف عنه.

أما بعد، فإنى أُوصيكم بتقوى الله وحدَه وأن تُثنوا عليه بما هو أهلُه، وتَخْلِطوا الرغبةَ بالرهبة، والإلحافَ بالمسئلة؛ فإن الله أثنى على زكريّا وأهلِ بيته فقال: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا). ثم آعلموا أن الله قد آرتهن بحقّه أنفسَكم، وأخَذَ على ذلك مواثيقَكم، وآشترى منكم القليلَ الفانىَ بالكثير الباقى. هذا كتابُ الله فيكم لا تَفْنَى عجائبُه ولا يُطفأ نورُه، فصدِّقوه وآنتصِحُوه وآستضيئوا منه ليوم الظُّلمة. ثم اعلموا أنكم تغدُون وتروحون فى أجلٍ قد غُيِّب علمُـــه عنكم، فإن آستطعتم ألّا ينقضىَ إلا وأنتم فى عمـــلٍ لله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله. فسابقوا فى مَهَلٍ؛ فإنّ قومًا جعلوا آجالهم لغيرهم ونَسُوا أنفسهم، فأنها كم أن تكونوا أمثالَهم، والوَحَا الوَحَا، والنجاءَ النجاءَ! فإن من ورائكم طالبًـــا حثيثًا مَرُّه، سريعا [سـيره][1].

وفى غير هذه الرواية: أين مَنْ تعرفون من إخوانكم! قد آنتهت عنهم الأعمال، ووَرَدُوا على ما قدّموا وحلوا عليهم[2] بالشقْوَة والسّـعادة. أينَ الجبّارون الذين بَنَوا المدائنَ وحصَّنُوها بالحوائط! قد صاروا تحتَ الصَّخر والآكام.

خطبة لأبى بكر أيضا رضى الله عنه

رواها إبراهيم بن محمد من ولد أبى[3] زيد القارئ.

حَمِد الله وأثنى عليه وصلّى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم قال:

---

(١) التكملة من العقـــد الفريد (ج ٢ ص ١٦٠). وقد وردت فيه هذه الخطبة باختلاف فى بعض الكلمات عما هنا.

(٢) كذا فى الأصل. وهى غير مستقيمة المعنى وذلك من تحريف النساخ. وصواب العبارة نقـــلا عن تاريخ ابن جرير الطبرى (قسم أوّل ص ١٨٤٧ طبع ليـــدن): «أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدّموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت».

(٣) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) وهو ما تؤيده كتب التراجم كأنساب السمعانىّ وأسد الغابة: وفى الأصل: «من ولد زيد القارئ».

إن أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوكُ . فرفع الناس رءوسَهم ؛ فقال : ما لكم يا معشرَ النــاس ! إنكم لطعّانون عَجِلون ، إن المَلِك إذا ملَك زهّــده الله فيما فى يده ، ورغّبه فيما فى يَدَىْ غيره ، وآنتقصه شطرَ أجله ، وأشرب قلبَه الإشفاقَ ، فهو يحسد على القليل ، ويتسخّط الكثير ، ويسأم الرخاءَ ، وتنقطع عنه لذّة البهاء (١) ، لا يستعمل العِبْرة ولا يسكُن الى الثقة ، فهو كالدرهم القَسِّيّ (٢) والسّراب الخادع ، جَذْل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وَجَبَتْ (٣) نفسُه ونَضَب عمرُه وضَحَا ظلُّه ، حاسَبَه الله فأشدّ حسابَه وأقلّ عفوَه . ألَا إن الفقراء هم المرحومون ، وخير الملوك (٤) من آمن بالله ، وحكَم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسـلم . وإنكم اليوم على خلافة نبوّة ، ومَفْرِق مَحَجّة ، وستَرَوْن بعدى مُلْكا عضوضا (٥) ، وأُمّةً شَعَاعًا (٦) ، ودما مُفَاحا (٧) . فإن كانت للباطل نَزْوَة ، ولأهل الحق جَـوْلة ؛ يعفو لهـا الأثَر ، وتموت السُّنَن . فالزَموا المساجد ، وآستشيروا القرآن ، والزموا الجماعة . وليكن الإبرامُ بعـد التشاوُر ، والصَّفْقة بعـد طُول التناظُر ، أى بلادكم خرسة (٨) فإن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها .

خطبة أبى بكر رضى الله عنه يوم سقيفة بنى ساعدة

أراد عُمر الكلام ، فقال له [أبو بكر] : على رِسْلك . نحنُ المهاجرون أوّلُ الناس إسـلاما ، وأوْسَطُهم دارًا ، وأكرمُهم أحسابا ، وأحسنُهم وُجوها ، وأكثرُ النـاس ولادةً فى العرب ، وأمسُّهم رَحِمًـا برسول الله صلى الله عليه وسـلم ، أسلَمنا قبلكم ،

(١) كذا فى الأصل . وفى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٥٩) : «البقاء» . وفى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) : «الباءة» . (٢) القسىّ من الدراهم : الزائف . (٣) وجبت نفسه ونضب عمره ، وضحا ظله : كل منها كناية عن الموت . (٤) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) . وفى الأصل : « ... ألا إن الفقراء هم المرحومون إلا من آمن ... » . (٥) ملك عضوض : فيه استبداد وعسف . (٦) شعاعا : متفرقة . (٧) الدم المفاح : المراق . (٨) كذا بالأصل والبيان والتبيين . ولم نوفق الى تصويبها أو تفسير صحيح لها .

وقُدِّمْنا فى القرآن عليكم ، فأنتم إخوانُنا فى الدِّين ، وشركاؤُنا فى الفَىْء ، وأنصارُنا على العَدُوّ ، آويتُمْ وواسَيْتُمْ(١) ، فجزاكم الله خيرا ، نحن الأُمَراءُ ، وأنتم الوُزراءُ ، لا تَدِينُ العربُ إلا لهذا الحىِّ من قُرَيش ، وأنتم محقوقون ألّا تَنْفَسُوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم .

خطبة لأبى بكر رضى الله عنه

الهَيْثَم عن مُجالد عن الشَّعْبىّ قال : لما بُويِع أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، صَعِد المِنْبر فنزل مَرْقاةً من مَقْعَد النبىّ صلى الله عليه وسلم فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

إنى وَلِيتُ أمرَكم ولست بخيركم ، ولكنه نزل القرآن وسنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . اعلموا أيها الناس أن أكيس الكَيْس التُّقَى ، وأن أحمق الحُمْق الفُجُور ، وأن أقواكم عندى الضعيف حتى آخُذَ له بحقّه ، وأضعفكم عندى القوىُّ حتى آخذَ منه الحقّ ، إنما(٢) أنا متّبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنتُ فأعينونى ، وإن زُغْتُ فقوِّمونى . أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال : ولما وَلِى عمر صعِد المنبر وقال :

ما كان اللهُ ليرانى أرى نفسى أهلا لمجلس أبى بكر ، ثم نزل عن مجلسه مَرْقاة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : اقرءوا القرآن تُعْرَفوا به ، واعمَلوا به تكونوا من أهله . إنه لم يبلُغ حقُّ ذى حقٍّ أن يُطاعَ فى معصيةِ الله . ألا وإنى أنزلتُ نفسى من مال

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٥٨) : وفى الأصل : «وأسلمتم» .

(٢) كذا فى إعجاز القرآن للباقلانى (ص ٦٥ طبع مصر سنة ١٣١٥) : وفى الأصل : «أما» .

الله بمنزلة وَالى اليتيم : إن آستغنيتُ عَفَفتُ وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف تقرّمَ(١) البَهْمَةِ الأعرابية : القَضْمَ لا الخَضْمَ .

خطبة لعثمان بن عفّان رضى الله عنه

قال : ولما وَلِى عثمان صعِد المنبر فقال :

رحمهما الله ، لو جلسا هـذا المجلس ما كان بذلك مِن بأس ، فجلس على ذِرْوة المنبر فرماه الناسُ بأبصارهم ، فقال : إن أوّلَ مركبٍ صعبٌ ، وإن مع اليوم أيّاماً ، وما كُنّا خُطَباء ، وإن نَعِشْ لكم تأتكم الخطبةُ على وجهها إن شاء الله تعالى .

خطبة لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه

خطب فقال :

أما بعدُ ، فإن الدنيا قد أدْبرتْ وآذنتْ بودَاع ، وإن الآخرةَ قد أقبلتْ فأشرفتْ باطّلاع ، وإن المِضمَارَ(٢) اليوم وغدا السِّباق . ألا وإنكم فى أيام أَمَل من ورائه أَجَل ، فمن قَصّر فى أيام أمله قبل حضور أجلِه فقد خَسِرَ عمله . ألاَ فاعمَلوا لله فى الرَّغْبة كما تعمَلون له فى الرَّهْبَـة . ألاَ وإنّى لم أَرَ كالجنة نامَ طالبُها ، ولا كالنار نام هاربُها . ألا وإنه مَن لم ينفعه الحقُّ ضرّه الباطل ، ومن لم يَستقِم به الهُدَى جارَ به الضلال . ألا وإنكم قـد أُمِرتم بالظَّعن ، ودُلِلتم على الزاد ، وإن أخوفَ ما أخافُ عليكم آتباعُ الهوى وطولُ الأمل .

---

(١) تقرّم الصبىّ والبهم : أكل أكلا ضعيفا ، وذلك أوّل ما يأكل . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والخضم : الأكل بأقصى الأضراس . يريد بهذا بيان الأكل بالمعروف وأنه الأكل الخفيف الذى تدفع اليه حاجة الحياة .

(٢) فى الأصل : «الضمار» وهو تحريف .

خطبة علىّ عليه السـلام بعد مقتل عثمان رضى الله عنه

أيها الناس، كتابَ الله وسنّةَ نبيكم . لا يدّعى مدّعٍ إلا على نفسه . شُغِلَ مَن الجنةُ والنارُ أمَامَه . ساعٍ نَجا، وطالبٌ يرجو، ومقصّرٌ فى النار : ثلاثة، واثنان : مَلَكٌ طارَ بجَناحَيْه، ونبىٌّ أخذ الله بيديه، لا سادِسَ . هَلَكَ مَن ٱقتحم، ورَدِىَ مَن هوَى . اليمينُ والشِّمالُ مَضَلَّة، والوُسْطى الجادّةُ : مَنْهَجٌ عليه باقى الكتاب وآثارُ النبوّة . إن الله أدّب هـذه الأمةَ بأدبين : السوطِ والسيفِ؛ فلا هَوَادَةَ فيهما عند الإمام . فٱسـتتروا ببيوتكم، وأَصْلحوا ذاتَ بَيْنِكم؛ والتوبة من ورائكم . مَنْ أبدى صَفْحته للحق هَلَك . قد كانت أمورٌ مِلتُم علىّ فيها مَيْلَةً لم تكونوا عندى محمودين ولا مُصيبين . واللهِ أن لو أشاءُ أن أقول لقلتُ . عفا الله عمّا سَلَف . أُنظروا، فإن أنكرتم فأَنْكِروا، وإن عَرَفتم فآزِرُوا . حقٌّ وباطل، ولكُلٍّ أهـلٌ . واللهِ لئن أُمِّرَ الباطلُ لَقَديمًا فعل؛ ولئن أُمِّرَ[1] الحقُّ لَرُبَّ ولعلّ[2] . ما أدبر شىءٌ فأقبل .

خطبة أيضـا لعلىّ رضى الله عنه[3]

خطب علىّ حين قُتِلَ عاملُه بالأَنْبار فقال فى خطبته :

يا عَجَبًا من جِدِّ هؤلاء فى باطلهم وفَشَلِكم عن حَقِّكم! فَقُبْحًا لكم وتَرَحًا حين صرتم غَرَضًا يُرْمَى، يُغَارُ عليكم ولا تُغِيرون، وتُغْزَوْن ولا تَغزون، ويُعْصَى اللهُ وتَرضون .

(١) أمر (بالبناء للجهول والتضعيف) : سلط . والذى فى العقـد الفريد (ج ٢ ص ١٦٢) ونهج البلاغة (ج ١ ص ٢٤ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) : « ... ولئن قل الحق ... » وعلى ما ورد فيهما يكون معنى « أمر الباطل » : كثر و « أمر » وزان فرح . (٢) فى العقد الفريد . « ولقلما أدبر ... » . (٣) وردت هذه الخطبة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٦) ونهج البلاغة (ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت سـنة ١٨٨٥ م) والعقـد الفريد (ج ٢ ص ١٦٤) باختلاف فى بعض الكلمات وزيادات عما هنا .

إن أمرتُكم بالمسير إليهم فى الحرّ قلتم : حَمَارَّة القَيْظ (١)، أَمْهِلْنا [حتى] (٢) يَنْسلِخَ الحرّ، وإن أمرتُكم بالمسير إليهم فى الشتاء قلتم : أمهِلْنا [حتى] (٢) ينسلِخَ الشتاء هذا أوانُ قُرٍّ (٣)؛ كلّ هذا فِرارا من الحرّ والقُرّ، فأنتم والله من السيف أفرّ، يا أشباهَ الرجال ولا رجال! أحلام الاطفال وعقول رَبّاتِ الحِجَال، أفسدتُم علىّ رأيى بالعِصْيان والخِذْلان، حتى قالت قريش : ابن أبى طالب شُجاعٌ [ولكن] لا عِلْمَ له بالحرب . لله أبوهم! هل منهم أحدٌ أشدُّ لها مِرَاسا وأطولُ تجرِبةً منّى (٤) ! لقد نهضت فيها وما بلغتُ العشرين فهأنا الآن قد نيّفتُ على الستين، ولكن لا رأْىَ لمن لا يُطاع .

خطبة لمعاوية رحمه الله

بلغنى عن شُعَيْب بن صَفْوانَ قال : خطب معاوية فقال :

أيها الناس، إنّا قد أصبحنا فى دَهْرٍ عَنُود، وزَمن شديد، يُعَدّ فيه المحسنُ مُسيئا، ويزدادُ الظالمُ فيه عُتُوًّا، لا ننتفع بما علِمنا، ولا نَسأل عمّا جهِلْنا، ولا نتخوّف قارعةً حتى تَحُلّ بنا . فالناس أربعة أصناف : منهم مَن لا يمنعه من الفساد فى الأرض إلا مَهانةُ نفسه وكَلَال حدّه ونَضِيض (٥) وَفْره؛ ومنهم المُصلِت لسيفه (٦) والمُجلِب بخيله ورَجْلِه والمُعلِن بشرّه، قد أَشْرَط (٧) نفسَه وأوبق (٨) دِينَه لحُطَامٍ يَنتهِزه

(١) حمارّة القيظ : شدّته . (٢) زيادة عن العقد الفريد والبيان والتبيين . (٣) القرّ بضم القاف : البرد الشديد . (٤) كذا فى العقد الفريد والبيان والتبيين، بزيادة كلمة «لها» بعد كلمة «أطول» فى البيان والتبيين . وفى الأصل : «هل منهم أحد لها أشدّ مراسا ولا أطول تجربة منى» .

(٥) فى الأصل : «رضيض» وما أثبتناه عن البيان والتبيين والعقد الفريد وإعجاز القرآن . ونضيض وفره : قلة ماله . (٦) فى الأصل : «بسيفه» بالباء . (٧) أشرط نفسه لكذا : أعدّها وقدّمها . (٨) أوبق دينه : أهلكه .

أو مِقْنَب[(١)] يقـوده أو مِنْبر يَفْرعُه[(٢)]، ولبِئْسَ المَتْجَرَان[(٣)] تراهما لنفسك ثمناً ومما عند الله عوَضا . ومنهم مَن يطلب الدنيا بعمل الآخرة [ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيـا][(٤)] قد طامَنَ[(٥)] من شخصه وقارَبَ من خَطْوه، وشمّر من ثوبه، وزَخْرَفَ نفسَه للأمانة، واتخذ سِتْرَ الله ذَرِيعةً إلى المعصية . ومنهم من أقعـده عن طلب المُلك ضُؤُولةٌ في نفسـه وانقطاعٌ من سببه، فقَصَّر به الحال عن أمله[(٦)]، فتحلّى باسم القناعة وتزيّن بلباس الزُّهّاد، وليس من ذاك في مَرَاحٍ ولا مَغْـدًى . وبقى رجالٌ غضّ أبصارَهم ذِكْرُ المَرْجِع، وأراق دموعَهم خوفُ المَحْشر فهم بين شَرِيد نادّ[(٧)]، وخائف مُنْقَمِع[(٨)]، وساكتٍ مَكْعُوم، وداعٍ مُخْلِص، ومُوجَع ثَكْلان، قد أخملتْهم التقيّـة، وشمِلَتْهم الذِّلّة، [فهم][(٩)] في بحر أُجَاج، أفواهُهم ضامِرةٌ، وقلوبُهـم قَرِحَةٌ، قد وُعِظُوا حتى مَلُّوا، وقُهِروا حتى ذَلُّوا، وقُتِلوا حتى قَلُّوا . فلتكن الدنيا في أعينكم أصغرَ من حُثَالة القَرَظ وقُرَاضـة الجَلَم، واتّعِظُوا بمَن كان قبلكم قبـل أن يتّعِظ بكم مَن بعدكم، وارفضوها ذَمِيمةً، فإنها قد رَفضتْ مَن كان أشغفَ بها منكم .

خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية

خطب فقال : إن معاوية كان حَبْلا من حِبال الله، مدّه ماشاء أن يَمُدّه، ثم قطعه حينَ شاء أن يَقطعَه، وكان دُونَ مَن قَبْله وهو خيرٌ ممن بعده، [ولا أُزَكّيه[(١٠)] عند

(١) المقنب بكسر الميم : الجماعة من الخيل . (٢) يفرعه : يعلوه . وفى الأصل : «يترعه» وهو تحريف . (٣) كذا فى البيان والتبيين . وفى الأصل : «وليس المتجران تراهما ... الخ» وهو تحريف . (٤) الزيادة عن العقـد الفريد والبيان والتبيين وإعجاز القرآن . (٥) طامن من شخصه : خفض . (٦) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) وفى الأصل : «على حاله ...» . (٧) النادّ : النافر الذاهب على وجهه . (٨) منقمع : مستخفٍ . (٩) الزيادة مأخوذة من البيان والتبيين والعقـد الفريد وإعجاز القرآن للباقلانى . (١٠) الزيادة عن العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٣) .

ر به وقد صار اليه] فإن يعفُ عنه فبرحمته ، وإن يعاقبْه فبذنبه . وقد وَلِيتُ الأمرَ بعــده، ولستُ أعتذر من جَهْل ولا أشْــتغل بطلب علم (١) . وعلى رِسْلكم ! إذا كَرِهَ اللهُ أمرًا غيّره .

خطبة لعُتْبة بن أبي سُــفيان

أبو حاتم عن العُتْبِيّ قال : احتبستْ كُتُب معاويةَ حتى أَرْجَفَ (٢) أهلُ مصر بموته ثم ورد كتابه بسلامته ، فصعِد عتبةُ المنبر والكتابُ في يده فقال :

يا أهل مصرَ! قد طالت معاتبتُنا إياكم بأطراف الرِّماح وظُبَات السيوف حتى صِرْنا شَجًى في لَهَوَاتِكم ما تُسيغُنا حلوقُكم ، وأقذاءً في أعينُكم ما تَطْرِف عليها جفونُكم . فحين اشتدّت عُرَى الحق عليكم عَقْدًا ، واسترختْ عُقَدُ الباطل منكم حَلًّا ، أرجفتُم بالخليفة وأردتُم توهينَ السلطان ، وخُضتم الحقَّ إلى الباطل ، وأقدمُ عهدكم به حديثٌ ! فاربَحُوا أنفسكم إذ خسِرْتم دينَكم ، فهذا كتابُ أمير المؤمنين بالخبَر السارّ عنه والعهدِ القريب منه . واعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم ؛ فأصلِحوا لنا ما ظَهَر ، نَكِلْكُم إلى الله فيما بَطَن ؛ وأظهِروا خيرا وإن أسررتُم شرًّا ؛ فإنكم حاصــدون ما أنتم زارعون . وعلى الله نتوكّل وبه نستعين .

خطبة لعُتْبة أيضــا

وبهذا الإسناد أن عُتبة خطب أهلَ مصر حين هاجوا فقال :

يا أهل مصر ، خَفّ على ألسنتكم مدحُ الحق ولا تفعلونه ، وذمُّ البــاطل وأنتم تأتُونه ، كالحِمــار يَحْمِل أسفارا أثقله حَمْلُها ولم ينفعْه عِلْمُها . وإني والله لا أُداوي

---

(١) في العقد الفريد : «ولا آسى على طلب علم» . (٢) أرجف : خاض في الأخبار التي تحدث اضطرابا وفتنة .

أدواءكم بالسيف ما آكتفيت بالسَّوْط، ولا أبلغُ السوطَ ما كفتنى الدِّرَّة، ولا أُبطئ عن الأُولى إن لم تصلحوا عن الأُخرى[1] * ناجزا بنـاجز، ومَن حذّر كمن بشّر[2] * فدعوا قال ويقول من قبلِ أن يقال فعل ويفعل؛ فإن هذا اليوم الذى ليس[3] فيـه عِقَاب، ولا بعده عِتَاب .

خطبة لعبد الله بن الزّبير

خطب عبد الله بن الزُّبير حين قُتِل أخوه مُصْعَب فقال :

الحمد لله الذى يُعِزّ مَن يشاء ويُذِلّ مَن يشاء . إنه لن يذلّ مَن كان الحقُّ معه وإن كان فَرْدًا ، ولن يعزّ من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام . أتانا خبرٌ من قِبَل العراق أجزَعنا وأفرحنا : قتلُ مُصْعَب رحمه الله . فأما الذى أحزَننا من ذلك فإن لفراق الحميم لَذْعةً يجدها حميمُه عند المُصيبة به ثم يَرْعَوِى بعدها ذوُو الرأى الى جميل الصبر وكريم العزاء . وأما الذى أفرحنا من ذلك فعلمُنا أن قتله شهادةٌ، وأن ذلك لنا وله الخِيَرَة . ألا إن أهل العراق أهلَ الشقاق والنفاق باعوه بأقلّ ثمن كانوا يأخذونه به . إنا والله ما نموت حَبَجًا[4] ولا نموت إلا قتلا، قَعْصًا بالرماح تحتَ ظِلال السيوف، ليس كما تموت بنو مروان؛ والله إنْ قُتِل رجلٌ منهم فى جاهليّة ولا إسلام.

---

(١) كذا فى الأصل، ولعلها : «على الأخرى» .

(٢) هـذه الجملة التى بين النجمتين وردت فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) فى أثناء خطبة أخرى لعتبة . وفى العقد : «والله ما انطلقت بها ألسنتنا حتى عقدت عليها قلوبنا، ولا طلبناها منكم حتى بذلناها لكم ناجزا بناجز، ومن حذركمن بشر... » .

(٣) فى العقد الفريد : « قبله » .

(٤) الحبج : أن يأكل البعير لحاء العرفج فيرم بطنه سمنا وربما قتله ذلك . قال فى اللسان بعد أن ذكر كلام ابن الزبير : «يعرّض ببنى مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم فى ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة...» وقعصه (من باب قطع) : قتله مكانه .

ألا إنما الدنيا عَارِيةٌ من الملك الأعلى [الذى لا يَبِيدُ ذِكْرُه ولا يَذِلّ سلطانُه][1] فإن تُقبِل علىّ لا آخُذْها أخْذَ البَطِر الأَشِر، وإن تُدبر عنى لا أَبْكِ عليها بُكاءَ الخَرِف المُهْتَر[2].

ثم نزل.

خطبة زياد البتراء[3]

حدّثنى عبد الرحمن عن الأصمعىّ عن أبى بكر بن أبى عاصم ببعضها، وحدّثنى أبى عن الهيثم بن عَدِىّ، قال: لما قدم زيادٌ أميرا على البَصْرة فنظر إلى أبياتها، قال: رُبَّ فَرِحٍ بإمارتى لن تنفعه، [و] كارِهٍ لها لن تَضُرَّه؛ فدخل وعليه قَباء أبيض ورِداء صغير، فصعِد المنبر، فخطب الناسَ خطبة بتراء: لم يصلّ فيها على النبىّ صلى الله عليه وسلم، وكان أوّلَ من خطبها، ثم قال:

أما بعد، فقد قال معاوية ما قد علِمتم. وشهِدت الشهودُ بما قد سمِعتم، وإنما كنت امرأً حَفظ اللهُ منه ما ضَيّع الناسُ، ووَصَل ما قطعوا[4]. ألَا وإنا قد وَلِينا ووَلِيَنا الوالون، وسُسْنا وساسنا السائسون، وإنا وجدنا هذا الأمرَ لا يُصلحه إلا شدّةٌ فى غير عُنف، ولِينٌ فى غير ضعف. وأيمُ الله ما من كِذْبةٍ أكبرُ شاهدًا من كِذْبة إمام على منبر؛ فإذا سمعتموها منّى فاغتمزُوها فىّ، واعلموا أن عندى أمثالَها، وإذا رأيتمونى آمر

---

(١) الزيادة من العقد الفريد: (ج ٢ ص ١٨٣). (٢) الخرف: الذى فسد عقله من الكبر. والمهتر: من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن. وفى العقد الفريد: «بكاء الخرق المهين».

(٣) وردت هذه الخطبة فى النوادر لأبى على القالى (ص ١٨٥ — ١٨٦ طبع دار الكتب المصرية) كما هنا ولا تختلف إلا فى كلمات يسيرة. ووردت فى الكامل لابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٤ طبع ليدن سنة ١٨٦٨ م) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٣) بزيادات كثيرة عما هنا وبتقديم وتأخير فى بعض الجمل والكلمات. (٤) لم ترد هذه القطعة فى الخطبة البتراء فى مصدر آخر من المصادر التى بين أيدينا إلا فى النوادر لأبى على القالى. وقد وردت فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٤) فى خطبة أخرى لزياد.

فيكم بالأمر فأنفِــذوه على أَذْلاله[1] . وَأَيم الله إن لى فيكم لَصَرْعَى كثيرة ، فليحذَرْ كلّ آمرئ منكم أن يكون من صَرْعاى . وَأَيمُ الله لآخُذنّ البرىءَ بالسقيم ، والمطيــعَ بالعاصى ، والمقبلَ بالمدبر ، حتى تستقيمَ لى قَنَاتُكم ، وحتى يقولَ القائل : «أُنجُ سعد فقد قُتِل سُــعَيْد»[2] . فقام إليه عبدُ الله بن الأَهْتم التميمىّ[3] ، فقال : أيها الأمير ، أشهد أنك أُوتيتَ الحكمةَ وفصــلَ الخطاب ؛ فقال له : كَذَبتَ ، ذاك نبىّ الله داود . ثم قام اليــه الأحنفُ ، فقال : إنمــا المرءُ بجِــدّه ، والسيف بحَدّه ، والجواد بشدّه ؛ وقد بلّغك جِدُّك أيها الأمير ما ترى ؛ وإنمــا الحمدُ بعد البَلاء ، والثناءُ بعــد العطاء ، وإنا لا نُثْنِى حتى نَبْتلىَ . ثم قام اليــه مِرْداس بن أُدَيّة ، فقال : قد سمعنا مقالتك أيها الأمير ، وإنّ خليلَ الله إبراهيمَ عليــه السلام أَدّى عن الله غيرَ الذى أدّيتَه ، قال الله تعــالى : ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[4] ؛ وأنت تزعُم أنك تأخُذ البرىءَ

(١) على أذلاله : على طرقه ووجوهه . واحده ذل بكسر الذال ، وهو ما مهد من الطريق وذلل .

(٢) قال فى اللسان مادة « سعد » بعد أن ذكر هذا المثل : « هذا مثل سائر ؛ وأصله : أنه كان لضبة ابن أدّ ابنان : سعد وسعيد فخرجا يطلبان إبلالهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد ؛ فكان ضبة إذا رأى سوادا تحت الليل قال : سعد أم سعيد ! هذا أصل المثل ؛ فأخذ ذلك اللفظ منه وصار مما يتشاءم به ، وهو يضرب مثلا فى العناية بذى الرحم ، و يضرب فى الاستخبار عن الأمرين : الخير والشر أيهما وقع . وقال الجوهرىّ فى هــذا المكان : وفى المثل ، أسـعد أم سعيد إذا سئل عن الشىء أهو ممـا يحب أو يكره » .

(٣) كذا فى ابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٦ طبع ليدن والبيــان والتبيين والعقــد الفريد . وفى الأصــل : «نعيم بن الأهتم» وقــد آثرنا ما فى المصادر الأولى لأن الوقوف فى مثل هــذا الموقف يقتضى شجاعة وجرأة ، وفى عبد الله بن الأهتم منهما حظ موفور . أما نعيم بن عمرو بن الأهتم ، وعبد الله هذا عمه ، فكان كما يقول ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (ص ٤٠٢) : «فيه تأنيث ...» . وفى النوادر لأبى علىّ القالى : «صفوان بن الأهتم» وصفوان هذا ابن عبد الله بن الأهتم .

(٤) وردت هذه الجملة فى ابن الأثير والعقد الفريد والبيــان والتبيين والنوادر لأبى على القالى باختلاف عما هنا ونصها فى ابن الأثير : «فقام إليه أبو بلال مرداس بن أدية ، وهو من الخوارج ، وقال : أنبأنا الله بغير ما قلت ، قال الله تعالى : (وإبراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) الخ ...» .

بالسقيم ، والمطيعَ بالعاصى ، والمقبلَ بالمدبر؛ فقال له : أُسكت، فوالله ما أجِد الى ما أُريد سبيلًا، إلا أن أخوضَ اليه الباطلَ خوضا . ثم نزل .

وقال فى خطبة له أخرى[1] :

حَرَامٌ علىّ الطعامُ والشرابُ حتى أسوِّيَها بالأرض هَدْمًا وإحراقا . إيّاى ودَلَجَ الليل، فإنى لا أُوتَى بمُدلِجٍ إلا سَفَكتُ دمه، وإيّاىَ ودَعْوَى الجاهليّة، فإنى لا أجد أحدًا دعا بها إلا قطعتُ لسانَه . وقد أحدثتم أحداثا، وأحدثنا لكل ذنب عقوبة؛ فمن غَرّق قوما غَرّقته، ومن أحرق قوما أحرقتُه، ومن نَقَبَ بيتا نقبتُ عن قلبه ، ومَنْ نَبَش قبرًا دفنتُه فيه حيًّا؛ فكُفُّوا أيديكم وألسنتكم أَكُفَّ عنكم . وقد كانت بينى وبين أقوام منكم أشياءُ قد جعلتُها دَبْرَ أذنى وتحت قَدَمى ، فمن كان محسنًا فليزدَدْ، ومن كان مسيئا فلينزِعْ . إنّى لو علمتُ أنّ أحدكم قد قتله السُّلّ من بُغْضى لم أكشِف له قِناعا ولم أهتِكْ له سِتْرا ، حتى يُبدِىَ لى صَفْحتَه ، فإذا فعل ذلك لم أُناظره؛ فأعينوا على أنفسكم وأْتنفوا أمركم .

خطبة للحجاج حين دخل البصرة[2]

دخل وهو متقلِّدٌ سيفًا متنكِّبٌ قوسا عربية، فعلا المنبرَ فقال :

أنا ٱبنُ جَلَا وطلّاع الثَّنايَا * مَتَى أَضَعِ العِمامةَ تعرِفُونى

---

(١) هـذه الخطبة وردت فى المصادر المتقدمة، ما عدا النوادر لأبى علىّ القالى، فى ثنايا خطبته البتراء .   (٢) وردت هـذه الخطبة فى كثير من كتب الأدب والتاريخ كالكامل للمبرد (ص ٢١٥ طبع ليبسج) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ١٦٤) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٧) والكامل لابن الأثير (ج ٤ ص ٣٠٤ طبعة ليدن) مع بعض الاختلاف : بزيادة أو نقص أو تغير فى بعض الكلمات .

إن أمير المؤمنين نَكَبَ(١) عيـدانَه بين يديه ، فوجدنى أمرَّها عُوداً وأصْـلبَها مَكْسِرا ، فوجَّهنى إليكم . ألَا فوالله لأَعْصِبَنَّكم(٢) عَصْبَ السَّلَمة ، ولأَلْحُوَنَّكم لحوَ العُود ، ولأضرِبَنَّكم ضربَ غرائبِ الإبل(٣) ، حتى تستقيمَ لى قَنَاتُكم ، وحتى يقولَ القائل : "أُنْجُ سعدُ فقد قُتِل سُعَيْدُ"(٤) . ألَا وإيَّاى وهذه السُّقَفَاءَ(٥) والزَّرَافاتِ ، فإنِّى لا أُوتَى بأحدٍ من الجالسين فى زَرَافةٍ إلا ضربتُ عُنُقَه . هكذا حدّثنيه أحمد بن سـعيد عن أبى عُبَيْـد فى كتاب غَريب الحديث . وقال لى غيره : هو إيَّاىَ وهـذه الشُّفَعاءَ والزَّرَافات . وقد فسّرتُ الحديثَ فى كتابى المؤلَّف فى غريب الحديث .

خطبة للحجاج أيضا

أُرْجِفَ الناسُ بموت الحجّاج ، فخطب فقال :

إنّ طائفةً من أهل العراق ، أهل الشقاق والنفاق ، نَزَغَ الشيطانُ بينهم ، فقالوا : مات الحجاج ومات الحجاج ! فَمَهْ ! وهـل يرجو الحجّاج الخيرَ إلا بعـد الموت ! والله ما يسرُّنى ألّا أموتَ وأنّ لى الدنيا وما فيها ! وما رأيت اللهَ رضِىَ بالتخليد إلا لأهونِ خَلْقه عليه إبليس . ولقد دعا اللهَ العبدُ الصالحُ فقال : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) ، فأعطاه ذلك إلا البقاء . فما عسى أن يكون أيها الرجل !

(١) نكب عيدانه : طرحها . (٢) عصبه : قطعه . والسلمة : واحدة السلم ، وهو شجر من العضاه يتخذ منه القرظ الذى يدبغ به ، وهو شجر السنط . ولحا العود : قشره . (٣) كانت الإبل الغريبة إذا وردت مع إبل قوم ضربت وطردت . ضربه الحجاج مثلا فى التهديد والإنذار . (٤) تقدم شرحه فى خطبة زياد . (٥) فى اللسان مادة «سقف» : «وأما قول الحجاج : (إياى وهذه السقفاء) فلا يعرف ما هو ؛ وحكى ابن الأثير عن الزمخشرى قال : قيل وهو تصحيف ، قال : والصواب شفعاء جمع شفيع لأنهم كانوا يجتمعون إلى السلطان فيشفعون فى أصحاب الجرائم فنهاهم عن ذلك لأن كل واحد منهم يشفع للآخر كما نهاهم عن الاجتماع فى قوله : إياى وهذه الزرافات» . ومن هذا يعلم ما يرمى إليه المؤلف بالتعقيب بالرواية الثانية من التنبيه على الوجه الصحيح .

وكلكم ذلك الرجل! . كأنّى والله بكلّ حيٍّ منكم ميتًا، وبكل رطبٍ يابسًا، ونُقِل فى ثيابِ أكفانه إلى ثلاثِ أذرُعٍ طُولا فى ذِراعٍ عَرْضا، وأكلتِ الأرضُ لحمَه ومَصّتْ صديدَه، وانصرف الحبيبُ من ولده يَقْسِم الخبيثَ من ماله؛ إن الذين يعقلون يعلَمون ما أقول، ثم نزل .

خطبة أخرى للحجاج حين أراد الحج

خطب فقال: أيها الناس إنى أريد الحج، وقد استخلفت عليكم ابنى هذا، وأوصيتُه بخلاف ما أوصَى به رسولُ الله صلى الله عليه [وسلم] فى الأنصار؛ إن رسول الله أوصَى أن يُقبَلَ من مُحسنهم، وأن يُتجاوَزَ عن مُسيئهم، وإنى أمرتُه ألّا يَقبلَ من محسنكم ولا يتجاوزَ عن مسيئكم . ألَا وإنكم ستقولون بعدى مقالةً لا يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى، ستقولون بعدى: لا أحسَنَ اللهُ له الصَّحابة! ألَا وإنى مُعجِّلٌ لكم الجوابَ: لا أحسَنَ الله لكم الخلافة، ثم نزل .

خطبة للحجاج أيضا

خطب فقال فى خطبته: سَوْطى سيفى، فنِجادُه(١) فى عُنُقى، وقائمُه فى يدى، وذُبَابُه قِلادةٌ لمن اغترّ بى! فقال الحسن: بُؤْسًا لهذا! ما أغرّه بالله! .

وحلف(٢) رجل بالطلاق أن الحجاج فى النار، ثم أتى امرأتَه فمنعته نفسَها؛ فأتى ابنَ سيرين يستفتيه، فقال: يا ابن أخى، امضِ فكن مع أهلك، فإنّ الحجّاجَ إن لم يكن فى النار لم يَضُرَّك أن تزنى .

---

(١) نجاد السيف: حمائله . وقائمه مقبضه . وذبابه: طرفه الذى يضرب به .

(٢) فى الاصل: لحلف رجل ... .

خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه (١)

حدثنى أبو سَهْل عن إسحاق بن سليمان عن شُعَيب بن صَفْوان عن رجل من آل سَعيد بن العاص، قال :

كان آخر خطبةٍ خطب بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أَنْ حَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد، فإنكم لم تُخْلَقوا عَبَثًا، ولن تُتْركوا سُدًى، وإنّ لكم مَعادًا يَنْزِل اللهُ فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ؛ فخاب وخَسِر من خَرج من رحمة الله وحُرِمَ جنّـةً عَرْضُها السمواتُ والأرضُ . ألم تعلموا أنه لا يأمَن غدًا إلا من حَذِر اليومَ وخاف، وباع نافدًا (٢) بباق، وقليلًا بكثير، وخوفًا بأمان! ألا ترون أنكم فى أَسْلاب الهالكين، وستكون من بعدكم للباقين كذلك، حتى تُرَدّ (٣) الى خير الوارثين ! ثم إنكم فى كل يوم تُشـيِّعون غاديًا ورائحًا الى الله قد قَضَى نَحْبَـه ؛ حتى تُغيِّبوه فى صَـدْعٍ من الأرض فى بطن صَدْعٍ غير مُوَسَّد ولا مُمهَّد، قد فارَق الأحباب وباشرَ التراب وواجه الحسابَ، فهو مرتَهَنٌ بعمله، غَنِىٌّ عما ترك فقير الى ما قدم . فاتّقُوا اللهَ قبل انقضاء مَوَاقيته ونزولِ الموت بكم! أَمَا إنى أقول هـذا وما أعلم أنّ عنـد أحدٍ من الذنوب أكثرَ مما عندى، فأستغفرُ اللهَ وأتوبُ اليه . ثم رفع طَرَفَ ردائه على وجهه فبكى وأبكى من حوله .

خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد

خطب فذكر الله وجلالَه ثم قال : كنتَ كذلك ما شئتَ أن تكون ، لا يَعـلم كيف أنت إلا أنت، ثم ارتأيتَ أن تَخْلُقَ الخَلْق، فماذا جئتَ به من عجائب صُنْعك،

(١) وردت هـذه الخطبة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٠) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٥) بزيادة عما هنا . (٢) فى الأصل : «وباع ناقدا ...» بالقاف وهو تحريف . (٣) فى الأصل : «وسيكون ... حتى يرد ...» .

والكبير والصغير من خلقك ، والظاهر والباطن من ذَرْئك : من صُنوف أفواجه وأفراده وأزواجه ، كيف أدمجتَ قوائم الذَّرَّة والبَعُوضة إلى ما هو أعظمُ من ذلك من الأشباح التى امتزجتْ بالأرواح ! .

وخَطَب يوما فسقطتْ جَرادةٌ على ثوبه فقال : سبحانَ مَنِ الجرادةُ من خلقه ، أدمَجَ قوائمها ، وطوّقها جَناحها ، ووَشّى جلدَها ، وسَلّطها على ما هو أعظمُ منها .

خطبة للحجاج

خطب فقال : أيها الناس ، احفَظُوا فُروجكم ، وخُذوا الأنفس بضميرها ، فإنها أسوكُ[1] شيء إذا أُعطِيَتْ ، وأعصَى شيء إذا سُئلت . وإنى رأيت الصبر عن محَارمِ الله أيسَرَ من الصبر على عذاب الله .

خطبة سليمان بن عبد الملك

خطب فقال : إن الدار دارُ غُرورٍ ومنزلُ باطلٍ ، تُضحك باكيًا وتُبكى ضاحكا ، وتُخيف آمنا وتُؤمن خائفا ، وتُفقر مُثريا وتُثرى مُقْترا ، ميّالةٌ غرّارة لعّابة بأهلها ! عبادَ الله ! اتّخذوا كتاب الله إمامًا ، وارتضُوا به حَكَمًا ، واجعلوه لكم قائدا ، فإنه ناسخٌ لِمَا كان قبله ولم ينسَخْه كتابٌ بعده . اعلموا عبادَ الله أن هذا القرآن يجلو كَيْدَ الشيطان كما يجلو ضوءُ الصبح إذا تنفّس ، ظلامَ[2] الليل إذا عسعس .

(١) أسوك : أضعف ، من ساك الرجل اذا مشى مشيا ضعيفا .

(٢) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٤) ، وفى الأصل : « دبار الليل ... » . وتنفس الصبح : تبلج وأسفر . وعسعس الليل : أظلم .

خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد

حمد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : أيهــا الناس، والله ما خرجت أَشَرًا ولا بَطَرًا ولا حِرْصًا على الدنيا ولا رغبــةً فى الملك ، وما بى إطراءُ نفسى ، وإنى لظَلُومٌ لهــا إن لم يرحَمْنى الله، ولكن خرجت غَضَباً لله ودِينه، داعياً إلى الله وإلى سنّة نبيّه، لَمّــا هُدمت معالمُ الهدى، وأُطفئ نورُ أهلِ التقوى، وظَهَر الجبّار العَنيد، المستحِلُّ لكل حُرْمة، والراكبُ لكل بِدْعة، الكافرُ بيوم الحساب ، وإنه لابْنُ عَمّى فى النَّسَب وكَفِيئى فى الحَسَب ؛ فلمّا رأيتُ ذلك استخرتُ الله فى أمره وسألته ألّا يكِلَنى إلى نفسى، ودعوتُ إلى ذلك مَنْ أجابنى من أهل وِلايتى، حتى أراح الله منه العبــادَ، وطهّر منه البلاد، بحَوْله وقُوّته لا بحولى وقوّتى .

أيها الناس، إنّ لكم علىّ ألّا أضَعَ حَجَرًا على حجر، ولا لَبِنةً على لبنة، ولا أَكْرِى(١) نهرا، ولا أكنِزُ مالا ، ولا أُعطيه زوجًا ولا وَلَدًا ، ولا أنقُلُه من بلد إلى بلد حتى أسُدَّ ثغرَ ذلك البلد وخَصاصةَ أهله ، فإنْ فَضَل فضلٌ نقلتُه إلى البلد الذى يَلِيه . ولا أُجَمِّرَكم(٢) فى بُعُوثكم فأفتنَكم وأفتِنَ أهليــكم ، ولا أُغلِق بابى دونكم فيأكُلَ قويُّكم ضعيفَكم ، ولا أحمِلُ على أهل جِزْيتكم ما أُجْليهم به عن بلادهم وأقطَعُ به نَسْلَهم . ولكم علىّ إدرارُ العطاء فى كل سنة والرزقِ فى كل شهر، حتى يستوىَ بكم الحال فيكونَ أفضــلُكم كأدناكم . فإن أنا وَفَيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكانفة(٣) ، وإن لم أَفِ لكم [فلكم](٤) أن تخلعونى * إلا أن تستتيبونى(٥) ، فإن أنا تبت

---

(١) كرى النهر : حفره. (٢) تجمير العساكر: حبسهم فى بلاد العدو أو الثغور، دون أن يرجعوا الى أهليهم. وفى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) : «ولا أجمركم فى ثغوركم». (٣) المكانفة : المعاونة. (٤) التكملة منقولة من البيان والتبيين. (٥) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) وفى الأصل تستتيبونى، إن تبت ... .

قبلتم منى ، وإن عرفتم أحدا [يقوم مقامى ممن](١) يُعرف بالصلاح يُعطيكم من نفسه مثلَ الذى أعطيتُكم فأردتم أن تُبايعوه، فأنا أولُ مَنْ بايعه ودَخَل فى طاعته .

أيها الناس، إنه لا طاعةَ لمخلوقٍ فى معصية الخالق . وأقول قولى هذا وأستغفر الله العظيمَ لى ولكم .

فلما بُويع مَرْوانُ نَبَشَه وصَلَبه . وكانوا يقرءون فى الكتب : يامبذِّر الكنوز ويا سجّادًا بالأسحار، كانت ولايتُك لهم رحمةً وعليهم حجّةً، أخذوك فصَلَبوك .

خطبة أبى حمــزة الخارجىّ(٢)

خطب أبو حمزةَ الخارجىّ بمكة فذكر رسولَ الله صلى الله عليه [وسلم]، ثم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما بما هم أهله، ثم قال : ووَلِىَ عثمانُ فسار ستَّ سنين بسيرة صاحبيْه وكان دونهما، ثم سار فى الستّ الأواخر بما أحبط [به](٣) الأوائل، ثم مضى لسبيله . ووَلِىَ علىٌّ فلم يَبْلُغ من الحقّ قَصْدًا ولم يرفع [له](٣) مَنَارا، ثم مضى لسبيله . ثم وَلِى معاوية لَعِينُ رسولِ الله وابنُ لعينه، اتّخذ عبادَ الله خَوَلًا، ومالَ الله دُوَلًا، ودِينَه دَغَلا، ثم مضى لسبيله، فالعَنُوه لعنه الله. ثم ولِى يزيدُ بن معاوية، يزيد الخمور، ويزيد القُرود، ويزيد الفهود، الفاسقُ فى بَطْنه والمأبون فى فَرْجه . ثم اقتصَّهم خليفةً خليفةً . فلما انتهى الى عمر بن عبد العزيز أعرضَ عن ذكره ، ثم ذكر يزيدَ بنَ عبد الملك فقال : يأكلُ الحرامَ، ويلبس الحُلّة بألف دينار، قد ضُرِبَت فيها الأبشارُ، وهُتِكت الأستار، حَبَابةُ عن يمينه وسَلّامةُ عن يَساره تغنّيانه، حتى إذا أخذَ الشرابُ فيه كلَّ مأخذ قدّ ثوبَه ثم التفتَ الى إحداهما فقال : ألَا أَطِير! نعم! طِرْ الى النار. ثم ذكر أصحابه

(١) الزيادة منقولة من البيان والتبيين . (٢) وردت هذه الخطبة كاملة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦١) . (٣) الزيادة مأخوذة من البيان والتبيين .

فقال : شبابٌ واللهِ مُكتهلون فى شَبَابهم ، غَضيضةٌ عن الشر أعينُهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أرجلُهم ، أنضاءُ عبادة ، وأَطْلاح سَهر(١) ، ينظُرُ الله اليهم فى جوف الليل مُنْحنيةً أصلابُهم على أجزاء القرآن ، قد أكلت الأرض رُكَبَهم وأيديَهم وجِبَاهَهم ، واستقلُّوا ذلك فى جَنْب الله ، حتى إذا رأَوُا السِّهام قد فُوِّقَتْ ، والرماحَ قد أُشْرعتْ ، والسيوفَ قد انتُضِيتْ ، وأُرْعدت الكتيبةُ بصواعق الموت ، مضى الشابُّ منهم قُدُماً ، حتى اختلفت رجلاه على عُنُق فرسه ، وتخضّبتْ محاسنُ وجهه بالدماء . فأسرعت اليه سِباعُ الأرض وانحطَّتْ اليـه طيرُ السماء ، فكم من عيْنٍ فى مِنْقار طائرٍ طالمـا(٢) بَكَى صاحبُها فى جوف الليـل من خوف الله ! وكم من كفٍّ زَايَلَتْ مِعْصَمَها طالمـا اعتَمَد عليها صاحبُها فى جوف الليل بالسجود لله ! ثم قال : أَوْهِ أَوْهِ(٣) وبكى ثم نزل .

خطبة لقَطَرِىّ الخارجىّ(٤)

ذَكَر فيهـا الذين قالوا مَنْ أشدُّ منّا قوّةً ، فقال : حُمِلُوا الى قُبُورهم فلا يُدْعَوْنَ رُكْبانا ، وأُنْزِلوا فلا يُدعون ضِـيفانا ، وجعلوا لهم(٥) من الضَّريح أَجْنـانا(٦) ، ومن التراب أكفانا ، ومن الرُّفَات جِيرانا ؛ فهم جِيرةٌ لا يُجيبون داعيًا ولا يَمنعون ضَيما ، إن

---

(١) أنضاء : جمع نضو ، وهو الخفيف اللحم من التعب . وأطلاح : جمع طلح (بكسر الطاء) وهو المهزول . (٢) فى الأصل « طارما » وهو تحريف . والتصويب من البيان والتبيين والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٧) . (٣) أوّه : كلمة معناها التحزن . وفيها لغات وهى : آوّه (بالمد وسكون الهاء) وأوّه بضم الهاء، وآووه (بالمد وواوين) وأوه (بكسر الهاء) خفيفة وأوه (بفتح الهاء وسكون الواو فيها) وآه (بالمد وكسر الهاء) . (انظر اللسان مادة أوه) . (٤) وردت هذه الخطبة كاملة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٣) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) . (٥) فى البيان والتبيين والعقد الفريد « وجعل لهم ... أجنان » ولعل روايتهما أكثر استقامة . (٦) أجنان : جمع جنن ، والجنن (بالتحريك) : القبر .

أَخْصَبوا لم يفرحوا، أو أَقْحَطوا لم يَقْنَطوا، جميعٌ أوحادٌ، وجيرةٌ أَبْعاد، لا يَزُورون ولا يُزارون . فاحذَرُوا ما حَذّركم الله، وانتفِعوا بمَوَاعظه واعتصِموا بحبله .

وفى خطبة ليوسف بن عمر :

اتقوا اللهَ عبادَ الله ! فكم من مُؤَمِّلٍ أملًا لايبلُغه، وجامعِ مالًا لا يأكله، ومانعٍ ماسوف يَتركُه، ولعله من باطلٍ جَمَعَه، ومن حقٍّ مَنَعَه، أصابه حرامًا ووَرِّثَه عدوًا، احتمل إِصْرَه[1] وبَاءَ بوِزْره، ووَرَد على ربّه آسفًا لاهِفًا، قد خَسِر الدنيا والآخرةَ، ذلك هو الخُسْرانُ المبين .

وفى خطبة للحجاج :

قال مالك بن دينار: سمعته على المنبر يقول: امرأً[2] زوّر عمله امرأً حاسَبَ نفسَه، امرأً فكّر فيما يقرؤُه فى صحيفته ويراه فى ميزانه، امرأً كان عند هواه[3] زاجرا، وعند همّه آمرا، أخذ بعنان قلبه كما يأخُذ[4] بخِطام جمَلَه، فإن قاده الى طاعة الله تَبِعه، وإن قاده الى مَعْصية الله كفَّه .

خطبـــة للمنصـــور

خطب المنصور بمكة فقال : أيها الناس، إنما أنا سلطانُ الله فى أرضه، أسوسُكم بتوفيقه وتَسْديده وتأييده وتَبْصيره، وخازنُه على فَيْئه أعمَلُ فيه بمشيئته،[5] وأَقْسِمه بإرادته، وأُعطيه بإذنه . قد جَعَلَنى عليه قُفْلا اذا شاء أن يفتَحَنى لإعطائكم وقَسْم أرزاقكم فتحنى، واذا شاء أن يُقفِلنى عليها أقفلنى . فارغَبُوا الى الله وآسألوه

(١) الإصر : الثقل . (٢) فى العقد «آمرؤ...» بالرفع . وزوّر عمله : حسنه . (٣) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٦) وفى الأصل «عند قلبه...» . (٤) كذا فى العقد الفريد وفى الأصل : «بعنان عمله ...» . (٥) كذا فى العقد الفريد، وفى الأصل : «بشيته ...» .

فى هذا اليوم الشريف الذى وَهَبَ لكم فيه من فَضْله ما أعلمكم فى كتابه؛ اذ يقول: (اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) أن يُوَفِّقنى للصّواب والرشاد. ويُلهِمَنى الرأفةَ بكم والإحسانَ إليكم. ويَفْتَحَنى لإعطائكم وقَسْم أرزاقكم بالعَدْلِ عليكم.

خطبة لداود بن علىّ

خطب فقال: أحرزَ لسانٌ رأسَه، اتّعظ آمرؤٌ بغيره، اعتبرَ عاقلٌ قبل أن يُعْتَبَرَ به، فأمسكَ الفَضْلَ من قوله وقدّم الفضــلَ من عمله. ثم أخذ بقائم سيفه فقال: إن بكم داءً هذا دواؤُه، وأنا زعيمٌ لكم بشِفائه، وما بعد الوعيد إلّا الإيقاع.

خطبة لداود بن علىّ أيضا

لمـا قام أبو العبّاس فى أوّل خلافته على المنبر قام بوجهٍ كورقة المصحف فاستَحْيا فلم يتكلّم، فنهَض داودُ بن علىّ حتّى صَــعِد المنبرَ؛ فقال المنصور: فقلت فى شيخنا وكبيرِنا ويدعو إلى نفسه فلا يختلف عليــه آثنان، فانتضَيْتُ سيفى وغطّيت ثوبى وقلتُ: إن فَعَلَ ناجزتُه؛ فلما رَقِىَ عَتَباً استقبل الناسَ بوجهه دون أبى العباس، ثم قال: أيهــا الناس، إن أميرَ المؤمنين يَكْرَه أن يتقدّم قولُه فعلَه. ولَأَثَرُ الفعالِ عليكم أجْدَى من تَشْقيق المَقال[١]، وحســبكُم بكتاب الله مُمْتثَلًا فيكم. وآبنِ عمّ رســولِ الله خليفةً عليكم. والله قَسَماً بَرًّا لا أُريد إلّا اللهَ به ما قام هــذا المقامَ أحدٌ بعد رســول الله أحقُّ به من علىّ بن أبى طـالب وأميرِ المؤمنين هــذا. فليَظُنّ ظانُّكم وليَهْمِس هامسُكم. قال أبو جعفر: ثم نزل وشِمْتُ[٢] سيفى.

---

(١) تشقيق الكلام: إخراجه أحسن مخرج. (٢) شام سيفه: أغمده، ويستعمل بمعنى سلّ أيضا.

خطبة لأعرابىّ (١)

أمّا بعد، فإن الدنيا دارُ بَلاء والآخرةَ دارُ بقاء، فخُذُوا أيها الناس لِمَقرّكم من مَمَرّكم، ولا تَهْتِكوا أستارَكم عند من لا يَخْفَى عليه أسرارُكم، ففى الدنيا أُحيِيتم ولغيرها خُلقتم. أقول قولى هذا، والمستغفَرُ الله، والمدعوُّ له الخليفةُ ثم الأميرُ جعفر بن سليمان.

خطبة المأمون يوم الجمعة

الحمد لله مستخلِصِ الحمدِ لنفسه، ومستوجِبه على خَلْقه؛ أحمَدُه وأستعينُه وأُومن به وأتوكّل عليه، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهد أنّ محمّدًا عبدُه ورسولُه، أرسله بالهُدَى ودِينِ الحقّ ليُظهِرَه على الدِّينِ كلّه ولو كَرِهَ المُشركون. أُوصيكم عِبادَ الله بتقوى الله وحدَه، والعمل لما عنده، والتنجُّز لوعده، والخوف لوعيده؛ فإنه لا يسلَم إلا من اتّقاه ورَجاه، وعَمِل له وأرْضاه. فاتّقوا اللهَ عبادَ الله وبادِرُوا آجالَكم بأعمالكم، وٱبتاعُوا ما يبقَى بما يزولُ عنكم، وترحّلوا فقد جُدَّ بكم، واستعِدُّوا للموت فقد أظلّكم، وكُونوا قومًا صِيحَ بهم فٱنتبهُوا، وعلِموا أنّ الدنيا ليستْ لهم بدار فٱستَبْدلوا؛ فإنّ الله لم يخلُقْكم عبثًا ولم يترُكْكم سُدًى، وما بين أحدِكم وبين الجنّة والنار إلا الموتُ أنْ يَنزِلَ به. وإنّ غايةً تنقصُها اللحظةُ وتَهدِمها الساعةُ الواحدةُ لجديرةٌ بقِصَر المُدّة، وإنّ غائبًا يحدُوه الجديدانِ الليلُ والنهارُ لَحَرِىٌّ بسُرعة الأَوْبة، وإنّ قادمًا يحُلّ بالفوز أو بالشِّقْوة لمستحِقٌّ لأفضل العُدّة، فاتّقى عبدٌ ربَّه، ونَصَحَ نفسَه، وقدّم توبتَه، وغلَب شهوتَه، فإنّ أجلَه مستورٌ عنه، وأملَه خادعٌ له، والشيطانُ مُوكَّلٌ به: يُزَيّنُ له المعصيةَ ليركبَها، ويُمَنِّيه التوبةَ ليُسَوِّفها، حتى تَهجُمَ

---

(١) وردت هذه الخطبة فى الأمالى لأبى علىّ القالى (ج ١ ص ٢٥٤ طبع دار الكتب المصرية) بزيادة عما فى الأصل هنا. (٢) كذا فى العقد الفريد (ج٢ ص ١٨٠). وفى الأصل: «جديرة».

عليه منيّتُه أغفلَ ما يكون عنها . فيالها حسرةً على ذى غَفْلة : أن يكون عمرُه عليه حُجّةً ، أو تؤدِّيَه أيامُه إلى شِقْوة ! نسألُ الله أن يجعلَنا وإيّاكم ممن لا تُبطره نعمة ، ولا تُقَصِّربه عن طاعته غَفْلة ، ولا تَحُلّ به بعد الموت فَزْعة (١) ، إنه سميع الدعاء ، وبيده الخيرُ ، وإنه فعّالٌ لمـا يُريد .

وفى خطبة المأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأوّل :

إنّ يومكم هـذا يومٌ أبانَ الله فضلَه ، وأوجبَ تشريفَه ، وعَظّم حُرْمته ، ووَفّق له من خَلقه صفوتَه ، وابتَلَى فيـه خليلَه ، وفَدَى فيـه من الذَّبْح نبيَّه ، وجعله خاتمَ الأيامِ المعلومات من العَشْر ، ومتقدِّم الأيام المعدودات من النَّفْر ؛ يومٌ حرامٌ من أيّام عِظام فى شهرٍ حَرَام ، يومُ الحجِّ الأكبر ، يومٌ دعا اللهُ الى مَشْهَده ، ونَزَل القرآنُ بتعظيمه ، قال الله جلّ وعزّ : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) الآيات ؛ فتقرّبوا الى الله فى هـذا اليوم بذبائحكم ، وعَظِّموا شعائرَالله واجعلوها من طَيِّب أموالكم وبصحّة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : (لَنْ يَنَـالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) ، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبيّ والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد ذكر الجنـة والنار : عَظُمَ قدرُ الدارين وارتفع جزاءُ العملين (٢) وطالت مدّة الفريقين اللهَ اللهَ ! فوالله إنه الجِـدُّ لا اللّعِبُ ، وإنه الحقُّ لا الكذب ، وما هو إلا الموت والبَعْث والميزان والحساب والقِصَاص والصِّراط ثم العقاب والثَّواب ، فمن نجَا يومئذٍ فقـد فاز ، ومن هَوَى يومئذ فقـد خاب . الخيرُ كلّه فى الجنّـة ، والشرُّ كله فى النـار .

(١) كذا بالعقد الفريد ، وفى الأصل « سرعة » .

(٢) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) والمراد بالعملين عمل الخير وعمل الشر . وفى الأصل : «العاملين» .

وفى خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأوّل :

إنّ يومكم هذا يومُ عيدٍ وسُنَّة وابتهال ورغبة . يومٌ خَتَم الله به صيامَ شهر رمضان وافتتح به حَجَّ بيته الحَرَام ، فجعله خاتمةَ الشهر وأوّلَ أيام شهور الحجّ ، وجعله مُعقِّبا لمفروض صيامكم ومُتنفَّلِ قيامكم ، أحلَّ فيه الطعامَ لكم وحَرَّم فيه الصيامَ عليكم ؛ فاطلبوا إلى الله حوائجَكم واستغفروه لتفريطكم ، فإنه يُقال : لا كبيرَ مع استغفار ، ولا صغير مع إصرار . ثم التكبير والتحميد وذكر النبىّ عليه السلام والوصية بالتقوى . ثم قال : فاتقوا الله عبادَ الله وبادروا الأمرَ الذى اعتدَل فيه يقينكم ، ولم يحتضر(١) الشكُّ فيه أحدًا منكم ، وهو الموت المكتوبُ عليكم ، فإنه لا تُستقالُ بعده عثرةٌ ، ولا تُحْظَر قبله توبة . واعلموا أنه لا شىءَ قبله إلا دونَه ولا شىءَ بعده إلا فوقَه . ولا يُعين على جَزَعه وعَلَزه(٢) وكُرَبه ، ولا يُعين على القبر وظُلْمته وضيقه ووَحْشته وهَوْل مَطْلَعه ومسألة ملائكته ، إلا العملُ الصالحُ الذى أمر الله به . فمن زَلَّتْ عند الموت قَدَمُه ، فقد ظهرت ندامتُه ، وفاتته استقالتُه ، ودعا من الرَّجْعة إلى ما لا يجابُ إليه ، وبذَل من الفِدْية ما لا يُقْبَلُ منه . فالله اللهَ عبادَ الله ! وكونوا قوماً سألوا الرَّجْعة فأُعْطُوها إذ مُنِعَهَا الذين طَلَبوها ؛ فإنه ليس يتمنَّى المتقدّمون قبلكم إلا هذا المَهلَ(٣) المبسوطَ لكم . واحذَرُوا ما حَذَّركم الله ، واتَّقوا اليومَ الذى يجمعُكم الله فيه لوَضْع مَوَازينكم ، ونَشْر صُحُفكم الحافظةِ لأعمالكم . فلينظُرْ عبدٌ ما يَضَعُ فى ميزانه ممايثقل به ، وما يُمِلُّ(٤) فى صحيفته الحافظةِ لما عليه وله ؛ فقد حَكَى الله لكم ما قال المفرِّطون عندها إذ طال إعراضُهم عنها ، قال : ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ الآية . وقال : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾ . ولستُ أنهاكم عن الدنيا بأعظمَ مما نهتكم

(١) احتضر : مثل حضر . (٢) العلز بالتحريك : ما يصيب المريض عند حشرجة الموت من رعدة واضطراب . (٣) فى العقد الفريد : «الأجل» . (٤) يُمِلّ : يملى .

الدنيا عن نفسها ، فإنه كلُّ مالها ينهى عنها ، وكل مافيها يدعو الى غيرها . وأعظمُ مما رأته أعينكم من عجائبها ذمُّ كتاب الله لها ونَهْيُ الله عنها ، فإنه يقول : (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ) وقال : (إِنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) الآية . فانتفعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها . واعلَموا أنّ قوما من عباد الله أدركتْهم عِصمةُ الله فحـذِروا مَصَارِعَها ، وجانَبوا خدائعها ، وآثروا طاعةَ الله فيها . فأدركوا الجنّة بمـا تركوا منها .

كلام مَنْ أُرتِجَ عليه

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال حدّثنا عيسى بن عمر قال : خَطَب أميرٌ مرّةً فانقطع فخجل ، فبعث الى قومٍ من القبائل عابوا ذلك ولَفَّهم[(١)]، وفيهم يَرْبوعيٌّ جَلْد ، فقال : اخطُبوا ، فقام واحدٌ مَرّ فى الخطبة ، حتى اذا بلغ "أما بعد" قال : أما بعد أما بعد ، ولم يدرِ ما يقول ، ثم قال : فإنّ امرأتى طالقٌ ثلاثاً ، لم أُرِد أن أجمع اليوم فمنعتنى . وخطب آخر ، فلما بلغ "أما بعد" بَقِىَ ونَظَرَ فإذا إنسان ينظر اليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا فيه وتَلْمَحنى ببصرك أيضا ! . قال وقال أحدهم[(٢)] : رأيتُ القَرَاقيرَ[(٣)] من السُّفُن تجرى بينى وبين النـاس . قال : وصَعِد اليربوعيُّ فخطب فقال : أمّا بعدُ فوالله ما أدرى ما أقولُ ولا فِيمَ أقمتمونى . أقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل فى الزيت ؛ فقال : الزيتُ مباركٌ ، فكُلُوا منه وآدّهِنوا . قال : فهو قولُ الشُّطّار[(٤)] اليوم اذا قيل : لم فعلت ذا ، فقل فى شأن الزيت وفى حال الزيت .

ولـمـا أتى يزيدُ بن أبى سُفْيان الشأم واليًا لأبى بكر رضى الله عنه ، خطب فأُرتِج عليه ، فعاد الى الحمد لله فأُرتِج عليه ، فعاد الى الحمد لله ثم أرتج عليه ، فقال : يا أهل

(١) لفهم : جمعهم . (٢) فى الأصل : «أحدهما» . (٣) القراقير : السفن العظيمة ، واحدها قرقور . (٤) الشطار : جمع شاطر ، وهو من أعيا أهله خبثا ، والمراد بالشطار هنا : أهل الدعارة والفتك وأصحاب النوادر والتنكيت والمضحكات .

الشأم عسى الله أن يجعل من بعد عُسْرٍ يُسرا، ومن بعد عِيٍّ بيانا، وأنتم الى إمامٍ عادل[(١)] أحوجُ منكم الى إمام قائل . ثم نزل . فبلغ ذلك عمرَو بن العاص فاستحسنه .

صعِد ثابتُ قُطْنَةَ[(٢)] منبرًا بسِجِسْتان فحمِد الله ثم أُرتِج عليه، فنزل وهو يقول :

فإلّا أكُنْ فيكم خطيبًا فإنّني ** بسيفى اذا جَدّ الوَغَى لخطيبُ

فقيل له : لو قلتَها على المنبر كنتَ أخطبَ الناس .

وأُرتِج على عبد الله بن عامر بالبَصْرة يومَ أَضْحَى، فمَكَث ساعةً ثم قال : والله لا أجمعُ عليكم عِيًّا ولُؤْمًا، من أخَذَ شاةً من السُّوق فهى له وثمنُها علىّ .

وأُرتِج على خالد بن عبد الله القَسْرىّ فقال : إن هذا الكلامَ يجىء أحيانًا ويعزُبُ أحيانا، وربما طُلِب فأَبَى، وكُوبِرَ فعسا[(٣)]، فالتأنّى لمجيّه، أيسرُ من التّعاطى لأبيّه؛ وقد يَختلِط من الجرىء جَنانُه، وينقطعُ من الذَّرِب لسانُه، فلا يُبْطِره ذلك ولا يَكْسِره؛ وسأعودُ إن شاء الله .

وأُرتِج على مَعن بن زائدة فضرب المنبر برجله ثم قال : «فتًى حُروبٍ لا فتًى منابر» .

وكان عبد ربّه اليَشْكُرِىّ عاملًا لعيسى بن موسى على المدائن، فصعِد المنبر فحمِد الله وأُرتِج عليه فسكت، ثم قال : والله إنى لأكون فى بيتى فتجىءُ على لسانى ألفُ كلمة، فاذا قمتُ على أعوادكم هذه جاء الشيطانُ فمحاها من صَدْرى، ولقد كنتُ وما فى الأيّام يومٌ أحبُّ الىّ من يوم الجمعة، فصِرْتُ وما فى الأيام يومٌ أبغضُ الىّ من يوم الجمعة، وما ذلك إلّا لخطبتكم هذه .

---

(١) فى المصادر التى بين أيدينا : «الى أمير فاعل ...» . (٢) قطنة لقب ثابت هذا لقب به لأن عينه أصيبت بسمرقند، فكان يحشوها بالقطن . وصحت اضافة ثابت الى قطنة لأن الأسماء تصح اضافتها الى ألقابها . (٣) عسا : اشتد وصعب .

صَعِدَ رَوْح بن حاتم المنبرَ، فلما رأى جَمْعَ الناس حَصِر، فقال : نَكِّسوا رءوسَكم وغُضُّوا أبصارَكم، فإنّ أوّلَ مَرْكَبٍ صَعْبٌ، وإذا يَسّر الله فَتْحَ قُفْلٍ تَيسّر .

ودُعِي رجلٌ ليخطب فى نكاح فحَصِر، فقال : لَقِّنوا موتاكم شهادةَ أنْ لا إله إلا الله، فقالت آمرأةٌ حضرتْ : ألهذا دعوناك ! أماتك الله ! .

قال عُبَيد الله بن زِياد : نِعْمَ الشيءُ الإمارةُ لولا قعقعةُ البريد والتشرُّف للخُطَب .

قيل لعبد الملك : عَجِّلَ عليك الشَّيبُ، فقال : كيف لا يُعجِّل عليّ وأنا أعرِض عقلى على الناس فى كل جمعة مَرّةً أو مرتين .

ووَلِيَ رجلٌ من بنى هاشم يُعرَف بالدَّنْدان بحرَ اليمامة، فلمّا صعد المنبر أُرْتِج عليه، فقال : حيّا الله هذه الوجوهَ وجعلنى فِداءَها، إنّى قد أَمرتُ طائفى بالليل ألّا يرى أحدًا إلا أتانى به وإن كنت أنا هو[1]، ثم نزل .

المنـــابر

قال بعض المفسّرين فى قول الله جلّ وعزّ ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ إنّه المنبر، وقال الشـاعر :

لنا المساجدُ نَبْنِيها ونَعْمُرُها * وفى المنابر قَعْداتٌ لنا ذُلُلُ
فلا تَقيـلُ علينا حين نَركَبُها * ولا لهنّ لنا من مَعْشرٍ بَدَلُ

وقال الكُمَيْت يذكر بنى أُميّة :

نَصِيبٌ على الأعوادِ يومَ رُكُوبِه * لِمَا قال فيها، مُخطِئٌ حين يَنزِلُ
يُشَبِّهُها الأشبـاهَ وهى نَصِيبُه[2] * له مَشْرَبٌ منهـا حرامٌ ومأكَلُ

(١) كذا فى الأصل والعقد الفريد، وقواعد اللغة تقتضى أن يكون : «ولو كنت أنا إياه» .
(٢) نصيبه للدنيا .

وقال بعض المُحْدَثين

فيامنبرٌ دنَّسته بِآستِ "أفكلٍ" * بِزَاكِ ولو طهّرته بابنِ "طاهرٍ"

ومن الأُقَيْشِر بمَطَر بن نَاجِية اليربوعيّ حين غَلَبَ على الكُوفة فى أيام الضَّحَّاك ابن قيس الشَّارِى ومَطَرٌ يخطُبُ، فقال :

أبنى تَمِيمٍ ما لمنبرِ مُلككم * لا يستقِرّ قعودُه يتَمرْمَرُ(١)

إنّ المنابرَ أنكرتْ أشباهَكم(٢) * فادعُوا خُزَيْمةَ يستقِرِّ المنبرُ

خلعُوا أميرَ المؤمنين وبايعُوا * مَطَرًا لعمرُك بَيْعةً لا تطْهرُ

وآستخلفوا مطرًا فكان كقائلٍ * بَدَلٌ لعمرُك من أُمَيَّة أعورُ

خَطَب قُتَيْبة بن مُسْلم على منبر خُرَاسان فسَقَط القضِيبُ من يده، فتفاءل له عدوّه بالشرّ وآغتمّ صديقُه، فعرَف ذلك قُتَيبة فقال : ليس الأمرُ على ما ظنّ العدوّ وخاف الصديقُ، ولكنه كما قال الشاعر :

فألقتْ عصَاها واستقرّ بها النّوَى * كما قرّ عيْنًا بالإياب المُسافرُ

وقال واثلةُ بن خَليفة السَّدُوسىّ يهجو عبد الملك بن المُهلَّب :

لقد صَبَرَتْ للذُّلّ أعوادُ منبرٍ * تقوم عليها فى يديك قضيبُ

بكى المنبرُ الغربىُّ إذ قُمْتَ فوقَه * وكادت مساميرُ الحديد تذوبُ

تمّ كتاب العلم وهو الكتاب الخامس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله، و يتلوه فى الكتاب السادس كتاب الزهد .

والحمد لله رب العالمين، وصلاته على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

---

(١) يتمرمر : يتحرك .

(٢) فى الشعر والشعراء للمؤلف (ص ٣٥٣) «أنكرت أستاهكم» .

صورة ماكتبه الناسخ بخطه فى آخر النسخة الفتوغرافية

كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرىّ، وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

قال بعضهم : بُنِي الإســلامُ على خمسة : التواضــع عند الدولة، والعفو عند القدرة، والسخاء مع القِلّة، والعطيّة من غير مِنّة، والنصيحة للعامّة .

وقال بعض الشعراء فى الصبر :

وإذا ابتُليتَ بمِحْنةٍ فالبس لهـا * ثوبَ السكوتِ فإنّ ذلك أسلمُ
لا تشكوَنّ إلى العباد فإنما * تشكو الرحيمَ إلى الذى لا يَرْحَمُ

ويُرْوَى للشافعىّ رضى الله عنه :

نَعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا * وما لزمانِنــا عيبٌ سوانا
وقد نهجُو الزمانَ بغيرِ جُرْمٍ * ولو نطق الزمانُ بنا هجانا
فدُنْيانا التصــنُّعُ والترائى * ونحن به نُخادع من يرانا
وليس الذئبُ يأكلُ لحمَ ذئبٍ * ويأكلُ بعضُنا بعضًا عيانا

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الزهد

[ما] أوحى الله جلّ وعزّ الى أنبيائه عليهم السلام

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنا خَلَف بن تَميم عن أبى عِصْمة الشامىّ[1] عن ابن اخت وهب بن منبّه عن وهب قال : أوحَى الله الى نبىّ من أنبياء بنى إسرائيل يقال له "أرْمِياء" حين ظهرت فيهم المعاصى : أن قم بين ظَهْرانَىْ قومك فأخبرهم أنّ لهم قلوبا ولا يفقهون، وأعينا ولا يبصرون، وآذانا ولا يسمعون، وأنّى تذكّرتُ صلاحَ آبائهم ، فعطّفنى ذلك على أبنائهم ، سلهم كيف وجدوا غِبَّ طاعتى ، وهل سعِد أحدٌ ممن عصانى بمعصيتى، وهل شقِى أحدٌ ممن أطاعنى بطاعتى! إنّ الدوابَّ تذكُرُ أوطانَها فتنزِعُ إليها . وإنّ هؤلاء القوم تركوا الأمر الذى أكرمتُ عليه آباءهم ، والتمسوا الكرامةَ من غير وجهها . أما أحبارهم فأنكروا حقّى ، وأما قرّاؤهم

(١) لم نعثر على هذا الاسم فى كتب التراجم التى بين أيدينا . وإنما الموجود بها عصمة بن راشد الأملوكى (بضم الهمزة واللام وسكون الميم بينهما) شامىّ مجهول يروى عن بعض التابعين كحبيب ابن عبيد ، ويوجد بها أيضا أبو عصمة وهو نوح بن مريم الجامع أحد رواة المغازى وممن يذكر بوضع الحديث ، ولكنه مروزىّ وليس بشامى (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى فى اسم عصمة واسم نوح بن أبى مريم) .

فعبدوا غيرى ؛ وأمّا نُسّاكهم فلم ينتفعوا بما عُلِّمُوا من حكمتى ؛ وأمّا وُلاتهم فكذَبوا علىّ وكذَّبوا رسلى ، خزنوا المكر فى قلوبهـم ، وعوّدوا الكذبَ ألسـنتَهم ؛ وإنى أُقسم بجـلالى وعزتى لأُهيِّجنّ عليهـم جنودا لا يفقهون ألسـنتهم ، ولا يعرفون وجوههـم ، ولا يرحمون بكاءهم ؛ ولأبتعثنَّ فيـهم ملكا جبّارا قاسـيا ، له عساكر كقِطَع السـحاب ، ومواكبُ كأمثـال العَجاج ، كأنّ خَفَقانَ راياته طَيَرانُ النسور ؛ وكأنّ حمـلَ فُرسانه كرُّ العِقبان ، يعيـدون العُمران خرابا ، ويتركون القُرى وحشةً . فياويلَ إيلياء[1] وسُكانها ! كيف أُذلّلهم للقتل ، وأُسلّطُ عليهم السِّباء ، وأُعيدُ بعد لجَبِ الأعراس صُراخَ الهامِ ، وبعد صهيل الخيل عُواءَ الذئاب ، وبعد شُرفات القصور مساكنَ السباع ، وبعد ضوءِ السُّرُجِ رَهَجَ العَجاج . ولأبدلنّ رجالهم بتلاوة الكتاب انتهـارَ الأرباب ، وبالعـزّ الذلَّ ، وبالنعمة العبوديّةَ . ولأبدلنّ نساءهم بالطِّيب الترابَ ، وبالمشى على الزرابىّ الخَبَبَ[2] ؛ ولأجعلنّ أجسـادَهم زبلا للأرض ، وعظامَهم ضاحيـةً للشمس . وفى رواية أخرى : ولأدوسـنّهم بألوان العذاب ، حتى لو كان الكائنُ خاتَما فى يمينى لوصَلت الحربُ اليـه ؛ ثم لآمرنّ السماءَ فلتكوننّ طبَقا من حديد ، والأرضَ فلتكوننّ سبيكة من نحاس . فإن أمطرت السماءُ وأنبتت الأرضُ شيئا فى خلال ذلك فبرحمتى للبهائم ، ثم أحبسه فى زمن الزرع وأُرسـله فى زمن الحصاد ، فإن زرعوا خلال ذلك شيئا سلّطتُ عليـه الآفةَ ، فإن خلَص منـه شىء نزعتُ منه البركةَ ، فإن دعَوْنى لم أُجبهم ، وإن سألوا لم أعطِهم ، وإن بكَوْا لم أرحمهم ، وإن تضرّعوا صرفتُ وجهى عنهم .

(١) إيلياء : مدينة بيت المقدس . (٢) الزرابىّ : البسط . والخبب (بوزان عنب) : الخلق من الثياب .

حدّثنى عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب: أنّ الله عزّ وجلّ أوحى الى موسى بن مَنَشّى[1] بن يوسف أن قُل لقومك : إنى برىء ممن سَحَر أو سُحِر له، أو تكهّن أو تُكُهِّن له، أو تَطَيَّر أو تُطُيِّر له، من آمن بى صادقا فليتوكّل علىّ صادقا، فكفى بى مثيبا؛ ومن عدل عنّى[2] ووثق بغيرى[3] فإنى خير شريك أردّ عليه ما توسّل به إلىّ، وأكِلُه الى من توكل عليه؛ ومن وكّلته الى غيرى فليستعدّ للفتنة والبلاء .

وحدثنى بهذا الإسناد قال : أوحى الله الى داود عليه السلام فى الزَّبور : ياعبدى الشكور! إنى قد وهبتُ لك الزبور، وأتبعتُه بنصح منّى من أعين السطور، ومن الوحى المحفوظ المحجوب من وراء الستور، فاعبدْنى به فى الأيام والليالى والشهور؛ وأحببْنى من كلّ قلبك، وحبّبْنى الى خَلْقى، وأبغِضْ من عبادى كلّ منافقٍ جهول . قال : يارَبّ، كيف أُحَبِّبُكَ الى خلقك؟ قال : تذكّرهم آلائى .

وبهذا الإسناد قال : أنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة، وكانت صُحُفه أمثالا وعِبَرا وتسبيحا وتمجيدا وتهليلا. فكان فيها : أيها الملك المسلَّط المغرور المبتَلَى . إنى لم أبعثك لتجمعَ الدنيا بعضَها على بعض ولتبنىَ المدائنَ والحصونَ، ولكن بعثتك لتَرُدَّ عنى دعوةَ المظلوم، فإنى لا أردّها ولو كانت من كافر .

وبهذا الإسناد أن الله تعالى قال لشَعْيا : قم فى قومك أُوحِ على لسانك، فلما قام شَعْيا أنطق اللهُ لسانَه بالوحى، فقال: ياسماءُ استمعى، يا أرضُ أنصتى، فأنصتت الأرضُ واستمعت السماءُ، فقال : إن الله يقول لكم : إنى استقبلتُ بنى إسرائيلَ

---

(١) فى الأصل : « ميشا » وهو تحريف والتصويب عن التوراة (سفر التكوين ٥١ : ١ ؛ طبع بيروت . (٢) كذا فى قصص الأنبياء لأبى اسحاق الثعلبى طبع المطبعة البهية سنة ١٣٠١ هـ وفى الأصول « عدل بى » . (٣) كذا فى الأصول، وفى قصص الأنبياء « فأنا أغنى الشركاء عن الشركة . أكله الى من وثق به دونى . ومن وكلته ... الخ » .

بالكرامة وهم كالغنم الضائعة لا راعىَ لها، فآويتُ شاذّتها، وجمعتُ ضالّتها، وجبرتُ كسيرها، وداويتُ مريضَها، وأسمنتُ مهزولَها ؛ فبطِرتْ فتناطحتْ ، فقتل بعضُها بعضا حتى لم يبق منها عظمٌ صحيح يُجبر اليه آخرُ كسيرٌ. إن الحمار مما يتذكر آريَه(1) الذى شَبع عليه فيراجعه ، وإنّ الثور مما يتذكر مَرْجَه الذى سمِن فيه فينتابه ، وإنّ البعير مما يتذكر وطنَه الذى نُتِج فيه فينزِع اليه ، وإنّ هؤلاء القومَ لا يذكرون أنّى جاءهم الخيرُ وهم أهلُ الألباب وأهل العقول، ليسوا بإبلٍ ولا بقرٍ ولا حميرٍ . وإنى ضاربٌ لهم مثلا فاسمعوه : قل لهم : كيف ترون فى أرض كانت زمانًا من زمانها خرِبةً مواتا لا حَرْثَ فيها ، وكان لها ربٌّ قوىٌّ حاكم ، فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرَبَ أرضُه وهو قوىٌّ وأن يقال له ضيَّع وهو عليم ، فأحاط عليها سياجا وشيَّد فيها قصرا وأنبط فيها نهرا وصنّف فيها غِراسا من الزيتون والرُّمان والنخيل والأعناب وألوان الثمـار، وولّى ذلك ذا رأيٍ وهمّةٍ حفيظا قويًّا أمينا ، فلما جاء إبّانُ إثمـارها أثمرت خرُّوبا، ما كنتم قائلين له ومشيرين عليـه ؟ قالوا : كنا نقول : بئست الأرض أرضُـك، ونشير عليه أن يقلعَ سـياجها ، ويهدِمَ قصرها، ويدفِنَ نهرها ، ويحرق غرسَها حتى تعودَ خرِبةً مَواتا لا عُمرانَ فيها ؛ قال الله تعالى : قل لهم، إن السياجَ ذمتى، وإنّ القصرَ شريعتى، وإن النهر كتابى، وإن القيِّم نبيِّى ، وإن الغرسَ مثَلٌ لهم ، والخرّوبَ أعمالُهم الخبيثةُ ؛ وإنى قـد قضيتُ عليهم قضاءَهم على أنفسهـم ، يتقرّبون الىّ بذبح الغنم والبقر وليس ينالنى اللحمُ ولا آكُلُه ؛ ويَدَعون أن يتقربوا إلىّ بالتقوى والكفّ عن ذبح الأنفس التى حرّمتُها ويُشيِّدون لى البيوتَ ويزوّقون لى المساجدَ ؛ وأىّ حاجةٍ بى الى تشييد البيوت ولستُ أسكنُها، والى تزويق المساجد ولستُ أدخلُها ؛ إنما أمرتُ برفعها لأُذكَرَ فيها وأُسبَّحَ ، ويُنجّسون أنفسهم وعقولَهم

(1) الآرى : محبس الدواب وحبـل تشد به فى محبسها .

وقلوبهم ويخرّبونها، يقولون: لو كان يقدِرُ على أن يجمعَ أُلفتَنا لجمعَها، ولو كان يقدر على أن يُفقّه قلوبنا لفقّهها (١) . فاعمِدْ الى عودَين يابسَين فاكتب فيهما كتابا ثم ائتِ نادِيَهم أجمعَ ما يكونون، فقل للعودين : إن الله يأمركما أن تعودا عُودا واحدا؛ فقال لهما ذلك ، فاختلطا فصارا عُودا واحدا ، وصار الكتاب فى طرَفَى العود كتابا واحدا : يامعشر القبائل، إن الله يقول لكم : إنى قدرت على أن أفقّه العيدان اليابسة وعلى أن أُؤلّف بينها؛ فكيف لا أقدِرُ على أن أجمعَ أُلفتكم إن شئتُ ! أم كيف لا أقدِر على أن أؤلّف قلوبكم! يقولون: صمنا فلم يُرفَع صيامُنا وصلّينا فلم تُنوَّرْ صَلاتُنا (٢) وزكّينا فلم تَزْكُ زكاتُنا ، ودعَونا بمثل حنين الحمام، وبكينا بمثل عُواء الذئاب، فى كلّ ذلك لا يُسمعُ منّا ولا يُستجابُ لنا؛ قال الله تبارك وتعالى : سلهم لم ذلك وما الذى منعنى أن أجيبهم ؟ ألستُ أسمعَ السامعين وأبصرَ الناظرين وأقربَ المجيبين وأرحم الراحمين ! ألِأنّ خزائنى فَنِيَتْ ! كيف ويداى مبسوطتان بالخير أُنفق كيف أشاء! أم لأن ذاتَ يدى قلّتْ ! كيف ومفاتيح الخير بيدى لا يفتحها ولا يُغلقها غيرى! أم لِأنّ رحمتى ضاقت ! كيف ورحمتى وسعتْ كلَّ شىء، وإنما يتراحم بفضلها المتراحمون ! أم لأنّ البخل يعترينى ! كيف وأنا الفتّاح بالخيرات أجودُ مَن أعطى وأكرمُ من سُئل ! ولكن كيف أرفعُ صيامَهم وهم يَلْبِسونه بقول الزور ويتقوّون عليه بطُعْمة الحرام ! كيف أنوّر صلاتَهم وقلوبهم صاغيةٌ الى من يُحادُّنى وينتهك محارمى ! أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قولٌ بألسنتهم والعملُ من ذلك بعيد ! أم كيف تزكو صدقاتُهم وهى من أموال غيرهم ! إنما أجزى عليها المغصوبين . وإنّ من علامة رضاى رضا المساكين .

---

(١) كذا فى قصص الأنبياء، وفى الأصل «قلوبهم» وهو تحريف . (٢) فى قصص الأنبياء (ص ٢٥٣) : «فلم تنوّر قلوبنا ...» .

قال وهب : وفيما ناجى الله به موسى عليه السلام : لاتُعجبْكما زينة ولا ما مُتّعَ به ، ولا تَمُدّا الى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين . ولو شئت أن أُزيّنكما بزينة يعلم فرعون حين ينظر اليها أن مقدرته تعجِز عما أُوتيتما فعلتُ ، ولكنّى أرغب بكما عن ذلك وأُزويه عنكما ؛ وكذلك أفعل بأوليائى ، إنى لأذودُهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعى الشفيقُ غنمَه عن مراتع الهَلَكة ، وإنى لأحميهم عيشَها وسَلوتها[1] كما يُجنِّبُ الراعى الشفيقُ إبلَه مباركَ العُرّ[2] ، وما ذاك لهوَانهم علىَّ ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالمـا موفَّرا لم يَكلِمْه الطمعُ[3] ولم يُطبِعْهُ[4] الهوى . واعلم أنه لن يتزيّنُ العبادُ بزينةٍ أبلغَ فيما عندى من الزهد فى الدنيا ، إنمـا هى زينة الأبرار عنـدى ، وأنقَ ما تَزيّنَ به العبادُ فى عينى عليهم منها ، لباسٌ يُعرَفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم النحولُ والسـجود ، أولئك أوليائى حقا . فاذا لقيتَهم فاخفِضْ لهم جناحَك ، وذلّل لهم قلبَك ولسانَك .

واعلم أنه من أهان لى وليًّا أو أخافه ، فقد بارزنى بالمحاربة وبادأنى وعرّضنى لنفسه ودعانى اليها ، وأنا أسرع شىء الى نُصرة أوليائى ، أفيظنّ الذى يحاربنى فيهم أنه يقوم لى ! أم يظنّ الذى يعادينى فيهم أنه يُعجزنى ! أم يظنّ الذى يبادرنى اليهم أنه يسـبقنى أو يفوتنى ! كيف وأنا الثائرلهم فى الدنيـا والآخرة ، لا أَكِلُ نصرَهم الى غيرى !

وفى التوراة : أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام بطور سيناء : يا موسى ابن عمران صاحب جبـل لُبنان . أنت عبدى وأنا إلهك الديّان ، لا تسـتذلَّ

---

(١) السلوة : رخاء العيش . (٢) العر : جمع أعرّ وهو الجمل الأجرب .

(٣) فى الأصل : « لمـا يكلمه الطمع » . (٤) يطبعه : يجنسه .

الفقير، ولا تغبط الغنىّ بشىء يسير، وكن عند ذكرى خاشعا، وعند تلاوة وحيى طائعا، أسمعنى لذاذة التوراة بصوت حزين .

وفيما أوحى الله الى عيسى عليه السلام : أنزلنى من نفسك كهمّك ، واجعلنى ذُخرك فى معادك ، وتقرّب الىّ بالنوافل أُدْنِك ، وتوكّل علىّ أَكْفِك ، ولا تولّ غيرى فأخذُلك ، اصبر على البلاء ، وارض بالقضاء ، وكن كمسرّتى فيك ، فإنّ مسرّتى أن أُطاعَ ، وأحْيِ ذكرى بلسانك ، وليكن وُدّى فى قلبك ، تيقّظ لى فى ساعات الغفلة ، وكن راهبا لى وراغبا الىّ ، أمِتْ قلبك بالخشية ، راعِ الليل لتحرّى مسرّتى ، واظمأ لى نهارك لليوم الذى عندى ، نافسْ فى الخيرات جُهْدَك ، قم فى الخليقة بعدلى ، واحكم فيهم بنصيحتى ، فقد أنزلتُ عليك شفاءَ وساوس ما فى الصدور من مرض الشيطان ، وجلاءَ الأبصار من غشاء الكَلال ، ولا تكن حِلْسا[(1)] كأنك مقبورٌ وأنت حىّ تتنفّس ، اِكْحَلْ عينيك بمُلمول[(2)] الحزن اذا ضحك البطّالون ، اِبك على نفسك أيّام الحياة بكاءَ من قد ودّع الأهلَ وقَلَى الدنيا ، وترك اللذاتِ لأهلها ، وارتفعتْ رغبتُه فيما عند إلهه . طوبَى لك إن نالك ما وعدتُ الصابرين ! تَرَجَّ من الدنيا يوما فيوما ، وارضَ بالبُلْغة ، وليكفك منها الخشِنُ ، تذوّق مذاقةَ ما قد خلا أين طعمُه ! وما لم يأت أين لذّتُه ! لو رأت عيناك ما أعددتُ لأوليائى لذاب[(3)] قلبك وزهقتْ نفسُك شوقا اليه .

وفيما قال للحواريّين : بحقٍّ أقول لكم : إنّ شجر الأرض بمطر السماء تعيش وتزكو ، وكذلك القلوب بنور الحكمة تُبصر وتهتدى ، بحقٍّ أقول لكم : إنه من ليس عليه دَينٌ أروَحُ وأقلّ همّا ممن عليه دين وإن حَسُنَ قضاؤه ، وكذلك من لم يعمل

(1) الحلس : الذى يلزم بيته فلا يبرحه . (2) الملمول : المرود . (3) فى الأصل « لدار » .

الخطيئة أروحُ وأقلّ همًّا ممن عمل بها وإن حسُـنت توبته . إنّ الدابة تزداد على كثرة الرياضـة خيرا ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوةً . إنّ الجسـدَ اذا صلَح كفاه القليـلُ من الطعام، وإنّ القلب اذا صحَّ كفاه القليـلُ من الحكمة. كم مِن سراجٍ قد أطفأته الريحُ ، وكم من عابد قد أفسده العُجْب . يابنى إسرائيل ، استمعوا قولى ، فإنّ مَثَـل من يسـتمع قولى ثم يعمَلُ به مثـلُ رجلٍ حكيم أسس بنيانَه على الصَّـفا[(١)] ، فمطرت السماءُ وسالت الأوديةُ وضربتـه الرياحُ فثبت بنيانُه ولم يَخِرَّ ، ومَثَـلُ الذى يستمعُ قولى ثم لا يعمَل به مَثَـلُ رجلٍ سفيهٍ أسّس بنيانَه على الرمل ، فمطرت السماءُ وسالت الأوديةُ وهاجت الريحُ فضربته فسقط بنيانُه . يا بنى إسرائيل ، ما يُغنى عن الأعمَى سَعَةُ نورِ الشـمس وهو لا يُبصرها ! وما يغنى عن العالمِ كثرةُ العـلم وهو لا يعمَل به ! . بحقٍّ أقول لكم : إنّ قائلَ الحكمة وسامعَها شريكان ، وأولاهمـا بها من حققها بعمله . بحقٍّ أقول لكم : لو وجدتم سراجا يتوقّد بالقَطِران فى ليلة مظلمةٍ لاستضأتم بنوره ولم يمنعكم منه نَتْنُ قَطرانه ، فكذلك ينبغى لكم أن تأخذوا الحكمةَ ممن وجدتموها عنده .

بلغنى عن محمد بن فُضَيل عن عمران بن سـليم قال : بلغنى أنّ عيسى بن مريم قال لأصحابه : إن كنتم إخوانى وأصحابى فوطِّنوا أنفسكم على العـداوة والبغضاء من الناس، إنكم لا تُدركون ما تطلبون إلا بترك ما تشـتهون، ولا تنالون ما تُحبّون إلا بالصـبر على ما تكرهون . إياكم والنَّظْرةَ، فإنها تزرع فى القلب الشهوةَ . طوبى لمن كان بصرُه فى قلبه ولم يكن قلبه فى بصره ! .

(١) الصفا : جمع صفاة وهى الصخرة الصلبة .

قال : وبلغنى أن عيسى خرج على أصحابه وعليه جُبَّةٌ من صوف وكساءٌ وتُبَّانٌ(١) حافيا مجزوزَ الرأس والشاربين باكيا شَعِثا مصفرَّ اللون من الجوع يابسَ الشفتين من العطش، طويلَ شعر الصدر والذراعين والساقين، فقال: السلام عليكم يا بنى إسرائيل، أنا الذى أنزلتُ الدنيا منزلَها، ولا عَجَبَ ولا فخر، أتدرون أين بيتى؟ قالوا : أين بيتك يا رُوحَ الله ؟ قال : بيتى المساجد، وطيبى الماء ، وإدامى الجوعُ، ودابتى رجلى، وسراجى بالليل القمرُ، وصِلائى(٢) فى الشتاء مشارقُ الشمس، وطعامى ما تيسَّر، وفاكهتى وريحانى بُقُولُ الأرض، ولباسى الصوفُ ، وشعارى الخوفُ ، وجلسائى الزَّمْنى والمساكينُ ، أُصبِحُ وليس لى شىء ، وأُمسى وليس لى شىء، وأنا طيِّب النفس غنىّ مكثر، فمن أغنى وأربح منى ! .

وقرأت فى بعض الكتب : عبدى! ما يزال مَلَكٌ كريمٌ قد صعِد إلىّ منك بعمل قبيح، أتقرب اليك بالنعم، وتمقَّتُ إلىّ بالمعاصى، خيرى اليك نازلٌ، وشرُّك إلىّ صاعدٌ .

وفى التوراة : لعلّك يا إسرائيلُ اذا أنت خرجتَ من البرِّيّة فدخلتَ الأرضَ المقدسة، أرضَ بنى آبائك إبراهيم وإسحاق، فإنها تَفيضُ بُرًّا وشعيرا ولبنا وعسلا ، فورِثتَ بيوتا بناها غيرُك وعصرتَ كروما غرسها غيرك، فأكلتَ وشربتَ وتنعَّمتَ بشحم لُبابِ القمح، ضربتَ بيدك الى صدرك ورمحتَ كما ترمح الدابّةُ برجليها، وقلتَ : بشدّتى وبقوّتى وبأسى ورِثتُ هذه الأرضَ وغلَبتُ أهلَها ، ونسيتَ نعمتى عليك! فاقذف الرُّعبَ فى صدرك اذا أنت لقيتَ عدوّك، واذا هبّت الريحُ

---

(١) التبان : سراويل صغير يكون للملاحين والمصارعين .

(٢) الصلاء : الوقود أو النار العظيمة . وفى الأصل «صلاتى» بالتاء .

فتقعقعَ لهـا ورقُ الشجر انهزمتَ ، فأُقِلُّ رجالكَ ، وأُرمِّلُ نساءك ، وأُيتِّم أبنـاءك ، وأجعلُ السماءَ عليك نُحاسًـا والأرضَ حديدا ، فلا السماءُ (١) تُمطِـر ولا الأرضُ تُنبِت ، وأُقِلُّ لك البركةَ حتى تجتمع نِسوةٌ عَشْرٌ يختبزن فى تَنُّورٍ واحدٍ .

بلغنى عن عبد الرحمن المحاربىّ عن جعفر بن بُرْقان قال : بلغنى عن وهب بن منبِّه قال : أَجِدُ فى الكتابِ أنّ قوما يتـدَيَّنون لغير العبادة ، ويختِلون (٢) الدنيا بعمل الآخرة ، يلبسون مُسُوكَ (٣) الضأن على قلوب الذئاب ، ألسنتهم أحلى من العسل وأنفُسهم أمَرّ من الصبر ، أبى يغترُّون ! أم إياى يخادعون ! أقسمتُ لأبعثنّ عليهم فتنةً يعود الحليمُ فيها حَيْرَان .

وقرأت فى الإنجيـل : «لا تجعلوا كنوزكم فى الأرض حيث يفسدها السُّوسُ والدودُ وحيث ينقُبُ السرّاق . ولكن اجعـلوا كنوزكم فى السماء فإنه حيث تكون كنوزكم تكون قلوبكم . إنّ العينَ هى سِراجُ الجسـد فاذا كانت عينك صحيحةً فإنّ جسدَك كلَّه مُضِىء ، وإنه لا يستطيع أحدٌ أن يعملَ لِرَبَّيْنِ اثنيْن إلا أن يُحِبَّ أحدَهُما ويُبغِضَ الآخر ، ويُوقِّر أحدهما ويُهينَ الآخَرَ ، فكذلك لا تستطيعون أن تعمَلوا لله وللمـال . ولا يُهِمَّنَّكم ما تأكلون وما تشربون وما تلبسون ، أليست النفْسُ أفضـل من الطعام ، والجسدُ أفضلَ من اللباس ! ! انظروا الى طَيرِ السماءِ فإنهنّ لا يزرعن ولا يَحصدن ولا يَجمعنَ فى الأَهْراءِ (٤) ، وأبوكم الذى فى السماء هو الذى يرزقُهنَّ ، أفلستم

(١) فى الأصل : «ولا السماء» والسياق يقتضى العطف بالفاء لأنه مفرع على ما قبله .

(٢) أى يطلبون الدنيا بعمل الآخرة : ومثله ما جاء فى الحديث . «من أشراط الساعة أن تعطل السيوف من الجهاد وأن تختل الدنيا بالدين» أى تطلب الدنيا بعمل الآخرة . من ختله اذا خدعه (أنظر اللسان مادة ختل) .

(٣) المسوك : جمع مسك (بالفتح) وهو الجلد .

(٤) الأهراء : جمع هرى (بالضم) وهو بيت كبير يجمع فيه الطعام .

أفضلَ منهنّ ! ! وأيّكم الذى اذا جهد قدَر[1] أن يزيدَ فى طوله ذراعا واحدا ! فلِمَ تهتمون باللباس ! اعتبروا بسُوسن البرّيّة فإنه لا يعمَل ولا يغزِل ، أنا أقولُ : إنّ سليمانَ بوقاره[2] لم يستطع أن يلبسَ كواحدةٍ منـه ؛ فإذا كان الله يُلبِسُ عُشبَ الأرض الذى ينبت[3] اليوم ويُلقَى فى النارِ غدًا ، أفلستم ياقليلى الإيمـانِ أفضلَ منه ! ولاتهتمّوا فتقولوا : ماذا نأكل وماذا نشربُ وماذا نلبَس ؛ فإنه إنمـا يهتمّ لذلك ابنُ الدنيا ؛ وإن أباكم الذى فى السماء يَعْلم أنّ ذلك ينبغى لكم[4] ، فابدءوا فالتمسوا ملَكوتَ اللهِ وصدّيقيّته[5] ، فإنكم سوف تُكْفَون ، ولا يُهمّنّكم ما فى غدٍ ، فإن غدًا مكتفٍ بهمه ؛ وحَسْبُ اليوم شرُّه . وكما تَدينون تُدانون ، وبالمكيال الذى تكيلون يُكال لكم . وكيف تُبصر القـذاةَ فى عين أخيك ولا تُبصر الساريةَ فى عينك ! لا تُعطوا الكلاب القُدْسَ ، ولا تُلقوا لؤلؤكم للخنازير . سَلُوا تُعْطَوا ، وابتغُوا تجِدُوا ، واستفتحُوا يُفتحْ لكم ، وانظروا الذى تُحبّون أن يأتىَ الناسُ اليكم فأتوا اليهم مثلَه . أُدخلوا البابَ الضيّق ، فإن البابَ والطريقَ الى الهَلَكة عريضان ، والذين يسلُكونَهما كثيرٌ . وما أضيقَ البابَ والطريقَ اللذين يُبلِّغان الى الحياة ! والذين يسلكونَهما قليلٌ » .

وقال له رجل : أَتْبعُك حيث ذهبتَ ، فقال له عيسى : للثعالبِ جِحَرةٌ ، ولطير السماء وُكُناتٌ ، وليس لابنِ الإنسانِ مكانٌ يُسنِدُ فيه رأسَه .

وقال له رجلٌ من الحَوارِيّين : أتأذن لى أن أدفِنَ أبى؟ فقال له : دع الموتى يَدفنون موتاهم واتْبَعْنى . وقال للحواريّين : لا تتزوّدوا شيئا ، فإن العائلَ محقوقٌ أن

---

(١) فى الأصل : «اذا جهد فقدر» الفاء فى جواب اذا ، ولا معنى لذكر الفاء فى هذا الموضع .

(٢) الوقار : العظمة . وفى الأصـل : «بوقاره» بالقاف ، ولا معنى له هنـا الا أن يكون محرفا عن (وفوره) جمع وفر «بالفتح» وهو الغنى .

(٣) فى الأصل : «تنبت» «وتلق ... ... منهن» .

(٤) لعل اسم الاشارة يرجع الى عدم الاهتمام المأخوذ من قوله «ولا تهتموا» ، ليستقيم الكلام .

(٥) الصدّيقية : درجة أعلى من الولاية وأدنى من النبوّة .

يُطْعِمَ قُوتَه ، وإنى أُرسلُكم كالخرفانِ بين الذئاب ، فكونوا حُلَمــاء كالحيّاتِ وبُلْهًا[(١)] كالحَمام . واذا دخلتم البيتَ فسلّموا على البيتِ ، فإن كان ذلك البيت أهــلًا لســلامكم فليُصِبْهم ، وان لم يكن أهــلًا لسلامكم فإنه يرجــع اليكم . ومن لم يُؤْوِكم ويسمَعْ لقولكم ، فاذا خرجتم من قَريته فانْفُضُوا الغبارَ عن أرجُلكم .

حدّثنى عبدالرحمن عن عبــد المنعم عن أبيه عن وَهْب قال : كان فيما ناجى به عُزَيرٌ ربَّه : اللهــمّ فإن لك من كلِّ خَلْقٍ خلقتَه خِيَرةً اخترتَها ، وإنك اخترتَ من النبات الحُبْلَةَ[(٢)] ، ومن المواشى الضائنةَ ، ومن الطير الحمامةَ ، ومن البيوت بيتَ إيلياء[(٣)] ، ومن إيلياءَ بيتَ المقدِس ، ومن جميع الخلائق آدمَ ، ومن وَلَدِ آدمَ نوحا ، ومن وَلَد نوحٍ ابراهيــمَ ، ومن وَلَد ابراهيمَ اسماعيــلَ واسحاقَ ، ومن وَلَد اسحاقَ اسرائيــلَ ؛ اللهــمّ فأصبحتْ خِيَرتُك قد تمّت ونفــذَتْ فى كلّ ما اخترتَ إلا ما كان من وَلَد خليلك ابراهيم ، فإنّهــم أصبحوا أعْبُدًا لأهــل معصيتك وخَوَلًا لأعدائك ، فمالذى ســلّط علينا ذلك ؟ أمن أجل خطايانا ؟ فالخاطئون ولَدونا ، أو من أجل ضعفنا ؟ فمن ضعفِ خُلِقْنا ، قال : فجاءنى المَلَكُ فكلّمنى ، فبينما أنا كذلك سمعت صوتا هالنى فنظرت ، فإذا امرأةٌ حاسرةٌ عن رأسها ، ناشرةٌ شعرَها ، شاقّةٌ جَيْبَها ، تَلطِمُ وجهَها ، وتصرُخُ بأعلى صــوتِها ، وتحثُو الترابَ على رأسها ، فأقبلتُ عليها وتركتُ ما كنتُ فيه ، فقلتُ لها : ما بالُكِ أيّتها المرأةُ وما الذى دهاكِ ؟ أخبرينى خبرَكِ ، فقدأصابت المصائبُ غيرَكِ ، قالتْ : اليــك عنّى أيهــا الرجلُ ، فإن ربّى هو الذى أبكانى ،

---

(١) كذا فى الأصل . وفى حياة الحيوان للدميرى (ج ١ ص ٢٢٦) : « روى أحمــد فى الزهد عن يزيد بن ميسرة أن المسيح عليه السلام كان يقول لأصحابه : إن استطعتم أن تكونوا بلها فى الله تعالى مثــل الحمام فافعلوا » . وفى انجيل متى من الكتاب المقدس (طبع بيروت سنة ١٨٨٢ م مجــلد ثالث ص ١٧ س ١٢) : « فكونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمام » . (٢) الحبلة بالضم : الكرم أو أصل من أصوله ؛ وثمر السلم أو ثمر العضاه . (٣) فى الأصل : «بيتا إيلياء» .

ومصيبتى أعظمُ مما ترى؛ فقلتُ : فإن فى الله عزاءً من كلّ مصيبة، وخَلَفًا من كلّ هالك، وعوضًا من كلّ فائت، فإياه فاستعينى ، والى نظره لك فانظرى ؛ قالت : انى كنتُ آمرأةً كثيرًا مالى، عظيمًا شرَفى؛ وكنت عاقرا لا وَلَدَ لى، وكنتُ عنـد بعلٍ له نِســوةٌ معى وكلُّهن وُلِدَ له غيرى، فملّنى به لحبِّ الولد فصرفَ وجهَه عنّى، لحزنتُ وحزن أهلى وصديقى، فلما رأيتُ هوانى عليه وسقوطَ منزلتى عنده، رغبتُ الى ربى ودَعَوْتُه فأجابنى ، واستوهبتُه غلاما فوهبــه لى، فقرّتْ به عينى ، وفرح أهلى، وعطّف اللهُ به زوجى ، وقطعَ عنّى ألسـنةَ ضرائرى، فربّيْتُ غلاما لم تحمِلْ أنثى مثلَه حُسنًا وجمالًا ونَضرةً وتماما ، فلما بلغَ أشُدَّه وكَمَل به سرورى خطبتُ عليه عظيمةَ قومى ، وبذلتُ دونه مالى ، وخرجتُ من خُلعتى[1] ، وجمعتُ رجالَ قومى ، فخرجَ يَمشى بينهـم حتّى دخلَ بيتَه ، فلما قعَد على سريره ، خرَّ منه فاندقّت عنقُـه فـات ابنى وضلَّ عملى وبطَلَ نصيبى وتلِفَ مالى، فخرجتُ الى هـذه البرّيّة أبكيه فيهـا لا أريدُ أن أرى أثرا من آثاره ولا أحدا من أصحابه ، ولن أبرَحَ أبكيــه حتّى ألحقَ به . قال عُزَيرٌ: أذكرى ربَّك وراجعيه ، فقــد أصابت المصائبُ غيرَك أما رأيتِ هــلاكَ إيلياءَ وهى سيّدةُ المدائن وأمُّ القُرَى ؟ أوَ ما رأيتِ مصيبة أهلها وهم الرجال ؟ قالت : إى رحِمك اللهُ ! إن هذا ليس لى بعزاء وليستْ لى بشىء منه أُســوةٌ ، إنمــا تبكى مدينةٌ خرِبَتْ، ولو تُعمَرُ عادتْ كما كانتْ ، وإنمــا تبغِى قوما وعدَهم اللهُ الكَرَّةَ على عدوّهم، وأنا أبكى على أمرٍ قد فات، وعلى مُصيبة لا أستقيلُها[2]؛ قال عُزَيرٌ : فإنه مُخلِقٌ لمــا صار اليــه ، وكلّ شىء خُلِقَ للدنيا فلا بدّ أن سيَفْنَى ،

(١) الخلعــة (بالكسر والضم) : المــال وخياره يخلع على الانسان . (٢) لا أستقيلها أى لا أطلب منها إقالة ، لأن الطلب فيها غير مجد ؛ ومنه قول الشماخ :

* ومرتبة لا يستقال بهــا الردى *

أى لا يرجى فيها إقالة الردى لإنه لا بد من الهلاك .

أمَا رأيتِ مدينتنا أصبحتْ خاويةً على عروشها بعد عِمارتها ، وأوحشتْ بعــد أُنسها وأثاثها! أوَ ما رأيت مسجدَنا كيف غُيِّر حسنُه ، وهُدِمَ حِصنُه ، وأُطفئ نورُه ! أوَ ما رأيتِ عزَّ أهلها كيف ذَلَّ ، وشرفَهم كيف تحـوَّل ، ومجدَهم كيف سقَط ، وفخرَهم كيف بطَـل : أوما رأيتِ كتاب الله كيف أُحرِق ، ووحىَ الله كيف رُفِعَ ، وتابوتَ السكينةِ[1] كيف سُبِىَ ! أو ما رأيتِ نساءَ الملوكِ وبناتِهم فى بُطونِ الأسواقِ حاسرات عن السُّوق والوجوه والأشعار ! أو ما رأيتِ الأشياخَ الذين على وجوههم النورُ والسكينةُ مقرَّنين فى الحبال والقِطار ! أو ما رأيتِ الأحبارَ والرهبانَ مصفَّدين فى الإسار ، أو ما رأيتِ أبنـاءَ موسى وهارونَ تُضرب عليهـم السِّهامُ ويقتسمُهم الأشرارُ ، وولدانَ الملوكِ خَدَمًا[2] للكُفّار ، أو ما رأيتِ قتلانا لم يوارِ أحدا منهم قبرٌ ولم يَتعهَّـدْ أحدٌ منهـم الى ولد ، فالحكماء مبهوتون ، والعلماء يموجون ، والحلمـاء متحيِّرون ، وأهــل الرأى مُلْقُون بأيديهم مُستسلِمون . قال : فبينا أنا أكلِّمها غشّى وجهَها نورٌ مثلُ شـعاع الشمس حال بينى وبين النظر اليها ، فخمَّرتُ من شــدّته وجهى ورددتُ يدى على بصرى ، ثم كشفتُ وجهى فاذا أنا لا أُحِسّها ولا أرى مكانَها ، واذا مدينــةٌ قد رُفِعتْ لى حصينةٌ بسورها وأبوابها . فلما نظرتُ الى ذلك خَرَرتُ صَعِقا ، فجاءنى المَلَك فأخذ بضَبْعِىّ ونعشنى[3] وقال لى : ما أضعفك ياعُزَيْر ! وقد زعمتَ أنّ بك من القوّة ماتخاطبُ به ربَّك وتُدلِى بالعــذر عن الخاطئـين من

---

(١) ورد فى دائرة المعارف للبستانىّ عندالكلام على التابوت ما ملخصه : وتابوت العهد أو الشهادة هو صندوق من الخشب مصفح من الداخل ومذهب من الخارج ، وكان موضعه فى قدس الأقداس وكان اليهود يعتبرون ذلك مقدّسا وكانوا يحملونه بالاحتفال أمامهم وهم سائرون الى أرض الميعاد ... والظاهر أنه فقد عنــد ما هدم بختنصر الهيكل فى القــدس بإتلافه إياه أو نقله الى بابل . ومن أراد الوقوف على تفاصيل وصف هــذا التابوت فليراجع ذلك فى التوراة . (٢) فى الأصل : « خدم الكفار » .

(٣) نعشه : رفعه وأقامه .

بنى إسرائيل ؛ قال له عُزَيْر : مثل الذى رأيتُ وعاينتُ أضعفنى وأذهب روحى ؛ قال المَلَك : فإن المرأةَ التى كلّمتْك هى المدينة التى تبكى عليها ، صوّرها الله لك فى صورة أنثى فكلّمتك ، فافقَهْ عنها : أما قولها : إنها عُمِّرتْ زمانا من دهرها عاقرا لا ولد لها ، فكذلك كانت إيلياءُ صعيدا من الأرض خرابا لا عُمرانَ فيها أكثر من ثلاثة آلاف سنة . وأمّا قولها(١) : إن الله وهبَ لها غلاما عند اليأس ، فذلك حين أقبل الله عليها بالعُمران فابتعث اللهُ منها أنبياءه وأنزل كتابه . وأما قولها : إنه هلك ولَدُها حين كمل فيه سرورُها ، فذلك حين غيّر أهلُها نعَم الله وبدّلوها ولم يزدادوا بالنعم عليهم إلا جُرأة على الله وفسادا ، فغيّر الله ما بهم وسلّط عليهم عدوّهم حتى أفناهم ، وقد شفّعك الله فى قومك وكتابك ومدينتك ، وسيُعيدها الله عامرة كما رأيت : عليها حيطانُها وأبوابُها ؛ وفيها مساجدُها وأنهارها وأشجارها .

وحدّثنى بهذا الإسناد قال : لما أمر الله إبراهيم أن يذبح إسحاق عليهما السلام ويجعلَه قُربانا ، أسرّ ذلك الى خليلٍ له يقال له : العازر ، فقال له الصديق : إن الله لا يَبتلى بمثل هذا مثلَك ، ولكنّه يريد أن يُجرِّبك ويختبرَك ، وقد علمتَ أنه لم يبتلك بهذا ليَفتِنك ولا ليُضلّك ولا ليُعنتك ولا لينقُص به بصيرتَك وإيمانَك ويقينَك ، ولا يروعنّك هذا ولا تَسُوءنّ بالله ظنّك ، وإنما رفَع الله اسمك فى البلاء على جميع أهل البلاء ، حتى كنت أعظمهم فى نفسك وولدك ، ليرفعَك بقدر ذلك عليهم فى المنازل والدرجات والفضائل ؛ فليس لأهل الصبر فى فضيلة الصبر إلا فضلُ صبرك ؛ وليس لأهل الثواب فى فضيلة الثواب إلا فضلُ ثوابك ، وليس لأهل البلاء فى جسيم شرف البلاء إلا فضلُ شرفك ، وليس هذا من وجوه البلاء الذى يبتلى اللهُ به أولياءه ؛ لأن الله أكرمُ فى نفسه وأعدلُ فى حكمه وأعدلُ(٢) فى عباده

(١) فى الأصل : «وإنما» . (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٧) : «وأرحم بعباده ...» .

من أن يجعــل ذبح الولد الطّيب بيد الوالد النبيّ المصطفى ؛ وأنا أعوذ بالله من أن يكون هذا منّى حتما على الله أو ردّا لأمره أو سُخْطا لحكمه على عباده ، ولكن هــذا الرجاءُ فيــه والظنّ به . فإن عزم ربك على ذلك فكن عبــدا(١) أحسن علمه بك ؛ فإنى أعلم أنه لم يُعرّضك لهذا البلاء العظيم إلا لحُسن علمه بك وبصدقك وبصبرك ، ليجعلك للناس إماما ؛ ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

وحدّثنى بهذا الإسناد أن يوسف عليه السلام لمــا لبث فى السجن سبعَ سنين أرسل الله عزّ وجلّ اليه جبريلَ عليه السلام بالبشارة بخروجه ، فقال له : أتعرفنى أيها الصّــدّيق ؟ قال له يوسف : أرى صورةً طاهرةً وروحا طيّبا لا يشبه أرواح الخاطئين ؛ قال جبريل : أنا الروح الأمين ، رسول ربّ العالمين ؛ قال يوســف : فمــا أدخلك مداخل المذنبين وأنت سيد المرسلين ورأس المقرّبين ؟ قال جبريل : أوَ لم تعلم أيها الصدّيقُ أنّ الله يطهّر البيوت بطُهر النبيّين ، وأن البقعة التى يحلّون بها هى أطهر الأرَضين ، وأنه قد طهّر بك السجنَ وما حوله يأبن الطاهرين ؛ قال يوسف : كيف تشبّهنى بالصالحين ، وتسمّينى بأسماء الصدّيقين ، وتُعدّنى مع آبائى المخلصين ، وأنا أسيرٌ بين هؤلاء المجرمين ! قال جبريلُ : لم يكلِمْ قلبَــك الجزعُ ، ولم يغيّر خُلُقَك البلاءُ ، ولم يتعاظمك السجنُ ، ولم تطأ فراش سيّدك ، ولم يُنسك بلاءُ الدنيا بلاءَ الآخرة ، ولم تُنسك نفسُك أباك ولا أبوك ربّك ؛ وهذا الزمان الذى يفُكّ الله به عنوّك(٢) ، ويُعْتِق به رِقّك ، ويُبيِّن للنــاس فيه حكمتك ، ويُصــدّق رؤياك ويُنصفك ممن ظلمك ، ويجمع اليك أحبّتك ، ويهب لك مُلك مصرَ : يملّكك ملوكها ، ويُعبِّد لك جبابرتها ، ويُذلّ لك أعزّتها ، ويُصغّر لك عظماءها ، ويُخدمُك سُوقتها ،

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص٣٥٧) : «فكن عند أحسن علمه فيك ... » . (٢) العنو : الأسر والذل ، يقال : عنا فى القوم عنوّا وعناء صار فيهم أسيرا . وفى العقد الفريد (ج ١ ص٣٥٨) : « عنقك » .

ويخوّلك خوّلهـا ، ويرحم بك مساكينها ، ويُلقى لك المودّة والهيبة فى قلوبهـم ، ويجعل لك اليـدَ العليا عليهم والأثرَ الصالحَ فيهم ، ويُرى فرعونَ حلمًا يفزَع منـه ويأخذه له كربٌ شديدٌ حتى يُسهرَه ويُذهبَ نومَه ، ويُعمّى عليه تفسيره وعلى السحرة والكهنة ويعلّمك تأويلَه .

وفى بعض الكتب : أوحى الله تعالى الى بعض الأنبياء : إذا أردت أن تسكنَ معى غدًا فى حظيرة القُدس فكن فى الدنيا وحيـدا فريدا مهموما حزينا ، كالطائر الوحدانىّ يظلُّ بأرض الفـلاة ويردُ ماء العيون ويأكل من أطراف الشجر ، فاذا جَنّ عليه الليل أوى وحده استيحاشا من الطير واستئناسا بربّه جلّ وعزّ .

لمـا قُتِلَ عبـدُ الله بن الزُّبَير وجدَ الحجّاجُ فيما ترك صُـندوقا عليه أقفال حديد، فتعجّب منه وقال : إنّ فى هذا شيئا ، ففتحه فاذا صـندوقٌ آخرُ عليه قُفْـل ففتحه فاذا سَفَطٌ فيـه دُرج ، ففتحه فاذا صحيفةٌ فيها : إذا كان الحديث حَلفا ، والميعـادُ خُلْفا ، والمِقْنبُ(١) ألفا ، وكان الولدُ غيظا ، والشتاءُ قيظا ، وغاض الكرامُ غيضا ، وفاض اللئـام فيضا ، فأعنزٌ عُفْرٌ(٢) ، فى جبل وَعْر ، خير من مُلك بنى النّضر . حدّثنى بذلك كعب الحبر .

الـــدعاء

• حدّثنى أبو مسـعود الدارمىّ(٣) قال حدّثنـا جريرٌ(٤) عن أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قال "ربُّكم عزّ وجلّ ثلاثةٌ : واحدةٌ لى ، وواحدةٌ لك

(١) المقنب كنبر : جماعة الخيل والفرسان . (٢) العفر : جمع أعفر وعفراء . والعفرة : غبرة فى بياض . (٣) هكذا ورد بالأصل . ولم نعثر على هذه النسبة لمن يكنى بأبى مسعود لا فى كتب الأنساب ولا فى كتب التراجم وغيرها من الكتب التى بين أيدينا . (٤) فى الأصل : «جدير» بالدال المهملة . ولم نعثر على اسم «جدير» بين أسماء الرواة فى الكتب التى عندنا . وقـد ورد فى تهذيب التهذيب أن من بين من اسمه «جرير» بالراء : «جرير بن حازم بن عبد الله بن شجاع الأزدى ثم العتكى وقيل الجهضمى» . وجرير هـذا ممن رووا عن قتادة عن أنس بن مالك ، ولذا ترجح لدينا أن ما جاء بالأصل محرّف صوابه ما أثبتناه .

يابن آدم، وواحدةٌ بيني وبينك، فأما التي لى فتُخلِص لى لا تُشرِك بى شيئا، وأما التي لك فأحوجُ ماتكون الى عملك أوفّيكه، وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاءُ وعلىّ الإجابة".

حدّثني عَبْدةُ بن عبد الله قال أخبرنا زيد بن الحُبَاب قال حدّثنا معاوية قال حدّثني أزهرُ بن سعيد عن عاصم بن حميد قال : سألتُ عائشةَ رضى الله عنها، ماكان يفتتح به رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم به صلاتَه في قيام الليل ؟ قالت : كان يُكبّر عَشْرا ويحمّدُ عشرا ويسبّح عشرا ويهلّل عشرا ويستغفرُ الله عشرا، ثم يقول : "اللهمّ اغفرْ لى واهدنى وارزقنى وعافنى"، ويتعوّذ من ضيق المقام يوم القيامة .

حدّثنا حسين بن حسن المروزىّ قال حدّثنا الخُفَاف عن أبي الوَرْقاء عن عبد الله بن أبي أَوْفَى قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اذا أصبح قال : "أصبحنا وأصبح الملكُ والكبرياءُ والعظمةُ والخَلْقُ والأمرُ والليلُ والنهارُ وما يسكن فيهما[1] لله ربّ العالمين وحده لا شريك له . اللهم اجعل أوّل هذا النهار صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا . اللهم إنى أسألك خيرَ الدنيا وخيرَ الآخرة ياأرحمَ الراحمين".

حدّثنا إسحاق بن راهويه[2] قال أخبرنا حسين بن علىّ الجُعْفِىّ عن اسرائيل عن الحسين أنه كان اذا استسقى قال : «اللهم اسقنا سُقْيا[3] واسعةً وادعةً عامةً نافعةً غير

(١) في نهاية الأرب للنويرى (ج ٥ ص ٣٠٠ طبع دار الكتب المصرية) : «وما سكن فيهما من شيء لله وحده لا شريك له ... الخ» . وفي كتاب الأذكار للنووى : «وما سكن فيهما لله تعالى ... الخ» .
(٢) قال ابن خلكان في ترجمة اسحاق بن راهويه : «وراهويه بفتح الراء وبعد الألف هاء ساكنة ثم واو مفتوحة وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها هاء ساكنة ... وقيل فيه أيضا : راهويه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء» .
(٣) ورد هذا الأثر في كتاب الأذكار للسيوطى (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧ مجاميع) في صلاة الاستسقاء، بصيغة تخالف ما هنا في بعض الكلمات وبالزيادة والنقص .

ضارّة تعمّ بها حاضرنا وبادينا وتزيد بها فى رزقنا وشكرنا. اللهم اجعله رزقَ إيمانٍ وعطاءَ إيمانٍ إنّ عطاءك لم يكن محظورا . اللهم أنزل علينا فى أرضنا سكنها[1]، وأنبتْ فيها زينتها ومرعاها» .

-روى الكلبيّ عن أبى صالح أن العباس قال يوم استسقى عمر رضى الله عنه : "اللهم إنه لم ينزل بلاءٌ إلا بذنب ، ولا يُكشَف إلا بتوبةٍ ، وقد توجّه بى القوم إليك لمكانى من نبيّك[2] ، وهــذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة ، فاسقنا الغيث" ، فأرخت السماءُ شآبيب[3] مثلَ الجبال بديمةٍ مُطبِقةٍ .

وروى سفيان بن عيينة عن أبى عبــد الملك قال : سمعت عمر بن عبد العزيز عشية عرفة بعرفة وهو يقول : "اللهم زدْ فى إحسان محسـنهم ، وراجعْ بمسيئهم الى التوبة ، وحُطْ من ورائهم بالرحمة" .

-حدّثنا حسين بن حسين[4] قال حدّثنا عبــد الله بن المبـارك قال أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر[5] عن خالد بن أبى عمران عن عبد الله بن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليــه وسلم لا يكاد يقوم من مجلس إلا دعا بهؤلاء الدعوات : "اللهم اقسمْ لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تُبلّغنا به

---

(١) كذا فى الأصل ولسان العرب مادّة «سكن» . وفى منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند الإمام أحمد (ج ٢ ص ٦٥ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣ هـ) : «اللهم أنزل فى أرضنا بركتها وزينتها وسكنها وارزقنا وأنت خير الرازقين» . وسكنها بفتح السين والكاف : غياث أهلها الذى تسكن أنفسهم اليه .

(٢) فى الأصل : «من بيتك» والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٣) شآبيب جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . والديمة : مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق . (٤) كذا ورد فى الأصل . وفى تهذيب التهذيب أن ممن رووا عن عبــد الله بن المبارك الحسين بن الحسن . ولعل ما فى الأصــل محرّف عنه . (٥) فى الأصل : «زخر» بالخاء المعجمة . وما أثبتناه هو ما فى تهذيب التهذيب .

الى رحمتك، ومن اليقين ما تهونُ به علينا مصيباتُ الدنيا، ومَتِّعنا بأسماعنا وأبصارنا، واجعــل ذلك الوارثَ منا، وانصرنا على من ظلمنا، ولا تجعــل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلّط علينا من لا يرحمنا" .

بلغنى عن يونس عن الأوزاعىّ عن حسّانَ بن عُطيّة(١) قال : كان شدّاد بن أَوْس فى سفرٍ، فنزلنا منزلا فقــال لغلامه : ائتنا بالسفرة نَعبث بها(٢)؛ فأنكرت منه، فقال: ما تكلمت بكلمة مذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمّها غير كلمتى هذه فلا تحفظوها عنى، واحفظوا عنى ما أقول لكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اذا كنز(٣) الناسُ الذهبَ والفضّة فاكنزوا هؤلاء الكلمات : اللهم إنى أسألك الثباتَ فى الأمر والعزيمةَ فى الرشــد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسنَ عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك مــن شرّ ما تعلم، وأستغفرك لمــا تعلم، إنك أنت علّام الغيوب" .

بلغنى عن الوليد بن مســلم قال حدّثنا أبو سلمة الدوسىّ(٤) عن سالم بن عبــد الله قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهم ارزقنى عينين هطّالتين تبكيان(٥) بذروف الدموع وتشفيانى من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس جمــرا" .

---

(١) هكذا ضبطه فى تقريب التهذيب بضم العين وفتح الطاء . (٢) كذا فى مسند الامام أحمد (ج ٤ ص ١٢٣)، وفى الأصل : "فعبث بها" وما أثبتناه هو الموافق لقول الزمخشرى فى أساس البلاغة مادّة «عبث» «تعال بالسفرة نعبث بها» . (٣) فى منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١١٦) : «يا شداد بن أوس اذا رأيت الناس يكنزون ... الخ » وفى بقية الحــديث بعض زيادات عما هنا، ولعلها رواية أخرى . (٤) هكذا ورد فى الأصل، ولم نوفق الى تحقيق هذه النسبة لأبى سلمة فى الكتب التى بين أيدينا . (٥) فى منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١٠٦) ٥ « ... تشــفيان القلب بذروف الدموع من خشيتك ... الخ ...» .

حدّثنى أبو سفيان الغنوىّ قال حدّثنا عمر بن عِمران قال حدّثنى الحارث بن عِتبة عن العلاء بن كثير عن أبى الأسقع : أنه كان يحفظ من دعاء النبىّ صلى الله عليه وسلم : "ياموضعَ كلّ شكوى و ياشاهدَ كلّ نجْوَى بكلّ سبيل أنت مقيم تَرَى ولا تُرَى وأنت بالمنظَر الأعلى" .

حدّثنا عبد الرحمن عن عبد المنعم (١) عن أبيه عن وهب بن منبّه قال : كان دعاء عيسى الذى يدعو به للرضى والزَّمْنَى والعميان والمجانين وغيرهم : "اللهم أنت إله من فى السماء وإله من فى الأرض لا إله فيهما غيرُك ، وأنت جبار مَنْ فى السماء وجبّار من فى الأرض لاجبّارَ فيهما غيرك ، وأنت حَكَمُ مَنْ فى السماء وحَكَمُ مَنْ فى الأرض لا حَكَمَ فيهما غيرُك ، وأنت ملِك من فى السماء وملِك من فى الأرض لاملِك فيهما غيرك ، قُدرتُك فى الأرض كقُدرتك فى السماء ، وسلطانُك فى الأرض كسلطانك فى السماء ، أسألك باسمك الكريم و وجهك المنير ومُلكك القديم ، إنك على كلّ شىء قدير" . قال وهب : هذا يُقرأ للفزع على المجنون ويُكتب له و يُغسل ويُسقى ، فيبرأ بإذن الله أىّ ذلك شاء فعل .

وحدّثنى أيضا بهذا الإسناد قال : كان من دعاء المسيح حين أخذه اليهود ليصْلُبوه بزعمهم فرفعه الله اليه : "اللهم أنت القريب فى علوّك ، المتعالى فى دنوّك ، الرفيع على كل شىء من خَلْقك ، أنت الذى نفذ بصرك فى خلقك ، وحَسِرَت الأبصار دون النظر اليك وعَشِيَتْ دونك ، وشمخ بك العلوّ فى النور ، أنت الذى جَلّيت الظُّلَمَ

(١) ورد فى الأصل "عبد الرحمن بن عبد المنعم" وورد فى عدّة أسانيد أخرى فى الأصل نفسه "عبد الرحمن عن عبد المنعم" كما أثبتناه هنا وعبد الرحمن الذى يروى عنه المؤلف كثيرا هو عبد الرحمن بن عبد الله ابن أخى الأصمعى ولعل المراد من عبد المنعم عبد المنعم بن ادريس بن مناف بن ابنة وهب ابن منبه .

بنورك فتباركت اللهم خالق الخلق بقُــدرتك، مقدِّر الأمور بحكمتك، مبتدعَ الخلق بعظمتك، القاضى فى كل شىء بعلمك؛ أنت الذى خلقتَ سبعًا فى الهواء بكلماتك، مستوِياتِ الطباق مذعِناتٍ لطاعتك، سمابهنّ العلو بسلطانك، فأجبنَ وهنّ دخان من خوفك، فأتين طائعاتٍ بأمرك، فيهن ملائكتك يسبّحون قُدسَك بتقديسك، وجعلتَ فيهنّ نورا يجلو الظلام، وضياء أضــوأ من شمس النهــار، وجعلتَ فيهنّ مصابيحَ يُهتدى بها فى ظلُمات البحر والبر ورجوما للشياطين، فتباركتَ اللهم فى مفطور سمواتك، وفيما دَحَوت من أرضك، دَحوتها على المــاء، فأذللت لها المــاء المتظاهر(١) فذلّ لطاعتك وأذعن لأمرك، وخضع لقوّتك أمواج البحار، ففجّرتَ فيها بعد البحار الأنهارَ، وبعــد الأنهار العيونَ الغِزارَ والينابيعَ؛ ثم أخرجتَ منها الأشجارَ بالثمــار، ثم جعلتَ على ظهرها الجبالَ أوتادا فأطاعتك أطوادُها، فتباركت اللهم فى صنعك، فمن يبلغ صفةَ قدرتك ومن يَنْعَتُ نعتك. تُنزِل الغيث وتُنشئ السحابَ، وتفُكّ الرقابَ وتقْضِى الحقّ وأنت خير الفاصلين. لا إله إلا أنت سبحانك أمرتَ أن يستغفرك كلُّ خاطئ. لا إله إلا أنت إنمــا يخشاك مر عبادك العلماء الأكياس. أشهد أنك لست بإله استحدثناه، ولا ربٍّ يبيد ذِكرُه، ولا كان لك شركاءُ يقضون معــك فندعوهم وندعُك، ولا أعانك أحدٌ على خَلْقِك فنشكّ فيك. أشهدُ أنك أحدٌ صمدٌ لم تلِد ولم يكن لك كفوًا أحدٌ، ولم تتّخِذ صاحبةً ولا ولدا. اجعل لى من أمرى فرجًا ومخرجا"؛ قال وهب: وهذا الدعاء عُوذَةٌ للشقيقة وغيرها من قولك: "أشهد أنك لستَ بإلهٍ استحدثناه، الى آخره.

---

(١) «المتظاهر» بالظاء المعجمة من تظاهر بمعنى تساند وتعاون يراد بذلك المــاء الكثير المجتمع يدفع بعضه بعضا لقوّته وهو ما يقتضيه السياق. وفى الأصل «المتطاهر» بالطاء المهملة.

حدّثني محمد بن عُبَيد قال حدثنا سفيان بن عُيَينة عن ابن عباس قال: "الإخلاص هكذا، وبسط يده اليمنى(١) وأشار بإصبعه من يده اليسرى، والدعاء هكذا، وأشار براحتيه الى السماء، والابتهال هكذا، ورفع يديه فوق رأسه ظهورُهما الى وجهه".

حدّثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال: كان داود اذا دعا في جوف الليل قال: "اللهمّ نامتِ العيونُ وغارتِ النجومُ وأنت حيّ قيّوم اغفرلي ذنبي العظيم إنك عظيمٌ وإنما يغفر العظيمَ العظيمُ، اليك رفعتُ رأسي عامرَ السماء نظرَ العبيد الى أربابها. اللهمّ تساقطت القُرَى وأُبطِل ذكرُها وأنت دائبٌ الدهرَ مُعِدٌّ كرسيَّ القضاء".

قال: وكان من تحميده: "الحمد لله عدد قَطر المطر، وورق الشجر، وتسبيح الملائكة، وعددَ ما في البرّ والبحر. والحمد لله عددَ أنفاس الخَلْق ولَفْظهم وطَرْفهم وظِلالهم، وعددَ ما عن أيمانهم وشمائلهم، وعددَ ما قهره ملكُه، ووسِعه حِفظُه، وأحاطت به قُدرته، وأحصاه علمُه. والحمد لله عددَ ما تجري به الرياحُ، وتحمله السحابُ، وعددَ ما يختلف به الليلُ والنهارُ، وتسير به الشمسُ والقمرُ والنجومُ. والحمدُ لله عددَ كلِّ شيء أدركه بصرُه، ونفذَ فيه علمُه، وبلغ فيه لطفُه. والحمد لله الذي أدعوه فيُجيبُني وإن كنتُ بطيئا حين يدعوني. والحمد لله الذي أسأله فيعطيني، وإن كنتُ بخيلا حين يستقرِضُني(٢). والحمد لله الذي أستعفيه فيُعافيني، وإن كنتُ متعرِّضا لما يُهلِكني. والحمد لله الذي حَلُم في الذنوب عن عقوبتي حتى كأني لاذنبَ لي، ولو يؤاخذُني لم يظلمني سيّدي. والحمد لله الذي أرجوه أيامَ حياتي،

---

(١) كذا ورد في الأصل. وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٥): «... وبسط يده اليسرى وأشار بإصبعه من يده اليمنى ... الخ». وفي نهاية الأرب للنويري (ج ٥ ص ٢٨٤) تختلف الرواية عما هنا في أكثر الألفاظ. (٢) في الأصل: «حتى» وهو تحريف.

وهو ذُخْرى فى آخرتى ، ولو رَجوتُ غيره لانقطع رجائى . والحمــد لله الذى تُمسى أبواب الملوك مغلقةً دونى ، وبابُه مفتوحٌ لكلّ ما شئتُ من حاجاتى بغــير شفيع فيقضيها لى . والحمد لله الذى أخلو به فى كل حاجاتى، وأضعُ عنــده سرى(١) فى أىّ ساعة شئتُ من ساعاتى . والحمــد لله الذى يتحبّب الىّ وهو عنّى غنىٌّ، فربّى أحمدُ شىء عندى وأحقُّه بحمدى" .

وكان من دعاء يوسف : " ياعُدّتى عنــد كربتى ، وياصاحبى فى وَحْدَتى ، وياغياثى عند شدّتى، ومَفزَعى عنــد فاقتى، ورجائى إذا انقطعتْ حيلتى ، ياإلهى وإله آبائى إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ ، اجعــل لى فرجًا ومخرجا واْقض حاجتى" .

وكان بَكّاء بنى اسرائيل يقول : "اللهمّ لا تؤدّبنى بعقوبتك ، ولا تمكُرْ بى فى حيلتك ، ولا تؤاخذنى بتقصيرى عن رضاك ، عظيم خطيئتى فاغفِرْ ، ويســير(٢) عملى فتقبّل ، كما شئتَ تكون مشيئتك ، وإذا عزمتَ يمضى عزمُك ؛ فلا الذى أحسنَ آستغنى عنــك وعن عَونك ، ولا الذى أساء استبدّ بشىء يخرُج به من قُدرتك ؛ فكيف لى بالنجاة ولا توجــدُ إلا من قِبَلك ! إلهُ الأنبيــاء ، وولىُّ الأنبياء ، وبديعُ مرتبــة الكرامة ، جديدٌ لا يبــلى ، حفيظٌ لا ينْسَى ، دائمٌ لا يبيــد ، حىٌّ لا يموت ، يقظانُ لا ينام ؛ بك عرفتُــك ، وبك آهتديتُ اليك ، ولولا أنت لم أدْرِ ما أنتَ ؛ فتباركتَ وتعاليتَ" .

قال الأزدىّ حُدّثتُ عن محمّــد بن النضر الحارثىّ أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "لا تقطعوا الشهادة على أهــل القبلة فإنه من يقطع الشهادةَ عليهم فأنا منــه

(١) فى الأصل : « سره» وما أثبتناه هو الأنسب بالمقام .

(٢) فى الأصل : «تسير» .

برىءٌ إنّ الله كتمنا ما يصنع بأهل القبلة". وقال : «من علّم آيةً من كتاب الله أو كلمةً من سنّة فى دين الله حثا(1) الله له من الثواب حَثْوا» .

• قال وقال الأوزاعىّ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اللهم إنى أسألك التوفيق لمحابّك من الأعمال وحسن الظنّ بك وصدق التوكل عليك" .

محمد بن بشر العَبْدى(2) قال حدّثنا بعض أشياخنا قال : اعتمر علىٌّ عليه السلام فرأى رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول : يامن لا يشغَلُه سمعٌ عن سمع ، ولا تُغلِطه(3) المسائلُ، ولا يُبرِمه(4) إلحاحُ الملحّين، أذِقْنى بَرْدَ عفوك وحلاوةَ مغفرتك ؛ فقال علىّ : والذى نفسى بيده، لو قلتَها وعليك ملءُ السموات والأرَضين ذنوبا لغُفِر لك .

دعا أعرابىّ عند الملتزَم(5) فقال : اللهم إنّ لك علىّ حقوقا فتصدّق بها علىّ، وللناس قِبَلى تَبِعاتٌ فتحملها عنّى، وقد أوجبتَ لكلّ ضيف قِرًى، وأنا ضيفُك فاجعلْ قِراى الليلةَ الجنةَ .

وقال آخر : اللهم إليك خرجتُ، وما عندك طلبتُ، فلا تحرمنى خيرَ ما عندك لشرّ ما عندى . اللهمّ وإن كنتَ لم ترحم نَصَبى وتَعَبى فلا تحرمنى أجرَ المصابِ على مصيبته .

---

(1) حثا له : أعطاه . (2) كذا فى الأصل والخلاصة وتهذيب التهذيب . وجاء فى تقريب التهذيب : «محمد بن بشير العبدى» . (3) لا تغلطه : لا توقعه فى الغلط ، وهو من قولهم : أغلطه إذا أوقعه فى الغلط . (4) لا يبرمه : لا يمله ولا يضجره . (5) الملتزم هكذا ضبطه صاحب المصباح فى مادة «لزم» فقال «والتزمته : اعتنقته فهو ملتزم ومنه يقال لما بين باب الكعبة والحجر الأسود الملتزم لأن الناس يعتنقونه أى يضمونه الى صدورهم» .

وقرأتُ فى كتابٍ لشيخ لنا : اللهمّ إنه من تهيّأ أو تعبّأ ، وأعدّ واستعدّ لوِفادة مخلوقٍ رَجاءَ رِفْـده وطَلَبَ نَيلِه ، فإن تهيّئى وتعبّئى وإعدادى واستعدادى لك رجاءَ رِفْـدك وطلبَ نائلك الذى لاخطَرَ(١) له ولا مِثلَ . اللهــمّ إنى لم آتكَ بعملٍ صـالحٍ قدّمتُه ، ولا شفاعةِ مخلوقٍ رجوتُه ، أتيتك مُقِرًّا بالظُّلم والإساءةِ على نفسى ، أتيتُـك بأنّى لا حجّـةَ لى ، أرجو عظيمَ عفوك الذى عُدْتَ به على الخَطّائين ، ثم لم يمنعـك عكوفُهم على عظيم الجُـرمِ أن جُدتَ لهم بالمغفرة . فيا مَنْ رحمتُه واسعةٌ ، وفضـلُه عظيم اغفر الذنبَ العظيم .

ابن عائشة قال : قال الفضل بن عيسى الرَّقاشىّ : اللهمّ لاتُدخِلنا النارَ بعـد إذ أسكنتَ قلوبَنا توحيدَك ؛ وإنى لأرجو ألّا تفعلَ ، ولئن فعلتَ لتجمعنَّ بيننا وبين قومٍ عاديناهم فيك .

بلغنى عن ابن عيَيْنـةَ عن أبى حازم قال : لَأَنا مِنْ أن أُمنعَ الدعاءَ أخوفُ منّى من أن أُمنعَ الإجابةَ .

أنشدنا محمد بن عمر لبعض الشعراء فى وصف دعوة :

وساريةٍ لم تَسْرِ فى الأرض تبتـغى * مَحَـلًّا ولم يقطع بهـا البيـدَ قاطعُ
سَرتْ حيث لم تَسْرِ الركابُ ولم تُنَخْ * لِوِرْدٍ ولم يَقصُرْ لهـا القيـدَ مانعُ
تَحُـلُّ(٢) وراءَ الليل والليـلُ ساقطٌ * بأرواقه فيـــه سميـــرٌ وهاجـعُ
تَفَـتَّحُ أبوابُ السماء ودونَهـا(٣) * إذا قَرَعَ الأبوابَ منهنّ قارعُ

---

(١) الخطر بالتحريك : النظير والمثل .

(٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٨) : «تظل ...»

(٣) فى العقد الفريد : « ... لوفدها ... الخ» .

إذا أوفدتْ[1] لم يردُدِ اللهُ وفدَها * على أهلهـا واللهُ راءٍ وسامـعُ
وإنى لأرجو اللهَ حتّى كأنّنى[2] * أرى بجميلِ الظنِّ ما الله صانعُ

وقال آخر :

وإنى لأدعو اللهَ والأمرُ ضيِّقٌ * علىّ فمـا ينفكّ أنـ يتفرّجا
ورُبَّ فتًى سُدَّتْ عليه وجوهُهُ * أصاب له فى دعوةِ الله مَخْـرَجَا

ونحـــوه :

إذا تضـايقَ أمرٌ فانتظر فرجا * فأضيقُ الأمر أدناه من الفرجِ

أُخِذَ لرجلٍ من العرب مالٌ فكتبَ الى آخذِه : يا هــذا ، إنّ الرجلَ ينام على الثُّكْل ، ولا ينام على الحَرَب[3] ؛ فإمّا رددتَه ، وإمّا عرضتُ اسمَك على الله تعالى كلّ يومٍ وليلةٍ خَمْسَ مرّاتٍ .

قال عبد الرحمن بن زياد : اشتكى أبى فكتب الى بكر بن عبــد الله يسأله أن يدعُوَ له ، فكتب اليه بكر : يحقّ لمن عمِل ذنبا لا عُذرَ له فيه ، وتوقّع موتا لا بدّ له منــه ، أن يكونَ وَجِلًا مُشفِقًا ، سأدعو لك ، ولستُ أرجو أن يُستجابَ لى بقوّةٍ فى عملٍ ، ولا براءةٍ من ذنبٍ ، والسلام .

خَلَفُ بنُ تميم عن عبــد الجبّار بن كُلَيب[4] قال : قال لنـا إبراهيم بن أدهم حين عَرَض لنا السَّبُعُ : قولوا : اللهمّ احرُسْنا بعينك التى لا تنامُ ، واجعلنا فى كَنَفك الذى لا يُرام ، وارحمنا بقدرتك علينا ، لا نَهلِكُ وأنت رجاؤنا ؛ قال خَلَف : فما زلتُ أقولُها مذ سمعتُها ، فمـا عرَضَ لى قطُّ لِصٌّ ولا غيرُهُ .

(١) فى العقد الفريد : * إذا سألت لم يردد الله سؤلها * (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٨) : « ... كانما ... » . (٣) الحرب بالتحريك : أن يسلب الرجل ماله كله ويترك بلا شىء . (٤) هكذا ورد فى الأصل ولم نوفق الى تحقيق هذا الاسم فى كتب التراجم التى بين أيدينا .

قال أعرابىّ : من أقام بأرضنا فليُكثر من الاستغفار ، فإنّ مع الاستغفار القُطَار(١) .

بلغنى عن موسى بن مسعود النَّهْدىّ(٢) عن سفيان الثورىّ عن قُدامة بن حَمَاطَة الضّبىّ عن خالد بن مِنْجاب عن زياد بن حُدَير(٣) الأسدىّ أن العلاء بنَ الحضرَمىّ عبرَ الى أهل دَارِين(٤) البحرَ بهذه الكلمات : ياحليمُ يا حكيمُ يا علىُّ ياعظيمُ .

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنا يزيد بن هارون عن هشام الدَّسْتَوَائىّ(٥) عن حمّاد عن إبراهيم عن عبد الله فى الرجل إذا أراد الحاجةَ صلّى ركعتين ثم قال(٦) : اللهمّ إنّى أستخيرك بعلمك ، وأستقدِرُك بقُدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدِرُ ولا أقدِرُ ، وتملِك ولا أملِك ، وتعلَمُ ولا أعلَمُ ، إن كان هذا الأمرُ الذى أريده — وتُسمّيه — خيراً لى فى دِينى وخيرا لى فى معيشتى وخيرا لى فيما أبتغى فيه الخِيَرَة فيَسِّرْه لى وبارِكْ لى فيه ، وإن كان شرًّا لى فى دِينى وشرًّا لى فى معيشتى وشرًّا لى فيما أبتغى فيه الخيرَ فاصرفه عنّى ويسِّرْ لى الخيرَ حيث كان ثم رَضِّنى [به](٧) .

(١) القطار بالضم : السحاب العظيم القطر .

(٢) فى الأصل : « المهدى » بالميم وهو تحريف من الناسخ صوابه ما أثبتناه كما فى تهذيب التهذيب والخلاصة وتقريب التهذيب . (٣) فى الأصل : « جدير » بالجيم وهو خطأ والتصويب عن شرح القاموس وتهذيب التهذيب والخلاصة . (٤) دارين : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند . (انظر ياقوت) . (٥) هو أبو بكر هشام بن أبى عبد الله سنبر البكرى البصرى الدستوائى بفتح الدال وسكون السين وفتح التاء نسبة الى دستوا بالقصر وتمدّ : كورة من كور الأهواز كما فى تهذيب التهذيب والخلاصة ومعجم ياقوت . وقد ضبطه صاحب القاموس بضم التاء وقال فى النسبة اليها : دستوائى ودستوانى . (٦) ورد هذا الدعاء فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ٣٢٦) باختلاف فى بعض الكلمات وزيادات عما هنا . (٧) الزيادة عن نهاية الأرب .

ومن دعاء بعض الصالحين : اللهمّ إنّى أستغفرك من كلّ ذنبٍ قَوِىَ عليه بدنى بعافيتك، ونالته يدى بفضل نعمتك ، وانبسطتُ اليه بسَعَة رزقك، واحتجبتُ فيه عن الناس بسَتْرك، واتّكلتُ فيه على أناتِكَ وحلمك، وعوّلتُ فيه على كريم عفوك .

الأوزاعىّ قال : من قال : «اللهمّ إنى أستغفرك لمـا تبتُ اليك منه ثم عدتُ فيـه ، وأستغفِرُك لمـا وعدتُك من نفسى وأخلفتُك ، وأسـتغفرك لمـا أردتُ به وجهَك فخالَطَه ما ليس لكَ، وأستغفرك للنِّعم التى أنعمتَ بها علىّ فتقوّيْتُ بهـا على معصيتك، وأستغفرك لكلّ ذنبٍ أذنبتُه أو معصيةٍ ارتكبتُها » غفر اللهُ له ولو كانت ذنوبُه عَدَدَ ورق الشجر، ورملِ عالجٍ،[(1)] وقَطْرِ السماء .

وكان مُطَرِّف يقول: اللهمّ إنى أعوذُ بك من شرّ السلطان، ومن شرّ ما تجرِى به أقلامُهم ، وأعوذ بك أن أقولَ قولا حقّا فيــه رضاك ألتمسُ به أحدا سواك ، وأعوذ بك أن أتزيّنَ للنـاس بشىءٍ يَشينُنى ، وأعوذ بك أن أكونَ عِبرةً لأحدٍ من خَلْقك، وأعوذ بك أن يكونَ أحدٌ من خَلْقك أسـعدَ بمـا علّمتَنى منّى، وأعوذ بك أن أستغيثَ بمعصيةٍ لك من ضُرٍّ يُصيبنى .

الأزدىّ[(2)] عن عبد الواحد بن زيد قال : شهدتُ مالكَ بن دينار يوما وقيل له : ياأبا يحيى ادعُ اللهَ أن يَسقيَنا ، قال : "ستبطِئون المطرَ ! قالوا : نعم؛ قال : إنّى والله أستبطئُ الحجارةَ .

قال أبو كعب : سمعتُ عطاءً السُّلَمِىّ يقول : اللهـمّ ارحَمْ غُرْبتى فى الدنيا، ومَصرعى عند الموت، ووَحْدتى فى القبور، ومُقامى بين يديك .

---

(١) عالج بكسر اللام : موضع بالبادية به رمل متراكم ومتداخل بعضه فى بعض .

(٢) كذا فى الأصل . ولم نعثر على اسم عبد الواحد بن زيد فى المراجع الخاصــة التى تحت أيدينا بأخبار الرواة والتراجم . ولعله «عبد الواحد بن زياد» لوروده كثيرا فى المصادر المتقدمة .

حدّثنى محمد بن عبـد العزيز قال حدّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال حدّثنا زُهيرعن زُبيد اليامىّ[١] عن مُرّةَ عن عبد الله قال : إن الله تعالى قسمَ بينكم أخلاقكم كما قسمَ بينكم أرزاقكم، إن الله يُؤتِى المـالَ مَنْ يحبّ ومن لا يحبّ، ولا يؤتى الإيمـانَ إلا من يُحب، فمن ضنّ بالمـال أن يُنفقه، وهاب العدوّ أن يُجاهدَه، والليلَ أن يكابدَه فليُكثِر من سبحان الله والحمد لله ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبر » .

ومن جامع الدعاء: اللهمّ أغننى بالعلم، وزيّنى بالحلم، وجمّلنى بالعافية، وأكرمنى بالتقوى .

وكان من دعاء أبى المجيب : اللهمّ لا تَكِلْنا الى أنفسنا فنعجِزَ، ولا الى النـاس فنَضِيعَ، اللهمّ اجعلْ خيرَ عملى ماقاربَ أجلى .

ومن دعاء عمرو بن عبيد، اللهمّ أغنِنى بالافتقار اليك، ولا تُفقِرنى بالاستغناء عنك .

ابن عائشة عن سلّام بن أبى مُطيع قال : سمعت ابن عون يقول : كانوا يَستحِبّون من الدعاء : اللهمّ عبـدُك وابنُ عبدك وابنُ أمَتِك اعبيـدك وإمائك ، أنا الذليـلُ ولا أنتصر، وأنا الظالم ولا أعتـذر، عملتُ سوءًا وظلمتُ نفسى وإلّا تغفرْلى وترحمْنى أكنْ من الخاسرين، فمـا أتمّها ابن عون حتى أجهشَ[٢] بالبكاء .

ومن دعاء النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : « اجعلْنى لك شكّارا ، لك ذكّارا ، لك رهّابا ، لك مطيعا ، اليك مُخبِتًا ، لك أوّاها مُنيبا ، ربّ تقبّلْ توبتى واغسلْ حَوْبتى وأجبْ دعوتى وثبّت حجّتى واَهدِ قلبى وسدّدْ لسانى » .

---

(١) فى الأصل : « النامى » بالنون وهو تحريف وصوابه « اليامى » نسبة الى يام : بطن من همدان ، كما تقدّم فى صفحة ١٧٩ من الحاشية رقم ٢ من هذا المجلد . (٢) أجهش بالبكاء : هم به وتهيأ له .

المنـاجاة

حدثنى عبدُ الله بن هارون عن سُلَيم بن منصور عن أبيه قال : كنتُ بالكوفة(١) فخرجتُ فى بعض الليـل لحاجةٍ وأنا أظنُّ أنّى قد أصبحتُ فإذا علىّ ليـلٌ فملتُ الى بعض أبوابها أنتظر الصبحَ فسمعتُ من وراء الباب كلامَ رجلٍ وهو يقول : فوعزّتك وجلالِك ما أردتُ بمعصيتى مخالفتَـكَ ، وما عصيتُك إذ عصيتُك وأنا بنكالِكَ جاهلٌ ، ولا بعقوبتك ولا بنظرِكَ مُستخِفٌّ ، ولكن سوّلتْ لى نفسى ، وأعانَنى على ذلك شِقوَتى ، وغرّنى سترُك المرخَى علىّ ، فعصيتُك بجهلٍ وخالفتُك بجهلٍ ؛ فالآنَ من عذابك مَنْ يستنقِذُنى وبحبلِ مَنْ أعتصمُ إن قطعتَ حبلَك عنّى ، فواسَوأتاه من الوقوف بين يديك غدا ! إذا قيل للمخفِّين : جُوزُوا ، وللمثقلين : حُطُّوا ؛ أفمع المثقلين أحُطُّ أم مع المخفّين أجُوز ! ويلى ! كلّما كبِرتْ سِنّى كثُرتْ ذنوبى ؛ ويلى ! كُلّما طال عمرى كثُرت معاصِىّ فمِن كَمْ أتوبُ ! وفى كم أعودُ ! أما آن لى أن أستحيِيَ من ربّى ! .

بلغنى عن الوليد بن مُسلم عن عثمان بن أبى العاتكة قال : كان داودُ النبىُّ عليه السلامُ يقول فى مُناجاته : سبحانَك إلهى ! اذا ذكرتُ خطيئتى ضاقت علىّ الأرضُ برُحْبِها ، واذا ذكرتُ رحمتَك ارتدّ الىَّ رُوحِى ، سبحانك إلهى ! أتيتُ أطباءَ عبادك ليُداووا لى خطيئتى فكلّهم عليك يَدُلُّنى .

حدثنى بعضُ أشياخنا قال : كان داودُ الطائىُّ يقول : همُّك عطّلَ علىَّ الهمومَ ، وحالفَ بينى وبين السُّهادِ ، وشدّةُ الشفَق من لقائك أوبقَ(٢) علىَّ(٣) الشهواتِ ،

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٤) : « وكان آخر يدعو بعرفات : يا رب لم أعصك إذ عصيتك ... الخ » مع اختلاف فى بعض الكلمات ونقص عما هنا .

(٢) أوبق : حبس . (٣) كذا فى الأصل ولعلها " عنى " ليستقيم المعنى .

ومنعنى اللذّاتِ ، فأنا فى طلبــك أيها الكريمُ مطلوبٌ(١) . وقال : تعبّــدَ ضيغمٌ قائمــا حتى أُقعِدَ ، وقاعدا حتى استلقَى ، ومُســتلقيا حتى أُقْعِدَ ؛ فلمــا جَهِدَ رفع بصرَه الى السماء وقال : سبحانك، عجبا للخليقــة كيف أرادتْ بك بَدَلا ! وســبحانك، عجبا للخليقة كيف استنارت قلوبُها بذكر غيرك ! وعجبا للخليقة كيف أَنِسَتْ بسواك .

عُتبة أبو الوليد قال : كانت امرأة من التابعين تقول :

ســبحانك ، ما أضيقَ الطريقَ على من لم تكن دليلَه ، ســبحانك ما أوحشَ الطريقَ على من لم تكن أنيسَه .

أبو الحسن قال : كان عُروة بن الزُّبير يقول فى مناجاته بعد أن قُطعتْ رجلُه [ومات ابنُــه](٢) : كانوا أربعةً ، يعنى بنيه ، فأخذتَ واحدا وأبقيتَ ثلاثةً ، وكنّ أربعا يعنى يديْه ورجليْه ، فأخذتَ واحدةً وأبقيتَ ثلاثا ، لَيَمُنُكَ(٣) لئن كنتَ أخذتَ لقد أبقيت، ولئن كنتَ ابتليتَ لقد عافيتَ .

وفى حديث بنى إسرائيل أنّ يونُسَ عليه الســلامُ قال لجبريلَ عليه الســلام : دُلّنى على أعبدِ أهل الأرض فدلَّه على رجلٍ قد قَطَع الجُذامُ يديه ورِجليْه ، وذهب ببصرِه، فســمعه يقول : متّعتَنى ما شئتَ، وسلبتَنى حين شئتَ، وأبقيتَ لى فيك الأملَ يابارُّ يا وَصُولُ .

ومن دعاء بعض الصالحيــن : اللهــمّ اقطع حوائجى من الدنيا بالشوق الى لقائك، واجعــل قُرَّةَ عينى فى عبادتك، وارزقنى غَمَّ خوفِ الوعيــد، وشوقَ رجاءِ الموعود، اللهمّ إنك تعلم ما يُصلِحُنى فى دنياى وآخرتى فكن بى حفيًّا(٤) .

---

(١) فى الأصل : « مطلوبا » وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتناه . (٢) التكملة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٥) . (٣) ليمنك : بمعنى قولهم : يمين الله .
(٤) الحفىّ : اللطيف البارّ المبالغ فى الإكرام .

باب البكاء

حدثنى أبو مسـعود الدارمى(١) قال حدثنى جدى عن أنس بن مالك قال : جاء فتى من الأنصار الى رسول الله صلّى الله عليه وسـلّم [وقال(٢)] : إن أمى تكثر البكاءَ وأخاف على بصرها أن يذهب ، فلو أتيتها فوعظتها ! فذهب معه فدخل فقال لهـا فى ذلك ، فقالت : يا رسول الله ، أرأيتَ إن ذهب بصرى فى الدنيا ثم صرت الى الجنة ، أيُبدلنى الله خيرا منه ؟ قال : « نعم » قالت : فإن ذهب بصرى فى الدنيا ثم صرت الى النار ، أفيُعيد الله بصرى ؟ فقال النبى عليـه السلام للفتى : « إنّ أمك صِدّيقةٌ » .

حدثنى محمد بن عبيـد عن معاوية بن عمرو عن أبى(٣) إسحاق عن الأوزاعى عن ثابت بن سعيد قال : ثلاث أعين لا تمسُّها النار ، عينٌ حرَسَتْ فى سبيل الله ، وعينٌ سهِرتْ فى كتاب الله ، وعينٌ بكت فى سواد الليل من خشية الله .

أبو حاتم عن العُتبى قال حدثنا أبو ابراهيم قال : لا يكون البكاءُ إلا من فضلٍ فإذا اشتدّ الحزنُ ذهب البكاءُ ، وأنشد :

فلئن بكيناه يَحِقُّ لنـا * ولئن تركنا ذاك للكِبرِ(٤)
فلمثله جرت العيونُ دمًا * ولمثله جمَـدتْ فلم تجرِ

(١) لم نعثر على هـذه النسبة فى الكتب التى بين أيدينا فيمن كنيته أبو مسعود (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٧٧ من هذا المجلد فيما تقدّم) . (٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) ورد فى الأصل : «أبيه» وهو تحريف لأن الأوزاعى ممن روى عنـه (أبو اسحاق الفزارى) ومعاوية المذكور هو ابن عمـرو بن المهلب الذى روى عن أبى اسحاق الفزارى أيضا فيتعين حينئـذ أن (أبا اسحاق) هو المقصود فى هذه الرواية . راجع تهذيب التهذيب (ج ١٠ ص ٢١٥ وج ٦ ص ٢٣٨) وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣١ من هذا المجلد . (٤) يوجد فى الأصل كلمة «للصبر» فوق كلمة «للكبر» ولعلها رواية نسخة أخرى .

بلغنى عن أبى الحارث الليث[(١)] بن سـعد عن أبيه عن ابن لَهِيعَة عن أبى قَبِيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال[(٢)] : دخل يحيى بن زكريّا بيتَ المقـدس وهو ابنُ ثَمـانِى حِجج ، فنظر الى عُبَّادِ بيت المقدس قد لبِسُوا مدارعَ الشَّعَر ، وبَرانسَ الصـوف ، ونظر الى متهجِّديهم أو قال مجتهديهم قـد خرقوا التراقىَ ، وسلكوا فيهـا السلاسلَ ، وشـدّوها الى حنايا[(٣)] بيت المقـدس ، فهاله ذلك ؛ فرجع الى أبويه فمرّ بِصبيانٍ يلعبون فقالوا : يا يحيى هلمَّ فلنلعبْ قال : إنى لم أُخلَق للَّعب ، فذلك قول الله تعـالى : ﴿وآتيناه الحكمَ صبيًّا﴾ فأتى أبويه فسألهما أن يُدَرِّعاه الشَّـعَرَ ففعلا ، ثم رجع الى بيت المقـدس فكان يخدُمه نهـارا ويَصبِحُ فيه ليـلا ، حتى أتت له خمسَ عشرةَ سـنة ، وأتاه الخوفُ فساح ولزم أطرافَ الأرض وغِيرانَ[(٤)] الشِّـعاب ، وخرج أبواه فى طلَبه فوجداه حين نزلا من جبال التِّيه على بُحيرة الأردنّ وقد قعـد على شَفِير البُحَيرة وأنقعَ قدميه فى المـاء ، وقد كاد العطشُ يذبحُه وهو يقول : وعزَّتِك لا أذوقُ باردَ الشراب حتى أعلَم أين مكانى منك! فسأله أبواه أن يأكلَ قُرصا كان معهما من شَـعير ، ويشربَ من المـاء ففعلَ وكفَّر عن يمينه فمُدِحَ بالبِرّ ؛ قال الله عز وجل : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ وردّه أبواه الى بيت المقدس ،

---

(١) فى الأصل : « ... عن الحارث بن الليث ابن سعد » وهو تحريف ؛ اذ هو الليث بن سـعد ويكنى بأبى الحارث . وممـا يؤيد ما ذهبنا اليه أن بن لهيعة ومن بعـده روى عنهم الليث بن سـعد ولذا ترجح لدينا أن ما ورد فى الأصل خطأ صوابه ما أثبتناه . راجع تهـذيب التهذيب (ج ٣ ص ٧٣ و ج ٨ ص ٤٥٩) وطبقات ابن سـعد (ج ٧ قسم ثان ص ٢٠٤ طبع « ليدن » سنة ١٣٣٨ هـ) . وورد فى الأصل : « أبى لهيعة » وهو تحريف والتصويب عن المصادر المتقدمة .

(٢) فى قصص الانبياء (ص ٢٨٨) : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كان من زهد يحيى أنه أتى بيت المقدس ... الخ » . وورد فيه هذه القصة باختلاف فى بعض الالفاظ وزيادات عما هنا .

(٣) فى قصص الأنبياء : « ... وشدّوا بها الى سوارى المسجد » .

(٤) غيران : جمع غار وهو ما ينحت فى الجبل كالمغارة يأوى اليه الوحوش فاذا اتسع قيل له : كهف .

فكان اذا قام فى صلاته بكى ، ويبكى زكريّا لبكائه حتى يُغمَى عليه، فلم يزل كذلك حتى خرقتْ دموعُه لحمَ خدّيه، وبدَتْ أضراسُه، فقالت له أمه : يا يحيى، لو أذنتَ لى لاتخذتُ لك لِبدًا ليوارىَ أضراسَك عن الناظرين؛ قال : أنتِ وذاكِ، فعمَدَتْ الى قِطعتَىْ لُبودٍ فألصقتهما على خدّيه، فكان اذا بكى استنقعتْ دموعُه فى القطعتين فتقومُ اليــه أُمُّهُ فتعصِرُهما بيديها ، فكان اذا نظر الى دموعه تجرى على ذراعَىْ أُمِّه قال : اللهمَّ هذه دموعى وهذه أُمّى وأنا عبدُك وأنت أرحمُ الراحمين .

بلَغنى عن أبى معاوية عن أبى إسحاق الخُمَيسىّ[1] قال كان يزيدُ الرَّقاشىّ يقول: ويحك يا يزيدُ ! مَن يصومُ عنــك ! مَن يصلّى عنك ! ومن ذا يترضَّى لك ربَّك من بعــدك ! ثم يقول : يا معشرَ مَن الموتُ موعدُه ، والقبرُ بيتُــه ألا تبكون ! قال : فكان يبكى حتى تسقطَ أشفارُ[2] عينيه .

بلَغنى عن محمّــد بن فُضَيل عن العَلاء بن المسيَّب عن الحسَن قال : قال النبىّ صــلّى الله عليــه وسلّم : « مَا مِنْ قطرةٍ أحبُّ الى الله مِنْ قطرةِ دمٍ فى سبيله وقطرةِ دمعٍ فى جوف الليــل من خشيته ، وما من جَرْعةٍ أحبُّ الى الله من جَرْعةِ مصيبةٍ مُوجِعةٍ ردّها بصبرٍ وحُسن عزائه ، وجرعةِ غيظٍ كظَم عليهــا »

مُعتَمِر بن سليمان عن رجلٍ قال : كان فى وجنتَىِ ابن عباس خطّان مــن أثر الدموع .

(١) فى هامش تهــذيب التهذيب ما نصــه : « والخميسى بفتح المعجمة وكسر السين المهملة كذا فى الخلاصة والتقريب » وفى هامش الخلاصة «أن السمعانىّ صاحب الأنساب ضبطه بضم الخاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء التحتانية ثم مهملة مكسورة وهكذا فى لب اللباب » .

(٢) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) وهو ما يقتضيه نص اللغة ؛ ففى تاج العروس : « الشفر بالضم و يفتح : أصل منبت الشعر فى الجفن ويجمع على أشفار، قال سيبويه : ولا يكسر على غير ذلك » . وفى الأصل : « شفار » .

حدّثنى محمّدُ بن داو[1] عن سـعيد بن نُصَيْر قال حدّثنـا سيّار عن جعفرٍ قال : كنتُ اذا أحسستُ من قلبي بقسوةٍ أتيتُ محمدَ بن واسعٍ فنظرتُ اليه نظرةً، قال: وكنت اذا رأيت وجهَــه حسبتُه وجهَ ثَكلَى .

وكان يقال : أخوك مَنْ وعظَك برؤيته قبلَ أن يعظَك بكلامه .

تكلّم الحسَن يوما حتى أبكَى مَن حولَه فقال : عَجِيجٌ[2] كعجيج النساء ولا عزم ، وخدعةٌ كخدعة إخوة يوسف جاءوا أباهم عِشاءً يبكون .

أبو عاصم قال : فقَـدَ مالكُ بن دينـار مصحفَه فى مجلسه ، فنظر اليهـم كلّهم يبكون، فقـال : كلّكم يبكى ! فمن سَرق المصحف ؟ .

قال عبد العزيز بن مرزوق : الكمد أبقَى للحزن، وكانت له شُعَيراتٌ فى مُقـدَّم صُدْغه فإذا رقّ نتفها أو مدّها الى فوق فتقلّص دمعُــه .

قيل لغالب بن عبيد[3] الله : إنا نخاف على عينك العمى من طول البكاء، فقال: هُوَ لها شهادة ، قال بعض الشعراء :

سأبكيك حتى تُنْفِدَ العينُ ماءَها * ويَشـفِىَ منّى الدمعُ ما أتوجّعُ

وقال بعض الكتّاب فى مثله :

إبك فمن أنفع مافى البكا * أنّه للأحزانِ تسهيلُ
وهو إذا أنت تأملتَــه * حُزْنٌ على الخدّين محلولُ

قيل لعُفَيْرَةَ العـابدة : ألا تسأمين من طول البكاء ؟ فبكت ثم قالت : كيف يسأم ذو داءٍ من شيءٍ يرجو أن يكونَ له فيه من دائه شفاء ! .

(١) كذا فى الأصل، ولعله محرف عن «داود» . (٢) العجيج : الصياح ورفع الصوت .
(٣) كذا فى الأصـل وفى طبقات ابن سـعد (ج ٧ قسم ثان ص ١٨١) . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) والبيان والتبيين (ج ٣ ص ٨١) : «غالب بن عبد الله» .

قال ابن أبى الحوارىّ : رأيت أبا سليمان الدارانىّ يبكى، فقلت له : ما يُبكيك؟ فقال : إنما أبكى لذلك الغمّ الذى ليس فيه فرحٌ، وذلك الأمدِ الذى ليس له انقطاعٌ .

قال بعضهم : أتيتُ الشامَ، فمررتُ بدير حَرْمَلة، وبه راهبٌ كأن عينيه عِدْلا مَزادٍ؛ فقلتُ : ما يُبكيك ؟ فقال : يا مسلمُ، أبكى على ما فرّطتُ فيه من عمرى، وعلى يومٍ مضى من أجلى لم يَتبيّنْ[1] فيــه عملى . قال : ثم مررتُ بعد ذلك فسألتُ عنه؛ فقالوا : أسلمَ وغزَا فقُتِل فى بلاد الروم .

أشعث قال : دخلتُ على يزيد الرَّقَاشىّ فقــال لى : يا أشعثُ، تعــالَ حتى نبكىَ على المــاء البارد فى يوم الظمأ، ثم قال: والهفاه! ســبقنى العابدون وقُطِعَ بى؛ وكان قد صام ثلاثين أو أربعين سنة .

زيد[2] الحميرىّ قال : قلتُ لثوبانَ الراهب : أخبرنى عن لُبْس النصارى هــذا السوادَ، ما المعنى فيه ؟ قال : هو أشبه بلباس أهل المصائب؛ قال فقلتُ : وكلّكم معشرَ الرهبان قد أُصيبَ بمصيبة ؟ فقال : يرحمــك الله ! وأىّ مصيبةٍ أعظمُ من مصائب الذنوب على أهلها! قال زيد[3] : فلا أذكر قولَه ذلك إلا أبكانى .

ابن أبى الحوَارىّ قال : دخلت على أبى سليمان وهو يبكى؛ فقلت : ما يُبكيك؟ قال : يا أحمد، إنه إذا جنّ الليلُ وهــدأت العيونُ وأنِسَ كلُّ خليلٍ بخليله، فرَش أهلُ المحبة أقدامَهم، وجرت دموعُهم على خدودهم يُســمع لها وقعٌ على أقدامهم، وقد أشرف الجليلُ عليهــم فقال : بعينى مَنْ تلذّذَ بكلامى واســتراح الىّ، فــا هذا البكاء الذى أراه منكم ! هل أخبركم أحدٌ أنّ حبيبا يعذّبُ أحباءَه ! أم كيف أُبيّتُ

---

(١) فى العقد الفريد : «لم يحسن فيه عملى» . (٢) هكذا فى الأصل، وفى العقد الفريد «أبو زيد الحبرىّ» . (٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٦٨) : «وقال أبو زيد» .

قوما، وعند البيات أجدهم وقوفا يتلقونى! فبى حلفتُ أن أكشفَ لهم يومَ القيامة عن وجهى ينظرون الىّ .

قالت خنساء : كنتُ أبكى لصخرٍ من القتل، فأنا أبكى له اليوم من النار .

قال عمر بن ذرٍّ لأبيــه : يا أبتِ، مالكَ اذا تكلمتَ أبكيتَ الناسَ، واذا تكلمَ غيرُك لم يُبكهم؟ فقال : يا بنىّ، ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجَرة .

وفى بعض ما أوحى الله الى نبيٍّ من أنبيائه: هبْ لى من قلبك الخشوعَ ، ومن بَدَنك الخضوعَ، ومن عينك الدموعَ، وادعُنى، فإنى قريب .

وكان عمر يقول : استغزروا العيون بالتذكّر .

التهجـــــد

حدّثنـا حسين بن حسن المَرْوَزىّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنى مَعْمَر والأوزاعىّ عن يحيى بن أبى كَثير(١) عن أبى سلَمَة عن أبى زَمَعة بن كعب الأسلمىّ قال : كنتُ أبيتُ عنــد حُجرة النبىّ صلى الله عليــه وسلم فكنت أسمعُ، اذا قام من الليل، "سبحانَ اللهِ ربِّ العالمين" الهَوِىَّ(٢) من الليل، ثم يقول : "سبحانَ اللهِ وبحمدِه" الهَـــوِىَّ .

حدثنا حسين قال حدّثنـا سفيان بن عُيَينة عن زياد بن عِلاقة(٣) قال : سمعتُ المُغيرةَ بن شُـعْبة يقول : قام رسول الله صلّى الله عليــه وسلّم حتى تورّمت قَدَماه؛

---

(١) فى الأصـل : «يحيى بن أبى كثنين» وهو تحريف . والتصويب من تهذيب التهذيب والخلاصة وتقريب التهذيب . (٢) الهوىّ بالفتح : الحين الطويل من الزمان، وقيل هو مختص بالليل (لسان العرب) . (٣) فى الأصل : «زياد عن علاقة» بالفاء وهو خطأ صوابه «زياد بن علاقة» كما وضعناه . (راجع تهذيب التهذيب (ج ٣ ص ٣٨٠ وج ٤ ص ١١٧ وج ١٠ ص ٢٦٢ وطبقات ابن سعد (ج ٦ ص ٢٢١) .

فقيل: يارسول الله، قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، قال: "أفلا أكون عبدا شكورا".

حدّثنا حسين قال حدّثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا حمّاد بن سلَمة عن ثابت البُنَانِيّ عن مُطَرِّف بن عبد الله عن أبيه قال: أتيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يصلّي ولجوفِه أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَل.

بلغني عن رَبَاح عن مُعْتَمِر عن رجلٍ قد سمّاه قال: قال يزيد الرَّقَاشيّ: اذا أنا نمتُ ثم استيقظتُ ثم نمتُ فلا نامت عيناىَ. وعلى الماءِ الباردِ السلامُ. يعنى بالنهار.

وروى جَرير عن عطاء بن السائب قال: قال عبيدة بن هلال الثَّقَفى(١): لا يشهد علىّ ليلٌ بنوم ولا شمسٌ بإفطارٍ؛ فبلغ ذلك عمرَ فأقسم عليه ليُفطرنّ العيدين.

وروى حمّاد بن سَلَمة عن أبي جعفر الخَطْمىّ عن جدّه عُمَير بن حبيب قال: كان يقول لأهله: ياأهلاه، الدُّلْجَةَ الدُّلْجَةَ، إنه من يسبِق الى الماء يظمأ؛ ياأهلاه، الدُّلجةَ الدُّلجةَ، إنه من يسبق الى الظلّ يَضْحَى.

قال أبو سليمان الدارانىّ: أهلُ الليل فى ليلهم ألذُّ من أهل اللهو فى لهوهم، ولولا الليلُ ما أحببتُ البقاء.

خرج عيسى عليه السلام على الحواريّين، وعليهم العَبَاءُ(٢) وعلى وجوههم النور، فقال: ياأبناءَ الآخرة، ما تنعّم المتنعّمون إلا بفضل نعيمكم.

---

(١) هكذا فى الأصل، ولم نوفق إلى تحقيق هذه النسبة لمن يسمى «عبيدة بن هلال» ولم نعثر عليه لا فى كتب تراجم الرواة ولا فى كتب الأنساب وغيرها من الكتب التى بين أيدينا؛ وفى البيان والتبيين (ح ٣ ص ٨٠): «... عن عبدة الثقفى ...».

(٢) العباء بالفتح: كساء من صوف مفتوح من قدام يلبس فوق الثياب.

وقيل للحسن : ما بالُ المتهجّدين من أحسن الناس وجوها؟ فقال : إنهم خَلَوا بالرحمن فألبسهم(١) نورا من نوره .

حُصَين بن عبــد الرحمن عن إبراهيم قال : كان رجلٌ يقال له همــام(٢) يقول : اللهمّ آشفنى من النوم باليسيــر، وآرزقنى سهرا فى طاعتك . وكان يُصبح وجُمّتــه(٣) مُرَجَّلة ، فيقول بعضُهم لبعض : إن جُمَّةَ همام تخبركم أنه لم يتوسّدها الليلة .

قال عبد الله بن داود : كان أحدُهم اذا بلغ أربعين سنةً طوى فراشــه . وكان بعضهم يُحيي الليلَ، فإذا نظر الى الفجر قال : "عند الصباح يَحمَدُ القومُ السُّرَى"(٤) .

حدّثنا حسين بن حسن قال : أخذ الفُضَيل بن عياض بيدى ثم قال : ياحسين، يقول الله : كذَبَ من ادّعى محبتى واذا أجَنَّه الليلُ نام عنى، أليس كلّ حبيبٍ يُحبّ خلوةَ حبيبه ! هاأنذا مُطّلِـعٌ على أحبّائى ، إذا أجَنَّهم الليلُ جعلتُ أبصارَهم فى قلوبهم، ومثّلتُ نفسى بين أعينهم، فخاطَبونى على المشاهدة وكلّمونى على الحضور .

الوليد بن مسلم قال حدّثنى عبد الرحمن بن يزيد قال : كنّا نعازى(٥) عطاء الخُراسانىّ فكان يُحيي الليلَ صلاةً، فاذا مضى من الليل ثُلُثُه أو أكثرُ نادانا ونحنُ فى فِسطاطنا : ياعبــدَ الرحمن بن يزيد ، ويايزيد بن يزيد ، ويا هشام بن الغاز(٦) ، قوموا فتوضّئوا

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) : «فأسفر نورهم من نوره» . (٢) سموا بهمام بالفتح والتشديد وهمام بالضم والتخفيف . ولم نستطع ضبطه هنا لأنه ورد مجردا . (٣) الجمة بالضم : مجتمع شعر الرأس . ومرجلة : مسرحة . (٤) هذا مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة . (٥) هكذا فى الأصل ، والمعنى معه غير مستقيم . ويظهر من سـياق الكلام أن كلمة « نعازى » الواردة فى الأصــل محرّفة عن كلمة « نقارئ » من قارأه مقارأة اذا دارسه أى شاركه فى الدرس ؛ وبهـا يلتئم نظم الكلام ويستقيم المعنى . (٦) كذا بالأصــل وتهذيب التهذيب وتقريب التهـذيب . وفى الخلاصة : «الغازى» بياء بعد الزاى المعجمة .

وصلُّوا، فإنّ قيامَ هذا الليل وصيامَ هذا النهـار أيسرُ من شرب الصـديد ومن مُقطّعات الحديد، فالوَحَا الوحا ثم النجاءَ النجاء، ويُقبل على صلاته .

مالك بن مِغْوَل[1] عن رجل من جُعْفِيّ[2] عن السدىّ عن أبى أراكة قال : صَلّى علىٌّ الغـداةَ ثم جلس حتى ٱرتفعت الشمسُ كأنّ عليه كآبةً، ثم قال : والله ، لقـد رأيتُ أثرا من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فما أرى أحدا يُشبههم، والله إن كانوا لَيُصبحون شُعْثا غُبْرا صُفْرا، بين أعينهم مثل رُكَب المِعْزَى، قد باتوا يتلُون كتابَ الله، يراوحون بين أقدامهم وجباههم؛ إذا ذكروا الله مادوا كما يميدُ الشجر فى يوم ريح، وٱنهملت أعيُنهم حتى تبُلّ ثيابَهم، وكأنهم، والله، باتوا غافلين . يريد أنهم يستقلّون ذلك .

المحاربىّ عن الإفريقىّ قال حدّثنا أبو عَلْقَمة عن أبى هريرة قال: إن أهلَ السماء ليرَوْن بيوتَ أهلِ الذكر تُضيءُ لهم كما تضيء الكواكبُ لأهلِ الأرض .

يَعْلَى بن عُبَيْد عن محمّد بن عَوْن عن إبراهيم بن عيسى عن عبـد الله بن عيسى قال : كونوا ينابيعَ العلم، مفاتيحَ الهدى، أحلاسَ[3] البيوت، جُدُدَ القلوب، خُلقانَ الثياب، سُرُجَ الليل، تُعْرَفُوا[4] فى أهل السماء، وتَخْفَوا فى أهل الأرض .

حدّثنى محمـد بن داود قال حدّثنا أبو الربيع الزَّهْرانىّ قال حدّثنا أبو عَوَانة عن المغيرة عن إبراهيم : فى الرجل يرى الضوءَ [بالليل][5]؛ قال: هو من الشيطان، لو كان هذا فضلا لأُوثِر به أهلُ بدر .

(١) كذا فى تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال والقاموس وشرحه . وفى الأصل : « معول » بالعين المهملة، وهو تحريف . (٢) جعفى : قبيلة من مذحج . (٣) الأحلاس جمع حلس (بكسر الحاء وسكون اللام) وهو من يلازم البيت ولا يبرحه ؛ ومنه الحديث الشريف : « كونوا أحلاس بيوتكم » أى الزموها . (٤) فى الأصل : « تعرفون ... وتخفون ... » وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتناه ؛ لوقوعهما جوابا للأمر . (٥) التكملة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) .

المـــــوت

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنى عيسى بن ميمون عن محمـد بن كعب قال : نظرت الى عمر بن عبـد العزيز فأدَمتُ النظرَ اليه، قال : ما تنظرُ يا محمد ؟ قلت : أنظر الى ما ٱبيضّ من شعرك، ونحَلَ من جسمك، وتغيّر من لونك، فقال : أمَا والله لو رأيتنى فى القبر بعد ثالثـة، وقد سالتْ حدقتاى على وجنتىّ، وسال منخراى صديدا ودودا، لكنتَ أشدَّ نَكَرَةً[1] .

وقال الأصمعىّ : دخلتُ بعضَ الجَبَابين[2]، فإذا أنا بجاريةٍ ما أحسبها أتت عليها عَشْرُ سنينَ، وهى تقول :

عَدِمتُ الحيـاةَ ولا نلتُها * إذا كنتَ فى القبر قد ألحدوكا
وكيف أذوق لذيذ الكرى * وأنت بيمناك قد وسَّـدوكا

قال الأزدىّ : بلغنى أنّ داود الطائىّ مرّ بامرأة تبكى عنـد قبرٍ وهى تقول : يا أخاه ! ليت شعرى :

بأىّ خدّيك تبدّى البِلى * وأىُّ عينيـك إذًا سالا

فصعِق مكانه ثم تعبّد .

حدّثنى محمـد بن مرزوق قال حدّثنا محمد بن نصر المعلّم قال حدّثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار أنه قال :

أتيت القبـورَ فناديتُهـنّ * أين المعظَّم والمحتقَرْ
وأين المـدِلُّ بسـلطانه * وأين المزكّى اذا ما ٱفتخرْ

---

(١) النكرة (بفتح النون والكاف) : اسم من الانكار . (٢) الجبابين جمع جبانة، وهى المقبرة .

قال : فنوديتُ من بينها ولا أرى أحدا :

تفانَوْا جميعًا فما مُخْــبِرٌ * وماتوا جميعا ومات الخبَرْ
تروحُ وتغدو بنــاتُ الثرى * وتُمْحَى(١) محاسنُ تلك الصُّوَرْ
فياسائلى عن أناسٍ مَضَــوْا * أمَا لك فيما ترى مُعــتبَرْ

قال : فرجعت وأنا أبكى .

بلغنى أنه قرئ على قبرٍ بالشام :

باتوا على قُلَلِ(٢) الأجبال تحرُسُهم * غُلْبُ الرجالِ فلم تنفعهم(٣) القُلَلُ
واستُنْزِلوا بعــد عزٍّ من معاقلهم * فأُسكِنوا حُفْــرةً يابئس ما نزلوا
ناداهُمُ صارخٌ من بعــد ما دُفنـوا * أين الأسِرَّةُ والتيجانُ والحُــلَلُ
أين الوجوهُ التى كانت مُحَجَّبـةً(٤) * من دونها تُضرَبُ الأستارُ والكِلَلُ(٥)
فأفصــحَ القبرُ عنهــم حين ساءلهم * تلك الوجوهُ عليهــا الدودُ تقتتــلُ(٦)
قد طال ما أكلوا دهرا وما نَعِموا(٧) * فأصبحوا بعدطول الأكل قدأُكِلُوا

وقال آخر :

ربَّ قوم غَبَروا من عيشهم * فى نعــيم وسرورٍ وغَــدَقْ
ســكتَ الدهرُ زمانا عنهُمُ * ثم أبكاهم دمًا حين نَطَقْ

(١) فى الإحياء للغزالى : « فتمحو ... » . (٢) القلل : جمع قلة ، وهى أعلى الجبل . (٣) فى تاريخ أبى الفدا (ج ٢ ص ٤٧ طبع الآستانة) : « فما أغنتهم » . (٤) فى تاريخ أبى الفدا : « منعمة » . (٥) الكلل : جمع كلة (بكسر الكاف) وهى الستر الرقيق المعروف فى زمننا هــذا بالناموسية . (٦) فى تاريخ أبى الفدا : « يقتتل » وفى اسم الجنس ، كالدود هنا ، يجوز الامران . (٧) فى تاريخ أبى الفدا : « شربوا » .

نزل النُّعمان ومعه عدِىُّ بن زيد فى ظلِّ شجرةٍ عظيمةٍ ليلهُوا، فقال له عدى بن زيد : أتدرى ما تقولُ هذه الشجرةُ ؟ قال : لا، قال تقول :

ربَّ شَرْبٍ[1] قد أناخوا عندنا * يشربون الخمرَ بالماءِ الزلالِ
ثم أضحَوْا لَعِبَ الدهرُ بهم * وكذاك الدهرُ حالًا بعد حالِ

وقال ابراهيم بن المهدى :

بالله ربِّك كم بيتٍ مررتَ به * قد كان يُعْمَر باللذّات والطربِ
طارتْ عُقابُ[2] المنايا فى سقائفه * فصار من بعدها للويلِ والحربِ

أنشـدنا أبو عبد الرحمن صاحب الأخفش عن الأخفش للخليل بن أحمـد العروضىّ :

كن كيف شئتَ فقصرُكَ[3] الموتُ * لا مَزْحَلٌ عنـه ولا فَوْتُ
بينـا غِنَى بيتٍ وبهجـتُه * زال الغنَى وتقـوّضَ البيتُ

حدّثنى يزداذ[4] بن أسـد عن الطَّنافسىّ قال حدّثنا أبو محمد قال : كان مالك بن دينار يخرج الى القبور كلَّ خميس على حمار قوطرانىّ[5] و يقول :

ألا حَىِّ القبـورَ ومن بِهِنَّهْ * وجوهٌ فى القبـورِ أُحِبُّهُنَّهْ
فلو أنّ القبورَ سمعنَ صوتى * إذًا لأجبننى من وجدِهِنَّـهْ
ولكنّ القبـورَ صمتْنَ عنّى * فأُبْتُ بحسرةٍ من عندِهِـنَّهْ

---

(١) فى الكامل للبرد (طبع أوروبا صفحة ٢٨٣) : «رب ركب ... حولنا * يمزجون ...» وفى البيت الثانى «عصف» بدل «لعب» . (٢) فى الأصل : « عقار المنايا» . (٣) قصرك : قصاراك وغايتك . (٤) كذا بالأصل ، ولم نجد فى مصدر آخر مسمى بهذا اللفظ و إنما سموا يزداد (بالدال) و يزدان (بالنون) . (٥) كذا بالأصل ولم نوفق الى هذه النسبة .

ثم يبكى ونبكى .

قال معاوية بن أبى سفيان لعُبَيد بن شرية الجُرْهُمىّ : أخبِرْنى بأعجبِ شىءٍ رأيتَه فى الجاهليّة، فقال : إنى نزلتُ بحىٍّ من قُضاعة فخرجوا بجنازةِ رجلٍ من عُذرةَ يقال له حُرَيث وخرجتُ معهم، حتى اذا وارَوْه فى حفرته انتبذتُ جانبا عن القوم وعيناى تَذْرِفان ثم تمثّلتُ بأبياتِ شعرٍ كنتُ أَرويها قبل ذلك بزمانٍ طويلٍ :

تجرى أمورٌ ولا تَدْرى : أوائلُها * خَيْرٌ(١) لنفسِك أم ما فيه تأخيرُ
فاستقدرِ اللهَ خيرا وارضَينّ به * فبينما العسرُ إذ دارت مياسيرُ
وبينما المرءُ فى الأحياءِ مغتبطًا * إذ صار فى الرمس تعفوه الأعاصيرُ
يبكى الغريبُ عليه ليس يعرفه * وذو قرابته فى الحىّ مسرورُ

قال : والى جانبى رجلٌ يسمع ما أقول، فقال لى يا عبدَ الله، هل لك علمٌ بقائلِ هذه الأبيات ؟ قلتُ : لا والله، إلا أنّى أَرويها منذُ زمانٍ ؛ فقال : والذى تحلِفُ به إن قائلَها لصاحبِنا الذى دفنّاه آنفا، وهذا الذى ترى ذو قرابته أسرّ الناس بموته، وإنك لغريبٌ وتبكى عليه كما وصفتَ ؛ فعجبتُ لما ذكره فى شعره وما صار اليه من أمره وقوله، كأنه ينظر إلى مكانى من جنازته، فقلت : «إنّ البلاء موكَّلٌ بالقول» ؛ فذهبتْ مثلا .

قال أعرابىٌّ : خيرٌ من الحياة ما اذا فقدتَه أبغضتَ لفقده الحياةَ ، وشرٌّ من الموت ما اذا نزل بك أحببت لنزوله الموت .

(١) فى درة الغواص للحريرى (ص ٣٣ طبعة الجوائب) : "وما تدرى أعاجلها * أدنى لرشدك"
وفى الأصل هنا : ولا يدرى أوائلها * خيرا الخ ... ... وهو تحريف .

وقال أبو زُبَيد :

يَملِكُ المرءُ بالرجاءِ ويُضحى * غَرَضاً للمنون نَصْبَ العودِ
كلّ يومٍ ترميه منها بِرَشْقٍ[١] * فمصيبٌ أو صافٍ[٢] غير بعيد

وقال أبو العتاهية :

وعظتْك أجداثٌ صُمُتْ * ونَعَتْك أزمنـةٌ خُفُتْ
وتكلَّمتْ عن أوجهٍ * تبلى وعن صورٍ شُتُتْ[٣]
وأرتك قبرَكَ فى القبو * رِ وأنت حىٌّ لم تمُتْ

وقال أعرابىٌّ : أبعَدَ سفرٌ أوّلُ مَنْقَلةٍ[٤] منه الموتُ . وقيل لأعرابىّ : مات فلانٌ أصحَّ ما كان؛ فقال : أوَ صحيحٌ مَن الموتُ فى عُنقِه ! وقال بعض المحدَّثين :

اِسمعْ فقد أسمعك الصوتُ * إن لم تبادر فهو الفوتُ
بل كُلْ اذاشئت وعِشْ ناعما * آخرُ هذا كلّه الموتُ

وكان صالح المرّىّ يقول فى قَصَصه :

مؤمِّـلُ دنيا لتبـقَى له * فماتَ المؤمِّلُ قبـل الأَمَلْ
وباتَ يُروِّى أصولَ الفسيلْ[٥] * فعاش الفسيلُ ومات الرجُلْ

وقال مسلم بن الوليد :

كم رأينا من أناس هلكوا * وبكَى أحبابُهم ثم بُكُوا
تركوا الدنيا لمن بعدهمُ * وُدُّهم لو قدّموا ما تركوا

---

(١) الرشق : الشوط من الرمى . (٢) صاف السهم عن الهدف : عدل عنه ولم يصبه .
(٣) كذا فى ديوان أبى العتاهية طبع بيروت . وفى الأصل والمسعودى : « وعن صور سبت » .
(٤) المنقلة (بالفتح) : المرحلة من مراحل السفر . (٥) الفسيل : صغار النخل .

كم رأينــا من ملوكٍ سُوقةً * ورأينــا سُوقةً قــد مَلَكوا
قلَّبَ الدهرُ عليهـــم وَرِكا * فآستداروا حيث دار الفلَكُ

حدّثنى أبى عن أبى العتاهيــة أنه قرئ له بيتــان على جدارٍ من جُدُر كنيسة القسطنطينية :

ما آختلف الليلُ والنهارُ ولا * دارتْ نجومُ السماء فى الفلَكِ
إلا بنقلِ السلطانِ عن مَلِكٍ * كان يحبُّ الدنيا الى مَلِكِ

وقال آخر:

ما أنزل الموتَ حقَّ منزلِه * من عَدَّ يوما لم يأتِ من أجَلِهْ
والصدقُ والصبرُ يبلُغان بمن * كانا قرينَيْـــه منتهى أملِهْ
عليك صدقَ اللسان مجتهدا * فإنّ جُلَّ الهـــلاك فى زللِهْ

وقال الطِّرِمّاح :

فيارَبِّ لا تجعـــلْ وفاتى إن أتت * على شَرْجَعٍ(١) يُغْــلَى بدُكْنِ المطارفِ
ولكن أجِزْ(٢) يومى شهيدًا وعُصْبةً * يصابون فى فجٍّ من الأرض خائفِ
عصائبُ من شتّى يؤلِّفُ بينهـم * هُــدى الله نَزّالون عنـد المواقفِ
اذا فارقوا دنيــاهمُ(٣) فارقوا الأذى * وصاروا الى موعودها فى المصاحفِ
فأُقتَــلُ قَعْصًا(٤) ثم يُرمَى بأعظمى * كضِغْثِ(٥) الخَلَا بين الرياح العواصفِ
ويُصبِــح لحمى بطنَ طيرٍ مقيــلةً * دُوَيْنَ السماء فى نســورٍ عوائفِ(٦)

(١) الشرجع : النعش. (٢) رسمت هذه الجملة فى الأصل هكذا : «ولكن أخر يومى» . وقد وردت هذه الأبيات فى الأغانى فى ترجمة الطرماح باختلاف كثير فى الكلمات عما هنا . (٣) فى الأغانى (ج ١٠ ص ١٦٠ طبع بولاق) : «الى ميعاد ما فى المصاحف» . (٤) قعصه قعصا : قتله مكانه . (٥) الضغث : قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس . (٦) العوائف من الطير : التى تستدير على الشىء، حائمة حوله تريد الوقوع .

وُهَيب بن الوَرْد قال : اتّخذ نوح بيتـا من خُصٍّ ، فقيل له لو بنيت بيتـا ؟ فقال : هذا لمن يموت كثيرٌ.

بلغنى عن إسماعيل بن عيّـاش عن شُرَحْبيل بن مسـلم أن أبا الدّرداء كان اذا رأى جنازةً قال : اغْدِى فإنّا رائحون ، أو قال : روحى فإنا غادون . وهذا مثل قول لبيد :

وإنا وإخواناً لنا قد تتابعوا * لكالمغتــدى والرائح المتهجِّرِ(١)

بلغنى عن وكيع عن شَريك عن منصور عن هلال بن إساف قال : ما من مولود يولد إلا وفى سرّته من تُرْبة الأرض التى يموت فيهـا . قال الأصمعىّ : أوّل شعر قيل فى ذمّ الدنيا قول ابن خَذّاق(٢) :

هل للفتى من بناتِ الدهر من راقى * أم هل له من حِمَـام الموت من واقى
قـد رجّلونى وما رُجِّلْتُ من شَعَثٍ * وألبســونى ثيـابا غيرَ أخــلاقِ
وطيّبــونى وقالوا أيّمـا رجــلٍ * وأدرجــونى كأنّى طىّ مخــراقِ(٣)
هوِّن عليــك ولا تُولَع بإشــفاقِ * فإنمـا مالُنا للــوارث البـاقى

محمد بن فُضَيل عن عُبيـد الله بن عُمَير قال : جاء رجل الى النبىّ عليـه السلام فقال : يا نبىَّ الله ، مالى لا أحبُّ الموت ؟ فقال له : «هل لك مال» ؟ قال : نعم ؛ قال : «قدّمه بين يديك» ؛ قال : لا أُطيق ذلك ؛ قال : فقال النبىُّ عليه السلام : "إنّ المرءَ مع ماله إن قدّمه أحبَّ أن يَلْحَقَ به وإن أخّره أحبَّ أن يتخلّف معه" .

المحاربىّ عن عبـد الملك بن عُمَير قال : قيل للربيع بن خُثَيْم فى مرضه : ألا ندعو لك طبيبا ؟ قال : أنظرونى ؛ ثم فكر فقال : (وعادًا وثَمُودَ وأصحابَ الرَّسِّ وقُرُونًا

(١) كذا فى ديوان لبيد ، وفى الأصل «المتبجر» بالباء وهو تحريف . (٢) كذا فى كتاب الأوائل لأبى هلال العسكرى والقاموس وشرحه مادة «خذق» وفى الأصل «حلاق» وهو تحريف .
(٣) مخراق : ثوب أو منديل يلف ويضرب به .

بينَ ذلكَ كثيرًا) قد كانت فيهم أطباءُ، فما أرى المداوِى بَقِى ولا المُداوَى ؛ هلك الناعتُ والمنعوتُ له ، لا تدعوا لى طبيبا .

إسحاق بن سليمان عن أبى أحمد قال : كان عمر بن عبد العزيز ليس له هِجِّيرى[1] إلا أن يقول :

تُسَرُّ بما يَبْلَى وتفرحُ بالمنى * كما اغترّ باللذّاتِ فى النوم حالمُ
نهارُك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ * وليلُك نومٌ والردَى لك لازمُ
وسعيُك فيما سوف تكره غِبَّهُ * كذلك فى الدنيا تعيشُ البهائمُ

كم من مستقبِلٍ يوما ليس بمستكمله ، ومنتظِرٍ غدا ليس من أجله ؛ لو رأيتم الأجل ومسيرَه ، لأبغضتم الأملَ وغرورَه .

لا يلبث القُرَناء أن يتفرقوا * ليل يَكُرّ عليهمُ ونهارُ

يحيى بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن عبد الوهاب بن وَرْد عن سالم بن بَشير ابن جَحَل عن أبى هريرة : أنه بكى فى مرضه فقال : أمَا إنّى لا أبكى على دنياكم ولكنّى أبكى على بعد سفرى وقلّة زادى ، وأنى أمسيتُ فى صُعودٍ مهبِطُه على جنةٍ أو نار، ولا أدرى على أيّهما يؤخذ بى ! .

أبو جَنَاب قال : لما احتُضِر معاذٌ قال لجاريته : ويحكِ ! هل أصبحنا ؟ قالت : لا ؛ ثم تركها ساعةً ثم قال لها : انظُرى ! فقالت : نعم ؛ فقال : أعوذ بالله من صباح الى النار ! ثم قال : مرحبا بالموت، مرحبا بزائرٍ جاء على فاقةٍ ، لا أفلح مَنْ نَدِم ! اللهمّ إنك تعلم أنّى لم أكن أُحبُّ البقاءَ فى الدنيا لكَرْى الأنهارِ ولا لغرس الأشجارِ ، ولكن كنت أُحبُّ البقاءَ لمكابدة الليل الطويل ولظمأ الهواجر فى الحرِّ الشديد ولمزاحمةِ العلماءِ بالرُّكَبِ فى حِلَق الذِّكر .

(١) الهِجِّيرى : الدأب والعادة .

أبو اليَقْظان قال : لمـا احتُضِر عمرُو بن العاص جعـل يَدَه فى موضع الغُلّ من عنقه ثم قال : اللهـمّ إنك أمرتَنا ففرّطْنا، ونهيتنا فركبنا ، اللهمّ إنه لا يَسَـعُنا إلا رحمتُك؛ فلم يزل ذلك هِجِّيرَاه حتى قُبِض .

قيل لأزاذ مَرْد[(١)] بن الهِرْبِذ حين احتُضِر : ما حالُك ؟ فقال : ما حال من يريد سفرا بعيـدا بلا زاد، ويترلُ حفرةً من الأرض مُوحِشةً بلا مؤنس، ويَقْـدَمُ على ملِكٍ جبّارٍ قد قَدّم اليه العـذْرَ بلا حُجّة !

حدّثنى عَبْدَةُ الصفّارُ قال حدّثنى العَلاء بن الفضل قال حدّثنى محمد بن إسماعيل عن أبيه عن جدّه عن جدّ أبيـه قال : سمعتُ أميّةَ بن أبى الصَّلْت عنـد وفاته وأُغمِىَ عليـه طويلا ثم أفاق، ورفع رأسـه الى سقف البيت وقال : لبّيكما لبّيكما، هأنذا لديكما ، لا عشيرتى تَحمِينى، ولا مالى يَفـدِينى، ثم أُغمِىَ عليه طويلا ثم أفاق فقال :

كلُّ عيشٍ وإن تطاولَ دهرا * صائرٌ مرّةً الى أن يزولا
ليتنى كنتُ قبــل ما قد بدا لى * فى رءوس الجبال أرعَى الوُعُولا

ثم فاضت نفسُه .

الحكَم بن عثمان قال : قال المنصور عند موته : اللهمّ إن كنتَ تعـلمَ أنى قد ارتكبتُ الأمورَ العظامَ جُرأَةً منّى عليك، فإنك تعلم أنى قد أطعتُك فى أحبِّ الأشياء اليـك شهادةِ أن لا إله إلا أنت، مَنًّا منك لا مَنًّا عليـك . وكان سببُ إحرامه من الخضراء أنه كان يوما نائمـا، فأتاه آتٍ فى منامه فقال :

(١) كذا بالأصل ، وأصل الكلمة فى اللغة الفارسية "آزاد" بالدال المهملة فلعل ما فى الأصل تحـــريف .

كأنّى بهذا القصر قد بادَ أهــلُهُ * وعُرِّىَ منـــه أهـــلُه ومنازلُه
وصار عميدُ القوم من بعد نعمةٍ * الى جَدَثٍ تُبنَى عليـــه جنادلُهْ
فلم يبق إلا رسمـــهُ وحديثُـــه * تُبَـــكِّى[1] عليه مُعْـولاتٍ حلائلُهْ

فاستيقظ مرعوبا ثم نام فأتاه الآتى فقال :

أبا جعفرٍ حانت وفاتُك وانقضت * ســنُوكَ وأمرُ الله لا بدّ واقـــعُ
فهـــل كاهنٌ أعددتَه أو منجِّمٌ * أبا جعفرٍ عنـــك المنيـــةَ دافعُ

فقـــال : يا ربيع ائتنى بطَهورى ، فقام واغتسل وصــلّى ولبّى وتجهّز للحجّ ، فلمـــا صار فى الثلث الأوّل اشتدّت علّتُــه ، فجعـــل يقول : يا ربيع ألْقِنى فى حرَم الله ، فمـــات ببئر ميمونٍ[2] .

حدّثنى محمد بن داود عن سـعيد بن نصـير عن العباس بن طالب قال : قال الربيع بن بَرّة : كنتُ بالشام فسمعتُ رجلا وهو فى الموت يقال له : قل لا إله إلا الله ، فقال : اشرب واسقنى . ورأيت رجلا بالأهواز قيل له : قل لا إلهَ إلا اللهُ ، فقال : ده يا ذده وده دوازده[3] . وقيل لرجل بالبصرة : قل لا اله الا الله ، فقال :

يارب قائلة يوما وقـــد تَعِبتْ * كيف الطريقُ الى حَمّام مِنجابِ[4]

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن معمر عن أبيه قال : لَقِّن ميِّتَك ، فإذا قالهـــا فدعه يتكلّم بغيرها من أمر الدنيا ولا تُضجِرْه .

---

(١) تبكّى (بالتشديد) : مثل تَبكى بالتخفيف . (٢) بئر ميمون : بمكة منسوبة الى ميمون ابن خالد بن عامر بن الحضرمىّ . (٣) هـــذه كلمـات فارسية معنى الأولى منها عشرة أحد عشر ومعنى الثانيـــة عشرة اثنا عشر . وهى كلمـات أجراها على لسانه هذيان الاحتضار . (٤) حمام منجاب (بكسر الميم) : ينسب الى منجاب بن راشد الضبىّ .

قال مالك بن ضيغم : لمـا احتُضِر أبي قلنـا له : ألا تُوصِي ؟ قال : بلى، أُوصيكم بمـا أوصى به إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ : ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وأوصيكم بصلة الرحم وحسنِ الجوار وفعلِ ما استطعتم من المعروف، وادفنوني مع المساكين .

وقال عمر بن عبـد العزيز لابنه[(1)] : كيف تجِـدُك ؟ قال : في الموت ؛ قال : لأن تكونَ في ميزاني أحبّ الىّ من أن أكون في ميزانك، قال : وأنا والله لأن يكون ما تُحبّ أحبّ الىّ من أن يكون ما أُحِبّ .

احتضر سيبويه النحويّ فوضع رأسه في حجر أخيه فقطَرت قَطرةٌ من دموع أخيه على خدّه، فأفاق من غشيته وقال :

أُخَيَّيْن كنّا فـرّق الدهر بيننا * الى الأمد الاقصى ومن يأمن الدهرا !

أبو أسامة عن سليمان بن المغيرة عن حميـد بن هلال : قيـل لِهَرِم بن حِبّان : أوص؛ فقال : قد صدّقتني نفسي في الحياة ، مالي شيء أُوصِي فيه ، ولكن أُوصيكم بخواتيم سورة النحل .

قال الشاعر :

ما ارتدّ طرفُ امرئٍ بلحظته * إلا وشيءٌ يموتُ من جسـدِهْ

وقال آخر :

المرء يشـقَى بمـا يسعَى لوارثه * والقبرُ وارثُ ما يسعى له الرجُلُ

حدثني محمد بن عبيـد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن أبي حيّان التيميّ عن أبيه قال : أوصَى الربيعُ بن خيثم وأشهدَ على نفسـه وكفَى بالله شهيدا

(1) يوجد بهامش النسخة الفتوغرافية ما نصه : « هو عبد الملك رحمه الله » .

وجازيًا لعباده الصالحين ومُثيبا : إنى رضيت بالله ربًّا و بالاسـلام دينا و بمحمد رسولا ، وأُوصِى نفسى ومن أطاعنى أن يعبُدَ اللهَ فى العابدين ويحمَـده فى الحامدين وينصحَ لجماعة المسلمين ؛ وأوصَى أهله : ألّا تُشعِروا بى أحدا وسُلُّونى الى ربّى سَلًّا .

حدّثنى محمـد بن أحمـد بن يونس قال سمعتُ عمر بن جرير المهاجرىّ يقول : لمـا مات ذرّ بن عمر بن ذرّ قال لأصحابه : الآن يضيع الشيخ (لأنه كان به بارًّا)؛ فسمعها الشيـخُ فقال : أنّى أضيعُ واللهُ حىٌّ لا يموت! فلما واراه الترابَ وقف على قبره وقال : رحمك الله ياذرّ! ما علينا بعـدك من خصاصةٍ وما بنا الى أحدٍ مع الله حاجةٌ ، وما يسرُّنى أنّى كنت المقـدّمَ قبلَك ، ولولا هولُ المطّلَع لتمنّيتُ أن أكون مكانَك ، لقـد شغلنى الحزنُ لك عن الحزن عليـك ، فياليت شـعرى ما ذا قلتَ وما قيل لك! ثم رفع رأسَه الى السماء فقال : اللهمّ إنّى قد وهبتُ حقّى فيما بينى وبينه له ، فهبْ حقّـك فيما بينك وبينـه له . ثم قال عنـد انصرافه : مضينا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا شُرَيح بن النّعمان عن عبد العزيز بن أبى سَـلَمة المـاجِشُون عن عبـد الواحد بن أبى عَوْن عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : «تُوفِّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو نزل بالجبالِ الراسياتِ ما نزل بأبى لهاضَها ، اِشرأبَّ النفاقُ بالمدينـة وارتدّت العـربُ ، فوالله ما اختلفوا فى نقطة إلا طار أبى بحظها وغَنائها[1] فى الإسلام» . وكانت مع هذا تقول : «من رأى عمرَ بن الخطاب عرفَ أنه خُلِقَ غَناءً للإسـلام ، كان والله أحوزِيًّا[2] نسيجَ

(١) فى الأصل : «وغنا بها» . (٢) الأحوزىّ : الحسن السياق للأمور وفيه بعض النفار .

وحدَه، قد أعدّ للامور أقرانَها » . وقالت عنـد قبره : « رحِمك الله يا أبتِ! لقـد قمتَ بالدين حين وهي شَـعْبُه(١) وتفاقم صَـدْعُه ورجفت جوانبُه، إنقبضت ممـا أصغَوْا اليـه(٢)، وشمّرتَ(٣) فيما وَنَوا فيه واستخففتَ من دنياك ما استوطنوا(٤) وصـغَّرتَ منهـا ما عظَّموا ورعَيت دينـك فيما أغفلوا، أطالوا عِنان الأمن واقتعدت مِطيّ الحـذر، ولم تهضِم دينك ولم تَشِـنْ غدَك ففاز عنـد المساهمة قِدْحُك وخفّ ممـا استوزروا ظهرُك » . وقالت أيضا عند قبره : « نضَّر الله وجهك يا أبتِ! فلقـد كنتَ للدنيا مُذِلّا بإدبارِك عنها، وللآخرة معزًّا بإقبالك عليها، ولئن كان أجلّ الرزايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رُزْؤك وأكبرَ المصائب فقدُك إنّ كتابَ الله لَيَعِدُ بجميلِ العزاءِ عند أحسنِ العوَض(٥) منك، فأنا أتنجّز من الله مَوعودَه فيك بالصبر عليك، وأستعيضُه منك بالاستغفار لك، عليك سلامُ الله ورحمتُه، توديعَ غيرِ قاليةٍ لحياتك ولا زاريةٍ على القضاء فيك » .

قال الحسين بن عليّ عند قبر أخيه الحسن : « رحِمك اللهُ أبا محمـد ! إن كنتَ لَتُباصِرُ الحقَّ مَظانَّه، وتُؤثِر اللهَ عند تداحُض(٦) الباطلِ في مواطن التقيّة بحسن الرويّة، وتستشِفُّ جليلَ مَعاظم الدنيا بعينٍ لهـا حاقرةٍ، وتُفيضُ عليها يدًا طاهرةَ الأطرافِ نقيَّةَ الأسرَّةِ(٧)، وتردَعُ بادرةَ غربِ أعدائك بأيسر المؤونة عليك، ولا غَروَ وأنت ابن

---

(١) وهى شعبه : تمزق وتفرق جمعه . (٢) أصغوا اليه : مالوا اليه . (٣) شمر : جدّ . وفى الأصل : «صموت» وهو تحريف، اذ ما بعده يعين ما أثبتناه . (٤) كذا بالاصل .

(٥) الذى فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٦٧ طبع دار الكتب المصرية) : «ان كتاب الله ليعـد بحسن الصبر فيك وحسن العوض منك » . (٦) تداحض الباطل : من الدحض وهو الزلق والزلل، ولم نجد هذه الصيغة فى كتب اللغة التى بين أيدينا، فلعلها «عند مداحض الباطل» جمع « مدحضـة » كمزلة وزنا ومعنى . (٧) الأسرة : جمع سرار (بالكسر) وهى الخطوط التى تبدو فى ظاهر اليد والجبهة .

سلالة النبوّة ورضيعُ لِبان الحكمة؛ فالى رَوْح ورَيحانٍ وجنّة نعيم؛ أعظمَ اللهُ لنا ولكم الأجرَ عليه، ووهبَ لنا ولكم السّلوةَ وحُسْنَ الأسى[(١)] عنه» .

حدّثنى عبد الرحمن بن الحسين السعيدىّ عن محمد بن مُصْعَب : أنّ ابن السمّاك قال يوم مات داودُ الطائىّ فى كلامٍ له : إن داود رحمه الله نظر بقلبه الى مابين يديه من آخرته، فأعشَى بصرُ القلب بصرَ العين، فكان كأنه لا ينظر الى ما اليه تنظرون، وكأنكم لا تنظرون الى ما اليه ينظر، فأنتم منه تعجّبون وهو منكم يعجّب، فلما رآكم راغبين مذهولين مغرورين قد أذهلت الدنيا عقولكم وأماتت بحبّها قلوبكم استوحش منكم ، فكنتُ اذا نظرتُ اليه نظرت [الى] حىٍّ وسطَ أموات . يا داود ما أعجب شأنك بين أهـل زمانك ! أهنت نفسَك وانمـا تريد إكرامَها ، وأتعبتها وانمـا تريد راحتَها ، أخشنتَ المطعمَ وانمـا تريد طِيبَـه وأخشنتَ الملبسَ وانمـا تريد لِينَـه ، ثم أمتَّ نفسَـك قبل أن تموتَ ، وقبرتَهـا قبلَ أن تُقبرَ ، وعذّبتها ولمّـا تُعذَّب[(٢)] ، وأغنيتها عن الدنيا لكيلا تُذكَر، رغبتَ نفسُك عن الدنيا فلم ترها لك قدْراً الى الآخرة، فـا أظنُّك إلا وقد ظَفِرت بمـا طالبت ؛ كان سيماك فى سرِّك ولم يكن سيمـاك فى علانيتك ، تفقّهتَ فى دينـك وتركت الناس يُفتُون ، وسمعتَ الحديثَ وتركتهم يُحدِّثون، وخرِسْتَ عن القول وتركتهـم ينطقون ، لا تحسُـد الأخيارَ ، ولا تعيبُ الأشرارَ، ولا تقبـل من السلطان عطيّة ، ولا من الإخوان هديّة ؛ آنسُ ما تكون اذا كنتَ بالله خاليا، وأوحشُ ما تكون آنسُ ما يكون النـاس؛ فمن سمِـع بمثلك وصبرَ صبرَك وعزَم عزمَك! لا أحسَبُك الا وقد أتعبت العابدين بعـدَك ، سجنتَ نفسَك فى بيتك فلا مُحدِّثَ لك ولا جليسَ معك ولا فراشَ تحتك ولا سـترَ على بابك

(١) الأسى (بضم الاول ويكسر) : جمع أسوة (بالضم والكسر أيضا) وهى مايتعزى به .
(٢) فى الأصل «ولمـا أن تعذب» . بزيادة «أن» بعد «لمـا» وليس هذا من مواضع زيادتها .

ولا قُلّةَ يُبرَّد فيها ماؤك ولا صحفةَ يكون فيها غداؤك وعَشاؤك ، مطهّرتُك قلبُك وقَصْعتُك تَوْرُك[1] . داود ما كنتَ تشتهى من الماء بارده ولا من الطعام طيّبَه ولا من اللباس ليّنَه ، بلى! ولكن زَهدتَ فيه لما بين يديك ؛ فما أصغرَ ما بذلتَ ، وما أحقرَ ما تركتَ فى جنب ما أمّلتَ ، فلما متّ شهّرك ربُّك بموتك ، وألبسك رداءَ عملك ، وأكثرَ تبعَك ؛ فلو رأيتَ من حضرك عرفتَ أنّ ربّك قد أكرمك وشرّفك ، فلتتكلّم اليوم عشيرتُك بكلّ ألسنتها ، فقد أوضح ربُّك فضلَها بك ، ووالله لو لم يَدْعُ عبدا الى خيرٍ بعمله إلا حُسْنُ هذا النّشرِ من كثرة هذا التّبَع ، لقد كان حقيقا بالاجتهاد والجهد لمن لا يُضيع مُطيعا ولا ينسى صنيعا شاكرا ومُثيبا .

وقف محمد بن سليمان على قبر ابنه فقال : اللهم إنى أرجوك له وأخافك عليه ، فحقق رجائى وآمن خوفى .

مات ابنٌ لأنس بن مالك فقال أنسٌ عند قبره : اللهمّ عبدُك وولدُ عبدك وقد رُدّ اليك ، فارأف به وارحمْه ، وجافِ الأرضَ عن بدنه ، وافتح أبوابَ السماء لرُوحه وتقبّلْه بقبولٍ حسنٍ . ثم رجع فأكلَ وشربَ وادّهن وأصاب من أهله .

وقال جرير فى امرأته :

لا يلبَثُ القُرَناءُ أن يتفرّقوا * ليلٌ يَكُرُّ عليهم ونهارُ
صلّى الملائكةُ الذين تُخيِّرُوا * والطيّبون عليك والأبرارُ

وقفتْ أعرابيّة على قبر ابنها فقالت : والله ما كان مالُك لعرسك ، ولا همُّك لنفسك ، وما كنتَ إلا كما قال القائل :

رحيبُ الذراع بالتى لا تَشينُه * وإن كانت الفحشاءُ ضاق بها ذَرْعا

---

(١) التور : إناء صغير يتوضأ به .

حدّثني محمد بن داود عن الصّلْت بن مسعود قال : كان سفيان بن عُيَينة يستحسن شعرَ عدىّ بن زيد :

أين أهلُ الديار من قومِ نوحٍ * ثم عادٌ من بعدهم وثمودُ
بينما هـم على الأسرَّة والأنْـ * ـماط أفضت الى التراب الخدودُ
ثم لم ينقَضِ الحديثُ ولكن * بعد ذا الوعدُ كلُّه والوعيدُ
وأطباءُ بعدَهم لحقوهم * ضلّ عنهم سَعُوطهم واللَّدُود(١)
وصحيحٌ أضحى يعود مريضا * وهو أدنى للموتِ ممن يعودُ

أخذه علىّ بن الجهم فقال :

كم من عليل قد تخطّاه الردى * فنجا وماتَ طبيبُه والعُوَّدُ

حدّثني عَبْدة بن عبد الله قال أخبرنا عُبَيد الله بن موسى قال أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الملك بن عُمَير عن رِبْعِىّ بن حِراش قال : أتيتُ أهلى فقيل لى : مات أخوك ، فوجدتُ أخى مُسَجًّى عليه بثوب ، فأنا عند رأسه أترحّم عليه وأدعو له إذ كَشَفَ الثوبَ عن وجهه فقال: السلام عليكم ، فقلنا : وعليكَ السلام ، سبحان الله ! بعد الموت ! فقال : إنى تُلُقِّيتُ بِرَوْحٍ ورَيحان وربٍّ غيرِ غضبان ، وكسانى ثيابا من سندسٍ وإستبرَق ، وإنى وجدتُ الأمرَ أيسرَ مما تظنّون ولا تتّكلوا ، إنى استأذنت ربّى أن أخبركم وأبشّركم . إحملونى الى رسول الله ، فقد عُهِد إلىّ ألّا أبْرَح حتى ألقاه ثم طَفِئَ(٢) .

حدّثني أبو سهل عن علىّ بن محمد عن إسحاق بن منصور عن عمارة بن زاذان عن ثابت أن مُطرِّفا كان يبدو(٣) على دابّته بين المقام فأغفى فاذا أهلُ القبور جلوسٌ على

(١) السعوط : الدواء الذى يؤخذ من الانف ، واللدود (وزان صبور) : ما يؤخذ من الدواء بالمسعط و يصب فى أحد شق الفم . (٢) همد وسكن . (٣) كذا بالأصل ولعلها يغدو .

شِفَاه[(١)] قبورهم يقولون : هـــذا مُطَرِّفٌ يروح الى الجُمعة ؛ قلتُ : هل تعرفون يومَ الجمعة؟ قالوا: نعم ، وما تقول الطيرُ فى جوف السماء ، يقولون : سلامٌ ، يومٌ صالحٌ .

حدّثنى محمد بن عبيــد قال : حدّثنا سُــفيان بن عُيَينة عن أبى الزُّبير عن جابر قال : لمــا أراد معاوية أن تجرِيَ العينُ التى حفرها — قال سفيان : تُسمّى عينَ أبى زياد — نادَوْا بالمدينة : من كان له قتيلٌ فليأتِ قتيــلَه ؛ قال جابر : فأتيناهم فأخرجناهم رِطَابا يتثنّون ، وأصابت المِسحَاة رِجلَ رَجُلٍ منهم فانقَطَرتْ[(٢)] دمًا . قال أبو سعيد الخدرىّ : لا يُنكِرُ بعدَ هذا مُنكِرٌ أبدا .

حدّثنى محمد بن عُبيد قال حدّثنا ابن عُيينة عن عمرو بن دينار عن عُبَيد بن عُمَير قال : أهلُ القبور يتوكّفُون[(٣)] الأخبــارَ فاذا أتاهم الميت سألوه : ما فعــل فلانٌ ؟ فيقول : ألم يأتكم ! فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون ، سُلِكَ به غيرُ سبيلنا .

حدّثنى عبــد الرحمن العَبْــدىّ عن جعفر بن أبى جعفر قال : حدّثنا أبو جعفر السائح عن الربيع بن صَبِيح قال : شهِدتُ ثابتا البُنَانىّ يوم مات وشهِده أهلُ البَصرة ، فدخلتُ قبرَه أنا وحُمَيدٌ الطويلُ وأبو جعفر حسن مما يلى رأسَه فلما ذهبتُ أُسَوّى عليه اللَّبِنةَ سقطَتْ من يدى فلم أرَ فى اللحد أحدا ، وأصغى إلىَّ حُميدٌ أنِ اختُطِفَ صاحبُنا وضجَّ الناسُ فسوَّينا على اللحد وحثَونا الترابَ ؛ فلم يكن لحُميــدٍ همّةٌ حتى أتى سليمانَ بن علىّ وهو أميرٌ على البَصرة فأخبره ، فقال : ما يُنكَرُ لله قدرةٌ ! إلا أنى أُنكِرُ أن يكون أحدٌ من أهل زماننا يُفْعَلُ هــذا به ، فهل علم به أحدٌ سواك ؟ قال :

(١) كذا بالأصل ، ولعل أصله « أشفاء » جمع شفا أى حرف . (٢) انفطرت دما : سالت دما ، يقال انفطرت قدم فلان أو أصبعه دما أى سالت وفى الأصل . « انقطرت » بالقاف ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا صيغة انفعل من قطر . (٣) يتوكفون الأخبار : ينتظرونها ويسألون عنها .

نعم، الربيع بن صَبيح وحَسَن؛ قال : عَدْلان مَرْضِيّان، فبعثَ أمناءَ جيرانه فنبشوا عنه فلم يجدوه فى قبره .

وحدّثنى أيضا عن أعرابيّــة كان يُقال لهــا أمّ غَسّان مكفوفة وكانت تعيشُ بمغزَلهــا وتقول : الحمــدُ لله على ما قضى وارتضى، رضيتُ من الله ما رضِىَ لى ، وأستعينُ اللهَ على بيتٍ ضيّقِ الفِناء قليلِ الكِوَاءِ (١) وأستعين الله على مايُطالِعَ من نواحيه. وماتت جارةٌ لهــا فقيل لها : ما فعلتْ جارتُك ؟ فقالت :

تقسّم جاراتُهــا بيتَهــا * وصارت الى بيتها الأتلد

وقالت يوما : إن تقبّلَ اللهُ منى صلاةً لم يعذّبْنى، فقيل لها : كيف ذلك؟ قالت : لأنّ الله عزّ وجل لا يثنى فى رحمتِــه وحلمِه، قال : وكنتُ سمعتُ حديثَ معــاذ «من كُتِبَتْ له حسنةٌ دخلَ الجنّةَ» ولم أدر ما تفسيره حتى سمعت أمّ غسانَ تقول هذا، فعرفت تأويلَه :

الكِبَر والمشيب

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا أبو داود عن عبد الجليــل بن عطيّــة عن شَهْر ابن حَوْشَب عن عمرو بن عَنْبَسَةَ قال : سمعتُ رسول الله صــلّى الله عليه وســلّم يقول : «مَنْ شابَ شَيبةً فى الإســلام كانت له نورا يومَ القيامة ما لم يَخضِبْها أو يَنتِفْها» .

أبو حاتم عن الأصمعىّ عن شــيخ من بنى فَزارة قال : مررتُ بالبــادية وإذا شيخٌ قاعدٌ على شــفيرِ قبرٍ، واذا فى القبور رجالٌ كأنهم الرّماحُ يدفِنون رجُلا والشيخُ يقول :

---

(١) الكِواء : جمع كوّة وهى الخرق فى الحائط .

أُحثُوا على الدَّيسَم من بَرْد الثرى * قـــدْمًا أبَى ربُّك إلا ما تَرَى(١)

فقلت له : مَن الميتُ؟ فقال : ابنى، فقلت له : مَن الذين يَدفِنونه؟ قال : بنـــوه .

حدّثنا أبو عبد الرحمن قال : دخل يونس بن حبيب المسجدَ يُهادَى(٢) بين اثنين من الكبر فقال له رجلٌ كان يتّهمه على مودّته : بلغتَ ما أرى يا أبا عبد الرحمن ! قال : هو ما ترَى فلا بَلَغْتَه . ونحوه قولُ الشاعر :

* يا عائبَ الشيبِ لا بَلَغْتَه *

ويقال فى الزبور : «من بلغ السبعينَ اشتكى من غير علّة» . وقال محمد بن حسّان النبطىّ : لا تسأل نفسك العامَ ما أعطتك فى العام المــاضى .

رأى ضِرار بن عمرو الضبىّ له ثلاثةَ عشر ذكرا قد بلغوا فقال : من سرّه بنوه ساءته نفسُه .

قال ابن أبى فَنَن :

من عاش أخلقت الأيامُ جِدّتَه * وخانه الثِّقتانِ السمعُ والبصرُ
قالت عَهِدتُك مجنونا فقلت لها * إنّ الشبابَ جنونٌ بُرؤه الكِبَرُ

أبو عبيـــدة قال : قيـــل لشيخ : ما بقِىَ منك؟ قال : يسبِقُنى مَنْ بين يدىَّ ، ويُدرِكنى مَنْ خلفى ، وأنسى الحديثَ ، وأذكُر القديمَ ، وأنعُس فى الملا ، وأسهَر فى الخلا ، واذا قمتُ قرُبتِ الأرضُ منّى ، واذا قعدتُ تباعدتْ عنّى ؛ قال الشاعر :

قالت عَهِدتك مجنونا فقلتُ لها * إنّ الشبابَ جنونٌ بُرؤه الكِبَرُ

(١) كذا بالأصل وجاء هذا البيت فى اللسان مادة « دسم » هكذا

أحثى على ديسم من برد الثرى * أبى قضاء الله إلا ما ترى

(٢) بالبناء للفعول أى يمشى بينهما معتمدا عليهما لضعفه .

قال عبد الملك بن مروان للعُريان بن الهَيثم : كيف تجِدُك ؟ قال : أجِدُني قد ابيض مني ما كنتُ أحبُّ أن يسودّ واسودّ مني ما كنتُ أحبُّ أن يبيَضّ واشتدّ مني ما أُحبُّ أن يلين ولان مني ما أحِبّ أن يشتدّ وقال :

سَـلْنِي أُنَبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ * نومُ العِشاء وسُعالٌ بالسَّحَرْ
وقِلّةُ النومِ اذا الليـلُ اعتكَرْ * وقِلّةُ الطعمِ اذا الزادُ حضَرْ
وسرعةُ الطرف وتَحميجُ النظر(١) * وتركُكَ الحسناءَ في قُبْلِ الطُّهُرْ
* والناس يَبْلَون كما تَبلَى الشَّجَرْ *

وقال حميد بن ثور :

أرى بصرى قد رابني بعد صحّة * وحسبُك داءً أن تصِحّ وتَسلما

وقال الكميتُ :

لا تَغبِط المرءَ أن يُقـالَ له * أمسى فلانٌ لِسِنّه حَكَمَا
إن سرّه طولُ عمره فلقـد * أضحى على الوجه طولُ ما سَلِما

وقال النَّمِر بن تَوْلب :

يَوَدّ الفتى طولَ السلامة والغنَى * فكيف تُرى طولَ السلامة يَفعلُ

---

(١) التحميج : تصغير العين لتمكينها من النظر، و يقال على إدامة النظر مع فتح العينين ؛ وهكذا ذكره الأزهرى والجوهرى وغيرهما بالحاء المهملة قبل الميم والجيم المعجمة بعدها ؛ وفى الأصـل : «تجميح» بتقديم الجيم وتأخير الحاء ؛ وهو موافق لما رواه ابن الأثير فى حديث عمر بن عبد العزيز «فطفق يجمح الى الشاهد النظر» ثم قال : هكذا ورد فى كتاب أبى موسى وكأنه والله أعلم سهو. وقال الزمخشرى : هى لغة فى التحميج (انظر اللسان مادتى حمج وجمح) .

وقال آخر :

كانت قناتى لا تَلينُ لغامز * فألانها الإصــباحُ والإمســاءُ
ودعوتُ ربّى بالسلامة جاهدا * ليُصِحَّنى (١) فإذا السّــلامةُ داءُ

وقال أبو العتاهية :

* أسرعَ فى نقص امرئٍ تمــامُهُ *

وقال عبــد الحميد الكاتب :

ترحّـــل (٢) ما ليس بالقــافلِ * وأعقب ما ليس بالآئلِ
فلهفى من الخَلَف النــازل * ولهفى على السلف الراحلِ
أُبكّى عـــلى ذا وأبكى لذا * بكاءَ المولّهـــة الثاكلِ
تُبَكّى من آبن لهــا قاطعٍ * وتَبكى على آبن لهــا واصلِ
تقضت غَواياتُ سُكرِ الصبا * وردّ التُّـــقى عَنَدَ الباطلِ

محمد بن سلّام الجُمحىّ عن عبد القاهر بن السَرىّ قال: كتب الحجاج الى قتيبة ابن مســلم : إنى نظرتُ فى سنّك فوجدتُك لِدَتى (٣) وقد بلغت الخمسين وإنّ آمرأً سار الى منهل خمسين عاما لقريبٌ منه . فسمع به الحجاج بن يوسف التيمىّ فقال:

إذا كانت السبعون سِــنَّك لم يكن * لدائك إلا أنــ تموتَ طبيبُ
وإنّ آمرأً قد سار سبعين حِجّــة * الى منهـــل من وِرْده لقـــريبُ
اذا ما خلوتَ الدهر يوما فلا تقل * خلوتُ ولكن قل علىّ رقيبُ
اذا ما آنقضى القَرْن الذى أنت منهمُ * وخُلِّفتَ فى قَــرْنٍ فأنت غريبُ

---

(١) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٢٥ وبالأصل : «لينجنى» . (٢) فى الأصل «رحل» . ولا يستقيم معه الوزن . (٣) لدة الرجل : تربه .

وقال لبيد :

أليس ورائى إن تراخت منيّتى * لزومُ العصا تُحنَى عليها الأصابعُ
أُخبِّر أخبارَ القرونِ التى مضت * أدِبّ كأنى كلّما قمتُ راكعُ

وقال آخر فى مثله :

حنتنى حانياتُ الدّهر(1) حتّى * كأنى خاتِلٌ(2) يدنو لصيدِ

وقيل لرجل مِن الحكماء : مالك تُدْمِنُ إمساكَ العصا ولستَ بكبيرٍ ولا مريض؟ فقال : لأذكرَ أنى مسافر، قال الشاعر :

حملتُ العصا لا الضعفُ أوجبَ حملَها * علىّ ولا أنى تحنيتُ مِن كِبَرْ
ولكنّنى ألزمتُ نفسىَ حملَها * لأُعلِمَها أنّ المقيمَ على سَفَرْ

ومرّ شيخ من العرب بغلامٍ فقال له الغلام : أحصدْتَ(3) ياعمّاه فقال : يابنىّ وتُختَصَدون .

قال الحسنُ فى موعظة له : يامعشر الشيوخ، الزرعُ اذا بلغ ما يُصنَع به؟ قالوا : يُحصد . يامعشر الشباب(4) كم من زرع لم يبلغ أدركته آفةٌ، قال الشاعر :

الدّهر أبلانى وما أبليتُه * والدّهرُ غيّرنى وما يتغيّرُ
والدّهر قيّدنى بخيطٍ مبرَمٍ * فمشيتُ فيه وكلّ يومٍ يقصُرُ

(١) كذا فى اللسان مادة «ختل» وفى الأصل «نائبات» . (٢) كذا فى اللسان مادة ختل وفى الأصل «حابل» . (٣) أحصدت : آن لك أن تحصد . (٤) كذا بالأصل : وهذه الجملة غير منتظمة مع ما قبلها فلعل بعض الكلمات سقطت بينها وبين الجملة التى قبلها وبين المراد «ثم قال» الخ .

وقال عُمارة بن عَقيل :

وأدركتُ مِلءَ الأرضِ ناسا فأصبحوا * كأهــل الدّيار قَوَّضــوا فتحمَّلوا
وما نحن إلا رُفقــةٌ قد ترحَّلت * وأخرَى تُقَضِّى حاجَها وتَرَحَّــلُ

ذكر أعرابىٌّ الشيبَ فقال : والله لقد كنتُ أُنكر الشعرةَ البيضاء فقد صرتُ أُنكر السوداء، فياخير بَدَلٍ ويا شرَّ مبدول[1] . وقال بعض الشعراء :

شاب رأسى وما رأيتُ مشيبَ الـ * ـرَّأس إلا من فضلِ شَيب الفؤادِ
وكذاك القــلوب فى كلّ بؤسٍ * ونعـــيمٍ طلائــعُ الأجســادِ
طــال إنكارىَ البيــاضَ فإن عُـمْـ * ـمِرتُ شيئا أنكرتُ لونَ الســوادِ

رأى إياس بن قَتادة شَعرة بيضاءَ فى لحيته، فقال : أرى الموتَ يطلبنى وأرانى لا أفوته ، أعوذ بك ياربِّ من فُجَاءاتِ الأمور، يابنى سعد قد وهبتُ لكم شبابى فهبوا لى شيبتى، ولزم بيتَه .

قال قيس بن عاصم : الشيب خِطام المنية .

قال آخر : الشيبُ بريدُ الحِمام .

قال آخر : الشيب تَوءم الموت .

قال آخر : الشيب تاريخ الموت .

قال آخر : الشيب أوّل مراحل الموت .

قال آخر : الشيب تمهيد الحمام .

قال آخر : الشيب عنوان الكِبَر .

(١) كذا فى الأصل : وهذا يوافق قول أبى عبيدة : هذا باب المبدول من الحروف ، ونحو هذه كما فى اللسان مادة «بدل» دليل على أن بدل متعد ، وفى العقد الفريد : «مبدل» .

قال عُبيدُ بن الأبرص : * والشَّيْبُ شَينٌ لمن يشيب * . ويقال : شَيْبُ الشَّعَر موتُ الشَّعَر، وموتُ الشعَرِ عِلّةُ موتِ البشر . قال الشاعر :

وكان الشباب الغضُّ لى فيه لذةٌ * فوقَّرنى عنـه المشـيبُ وأدّبا
فسَقْياً ورَعْياً للشبابِ الذى مضى * وأهلاً وسهلاً بالمشـيب ومرحبَا

وقال أعرابىّ — ويقال هى لأبى دُلَف — :

فى كل يوم من الأيام نابتـةٌ * كأنمـا نبَتَتْ فيـه على بَصَرى
لئن قرَضتكِ بالمقراض عن بصرى * لمـا قرضـتُكِ عن همّى ولا فِكَرى

وقال أعرابىّ :

أرَى الشيبَ مذ جاوزتُ خمسين دائباً * يَدِبّ دبيبَ الصبح فى غَسَـق الظُّلَمْ
هو السُّـمّ إلا أنه غـيرُ مُـؤلِمٍ * ولم أرَ مثـلَ الشيب سُمّـا بلا ألَمْ

وقال آخر :

قَصَر الحوادِثُ خطوَه فتدانَى * وحَنَيْنَ صـــدرَ قَناته فتحَانَى
صحِبَ الزمانَ على اختلاف فُنُونه * فأراه منـــه شِـدّة وليَـانَا
ما بالُ شـيخ قد تخـدّد لحمُـه * أنضَى[(١)] ثلاثَ عمـائمٍ ألوانَا
سوداءَ داجيـةً وسَحْقَ مُفَوَّفٍ[(٢)] * وأجدّ أخرى بعـد ذاك هِجَانَا[(٣)]
بَم المماتُ وراء ذلك كلِّهِ * وكأنمـا يُعْـنَى بذاك سِـوانَا

وقال آخر يذكر الشبابَ :

لمـا مضى ظاعنًا عنـا فـودّعنا * وكان كالميْتِ لم يـترك له عَقِبَـا
عُدنا الى حالةٍ لا نسـتطيعُ لهـا * وصلَ الغَوانى وعابَ الشيبَ مَنْ لَعِبا

---

(١) أنضى : أبلى وأخلق . (٢) السحق : الثوب البالى، والمفوّف من البرود ما فيه خطوط بيض . (٣) الهجان : الخالص البياض .

وقال محمود الوراق :

بكيتُ لقُرب الأجلْ * وبُعْـدِ فوات الأملْ
ووافـدِ شيبٍ طـرا * بعُقْب شبابٍ رَحَلْ
شَـبَابٌ كأن لم يكن * وشَـيبٌ كأن لم يَزَلْ
طَـوَاكَ(١) بشـيرُ البقا * وجاء بشـيرُ الأجَلْ
طَوَى صاحبٌ صاحبًا * كذاك انتقالُ الدُّوَلْ

وقال أبو الأسود يذمّ الشبابَ :

غدا منك أسبابُ الشباب فأسرعا * وكان بجارٍ بانٍ يومًا فودّعَا
فقلت له فاذهَبْ ذميما فليتَـني * قتلتُـك عِلمًا قبـل أن نتصدّعَا
جنيتَ علىّ الذنبَ ثم خذلتَـني * عليـه فبئسَ الخَلّتانِ هُمَـا معَـا
وكنتَ سَرابًا ماضَحَـا(٢) إذ تركتَني * رَهينـةَ ما أجني من الشرّ أجمعَا

وقال آخر :

استنكرتْ شـيبي فقلتُ لهـا * ليس المشيبُ بناقِص عُمْرِى
وتنفّستْ بي هِمّـةٌ وصلَتْ * أملى بكلّ رفيعـةِ الذِّكـرِ

روى عبد الله بن حَفْص الطاجى عن زكريا بن يحيى بن نافع الأزدىّ عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اخْضِبُوا بالسّواد، فانه أُنسٌ للنساء وهَيبةٌ للعدو . قال عمرُ بن المبارك الخزاعىّ :

مَنْ لأُذْنِي بمَـلامٍ * ولِكَفّى بمُـدَامٍ
دَقّ عظمُ الجهـل مِنّى * وانثنَى شَنُّ(٣) عُرَامِى

(١) طواك : جاوزك . (٢) ماضحا : ما بدا وظهر . (٣) كذا فى الأصل ، ومن المحتمل أن يكون : «وانثنى سن عرامى» والعرام : الشدة والقوة .

وتمشّى الفَــذُّ من شَيـ * ـبى الى الشَّيب التُّؤامِ[1]
تَظْمَكَ الدرَّ الى الد * رَّة فى سِـــلكِ النِّظامِ

وقال أبو العتاهية :

نَعَى لك ظلَّ الشبابِ المشيبُ * ونادتك باسم سِواك الخُطوبُ
فكن مُســـتعدًّا لداعى المنون * فكلّ الذى هو آتٍ قَـــرِيبُ
وقبلكَ داوَى المريضَ الطبيبُ * فعاشَ المريضُ ومات الطبيبُ
يَخافُ على نفسه مَنْ يتوبُ * فكيف ترى حال مَن لايتوبُ

محمدُ بن سلّام قال : سمعتُ يونسَ بن حبيب يقول : لا يأمنُ مَنْ قطع فى خمسةِ دراهم خيرَ عُضوٍ منك أن يكون عقابه هكذا غدًا .

الدنيــا

حدّثنى أبو مسعود الدارمىّ قال حدّثنى جدّى خِراشٌ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صــلى الله عليه وسلم : « مَنْ أصبحت الدنيا همَّه وسَـدَمه[2] نَزَعَ اللهُ الغِنَى من قلبه ، وصيرَ الفقرَ بيـــن عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتبَ له ، ومن أصبحتِ الآخرةُ همَّه وسَدَمه نزعَ اللهُ الفقرَ من قلبــه وصَيرَّ الغِنَى بين عينيه وأتته الدنيا وهى راغمةٌ » .

حدّثنى محمــد بن داود قال حدّثنــا أبو الربيع عن حمّــاد عن على بن زيد عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للضحّاك بن سفيان : « ما طَعامكَ » قال : اللحمُ واللبنُ ، قال : « ثم يصير الى ما ذا » قال : ثم يصيرُ الى ما قد علمتَ ، قال :

---

(١) التؤام : جمع تؤام ، وأصله المولود مع غيره فى بطن ، ويستعار للزدوجات كما وقع فى هذا البيت .
(٢) السدم : اللهجة والولوع بالشىء .

« فإنّ اللهَ ضربَ ما يخرجُ من ابن آدم مثلًا للدّنيا » قال : وكان بشــيرُ بنُ كعبٍ يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه : انطلقوا حتى أُرِيَكم الدّنيا ، فيجيءُ فيقفُ بهم على السُّوقِ، وهى يومئذ مَزْبَلَةٌ، فيقول : انظروا الى عَسَلهم وسَمْنِهم والى دَجَاجهم وبطّهم صار الى ما تَرَوْن .

حدّثنى هارونُ بنُ موسى قال حدثنا محمد بن سعيد القَزْوينى عن عمرو (١) بن أبى قيس عن هارون بن عنترة عن عمرو بن مُرّة قال : سُئِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله : (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) فقال : «اذا دخل النورُ القلبَ وانفسحَ شُرِح لذلك الصدرُ» ؛ قالوا : يانبيّ الله هل لذلكَ آيةٌ يُعرَفُ بهـا؟ قال : « نعم الإنابَةُ الى دار الخلود والتَّجافِى عن دار الغرور والاستعدادُ للموت قبل نُزول الموتِ » .

بلغنى عن العُتْبِىّ عن حبيب العَـدَوىّ عن وهب بن منبّـه قال : رأينا ورقةً يَهفُو بها الريحُ فأرسَـلْنا بعضَ الفِتيانِ فأتانا بها فإذا فيها : الدنيا دارٌ لا يُسـلَمُ منهـا إلا فيها، ما أخذَ أهلُها منها لهـا خرجوا منـه ثم حُوسِبوا به ، وما أَخذَ منها أهلُها لغـيرها خرجوا منـه ثم أقاموا فيـه ، وكأن قوما من اهل الدنيا ليسوا من أهلها ، هم فيها كمن ليس فيها، عملوا بمـا يُبصِرون وبادَرُوا ما يحذَرون، تتقلّبُ أجسادُهم بين ظهرَانَىْ أهل الدنيا ، وتتقلّبُ قلوبهم بين ظهرانَىْ أهل الآخرة، يَرَوْن النـاسَ يُعظّمون وفاةَ أجسـامهم وهم أشـدّ تعظيما لموت قلوب أحيائهـم . فسألت عن الكلام فلم أجد مَنْ يعرفه .

وقال المسيح عليه السلام : الدّنيا قنطرةٌ فاعبُرُوها ولا تعمُرُوها .

(١) كذا فى تهذيب التهذيب فى ترجمة محمد بن سعيد . وفى الأصل « عمر » .

وفى بعض الكتب : أن الله تعالى أوحى الى الدنيا «مَنْ خَدَمَنِي فاخْدُمِيه، ومَنْ خَدَمكِ فاستخْدِميه» .

قال بعضُ العابدين يذكُر الدنيا :

لقد غَرّت الدنيا رجالاً فأصبحوا * بمنزلةٍ ما بعدها مُتحوَّلُ
فساخطُ أمرٍ لا يُبدَّلُ غيرَه * وراضٍ بأمرٍ غيرَه سيُبدَّلُ
وبالغُ أمرٍ كان يأمُلُ دونه * ومختَلَجٌ من دون ما كان يأمُلُ

وقال آخرُ يذكر الدنيا :

حُتوفُها رَصَدٌ[1] وعيشُها رَنَقٌ[2] * وكَدُّها نَكَدٌ ومُلْكُها دُوَلُ

وقال آخر :

نُراعُ لذكر الموت ساعةَ ذكره * وتعترِض الدنيا فنلهو ونلعبُ
ونحن بنو الدنيا خُلقنا لغيرها * وما كنتَ منه فهو شيءٌ مُحبَّبُ[3]

وقال يحيى بن خالد : دخلنا فى الدنيا دُخولا أخرجَنا منها .

ذمّ رجلٌ الدنيا عند علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، فقال علىّ عليه السلام : الدنيا دارُ صدقٍ لمن صَدَقها، ودارُ نجاة لمن فَهِم عنها، ودارُ غِنًى لمن تزوّد منها، مَهْبِطُ وحىِ الله، ومُصلَّى ملائكته، ومَسجِدُ أنبيائه، ومَتْجَرُ أوليائه، رَبِحُوا منها الرحمة واحْتَسَبُوا فيها الجنةَ؛ فمن ذا يذمّها وقد آذَنَتْ ببينها ونادتْ بفراقها وشَبَّهَتْ بسرورها السّرورَ وببلائها البلاءَ ترغيبًا وترهيبًا؛ فيأيها الذامُّ الدنيا المعلِّلُ نفسَه، متى خَدَعَتْك الدنيا أم متى استذمّت اليك[4]! أبمصارع آبائك فى البِلَى! أم بمضاجع أمهاتك فى الثَّرى!

(١) رصد : مترصدة مترقبة . (٢) رنق : كدر . (٣) يريد أن الناس أبناء الدنيا فهم منها، ولهذا كانت محبوبة لهم (٤) استذمت اليك : فعلت ما تذمها على فعله .

كم مَرّضتَ بيديك، وعلّلتَ بكفّيك، تطلبُ له الشفاء، وتستوصفُ له الأطباءَ، غداة لا يُغنى عنه دواؤك، ولا ينفعك بكاؤك .

كان إبراهيم بن أدهم العِجلىّ يقول :

نُرَقِّع[1] دنيانا بتمـزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نُرَقِّع[1]

قال أبو حازم : وما الدنيا ! أمّا ما مضى فحُلْمٌ وأمّا ما بقى فأمانىّ .

قال سـفيانُ :

أوحى الله تعالى الى نبىّ من الأنبياء «اتّخِذ الدنيا ظِئْرًا والآخرةَ أُمًّا » .

قال الشعبىّ: ما أعلمُ لنا وللدنيا مَثَلًا إلا ما قال كُثَيِّرٌ .

أَسِيئى بنا أو أَحسِنى لا مَلُومَةٌ * لدَيْنَـا ولا مَقلِيَّةٌ إن تَقَلَّتِ[2]

قال بكر بن عبد الله : المستغنى عن الدنيا بالدنيا كالمطفئ النارَ بالتِّبْنِ .

قال ابن مسعود : الدنيا كلّها غمومٌ، فما كان فيها من سرورٍ فهو ربح .

قال محمد بن الحنفية : مَنْ كَرُمَتْ عليه نفسُه هانت عليه الدنيا .

وقال بعضُ الحكماء : مَثَـلُ الدنيا والآخرةِ مَثَـلُ رجل له ضَرّتان إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى .

قال سفيان : ترك لكم الملوكُ الحكمةَ فاتركوا لهم الدنيا .

وقال آخر : إن الدنيا قد استودَقَتْ[3] وأنعظَ الناسُ .

---

(١) كذا ورد فى الإحياء للغزالى (ج ٣ ص ١٥٥) طبع مصر وهو المعروف فى رواية هذا البيت وفى الأصل : «نمزق» فى الموضعين، وهو تحريف .

(٢) تقلت : تبغضت، وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة . (٣) يقال : ودقت الفرس تدق ودقا واستودقت اذا طلبت الفحل .

قال وُهَيبُ بن الورد : مَنْ أرادَ الدنيا فَلْيَتهيّأ للذلّ .

قيل لمحمد بن واسع : إنك لترضَى بالدّون؛ فقال : إنما رضِىَ بالدُّونِ مَنْ رضى بالدنيـا .

قيل لعلىّ بن الحسين : مَنْ أعظمُ الناس خَطَرًا؟ فقال : مَنْ لم يرالدنيا خَطرا لنفســه .

كان يقال : لَأَنْ تُطلَبَ الدنيا بأقبح ما تُطلَبُ به الدنيا أحسنُ مِنْ أن تُطلَبَ بأحسنِ ما تُطلَبُ به الآخرةُ .

قالتِ امرأةٌ لبعلها ورأته مهمــوما : مِمَّ هَمُّكَ ؟ أَبالدّنيا فقــد فرغ اللهُ منها أم بالآخرة فزادك اللهُ همًّا ! .

الثورىّ قال : قال المسيحُ : حبُّ الدنيا أصلُ كلِّ خطيئةٍ والمـالُ فيها داءٌ كثيرٌ؛ قيــل : ما داؤه ؟ قال : لا يَسلمُ [صاحبه][1] من الفخر والكبر؛ قيل: وإن سَلم ؟ قال : يَشْغَلُه إصلاحُه عن ذكر الله .

بلغنى عن محمد بن فُضَيلٍ قال : حدّثنـا عبدالله بن عبــد الرحمن عن سالم بن أبى الجعد عن أبى الدرداء قال : ياأهل حِمْص، مالى أرا كم تجمعونَ كثيراً ، وتبنُونَ شَديدًا، وتأمُلُون بعيدا ! إنّ مَنْ قبلكم جمعوا كثيرا وبَنَوْا شديدا وأَملوا بعيدا فصار جمعهم بُورا وصارتْ مسا كنُهم قبــورا وأملُهم غُرورا . وفى رواية أخرى : ياأهل دمشق، مالكم تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون مالا تسكنون، وتأمُلُون ما لا تُدركون! ألا إنّ عادا وثمودَ كانوا قــد ملئوا ما بين بُصرَى وعَدَن أموالا وأولادا ونَعَمًا ، فمَنْ يَشتَرِى مِنّى ما تركوا بدرهمين !

(١) زيادة يتطلبها السياق .

بلغني عن داود بن المحبّر عن عبد الواحد بن الخطّاب قال : أقبلنا قافلين من بلاد الروم نُريدُ البصرةَ، حتى اذا كنا بين الرُّصافة وحِمص سمعنا صائحا يصيحُ من بين تلك الرمالِ — سمعته الآذانُ ولم تره العيونُ — يقول : يا مستورُ يا محفوظُ! اِعْقِلْ فى سِتْرِ مَنْ أنتَ! فإن كنتَ لا تعقِلُ [مَنْ أنتَ][1] فى ستْره فاتّقِ الدنيا فإنها حِمَى الله؛ فإن كنتَ لا تعقِلُ كيف تتّقيها فَصَيِّرْها شوكا ثم انظر أين تضَعُ قدميكَ منها! .

قال المأمون : لو سُئِلَت الدنيا عن نفسها ما أحسنَتْ أن تصفَ نفسَها صِفَةَ أبى نُواسٍ فى هذا البيت :

إذا امتحَنَ الدنيا لَبِيبٌ تكشّفَتْ * له عن عَدُوٍّ فى ثياب صَديقِ

قال المسيحُ عليه السلام : أنا الذى كَفَأْتُ الدنيا على وجهها، فليسَتْ لى زوجةٌ تموتُ ولا بيتٌ يَخْرَبُ .

قال أبو العتاهية :

يا مَنْ ترفّعَ للدّنيا وزينتها * ليس الترفُّع رفعَ الطّينِ بالطينِ
إذا أردت شريفَ الناس كُلِّهِمِ * فانظُر الى مَلِكٍ فى زِىِّ مِسكينِ

وقال آخر وذكر الدنيا :

إذا تَمّ أمر دنا نقصُــه * توقّــعْ زوالًا اذا قيــل تَمّ

وقال آخر :

لا تَبْــكِ للدّنيـا ولا أهلِها * وابكِ ليومٍ تسكُنُ الحافِرهْ[2]
وابْكِ اذا صِيــحَ بأهل الثرى * فاجتمعوا فى ساحة السّاهِرهْ[3]
ويْلَكِ يا دنيـا لقــد قصّرَتْ * آمالَ مَنْ يسكُنُكِ الآخــرهْ

(١) زيادة يتطلبها السياق . (٢) أى الأرض التى تحفر فيها قبورهم ، فسماها الحافرة والمراد المحفورة . (٣) الساهرة : الأرض وقيل : وجهها؛ قال تعالى : (فاذا هم بالساهرة) . وقيل : هى الأرض التى لم توطأ وقيل : هى أرض يجدّدها الله يوم القيامة . (انظر اللسان مادة سهر) .

مقامات الزهّاد عند الخلفاء والملوك

مقام صالح بن عبد الجليل بين يدى المهدىّ

قام فقال : إنه لمّا سَهُل علينا ما توعّر على غيرنا من الوصول اليك، قمنا مَقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإظهار ما فى أعناقنا من فريضة الأمر والنهى عند انقطاع عُذر الكتمان، ولاسيّما حين اتّسمتَ بميسم التواضع ووعدتَ الله وحَمَلة كتابه إيثار الحقّ على ما سواه، فجمعنا وإياكَ مَشهدٌ من مشاهد التمحيص ليُتمّ مُؤدِّينا على موعود الأداء وقابِلُنا على موعود القبول، أو يَزيدنا تمحيصُ الله إيانا فى اختلاف السرِّ والعلانية، ويُحلّينا حِليةَ الكذّابين، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : مَنْ حجب اللهُ عنه العلم عذّبه على الجهل، وأشدُّ منه عذابا مَنْ أقبل اليه العلمُ وأدبَر عنه، ومن أهدى اللهُ اليه علما فلم يعمَل به فقد رَغِبَ عن هدِيّة الله وقصّر بها، فاقبل ما أهدَى الله اليكَ من ألسنتنا قبولَ تحقيقٍ وعملٍ لا قبولَ سمعةٍ ورياءٍ، فإنه لا يعدَمك منّا إعلامٌ لما تجهَلُ أو مواطأةٌ على ما تعلمُ أو تذكيرٌ من غفلةٍ؛ فقد وطّن الله عزّ وجلّ نبيَّه عليه السلام على نزولها تعزيةً عما فات وتحصيناً من التمادى ودلالةً على المخرَج، فقال : (وإمّا يَنْزَغَنَّكَ مِن الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ)، فأطْلِع اللهَ على قلبكَ بما يُنَوِّره مِنْ إيثار الحقِّ ومُنَابذةِ الأهواء . ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

مقامُ رجل من الزهّاد بين يدى المنصور

بينا المنصورُ يطوفُ ليلا إذ سمع قائلا يقول : اللهمّ إنى أشكو اليكَ ظهورَ البغى والفسادِ فى الأرض وما يحولُ بين الحقّ وأهله من الطمع ؛ فخرج المنصورُ

(١) انظر بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ ما قاله صالح بن عبد الجليل بين يدى المهدى .

بخلس ناحيةً من المسجد وأرسل الى الرجل يدعوه، فصلّى الرجلُ ركعتين واستلمَ الركنَ وأقبل مع الرسول فسلّم عليه بالخلافة، فقال المنصورُ : ما الذى سمعتُــكَ تذكُرُ من ظهور البغى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحقّ وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حَشَوْتَ مَسَامِعى ما أرمَضَنِى[1] ، قال : يا أميرَ المؤمنين إن أمَّنْتَنى على نفسى أنبأتُك بالأمور من أصولها، وإلا آحتجزتُ منكَ وآقتصرتُ على نفسى ففيها لى شاغلٌ، فقال : أنتَ [آمنٌ[2]] على نفسك [قَل[2]]، فقال: إنّ الذى دخله الطمعُ حتى حال بينه و بين ماظهر من البغى والفساد لأنتَ ، قال : ويحك وكيف يدخلُنى الطمعُ والصفراءُ والبيضاءُ فى قبضتى والحلو والحامض عندى! قال : وهل دخل أحدٌ من الطمع ما دخلكَ ! إن الله تبارك وتعــالى استرعاك المسلمينَ وأموالَهم فأغفلتَ أمورَهم واهتممتَ بجمع أموالهم، وجعلتَ بينك و بينهم حجابا من الجصّ والآجُرّ وأبوابا من الحديد وحَجَبَــةً معهم السلاحُ ثم سجنتَ نفسَكَ فيها عنهم، و بعثتَ عُمّالَكَ فى جباية الأموال و جمعها وقوّيتَهم بالرجال والسلاح والكُرَاع، وأمرتَ بألّا يدخُلَ عليك من الناس إلا فلانٌ وفلانٌ نفرٌ سمّيتَهم، ولم تأمر بإيصــال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيف الفقير، ولا أحدٌ إلا وله فى هــذا المــال حقٌ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتَهم لنفسك وآثرتَهــم على رعيّتكَ وأمرتَ[3] ألّا يُحجَبُوا عنــك ، تجبى الأموال وتجمعُها ولا تقسِمُها قالوا : هــذا قد خان الله فــا بالنا لا نخونه وقد سجن لنا نفسَه ! فأْتمروا بألّا يصلَ اليك منْ علم أخبار الناس شىءٌ إلا ما أرادوا، ولا يخرجَ لك عاملٌ فيخالفَ أمرَهُم إلا قصبوه[4] عندك ونَفَوْه حتى تسقطَ منزلتُه و يَصْغُرَ قدرُه،

---

(١) أرمضنى : أوجعنى وآلمنى . (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤

(٣) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ وفى الأصل « وأمرتهم » . (٤) قصبوه : عابوه وشتموه و بالعقد الفريد « خوّنوه » .

فلما انتشر ذلكَ عنكَ وعنهم ، أعظمَهُم الناسُ وهابوهم ، فكان أوّلَ مَنْ صانعَهم عُمّالُكَ بالهدايا والأموال لِيَقْوَوْا بهـا على ظلم رَعيّتكَ ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلمَ من دونهم ، فامتلأتْ بلادُ الله بالطمع بغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شُركاءك فى سلطانك وأنت غافل فإن جاء مُتظلّم حِيلَ بينه وبين دخول مدينتك ، فإن أراد رفع قصته اليك عنـد ظهورك وجدك قد نهيتَ عن ذلكَ ، وأوقفت للنـاس رجلا ينظر فى مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلَغ بطانتَكَ [خبرُه](1) سألوا صاحبَ المظالم ألّا يرفعَ مَظْلِمَتَه اليك ، فإن المتظلّمَ منه له بهم حُرمةٌ ، فأجابهم خوفا منهم ؛ فلا يزال المظلوم يختلف اليـه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتلّ عليه ، فاذا أُجهِدَ وأُحرِجَ وظَهَرْتَ ، صَرَخَ بين يديك ، فضُرِبَ ضَرْباً مُبَرِّحاً ، ليكون نكالا لغـيره ، وأنت تنظر فلا تُنكِر ، فما بقاءُ الإسلام على هـذا ! وقد كنتُ يا أمير المؤمنين [أسافر](2) الى الصِّين فقدِمتها مرّةً وقد أُصيبَ مَلِكُها بسمعه ، فبكى يوما بكاء شديدا فحثّه(3) جلساؤه على الصبر فقال : أمَا إنى لست أبكى للبليّة النازلة بى ، ولكنى أبكى لمظلوم بالباب يصرُخُ ولا أسمعُ صوتَه ثم قال : أمّا إذ ذهب سمعى فإنّ بصرى لم يذهب نادُوا فى الناس ألّا يلبَسَ ثوبا أحمرَ إلا متظلّمٌ ، ثم كان يركب الفيل طرفَىْ نهاره ، وينظر هل يرى مظلوما . فهذا يا أمير المؤمنين مُشركٌ بالله غلبتْ رأفتُه بالمشركين شُحَّ نفسِه ، وأنت مؤمنٌ بالله ثم من أهل بيت نبيه لا تغلب رأفتُكَ بالمسلمين على شُحّ نفسك ! فإن كنت إنمـا تجمع المـال لولدك ، فقد أراك الله عبرا فى الطّفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مالٌ ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزالُ الله يلطُفُ بذلك الطفل حتى تعظُمَ رغبةُ الناس اليه ، ولست

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥ (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥

(٣) كذا فى العقد الفريد «فحثه» وفى الأصول «فحداه» وهو تحريف .

بالذى تُعطى بل الله يعطى من يشاء ما يشاء، وإن قلت إنما أجمع المـال لتَشـديد السلطان فقد أراك الله عبرا فى بنى أمية: ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وأعدّوا من الرجال والسلاح والكُرَاع حتى أراد الله بكم ما أراد، وإن قلت إنما أجمع المـالَ لطلب غايةٍ هى أجسَمُ من الغاية التى أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنتَ فيه إلا منزلةٌ لا تُدركُ إلا بخلاف ما أنتَ عليـه يا أميرَ المؤمنين، هل تُعاقبُ من عصاك بأشدّ من القتل قال المنصور: لا، قال: فكيف تصنع بالملِكِ الذى خوّلك مُلكَ الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل! ولكن بالخلود فى العـذاب الأليم، قد رأى ما قد عُقِدَ عليه قلبك وعَمِلته جوارحُك ونظر اليه بصرُك واجترحَتْه يداكَ ومشت اليه رجلاك، هل يغنى عنك ما شَحَحْتَ عليه من مُلك الدنيا اذا انتزعَه من يدك ودعاكَ الى الحساب، فبكى المنصور وقال: يا ليتنى لم أُخْلَقْ! ويحكَ! فكيف أحتال لنفسى قال: يا أمير المؤمنين إن للناس أعلاماً يفزعون اليهم فى دينهم ويرضَوْنَ بهم فاجعلهم بطانتكَ يُرشِدُوكَ، وشاورْهم فى أمرك يُسَدِّدوك، قال: قد بعثت اليهم فهربوا منى، قال: خافوا أن تحمِلَهم على طريقتك ولكن افتحْ بابكَ وسَهِّل حجابَك وانصُرِ المظلومَ واقمَعْ الظالمَ وخذ الفيءَ والصدقاتِ مما حلّ وطابَ واقسِمه بالحقّ والعدل على أهله وأنا الضامن عنهم أن يأتوكَ ويسْعِدوك على صلاح الأمة، وجاء المؤذنون فسلموا عليه فصلى وعاد الى مجلسه وطُلِبَ الرجلُ فلم يوجَدْ.

مقـام آخر والمنصور يخطب

خَطبَ المنصورُ فحمِدَ اللهَ ومضى فى كلامه، فلما انتهى الى أشهد أن لا إله إلا اللهُ وثَبَ رجل من أقصى المسجد فقال أذكّرك مَنْ تذكرُ، فقال المنصور: سمعًا لمن فَهِم عن الله وذكّرَ به وأعوذ بالله أن أكون جبّـارا عصيا وأن تأخذنى العزةُ بالإثم

لقد ضَلَلتُ إذًا وما أنا من المهتدين، وأنتَ والله أيها القائل ما أردتَ بها اللهَ ولكن حاوليتَ أن يقال: قام فقال فوُعِظَ فصَبَرَ، وأَهوِنْ بقائلها لو هَمَمْتُ، فاهتَبِلْها[1] ويلكَ إذ عفوتُ، وإياكم معشرَ الناس وأختَها، فإن الموعظة علينا نزلت ومن عندنا انبثّتْ فرُدُّوا الأمر الى أهله يُصْدِرُوه كما أوردوه؛ ثم رجع الى خطبته فقال: وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه .

مقام عمرو بن عُبَيد بين يدى المنصور

قال للمنصور: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشترِ نفسك ببعضها، واذكر ليلةً تَمَخَّضُ عن يوم لا ليلةَ بعده؛ فوجَمَ أبو جعفر من قوله؛ فقال له الربيع: يا عمرو غَمَمْتَ[2] أمير المؤمنين؛ فقال عمرو: إن هذا صحبك عشرين سنة لم يرلك عليه أن ينصحكَ يوما واحدا وما عَمِلَ وراءَ بابك بشىء من كتاب الله ولا سنة نبيّه؛ قال أبو جعفر: فما أصنع! قد قلتُ لكَ: خاتمى فى يدكِ فتعالَ وأصحابك فاكفِنى؛ قال عمرو: ادعُنا بعدلك تَسْخُ أنفسُنا بعونك، ببابك ألف مَظلِمة ارددْ منها شيئا نعلَمْ أنك صادقٌ .

مقام أعرابىّ بين يدى سليمان

قام فقال: إنى مُكَلِّمُكَ يا أميرَ المؤمنين بكلام فيه بعضُ الغِلظةِ فاحتَمِلْهُ إن كرهتَه، فإن وراءه ما تُحبّه إن قبلتَه، قال: هاتِ يا أعرابىّ؛ قال: فإنى سأُطلِقُ لسانى بما خَرِسَتْ عنه الألسُنُ من عِظَتك تأديةً لحقّ الله وحقِّ إمامتك، إنه قد

---

(١) فاهتبلها أى اغتنمها، والاهتبال: الاغتنام وانتهاز الفرصة . (٢) فى الأصل «أغممت» ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا «أغم» متعديا وإنما يقال: «غمه الأمر» من غير همز .

اكتنفكَ رجال أساءوا الاختيارَ لأنفسهم، فابتاعوا دنياكَ بدينهـم ورضاكَ بسخط ربّهم، خافوكَ فى الله ولم يخافوا اللهَ فيكَ، فهم حَرْبٌ للآخرة سِـلْمٌ للدنيا، فلا تأمَنْهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنّهم لن يألوا الأمانةَ تضييعا والأمة عَسْفًا وخسفًا، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت، فلا تُصْلِحْ دنياهم بفساد آخرتكَ، فإنّ أعظم الناس غَبْنًا مَنْ باع آخرته بدنيا غيره. قال سليمان: أمّا أنت يا أعرابىّ فقد سلَلتَ(1) لسانكَ، وهو أقطعُ سيفيكَ؛ فقال: أجلْ، لكَ لا عليكَ.

مقام أعرابىّ بين يدى هشام

قال: أتتْ على الناس سِنُون، أما الأولى فلَحَتِ(2) اللحمَ، وأما الثانية فأكلتِ الشَّحْمَ، وأما الثالثةُ فهاضَتِ(3) العظمَ، وعندكم فضولُ أموالٍ، فإن كانت لله فاقسِمُوها بين عباده، وإن كانت لهم ففيمَ تُحظَرُ عنهم! وإن كانت لكم فتصـدّقوا عليهم بها فإن الله يَجْزِى المتصدّقينَ؛ فأمر هشامٌ بمالٍ فقُسِم بين الناس وأمرَ للأعرابىّ بمـالٍ؛ فقال: أكلّ المسلمين له مثل هذا؟ قالوا: لا ولا يقوم بذلك بيتُ مالِ المسـلمين؛ قال: فلا حاجةَ لى فيما يبعثُ لائمةَ الناسِ على أمير المؤمنين.

مقام الأوزاعىّ بين يدى المنصور

ذكره عبدُ الله بن المبارك عن رجل من أهل الشأم قال: دخلتُ عليه فقال: ما الذى بَطّأ بك عنّى؟ قلتُ: يا أميرَ المؤمنين وما الذى تريد منى؟ فقال: الاقتباسُ منك؛ قلتُ: انظر ما تقول، فإنّ مكحولا حدّثنى عن عطية بن بَشير أنّ رسول الله

---

(1) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٣٣٨ وفى الأصل «لقد».

(2) من لحوت الشجرة اذا أخذت لحاءها وهو قشرها.

(3) هاض العظم يهيضه هيضا فانهاض: كسره بعد الجبور فهو مهيض.

صلى الله عليه وسـلم قال : "مَنْ بلَغه عن الله نصيحةٌ فى دينـه فهى رحمةٌ من الله سِيقَتْ اليه، فإن قَبِلَها من الله بشكرٍ وإلّا كانتْ حُجّةً من الله عليه، ليزداد إثماً ولِيَزْدادَ الله عليه غضبا، وإن بلغه شىءٌ من الحق فرضِىَ فله الرضا، وان سَخِط فله السخطُ، ومن كرِهَه فقد كره اللهَ، لأن الله هو الحق المبين"، فلا تجهلَنّ؛ قال : وكيف أجهل؟ قال : تسمع ولا تعمل بما تسمَعُ. قال الأوزاعىّ : فسلّ علىّ الربيعُ السيفَ وقال : تقول لأمير المؤمنين هذا! فانتهرَه المنصورُ وقال : أمسِكْ. ثم كلّمه الأوزاعىّ، وكان فى كلامه أن قال : إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذى أصبحت به، والله سَائِلُكَ عن صـغيرها وكبيرها وفتيلها ونقيرها، ولقد حدّثنى عُروةُ بن رُوَيْمٍ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ما مِنْ راعٍ يبيتُ غاشًّا لرعيّتـه إلا حَرَّمَ اللهُ عليـه رائحةَ الجنة"، فحقيـق على الوالى أن يكون لرعيتـه ناظرًا، ولِمَـا استطاعَ من عَوراتهـم ساترًا، وبالقسط فيما بينهم قائمـا، لا يتخوّف محسنُهم منه رهقا ولا مسيئُهم عدوانا؛ فقـد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدةٌ يستاكُ بها ويردَعُ عنـه المنافقينَ، فأتاه جبريلُ فقـال : "يا محمدُ ما هـذه الجريدةُ بيدكَ! اِقذِفْها لا تملأ قلوبَهم رُعباً". فكيف مَنْ سفكَ دماءهم وشَـقّقَ أبشارهم وأنهبَ أموالهم! يا أمير المؤمنين، إنّ المغفورَ له ماتقدّم من ذنبه وما تأخر دعا الى القِصاص من نفسـه بخدش خدشه أعرابياً لم يتعمّده، فهبط جبريل فقال : يامحمد إن الله لم يبعثْكَ جبّارا تكسِرُ قرونَ أمتك". واعلم أنّ كلّ ما فى يدك لا يعـدِلُ شربةً من شراب الجنة ولا ثمرةً من ثمارها؛ قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم : "لَقَابُ قوسِ أحدكم من الجنة أو قُذَّةٌ(١) خيرٌ له من الدنيا بأسرها". إنّ الدنيا تنقطِعُ ويزولُ نعيمها، ولو بقِىَ المُلكُ لمن قبلكَ لم يصل اليـكَ. يا أمير المؤمنين، ولو أنّ ثوبا من

(١) قاب القوس : ما بين مقبضها وسيتها. والقذة (بالضم) : ريش السهم.

ثياب أهل النار عُلِّق بين السماء والأرض لآذاهم فكيف مَنْ يتقمّصه! ولو أن ذَنُوباً[(١)] من صديد أهل النار صُبّ على ماء الأرض لآجَنَه[(٢)] فكيف بمن يتجرّعه، ولو أن حَلقةً من سلاسل جهنم وُضِعتْ على جبل لذاب، فكيف مَنْ سُلِك فيها[(٣)] ويُردّ فضلُها على عاتقه! وقد قال عمر بن الخطاب: "لا يُقوّم أمرَ الناس إلا حَصيفُ العقدة، بعيدُ الغِرّة، لا يَطّلِعُ الناسُ منه على عورة، ولا يُحنِقُ في الحق على جِرّة[(٤)]، ولا تأخذُه في الله لومةُ لائم".

وٱعلم أنّ السلطان أربعة: أمير يَظْلِفُ[(٥)] نفسَه وعُمّالَه، فذلك له أجرُ المجاهد في سبيل الله وصلاتُه سبعونَ ألفَ صلاةٍ ويدُ الله بالرحمة على رأسه تُرفرفُ؛ وأمير رتَع ورتَع عُمّالُه، فذاك يحمل أثقالَه وأثقالاً مع أثقاله؛ وأمير يَظْلِفُ نفسَه ويرتَعُ عُمّالُه، فذاك الذى باع آخرتَه بدنيا غيره؛ وأميرٌ يرتَعُ ويَظْلِفُ عُمّالَه، فذاك شرُّ الأكياس.

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد ٱبتُليتَ بأمرٍ عظيم عُرِضَ على السّموات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنه[(٦)] وأشفقنَ منه؛ وقد جاء عن جَدّكَ في تفسير قول الله عزّ وجلّ: ﴿لا يُغادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إلّا أحصاها﴾: أنّ الصغيرة التبسّمُ، والكبيرةَ الضّحكُ، وقال: فما ظنكم بالكلام وماعملته الأيدى! فأُعيذك بالله أن يُخيَّل اليك أن قرابتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تنفع مع المخالفة لأمره؛ فقد

---

(١) الذنوب: الدلو التي دون الملء، تذكر وتؤنث. (٢) آجنه: جعله آجنا أى متغير الطعم واللون ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا صيغة متعدية منه، فأثبتناه بالهمزة على القول بأن تعدية الفعل بها قياسية. (٣) فى الاصل: «فيه». (٤) لا يحنق فى الحق على جرة: لا ينطوى على حقد ودخل. وأصل الإحناق: لحوق البطن بالصلب والتصاقه به. والجرّة (بالكسر): ما يخرجه البعير من جوفه ويمضغه. فكنى عمر رضى الله عنه بعدم الإحناق على الجرة عن عدم إضمار الحقد والغيظ. (٥) يظلف نفسه: يكفها. (٦) فى الأصل «أن يحملنها» ومرجع الضمير هاهنا مذكر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا صفية عمة محمد ويا فاطمة بنت محمد اشتريا أنفسكما من الله إنى لا أغنى عنكما من الله شيئا" . وكان جدك الأكبر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة؛ فقال : "أى عم نفس تحييها خير لك من إمارة لا تحصيها" ، نظرا لعمه وشفقة عليه أن يلى فيجور عن سنته جناح بعوضة ، فلا يستطيع له نفعا ولا عنه دفعا . هذه نصيحتى إن قبلتها فلنفسك عملت، وإن رددتها فنفسك بخست، والله الموفق للخير والمعين عليه ؛ قال بلى! نقبلها ونشكر عليها ، وبالله نستعين .

مقام خالد بن صفوان بين يدى هشام

قال خالد : وفدت عليه فوجدته قد بدأ يشرب الدهن ، وذلك فى عام باكر وسميه وتتابع وليه(١) وأخذت الأرض زخرفها ، فهى كالزرابى المبثوثة والقباطى(٢) المنشورة ، وثراها كالكافور لو وضعت به بضعة(٣) لم تترب ، وقد ضربت له سرادقات حبر(٤) بعث بها اليه يوسف بن عمر من اليمن تتلألأ كالعقيان ، فأرسل الى فدخلت عليه ، ولم أزل واقفا ، ثم نظر الى كالمستنطق لى؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، أتم الله عليك نعمه ودفع عنك نقمه ؛ هـذا مقام زين الله به ذكرى وأطاب به نشرى ، اذ أرانى وجه أمير المؤمنين ، ولا أرى لمقامى هذا شيئا هو أفضل من أن أنبه أمير المؤمنين لفضل نعمة الله عليه ليحمد الله على ما أعطاه ، ولا شىء أحضر من حديث

---

(١) الوسمى : مطر الربيع الاول سمى بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات . والولى (وزان غنى) : المطر بعد الوسمى . (٢) الزرابى : البسط الملونة . والقباطى بضم أوله وتشديد آخره أو بفتح الأول مع تخفيف الأخير) : جمع قبطية (بضم القاف) وهى ثياب كتان بيض رقاق تعمل فى مصر . (٣) البضعة (بالفتح وتكسر) : القطعة من اللحم . (٤) حبر (وزان عنب) : جمع حبرة (كعنبة) وهى المخيط من البرود ، يقال : برد حبرة على الاضافة والوصفية .

سلف لملك من ملوك العجم إن أذن لى فيه حدّثته به؛ قال : هات؛ قلتُ : كان رجل من ملوك الأعاجم جُمِـعَ له فَتاءُ السِّنّ وصِحّةُ الطِّباع وسَعَةُ المُلك وكثرةُ المـال، وذلك بالخَوَرْنَق، فأشرف يوما فنظر ما حوله فقال لمن حضره: هل علمتم أحدا أُوتى مثلَ الذى أوتيتُ؟ فقال رجل من بقايا حَمَلَة الحجة : إن أذنت لى تكلّمتُ؛ فقال: قل، فقال : أرأيتَ ما جُمِـعَ لك، أشىءٌ هولك لم يزل ولا يزولُ، أم هو شىء كان لمن قبلك زال عنه وصار إليك وكذلك يَزُولُ عنك؟ قال: لا ! بل شىء كان لمن قبلى فزال عنه وصار إلىّ وكذلك يزول عنّى؛ قال : فسُرِرتَ بشىءٍ تذهب لذته وتبقى تَبِعَتُهُ، تكون فيه قليلا وتُرْتَهن به طويلا؛ فبكى وقال: أين المهربُ؟ قال: إلى أحد أمرين: إما أن تُقيمَ فى مُلكك فتعملَ فيه بطاعة ربّك، وإما أن تُلقِيَ عليك أمساحا (١) ثم تلحق بجبل تعبـد فيه ربّكَ حتى يأتىَ عليك أجلُكَ؛ قال : فمـالى اذا أنا فعلت ذلك؟ قال : حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحّة لا تسقم وملك جديد لا يبـلى؛ فأتى جبلا فكان فيه حتى مات . وأنشده قول عدىّ بن زيد :

وتَفَكَّرْ رَبُّ الخَوَرْنَقِ إذ أصـ * ـبحَ يـومًا وللهُـدَى تَفْكِيرُ
سَـــرَّه حالُه وكــثرةُ ما يَمْـ * ـلِكُ والبحرُ مُعْرِضًا (٢) والسَّدِيرُ
فارعَوَى قلبُـــه فقال وما غِبـ * ـطَةُ حىّ الى الممـات يصــيرُ

فبكى هشام وقام ودخل؛ فقـال لى حاجبه : لقـد كسبت نفسَـكَ شرًّا، دعاك أمير المؤمنين لِتحدِّثَه وتُلهيَه وقد عرَفتَ علّتَه فمـا زِدْتَ على أن نَعيتَ اليه نَفْسَه . فأقمتُ أياما أتوقّعُ الشرَّ، ثم أتانى حاجبُه فقال : قد أمر لك بجائزةٍ وأَذِنَ لك فى الانصراف .

(١) الأمساح : جمع مسح (بالكسر) وهو الكساء من شعر كثوب الرهبان (٢) معرضا : من أعرض الشىء اذا ظهر وبرز .

مقام محمد بن كعب القرظىّ بين يدى عمر بن عبد العزيز

قال : إنما الدنيا سُوقٌ من الأسواق، فمنها خرج الناسُ بما ينفعهم و بما يضرّهم، وكم من قومٍ قد غرهم مثلُ الذى أصبحنا فيه حتى أتاهم الموتُ فاستوعبَهم فخرجوا من الدنيا مُرمِلِينَ لم يأخذوا لِمـا أحبّوا من الآخرة عُدَّةً ولا لمـا كرهوا جُنَّةً ، واقتسم ما جمعوا من لم يحمَـدْهم وصاروا الى من لا يعذِرُهم . فانظر الذى تُحبُّ أن يكون معــك اذا قدِمْتَ ، فقدِّمه بين يديك حتى تخرجَ اليــه ؛ وانظر الذى تكره أن يكون معك اذا قدِمْتَ ، فابتغِ به البدلَ حيث يجوز البدلُ ؛ ولا تذهبَنَّ الى سِـلْعةٍ قد بارت على غيرك ترجو جوازَها عنك . يا أمير المؤمنين ، اِفتح الأبوابَ ، وسَهِّل الحجابَ ، وانصُر المظلومَ .

مقام الحسن عند عمر بن هُبَيرة

كتبَ ابنُ هُبيرةَ الى الحســن وابن سِــيرين والشعبيّ فقدِم بهم عليــه ، فقال لهم : إن أمير المؤمنين يكتب إلىّ فى الأمر، إن فعلتُه خفتُ على دينى ، و إن لم أفعله خفتُ على نفسى؛ فقال له ابنُ سيرين والشعبىّ قولا رَقِّقا فيه، وقال له الحســن : يابن هبيرة، إن اللهَ يمنعُك من يزيدَ، و إنّ يزيد لا يمنعُكَ من الله . يابن هبيرة، خَفِ اللهَ فى يزيد ولا تخفْ يزيدَ فى الله . يابن هبيرة، إنه يُوشِكُ أن يبعثَ اللهُ اليك مَلَكًا فيُنزِلَكَ عن سريرك الى سَعَةِ قصرك، ثم يخرجك عن سعةِ قصرك الى ضِيقِ قبرك ، ثم لا يُنجيك إلا عملُكَ . يابن هبــيرة إنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق؛ فأمر له بأربعة آلاف درهم وأمر لابن سيرين والشعبىّ بألفين؛ فقالا : رَقّقْنا فرقّقَ لنا .

باب من المــواعظ

كلام للحسن

قال فى كلام له : أمتكم آخرُ الأمم وأنتم آخرُ أمتكم ، وقد أُسْرِعَ بخياركم فماذا تنتظرون ! المعاينة ؟ فكأنْ قد . هيهات هيهات ! ذهبت الدنيا بحال بالها(١) ، وبقيت الأعمالُ أطواقا فى أعناق بنى آدم ؛ فيالها موعظةً لو وافقتْ من القلوب حياةً ! إنه والله لا أمّةَ بعد أمتكم ، ولا نبىّ بعد نبيكم ، ولا كتابَ بعد كتابكم ؛ أنتم تَسُوقون الناسَ والساعةُ تسوقكم ، وإنما يُنتظر بأوّلكم أن يلحَقَ آخِرُكم . مَنْ رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا رائحا لم يضع لَبِنة على لَبِنة ولا قصبة على قصبة ، رُفِع له علمٌ فشمّر اليه ؛ فالوحَا الوحَا ، والنجاءَ النجاء . علام تعرّجون ؟ أُسرِعَ بخياركم وأنتم كلّ يومٍ تَرذلون(٢) . لقد صحبتُ أقواما كانت صحبتهم قرّةَ العين وجَلاءَ الصدور ، وكانوا من حسناتهم أن تُرَدَّ عليهم أشفقَ منكم من سيئاتكم أن تُعذَّبوا عليها ، وكانوا فيما أحلّ الله لهم من الدنيا أزهدَ منكم فيما حرّم اللهُ عليكم . إنى أسمع حسيسا ، ولا أرى أنيسًا ، ذهب الناسُ ، وبقيتُ فى النسناس ، لو تكاشفتم ما تدافنتم ؛ تهاديتُم الأطباقَ ولم تَهادَوُا النصائحَ . يابن آدم ، إن دين الله ليس بالتحلّى ولا بالتمنى ، ولكنه ما وقر فى القلوب وصدّقته الأعمالُ .

كلام لبعض الزهاد

لا تغترّنّ بطول السلامة مع تضييع الشكر ، ولا تُعْمِلنّ نعمةَ الله فى معصيته ؛ فإن أقلّ ما يجب لمهديها ألا تجعلها ذريعةً الى مخالفته . واستدْعِ شاردَ النعم

(١) كذا بالأصل . (٢) ترذلون : تصيرون أرذالا ، والأرذال : جمع رذل وهو الدون من الناس .

بالتوبة ، واستدِم الراهنَ منها بكرم الجوائز ، واستفتِح بابَ المزيد بحُسن التوكّل ، أو ما علمتَ أن المستشعرَ لذلّ الخطيئة المخرِجَ نفسَه من كُلَف الطاعة(1) نَطِفُ الثناء(2)، زَمِرُ المروءة، قَصِىُّ المجلس، لا يُشاوَرُ وهو ذو بَزَلاء(3)، ولا يُصَدَّرُ وهو جميل الرُّواء، غامضُ الشخص ضئيلُ الصوتِ نَزْرُ الكلام يتوقّع الإسكاتَ عند كلّ كلمة ؛ وهو يَرى فضلَ مزيّته وصريحَ لُبّه وحسنَ تفضيله ؛ ولكن قطعه سوءُ ما جنى على نفسه، ولو لم تَطّلِعْ عليه عيونُ الخليقة لهجسَت العقولُ بإدهانه(4) . وكيف يمتنع من سُقوط القَدْر وظَنّ المتفرّس(5) مَنْ عُرِّىَ من حِلْية التقوى وسُلِبَ طبائعَ الهُدَى ! ولو لم يَتَغَشَّ ثوبَ سريرته وقبيحَ ما أجنَّ من مخالفة ربه لقطعه العلمُ بقبيح ما قارفَ عن اقتدار ذَوِى الطهارة فى الكلام وإدلال أهل البراءة فى الندىّ .

كلام لغيلان

إن التراجعَ فى المواعظ يُوشِكُ أن يُذْهِبَ يومَها ويأتى يومُ الصاخّة، كلُّ الخلق يومئذ مُصِيخٌ يستمعُ ما يُقالُ له ويُقضَى عليه، وخَشَعَت الأصواتُ للرحمن فلا تَسمَعُ إلا هَمْسًا . فاصمُت اليوم عما يُصْمِتكَ يومئذ، وتعلّمْ ذلك حتى تعلَمَه، وابتغِه حتى تجدَه، وبادِرْ قبل أن تفجأكَ دعوةُ الموت ، فإنها عَنيفةٌ إلا بمَنْ رحِم الله، ليُقْحِمكَ فى دار تسمعُ فيها الأصواتَ بالحسرة والويل والثبور، ثم لا يُقالُون ولا يُستعتَبونَ . انى رأيتُ قلوبَ العِباد فى الدنيا تخشعُ لأيسر من هـذا وتَقسُو عند هذا ، فانظُر الى نفسك أعبدُ الله أنت أم عدوُّه، فيارُبَّ مُتَعبِّدٍ لله بلسانه ، مُعادٍ له بفعله ذلولٌ فى الانسياق الى عذاب السعير فى أُمنيّة أضغاثُ أحلامٍ يَعْبُرُها بالأمانى والظنون . فاعرِف نفسَكَ

(1) كذا فى الأصل، وفى البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٩ «كنف العصمة» . (2) نطف الثناء: قليله . وزمر المروءة: قليلها . (3) البزلاء: الرأى الجيد . (4) أى باللين له والمصانعة .
(5) كذا فى البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٠، وفى الأصل «المتقربين» .

وسَــلْ عنها الكتّابَ المنيرَ، سُؤالَ من يُحِبّ أن يعــلم ، وعِلمَ من يُحبّ أن يعمَلَ، فإن الربّ جلّ ثناؤه لا يعذِر بالتعذير والتغرير، ولكن يعذِرُ بالجدّ والتشمير. اِكتنس نصيحتى ؛ فإنها كُسوَةُ تقوى ودليــلٌ على مفاتح الخير ،ولا تكن كعلماء زمن الهَرْج إن وُعِظُوا أَنِفُوا ،وإن وَعَظُوا عَنُفُوا . والله المستعان .

كتاب رجل الى بعض الزّهاد

كتب اليه : إنّ لى نفسا تُحِبُّ الدَّعةَ، وقلبا يألف اللذاتِ، وهمةً تَسْتثقِلُ الطاعةَ، وقــد وهَمتُ نفسى الآفاتِ، وحَذَّرتُ قلبى الموتَ، وزجرتُ هِمّتى عن التقصير، فلم أرضَ ما رجع إلىّ منهنّ ، فأَهدِ لى — رحمك الله — ما أستعينُ به على ما شكوتُ اليك، فقد خفتُ الموت قبلَ الاستعدادِ .

فكتب اليــه : كثر تعجُّبى من قلبٍ يألَفُ الذنبَ ، ونفسٍ تطمئنُّ الى البقاء ، والساعاتُ تنقُلُنا والأيامُ تَطوِى أعمارَنا؛ فكيف يألفُ قلبٌ ما لا ثباتَ له ، وكيف تنام عينٌ لا تدرِى لعلها لا تطرِفُ بعد رَقْدَتها إلا بين يدى الله! والسلام .

وكتب رجل من العبّاد الى صديق له :

إنى لمّــا رأيتُ الناسَ فى اليقين متفقين ، وفى العمل متفاوتين ، ورأيت الحجة واجبــة ، فلم أر فى يقينٍ قَصَّرَ بصاحبه عن عملٍ حجةً ، ولا فى عملٍ كان بغيرِ يقينٍ منفعةً ، ورأيتُ من تقصيرِ أنفسنا فى السعى لمرجوّ ما وُعِدَتْ والهــرَبِ من مَخُوف ما حُذِّرَتْ، حتى أسلمها ذلك الى أن ضَعُفَتْ منها النيةُ وقلّ التحفّظ واستولى عليها السَّقَط(1) والإغفالُ واستَعلَتْ منهــا الشّهوةُ ، ودعاها ذلك الى التمزغ فى فضــائح

(1) السقط : الخطأ من القول والفعل .

اللذّاتِ، وهى تعلم أن عاقبتَها الندمُ، وثمرتَها العقوبةُ، ومصيرَها الى النار إن لم يعفُ اللهُ. عجبتُ لعملِ امرئٍ كيف لا يشبِهُ يقينَه، ولعلِمِ موقنٍ كيف لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه، حتى لا تكون الرغبةُ منه إلا اليه والرهبةُ منه إلا له. وزادنى عجبًا أنّى رأيت طالب الدنيا أجدَّ من طالب الآخرة، وخائفَها أتعبَ من خائف الآخرة، وهو يعلم يقينا أنه رُبَّ مطلوبٍ فى الدنيا قد صار حين نيلَ حتفًا لطالبه، وأنه رُبَّ مَخُوفٍ فيها قد لَحِقَ كَرْهًا بالهارب منه فصار حظًّا له، وأن المطلوبَ اليه من أهلها ضعيفٌ عن نفسه محتاجٌ الى ربه مَملوكٌ عليه مالُه محزونةٌ عنه قدرتُه. واعلم أن جِمَاعَ ما يسعى له الطالبُ ويَهرُبُ منه الهاربُ أمران: أحدهما أجلُه، والآخر رزقُه، وكلاهما بعينه شاهدٌ على أنه لا يملِكُه إلا الذى خلقه. فلم أَدْرِ حين صار هذا اليقينُ فى موضع الإيمان يقينا لا شكّ فيه، كيف صار فى موضع العمل شبيها بالشك الذى لا يقينَ فيه! وكيف، حين اختُلِفَ فى أمر الآخرة، لم يُختلَف فى أمر الدنيا، فيكون خائفُ الآخرة لربه كخائف الدنيا لسلطانه صبرًا له على تجشّم المكروه، وتجرّعًا منه لغُصَصِ الغيظ، واحتمالا منه لفادح النَّصَب، وعملا له بالسخرة، وتحفّظا من أن يُضمِرَ له على غشّ أو يَهُمَّ له بخلاف؛ ولو فعل ذلك ما علمه منه حتى يَظهَرَ له بقولٍ أو فعلٍ؛ ولو علمه ما قَدَرَ له على قطع أجل لم يَفْنَ ورزقٍ لم ينفَدْ؛ فإن ابتُلِيَ بالسَّخَط من سلطانه فكيف حزنُه ووحشتُه، وإن أَنِسَ منه رضًا عنه فكيف سرورُه واختيالُه! فإن قارفَ ذنبًا اليه فكيف تضعضُعُه واستخذاؤه(١)، فإن ندبه لأمر فكيف خِفّته ونشاطه! وان نهاه عنه فكيف حَذَرُه واتّعاظُه! وهو يعلم أن خالقَه ورازقَه يعلمُ سِرَّه وجهرَه، ويراه فى متقلَّبه ومثواه، ويُعاينُه فى فضائحه وعورته، فلم يَزَعْه عنها حياءٌ منه ولا تقيّةٌ له، قد أمره فلم يأتمر، وزجره فلم يزدجر،

---

(١) استخذاؤه: خضوعه.

وحذّره فلم يحذر، ووعده فلم يرغب، وأعطاه فلم يشكر، وستره فلم يزدد بالستر إلا تعرّضا للفضائح، وكفاه فلم يقنع بالكفاية، وضمن له فى رزقه ما هو فى طلبه مُشيح[1]، ويقّظه من أجله لما هو عنه لاهٍ، وفرّغه من العمل لما هو عنه بغيره مشغول؛ فسبحان من وسّع ذلك حلمه وتعمّده من عباده عفوُه؛ ولو شاء ما فعلوه؛ ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون .

فأجابه : إنى رأيتُ الله تبارك وتعالى جعلَ اليقينَ بأعظمِ المواضع فى أمر الدنيا والدين، فهو غايةُ علم العالم وبصر البصير وفهم السامع، ليس كسائر الأشياء التى تدخلها الشبهاتُ ويجرحُها الإغفال ويشوبها الوَهْنُ؛ وذلك أن الله تعالى جعل مَغرِسَه القلبَ، وأغصانه العملَ، وثمرتَه الثوابَ . وإنما جعَلَ القلبَ لليقين مَغرِسًا، لأنه جعل الخمسَ الجوالب لعلم الأشياء كلّها الى القلب : السمعَ والبصرَ والمجسّةَ والمَذاقَةَ والاسترواحَ . فاذا صارت الأشياء اليه ميّز بينها العقلُ، ثم صارت بأجمعها الى اليقين، فكان هو المثبتَ لها والموجِّه كلّ واحدةٍ منهن جهتَها . ولولا معرفة القلب بالعقل الذى جعله الله لذلك، لم يفرّق سمعٌ بين صوتين مختلفين، ولا بصرٌ بين صورتين متقاربتين، ولا مجسّةٌ بين شيئين غير متشابهين . ولليقين بعد ذلك منزلة يُعرَف بها حالُ الضارّ والنافع فى العاقبة عند الله تعالى . فلما صار اليقينُ فى التشبيه كالشجرة النابتة فى القلب، أغصانُها العملُ وثمرتها الثوابُ، أخبر ذلك أنه قد تكون الشجرة نابتة الأصل بلا أغصان كما قد يكون اليقين نابتا بلا عمل؛ وأنه كما لا تكون الأغصان نابتةً بلا أصل، فكذلك لا يكون العمل نافعًا إلا بيقين؛ وكما أنه لا تُخلِفُ الثمرةُ فى الطيب والكثرة اذا كان الأصل نابتاً والأغصانُ ملتفّةً ،

(١) المشيح : الجادّ فى الأمر .

فكذلك يكون الثواب لمن صح يقينه وحسن عمله . وقد تعرض للأعمال عوارض من العلل : منهن الأمل المثبط، والنفس الأمارة بالسوء، والهوى المزين للباطل، والشيطان الجاري من ابن آدم مجرى الدم، يضرن(١) بالعمل والثواب ؛ ولا يبلغ ضررهن اليقين ، فيكون ذلك كبعض ما يعرض للشجرة من عوارض الآفات فتذوي أغصانها وتتناثر ورقها وتمنع ثمرتها والأصل ثابت ؛ فاذا تجلت الآفة عادت الى حال صلاحها . فماذا يعجبك من عمل امرئ لا يشبه يقينه وأن يقينه لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه ؟ فإنما العجب من خلاف ذلك ! ولعمري لو أشبه عمل امرئ يقينه فيكان في خوفه ورجائه كالمعاين لما يعاينه بقلبه من الوقوف بين يدي الله والنظر الى ما وعد وأوعد، لكان ما يعتلج على قلبه من خطرات الخوف شاغلا له عن الرجاء، حتى يأتي على نفسه أول لحظة ينظر بها الى النار خوفا لها أو الى الجنة أسفا عليها اذا حرمها ، وإذا لكان الموقن بالبعث بقلبه كالمعاين له يوم القيامة ؛ وكيف يستطيع من كان كذلك أن يعقل فضلا عن أن يعمل !

وأما قولك : «كيف لم يكن خائف الآخرة لربه كخائف الدنيا لسلطانه» ، فإن الله عز وجل خلق الإنسان ضعيفا وجعله عجولا ، فهو لضعفه موكل بخوف الأقرب فالأقرب مما يكره، وهو بعجلته موكل بحب الأعجل فالأعجل مما يشتهي ، وزاده حرصا على التخلص من المكروه وطلبا للمحبوب حاجته الى الاستمتاع بمتاع الدنيا الذي لولا ما طبع عليه القلب من حبه وسهل على المخلوقين من طلبه ، لما انتفع بالدنيا منتفع ولا عاش فيها عائش . ومع ذلك إن مكاره الدنيا ومحابها عند ابن آدم على وجهين ، أما المكروه فيقول فيه : عسى أن أكون ابتليت به لذنب سلف مني ؛ وأما المحبوب فيقول فيه : عسى أن أكون رزقته بحسنة كانت مني فهو ثواب

(١) في الأصل "يضرون" .

مُجْمَلَ ؛ وهو مع هذا يعلم أن حلومَ المخلوقين الى الضّيق، وأن قلوبَ أكثر مُسَلَّطيهم الى القســـوة، وأن العيبَ عنهـم مستورٌ، فليس يلتمس ملتمسهم إلا علمَ الظـاهر ولا يضع إلا به، ولا يلتفتُ من امرئٍ الى صلاح سريرته دون صلاح علانيته (١). ومن طباع الإنسان اللؤمُ، فليس يرضَى اذا خِيفَ إلا بأن يُذِلّ، ولا اذا رُجِيَ إلا بأن يُتعِبَ، ولا اذا غَضِبَ إلا بأن يُخضَعَ له، ولا اذا أمرَ إلا بأن يُنفَّذَ أمرُه، ولا ينتفع المتشفع (٢) بإحسانه عنـده اذا أساء ولا المطيعُ بكثرة طاعتـه فى المعصية الواحدة اذا عصى، ولا يرَى الثوابَ لازما له ولا العقابَ محجورا عليه، فإن عاقب لم يَستَبْقِ، وإن غَضِبَ لم يتثبَّتْ، وإن أساء لم يَعتذِر، وإن أذنبَ اليه مذنبٌ لم يَغفِر؛ واللطيفُ الخبير يعلمُ السريرةَ فيغفِرُ بها العلانيةَ، ويمحو بالحسنة عشرا من السيئات، ويصفحُ بتوبةِ الساعة عن ذنوب مائة عام، إن دُعِيَ أجاب، وإن اسْتُغفِر غَفَر، وإن أُطيعَ شكر، وإن عُصِيَ عَفَا، ومن وراءِ عبده بعد هذا كله ثلاث : رحمتُـه التى وسعت كلَّ شيء، وشهادةُ الحق التى لا يزكو إلا بها عمـل، وشفاعة النبيّ صـلى الله عليه وسلم؛ وهذا كله مثبِّتٌ لليقين باسطٌ للأمل مُثَبِّطٌ عن العمل إلا مَنْ شاء الله وقليلٌ ما هُمْ. فلا تَحمِلْ نَطَف عملك على صحة يقينك فتُوهِنَ إيمـانَك، ولا تُرَخِّصْ لنفسك فى مُقارفة الذنوب، فيكونَ يقينُك خصمًا لك وحُجّـةً عليك؛ وكَذِّب أملَك وجاهد شهوتَك، فانهما داءاك المخوفان على دينك المعتونان (٣) على هلَكتك. وأسأل الله الغنيمة لنا ولك.

موعظـــة مســـتعملة

وكيع عن مِسْعَر عن زيد العمّيّ (٤) عن عون بن عبـد الله قال : كان أهل الخير يكتب بعضهم الى بعض بهؤلاء الكلمات : مَن عَمِلَ لآخرته كفاه الله أمر دنياه،

(١) كذا بالأصل. (٢) بالأصل «المتنفع». (٣) المعتونان : المتعاونان.

(٤) سمى زيد هذا العمى لأنه كان كلما سئل عن شىء قال «حتى أسأل عمى» وقيل : هو منسوب الى بنى العم بطن من تميم (انظر تهذيب التهذيب فى اسم زيد بن الحوارى).

ومن أصلحَ ما بينـه وبين الله أصلح اللهُ ما بينـه وبين الناس، ومن أصلح سريرتَه أصلح الله له علانيتَه .

موعظة لعمرو بن عتبة

العتبيّ عن أبيه عن أبي خالد عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال :

كانَ أبونا لايرفعُ المواعظَ عن أسماعنا، فأراد مرّةً سفرا فقال : يابَنِيّ تألّفُوا النعم بحسن مُجاوَرتها، والتمِسُوا المزيدَ فيها بالشكر عليهـا ، واعلموا أن النفوسَ أقبلُ شيء لمـا أُعطِيَتْ وأعطى شيءٍ لمـا سُئِلَتْ ، فاحملوها على مطيّةٍ لاتُبطِئ اذا رُكِبَتْ، ولاتُسبَقُ وإن تُقُدِّمَتْ ، عليها نجا مَنْ هرب من النار، وأدرك مَنْ سابقَ الى الجنة؛ فقال الأصاغرُ : ياأبانا ماهذه المطيةُ؟ قال : التوبة .

صـــفات الزهاد

حدّثني عبد الرحمن العبديّ عن يحيي بن سعد السعديّ قال :

سأل الحواريّون عيسى عليه السلام فقالوا : يارُوحَ الله مَنْ أولياءُ الله ؟ قال : هم الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناسُ الى ظاهرها، والى آجل الدنيا حين نظر الناسُ الى عاجلها، فأماتوا منها ماخَشُوا أن يُميتَهم وتركوا منها ماعلموا أن سيتركُهُم، فصار استكثارُهم منها استقلالا ، وفرحُهم بما أصابوا منها حزناً، فما عارضهم من نائلها رفضوه وما عارضهم من رفيعها بغير الحقّ وضَعوه، فهم أعداء ما سالَمَ النـاسُ وسِلْمُ ما عادَوْا ، خَلُقَتْ(١) الدنيا عنـدهم فليس(٢) يعمُرونها، وماتت في قُلوبهم فليس(٢) يُحِبونَها، يهدِمُونها ويبنون بها آخرتهم، ويبيعونها ويشترون بها ما يبقى لهم؛ ونظروا الى أهلها

(١) خلقت (بفتح اللام وضمها) : بليت . (٢) كذا بالأصل غير مسند لضمير الجماعة ، ووجهه أن اسم ليس ضمير الشأن وخبرها الجملة بعدها .

صرعى قد خلت منهم المَثُلاتُ فأحيَوْا ذكر الموت وأماتوا ذكرَ الحياة ، بهم نطق الكتابُ وبه نطقوا ، وبهم عُلِمَ الكتاب وبه عَمِلوا ، لا يرون نائلًا مع ما نالوا ، ولا أمنا دون ما يرجون ، ولا خوفا دون ما يحذرون .

حدّثنى أيضا عن أنس بن مصلح عن أبى سعيد المصّيصى :

إن قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه فى مرض ، فاذا فيهم شابٌّ ذابلٌ ناحلٌ ، فقال له عمر : يافتى ما الذى بلغ بك ما أرى؟ قال : ياأميرَ المؤمنين أمراضٌ وأسقام ، فقال عمر : لتَصْدُقَنِّى ، قال : ياأمير المؤمنين ذقتُ حلاوة الدنيا فوجدتُها مرّة فصغُر فى عينى زهرتها وحلاوتُها ، واستوى عندى حجرُها وذهبُها ، وكأنى أنظر الى عرش ربى بارزا ، والى الناس يُساقُون الى الجنة والى النار ، فأظمأت لذلك نهارى وأسهرت له ليلى ، وقليلٌ حقير كل ما أنا فيه فى جنب ثواب الله وجنب عقابه .

بلغنى عن إسحاق بن سليمان عن أخيه عن الفياض عن زبيد اليامى (١) عن معاذ ابن جبل :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إنّ الله يحب الأخفياءَ الأتقياءَ الأبرياءَ الذين اذا غابوا لم يُفتقَدُوا واذا حَضَرُوا لم يُعرفوا ، قلوبهم مصابيحُ الهدى يخرجون من كل غبراء مُظلِمة" .

وعن وكيع عن عمرو بن منبّه عن أوفى بن دلهم قال :

قال علىّ عليه السلام : تعلّموا العلمَ تُعرَفُوا به واعمَلُوا به تكونوا من أهله ، فإنه يأتى من بعدكم زمانٌ يُنكر فيه الحقَّ تسعةُ أعشرائهم (٢) لا ينجو فيه إلا كلّ نُوَمَة ، يعنى

(١) نسبة الى يام بطن من همدان ، انظر تهذيب التهذيب فى اسم زبيد بن الحارث ، وفى الأصل « النامى » وهو تحريف . (٢) جمع عشير كالعشير جزء من عشرة .

الميِّتَ الذكرِ[1]،أولئك أئمة الهدى ومصابيحُ العلم ليسوا بالعُجُلِ المذاييع[2] البُذُرِ[3] . وقال علىّ عليه السلام أيضا : إنّ الدنيا قد ارتحلت مُدبرةً وإنّ الآخرةَ قد ارتحلتْ مُقْبِلةً ، ولكل واحدة منهما بَنُون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا . ألَا إن الزاهـدين فى الدنيا اتخـذوا الأرض بساطا والترابَ فِرَاشا والمـاء طِيباً . ألَا مَن اشتاق الى الجنة سَلَا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجَع عن الحُرُمات ، ومَنْ زهد فى الدنيا هانت عليــه المصيبات . ألَا إن لله عبادا كمن رأى أهلَ الجنــة فى الجنة مخلَّدين وأهلَ النار فى النار مُعَـذَّبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، وأنفسُهم عفيفةٌ ، وحوائجهم خفيفةٌ ، صبَرُوا أياماً قليلةً لعقبى راحةٍ طويلة ؛ أمّا بالليل فصافُّو أقدامِهــم ، تجرى دُموعُهم على خدودهم ، يجأَرُون الى الله : ربَّنا ربَّنـا يطلبُون فَكَاكَ رِقَابهم ؛ وأما بالنهار فحلماءُ عُلَماءُ بَرَرَةٌ أتقياء كأنهم القِدَاحُ ينظُر اليهمُ الناظر فيقول : مَرْضَى ، وما بالقوم من مرضٍ ، ويقول : خُولِطُوا ، ولقـد خالط القومَ أمرٌ عظيم .

حدّثنا إسحاق المعروفُ بابن رَاهَوَيْهِ أن عون بن عبد الله بن عتبة كان يقول : يابُنيّ كن ممّن نأى به عمّن نأى عنه يقينٌ ونزاهة ، ودنُوُّه[4] ممن دنا منه لينٌ ورحمـةٌ ، ليس نأيه تكبرا ولا عظمة ، ولادنوه بخَـدْعٍ ولا خِلَابَة ، يَقتَدِى بمن قبـله ، وهو إمامُ من بعده ، لا يعجل فيمن رابه[5] ويعفو اذا تبين له ، ينقصُ فى الذى له ويزيد فى الذى عليــه ، لا يعزُبُ حِلمُه ولا يحضُرُ جهلُه ، الخير منـه مأمول والشرّ

---

(١) فى الأصل : « الميت الداب » وما أثبتناه يدل عليه قول أبى عبيدة فى تفسير النومة من هـذا الأثر : الخامل الذكر الغامض فى الناس (اللسان مادة نوم) . (٢) جمع مذياع وهو الذى لا يكتم السرّ . (٣) جمع بذور وهو من يبذر السرّ أى يفشيه بين الناس . (٤) كذا بالأصل والسياق يقتضى أن يكون « ودنا به ممن » . (٥) رابه : شككه وأوجب عنده الريبة .

منه مأمونٌ ، إن رُجِيَ خاف ما يقولونَ واستغفرَ لمـا لا يعلمون ، إن عصته نفسُـه فيما كرِهَتْ لم يُطِعها فيما أحبت ، يَصمُتُ ليسلَمَ ويخلو ليغنَم وينطِقُ ليفهَمَ ويُخالِطُ ليعْـلم . ولا تكن يا بُنيّ ممن يُعْجَبُ باليقين من نفســه فيما ذهبَ وينسَى اليقينَ فيما رجا وطلبَ ، يقول فيما ذهب : لو قُدِّر شيء كان ، ويقول فيما بقِي : ابتغِ أيها الانسانُ ، تغلبه نفسُه على ما يظنّ ولا يغلبُها على ما يستيقِنُ ، طال عليه الأملُ ففتَرَ ، وطال عليه الأمدُ فاغترّ ، وأُعذِرَ[(١)] اليه فيما عُمِّرَ وليس فيما عُمِّرَ بمعذِرٍ[(٢)] ، عُمِّرَ فيما يتذكر فيه من تذكّر ، فهو من الذنب والنعمة مُوقَر ، إن أُعطِيَ لم يشكر ، وإن مُنِـعَ لم يَعذِرْ ، يُحبّ الصـالحينَ ولا يعمل عملَهـم ويُبغِضُ المسيئين وهو أحدُهم ، يرجو الأجرَ فى البغض على ظنّـه ولا يخشَى اليقينَ من نفسه ، يخشى الخلقَ فى ربه ولا يخشَى الربَّ فى خلقه ، يَعوذ بالله ممن هو فوقه ، ولا يريد أن يُعيذَ اللهُ منه مَنْ هو تحتـه ، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأيسرَ من عمله ، يُبصر العورةَ من غيره ويُغفِلُها من نفسه ، إن صلّى اعترض[(٣)] ، وإن ركع ربَض ، وإن سجد نقَر ، وإن جلس شَغَرَ ، وإن سألَ ألحفَ ، وإن سُئِلَ سَوَّفَ ، وإن حدّثَ أخلفَ[(٤)] ، وإن وُعِظَ كلَح[(٥)] ، وإن مُدِحَ فرِحَ ، يحسُدُ أن يُفضَـلَ ، ويزهَدُ أن يَفضُـلَ ، إن أُفيضَ فى الخير بَرِمَ[(٦)] وضَعُفَ واستسلمَ وقال : الصمتُ حُكْمٌ[(٧)] ، وهـذا ما ليس لى به عِلم ، وإن أُفيضَ فى الشرّ قال : يُحسَبُ بى عِيٌّ ، فتكلّم يجمع بين الأراوِى[(٨)] والنعام وبين الحـال والعمّ ولاءَمَ ما لا يتلاءم ، يتعلّم للمِراءِ ، ويتفقّه للرياء ، ويبادِرُ ما يفنَى ، ويُوا كلُ ما يبقَى .

(١) أى أعذر الله اليه ، يقال : أعذر الله الى من بلغ الستين من العمر ، أى لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدّة . (٢) بثابت له عذر ، يقال : ما أعذر فلان أى لم يثبت له عذر . (٣) اعترض : تكلف ، يقال : اعترض فلان الشىء أى تكلفه . (٤) الإخلاف فى المستقبل كالكذب فى المـاضى ، وهو أن يقول شيأ ولا يفعله . (٥) كلح : كشر فى عبوس . (٦) سئم وضجر . (٧) حكم : حكمة . (٨) جمع أروية تقع على الذكر والأنثى من الوعول .

حدّثنى محمد بن داود عن أبى شُرَيح الخُوَارَزْمِى قال : سمعت أبا الرّبيع الأعرج عمرو بن سليمان يقول :

قال الحسنُ بن علىّ : ألا أخبركم عن صديق كان لى من أعظم الناس فى عينى، وكان رأس ما عَظُم به فى عينى صِغَرَ الدنيا فى عينــه ، كان خارجًا من سلطانِ بطنه فلا يَتَشَهّى ما لا يحلّ ولا يكثرُ اذا وجد، وكان خارجًا من سلطان الجهالة فلا يَمُدّ يدًا إلا على ثقــةٍ لمنفعة، كان لا يتشكّى ولا يتبرّمُ، كان أكثرَ دهرِه صامتــا ، فاذا قال بَذَّ القائلين، كان ضـعيفا مستضعَفًا فاذا جاء الجِــدُّ فهو الليث عاديا ، كان اذا جامع العلمــاء على أن يسمع أحرصَ منه على أن يقولَ ، كان اذا غُلِبَ على الكلام لم يُغلَب على السكوت، كان لا يقول ما يفعل ويفعَل ما لا يقول، كان اذا عَرَض له أمران لا يدرى أيّهما أقربُ الى الحق نظر أقربَهما من هواه فخالفه، كان لا يلومُ أحدًا على ما قد يَقَع العذرُ فى مثله . زادنى غيره : كان لا يقول حتى يرى قاضيًا عَدْلًا وشهودًا عدولا[(1)] .

وفى كلام على رضى الله عنه لكُمَيْل حين ذكر حُجَجَ الله فى الأرض فقال : هَجَم بهم العلمُ على حقائق الأمور، فباشروا رَوْحَ اليقين، واستلانوا ما استَوْعر المُتْرَفُون، وأَنِسوا بمـا استَوْحش منه الجاهلون، وصَحِبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلّقةٌ بالمحـلّ الاعلى، هاهْ[(2)] شوقًا الى رؤيتهم .

قال رجلٌ ليونس بن عُبَيــد : تَعلَمُ أحدًا يعمل بعمــل الحسن ؟ قال : والله ما أعرِف أحدا يقول بقوله فكيف يعملُ بعمله ! قيل : فصِفْه لنــا ؛ قال : كان

(١) فى الادب الكبير ص ١٣٠ طبع مصر سنة ١٣٣١ : « كان لا يدخل فى دعوى، ولا يشترك فى شراء، ولا يدلى بحجة، حتى يرى قاضيا الخ » . (٢) فى نهج البلاغة ص ١٠٨ ج ٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ « آه » وكلتا الكلمتين معناها التوجع .

اذا أقبل فكأنه اقبــل من دَفْن حَمِيمه ، واذا جلس فكأنه أسيرٌ أُمِر بضَرْب عُنُقه ، واذا ذُكِرت النارُ فكأنها لم تُخْلَق إلّا له .

حدّثنا حسين بن حسن المَرْوَزِىّ قال حدّثنـا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا مَعْمَر عن الأعمش عن شقيق بن سَلَمة قال : ما مَثَلُ قُرّاء هذا الزمان إلا كمثل غنم ضوائنَ ذاتِ صُــوفٍ عِجافٍ أكلتْ من الحَمْض(١) وشَرِبت من المــاء حتى انتفخت خواصرها ، فمرّتْ برجل فأعجبتْه ، فقام اليها فعَبَط(٢) منها شاةً فاذا هى لا تُنْقِى(٣) ، ثم عبط أخرى فاذا هى كذلك ، فقال : أُفٍّ لكِ ، سائرَ اليوم .

حدّثنا حسين قال حدّثنا عبدالله بن المبارك قال أخبرنا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال : اذا شئتَ لَقِيتَه(٤) أبيضَ بضًّا(٥) حديد النظر مَيّتَ القلبِ والعمل ، أنت أبصرُ به من نفســه ، تَرَى أبدانًا ولا قلوب ، وتسمع الصوتَ ولا أُنس ، أخصبُ ألسنةٍ وأجدبُ قلوب .

حدّثنى أبو سهل عن على بن محمد عن وكيع قال :

قال سُفْيان : الزهدُ فى الدنيا قِصَرُ الأمل ، ليس بأكل الغَلِيظ ولا لُبْس الغَلِيظ . قال : وقال يوسف بن أسباط : لو أنّ رجلًا فى ترك الدنيا مثلُ أبى ذرّ وأبى الدَّرْداء وسَلْمان ، ماقلنا له : إنك زاهد ، لأنّ الزهد لا يكون إلا على ترك الحلال المَحْض ، والحلالُ المحض لا نعرفه اليوم ، وإنما الدنيا حلالٌ وحرامٌ وشُبُهات ، فالحلالُ حسابٌ ، والحرام

(١) الحمض من النبات : كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .

(٢) عبط الشاة : ذبحها صحيحة من غير علة بها . (٣) لا تنق : ليس لها نقى لضعفها وهزالها . والنق : المخ . (٤) كذا فى الأصل ، ولم يتقدّم ما يصلح أن يكون مرجعا للضمير فى قوله «لقيته» . وفى النهاية لابن الأثير ولسان العرب فى مادة «بض» : وفى حديث الحسن «تلق أحدهم أبيض بضا» .

(٥) من البضاضة وهى رقة اللون وصفاؤه .

عذابٌ ، والشبهات عتابٌ ، فأنزِل الدنيا منزلةَ المَيْتة خُذْ منها ما يُقيمك ، فان كان ذلك حلالًا كنت زاهـدا فيها ، وإن كان حراما لم تكن أخذتَ منها إلا ما يُقيمك كما يأخذ المضطرّ من الميتة ، وإن كان عتابٌ كان العتابُ يسيرا . ومثله قولُ بعضهم : ليس الزهد بترك كلّ الدنيا ، ولكن الزهدَ التهاونُ بها وأخذُ البَلَاغ منها . قال الله تعالى ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ ، فأخبر أنهم زَهِدوا فيه وقد أخذوا له ثمنا .

قال أبو سليمان الدارانيّ : الرضا عن الله والرحمـةُ للخَلْق درجةُ المرسَلين ، وما تعـرف الملائكةُ المقرّبون حدّ الرضا . وقال : أرجو أن أكون قـد نِلتُ من الرضا طَرَفا ، لو أنه تبـارك وتعالى أدخلني النار كنتُ بذلك راضيا . قال : وليس الحمـد له أن تحمَده بلسانك وقلبُك مُقتصِرٌ على المصيبة ، ولكن هو أن تحمده بلسانك وقلبُك مسلّمٌ راضٍ .

وقال ابن أبى الحَوَارىّ : قلت لأبى سـليمان : بلغنى فى قول الله تعـالى : ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أنه الذى يلقَى ربَّه وليس فيـه أحدٌ غيرُه ؛ فبكى وقال : ما سمعتُ مذ ثلاثين سـنة أحسنَ من هذا . وقال : كلّ قلب فيه شِرْكٌ فهو ساقط . قال : وما فى الأرض أحدٌ أجِدُ له محبّةً ولكن رحمة . وقال : ينبغى للخوف أن يكون أغلبَ على الرجاء ، فاذا غَلَب الرجاءُ على الخوف فَسَـد القلبُ .

وقال الفُضَيْل بن عياض : أصل الزهد الرضا عن الله .

الحسين بن على عن عبد الملك بن أبجر : أن رجلا يُكنى أبا سعيد كان يقول: والله ما رأيتُ قُرّاءَ زمان قطّ أغلظَ رقابًا ولا أدقَّ ثيابًا ولا آكلَ لُمخّ العيش منكم .

أبو أُسامة عن حمّاد بن زيد عن اسحاق بن سويد قال :

قال مطرّف: أُنظروا قوما اذا ذُكِرُوا ذُكروا بالقراءة فلا تكونوا منهـــم، وقوماً اذا ذُكروا ذُكروا بالفُجُور فلا تكونوا منهم، كونوا بين هؤلاء وبين هؤلاء .

أوصى ابن مُحَيْرِيز رجلًا فقال : إن استطعتَ أن تعرِف ولا تُعْرَف وتَسأَل ولا تُسْأَل وتمشِي ولا يُمْشَى اليك، فافعل .

قال أيّوب : ما أحبَّ الله عبدًا الا أحبّ ألّا يُشْعَر به .

إسحاق بن سـليمان عن جرير بن عثمان قال : جاء شُرَيح بن عبيد الى أبى عائذ الأزدىّ فقال : يا أبا عبـد الله ، لو أحييتَ سنّةً قد تركها الناس : إرخاءَ طَرَف العِمامة من الجانب الأيسر! قال : يا بن أخى، ما كان أحسنها! تركـها الناس فتركناها ، ما أُحِبّ أن أُعرَف فى خيرٍ ولا شرّ .

كلام من كلام الزهّاد

حدّثنا حسين بن حسن المروزىّ قال حدّثنا عبدالله بن المبارك قال أخبرنا عبدالله ابن عبد العزيز قال :

قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل : يا فلانُ ، هل أنت على حالٍ أنت فيها مستعدّ للموت ؟ قال : لا ؛ قال : فهل أنت مجمِعٌ[(١)] على التحوّل الى حال ترضى بها ؟ قال : ما شَخَصتْ نفسى لذلك ؛ قال : فهل بعد الموت دارٌ فيها مُسْتعتَبٌ[(٢)] ؟ قال : لا؛ قال : فهل تأمنُ الموت أن يأتيَك ؟ قال : لا ؛ قال فهـل رضى بمثل هذا الحال عاقل ! .

حدّثنا حسين قال حدّثنا عبد الله بن مبارك قال حدّثنى غير واحد عن مُعاوية ابن قُرّة قال :

---

(١) مجمع : عازم . (٢) المستعتب : الطلب الى المسىء أن يرجع عن إساءته .

قال أبو الدرداء : أضحكني ثلاثٌ وأبكاني ثلاثٌ : أضحكني مؤمِّل الدنيا والموتُ يطلبه، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه، وضاحكٌ ملءَ فيه ولا يدرى أراضٍ الله عنه أم ساخطٌ عليه. وأبكانى فِراق الأحبّة: محمدٍ وحزْبه، وهَوْلُ المُطّلَع، والوقوفُ بين يدى الله يوم تبدو السرائر، ثم لا أدرى الى الجنة أو الى النـار .

كان عبد الله بن ثعلبة الحنفىّ يقول : تضحَكُ ولعـل أكفانَك قد خرجتْ من القَصّار(١) . قال : وقال الفُضَيل : أصلُ الزهد الرضا عن الله ، وقال : ألا تراه كيف يَزْوِيها عنه ويُمَرْمِرُها(٢) عليـه بالعُرْى مرّةً وبالجُوع مرة وبالحاجة مرة ، كما تصنع الوالدةُ الشفيقةُ بولدها : تسقيه مرّةً صَبِرًا(٣) ومرة حُضَضًا(٤) ، وإنما تريد بذلك ما هو خيرٌ له .

وقال السرىّ : ليس من أعلام الحبّ أن تُحبّ ما يُبْغضه حبيبُك . أوحى الله تعـالى الى بعض الأنبياء : أمّا زهدُك فى الدنيـا فتَعَجَّلك الراحةَ لنفســك، وأمّا انقطاعُك الىّ فتعزُّزك بى، ولكن هل عاديتَ لى عدوًّا أو واليتَ لى وليًّا .

قال مالك بن دينـار : بلغَنا أن حَبْرًا من أحبار بنى إسرائيل كان يغشاه الرجال والنساء، فغمَز بعضُ بنيه النساءَ، فرآهم فقال: مَهْلًا يا بنىّ مهلا ! قال : فسقَط عن سريره فانقطع نُخاعه(٥) وأسقطت امرأتُه وقُتِل بنوه فى الجيوش . وقيل له : ما يكونُ من جنسك حبرٌ أبدا ، ما كان غضبُك لى إلا أن قلتَ يا بنىّ مَهْـلًا يا بنىّ مهلا .

---

(١) القصار : المحوّر للثياب ، سمى بذلك لأنه يدقها بالقصرة التى هى قطعة من الخشب .

(٢) يمرمرها : يجيزها و يعدّيها . (٣) عصارة شجر مر . (٤) الحضض (بضم أوّله مع ضم ثانيه أو فتحه) : دواء يعقد من أبوال الإبل ، و يقال على صمغ من نحو الصنوبر والمرّ له ثمرة كالفلفل . (٥) النخاع : الخيط الابيض فى جوف الفقار ينحدر من الدماغ وتتشعب منه شعب فى الجسم .

ضَمْرة بن ربيعـة قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: إرضَ بالله صاحبا ودَع الناس جانبا .

كان بِشْر بن الحارث يقول : أربعةٌ رفعهم الله بغير كبيرِ عملٍ فى الظّاهر إلا بِطيب المَطْعم : إبراهيم بن أدهم وسالم الخـوّاص ووُهَيْب المكّى ويوسف ابن أسباط .

وحدّثنى أبو حاتم أو غيره عن العُتْبىّ قال: سمعت ابن عُيَينة يقول: أربعٌ ليس عليك فى واحدةٍ منهنّ حسابٌ: سَدُّ الجَوْعة، وبَرْدُ العَطْشة، وستر العورة، والاستكنان؛ ثم تلا : (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى) .

بلغنى عن يَعْلى عن سُفْيان : قال علىٌّ عليـه السلام لرجل : كيف أنتم ؟ قال : نرجو ونخاف ؛ قال : من رجا شيئا طلبه ، ومن خاف من شىء هَرَب منـه ، ما أدرى ما خوفُ رجلٍ عَرَضت له شهوة فلم يَدَعْها لمـا يخاف ! وما أدرى ما رجاءُ رجل نزل به بلاءٌ فلم يصبِر عليه لمـا يرجو .

بلغنى عن عيسى بن يونس عن الأوزاعىّ عن مكحول قال : إن كان الفضـلُ فى الجماعة فان السلامةَ فى العزلة . وبلغ الفُضَيلَ هذا فقال: سمعتم كلامًا أحسن منه!

قال ابن المبارك : رَكِبتُ مع محمـد بن النَّضْر الحارثىّ السفينةَ فقلتُ : بأىّ شىء أستخرج منه الكلام ؟ فقلت: ما تقول فى الصوم فى السفر؟ فقال : إنمـا هى المبادَرة؛ فجاءنى والله بفتوى غير فتوى إبراهيم والشَّعبىّ .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعىّ قال: قيل لأبى حازم : ما مالُك؟ فقـال : الثقةُ بمـا فى يد الله واليأسُ ممـا فى أيدى الناس . وقال أبو حازم : إنه ليس شىء من الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ قبلكم، فآثِرْ نفسك أيها المرءُ بالنصيحة على

ولدك، واعلم أنك إنما تُخلف مالك فى يد أحد رجلين: عامل فيه بمعصية الله فتشقَى بما جمعتَ له، وعامل فيه بطاعة الله فتسعَدَ بما شَقِيتَ له؛ فارجُ لمن قدّمتَ منهم رحمةَ الله، وثِق لمن خلّفت منهم برزق الله.

وقال أبو حازم: إن كنت انما تريد من الدنيا ما يكفيك ففى أدناها ما يكفيك، وإن كنتَ لا ترضَى منها بما يكفيك فليس فيها شىء يُغنيك.

ونظر أبو حازم الى الفاكهة فى السوق فقال: موعدُك الجنّة. ومرّ بالجزّارين فقال له رجل منهم: يا أبا حازم، هذا سمينٌ فاشتر منه؛ قال: ليس عندى ثمنه؛ قال أنا أنظرُك؛ ففكّر ساعة ثم قال: أنا أنظرُ نفسى.

قال سُفيان: حلَف أبو حازم لجلسائه: إنى لأرضى أن يتّقى(١) أحدُكم على دِينه كما يتّقى(١) على نعْله.

حدّثنى محمد بن زياد الزيادىّ قال حدّثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن سعيد ابن أبى هند عن أبيه عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الصحّةُ والفَرَاغُ نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس".

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا أبو ربيعة فَهْد بن عَوْن عن حمّاد بن سَلَمة عن يعقوب قال: سمعتُ الحسن يقول: ابنَ آدم، إنما أنت عَدَدٌ، فاذا مضى يوم فقد مضى بعضُك.

وروى عبد الله بن بكر بن حبيب السّهمىّ عن الحسن بن ذَكْوان رَفَعَ الحديثَ الى النبى صلى الله عليه وسلم قال: "أوصانى ربّى بتسع خِصالٍ وإنى مُوصِيكم بها:

(١) كذا بالاصل. ولم نجد فيما بين أيدينا من المصادر أن «يتق» يتعدّى بحرف «على» فلعله محرف عن «يبق» والإبقاء على الشىء: الإرعاء والمحافظة عليه.

بالإخلاص في السرّ والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى، وأن أعفوَ عمّن ظلمني، وأصِلَ مَنْ قطعني وأُعطي مَنْ حرمني، وأن يكون صمتي تفكّرا، ومنطقي ذِكرا، ونظري عِبرا".

مسلم بن إبراهيم عن حمّاد بن سلَمة عن حُميد قال: كان ابن عمر يقول: البِرُّ شيء هيِّن: وجهٌ طليقٌ وكلامٌ ليِّن.

جعفر بن سليمان قال: سمعت مالكا يقول: اتّقوا السحّارة، فإنها تسحَرُ قلوبَ العلماء. قال: وسمعته يقول: وددتُ أنّ رزقي في حَصاة أمصّها حتى أموت، ولقد اختلفتُ الى الخلاء حتى استحييتُ من ربّي.

بِشر بن مُصلح عن أبي سعيد المصّيصيّ عن أسد بن موسى قال: في الجُوع ثلاثُ خلال: حياةُ القلب، ومَذلّةُ النفس، ويُورث العقلَ الدقيق السماويّ.

سالم بن سالم البَلخيّ عن السريّ بن يحيى قال: كان الحسن اذا عاد مريضًا لم ننتفع به يومًا وليلة، واذا شيّع جنازةً لم ينتفع به أهلُه وولَدُه وإخوانُه ثلاثًا.

خَلَف بن تميم قال: قال رجل لإبراهيم بن أدهم: يا أبا إسحاق، أُحبّ أن تقبَلَ مني هذه الجُبّة كسوةً؛ قال إبراهيم: إن كنتَ غنيًّا قبلتُها منك، وإن كنتَ فقيرا لم أقبلْها؛ قال: فإني غنيٌّ؛ قال: كم عندك؟ قال: ألفان؛ قال: فيسُرُّك أن تكون أربعة آلاف؟ قال: نعم؛ قال: أنت فقير، لا أقبلها».

قال عُبيد الله بن عمر: دخلت أنا ويحيى بن سليمان على الفُضَيل نعودُه؛ فقال: زوّجَك وخوّلك وصَرَف وجوهَ الناس اليك وأنت تشغلك عنه مَنْ أنت وما أنت! ثم شَهَق شَهقةً، وأضجعه رجل كان عنده وغطّى عليه ثوبًا وهو لا يعقل، ونزلنا.

بكّار بن عبد الله عن إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال:

قال أبو حازم : السرُّ أملكُ بالعلانيةِ من العلانية بالسرّ، والفعلُ أملكُ بالقول من القول بالفعل ، فاذا كنتَ فى زمانٍ يُرضَى فيــه من الفعل بالقول ومن العمل بالعلم، فأنت فى شرِّ زمان وشرّ أناس .

ابن أبى الحوارىّ قال : ذكرت لأبى سليمان امرأتى والشغلَ بها، فقال: إنْ علم اللهُ من قلبك أنك تُريد الفراغَ له فرّغك، وإن كنت[(1)] إنما تريد الراحة منها لتستبدل بها، فهذه حماقة . قال : ورأيته حين أراد الإحرام فلم يُلبِّ حتى سِرْنا مليًّا وأخذه كالغَشْى وجعل رأسه عند رُكبته فجعل مَحْمِله يَخِفّ ومحملى يثقُل حتى سرنا هويًّا[(2)]، ثم أفاق فقال: يا أحمد، بلغنى أن الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى عليه السلام « يا موسى مُرْ ظَلَمةَ بنى إسرائيل أن يُقلّوا من ذكرى، فإنى أذكُرُ مَنْ ذكرنى منهم بلعنة حتى يسكت » . ويحك يا أحمد بلغنى أنه من حجّ من غير حِلّه ثم لبّى، قال له تبارك وتعالى : لا لَبَّيكَ ولا سَعْدَيْكَ حتى تردّ ما فى يديك؛ فما يؤمّننا أن يقال لنا ذلك . قال وقال أبو سليمان : يجيئك وأنت فى شىء من الخير فيُشير لك الى شىء من الخير دونه ليَرْبح عليك شعيرةً؛ يعنى إبليس .

قال المسيح لأصحابه : بحق أقول لكم، إنّ مَنْ طلب الفردوسَ فخبزُ الشعير له والنومُ فى المزابل مع الكلاب كثير .

مسلم بن إبراهيم عن عمرو بن حمزة عن داود بن أبى هند عن مكحول قال : كنا أجنّةً فى بطون أمّهاتنا فسَقَط من سَقَط وكنا فيمن بَقِى ، ثم كنا مَراضع[(3)] فهَلَك منا

(١) وردت هذه الكلمة مرسومة فى الأصل هكذا : «وانما كنت» . ومن المحتمل أن يكون صوابها « إما كنت » : على أنها « إن » الشرطية مدغمة فى « ما » الزائدة، فكتبها الناسخ « إنما »

(٢) هويا : ساعة من الليل . (٣) جمع مرضع (بفتح الضاد) أى رضيع .

من هلك وبَقِى من بقى، وكنا أيفاعًا، وذكر مثل ذلك، ثم صِرْنا شبّانا، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شيوخًا لا أبا لك فما ننتظر وما نريد! وهل بَقِيت حالةٌ ننتقل اليها .

قال وقال مكحول : الجنين فى بطن أمّه لا يطلُب ولا يحزَن ولا يغتمّ، فيأتيه الله برزقه من قِبَـل سُرّته ، وغذاؤه فى بطن أمه من دم حيضها، فمن ثَمّ لا تحيض الحامل، فاذا سقط استهلّ استهلالة إنكاراً لمكانه، وقُطعت سُرّته وحَوّل الله رزقه الى ثدى أمه ثم حوّله الى الشىء يُصْنع له ويَتنـاوله بكفّه، حتى اذا اشتدّ وعقل قال : أين لى بالرزق! يا ويحـك! أنت فى بطن أمك وفى حِجْـرها تُرْزَق حتى اذا عقَلتَ وشَبَبْت قلتَ : هو الموت أو القتل وأين لى بالرزق! ثم قرأ ﴿يَعْـلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ .

عبد الملك بن عبد العزيز قال : كان محمد بن النَّضْر الحارثىّ اذا لم يكن فى صلاة استقبل القِبْلة، فقَعَدنا اليه بعد العصر فقال: بلغنى أنه مَنْ قال : لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له له الملكُ وله الحمـدُ وهو على كلّ شىء قدير، ألفَ مرةٍ فى دُبُر صـلاة العصر، رُفِع له عملُ نبىّ؛ ثم قال : قد أكثرت الكلام .

وقال سعيد بن عمر الكِنْدىّ دخل رجلٌ على داود وهو يأكل خبزًا يابسا قد بلّه(١) فى المـاء بمِلْح جَرِيش(٢)، فقال له : كيف تشتهى هذا! قال: أدعُه حتّى أشتهيه. ونحو هذا قول هشام بن عبدالملك لسالم : ما أُدمك(٣)؟ قال: الزيت؛ قال: أما تأجمه(٤)؟ قال : اذا أجَمْتُه تركته حتى أشتهيه . قال : وكان ماء داود فى دَنٍّ مُقيَّر(٥) فى الصّيف

(١) فى الأصل : «مله» . (٢) جريش : لم يطيب . (٣) الأدم (بالضم) : ما يؤكل به الخبز أى شىء كان . (٤) تأجمه : تكرهه وتمله . (٥) مقير: مطلى بالقار وهو شىء أسود تطلى به السفن، وقيل هو الزفت .

والشتاء، فقال له بعض أصحابه : لو بَرّدتَ المـاء! فقال داود : اذا أصبْتَ فى مثل هذا اليوم ماءً باردا فمتى تُحِبّ الموت ! .

سعيد بن عمرو عن رجل قال: قال محمد بن واسع : لو كان للذنوب رِيحٌ ماجلس إلىّ منكم اثنان . وقال محمد بن واسع : لا يطيبُ المَـالُ إلا من أربع : سهم فى فَىْءِ المسلمين، أو عطيّـة عن ظَهْرِ يدٍ، أو إرثٍ بكتاب الله، أو تجارة من حلال، ولا يُقْتَـل مسلم إلا بهذه الخِصَال : كفر بعـد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قَتَـل فيُقْتَل، أو حارب اللهَ ورسولَه وقَطَع الطريقَ .

قال سليمان بن المُغِيرة سمعت ثابتـا يقول : واللهِ لَحَمْـلُ الكَارَات أهونُ من العبادة . قال : ولا يُسَمَّى الرجلُ عابدًا وإن كانت فيـه خَصْلَةٌ من كلّ خيرٍ حتى يكون فيه الصومُ والصلاةُ، فإنهما من لحمه ودمه .

أبو نعيم عن الأعمش عن يزيد بن حَيّان قال : كان عيسى بن عُقْبـة يسجُد حتى إن العصافير ليَقَعن على ظَهْره ويتزِلْن، ما يَحْسَبْنَه إلّا جِرْمَ حائط .

حدّثنى محمد بن داود عن عبد الصمد بن يزيد قال: شكا أهل مكة الى الفُضَيل القَحْطَ ، فقال : أمدبِّرًا غيرالله تريدون! . قال : وسمعته يقول : اسـتخيروا اللهَ ولا تَخَيَّروا عليه ، فكم من عبـد تخيّر لنفسه أمرًا كان هلاكه فيه! أمَا رأيتموه سأل ربّه طَرَسُوسَ فأُعطِيَها فأُسِرَ فصار نَصْرانيًّا[1] .

وحدّثنى أيضا عن سعيد بن نصير قال قال وَكيع : أبو يونس، ومن أبو يونس! بَكَى حتى عَمِي، وطاف حتى أُقْعِد، وصلّى حتى حَدِب .

(١) طرسوس بلد بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، وكان الزهاد والصالحون يقصدونه لأنه من ثغور المسلمين . استولى عليه ملك الروم سنة ٣٥٤ وتنصر وقتئذ بعض المسلمين وقصد بعضهم بلاد الإسلام، وأقام نفر يسير على الجزية (انظر معجم البلدان فى اسم طرسوس) .

حدّثنى محمد بن عبيد قال محمد بن عبد الله الأنصارىّ عن بَهْز بن حكيم قال : صلّى بنا زُرارةُ بن أوفى الغَداةَ ، فقرأ الإمامُ ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ ، فخرّ مَغْشِياً عليه ، فحملناه ميّتا .

ابن أبى الحَوَارىّ قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : الصلاةُ تبلّغك نصفَ الطريق ، والصومُ يبلّغك بابَ الملك ، والصَّدَقةُ تُدْخِلك عليه .

ذكر أبو حنيفة رحمه الله أيوبَ فقال : رحمه الله — ثلاثا — لقد قَدِم المدينةَ مرّةً وأنا بها ، فقلت : لأقعُدنّ له ، لعلى أتعلّق عليه بسَقْطة ، فقام من القبر مَقاما ما ذكرتُه قطّ إلا آقشعرّ جلدى .

روى آبنُ عيّاش عن سعيد بن أبى عَرُوبةَ قال : حجّ الحجّاج فنزل بعضَ المياه ودعا بالغَداء ، فقال لحاجبه : انظر من يتغدّى معى وأسألُه عن بعض الأمر ؛ فنظر الحاجبُ فإذا هو بأعرابىّ بين شَمْلتين من شَعَر نائم ، فضربه برجله وقال : آئت الأميرَ فأتاه ؛ فقال له الحجاج : اغسل يدك وتغدَّ معى ؛ قال : إنه دعانى مَن هو خيرٌ منك فأجبته ؛ [فقال له الحجاج : من الذى دعاك ؟] (١) قال : اللهُ تعالى دعانى الى الصوم فصُمت ؛ قال : فى هذا اليوم الحارّ ! قال : نعم صُمتُ ليومٍ أحرّ منه ؛ قال : فأفطرْ وتصوم غدا ؛ قال : إن ضَمنتَ لى البقاءَ الى غد ؛ قال : ليس ذاك إلىّ ؛ قال : فكيف تسألنى عاجلا بآجل لا تقدِر عليه ! قال : إنه طعامٌ طيّب ؛ قال : إنك لم تُطَيِّبه ولا الخبّاز ، ولكن طيّبته العافية .

ونحو هذا حدّث الأصمعىّ عن شَبيب بن شيبة قال : كنّا فى طريق مكة فجاء أعرابىٌّ فى يومٍ صائفٍ شديد الحرّ ومعه جاريةٌ سوداء وصحيفةٌ ، فقال : أفيكم

(١) زيادة يقتضيها السياق .

كاتب ؟ قلنا : نعم؛ وحضر غداؤنا فقلنا : لو دخلتَ وأصبتَ من الطعام ! قال : إنى صائم؛ قلنا : فى الحرّ وشدّته وجَفَاء البادية! فقال : إن الدنيا كانت ولم أكن فيها ، وستكون ولا أكون فيها، ولا أُحبّ أن أُغْبَن أيّامى، ثم نبذ إلينا الصحيفة ؛ وقال : أُكتب ولا تزيدنّ على ما أقول حرفا : هـذا ما أعتق عبدُ الله بن عقيل الكلابىّ، أعتق جاريةً له سوداءَ يقال لها لؤلؤة، ابتغاءَ وجه الله تعالى وجوازِ العَقَبة، وإنه لا سبيلَ له عليها إلاسبيلَ الوَلاء، المِنّةُ لله علينا وعليه واحدة . قال الأصمعىّ: فحدّثت بها الرشيدَ، فأمر أن يُعتَق عنـه ألفُ نَسَمةٍ أو مائةُ نسمة ، ويُكتَبَ لهم هذا الكتاب .

قال خالد بن صَفْوان : بِتُّ أتمنّى ليلتى كلَّها ، فكَبَستُ البحرَ الأخضرَ بالذهب الأحمر، فإذا الذى يكفينى من ذاك رغيفان وكُوزان وطِمْران! .

رأى رجلٌ رجلا من وَلَد مُعاوية يعمَل على بعيرٍ له ، فقال : هـذا بعد ما كنتم فيه من الدنيا ! فقال : رحمك الله ، ما فَقَدْنا إلا الفضولَ .

سمعتُ بعضَ العبّاد يقول : علامةُ التّـوبة الخروجُ من الجهـل ، والنّدَمُ على الذنب ، والتّجافى عن الشهوة ، واعتقادُ مَقْتِ نفسـك المسوّلة[1] ، وإخراجُ المَظلمة ، وإصلاحُ الكَسْرة ، وتركُ الكذب ، وقطعُ الغِيبة ، والانتهاءُ عن خِدْن السّوْء .

لَقِىَ زاهـدٌ زاهـدًا فقال له : يا أخى ، إنى لأُحبّـك فى الله ؛ قال الآخر : لو علمتَ منّى ما أعلم من نفسى لأبغضتَنى فى الله ؛ قال له الأوّل : لو علمتُ منك ما تعلم من نفسك ، لكان لى فيما أعلم من نفسى شُغْلٌ عن بُغْضك .

---

(١) فى الأصل : « المسوولة » .

كان الثّورىّ مستخفياً بالبَصْرة، فورد عليه كتابٌ من أهله، وفيه : "قد بَلَغ بنــا الجَهْد الى أن نأخُذ النَّوَى فنَرُضّه ثم نَخْلِطَه مع التبن فنأكلَه"، فحرّك ذلك من قلبه، ورَمَى بالكتاب الى أخ له ؛ فقرأه فدَمَعتْ عينُه، ثم قال : يا أبا عبــد الله، لو أنّك حدّثتَ النــاس اتّسَعت واتّسع هؤلاء ! فأطرق مَلِيًّا ثم رفع رأســه وقال : اِسمعْ حديثًا أُحدّثُكَ به ثم لا أُكلّمك بعده ســنة : رُئِيَ نُورٌ فى الجنّــة تجــدّد، فقيل : ما هــذا النور ؟ فقيل : حَوْراءُ ضَحِكتْ فى وجه زوجها فبدَتْ ثــناياها ؛ فترَى لى أن أُغرِّرَ بتلك وأصيرَ الى ما تقول !

أراد قومٌ سفرًا فحادوا عن الطريق وانتهَوْا الى راهبٍ منفردٍ فى ناحية، فنادَوْه فأشرف عليهم، فقالوا : إنا قد ضَلَلْنا فكيف الطريقُ ؟ قال لهم : ها هنــا، وأومأ الى السماء، فعلِموا الذى أراد، فقالوا : إنا سائلوك، أفتُجيبنا أنت ؟ قال : ســلوا ولا تُكثروا، فانّ النهار لن يرجع والعمرَ لن يعود والطالبَ حثيثٌ فى طلبه ذو اجتهاد ؛ قالوا : ما الخلقُ عليه غدًا عند مليكهم ؟ فقال : على نِيّاتهم؛ فقالوا : فإلامَ الموئلُ ؟ قال : الى المُقدَّم؛ قالوا : أوصِنا، قال : تزوّدوا على قدر ســفركم، فانّ خيرَ الزاد ما بَلَّغَ المَحلَّ ؛ ثم أرشدهم الى المَحَجّة وانقمع[1].

وقال آخر : قلت لراهب : عِظْنى عِظَةً نافعة ؛ فقال : جميعُ المواعظ منتظمةٌ فى حرف واحد؛ قلت : ما هو ؟ قال : تُجمِعُ على طاعته، فاذا أنت قــد حَوَيْتَ المواعظ والأذكار .

الأصمعىّ : قيل لأعرابىّ معه ماشيةٌ : لمن هذه المــاشية ؟ قال : لله عندى .

كان ابن السماك يقول فى كلامه : لقد أمهلكم حتى كأنه أهملكم، أمَا تستحيُون من الله من طول مالا تستحيُون !

(١) انقمع المرء : جلس وحده .

قال بكر بن عبد الله : اجتهدوا فى العَمَل ، فإنْ قصَّر بكم ضعفٌ فكُفُّوا عن المعاصى .

كان مالك بن دينار يقول فى قَصَصه : ما أَشَدَّ فِطامَ الكبير ! ويُنشد :

وتَرُوضُ عِرْسَك بعد ما هَرِمَتْ * ومن العَناءِ رياضــةُ الهَــرِمِ

كان أعرابىٌّ يسرق الإبلَ يُسَمَّى يزيدَ، ثم تاب وقال :

أَلَا قُلْ لرُعْيان الخَائِض[1] أهملُوا * فقــد تاب مما تعلمــون يزيد

وإنَّ امرأً ينجو من النار بعد ما * تزوّد من أعمالهــا لســعيدُ

وقال نصيح الأسدىّ :

كفى نَطَفًا[2] بالمرء يا أم صالح * ركوبُ المعاصى عامدًا واحتقارُها

كان خالد بن معدان يقول :

إذا أنتَ لم تزرَعْ وأبصرتَ حاصدًا * نَدِمتَ على التفريط فى زمن البَــذْرِ

قال منصور بن عمّار : ما أرى إساءةً تكبُرُ عن عفو الله فلا تَأْيَس، وربما أخذ الله على الصغير فلا تأمن .

وروى وَكيع عن إبراهيم بن إسماعيل عن عُتَيبة بن سِمْعان عن مُسَيْكَة عن عائشة رضى الله عنها أنها أتتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بصَحْفة فيها خبزُ شعير وقطعةٌ من الكَرِش، فقالت : يارسول الله، ذَبَحنا اليوم شاةً فما أمسكنا منها إلا هذا؛ قال : "بل كلّها أمسكتم إلا هذا" .

(١) فى اللسان (مادة بعر) : «لرعيان الأباعر» .

(٢) النطف (بالتحريك) : العيب .

استقبل عامرَ بن عبد قيس رجلٌ فى يوم حَلْبة ، فقال : من سَــبَق ياشيخ ؟ فقال : المقرَّبون . وأُتى به عثمان وأُقْعِــد فى دهليزه ، فلما خرج رأى شــيخا يطا[1] فى عباءة ، فأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابىّ أين ربُّك؟ قال : بالمِرْصاد .

قال سليمان بن عبد الملك لأبى حازم : ما بالُنا نَكرَه الموت؟ قال : لأنكم عَمَّرتم الدنيا وأخربتم الآخرة ، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العُمْران الى الخراب .

قال الحسن : نِعَمُ اللهِ أكثرُ من أن تُشْكَر إلا ما أعانَ عليــه ، وذُنوبُ ٱبن آدم أكثرُ من أن يُسْلَم منها إلا ما عفا الله عنه .

وقال الحسن : تنفق دِينَك فى شَهْوتك سَرَفا ، وتمنَعُ فى حق الله درهما ، ستعلَم بالُكَعُ .

خرج المسيح من بيت مُومسةٍ ، فقيل له : يارُوحَ الله ، ما تصنَع عند هذه ؟ فقال : إنمــا يأتى الطبيبُ الى المَرْضى . ومرّ بقوم شَتَموه فقال خيرًا ، ومر بآخرين شتموه فقال خيرا ؛ فقال رجل من الحوارِيِّين : كلما زادوك شرًّا زِدت خيرًا ، كأنك تُغْريهم بنفسك ! فقال : كل إنسان يُعطى مما عنده .

أخبر أبو حازم سليمانَ بن عبــد الملك بوعيد الله للذنبين ؛ فقال سليمانُ : فأين رحمةُ الله؟ قال : قريبٌ من المحسنين .

قال عمرُ بن عبد العزيز لمحمد بن كعب : عِظْنى ؛ فقال : لا أرضَى نفسى لك ، إنى لأُصَلِّى بين الغنىّ والفقير ، فأَميل على الفقير وأُوسِّع للغنىّ .

نظرت آمرأةٌ الى أخرى وحولهــا عشرةٌ من وَلَدها كأنهم الصقور ، فقالت : لقد وَلَدتْ أُمّكِ حزنًا طويلا .

---

(١) كذا بالأصل . وفى البيان والتبيين (ج ٣ ص ٧٤ طبعة القاهرة ١٣٣٢ هـ) : «أعرابيا أشغى فى بت» .

أُحتُضِر فتًى كان فيه زهوٌ ، فرَفَع رأسَه فإذا أبواه يَبكيان ، فقال لهما : ما يُبكيكما؟ قالا : الخوفُ عليك لإسرافك على نفسك ؛ فقال : لا تَبْكيا ، فوالله ما يَسُرُّنى أنّ الذى بيد الله من الرحمة بأيديكما .

قال علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهَــه : يابن آدم لا تحمِــلْ همّ يومك الذى لم يأتِ على يومك الذى أنت فيه ، فإنْ يكُ من أجلك يأتِ فيه رزقُك ، وٱعلم أنك لا تَكسِبُ من المــال شيئًا فوق قُوتك إلا كنت فيــه خازنًا لغيرك . قال النابغــةُ فى نحوه :

ولستُ بحابِسٍ لِغَـــدٍ طعامًا * حِذَارَ غدٍ لكلّ غـــدٍ طعامُ

تذاكر حُذَيفــة وسَلْمان أمرَ الدنيــا ، فقال سَلْمان : ومن أعجب ما تذاكرْنا صعودُ غُنَيْماتِ الغامدىّ سريرَ كِسْرَى ، وكان أعرابىّ من غامدٍ يَرْعَى شُوَيْهاتٍ له ، فاذا كان الليلُ صيّرها الى عَرْصة إيوان كسرى ، وفى العرصة سريرُ رُخامٍ كان يجلس عليه كسرى ، فتَصْعَد غُنَيماتُ الغامدىّ الى ذلك السرير .

دخل أبو حازم المسجدَ فوَسْوَس اليه الشيطانُ : إنك قد أحدثتَ بعد وُضُوئك ، فقال : وقد بَلَغ هذا من نُصحك ! .

قال الزبير : يكفينا من خضمكم القضم[(1)] ، ومن نَصّكم العَنَق . قال رجلٌ لأم الدَّرداء : إنى لأجد فى قلبى داءً لا أجد له دواء ، أجد قَسْوةً شــديدةً وأملًا بعيدًا ؛ قالت : ٱطلع فى القبور وٱشهَدِ الموتى .

(١) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والعنق (بالتحريك) : سير مسبطر فسيح واسع للإبل . والنص : استقصاء ما عند الدابة من السـير . يريد أن يقول : يكفينا منكم القليل بدل الكثير .

قيل للربيع بن خُثَيْم : لو أرحتَ نفسَك ! قال : راحتَها أُريد .

قال رجل من الصالحين : لو أنزل الله كتابًا أنه معذِّبٌ رجلا واحدا لخفتُ أن أكونَه ، أو أنه راحمٌ رجلا واحدا لرجوتُ أن أكونه ، أو أنه مُعَذِّبى لا محالةَ ما ازددتُ إلا اجتهادًا لئلا أرجعَ على نفسى بلائمة .

أثنى قومٌ على عوف بن أبى جميلة ، فقال لهم : دَعُونا من الثناء ، وأمِدُّونا بالدعاء .

قيل لبعض العُبّاد : مَنْ شَرُّ الناس؟ قال : من لا يُبالى أن يراه الناسُ مسيئا .

قال المِسور بن مَخْرَمة : لقد وارت الأرضُ أقواما لو رأونى معكم لاستحييتُ منهـــم .

قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : عجبتُ لمن يَهْلِك والنجاةُ معه ؛ قيل : وما هى ؟ قال : الاستغفار .

كان فتًى يُجالس سُفيانَ الثورىَّ ولا يتكلّم ، وكان سفيان يحب أن يتكلم ليسمع كلامه ، فمرّ به يوما فقال له : يا فتى ، إن مَنْ كان قبلَنا مرُّوا على خيل وبَقِينا على حمير دَبِرة ؛ فقال الفتى : يا أبا عبد الله ، إنْ كنّا على الطريق فما أسرعَ لحُقُوقَنا بالقوم ! .

قال الحسن : إن خَفْق النعالِ خلف الرجال قلّ ما تَلْبَث الحَمْقَى . وذُكِر عنده الذين يلبَسون الصـوفَ ، فقـال : ما لهم تفاقدوا (١) ! — ثلاثا — أكنُّوا الكِبْرَ فى قلوبهم وأظهروا التواضُعَ فى لباسهم ، والله لأحدُهم أشدُّ عُجْبًا بكسائه من صاحب المِطْرَف بِمطرفه . ودخل عليه رجلٌ فوجد عنده ريحَ قِدْرٍ طَيِّبة ، فقال : يا أبا سعيد ، إنّ قِدْرَك لطيِّبة (٢) ؛ قال : نعم لا رغيفى مالك وصحناه فرقد .

---

(١) تفاقدوا : دعاء عليهم بأن يفقد بعضهم بعضا . (٢) كذا بالأصل والمعنى غير واضح .

طُلِب أبو قِلَابة للقضاء فلحِق بالشأم هَرَبا، فاقام حيناً ثم قَـدِم البَصْرة؛ قال أيّوب فقلت له : لوأنك وَلِيتَ القضاءَ وعَدَلتَ بين النـاس رَجَوتُ لك فى ذلك أجرا؛ قال لى : يا أيوب، اذا وَقَع السابح فى البحر فكَمْ[1] عسى أن يَسْبَح !

قالت امرأة أبى حازم يوما له : يا أبا حازم، هذا الشتاء قد هَجَم ولا بدّ لنا مما يُصلحنا فيه، فذكرتِ الثيابَ والطعامَ والحَطَبَ؛ فقال : من هذا كله بُدٌّ، ولكن خُذى ما لابدّ منه : الموتَ ثم البعثَ ثم الوقوفَ بين يَدَيِ الله تعالى ثم الجنّةَ أو النارَ .

قال أبو العَتَاهِية :

أَطِـعِ اللهَ بجُهْـــدِكْ * عامدًا أو دون جهـدِكْ
أعطِ مولاك كما تط * لب من طاعة عبـدِكْ

وقال أيضا :

أرى أُناسًا بأدنى الدِّين قـد قَنِعوا * ولا أراهم رَضُوا فى العيش بالدُّونِ
فاستغْنِ بالدِّين عن دُنيا الملوكِ كما اسـ * ـتغنى المـلوكُ بدنيـاهم عن الدِّينِ

وقال محمد بن حازم :

ما الفقرُ عارٌ ولا الغِنَى شرفٌ * ولا سَخَـاءٌ فى طاعةٍ سَرَفُ
ما لَكَ إلّا شيءٌ تُقَـدِّمُه * وكل شىء أخّرتَه تَلَفُ
تَرْكُكَ مالًا لـوارثٍ يتهـ * ـنّاه وتَصْلَى بحرّه أَسَفُ

وقال أبو العَتَاهِيَة :

ألا إنما التّقوى هى العِزُّ والكَرَمْ * وحبُّكَ للدنيا هو الذُّلُّ والندمْ
وليس على عبـدٍ تقىٍّ نقيصـةٌ * اذا صَحّحَ التقوى وإن حَاكَ أو حَجَمْ

(١) فى الأصل « كم » من غير فاء .

قال علىّ بن الحسين : الرضا بمكروه القضاء أرفعُ درجات اليقين .

قيل لابن سيرين : ما أشدَّ الورَعَ ! قال : ما أيسَرَه ! اذا شككتَ فى شىء فدَعْه .

قال رجل لحُذَيْفة : أخشى أن أكونَ منافقا ، فقال : لو كنتَ مُنافقا لم تخشَ .

وقال محمود الورّاق :

يا ناظـرًا يرنُو بعيـنَىْ راقـــدِ * ومُشاهِـدًا للأمر غيرَ مشـاهدِ
تصلُ الذنوبَ الى الذنوبِ وترتجى * دَرَكَ الجِنانِ بها وفوزَ العـابدِ
ونَسِيتَ أنّ الله أخرج آدمًا * منهـا الى الدنيـا بذنبٍ واحدِ

وقال وَضّاح اليمن :

مَالَكَ وَضّـاحُ دائمَ الغَـزَلِ * ألستَ تخشَى تقـارُبَ الأجلِ
يا موتُ ما إن تزالُ معترِضًـا * لآملٍ دونَ منتهى الأمَـلِ (١)
تنـال كَفّاك كلَّ مُسْهِلةٍ * وحُوتَ بحـرٍ ومَعْقِلَ الوَعِلِ
صلِّ لذى العرشِ واتّخذْ قَدَمًا * تُنجيـك بعـد العِثـار والزَّلَلِ

قيل ليوسف عليه السـلام : مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ قال : أخاف أن أشبَع فأنسى الجائعَ .

وقال أُمَيّة بن أبى الصَّلْت :

همـا طريقان فائزٌ دخلَ الـ * ـجنّة حفّتْ به حـــدائقُهـا
وفِـرقةٌ فى الجحيم مَعْ فـرَق الشّـيطان يَشــقَى بهـا مُرَافقُها
تعرِف هـذا القلوبُ حقًّا اذا * همّتْ بخـــير فـا عوائقُهـا
وصـدّها للشقاء عن طلب الـ * ـجنة دنيـا واللهُ ماحِقُهـا

(١) لم يوجد فى الأصـل من هـذا الشطر الا كلمة « الأمل » وقد أثبتناه عن الأغانى فى ترجمة وضاح اليمن .

عبدٌ دعا نفسه فعاتبها * يعلم أنّ البصيرَ رامقُها
اقترب الوعد والقلوبُ الى اللّهو * وحبُّ الحياة سائقُها
ما رغبةُ النفس فى البقاء وأن * تحيا قليلًا والموتُ لاحقُها
أمامها قائدٌ اليه ويحـ * ـدوها حثيثًا اليه سائقها
قد أيقنت أنها تصير كما * كان يراها بالأمس خالقُها
وأنّ ما جمّعت وأعجبها * من عيشةٍ مُرّةٍ مُفارقُها
مَنْ لم يَمُتْ عَبْطةً[1] يمت هَرَمًا * للموتِ كأسٌ والمرءُ ذائقُها

قال بعض الزهّاد : إنّ صفاء الزهد فى الدنيا وكماله ألّا تأخذ من الدنيا شيئًا ولا تتركه إلا لله ، فاذا كنت كذلك كان أخْذُكَ تركًا ومعاملتُك لله فيها رِبحًا ، وإنّ صفاء الرغبة فى الدنيا وكمالها ألّا تأخذ منها شيئا ولا تتركه إلا لها ، فاذا كنت كذلك كان تَرْكُكَ أخذًا وفوتُ ما فات عليك منها حسرةٌ .

حَبَس بعضُ الملوك رجلا ثم غَفَل عنه الى أن مَضَى عليه زمان ؛ فقال لموكّل به : قل له : إن كلّ يوم يمضِى من نعيمك يمضى من بؤسى ، والأمرُ قريبٌ ، والحَكَمُ الله عزّ وجلّ . والسلام .

---

(١) يقال : مات عبطة اذا مات شابا صحيحا .

جاء فى آخر النسخة الفتوغرافية ما نصه :

تم كتاب الزهد، وهو الكتاب السادس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله ، ويتلوه فى الكتاب السابع كتاب الإخوان . والحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلاما على سيدنا محمد النبى وآله أجمعين .

كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى ابراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرىّ ، وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

يوجد فى النسخة الفتوغرافية عقب هـذا الكتاب (كتاب الزهد) بعض قطع شعرية ونثرية فى نحو ست صفحات منقول جلها عن العقد ، وليست من تأليف ابن قتيبة .

EGYPTIAN NATIONAL LIBRARY

ʿUYŪN AL-AḪBĀR

BY

IBN QUTAYBA

Abū Muhammad ʿAbdullāh b. Muslim al-Dinawarī

(d. 276 H.)

Vol. II

[2nd Edition]

NATIONAL LIBRARY PRESS

CAIRO

1996

ʿUYŪN AL-AḪBĀR


300757
59039

EGYPTIAN NATIONAL LIBRARY

'UYŪN AL-AḪBĀR

BY

IBN QUTAYBA

Abū Muhammad 'Abdullāh b. Muslim al - Dīnawarī
(d. 276 H.)

[2nd Edition]

NATIONAL LIBRARY PRESS
CAIRO
1995